كتاب احيا العلوم للامام الغزالي

س ٣٣
ع [illegible]

الغزالي [illegible] الى [illegible]
[illegible] سنة خمس [illegible] واربعمائة [illegible] سنة [illegible] وخمسمائة
[illegible]
[illegible] كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي [illegible]
وكان احد [illegible] مذهب الشافعي [illegible]

دري زاده مصطفى افندي داعيلرندن

كتاب احياء العلوم

قيل ان ابا بكر بن العربي المالكي لما بلغه كتاب الاحياء هم في نفسه ان يرتحل الى الغزالي ويناظره عن اظهار هذا الكتاب لما فيه من التصوف فعبر وركب البحر قاصداً له فقال له ابن ثما عليك الا امسك فخرجت اليه ضفدعة وقالت له اذا مسخ الرجل كم تعتد زوجته بعدة الميت او بعدة المطلق فلم يدر ما يجيب به فلما اجتمع بالغزالي قال ابن الذي اخجلتك الضفدعة فاطرق وقال نعم وعلم انه لا يقتدر ان يكلمه فقال له يا ولدي ان كان مسخ جماداً او حجراً تعتد عدة الميت وان كان مسخ حيواناً تعتد عدة المطلقة فلم يقدر على ان يذكر له الكتاب ثم عاد وركب البحر فلما قرب المكان الاول خرجت له الضفدعة وقالت الذي اجابك هو البحر لا انت كذا رأيته بخط احمد بن اللبودي رحمه الله من بعض مجاميع الشهاب الخفاجي رحمه الله سبحانه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في اتمامه

احمد الله تعالى اولا حمدا كثيرا متواليا وان كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين واصلي على رسله ثانيا صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين واستخيره سبحانه وتعالى ثالثا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احياء علوم الدين وانتدب لقطع تعجبك رابعا ايها العاذل المتغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما انت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس واصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من اضاعة العمر يأسا عن تمام التلافي والجبر وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بعلمه ولعمري انه لا سبب لاصرارك على التكبر الا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل بان الامر اد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والاجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله تعالى من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر منهم الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان واصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في اقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة يستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام او جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام او سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فاما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلهما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الائمة المتقدمين وايضاحا لمباهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين سلام الله عليهم اجمعين ولقد اسسته على اربعة ارباع ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف اولا عن العلم الذي تعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعيان بطلبه اذ قال طلب العلم فريضة على كل مسلم واميز فيه العلم النافع عن الضار اذ قال عليه السلام نعوذ بالله من علم لا ينفع واحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب

كتاب ١ العلم — وكتاب ٢ قواعد العقائد

وكتاب ٣ اسرار الطهارة — وكتاب ٤ اسرار الصلوة

وكتاب ٥ اسرار الزكوة — وكتاب ٦ اسرار الصيام

وكتاب ٧ اسرار الحج — وكتاب ٨ تلاوة القرآن

وكتاب ٩ الاذكار والدعوات — وكتاب ١٠ ترتيب الاوراد في الاوقات

واما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب ١ آداب الاكل — وكتاب ٢ آداب النكاح

وكتاب ٣ آداب الكسب — وكتاب ٤ الحلال والحرام

وكتاب ٥ آداب الصحبة — وكتاب ٦ العزلة

وكتاب ٧ آداب السفر — وكتاب ٨ السماع والوجد

وكتاب ٩ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر — وكتاب ١٠ اخلاق النبوة وآداب المعيشة

واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب ١ عجائب القلب — وكتاب ٢ رياضة النفس

وكتاب ٣ آفة الشهوتين شهوة البطن والفرج — وكتاب ٤ آفات اللسان

وكتاب ٥ آفة الغضب والحقد والحسد — وكتاب ٦ ذم الدنيا

وكتاب ٧ ذم المال والبخل — وكتاب ٨ ذم الجاه والريا

وكتاب ٩ ذم الكبر والعجب — وكتاب ١٠ ذم الغرور

واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر

وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد

وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والانس والرضا

وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة

وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت

فاما ربع العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل في فن الفقهيات واما ربع العادات فاذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني المتدين عنها واما ربع المهلكات فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه واذكر من كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم اذكر سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليه تترتب ثم العلامات التي بها يتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منه يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والاخبار والآثار واما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين واذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف في بعض هذه المعاني كتب لكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة امور الاول حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه الثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه الرابع حذف ما كرروه واثبات ما حرروه الخامس تحقيق امور غامضة اعتاصت على الافهام ولم يتعرض لها في الكتب اصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبه لامر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه او لا يغفل عن التنبه ولكن يسهو عن ايراده في الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملني على تأسيس هذا الكتاب على اربعة ارباع امران احدهما وهو الباعث الاصلي ان هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري لان العلم الذي يتوجه به الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة وعلم المكاشفة واعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط واعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التأسي والاقتداء ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم ظاهر اعني العلم باعمال الجوارح والى علم باطن اعني العلم باعمال القلوب والجاري على الجوارح اما عبادة واما عادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق باحوال القلب واخلاق النفس انقسم الى محمود ومذموم فكان المجموع اربعة اقسام ولا يشذ

نظر في علم المعاملة عن هذه الاقسام والباعث الثاني اني رايت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله تعالى المتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المباهات وهو مرتب على اربعة ارباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم استبعد ان يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء الى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب الى العلم الذي يفيد حياة الابد اهم من التلطف في اجتذابها الى الطب الذي لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والارواح المتوصل به الى حياة تدوم ابد الآباد فاين منه الطب الذي يعالج به الاجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في اقرب الآماد فنسأل الله التوفيق للرشاد والسداد انه الكريم الجواد

كتاب العلم وفيه سبعة ابواب

الباب الاول في فضل العلم والتعلم والتعليم **الباب الثاني** في بيان فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا **الباب الثالث** فيما يعده العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره **الباب الرابع** في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل **الباب الخامس** في آداب المعلم والمتعلم **الباب السادس** في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة **الباب السابع** في العقل وفضيلته واقسامه وما جاء فيه من الاخبار والله اعلم

الباب الاول في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل فضيلة العلم

شواهدها من القرآن قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فانظر كيف بدأ سبحانه بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس رضي الله عنهما للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به تنبيها على انه اقتدر بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير بين ان عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله وقيل في قوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى يعني الحياء وقال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان **واما الاخبار** فقد قال عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال عليه السلام العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال عليه السلام يستغفر للعالم ما في السموات والارض واي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال عليه السلام ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وابقى وقال عليه السلام خصلتان لا تكونان في منافق حسن سمت وفقه في الدين ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما اراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وادنى درجات الفقيه ان يعلم ان الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت برأ بها من النفاق والرياء وقال عليه السلام افضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغني عنه اغنى نفسه وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال عليه السلام اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال عليه السلام لموت قبيلة ايسر من موت عالم وقال عليه السلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وقال عليه السلام يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء وقال عليه السلام من حفظ على امتي اربعين حديثا حتى يؤديها اليهم كنت له يوم القيامة شفيعا وشهيدا وقال عليه السلام من تفقه

في دنياه كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال عليه السلام اوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم وقال العالم امين الله في
الارض وقال صنفان من امتي اذا صلحا صلح الناس الامرا والفقها وقال عليه السلام اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله فلا بورك لي
في طلوع شمس ذلك اليوم وقال عليه السلام في تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فانظر كيف
جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال
عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وقال عليه السلام يشفع يوم القيمة ثلثة الانبيا ثم العلما ثم الشهدا فاعظم بمرتبة
هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة وقال عليه السلام ما عبد الله بشي افضل من فقه في الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان
من الف عابد ولكل شي عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه وقال فضل المومن العالم على المومن العابد
سبعون درجة وقال انكم اصبحتم في زمان كثير فقهاوه قليل خطباوه قليل سايلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسياتي على الناس زمان قليل
فقهاوه كثير خطباوه قليل معطوه كثير سايلوه العلم فيه خير من العمل وقال عليه السلام بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الفرس الجواد
المضمر سبعين سنة وقيل له عليه السلام يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل اي الاعمال تريد فقال العلم بالله فقيل نسئلك عن العمل
وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال عليه السلام يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يبعث العلما ثم يقول يا معشر العلما اني لم اضع علمي
فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم واما الاثار فقد قال علي كرم الله وجهه يا كميل العلم خير من المال العلم
يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال ايضا العالم افضل من الصايم
القايم المجاهد واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال ايضا نظما وقيل ان قايله ابنه الحسين رضي الله عنهما الناس من جهة التمثال
اكفا ابوهم ادم والام حوا فان يكن لهم في اصلهم شرف يفاخرون به فالطين والما ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلا
وقدر كل امري ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعدا ففز بعلم تعش حيا به ابدا الناس موتى واهل العلم احيا وقال ابو الاسود ليس
شي اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلما حكام على الملوك وقال ابن عباس خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والملك والمال فاختار
العلم فاعطي الملك والمال معه وسئل ابن المبارك رحمه الله من الناس فقال العلما قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي ياكل الدنيا بدينه
لم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التي بها يتميز الناس عن ساير البهايم هو العلم فالانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان
الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا باكله فان الجمل اوسع بطنا منه ولا ليجامع فان اخس العصافير
اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال بعض الحكما ليت شعري اي شي ادرك من فاته العلم واي شي فاته من ادرك
العلم وقال الفتح الموصلي رحمه الله اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدوا يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه العلم
والحكمة ثلثة ايام يموت ولقد صدق فان غذا القلب العلم والحكمة وبهما حيوته كما ان غذا الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم
ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان غلبة الخوف قد تبطل احساس الم الجراح في الحال وان كان واقعا فاذا
حط الموت عنه اعبا الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الامن من خوفه والمفيق من سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر والخوف
فنعوذ بالله من يوم كشف الغطا فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رضي الله عنه يوزن مداد العلما بدم الشهدا وقال ابن
مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهدا ان يبعثهم
الله علما لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس رضي الله عنه تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من احيايها
وكذا عن ابي هريرة واحمد بن حنبل رضي الله عنهما وقال الحسن رضي الله عنه في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة ان الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي
الاخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكما اي الاشيا تقتني قال الاشيا التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل اراد بغرق السفينة
هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي رضي الله عنه
من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شي حقير فرح ومن دفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه ردا يحبه
فمن طلب بابا من العلم رداه الله بردايه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداه ذلك

وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف بن قيس كاد العلما ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم
بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم واعتقني فقلت باي حرفة احترف فاحترفت العلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة زايرا
فلم اذن له وقال الزبير بن ابي بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وحكي
ذلك في وصايا لقمان لابنه قال يا بني جالس العلما وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السما وقال
بعض الحكما اذا مات العالم بكاه الحوت في الما والطير في الهوا ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري العلم ذكر ولا يحبه الا ذكران الرجال

فضيلة التعلم

اما الايات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين وقوله تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون واما الاخبار فقوله صلى الله عليه واله وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال عليه السلام ان الملايكة
لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وقال لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة وقال باب من العلم يتعلمه الرجل
خير له من الدنيا وما فيها وقال اطلبوا العلم ولو بالصين وقال طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال العلم خزاين مفاتيحها السوال فسلوا فانه يوجر
فيه اربعة السايل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه وفي حديث ابي ذر حضور
مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراة القران فقال وهل ينفع القران الا بالعلم
وقال من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبيا درجة واحدة في الجنة واما الاثار فقد قال ابن عباس رضي الله عنه
ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس وجها واذا تكلم فاعرب
الناس لسانا واذا افتى فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكما اني لا ارحم
رجالا كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال ابو الدردا لان اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة وقال
ايضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وساير الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع
فتهلك وقال عطا مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت الف عابد قايم الليل صايم النهار اهون من موت
عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي طلب العلم افضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك اقرا عليه العلم فدخل الظهر
فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية وقال ابو الدردا من راى ان الغدو الى
العلم ليس بجهاد فقد نقص في رايه وعقله

فضيلة التعليم

اما الايات فقوله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد هو التعليم
والارشاد وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الاية وهو ايجاب للتعليم وقال وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم
للكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم ما اتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ
على النبيين ان يبينوه للناس ولا يكتموه وقال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقال ويعلمهم الكتاب
والحكمة واما الاخبار فقوله صلى الله عليه واله وسلم لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا
وما فيها وقال من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين صديقا وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما
في ملكوت السموات وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلما
بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى انتم عندي كبعض ملايكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون
للعلم المتعدي بالتعليم لا اللازم الذي لا يتعدى وقال عليه السلام ان الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يوتيهم اياه ولكن يذهب
بذهاب العلما فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رووسا جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وقال
من علم علما فكتمه الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار وقال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها الى اخ مسلم تعلمه
اياها تعدل عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وحتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم
الناس الخير وقال ما افاد المسلم اخاه فايدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال كلمة من الخير يسمعها المومن فيعمل بها ويعلمها خير له
من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ذات يوم فراى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون

الناس فقال اما هولا فيسالون الله ان شا اعطاهم وان شا منعهم واما هولا فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير فكانت منها نقية قبلت الما فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الما فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ما ولا تنبت كلا فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني ذكره مثلا للنافع والثالث ذكره مثلا للمحروم منهما وقال اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلث علم ينتفع به او صدقة جارية الحديث وقال الدال على الخير كفاعله وقال لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرا وجهرا وقال عليه السلم على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله واما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث فعمل به فله اجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس معلم الخير يستغفر له كل شي حتى الحوت في البحر وقال بعض العلما العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وقد روي ان سفيان الثوري قدم عسقلان فمكث ولا يساله انسان فقال اكتروا لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقا العلم وقال عطا دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال ليس احد يسالني عن شي وقال بعضهم العلما سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضي به اهل عصره وقال الحسن لولا العلما لصار الناس مثل البهائم اي انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلما ارحم بامة محمد من آبائهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان آباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل في التعلم والتعليم ورايته ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السرا والضرا والوزير عند الاخلا والقريب عند الغربا ومنار سبيل الجنة يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة يقتدى بهم ادلة في الخير تقتص آثارهم وترمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسما ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعدا ويحرمه الاشقيا

الشواهد العقلية اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن ان تعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو الزيادة فاذا تشارك شيئان في امر واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشي كما يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه افضل لان تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى وليست من الكمال في شي والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمت هذا لم يخف عليك ان العلم فضيلة في ذاته ان اخذته بالاضافة الى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله وبه شرف الملائكة والانبيا بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة واعلم ان الشي النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة لهما ولولا ان الله تعالى يسر قضا الحاجات بهما لكانا والحصبا بمثابة واحدة واما الذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى واما الذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انها سلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشيا رتبة في حق الآدمي

السعادة الابدية وافضل الاشيا ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم فهو اذا افضل الاعمال وكيف لا وقد يعرف فضيلة الشي ايضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقارنة الملا الاعلى هذا في الآخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبيا الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سياتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها

واما فضيلة التعلم والتعليم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة الى الله تعالى لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن يتخذها وطنا ومستقرا * وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة اقسام **القسم الاول** اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبنا وهي للمسكن والسياسة وهي للتاليف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها **القسم الثاني** ما هي مهيئة لكل واحد من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها **القسم الثالث** ما هي متممة للاصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة والقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل اجزا الشخص بالاضافة الى جملته فانها ثلاثة اضرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتاليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على اربع مراتب الاولى وهي العليا سياسة الانبيا وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم والثانية الخلفا والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم والثالثة العلما بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبيا وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف هذه السياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلاثة امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفا الذكا والعقل اشرف صفات الانسان كما سياتي بيانه اذ به تقبل امانة الله وبه يتوصل الى جوار الله تعالى واما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على الارض جنس الانس واشرف جز من جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته الى القرب الى الله فتعليم العلم من وجه عبادة لله ومن وجه خلافة لله وهو من اجل خلافة الله فان الله تعالى فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو ماذون له في الانفاق منه على كل محتاج اليه فاي رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى الجنة الماوى

الباب الثاني

في العلم المحمود والمذموم واقسامهما واحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من علم الدين الى اي حد هو وتفضيل علم الآخرة

بيان العلم الذي هو فرض عين قال النبي عليه السلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين فاختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته

وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به يعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون
الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم
أي علمنا فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالى وقال بعضهم هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من
لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال أبو طالب المكي هو العلم
بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية
الوجوب والذي ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة
وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاث اعتقاد وفعل وترك فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام
أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل
كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل
بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان إذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير
تعلم دليل فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمة وفهمها وليس يلزمه أمر وراء هذا
في الوقت تعلم الكلمة بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله غير عاص وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل
شخص بل يتصور الانفكاك عنه وتلك العوارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في الاعتقاد أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة النهار
إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة وإن كان صحيحا وكان بحيث لو صبر إلى زوال الشمس لم يتمكن من تمام
التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال
وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه
وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والوقاع وأن ذلك يتمادى
إلى رؤية الهلال فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام
الحول من وقت إسلامه فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل وكذا في سائر الأصناف فإذا دخل أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم
الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الإسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد
والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته
دون نوافله فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضا نفل فلا يكون تعلمه فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه
وهكذا التدريج في علم سائر الأعمال التي هي فرض عين وأما التروك فيجب تعلم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب
على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا يجب بحسب ما يقتضيه
الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابسا للحرير أو جالسا في غصب أو ناظرا إلى
غير محرم فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه
وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمة التوحيد فيجب عليه تعلم ما يتوصل به
إلى إزالة الشك فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله قديم وأنه مرئي وأنه ليس محلا للحوادث إلى غير ذلك مما ذكر في المعتقد
فقد مات على الإسلام إجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع
فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يصان في أول بلوغه عنها بتلقين الحق فإنه لو ألقي إليه الباطل لوجب إزالته من قلبه وربما
عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض
عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو
ولمة الملك حق أيضا ولكن في حق من يتصدى له وإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع

المهلكات ما يرى نفسه محتاجا إليه وكيف لا يجب وقد قال عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات
أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها
ومعرفة علاماتها وعلاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب فأكثر ما ذكرناه في
ربع المهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل
عن ملة أخرى إلى ملة الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فإنه بعد التصديق بكونه رسولا
ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار وإذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن
المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو عن وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم
فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فإذا تبين أنه عليه السلام إنما أراد
بالعلم المعرف بالألف واللام في قوله طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج في
وقت وجوبه

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غير الفرض إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالإضافة إلى الفرض
الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل
الطب ولا السماع مثل اللغة والعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح
أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام
أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان والحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج
أهل البلد وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين ولا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول
الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فإنه لو خلا البلد عن الحجام والفصاد لتسارع الهلاك
إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض
للهلاك بإهماله وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة
قوة في القدر المحتاج إليه وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات وأما المباح منه فالعلم بالأشعار
التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراها وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن
أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي أربعة أضرب الضرب
الأول الأصول وهي أربعة كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة وآثار الصحابة والإجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة
الثانية وكذا الأثر فإنه يدل أيضا على السنة لأن الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه
وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن عند من رآه ولا يليق بيانه بهذا الفن الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم من هذه الأصول لا
بموجب ألفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله لا يقضي القاضي وهو غضبان
أنه لا يقضي إذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما بمرض وهذا على ضربين أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به
الفقهاء وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه
وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها
وهو الذي يحويه الشطر الأول الضرب الثالث المقدمات وهي التي تجري مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فإنهما آلة لعلم كتاب الله
تعالى وسنة رسوله وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب
وكل شريعة فلا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أنه ليس ضروريا إذ كان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم أميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغني عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا الضرب الرابع
المتممات وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فإن اعتماده أيضا

على الشكل اذ اللغة تحتاج بالاستقلال به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والخاص والعام والنص والظاهر وكيفية استعمال
البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا واما المتممات في الاخبار والآثار فالعلم بالرجال واساميهم
واسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم ليميز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم ليميز المرسل عن المسند
وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات فان قلت لم الحقت الفقه بعلم الدنيا والفقهاء
بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام
ومنها الى الارض ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدؤهم وغايتهم ومنازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول
منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست
الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق
اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا
ولعمري انه متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان
والدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط
في فصل الحكومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة
طريق السياسة فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة
التي لا يتم الحج الا بها شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على
ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مأمور او متكلف فالامير هو الامام وقد كانوا هم المفتين والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما
وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى كان كل واحد منهم يحيل على صاحبه وكانوا لا يحترزون
اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد
به الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في احكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل
عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التي هي اعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلوة والحلال
والحرام واذا تأملت منتهى نظر الفقيه علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة واذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها اظهر اما الاسلام
فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان اما القلب فخارج عن ولاية الفقيه بعزل رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ارباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه للذي قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من
خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة
ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله والكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال
وذلك في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا مني
دماءهم واموالهم جعل اثر ذلك في الدم والمال واما الآخرة فلا تنفع فيها الاموال بل انوار القلوب واسرارها واخلاصها وليس ذلك من فن
الفقه وان خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام او الطب وكان خارجا عن فنه واما الصلوة فالفقيه يفتي بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال
مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلوته من اولها الى آخرها مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق الا عند التكبير وهذه الصلوة
لا تنفع في الآخرة كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة اي ان ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع
عنه القتل والتعزير فاما الخشوع واحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له كان خارجا
عن فنه واما الزكوة فالفقيه ينظر الى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع فاخذها السلطان منه قهرا حكم بانه برئت ذمته وقد حكي
ان ابا يوسف كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها اسقاطا للزكوة فحكي ذلك لابي حنيفة فقال ذلك من فقهه وصدق فان
ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة اعظم من كل جناية ومثل هذا هو العلم الضار واما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين

ولكن الورع له اربع مراتب الاولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهود وهو الذي يخرج بتركه الانسان عن اهلية الشهادة والقضاء والولاية
وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وآله
وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال الاثم حزاز القلوب الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه اداؤه الى
الحرام قال عليه السلام لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة
من الانجرار الى الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدي الى مقارفة المحظورات الرابعة ورع الصديقين
وهو الاعراض عما سوى الله خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي الى حرام
فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي
الاثم في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وان افتوك والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب
وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في شيء من صفات
القلب واحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنحو والنجوم وعلم الكلام
وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر وقد كان سفيان الثوري وهو امام في علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على ان
الشرف في العلم العمل به فكيف يظن انه علم اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بها الى الله تعالى
فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الاعمال فان قلت لم سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا
يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك ايضا يتعلق به صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما
فرق فان الفقه اشرف منه من ثلاثة اوجه احدها انه علم شرعي اذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع الثاني انه لا يستغني
عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون الثالث ان علم الفقه مجاور
لعلم طريق الآخرة لانه نظر في اعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشؤها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر عن الاخلاق المحمودة
المنجية في الآخرة والمذموم يصدر عن المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء في المزاج والاخلاط
وذلك من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر ايضا
شرف علم الآخرة فان قلت فصل لي علم طريق الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة
اما علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى
نصيب منه التصديق وتسليمه لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى
لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة وهو
عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور امور كثيرة كان يسمع من قبل اسماءها فيتوهم لها معاني
مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وبصفاته الباقيات وبافعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه
للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية
ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود
الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان و
الحساب ومعنى قوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وان الدار الآخرة لهي الحيوان ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى
القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى
يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها
مقامات شتى فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعد الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه
ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم

ان يسمى صديقا ثم لا اعتراف بالعجز عن معرفته ونعيمهم درجات في المعرفة بالله تعالى ونعني بعلم المكاشفة
جميع العلوم مما انه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم معنى بعلم المكاشفة ان يرتفع الحجاب حتى الغطا فيتضح له جلية الحق في هذه الامور
اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما
نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها
وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلالا فيه حقائقه ولا سبيل
اليه الا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعه وبالعلم والتعليم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله عليه بشي منها الا مع اهله
وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا هو العلم الخفي الذي اراده النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون
لا يعلمه الا العالمون بالله تعالى فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى
علما فان الله لم يحقره اذ آتاه العلم

واما القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر
والخوف والرجا والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن
المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها
حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحسد والحقد والغش وطلب العلو وحب
الثنا وحب طول البقا في الدنيا للتمتع والكبر والريا والغضب والانفة والعداوة والبغضا والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر
وتعظيم الاغنيا والاستهانة بالفقرا والفخر والخيلا والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف
والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار
للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله سبحانه في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة
والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفا
والطيش والعجلة وقلة الحيا وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي
الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمرتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين
في فتوى علما الآخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى
فقها الدنيا فنظر الفقها في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني
حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الريا لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الآخرة ولو سالته عن
اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شي منها وان احتيج لم تخل
البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع
قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض
الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم
فيما يتعلق بالاطبا من احكام الفقه ثم لا نرى احدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من
الفقها بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقها الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم
به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر الوصول به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضا والحكومة والتقدم
به على الاقران والتسلط به على الاعدا هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس علما السو فالله المستعان واليه الملاذ في ان يعيذنا
من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علما الظاهر مقرين بفضل علما الباطن وارباب القلوب
كان الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي رحمه الله عليه كما يقعد الصبي في المكتب ويساله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له
مثلك يسال هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما اغفلناه وكان احمد بن حنبل ويحيى بن معين رحمهما الله عليهما يختلفان الى معروف الكرخي

رحمه الله ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسالانه كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قيل له كيف نفعل اذا جانا امر لم نجده
في كتاب ولا سنة فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علما الظاهر زينة الارض والملك وعلما الباطن زينة السما
والملكوت وقال الجنيد قال لي السري شيخي يوما اذا قمت من عندي فمن تجالس قلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه للكلام
ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الى ان من حصل
الحديث والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت لم لم تورد في اقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين انهما
مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما
مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سياتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات
وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شي منه مالوفا في العصر الاول وكان الخوض
فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها
كلاما مولفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة ماذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد
الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي هذا واما الفلسفة فليست علما براسها بل هي اربعة اجزا احدها
الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا
منهما الى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما كما يصان الصبي عن شاطي النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصان حديث العهد
بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم الثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه
الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام الثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وصفاته وهو داخل في الكلام ايضا والفلاسفة لم ينفردوا
فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما براسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل
البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة الرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين والحق فهو جهل وليس بعلم
حتى نورده في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطبا الا ان الطبيب
ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه
وهو انه محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب
العوام عن تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الانسان الى استيجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم
الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استيجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على
ما عهد في عصر الصحابة فليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فاذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من
جملة الحاج والمتكلم اذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علما الدين اصلا
وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي
بصنعة المجادلة والحراسة فاما معرفة الله وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد ان يكون
الكلام حجابا عليه ومانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا فان قلت فقد رددت حد الكلام الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة امتعة الحجيج
واقمشتهم عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان
رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلما الامة المشهورون بالفضل هم الفقها والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل
درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد
والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا
يدرك في الدين شاوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر رضي الله عنه الناس

بكثرة صلاة ولا كثرة صيام ولا فتوى ولا كلام ولكن بسر وقر في صدره كما شهد له سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم فليكن حرصك في طلب
ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه من تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع
يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ألوف من الصحابة كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله ولم يكن فيهم أحد
يحسن صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم إلا بضعة عشر رجلاً وكان ابن عمر رضي الله عنهما منهم وكان إذا سئل عن الفتوى
يقول اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه إشارة إلى أن الفتوى في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة
ولما مات عمر قال ابن مسعود رضي الله عنهما مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام
إنما أريد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات تسعة أعشاره بموت عمر رضي الله عنه وهو الذي سد
باب الكلام والجدل وضرب صبيغاً بالدرة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين من كتاب الله تعالى وهجره وأمر الناس بهجره
وأما قولك إن المشهورين من العلماء الفقهاء والمتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الخلق شيء آخر
فلقد كان شهرة أبي بكر بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات
تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب إلى الله في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن في سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور
صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والرياء والراغب في الشهرة فيكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه [illegible] فالفقهاء
والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من أراد الله بعلمه وفتياه وذبه عن سنته ولم يطلب به رياء ولا سمعة أولئك أهل رضوان
الله وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولإرادتهم وجه الله بفتواهم ونظرهم فإن كل علم عمل فإنه فعل مكتسب وليس كل عمل علماً والطبيب يقدر
على التقرب إلى الله بعلمه فيكون مثاباً على علمه من حيث إنه عامل لله به والسلطان يتوسط بين الخلق فيكون مرضياً عند الله ومثاباً لا من حيث إنه
متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد لعمل يقصد به التقرب إلى الله وأقسام ما يتقرب به إلى الله ثلاثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كعدل
السلطان مثلاً وضبطه للناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعاً فانظر لنفسك أتكون يوم القيامة
في حزب علماء الله أو عمال الله أو في حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل خذ ما تراه ودع شيئاً
سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وأنهم من أشد
خصمائهم يوم القيامة فإنهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء
الآخرة فإنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما صرف الصحابة
عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة
إلى ذكرها ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعناً فيهم بل طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلاً مذاهبهم وهو
مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعني الذين كثر أتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك وأبو حنيفة
وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهم الله وكل واحد منهم كان عابداً وزاهداً وعالماً بعلوم الآخرة وفقيهاً في مصالح الخلق في الدنيا ومريداً
بفقهه وجه الله فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء الزمان منها على خصلة واحدة وهي التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لأن الخصال
الأربع لا تصلح إلا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا فتشمروا لها وادعوا بها مشابهة
أولئك الأئمة وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الأربعة فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة أما الشافعي
رحمه الله فيدل على كونه عابداً ما روي أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً للعلم وثلثاً للصلاة وثلثاً للنوم وقال الربيع كان الشافعي يختم
القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة وكان البويطي أحد أصحابه يختم القرآن في كل يوم مرة وقال الحسين الكرابيسي بت
مع الشافعي رحمه الله غير ليلة فكان يصلي نحواً من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه
ولجميع المؤمنين ولا بآية عذاب إلا تعوذ منها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والرهبة معاً فانظر كيف يدل اقتصاره
على خمسين آية على تبحره في أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسي

القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده في العبادة إذ طرح الشبع
لأجله ورأس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله عز وجل لا صادقاً ولا كاذباً فانظر إلى حرمته وتوقيره لله ودلالة
ذلك على علمه بجلال الله وسئل الشافعي رحمه الله عن مسألة فسكت فقيل له ألا تجيب رحمك الله فقال حتى أدري الفضل في سكوتي أو في الجواب
فانظر في مراقبته للسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطاً على الفقهاء وأعصاها على الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل
الفضل وطلب الثواب وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله يوماً من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفه على
رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي رحمه الله إلينا وقال نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فإن المستمع
شريك القائل وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في وعائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها وقال الشافعي
كتب حكيم إلى حكيم قد أوتيت علماً فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم وأما زهده فقد قال الشافعي
من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب وقال الحميدي خرج الشافعي إلى اليمن مع بعض الولاة وانصرف إلى مكة
بعشرة آلاف درهم فضرب خباءه في موضع خارج من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه حتى فرقها كلها وخرج مرة من الحمام
فأعطى الحمامي مالاً كثيراً وسقط سوطه من يده مرة فرفعه إليه إنسان فأعطاه جزاء عليه خمسين ديناراً وسخاوة الشافعي أشهر من أن تحكى
ورأس الزهد السخاء لأن من أحب شيئاً أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده
وشدة خوفه من الله واشتغال همته بالآخرة ما روي أن سفيان بن عيينة روى حديثاً في الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له قد
مات فقال إن مات فقد مات أفضل أهل زمانه وروى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوساً نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر
ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي خرجت أنا وهو والحارث بن لبيد إلى الصفا وكان الحارث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ وكان
حسن الصوت فقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الشافعي وقد تغير لونه واقشعر جلده فاضطرب اضطراباً شديداً
وخر مغشياً عليه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكذابين وإعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت
لك رقاب المشتاقين إلهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو
بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بي رجل فقال لي يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة فالتفت فإذا أنا
برجل يتبعه جماعة فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفو أثره فالتفت إلي فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيئاً فقال لي
اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله غداً أفلا أزيدك قلت نعم
قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان من أمر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله ألا أزيدك قلت بلى
قال كن في الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً واصدق الله في جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعي فانظر
إلى سقوطه مغشياً عليه ثم إلى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله فإنما يخشى الله
من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي هذا الخوف من علم كتاب السلم والإجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من
القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما وأما كونه عالماً بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه روي أنه
سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم وقال الشافعي
رضي الله عنه إذا أنت خفت على عملك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي أي نعيم ترغب ومن أي عقاب ترهب وأي عافية تشكر وأي بلاء تذكر
فإنك إذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب وقال
الشافعي من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال من أطاع الله بالعلم نفعه سره وقال ما من أحد إلا له محب ومبغض فإذا كان كذلك فكن مع أهل
طاعة الله وروي أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً ورعاً وكان يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل في الورع والشافعي
يقبل عليه لورعه فقال للشافعي أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين فقال الشافعي التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة فإذا
امتحن صبر وإذا صبر مكن ألا ترى أن الله تعالى امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن أيوب ثم مكنه وامتحن سليمان ثم

آتاه الملك والحكمة افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف ورتب سبحانه المحنة العظيمة ثم قال الله تعالى ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما
فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في اسرار القرآن واطلاعه على مقامات السالكين الى الله من الانبياء والاولياء وكل ذلك من علوم الآخرة وقيل للشافعي
متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق في علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالما فانه قيل لجالينوس انك تأمر للداء الواحد بالادوية الكثيرة المجمعة
فقال انما المقصود منها واحد وانما يجعل معه غيره لتسكين حدته لان الافراد قاتل فهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله وعلوم الآخرة
واما ارادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله فيدل عليه ما روي عنه انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الي شيء منه فانظر
كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم به وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله وقال الشافعي رحمه الله ما ناظرت احدا
قط فاحببت ان يخطئ وقال ما كلمت احدا الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله عز وجل وحفظ وما كلمت احدا قط
وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني على الحق
احد ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ارادة الله بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة
هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها ايضا ولهذا قال ابو ثور ما رأيت ولا رأى الراؤون مثل الشافعي رحمه الله
وقال احمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو للشافعي فانظر الى انصاف الداعي والى درجة المدعو وقس به الاقران
والامثال من العلماء في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه اي رجل كان الشافعي
حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال احمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وقال احمد ما مس احد بيده
محبرة الا وللشافعي في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ اربع سنين الا وانا ادعو فيها للشافعي لما فتح الله عليه من
العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ
نصر بن ابراهيم المقدسي رحمه الله في مناقب الشافعي

واما مالك رحمه الله فانه ايضا كان متحليا بهذه الخصال الخمس
فانه سئل اي شيء تقول في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين
مبالغا حتى كان اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن في جلوسه على وقار وهيبة ثم حدث
فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية
وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى واما ارادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشيء ويدل عليه
ايضا قول الشافعي رحمه الله اني شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان واربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا ادري ومن يريد غير وجه الله
بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك قال الشافعي اذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما احد امن علي من مالك وروي ان ابا جعفر
منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث
وقال مالك ما كان رجل صادقا في حديثه لا يكذب الا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف واما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان
المهدي امير المؤمنين سأله وقال هل لك دار فقال لا ولكن احدثك سمعت ربيعة بن عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك
دار فقال لا فاعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغي ان تخرج معنا فاني
عزمت ان احمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن فقال له اما حمل الناس على الموطأ فليس الى ذلك سبيل لان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اختلاف امتي رحمة
واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال صلى الله عليه وآله وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد
وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته الي فلا اوثر الدنيا على مدينة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حمل اليه الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها في وجوه
الخير وسخاؤه يدل على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل
على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي رحمه الله انه قال رأيت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رأيت احسن منه فقلت لمالك

ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال اني استحيي من الله ان اطأ تربة فيها نبي الله صلى
الله عليه وآله وسلم بحافر دابة فانظر الى سخائه اذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله
تعالى واستحقاره للدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هارون الرشيد فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك
الموطأ قال فقلت اعز الله مولانا امير المؤمنين ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز وان انتم اذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت
اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس واما ابو حنيفة رحمه الله فلقد كان ايضا عابدا زاهدا عارفا بالله خائفا منه مريدا وجه الله
تعالى بعلمه فاما كونه عابدا فيعرف بما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له مروءة وكثرة صلاة وروى حماد بن ابي سليمان انه كان يحيي
الليل كله وروي انه كان يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي فقال لآخر هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي كل الليل
وقال انا استحيي من الله سبحانه ان اوصف بما ليس في من عبادته واما زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن عمر بن هبيرة
فقدمت بابي حنيفة فاراده ان يكون على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام
الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه كان من اعظم الناس امانة واراده سلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم
على عذاب الله وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن شجاع
عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المؤمنين بعشرة آلاف درهم قال فما رضي ابو حنيفة فلما كان اليوم الذي توقع
ان يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة
بعد الكلمة اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته فقال لابنه اذا مت
ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التي اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن
رحمة الله على ابيك فلقد كان شحيحا على دينه وروي انه دعي الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح لهذا فقيل له لم فقال ان كنت صادقا فما اصلح
وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء واما علمه بطريق الآخرة وطريق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه شدة خوفه من الله وزهده في
الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت انه شديد الخوف من الله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت
دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم
كله فهذه نبذة من احوال الائمة الثلاثة واما احمد بن حنبل وسفيان فاتباعهما اقل من اتباع هؤلاء ولكن اشتهارهما بالورع والزهد
اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الائمة وتأمل ان هذه الاحوال
والاقوال والافعال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله تعالى هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار واللعان او يثمرها
علم آخر اعلى واشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهم اصدقوا في دعواهم ام لا والله الموفق للصواب

الباب الثالث فيما تعده العامة من العلوم المحمودة وليست منها

وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان
تبديل اسامي العلوم وهي العلم والفقه والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها

بيان علة ذم العلم المذموم

لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله سبحانه فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم ان
العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلاثة الاول ان يكون مؤديا الى ضرر ما اما لصاحبه او لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو
حق اذ شهد القرآن له وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين وقد سحر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل
بذلك واخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر
هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص من المطالع ويقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بها
الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله العادة احوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست
مذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب في كونه مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى
منه في موضع حريز اذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه

علم السحر علم مذموم عند اهل الشرع لان السحر عبارة عن لفظ الكفر والفحش والتعلق بالشيطان

الى النجوم الثاني ان يكون مضراً بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن بان مسير الشمس والقمر محسوب اذ قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكرت النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال عليه السلام اخاف على امتي بعدي ثلاثاً حيف الائمة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر وقال عمر تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه احدها انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الآلهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتاً اليها ويرى الخير والشر محذوراً او مرجواً من جهتها وينمحي ذكر الله تعالى عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضياء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا تترقى في نظرها الى مشاهدة الاصابع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب فهذا احد اسباب النهي عن النجوم وثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقيناً ولا ظناً فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم فلقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فان اتفق ان قدر الله تعالى بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافياً في مجيء المطر وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتماداً على ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي عن النجوم ايضاً والثالث انه لا فائدة فيه فاقل احواله انه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان بغير فائدة وذلك غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة فاذن الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة اليه ماسة واكثر ادلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخميناً لانه جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة ولا خطر فيه السبب

الثالث

الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وكالبحث عن الاسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الانبياء والاولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق به الشرع ففي ذلك مقنع للموفق فكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله احسن في الدين مما صار اليه ولا ينكر كون العلم ضاراً لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلوى اللطيفة بالطفل الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكي ان بعض الناس شكا الى طبيب عقم امرأته وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لا حاجة لك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوماً وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة خوفاً عظيماً وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذلك قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثاً عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الاشياء والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي عليه فاي ضرر في التفكر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضرراً يكاد يهلكك في الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الانبياء اطباء القلوب والعلماء باسباب الحياة الاخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها اسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار اموراً عجائب غاب عن اهل الصنعة علمها حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والاعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها واصلاحها للترقي الى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة الآخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله تعالى زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل ان يهديك الى صدق النبي عليه الصلاة والسلام ويفهمك موارد اشاراته واعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ان من العلم جهلاً وان من القول عياً ومعلوم ان العلم لا يكون جهلاً ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار وقال ايضاً قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عليه السلام ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع

اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم

اللفظ الاول الفقه

فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل وخصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقاً فيها واكثر اشتغالاً بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقاً على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري ان الفقه والفهم في اللغة اسمان لمعنى واحد وانما يتكلم في عادة الاستعمال به قديماً وحديثاً وقال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم وقال عليه السلام علماء حكماء فقهاء للذين وفدوا عليه وسئل سعد بن ابراهيم اي اهل المدينة افقه فقال اتقاهم فكأنه اشارة الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية وقال عليه السلام الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لان اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم وعظه على اصحابه ويسرد الحديث سرداً انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله تعالى علينا تفقهاً فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقهاً وقال عليه السلام لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة وروي ايضاً موقوفاً على ابي الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتاً وسأل فرقد السبخي الحسن عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد وهل رأيت فقيهاً بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف

من أحوالهم الناصح لجامعهم ولم يسلك فجميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع وكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والإعراض عن علم الآخرة وأحكام القلب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو محمود في الشرع

اللفظ الثاني العلم وقد كان ذلك يطلق على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه حتى إنه لما مات عمر قال ابن مسعود رضي الله عنهما مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالألف واللام ثم فسره بالعلم بالله وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله وبأحكامه وأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من طلاب العلم

اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسولة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر إلا منه وهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكان إحدى ثمراته قول أبي بكر رضي الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيبا فقال الطبيب أمرضني وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال إني فعال لما أريد وسيأتي شواهد ذلك في كتاب التوكل وكتاب التوحيد والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية فالقشر الأول أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره والقشر الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال صلى الله عليه وآله وسلم أبغض إله عبد في الأرض عند الله هو الهوى وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم إنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله كيف يتسخط على غيره وعلى جملته فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأي قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله على الخصوص فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجها إليه تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد

فالموحد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وليس المراد به القول باللسان فإنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موقع نظر الله تعالى من العبد هو المترجم عنه وهو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه **اللفظ الرابع الذكر** والتذكير فقد قال الله تعالى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا هلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس إلى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا في زمان أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص وروي أن ابن عمر خرج من المسجد وقال ما أخرجني إلا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الأمير القصاص أن يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الأعمش فتوسط الحلقة وأخذ ينتف شعر إبطه فقال القاص يا شيخ ألا تستحيي فقال لم أنا في سنة وأنت في كذب أنا الأعمش وما حدثتك وقال أحمد أكذب الناس القصاص والسؤال وأخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه إذ كان يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي ورد الحث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التي تتطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فإن من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر وإن كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فلهذا نهي عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أحوج الناس إلى قاص صادق فإن كانت القصة من قصص الأنبياء فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صحيح الرواية فلا أرى به بأسا وليحذر الكذب وحكاية أحوال تومئ إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطي عليها فإن العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بأنه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر وكلنا بصدد المعاصي فلا غرو إن عصيت الله فقد عصاه من هو أكبر مني ويفيده ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم أن قصده فيه دعوة الخلق إلى الحق فهذا من نزغات الشيطان فإن في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن أبي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك إلي لا قضيت حاجتك أبدا وقد كان جاء في حاجة وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات إياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسجع كسجع الأعراب وأما الأشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس لا يحوي إلا أجلاف العوام وبواطنهم محشوة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة

وحمله على سبيل استشهاد واستئناس فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس ... قطع الطالع على
استغراق قلوبهم بحب الله تعالى لم يتم غيرهم فاذن الكلام يعنيهم السفر الذي يشتهيه الحق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يغلب على
قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد يتكلم على بضعة عشر نفسا فان كثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه عشرين وحضر
جماعة باب داره فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال لا ما هؤلاء اصحابي انهم اصحاب المجلس ان اصحابي هم الخواص واما الشطح فنعني به صنفين من
الكلام احدثه بعض الصوفية احدهما الدعاوى العريضة الطويلة في العشق مع الله والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم
الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج
الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما حكي عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن
من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع
اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا تعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات
مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث
لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه فقتله افضل في دين الله
من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما يحكى وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو
سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية **الصنف الثاني** من الشطح كلمات
غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله
وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة
تدل على ضميره لقلة ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب
ويدهش العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معان ما اريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال صلى الله عليه
وآله وسلم ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفقهونه الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون
ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فان كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره
قال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ
آخر من وضع الحكمة في غير اهلها جهل ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه
في الشطح وامر آخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام فائدة كدأب الباطنية في التأويلات
وهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه
من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن
لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشائعة العظيمة ضررها وانما قصد اصحابها الاغراب فان
النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذهبهم
في كتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل اهل الطامات قول بعضهم في قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه
وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله تعالى وان الق عصاك اي كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله فينبغي ان يلقيه
وفي قوله عليه السلام تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن
تفسيره المنقول عن ابن عباس رضي الله عنه وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون
شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوة موسى له كابي لهب وابي جهل وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك
بالحس حتى يتطرق التأويل الى الفاظه وكذا حمل السحور على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وآله وسلم يتناول الطعام ويقول تسحروا
وهلموا الى الغداء المبارك فهذه امور يدرك بالتواتر والحس بطلانها وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام

وضلال وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري رضي الله عنهم مع اكبابه على دعوة الخلق
ووعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه وآله وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورأيه تقرير
امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان
لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والتابعين والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم ان جميعها
غير مسموع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله
عليه وآله وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ
ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الخالق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هو في نفسه حق ولكن لم
ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم
من قوله صلى الله عليه وآله وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر في تأويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة
بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة فكل
ذلك تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر الاول كنت كمن طلب الشرف
بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ **اللفظ الخامس** وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على
الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي اثنى الله تعالى عليها اذ قال يؤتي
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال صلى الله عليه وآله وسلم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر الى ما كانت الحكمة عبارة عنه والى
ما ذا نقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم اعظم على الدين من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم
يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه فقال هم
علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه
بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قوله صلى الله عليه وآله وسلم بدأ
الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوا
من سنتي وفي خبر آخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت
تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكل
ما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان منها ما يحمد
قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل
وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم فالقسم المذموم قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا اذ فيه
ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة
النفيس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يربي على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل عنه واما
القسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته
وللتوصل به الى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم المحومون على سواحله
واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم
وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الآخرة كما سيأتي علامتهم هذا في اول الامر
ويعين عليه في الآخر المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالانبياء والاولياء ليتضح منه لكل ساع الى طلبه
بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها واما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص

فهي العلوم التي أوردناها في بعض الكفايات فإن في كل علم منها اقتصاراً وهو الأقل واقتصاداً وهو الأوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له إلى آخر العمر فكن أحد رجلين إما مشغولاً بنفسك وإما متفرغاً لغيرك بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والصوم والطهارة وإنما الأهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها من الخصال وجميع ذلك مهلكات وإهمالها مع الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بالتطهير للباطن وقطع مواد الشر بإفساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الأمراض فإن كنت مريداً للآخرة وطالباً للنجاة وهارباً من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر ذلك بك إلى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين وإن لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي زمرة الخلق من قد قام به فإن مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الإثم وباطنه وصار ذلك ديدناً لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلباً للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري رحمه الله وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن في المقدار كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث وأما حفظ أسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلاً تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فبأن تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزني وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذي أوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه في البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً فقلما ينفع معه الكلام فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جواباً ما وهو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة وأما العامي إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للأهواء فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو أيضاً من آفات علماء السوء فإنهم

يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذباً عن الدين ونضالاً عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس وأما الخلافيات التي أحدثت في هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فإياك أن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فإنها الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زماناً وزاد فيه على الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف فإن علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فإن الذي يشهد له حدس المفتي إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في أكثر الأمر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد يمضي عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب فكن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الإنس فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الإغواء والإضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء أن تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثوراً وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون وفي الحديث في معنى قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله فاحذرهم وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الأخبار إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم وفي الخبر ما أوتي قوم المنطق إلا منعوا العمل

الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا أئمة وعلماء بالله تعالى وفقهاء في أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادراً في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم فاشرأبوا إلى طلب العلم توصلاً إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أنجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم إلا من وفقه الله في كل عصر من علماء دينه وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فغلبت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى

الذين تقلدوا احكام المسلمين على الله وصحبه اجمعين ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم واقبلوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الآن وليس ندري ما الذي قدر الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضي الله عنهم

اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كان عادة الصحابة رضي الله عنهم في مشاوراتهم كتشاورهم في مسئلة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطأ كما نقل من اجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلماء ويطلعك على هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات **الاول** ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي ان استر عورة من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الكلام الخلافي ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلوة التي هي اقرب القربات الى الله تعالى عصى به فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب **الثاني** ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان رأى ما هو اهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا عنها البلد لهلك الناس واذا قيل في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بالجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها واما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد عن جملة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واقربها الطب اذ لا يوجد في اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب احد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسئلة لا يتفق وقوعها قط فان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد ان يتقرب الى الله بفرض الكفاية وقد روى انس انه قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال اذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في اراذلكم **الثالث** ان يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق من مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والائمة فاما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم جميع اهل هذا العصر وانما يفتي فيما يسئل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فاي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في اصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه فانه ربما يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى احد الجانبين ولا نرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التي فيها وجهان او قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا [الرابع ان لا يناظر الا في مسئلة واقعة او قريبة الوقوع] غالبا فان الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع او ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا نرى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي يتسع مجال الجدل فيها كيف ما كان الامر ويتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب ان يكون المطلب هو الحق ثم يترك المسئلة لانها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار او لانها ليست من الطبول فلا نطول فيها الكلام والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول **الخامس** ان يكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للفهم واحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وان الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب واذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام **السادس** ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطأ واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة حتى ردت امرأة على عمر رضي الله عنه ونبهته عن الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ رجل وسأل رجل عليا فاجابه فقال ليس كذلك يا امير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطأت وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري فقال ابو موسى لا تسئلوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان امير الكوفة فقام ابن مسعود فقال اعده على الامير فلعله لم يفهم فاعادوا فاعاد الجواب فقال ابن مسعود وانا اقول ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال فهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظري زمانك كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر **السابع** ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له وما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح واولى منه فاذكره حتى انظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها اذ لا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ايراد ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على انه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرف ولا اذكر اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معنى وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من امر الشرع وقد سأله اخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل والخلاف ان اظهار ما علم من علم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والغرض في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم في الشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع احد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا يخطرون ذكر ما فيه **الثامن** ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل ويكرم عليهم ووراء هذا شروط كثيرة دقيقة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدو له ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفصيلها

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق

اعلم وتحقق ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والتشدق عند الناس وقصد المباهاة

والمماراة والمباهاة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة
من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف
والسرقة وكما أن الذي خير بين الشرب وبين سائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره
فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الأخلاق
المذمومة وهذه الأخلاق ستأتي أدلة مذمتها من الأخبار والآيات في ربع المهلكات ولكنا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها
الحسد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فإنه تارة يغلب
وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وتارة يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة في العلم والنظر أو يظن أنه أحسن كلاما منه
وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه والحسد نار محرقة ومن بلي به فهو في العذاب الأليم
الدائم في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على
بعض فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس وقد قال صلى الله عليه من تكبر وضعه الله ومن تواضع
رفعه الله وقال حكاية عن الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر
على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من
وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بأنه يبغي صيانة عز
العلم وأن المؤمن منهي عن إذلال النفس فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله
بعز الدين تحريفا للاسم وإضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال عليه السلام المؤمن
ليس بحقود وقد ورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه على كلام خصمه ويتوقف في
كلامه فلا يقابله بحسن الإصغاء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية تماسكه الإخفاء بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر
لا محالة في غالب الأمر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله في إيراده وإصداره بل
لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه مد الدهر إلى آخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله
بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على أكل الميتة فإنه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب
في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فأما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ
لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها
تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح قال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة
والغلبة والتقدم بالفضل على الأقران ولا ينفك في أثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفنن في العلوم والمستقل
بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه ومعلوم أن الصلف والتمدح
مذموم شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع
عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود مناظر إلى البلد فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في إفضاحه
وتخجيله إذا مست إليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره
ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعده من لطائف التسبب ولا يمتنع من الإفصاح إن كان
متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي عن أقوام من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ومنها الفرح بمساءة الناس والغم بمسارهم ومن لا
يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد عن أخلاق المؤمنين وكل من طلب المباهاة بإظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله
الذين يسامونه ويساوونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرات وكما أن إحدى الضرات إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها
واصفر لونها فهكذا ترى المناظر إذا رأى مناظرا تغير لونه ويضطرب عليه فكره وكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سبعا ضاريا فأين

الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال
الشافعي العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلا أدري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور أن ينسب
الأنس مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات وناهيك بالشيء شرا أن يلزمك أخلاق المنافقين ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين
ومنها النفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون إليه فإنهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدا من التودد باللسان
وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فإنهم متوددون بالألسنة
متباغضون بالقلوب نعوذ بالله منه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا
بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحال
ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى إن أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر الحق على لسان خصمه ومهما ظهر تشمر لجحده
وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه ثم تصير المماراة عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما إلا وينبعث
من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة
الباطل محذور إذ ندب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل فقال من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في
ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال
تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه وقال تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه
ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي
يدعو إلى أكبر الكبائر كما سيأتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال
من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي إلى الضرب واللكم وتمزيق الثياب والأخذ باللحى وسب الوالدين
وشتم الأستاذين والقذف الصريح فإن أولئك ليسوا معدودين في زمرة الناس المعتبرين وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال
العشر نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ولا ينفك
أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها و
تفصيل آحادها مثل الأنفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والسلاطين
والتردد إليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام
وخروج الخشية والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما الذي يقرأ ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع
من قلبه واستغراق العمر في العلوم التي تعين على المناظرة مع أنها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير
ذلك من أمور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم دينا وأكثرهم عقلا عن جمل من
مواد هذه الأخلاق وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضا إذا كان قصده
طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف
والتقدم على الأقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد ولذلك
قال صلى الله عليه وآله وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع أنه لم ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات فخطر
العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم يتفق له الإصابة في الأموال لم يطمع
في سلامته من الإذلال بل لا بد من لزوم أفضح الأحوال فإن قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لولا حب
الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب
الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم وقال إن الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر

فطالب الرياسة في نفسه الحمق فيصبح بسببه عدوا ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك مثل من كان حاله في ظاهره علاج حال علم الدين ولكنه يعين قصد الجاه فمثاله مثل السم الذي يحرق في نفسه ويستقي به غيره فصلاح غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال الحية التي تاكل بعضها ويعرف العلماء انها تهلك نفسه ويعرف دوم المصرحين بطلب الدنيا والمشتغلين عليها باسعد نفسه ويعرف دوم الداعين الى الله تعالى بغير الدنيا باطنا وانما يهلك بعضهم مسعد غيرها وهو الذي يدعو الى الاخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه وانظر الى ما في اتبع من العرفي سبقت بالعقائد والمطلق ان الله تعالى لا يقبل الا الخالص لوجهه من العلم والعمل وسياتيك في كتاب الريا من ربع المهلكات ما ينفي عنك الريب

الباب الخامس في اداب المتعلم والمعلم

اما المتعلم فادابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل الوظيفة الاولى تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بني الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه واله وسلم لا تدخل الملئكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملئكة وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤن عن الصفات المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طيبا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان يعبر ما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى الروح الكلبية وهي السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الاخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني ولذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى اموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة الاسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والابصار فان قلت كم من طالب ردي الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع في الاخرة الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه سما انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم في شي قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشار الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه فان قلت اني ارى جماعة من العلماء المحققين برزوا في الاصول والفروع وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الاخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به

قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد به التقرب اليه وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان وايضاح ان شا الله تعالى **الوظيفة الثانية** ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهوا بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع **الوظيفة الثالثة** ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه واله وسلم وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم ان يستنكف عن الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده الى الهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ولذلك قيل العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقا السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما القي اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطا مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلم حيث قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسئلني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عن السؤال اي دع السؤال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهل له وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل اوان السؤال وقد قال علي رضي الله عنه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه في السؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته **الوظيفة الرابعة** ان يحترز الخائض في العلم في مبدأ الامر عن الاصغاء الى اختلافات الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحترز منه فان اضلاله اكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدئ عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالاقويا فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر ان وظائف الاقويا تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من راني في البداية صار صديقا ومن راني في النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيترائى للناظرين انها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى من ظاهره انه هفوة كتعذر من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلل بان اضعاف

النجاسة فقد تلقف البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ولا يدري المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل يغلب الكوز ويحيله إلى صفته وبمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة إذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار إليه حتى ينجر إلى معصية الله في طلب رضاهن فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين.

الوظيفة الخامسة أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعها إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فإن الناس أعداء ما جهلوا قال الله تعالى وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم وقال الشاعر شعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعا من الإعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى.

الوظيفة السادسة أن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جمام قوته في الميسور منه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العامي وراثة أو تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصينه عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي إلى رتبة إيمان أبي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه فما عندي أن ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي إلا في الكلام ولأجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول فينبغي أن تتئد في هذا فعنده ضيعت رأس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم وقد روي أنه رئي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها إن أحسنت كل شيء فلا تظنن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف الله وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفي يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب.

الوظيفة السابعة أن تعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وأن ذلك يراد به شيئان أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فإن علم الحساب أشرف لوثاقة الدليل أدلته وقوتها وإذا نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم فإياك أن ترغب إلا فيه وتحرص إلا عليه.

الوظيفة الثامنة أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران وإذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة ومع ذلك فلا ينبغي أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم أعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلم التي هي فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة فمنهم المجاهدون في سبيل الله ومنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال تعالى هم درجات عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم الصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله بالعلم أي علم كان نفعه ورفعه لا محالة.

الوظيفة التاسعة أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك إلا شأنك في الدنيا والآخرة وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالأهم ما يبقى أبد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال سعيا إلى المقصد ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأقلون والعلوم بالإضافة إلى سعادة لقاء الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم أعني النظر الذي طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد لو علق عتقه وتمكينه من الملك على الحج وقيل له إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعا وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل الأول تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد والراحلة والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل والثالث الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الإحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ومن أول سلوك البوادي إلى آخره ومن أول أركان الحج إلى آخره وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضا ثلاثة أقسام قسم يجري مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا يغني علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وهاهنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله فهم المقربون المنعمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله تعالى فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو انتهض إلى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك وذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى الملبس والمطعم وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة في ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان وأشار إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة فإن قلت لم شبهت علم الفقه والطب بإعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعي إلى الله لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وأخرى بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية وإنما هو أمر إلهي كما قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فلله الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله المتقدمة بهذه الرتبة على السماوات والأرضين إذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا تعريض بقدمها فالقائل بقدم

كما دواج مرو بجاهل لا يدريها ولنقبض عنان البيان عن هذا النمط ولنرجع الى المقصود والمقصود ان القلب هو القرب الى الرب تعالى لانه من امر الرب فمنه مصدره واليه مرجعه واما البدن فمطيته التي يركبها ويسعى بواسطتها فالبدن له في طريق الله كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه قد يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد الات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق الاعتدال في الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال الاحوال من الناس في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقائق الكلمات التي تجري في المجادلة في الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الاسباب التي بها تستحكم الخيوط التي بها تخرز الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالك لطريق اصلاح القلب الموصل الى علم المكاشفة كنسبة اولئك الى السالك لطريق الحج او الملابس لاركانه فتأمل هذا اولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد جهيد وجرأة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم

بيان وظايف المرشد المعلم اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن تعلم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع وكالابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كما قال شعر ما هو الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه **الوظيفة الاولى** الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده بان يقصد انقاذهم من نار الآخرة وهو اهم من انقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا العلم لانساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعني معلم علوم الآخرة وعلوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد فحق تلامذة الرجل التحاب والتوادد ولا يكون الا كذلك ان كان مقصدهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وابناء الآخرة مسافرون الى الله تعالى وسالكون اليه الطريق والدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الآخرة فكذلك لا ينفك من ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين **الوظيفة الثانية** ان يقتدي بصاحب الشرع صلى الله عليه وآله وسلم فلا يطلب على افادة العلم اجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى كما قال تعالى ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ان اجري الا على الله فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس

فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على ام الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤوسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم وانظر كيف انتهى امر الدين الى قوم يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من اعدى اعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من ان يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى ضروب الاغترارات **الوظيفة الثالثة** ان لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب الى الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر باكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدال في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا باس ان يتركه فانه يثمر طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن قد يتنبه في اثناء الامر اذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك ان يؤدي الى الصواب بالآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فاما الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا في الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان وقد رئي سفيان الثوري رحمه الله حزينا فقيل له ما لك فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا **الوظيفة الرابعة** وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك على هذا قصة آدم وحواء وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته **الوظيفة الخامسة** ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل وسماع محض وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة **الوظيفة السادسة** ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلوات الله عليه حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقد قال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم

فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقه وكتمته فليلجمني وقول الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم تنبيه على أن حفظ العلم عمن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق شعر

فمن منح الجهال علما أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد إلا وهو راض عن الله تعالى في كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يخلى وحرفته فإنه لو ذكر له تأويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة فلا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص

الوظيفة الثامنة أن يكون المتعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل المعلم المرشد مع المسترشدين مثل النقش من الطين والعود من الظل فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل شعر

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكثر من وزر الجاهل إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه

الباب السادس

في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال أيضا العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال أيضا يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال أيضا لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال أيضا من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال أيضا لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال من الأئمة المضلين وقال أيضا من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا وقال عيسى عليه السلام إلى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم وأن العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وإنه بالخوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم قيل وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بتركك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندامة فقال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكر وأما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال الثوري يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل إني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وأنشد شعر

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيطيف به أهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وإنما يضاعف عذاب العالم في معصية الله لأنه عصى عن علم ولذلك قال الله تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة ولكنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان حتى قال فمثله كمثل الكلب وكذلك العالم الفاجر فإن بلعام أوتي كتاب الله فأخلد إلى الشهوات فشبه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل العلماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع ومثل العلماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وأنهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت من الآخر وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر فإن من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بألمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فإن المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشريعة الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن من أوله إلى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد إلي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا وقال عمر رضي الله عنه إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل إلى أخ له إنك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأثوابكم طاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين المحمدية وأنشدوا شعر

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ... فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقيل

يا معشر القراء يا ملح البلد ... ما يصلح الملح إذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين أترى أن من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله قال لا شك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن أن ترك المال يكفي في اللحوق بعلماء الآخرة فإن الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فإذا سمعت الرجل يقول حدثنا فإنما يقول أوسعوا لي ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أشتهي أن أحدث ولو ذهب عني شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره إذا اشتهيت أن تحدث فلا تحدث وإذا لم تشته فحدث وهذا لأن التلذذ بجاه الإفادة ومنصب الإرشاد أعظم من كل تنعم في الدنيا فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال الثوري فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله

بها الا الاخلاص وقال ايضا الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلصون على وجل
حتى يختم لهم وقال ابو سليمن الداراني اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد
العالية او طلب الحديث الذي لا يحتاج اليه في طريق الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى الآخرة وهو مقبل على طريق الدنيا
وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم
بالسنة وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف
الجنة يوم القيمة وقد وصف الله تعالى علماء السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى قوله ثمنا قليلا وقال تعالى في علماء الآخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن
بالله وما انزل اليكم الى قوله اولئك لهم اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي
معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وعن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء
قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب
السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزءون لاتيحن لهم فتنة تذر الحكيم حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه
طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله يوم القيمة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا
فضن به على عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيمة ملجما بلجام من نار ينادي مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان
آتاه الله علما فضن به على عباد الله واخذ به طمعا واشترى به في الدنيا ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الخلق ومن اشد منها ما روي ان رجلا كان
يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى كليم الله حدثني موسى نجي الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعل يسأل
عنه ولا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير في عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى
يا رب اسألك ان ترده الى حاله حتى اسأله بم اصابه هذا فاوحى الله تعالى اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن
اخبرك لم صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا في رواية انه عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة
وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان
فان رد عليه شيء من علمه او تهون بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف
واليسار ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله يبغض المتكلفين
فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء
من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ
انف فذلك في الدرك السابع من النار عليك بالصمت فيه تغلب به الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشي في غير ارب وفي خبر آخر ان العبد لينشر له
من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروي ان الحسن البصري رحمه الله عليه انصرف من مجلسه فتبعه رجل من خراسان
كيسا فيه خمسة آلاف درهم وعشرة اثواب من دقيق البز وقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك نفقتك
وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم يلقاه ولا خلاق له وروي عن جابر رضي الله عنه مرفوعا
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص
ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة وقال الله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الى قوله وقال
الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فعرف اهل العلم بايثار الآخرة على الدنيا **ومنها ان لا يخالف** فعله قوله بل لا يأمر بشيء ما لم يكن هو اول
عامل به قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال تعالى في قصة شعيب

وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال الله لعيسى عليه السلام
يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مررت ليلة اسري بي باقوام
تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر ونأتيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم هلاك امتي عالم فاجر وعابد
جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعي شكت النواويس الى الله من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء
السوء انتن مما انتم فيه وقال الفضيل بلغني ان الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيمة قبل عبدة الاوثان وقال ابو الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة
وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله
الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس في القيمة اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل
به ففازوا به وهلك وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وانشدوا
يا واعظ الناس قد اصبحت متهما اذ عبت منهم امورا انت تأتيها لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال ابراهيم
بن ادهم مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السماك كم من
مذكر بالله ناس لله ومن مخوف بالله وهو جريء على الله ومن مقرب الى الله وهو بعيد من الله ومن داع الى الله وهو فار من الله ومن تال كتاب الله وهو منسلخ
من آيات الله وقال ابراهيم بن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع
وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا كنا ندرس العلم في مسجد قبا اذ خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم
ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيمة على رؤوس الاشهاد وقال
معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلاث
بهن يهدم الزمان احدهن زلة العالم وقال ابن عباس يأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه
فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا توجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا
وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة وتطفى مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله وليس
والفجور بين في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذاك الا ان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين
تعلموا لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لا تعلمون حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتي زمان
من عمل فيه بعشر ما علم نجا وذلك لكثرة البطالين واعلم ان مثل العالم مثل القاضي وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق
وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهما في النار وقال كعب يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا
ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بالسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء
يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقد روي عنه صلى الله عليه
وآله وسلم انه قال ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم قيل يا رسول الله وكيف ذلك فقال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا
وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال السري السقطي اعتزل رجل للتعبد وكان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال رأيت في النوم قائلا يقول لي
الى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت اني لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه
ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم
الرعاية وقال مالك ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر الى ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فلا تؤثرن عليه شيئا
وقال ابن مسعود رضي الله عنه انزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل
كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الاطعمة ولا يجدها ومنه قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر انما اخاف على امتي
زلة عالم وجدال المنافق في القرآن **ومنها** ان يكون معتنيا بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة مجتنبا للعلوم

التي سل سيفها وكثر فيها الجدال والقيل والقال فقال ابن مرحوم عن علم الاعمال ويسعى الى الجدال ... الرجل علا كثير صاحب

طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فوته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية وترك المهم الذي هو مواخذ به وذلك محض

السفه وقد روي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال علمني من غرائب العلوم فقال له ما صنعت في راس العلم فقال

وما راس العلم قال هل عرفت الرب قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال هل عرفت الموت قال نعم قال فما اعددت له قال ما

شاء الله قال فاذهب فاحكم ما هناك ثم تعال نعلمك غرائب العلم بل ينبغي ان يكون المتعلم من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي

انه قال له شقيق البلخي منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثماني مسائل قال شقيق انا لله

وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسائل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها واني لا احب ان اكذب فقال هات هذه الثماني مسائل

حتى اسمعها قال حاتم الاولى نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات

محبوبي فاذا دخلت القبر دخل معي قال احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قول الله تبارك وتعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس

عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة اني نظرت

الى هذا الخلق فرايت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في قول الله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع

معي شيء له قيمة ومقدار وجهته اليه ليبقى عنده محفوظا الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف

والنسب فنظرت فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى قول الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت في التقوى حتى اكون عند الله كريما الخامسة

نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم

في الحياة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسمة من عند الله فتركت عداوة الخلق عني السادسة نظرت الى هذا الخلق

يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت في اخذ

حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة

فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت اني واحد من هذه الدواب التي على الله

رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت ما لي عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على صناعته وهذا على

تجارته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله فهو حسبي قال شقيق

يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع انواع الخير والديانة تدور على هذه الثماني مسائل فمن استعملها فقد استعمل

الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بادراكه والتفطن له الا علماء الآخرة فاما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب الاموال والجاه

ويهملون امثال هذه العلوم التي بعث الله بها الانبياء كلهم وقال الضحاك بن مزاحم ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم ما يتعلمون الا

الكلام ومنها ان يكون غير مائل الى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه

فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل في جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه ويشهد

لذلك ما حكي عن ابي عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد

الحج وعليهم الزربانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد

قال لحاتم الك حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر الى الفقيه عبادة فانا ايضا اجيء معك

وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا الى الباب فاذا هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم اذن لهم

فدخلوا فاذا دار حسناء واذا بزة وسعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها

وعند راسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر وسال وحاتم قائم فاومى اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم

قال وما هي قال مسألة اسألك عنها قال سلني قال قم فاستو جالسا حتى اسألك فاستوى فقال حاتم علمك هذا من اين اخذته قال الثقات حدثوني

به قال عمن قال عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال واصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمن قال عن رسول الله قال

عمن قال عن جبرائيل عن الله تعالى قال حاتم ففيما اداه جبرائيل عن الله الى رسول الله واداه رسول الله الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه الثقات

اليك هل سمعت فيه ان من كان في داره اميرا وكانت سعتها اكثر كان له عند الله المنزلة اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا

ورغب في الآخرة واحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة قال له حاتم فانت بمن اقتديت بالنبي واصحابه والصالحين ام بفرعون

ونمرود اول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا

اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسي بقزوين

اكثر شيئا منه فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل اعجمي احب ان تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف اتوضأ للصلاة

قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فاتي به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلثا ثلثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى اتوضأ بين

يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل الذراعين اربعا اربعا فقال له الطنافسي يا هذا اسرفت قال له حاتم في ماذا فقال

غسلت ذراعيك اربعا فقال حاتم يا سبحان الله انا في كف ماء اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم

فدخل البيت فلم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن اعجمي وليس يكلمك

احد الا قطعته قال معي ثلث خصال بهن اظهر على خصمي افرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي ان لا اجهل عليه فبلغ ذلك احمد

بن حنبل فقال سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا

حتى يكون معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار الى

المدينة فاستقبله اهل المدينة فقال يا قوم اي مدينة هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فاين قصر رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطئ بالارض قال فاين قصور اصحابه قالوا ما كان لهم قصور انما كانت لهم

بيوت لاطئة بالارض قال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا الاعجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي

ولم ذلك قال حاتم لا تعجل علي انا رجل اعجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة الرسول فقلت اين قصره وقص القصة ثم

قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تاسيتم برسول الله ام بفرعون اول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه

فهذه حكاية حاتم وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام

ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي

من المداهنة ومراعاة الخلق ومراآتهم وامور اخرى هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة

مبذولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وآله وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة الى غير ذلك

مما سيأتي بيانه وقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن انس بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد في الاولين والآخرين من يحيى

بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد بلغني انك تلبس الدقاق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطاء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست

مجلس العلم وقد ضربت اليك المطي وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة

مني كتابا ما اطلع عليه الا الله تعالى والسلام فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام الله عليك اما بعد فقد وصل

الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة خيرا واسأل الله التوفيق بالعمل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاما ما ذكرت لي اني آكل الرقاق والبس

الدقاق واحتجب واجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من

الرزق واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف

بان ترك ذلك اولى وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة

فتقوى ايضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج

على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية العلماء الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر ومنها

ان يكون منقبضا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم وان جاءوا اليه فان الدنيا

حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار
عليهم الا ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم او يتكلف في كلامه لمرضاتهم وتحسين احوالهم
وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسياتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يوخذ من اموال
السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلما الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه
وآله وسلم من بدا جفا يعني من سكن البادية ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن وقال عليه السلم سيكون عليكم امرا تعرفون منهم
وتنكرون فمن انكر فقد بري ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله تعالى قيل افلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه
الا القرا الزوارون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامرا يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه
وقال عليه السلم العلما امنا الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس
وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من ياخذه عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون ابواب السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقي
لا يفلح منهم الا القليل ولذلك قال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامرا فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي ما من شي ابغض الى الله
من عالم يزور عاملا وقال صلى الله عليه وآله وسلم شرار العلما الذين ياتون الامرا وخيار الامرا الذين ياتون العلما وقال مكحول الدمشقي من
تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض في نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يوتى
الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت
قط على هذا السلطان من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت ان انجو من الدخول كفافا مع اني لا آخذ منهم شيا ولا اشرب
لهم شربة ماء ثم قال وعلماؤنا شر من علما بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته
لاستثقلهم وكره دخولهم وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قال ابن المبارك عنى به سعد بن ابي وقاص قال وكان لا يغشى السلطان وينفر عنهم فقال له بنوه ياتي هولا من ليس
هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني آتي جيفة قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا
اذا نهلك هزلا قال يا بني لان اموت مومنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل
اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر
رضي الله عنه لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلطان فانك لا تصيب من دنياهم شيا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلما
وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم
عن الظلم ويقيم شعائر الاسلام والشرع الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في
الثنا والاطرا وفيه هلاك الدين وكان يقال العلما اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا
طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين فلن يريدوك واما
اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه
فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلبهم ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل
وابراهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في علما الدنيا من اهل مكة والشام اما لميلهم الى الدنيا واما لمخالطتهم السلاطين ومنها
ان لا يكون مسارعا الى الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله او بنص حديث
او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره
ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقال الشعبي
لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة
الصحابة والسلف كان ابن عمر اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود ان الذي

يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري فاذا اخطاه اصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن ادهم ليس شي اشد على الشيطان
من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اي لا يتكلمون
حتى يسالوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتدا قبل السوال من الشهوة الخفية للكلام ومر
علي وعبد الله رضي الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم انما العالم الذي اذا سئل عن المسالة فكانما يقلع ضرسه وكان
ابن عمر يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السوال ان يقال له
يوم القيامة من اين اجبت وكان ابراهيم التيمي اذا سئل عن مسالة بكى ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان ابو العالية الرياحي وابراهيم
التيمي وابراهيم بن ادهم يتكلمون على الاثنين والثلثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال عليه السلم ما ادري اعزير نبي ام لا وما ادري اتبع ملعون
ام لا وما ادري ذو القرنين نبي ام لا ولما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى نزل جبريل فساله فقال لا ادري حتى اعلمه الله تعالى ان خير البقاع
المساجد وشر البقاع الاسواق وكان ابن عمر يسال عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس يجيب عن تسع ويسكت عن
واحدة وكان في الفقها من يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض
وبشر بن الحرث وقال ابن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما منهم من احد يسال عن
حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسالة تعرض على احدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى تعود
الى الاول وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى واحد منهم راس مشوي وهو في غاية الضر فاهداه الى الآخر واهداه الآخر الى الآخر هكذا دار بينهم حتى
رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس امر العلما فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتوى
ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مامور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشيا الامامة والوديعة والوصية
والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة قراءة القرآن وعمارة
المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ثلثة امر
بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وقال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الآية وراى بعض العلما بعض اصحاب الراي من اهل الكوفة في المنام فقال
ما رايت فيما كنت عليه من الفتوى والراي فكره وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيا وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين ان احدهم ليفتي في
مسالة لو وردت على عمر رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت داب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا و
زهدا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب السلاطين او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب
وهم ارباب الزوايا المتفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بير عذبة مغطاة لا يقصدها
الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر عملا وقال ابو سليمان المعرفة الى السكوت اقرب
منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان الى ابي الدردا وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا اخي
بلغني انك قعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفا وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو
الدردا يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر يقول
سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى صحابي في حضور الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيرها
حديثا حديثا فتعجبوا من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصا ورماهم به وقال تسالوني عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم ومنها
ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجا في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان
المجاهدة تفضي الى المشاهدة ودقايق علم القلوب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد
وانما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع
الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم
ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة. وفي بعض الكتب السالفة يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ويأتي به، العلم مجعول في قلوبكم، تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا لي بأخلاق الصديقين أظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم. وقال سهل التستري رحمه الله: خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء، ثم تلا قوله تعالى: وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو. ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم: استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك. وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه تعالى: لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه الحديث. فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين، وإذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة إليه. وكذلك في علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فإن كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل. وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل: القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق. العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق، والعلم دين يدان به، تكسب به الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد موته، العلم حاكم والمال محكوم عليه، ومنفعة المال تزول بزواله. مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقي الدهر. ثم تنفس الصعداء وقال: هاه إن ههنا علما جما لو وجدت له حملة، بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه، أو منقادا لأهل الحق ينزرع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له، لا ذا ولا ذاك، أو منهوما باللذات سلس القياد في طلب الشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقادا لهواه، أقرب شبها بهما الأنعام السائمة. اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه. ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله وبيناته. وكم وأين أولئك؟ هم الأقلون عددا الأعظمون قدرا، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، يحفظ الله بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم. هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى. أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه. ثم بكى وقال: واشوقاه إلى رؤيتهم. فهذا الذي ذكره أخيرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة.

ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين. قال صلى الله عليه وآله وسلم: اليقين الإيمان كله. فلا بد من تعلم علم اليقين، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: تعلموا اليقين، ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم، وقليل من اليقين خير من كثير من العمل. وقال صلى الله عليه وآله وسلم لما قيل له: رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين، فقال: ما من آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة. ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار. وفي وصية لقمان لابنه: يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه. وقال يحيى بن معاذ: إن للتوحيد نورا وللشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين، وأراد به اليقين. وقد أشار الله في القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات.

فإن قلت: فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فإن ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه؟ فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين. أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات: الأول أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك فإن نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات ولا نفي بل يستوي عندك الإمكان فيسمى هذا شكا. الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا. الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز، وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله. الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقينا عند هؤلاء. ومثاله أنه إذا قيل للعاقل: هل في الوجود شيء هو قديم؟ فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهما بالحس، وليس العلم بوجود شيء قديم أزلي ضروريا مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فإن هذا أيضا ضروري، فحق غريزة العقل أن يتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة. ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام، ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له: إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فإن كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدي إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهي أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فإن كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم، وإن كان الكل حادثا فهو محال إذ يؤدي إلى الحدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول. وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل أو بدليل كما ذكرناه، فشرط إطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء، وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت في نفي الشك.

الاصطلاح الثاني

اصطلاح الفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال: فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه، ويقال: فلان قوي اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه، فمهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى عليه حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتجويز والمنع سمي ذلك يقينا. ولا شك في أن الناس يشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به، ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين، ولذلك قال بعضهم: ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت. وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة. ونحن إنما أردنا بقولنا إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها. وإذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء، فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب، ودرجات معاني اليقين في القوة والضعف لا تتناهى، وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني. وأما التفاوت بالخفاء والجلاء في الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضا، أما فيما يتطرق إليه التجويز فلا ينكر أعني الاصطلاح الثاني، وفيما انتفى الشك عنه أيضا فلا سبيل إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك في الأمرين جميعا إذ مستندهما جميعا التواتر، ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين، وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالأدلة فإنه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بأدلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك، وهذا قد ينكره المتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال. وأما بالقلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال: فلان أكثر علما أي معلوماته أكثر، ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي اليقين في بعضه. فإن قلت: قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه

وربما قلت اطلب اليقين فانى لم اعرف ما اطلب به اليقين فانى لم اقدر على طلبه فاعلم ان جميع ما ورد به الانبيا من اوله الى آخره
من مجارى اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التى وردت بها الشرائع فلا مطمع فى احصائها ولكنى
اشير الى بعضها امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى الاشيا كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسايط بل يرى الوسايط مسخرة
لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازالت عنه
الغضب على الوسايط والرضى عنهم والشكر لهم ونزل الوسايط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا
يغضب عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثانى وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق
ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بامره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب وان القدرة الازلية هى
المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين ومن
ذلك ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات
الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصى الى العقاب كنسبة السموم والافاعى الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طلبا للشبع فيحفظ
قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعة قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السم وكثيره فكذلك يجتنب قليل المعاصى وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين
بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين اما بالمعنى الثانى فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة فى الحركات والسكنات و
الخطرات والمبالغة فى التقوى والتحرز عن السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ ومن ذلك الثقة
بضمان الله للرزق فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب
ذلك على قلبه كان مجملا فى الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما فاته واثمر هذا اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة
ومن ذلك اليقين بان الله مطلع عليك فى كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول
وهو عدم الشك واما بالمعنى الثانى وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان فى خلوته متادبا
فى جميع احواله واعماله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متادبا متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب
ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فيكون مبالغته فى عمارة
باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله تعالى الكالئة اشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لساير الناس وهذا المقام فى اليقين يورث الحيا والخوف
والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين فى كل باب
من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق فى القلب مثل الاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار
المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجار وابواب اكثر مما عددناه وسياتى ذلك فى ربع المنجيات وهذا القدر كاف
فى تفهيم معنى اللفظ الآن ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه
ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه وعلما الآخرة يعرفون بسيماهم
فى السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله عبدا لبسة احسن من خشوع فى سكينة فهى لبسة الانبيا وسيما الصديقين والعلما
فاما التهافت فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب
الله وشديد سخطه وهو داب ابنا الدنيا الغافلين عن الله تعالى دون العلما به وهذا لان العلما ثلاثة كما قال سهل التسترى عالم بامر الله
لا بايام الله وهم المفتون فى الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم
بالله وبامر الله وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما تغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التى افاضها على
القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا
لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلما فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله عبدا علما الا آتاه معه حلما
وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفى الاثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفى الخبر ان

من خيار امتى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم فى الارض وقلوبهم فى السما ارواحهم فى الدنيا وعقولهم
فى الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحرث من طلب
الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فانه ممقوت فى السما والارض ويروى فى الاسرائيليات ان حكيما من الحكما صنف ثلثماية وستين مصحفا
فى الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله الى نبيهم قل لفلان قد ملات الارض نفاقا ولم تردنى من ذلك بشىء وانى لا اقبل من نفاقك شيئا
فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة فى الاسواق وواكل بنى اسرائيل وتواضع فى نفسه فاوحى الله الى نبيهم قل له الآن وافقت رضاى
وحكى عن الاوزاعى عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطى فيستعيذ بالله منه وينظر الى علما الدنيا المتصنعين للخلق
المتشوفين الى الرياسة فلا يمقتهم وهم احق بالمقت من ذلك الشرطى وروى انه قيل يا رسول الله اى الاعمال افضل قال اجتناب
المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله قيل فاى الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت الله اعانك وان نسيته ذكرك قيل فاى الاصحاب
شر قال صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاى الناس اعلم قال اشدهم لله خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الله
الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى قالوا فاى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا
يا رسول الله قال العلما اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اكثر الناس امانا يوم القيامة اكثرهم فكرا فى الدنيا واكثر الناس ضحكا فى الآخرة
اكثرهم بكا فى الدنيا واشد الناس فرحا فى الآخرة اطولهم حزنا فى الدنيا وقال على عليه سلام الله اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه
بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع و
حسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التى ورد بها القرآن لا ينفك عنها علما
الآخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة
فيتعلم حلالها وحرامها وامرها وزاجرها وما ينبغى ان يقف عنده منها ولقد رايت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحته الى
خاتمته لا يدرى ما آمره وما زاجره وما ينبغى ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وفى خبر آخر بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم اوتينا الايمان قبل القرآن وسياتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه ويقولون قرانا فمن اقرا منا
وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفى لفظ آخر اولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هى من علامات علما الآخرة مفهومة من
خمس آيات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما
واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
واما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير ولما تلا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف فى
القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل
نزوله ومنها ان يكون اكثر بحثه عن علم الاعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوساوس ويثير الشر فان اصل الدين التوقى من الشر
ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها المواظبة
على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وانما الشان فى معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة
اليه وتعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة واما علما الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات فى الاقضية والحكومات ويتعبون فى وضع صور تنقضى
الدهور ولا تقع ابدا وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت كان فى القائمين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل واطراف النهار
فى خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للتقرب والقبول من الخلق على
التقرب من الله وشرها فى ان يسميه البطالون من ابنا الدنيا محققا فاضلا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله ان لا ينتفع فى الدنيا بقبول الخلق
بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين
ولقد كان الحسن البصرى اشبه الناس كلاما بكلام الانبيا واقربهم هديا من الصحابة اتفقت الكلمة على ذلك فى حقه وكان اكثر كلامه فى خواطر

القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقد قيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع
من غيرك فمن أين أخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته قال خصني به
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه وقال
مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل
الأعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة أيضا قد خص
بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن وكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة
والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بأعداد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر إذا دعي إلى جنازة نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلا
ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن
غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق ويرون التحقيق في دقائق المجادلة
ولقد صدق من قال شعر الطرق شتى وطرق الحق مفردة ... والسالكون طريق الحق أفراد ... لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم ... فهم
على مهل يمشون قصاد ... والناس في غفلة عما يراد بهم ... فجلهم عن سبيل الحق رقاد ... وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم
فإن الحق مر والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة فإن ذلك نزع الروح على
الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره
عند الموت ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم
في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي
لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب ومنها
أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما المقلد صاحب الشرع
فيما أمر به وقاله وإنما يقلد الصحابة من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم إذا قلد صاحب الشرع في تلقي
أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصا على فهم أسراره فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فعله
فإن الرسول لم يفعله إلا وأن يكون لسر فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء
للعلم ولم يكن عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه
متبوعا مقلدا فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال
وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت بالقرائن فسددهم ذلك
إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ فإذا كان الاعتماد على المسموع
من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمان الصحابة وصدر التابعين
وإنما حدثت بعد مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين
بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا
احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم
حتى أشار عمر وبقية الصحابة بكتبة القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو
قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبي بكر لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع

ما لم تفعله الصحابة وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة
ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا مأثورة نبوية ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن
الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص في إبطال المقالات ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ
علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض
عن ذلك إلا الأقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لأن العوام هم المستمعون
إليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم
اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم كان إذا قيل لهم
فلان أعلم أم فلان فكانوا يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا
ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف للنسبة إلى الجنون فالأولى أن يشتغل
المرء بنفسه ويسكت ومنها أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه إطباق الخلق على ما حدث
بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم أكان في التدريس والتصنيف والمناظرة
والقضاء والولاية وتولي الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة أو في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة
ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الإثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان إلى غير ذلك من علوم
الباطن واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه
خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي أن يكترث بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب حرمانهم عن الجنة فادعوا أنه لا سبيل
إلى الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان أحدثا في الإسلام رجل ذو رأي سيئ زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب
ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار إن رجلا أصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه وصاحب هوى يدعوه إلى هواه
قد عصمه الله تعالى منهما يحن إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتص آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك فكونوا وقد روي عن ابن مسعود
موقوفا ومسندا أنه قال إنما هما اثنتان الكلام والهدي فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ألا
وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها وإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ألا كل ما هو
آت قريب ألا إن البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه
من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه
وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى البدعة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول حسن الهدي في آخر
الزمان خير من كثير من العمل وقال إنكم في زمان خيركم فيه المسارع في الأمور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات
ولقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا وقال حذيفة أعجب من هذا أن معروفكم
اليوم منكر زمان قد مضى وإن منكركم معروف زمان قد أتى وإنكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق
فإن أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر الصحابة إذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وإنفاق الأموال العظيمة
في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل إنه من محدثات الحجاج فقد كان الأولون
قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل علوم الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات
وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين في الأذان والقرآن ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الأسباب
البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال أنتم اليوم في زمان الهوى
فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وكان أحمد يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل الفقه فيهم والله المستعان

وقال النخعي انه لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الاهواء كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب. ابهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهية والاستحباب فاما الحرام فكان تجنبه ظاهرا. وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها. وكان ابو سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا من الخير ان يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه. وانما قال هذا لان ما ابدع من الآراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار. ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست ببدعة انها خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تأتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك اليوم. وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس او عصا لا على المنبر. وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس منه فهو رد. وفي خبر آخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها. وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تنله شفاعته. ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امره في خدمة معينة وذلك قد يغفر له فاما قلب الدولة فلا. وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف. وقال غيره الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى. وقال صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه العالي ويرتفع عنه التالي. وقال ابن عباس رضي الله عنه ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا. فكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو. وحكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شأنكم فقالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا وقد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما رأينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات. قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادهم اين شاء. فان **قلت** من اين عرف قائل هذا ما قاله ابليس ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك ان يكون حظك من هذا العلم انكار ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمين انهم احاطوا بعلوم العقول والجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله تعالى ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكار الانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية. قال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء. قال سهل التستري رضي الله عنه ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة. وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا الآية. والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائل الى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سيأتي في كتاب العزلة بيانه ولذلك كتب يوسف بن

اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله معه الا كان آثما او كانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله. ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله ان يفيد علما او يستفيد. ولو تأمل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردءا ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق والعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص له ان يبيع السيف ممن يعلم بقرائن احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق. فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور.

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل

اعلم ان هذا مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال عليه السلام الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف العرب مع قرب منزلتهم من البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل. وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله نورا في قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دنيء المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين. وقال صلى الله عليه وآله وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب. فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائما بنفسه ولا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا ذكر علوم المعاملة. وعن انس بن مالك قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال عليه السلام ان الاحمق يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم. وعن عمر انه صلى الله عليه وآله وسلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال عليه السلام ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس. وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال عليه السلام لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار في النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير. وعن عمر انه قال لتميم الداري ما السؤدد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل ما السؤدد فقال العقل. وعن البراء قال كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ايها الناس ان لكل شيء مطية ومطية المرء العقل واحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة افضلكم عقلا. وعن ابي هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون فلان اشجع من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال

انهم قالوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكان نصيبهم وقربهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على مثاقيل الذر اذا كان يوم القيامة
استوى الناس على قدر درجاتهم وقدر عقولهم وعن البراء بن عازب انه صلى الله عليه وآله وسلم قال اجتهدوا في طاعة الله
بالعقل وعقبة المؤمن من بني آدم على قدر عقولهم ما علموا بطاعة الله او ونهم عقلا وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله
باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم قال يا عائشة وهل عملوا الا بقدر
ما اعطاهم الله من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية
وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين
العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل
ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان احب المؤمنين الى الله من نصب في طاعة الله ونصح لعباده
وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح وقال صلى الله عليه وآله وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به
ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا **بيان حقيقة العقل واقسامه** اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل
وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم
يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد
كل قسم بالكشف عنه **فالاول** الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات
الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب
يستعد به لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار
وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما ان الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيأ بعض الحيوانات
للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان والحمار في الغريزة ويقال لا فرق الا ان الله تعالى بحكم اجراء العادة يخلق في الانسان علوما وليس
يخلقها في الحمار والبهائم لجاز ان يسوى بين الجماد والحيوان في الحياة ويقال لا فرق الا ان الله تعالى بحكم اجراء العادة يخلق في الحيوان حركات
تشاهد منه فانه قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقة الجماد للحيوان في الحركات الا بغريزة اختصت به يعبر عنها بالحياة
فكذلك مفارقة الانسان للبهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التي تفارق غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان
بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في صفات وهيئات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة
العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان تفهم
هذه الغريزة **الثاني** هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين
اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز
الجائزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان ينكر تلك الغريزة ويقال
لا موجود الا هذه العلوم **الثالث** علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل
في العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا **الرابع** ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف
عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه
النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوانات فالاول هو الاس والسنخ والمنبع
والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة
الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي رضي الله عنه العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع
مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل

والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لابي
الدرداء ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله وادّ فرائض الله تكن عاقلا واعمل
بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة
دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا
أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين
ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا وقال في حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه ان
يكون هذا الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية
والعالم من يخشى الله فان الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة
موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول والصحيح وجوده بل هو الاصل وهذه العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة
بالفطرة ولكن تظهر في الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكانها كانت مستكنة فيها فظهرت
ومثاله الماء في الارض فانه يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليها شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد
في الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم الآية فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث
وجدت الالسنة والاشخاص ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم
فطرة الله التي فطر الناس عليها اي كل آدمي فطر على الايمان بالله بل على معرفة الاشياء على ما هي عليه اعني انها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك
ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى قسمين الى من اعرض فنسي وهم الكفار والى من اجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة
فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد وكان التذكر ضربان احدهما ان تذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبك لكن
غابت بعد الوجود والآخر ان تكون عن صورة كانت متضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه
السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تاويل التذكر واقرار النفوس انواعا من
التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها
التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد
الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالمركوب
وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى المركوب ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض وسمى ضده عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم
تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقائقه فهذه اقسام ما ينطلق اسم العقل عليه **بيان
تفاوت الناس في العقل** قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى والاهم المبادرة الى التصريح
بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات
فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر
وكل ما يدركه ادراكا محققا من غير شك واما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوة
فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض
الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد
قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد

من يساويه في العقل إذا لم يكن طبيباً وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جنداً للعقل وعدة له في قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي وأعني به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلاً أيضاً فإنه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فإنها إذا كانت أقوى كان قمعها للشهوة لا محالة أشد وأما القسم الثالث وهو علم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتاً في الغريزة وإما تفاوتاً في الممارسة فأما الأول وهو الأصل أعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادئ إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نمواً خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فإن أوائله يخفى خفاءً يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئاً فشيئاً على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن أن عقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل عقل آحاد الناس من السوادية وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم كما قال تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور وذلك مثل الأنبياء صلوات الله عليهم إذ يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام وعن مثله عبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن كان خالياً عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبياً ولا ولياً ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقياً وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضاً ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيوناً وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي أن ابن سلام سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يا رب هل خلقت شيئاً أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فإني خلقت العقل أصنافاً شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطي حبة ومنهم من أعطي حبتين ومنهم الثلث والربع ومنهم من أعطي فرقاً ومنهم من أعطي وسقاً ومنهم أكثر من ذلك فإن قلت فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه وإن ذم فما الذي بعده يحمد فإن كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فإن علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضاً مذموماً ولا يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل فإنا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي بها يتميز الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخبطات

إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الألفاظ فهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم

كتاب قواعد العقائد

وهو الكتاب الثاني من ربع العبادات من كتاب إحياء علوم الدين وفيه أربعة فصول

الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام فنقول وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد المعرف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن

التنزيه وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجود ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السماوات وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالأبصار نعمة منه ولطفاً بالأبرار في دار القرار وإتماماً للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم

القدرة وأنه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسماوات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وأنه المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته

العلم وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السماوات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال

الإرادة وأنه مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب للعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته ومحبته لو اجتمع الجن والإنس والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً بها مريداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن

السمع والبصر وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق ولا
يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير
آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق **الكلام** وأنه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم
بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال الهواء واصطكاك الأجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة وتحريك لسان وأن
التوراة والقرآن والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك
قديم قائم بذات الله لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما
يرى الأبرار ذات الله من غير جوهر ولا عرض وإذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة و
القدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات **الأفعال** وأنه لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض
من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه
الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من إنس وجن وملك
وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأه إنشاء بعد أن لم
يكن شيئا إذ كان في الأزل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعده إظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من إرادته ولما حق في
الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن
لزوم فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب
ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم
إذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على لسان أنبيائه لا بمجرد
العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به

معنى الكلمة الثانية وهي شهادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمدا صلى الله عليه
وآله وسلم برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فنسخ بشرعه الشرائع إلا ما قرره وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع
كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله وألزم الخلق تصديقه في
جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر عنه بعد الموت وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان
يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر
وسؤالهما أول فتنة بعد الموت وأن يؤمن بعذاب القبر وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء ويؤمن بالميزان ذي
الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله والصنج يومئذ مثاقيل الذر
والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله
وتطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من
السيف وأدق من الشعر تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله فتهوي بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين فيساقون إلى دار القرار
ويؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وآله وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه
شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء فيه ميزابان
يصبان من الكوثر ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم
المقربون فيسأل الله من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل
المسلمين عن الأعمال ويؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ويؤمن بشفاعة الأنبياء ثم
العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد في

النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وأن يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد
النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنه ثم علي رضي الله عنه وأن يحسن الظن بجميع
الصحابة ويثني عليهم كما أثنى الله ورسوله عليهم أجمعين فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا
به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله تعالى كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا
ولكافة المسلمين إنه أرحم الراحمين

الفصل الثاني في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب
درجات الاعتقاد اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره
شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله تعالى
على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين
المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة
بنقيضه لو ألقي إليه فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته وإثباته
أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال
اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من
أنوار العبادات ووظائفها وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيئاتهم في الخضوع لله تعالى والخوف
منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كإلقاء بذر في الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى
ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإن ما يشوشه الجدل
أكثر مما يمهده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها
وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من
عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس
اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا
كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا إذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء
آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد الحق
إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه
أصلا وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل
بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل
تعالى إذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية إيمان الصديقين والمقربين وإليه الإشارة بالسر الذي
وقر في قلب أبي بكر رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات
الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم
إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه

مسألة

فإن قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه فاعلم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف فمن قائل يقول
إنه بدعة وحرام وأن العبد إن يلقى الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية
أو على الأعيان وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك
وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الأعلى سمعت الشافعي يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة
يقول لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه

وقال أيضا قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام وحكى
الكرابيسي أن الشافعي سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي
دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما في
الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام
ولا دين له وقال الزعفراني قال الشافعي حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا
جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام
إلا وفي قلبه دغل وبالغ في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك ألست
تحكي بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأي
والبحث وقال أحمد علماء الكلام زنادقة وقال مالك أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال
المجادلين تتفاوت وقال مالك لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام
على أي مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب الدين بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا
منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف
بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال عليه السلام هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك
المتنطعون أي المتعمقون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ويعلم طريقه ويثني على أربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر
وقال أمسكوا وعلى هذا استمر الصحابة فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم وهم الأستاذون والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة
وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي
لم يعهدها الصحابة فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه
ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه فإحداث عبارة للدلالة بها على مقصود
صحيح كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم
ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن أين تحرم معرفة الله بالدليل وإن كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة
والبغضاء وما يفضي إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والرياء وطلب الرياسة مما يفضي إليه علم الحديث والتفسير والفقه
والشيء محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا
وقد قال تعالى قل هاتوا برهانكم وقال ليهلك من هلك عن بينة وقال هل عندكم من سلطان أي حجة وبرهان وقال فلله الحجة البالغة
وقال ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه إلى قوله فبهت الذي كفر إذ ذكر احتجاج إبراهيم ومجادلته وإفحامه خصمه في معرض الثناء
عليه وقال تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه وقال قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وقال تعالى في قصة موسى وما رب
العالمين إلى قوله أولو جئتك بشيء مبين وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي البعث قوله قل يحييها الذي أنشأها أول مرة إلى غير ذلك من الأدلة ولم تزل الرسل يحاجون
المنكرين ويجادلونهم قال تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن والصحابة أيضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة إليه قليلة في
زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق علي إذ بعث ابن عباس رضي الله عنهم إلى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على
إمامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار أرأيتم لو سبيت عائشة في يوم الجمل فوقعت في سهم أحدكم أكنتم
تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب فقالوا لا ورجع منهم بمجادلته ألفان إلى الطاعة وروي أن الحسن
ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة في الإيمان فقال عبد الله لو قلت إني

مؤمن لقلت إني في الجنة فقال يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه زلة منك وهل الإيمان إلا أن
تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والزكاة والصوم ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا
أنا من أهل الجنة فمن أجل ذلك نقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله إنها مني زلة فينبغي
أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال
أما قلة خوضهم فيه فكان لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية إفحام الخصم واعترافه وانكشاف
الحق فلو طال إشكال الخصم أو لجاجه لطال لا محالة الإلزام وما كانوا يقدرون قدر المحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها
وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذا كان في الفقه والتفسير والحديث أيضا فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور
النادرة التي لا تتفق إلا على الندور إما ادخارا ليوم وقوعها وإن كانت نادرة أو تشحيذا للخاطر فنحن أيضا نرتب طرق
المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو تشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة
والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين فإن قلت فما المختار فيه عندك فاعلم أن الحق
فيه أن إطلاق القول بذمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته
كالخمر والميتة وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الإسكار والموت وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام
ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر إذا غص من غص بلقمة ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر وإلى ما يحرم
لغيره كالبيع على بيع أخيك في وقت الخيار والبيع في وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الإضرار وهذا ينقسم إلى ما
يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة
كالعسل فإن كثيره يضر بالمحرور وكأكل الطين وكان إطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفاتا إلى أغلب الأحوال فإن
تصدى إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف عليها والعلماء يتعبدون بحفظ ذلك على العوام من تلبيسات
المبتدعة لما فيها من صلاح يتعبدون بحفظ ذلك على العوام دينهم ودنياهم كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة
والغصاب وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في
موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة
عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم شكا
ثم لا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى إلى الحق باللطف لا
بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج من الوعظ
والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة تعلمها المتكلم
ليستدرج الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الأول
حرام وكذا مع من وقع له شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل
وإنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى الاعتقاد الحق وذلك
فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه من القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه إلا دواء الجدل
فجاز أن يلقى إليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض
للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس
أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم وهذا
مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثار في نفسه شبهة فقد بدت العلة
المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر

وليس فيه خروج عن الطرف قواعد العقائد الدينية ذلك من مباحث المتكلمين فاذا فهمت ذلك كما عرفت وان لم تستعد لذلك فمن جانب
العلم من منه والاعضاء الاغالبا والرياضات فيلطف له الطبيب بدوا مكانه ويحفظ بعضا اقدم الى الله كتب له الحمد بن بنين الله
مبالى ويسمى على الشكوك والشبهة الادلة فالعدد الذي يحويه ذلك الكتاب وجنس من المصنفات من الذي يحويه بذلك الخارج من
بستان احدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتقادات وكالوان نوعين الاول الكتاب والحوض في اثار رؤية الحيل
صلى التي الح او التي وان كان منه ذلك احدهما منع عن جميع الابواب او بيت الكل من ذلك لذلك منه تحرر الجزء ذلك من
الزيادات الصلة و **القسم الثاني** زيادة تقرير للكلام له في عين تلك القواعد وزيادة اسولة واجوبة في تلك المسئلة فانه
الاصل الا وجلا في حقه من لم يستعد لذلك الدولة ترتيب كلام من يديه للطالب والعرب عوضا ولو قال فان البحث محكم زاد دلالات
والاعتمادات فيه فايدة تتحد الخواطر والخاطر الدينية كالسيف الذي الجهاد فلا بأس بتحديده كان كثرته لعقل المطوع يتحول الخاطر
من من الدينية لكن من فان الخاطر تحت سائر العلوم الشرعية والكتاب فيها ما صرح ما تعرفت بهذا العقد المذموم والتاريخ
من الكلام والحال الذي تم فيها والحال التي تجدد والشخص الذي يقع به والفعل الممنوع فان قلت منها اعترفت بالحاجة اليه
في دفع المبتدع ولكن قد ثارت البدع وعم البلوى وارهقت الحاجة فلا بد وان يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام
بحراسة الاموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرها ولم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لانعدم ولو ترك
بالكلية لاندرس ولاخرج بمجرد الطباع كفاية لحل شبهة المبتدعة فالم يعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه ايضا من فروض الكفايات
بخلاف الزمان الصحابة رضي الله عنهم فان الحاجة لم تكن ماسة اليه فاعلم ان الحق انه لابد في كل بلدة من قائم بهذا العلم يستقل بدفع
شبهة المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العلوم كتدريس الفقه والتفسير
فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور فيه من انواع الضرر العام فينبغي ان يخص بتعليم
هذا العلم من فيه ثلث خصال احديها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف يشغله الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا عرضت
والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه
والثالث ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين
فانه لا يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين اللذات فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من اعباء التكليف فيكون ما يفسده
مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك ان الحجة المحمودة في الكلام ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات
اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة في النفوس دون التغلغل في التقسيمات والدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا
انها شعبذة وصنعة تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي وكافة السلف انما منعوا
من الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي من المناظرة
في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد تختلف الاعصار في كثرة الحاجة وقلتها
فلا يبعد ان يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فاما ازالة الشبهة وكشف
الحقائق ومعرفة الاشياء على ما هي عليه وادراك الاسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له الا المجاهدة وقمع الشهوات
والاقبال بالكلية على الله وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات وهي رحمة من الله تعالى تفيض على من تعرض لنفحاتها بقدر الرزق
وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله **مسئلة** فان قلت
هذا الكلام يشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها خفي يتضح آخرا بالمجاهدة والرياضة والطلب
الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر
وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى جلية وخفية لا ينكرها ذو بصيرة وانما
ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في اوائل الصبى شيئا وجمدوا عليه ولم يكن لهم ترق الى شأو العلاء ومقامات العلماء والاولياء وذلك ظاهر

من ادلة الشرع قال صلى الله عليه وآله وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان
ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال صلى الله عليه وآله وسلم نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ما حدث
احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون باسم الحديث الى آخره
كالبيض المكنون من كتاب الجواهر وقال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان لم يكن ذلك سرا منع من افشائه لقصور
الافهام عن دركه او لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك في انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال صلى الله عليه وسلم ما فضل ابو بكر بكثرة
صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره ولا شك في ان ذلك كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن
خافيا بظواهره على غيره وقال سهل بن عبد الله التستري للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه اظهاره الا لاهله
وعلم هو بينه وبين الله لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة
وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو ظهر لبطلت الاحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء
لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض وان الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة **مسئلة**
فان قلت هذه الآيات والاخبار يتطرق اليها تاويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر كان
فيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عن الباطن وان
كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا السؤال يحرك
خطبا عظيما وينجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقائد التي ذكرناها من اعمال القلوب وقد
تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان يتوصل الى ان ينكشف لنا حقائقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا
انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف
الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال ان
الحقيقة تخالف الشريعة او الباطن يناقض الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص بها المقربون بدركها ولا
يشاركهم الاكثرون في علمها ويمتنعون عن افشائها اليهم ترجع الى خمسة اقسام الاول ان يكون الشيء في نفسه دقيقا يكل اكثر الافهام عن دركه فيختص
بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح وكف رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه وتقصر الاوهام عن تصور كنهه ولا تظنن ان ذلك
لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان من لم يعرف الروح فكانه لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان يكون ذلك
مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء ولكنهم يتأدبون بادب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله تعالى من الخفايا
ما تقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما
حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة
ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي او العنين لم يفهمها الا بمناسبة
الى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة بين
لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال او مما كان له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم
ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم
والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم عقيدته على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى
به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى به اني عجزت عن التعبير عما
ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله وقال الصديق رضي الله عنه

الحمد لله الذي لم يجعل سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته ولسعة مجال الكلام عن [illegible] ولرجع الى الموضع [illegible] ما يكل الافهام عن دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الاشارة الى مثله في قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادركه بصره **القسم الثاني** من الخفيات التي يمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الافهام عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم من افشائه من هذا القسم فلا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والمعاصي والشر كله بقضاء الله تعالى وارادته ومشيئته حق في نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم انه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد الحد ابن الراوندي وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو افشي لاوهم عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن ادراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة في علم الله تعالى ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم **القسم الثالث** ان يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قائل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير فكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس في ذلك ومن هذا قول الشاعر **شعر** رجلان خياط وآخر حائك ... متقابلان على السماك الاعزل ... لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ... ويخيط صاحبه ثياب المقبل ... فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة في النار وانت ترى ان ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد ومعناه كونه معظما ورمي النخامة تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال اجزاء الجلدة وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى كائن اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهي البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف ان هذا السر على خلاف الظاهر اما بدليل عقلي او شرعي اما العقلي فان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وآله وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اذ لو فتشنا عن صدور المؤمنين لم نجد فيها اصابع فعلم انها كناية عن القدرة التي هي سر الاصابع وروحها الخفي وكنى بالاصابع عن القدرة لان ذلك اعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا للشيء قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها واما المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها وان معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الاودية هي القلوب وان بعضها احتمل شيئا كثيرا وبعضها شيئا قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر فانه وان ظهر وطفا على راس الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد في الآخرة في الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر **القسم الرابع** ان يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلام او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا راه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك في العلم

وبهذا يتبين المعتقد ان هو تصديق للانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر الاحوال ثلاث احوال متفاوتة وادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه والثالث بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق قبل الزوال فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام الاربعة تتفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام **القسم الخامس** ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والارض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان اتينا طائعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه انباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين الى التسخير ومن هذا قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده فالبليد يفتقر فيه الى ان يقدر للجماد حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله كما قيل وفي كل شيء له آية ... تدل على انه واحد ... وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن بالذات والحال وكذلك ما من شيء الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم اوصافه ويردده في اطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظاهر ولذلك قال تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم واما القاصرون فلا يفقهون اصلا واما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن ايضا مما تتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الظاهر للباطن وفي هذا المقام لارباب المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الحساب والميزان ومناظرات اهل النار واهل الجنة في قولهم افيضوا علينا من الماء زعموا ان كل ذلك لسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم احمد بن حنبل رحمه الله حتى منع تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه انه حسم باب التاويل الا لثلاثة الفاظ قوله صلى الله عليه وآله وسلم الحجر الاسود يمين الله في ارضه وقوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله عليه السلام اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والظن باحمد بن حنبل انه علم ان الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع عن التاويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق على الراقع وخرج الامر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد اذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط فلا باس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها على ما جاءت حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة الى الاقتصاد وفتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا من التاويل فيه وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفات الله تعالى الرؤية واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من احكام الآخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على الماكولات والمشروبات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلد ويذيب الشحم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة واولوا كل ما ورد في الآخرة وردوه الى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس وانها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشف لهم اسرار الامور على ما هي عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين

ووزنوا بالخلاف اولى وما اى احتمعت فيه لا يؤمن من السمع المجرد فلا يستقر له قدم ولا يتعدى سوى غير المتبقي المعتصم على السمع
المجرد مثل احمد بن حنبل والذي كشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذا لا يؤمن الا من علم المكاشفة والقول فيه يطول فلنعرض عن الخوض
فيه فان مقصدنا الباطن للظاهر ومخالفته وقد اكتفينا به لاتمام غرضنا وانما المقصود بيان ما للعوام على عقيدة العقيدة الوجيز بيانها ثم
لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الثانية العقيدة بها لوامع من الادلة تختصر من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها
على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية ويودعه هذا الفصل الثالث من الكتاب

الفصل الثالث من الكتاب

في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدسية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة
السنة بانوار اليقين وآثر رهطها بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين
وسددهم للتاسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين
وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا في القبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله
محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول ان لم يتحقق الاحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة
على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول وعلموا ان بناء الايمان على هذه الاركان وهي اربعة
ويدور كل ركن منها على عشرة اصول **الركن الاول** في معرفة ذات الله تعالى ومداره
على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقر على مكان وانه يرى
وانه واحد **الركن الثاني** في صفاته ويشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا
مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والارادة **الركن الثالث**
في افعاله ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تعالى وانه متفضل بالخلق والاختراع وان له
تكليف ما لا يطاق وله ايلام البريء وانه لا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء جائز وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه
وآله وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات **الركن الرابع** في السمعيات وهي اثبات الحشر والنشر وعذاب
القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة **فاما الركن الاول**
من اركان الايمان في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** معرفة وجوده تعالى
واول ما يستضاء به من الانوار ويسلك من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله تعالى بيان وقد قال الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
وخلقناكم ازواجا الى قوله وجنات الفافا وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري الى قوله لآيات
لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا الى قوله ويخرجكم اخراجا وقال تعالى افرأيتم ما تمنون أانتم تخلقونه الى قوله
متاعا للمقوين فليس يخفى على من معه ادنى مسكة من العقل اذا تامل بادنى فكرة مضمون هذه الآيات وادار نظره على عجائب خلق الله في الارض
والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس
تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى افي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبياء
كلهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدء
نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولا يبعد عن الناس ان يستقل فيحتاج الى علم الكلام
ويتولى منعه وفي حضرة هو اعتبار منفعته في وقت الانتفاع ... كما يقتضيه الحال ... اعتبار منفعته في وقت
لا ... فاما اثارة الشبهات وتحريك العقائد ... والتعصب ... ما يحصل في الابتداء رجوعها بالدليل
مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرر في الاعتقاد الحق وله ضرر في تأكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث
دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن
ان يزال اعتقاده باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشؤه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يقدروا

على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك الحق
حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله لك الغطاء ويعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك كره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه وهذا هو الداء العظيم
الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما منفعته فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق
ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا
اذا سمعته من محدث او حشوي ربما خطر ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل
فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام وتحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه
مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور في امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة
الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل فان العامي ضعيف
يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اجمع السلف
وعلى نفس الحق ... قال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها الآية فاذن في فطرة الانسان وشواهد
القرآن ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بداية العقول ان الحادث في حدوثه لا
يستغني عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغني في حدوثه عن سبب اما قولنا الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب فجلي فان كل حادث مختص
بوقت يجوز في العقل تقديره وتقديمه وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم حادث
فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى
الاولى قولنا ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تأمل وافتكار
فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا الثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما
ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام ما شوهد وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا
والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه وبرهانه في
اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث
لا اول لها ولم ينقض ... الحوادث الحاضرة في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات
لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها من ان تكون شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان يكون شفعا ووترا جميعا
او لا شفعا ولا وترا جميعا فانه جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الآخر وفي نفي احدهما اثبات الآخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع
يصير وترا بزيادة واحد فكيف اعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف اعوزها ذلك الواحد مع انه
لا نهاية لاعدادها فحصل منه ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة

الاصل الثاني العلم بان البارئ تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شيء
وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية
وما تسلسل لم يحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم وباريه ومحدثه ومبدئه

الاصل الثالث العلم بانه مع كونه ازليا ابدي ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والظاهر
والباطن لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شيء يتصور
دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده
لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده
وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته للحادث
حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من القطع والقديم اقوى من الحادث **الاصل الرابع** العلم بانه ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى

وتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة او السكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسم جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى

الاصل الخامس العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر والجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز ان تعتقد الالهية للشمس والقمر او لشيء آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم

الاصل السادس العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدره والمصور مصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته

الاصل السابع العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق واما اسفل واما يمين واما شمال او قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى ان النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين واحداهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة والجهة حادثة او كيف صار مختصا بجهة بعد ان لم يكن له ابان خلق العالم فوقه ويتعالى عن ان يكون له فوق اذ تعالى عن ان يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس او خلق العالم تحته فتعالى عن ان يكون له تحت اذ تعالى عن ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول من كونه مختصا بجهة انه مختص بحيز اختصاص الجواهر او مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا او عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر منه او اكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة الى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر فاما رفع الايدي عند السؤال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء

الثامن العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي اريد بالاستواء الى السماء حيث قال في القرآن ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر **شعر** قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق واضطر اهل الحق الى هذا التأويل كما اضطر اهل الباطل الى تأويل قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حمل ذلك بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر منه او اصغر وذلك محال وما يؤدي الى المحال فهو محال

الاصل التاسع العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله تعالى لا تدركه الابصار ولقوله في خطاب موسى لن تراني وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الارباب ما جهله موسى

ثم كيف سأل موسى الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهواء من الجهلة الاغبياء اولى من الجهل بالانبياء اما وجه اجراء اية الرؤية على الظاهر انه غير مؤد الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وكما يجوز ان يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى كذلك

الاصل العاشر العلم بان الله وحده لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فالثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن الها قادرا

الركن الثاني

العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول الاصل الاول العلم بان صانع العالم قادر وانه تعالى في قوله وهو على كل شيء قدير صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له او عن انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل

الاصل الثاني العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء صادق في قوله تعالى وهو بكل شيء عليم ومرشد الى صدقه بقوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف

الاصل الثالث العلم بكونه حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة ارباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات

الاصل الرابع العلم بكونه مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيئته وصادر عن ارادته فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله وبعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده

الاصل الخامس العلم بانه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اسنى واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته او كيف تستقيم حجة ابراهيم عليه السلام على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لاضحت حجته داحضة وحجته غامضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا اذن فلا فرق بينهما

الاصل السادس انه تعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الاغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حتى قال قائلهم **شعر** ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شيء وان الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سبحانه سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع موسى في الدنيا كلاما ليس بصوت فليستنكر ان يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر وكمية وهو الى الآن لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع

عقل حاسة البصر بل عقل ان يكون له علم واحد هو علم بجميع المعلومات فليعقل صفة واحدة للذات هي كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وان كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان تحل ذات السموات والجنة والنار في الحدقة والورقة فليعقل كون الكلام مقروءا بالالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها اذ لو حلت بكتابة الله ذات الكلام في الورق لحلت ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولاحترق

الاصل السابع ان كلامه القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك منزها عن تغير الحالات لان ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدوث للاجسام من حيث تعرضها للتغاير وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبني على هذا ان كلامه قائم بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله تعالى فاخلع نعليك بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم

الاصل الثامن ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند الطلوع معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم اخر فهكذا ينبغي ان يفهم قدم علم الله تعالى

الاصل التاسع ان ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في اوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصار محلا للحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا بها كما لا تكون انت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذلك الارادة الاخرى تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز ان يحدث ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة

الاصل العاشر ان الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والعالم والمعلوم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم وعلم بلا معلوم ومعلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعضها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاضافات

الركن الثالث العلم بافعال الله تعالى ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له الا اياه خلق الخلق وصنعهم واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال العباد مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى الله خالق كل شيء وفي قوله والله خلقكم وما تعملون وفي قوله الا يعلم من خلق الاية امر العباد بالتحرز في اقوالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها او كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من النحل والعنكبوت وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الارض والسموات

الاصل الثاني ان انفراد الله تعالى باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار واما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليست بكسب له واما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة الى الصفة اخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية

او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله اختراعا وبقدرة العبد على وجه اخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله في الازل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا اخر من التعلق فيه يظهر ان تعلق القدرة ليس يخص بحصول المقدور بها

الاصل الثالث ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله تعالى ولا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر الا بقضاء الله وقدرته وبارادته ومشيئته منه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ويدل عليه من جهة العقل ان المعاصي والجرائم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة العدو ابليس مع انه عدو لله فالجاري على وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته فليت شعري كيف يستجيز المسلم ان يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يستتب لعدو الزعيم في القرية اكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرا عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى صح انها مرادة له فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يامر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال

الاصل الرابع ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والامر والناهي وكيف يتهدف لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل الذي في تركه ضرر اما اجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله حتى لا يعذبه او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب حتى لا يموت واما ان يراد به الذي يؤدي عدمه الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ عدمه يؤدي الى محال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله بالمعنى الاول فقد عرضه للضرر وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم ان مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة فاما ان يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب

الاصل الخامس انه يجوز على الله تعالى ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سالوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى اخبر نبيه بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان يامره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده

الاصل السادس ان لله تعالى ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير اذنه وهو محال على الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وما صب عليها من انواع العذاب من جهة الادميين لم يتقدمها جريمة فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الالام ويجب على الله ذلك فنقول من زعم انه يجب على الله تعالى احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على الامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا

ان كان المراد به ان يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره فهو غير مفهوم اذ هو خارج عن المعاني المذكورة للواجب

الاصل السابع انه يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من انه لا يجب عليه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا
يسأل عما يفعل وهم يسألون وليت شعري ما يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه في مسألة نعرضها عليه وهو ان يفرض مناظرة
في الآخرة بين صبي وبالغ ماتا مسلمين فان الله تعالى يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد
البلوغ وذلك يجب عليه عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت درجته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعة فيقول الصبي انت امتني
في الصبي فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ واجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر دوني فلم فضلته
فيقول الله تعالى لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبي هذا عذر المعتزلي عن الله تعالى
وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون يا رب اما علمت اننا اذا بلغنا اشركنا فلا امتنا في الصبي فانا رضينا بما دون منزلة
الصبي المسلم فماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا الا القطع بان الامور الالهية تعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل
الاعتزال فان قيل اذا قدر على رعاية الاصلح للعباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا القبيح معناه ما لا يوافق
الغرض حتى انه قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض احدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه
ويستحسنه اعداؤه فاما ان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه ظلم اذ لا يتصور منه التصرف في ملك
الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشه يشهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل
النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشياء القادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح واما الحكيم
منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا او يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك على الله تعالى محال

الاصل الثامن ان معرفة الله تعالى وطاعته واجبة بايجاب الله وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة
لان العقل ان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبها لفائدة وغرض
وذلك لا يخلو اما ان يرجع الى المعبود وذلك محال فانه متقدس عن الاغراض والفوائد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان
في حقه سيان واما ان يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس
في المآل الا الثواب ومن اين يعلم ان الله تعالى يثيب على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليهما مع ان الطاعة والمعصية في حقه يتساويان
اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق
والمخلوق حيث فرق الخالق بين الشكر والعصيان والكفران لما له من الارتياح والتلذذ والاهتزاز باحدهما دون الآخر فان قيل
فاذا لم يجب المعرفة والنظر الا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب علي
النظر والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر ادى الى افحام الرسول قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من المواضع ان
وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك
فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي يقول ان وراءكم الموت ودونه السباع
الضارية والنيران المحرقة ان لم تأخذوا حذركم وتعرفوا لي صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم
يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما علي البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية
بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا
ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف الضرر المتوقع فان العقل لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع
الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى
للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة

الاصل التاسع انه ليس يستحيل بعثة الانبياء خلافا للبراهمة حيث
قالوا لا فائدة في بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في الآخرة كما لا يهدي الى الادوية المفيدة
للصحة فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة

الاصل العاشر ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين
وايده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وانطاق العجماء وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن آياته
التي تحدى بها العرب القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله ولم يقدروا على معارضته
بمثله اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا غير ممارس للكتب والانباء
عن الغيب في امور يتحقق صدقه فيها في المستقبل كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وكقوله تعالى بسم الله الرحمن
الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل ان كل ما عجز عنه البشر
لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك
المدعي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك
ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت

الركن الرابع

السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وآله وسلم فيما اخبر عنه ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول الحشر والنشر وقد
ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء
قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء

الاصل الثاني سؤال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار فيجب
التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يمنع ذلك ما
يشاهد من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا السؤال له فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بأثره
عند التنبه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمع كلام جبرئيل ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من
علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه

الاصل الثالث عذاب القبر وقد ورد به الشرع قال الله
تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الآية واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن السلف الصالحين الاستعاذة من
عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك
لالم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها

الاصل الرابع الميزان قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال
وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله فتصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب

الاصل الخامس الصراط وهو جسر ممدود على متن النار ادق من الشعر واحد من السيف قال الله تعالى فاهدوهم الى
صراط الجحيم الآية وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير في الهواء قادر على ان يسير الانسان على الصراط

الاصل السادس ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الآية فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه
على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يسأل عما يفعل

الاصل السابع ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابو بكر رضي الله عنه ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم اجمعين ولم يكن نص رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والامراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي
هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة واما تقدير النص على غيره فهو نسبة الصحابة كلهم
الى مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لا يستجرئ على اختراعه الا الروافض واعتقاد اهل السنة تزكية
جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم وما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهم كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من
معاوية في الامامة اذ ظن علي رضي الله عنه ان تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب امر الامامة

في بابها فرأى التأخير أصوب وظن معوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الإغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب مجتهد واحد ولم يذهب إلى تخطئة علي رضي الله عنه ذو تحصيل أصلا

الأصل الثامن

أن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم في الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله وقد ورد في الثناء عليهم أجمعين آيات وأخبار وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف

الأصل التاسع

أن شرائط الإمامة بعد الإسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسب قريش لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الأئمة من قريش وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالإمام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى الانقياد إلى الحق

الأصل العاشر

أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان في صرفه إثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته لأنا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي أثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الإمام وبفساد الأقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء أهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الإمامة عند الحاجة والضرورة فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هي قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البدعة والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وقد فرغ حجة الإسلام من كتاب تصنيف الاعتقاد في المسجد الأقصى راجيا أن ينال بركتها وبركته أسأل الله تعالى أن يحقق فيهم المراد ويختم بالسعادة إنه الكريم المنان الدائم الإحسان

الفصل الرابع

من قواعد العقائد في الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووقف السلف فيه وفيه ثلاث مسائل مسألة اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلازمه فقيل إنهما شيء واحد وقيل إنهما شيئان لا يتواصلان وقيل إنهما شيئان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر وقد أورد أبو طالب المكي رحمه الله في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة

البحث الأول

في موجب اللغة والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والإباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه وأما التسليم فإنه عام في القلب واللسان والجوارح فإن كل تصديق بالقلب هو تسليم وترك للإباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة أن الإسلام أعم والإيمان أخص وكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام فإذا كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا

الوجه الثاني

عن إطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل أما الترادف ففي قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد وقال تعالى إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين وقال صلى الله عليه وآله وسلم بني الإسلام على خمس وسئل مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس وأما الاختلاف فقوله تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالإسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبريل لما سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره فقال فما الإسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي حديث سعد أنه عليه الصلاة والسلام أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم فأعاد عليه فأعاد صلى الله عليه وآله وسلم وأما التداخل فما روي أيضا أنه سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقيل أي الأعمال أفضل فقال الإسلام فقيل أي الإسلام أفضل فقال الإيمان وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والإسلام هو تسليم إما بالقلب

وإما باللسان وإما بالجوارح وأفضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى إيمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والإسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فإن التسليم ببعض درجات التسليم يطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فإن من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وإن لم يستغرق جميع بدنه فإطلاق اسم الإسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا وقوله في حديث سعد أو مسلم لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين وأما التداخل فموافق أيضا للغة وهو أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الإسلام وهو القلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الإيمان وعموم الإسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الإيمان في جواب قول السائل أي الإسلام أفضل لأنه جعل الإيمان خصوصا من الإسلام فأدخله فيه وأما استعماله على سبيل الترادف بأن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فإن كل ذلك تسليم وكذى الإيمان ويكون التصرف في الإيمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر في معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع الثمر على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الإسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين

البحث الثالث

عن الحكم الشرعي وللإسلام والإيمان حكمان أخروي ودنيوي أما الأخروي فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو فمن قائل إنه مجرد العقد ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالأركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاث فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة

الدرجة الثانية

أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الأعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما سنذكره

الدرجة الثالثة

أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال أبو طالب المكي العمل بالجوارح من الإيمان ولا يتم دونه وادعى الإجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات إذ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان وإلا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب أنه ادعى الإجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكفر أحد إلا بجحوده لما أقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أو زنى ثم مات فهل يخلد في النار فإن قال نعم فهو مراد المعتزلة وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الإيمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية فنقول فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات التي بتركها يبطل الإيمان وما عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الإيمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولا يصير إليه صاير أصلا

الدرجة الرابعة

أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الإيمان يقول هذا مات قبل الإيمان وهو فاسد إذ قال عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف يخلد ولم يشترط في حديث جبريل للإيمان إلا التصديق بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق

الدرجة الخامسة

أن يصدق بالقلب ويساعده العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن إذ لا يستحق الاتباع موجب للنطق وموضع اللسان أن الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون

الترك ركن إذ ليس كلمة الشهادة إخباراً عن القلب بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام والأول أظهر وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلاً وقالوا إن المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم **الدرجة السادسة** أن يقول بلسانه لا إله إلا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وأنه مخلد في النار ولا نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطو عليه في قلبه وإنما نشك في أمر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له في هذه الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهراً وباطناً ويحتمل أن يقال تناط بالظاهر في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والأظهر والعلم عند الله أنه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه إعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وكان عمر رضي الله عنه يراعي ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضي الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن كان من العبادات والتوقي عن الحرام أيضاً من جملة الواجبات لله كالصلاة وليس هذا مناقضاً لقولنا إن الإرث حكم الإسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما أفلح من نظر إلى العادات والمراسم في العلوم فإن قيل فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم فأقول شبهتهم عمومات القرآن أما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً ولقوله عز وجل كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها إلى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء فقوله كلما ألقي فيها فوج عام فينبغي أن يكون كل من ألقي في النار مكذباً ولقوله تعالى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر وإثبات ونفي ولقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ولقوله تعالى والله يحب المحسنين وقال تعالى إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ولا حجة لهم في ذلك فإنه حيث ذكر الإيمان في هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الإسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان فكيف يخرج إذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وقال تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون بل قوله تعالى وإن منكم إلا واردها كالصريح في أن ذلك لا بد منه للكل إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقى شخصاً معيناً أيضاً وقوله كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها أي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الآية وقع للأشعري وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معانيها وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وقوله جل جلاله والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم قال ثم ننجي الذين اتقوا وقوله ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم وكل آية ذكر العمل الصالح فيها مقروناً بالإيمان وقوله تعالى ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم وهذه العمومات أيضاً مخصوصة بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وقوله إنا لا نضيع أجر المحسنين فكيف يضيع أصل الإيمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله ومن يقتل مؤمناً متعمداً أي لإيمانه وقد ورد على مثل هذا السبب فإن قلت فقد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الإيمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنساناً بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل الصلاة بفقدها فالتصديق

بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن والصحابة ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الإيمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقاً إيماناً تاماً كاملاً كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الإنسانية **مسئلة** فإن قلت فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فإذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان فأقول السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وإنما الشأن في فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بأن الإيمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان فإن قلت فالإشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فأقول إذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الإشكال فنقول الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه **الإطلاق الأول** أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلاً ولا تستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصارى والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالأول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضاً والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار ولذلك قال تعالى فزادتهم إيماناً وقال تعالى ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم وقد قال عليه السلام فيما يروى في بعض الأخبار الإيمان يزيد وينقص وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الإيمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملاً أو ساجداً لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتي هذا في ربع المهلكات والمنجيات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالعقائد والقلوب فإن ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه وقال **شعر**

رق الزجاج ورقت الخمر ۞ فتشابها فتشاكل الأمر ۞ فكأنما خمر ولا قدح ۞ وكأنما قدح ولا خمر ۞

ولنرجع إلى المقصود فإن هذا خارج عن علم المعاملة ولكن بين العالمين أيضاً اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن تنكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة بموجب هذا الإطلاق ولهذا قال علي رضي الله عنه إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون **الإطلاق الثاني** أن يراد به التصديق والعمل جميعاً كما قال عليه السلام الإيمان بضع وسبعون باباً وكما قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الإيمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الإيمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه مؤثر فيه **الإطلاق الثالث** أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكني أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك في واحد منهما فإن اليقينيات تختلف في درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس

اليه وقد عرضنا لهذا في فصل السيف من كتاب العلم وفي باب علامات علماء الآخرة ولا نعيده وتفطن في جميع الاطلاقات ان اقل من زيادة
الايمان والنقصان نحو كيفية ورد الاخبار انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض المواضع يخرج من كان في قلبه
فاي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب لا يتفاوت **مسألة** فان قلت ما وجه قول السلف انا مؤمن ان شاء الله في
شكر والاستثناء في الايمان كبر ومقت كانوا من الكلام مستغنين عن جزم الجواب بالايمان حذرا منه حتى قال سفيان الثوري من قال انا مؤمن
عند الله فهو من الكذابين ومن قال انا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه
كان مؤمنا عند الله كما ان من كان طويلا او سخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا او حزينا او سميعا او بصيرا
ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا بالله
وما انزل الينا واي فرق بين ان يقول آمنا وبين ان يقول انا مؤمن وقيل للحسن امؤمن انت فقال ان شاء الله فقيل له تستثني يا ابا سعيد
في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يؤمنني ان يكون الله قد اطلع علي في بعض
ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا فانا اعمل في غير معمل وقال ابراهيم بن ادهم اذا قيل لك امؤمن انت فقل لا اله الا الله وقال مرة
قل انا لا اشك في الايمان وسؤالك اياي بدعة وقيل لعلقمة امؤمن انت قال ارجو ان شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته
وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب ان هذا الاستثناء صحيح وله اربعة اوجه وجهان مستندان
الى الشك لا في اصل الايمان ولكن في خاتمته او كماله ووجهان لا يستندان الى الشك **الوجه الاول** الذي لا يستند الى الشك الاحتراز
من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر
كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايمان من اعلى صفات المجد والجزم به تزكية
مطلقة وصيغة الاستثناء كانها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا في معرض التشكيك
ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف اللازم من لوازم الخبر وهي التزكية
وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء **الوجه الثاني** التأدب بذكر الله تعالى في كل حال واحالة الامور كلها الى
مشيئة الله سبحانه فقد ادب الله نبيه فقال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين والله كان عالما بانهم يدخلون لا محالة وانه شاءه ولكن المقصود تعليمه فتأدب رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال لما دخل المقابر السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم
لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال
عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل لك فلان سيزول
مرضه ويصح فقلت ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك الى معنى الرغبة فكذلك العدول الى معنى التأدب
لذكر الله كيف ما كان الامر **الوجه الثالث** ومستنده الشك ومعناه انا مؤمن حقا ان شاء الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين
باعيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال الايمان لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك
ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه والثاني انه
يكمل باعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال اما العمل فقد قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا الآية فيكون
الشك في هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد
ثم قال اولئك الذين صدقوا وقد قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم الآية وقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الآية
هم درجات عند الله وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق
فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة من النفاق والشرك الخفي فقوله عليه السلام اربع من كن فيه فهو منافق
خالص وان صام وصلى وزعم انه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد

غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل
الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي لفظ آخر
غلبت عليه ذهبت به وقال عليه السلام اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وفي حديث الشرك اخفى في امتي من دبيب النملة
على الصفا وقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصير بها منافقا الى ان يموت واني لاسمعها
من احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء اقرب الناس من النفاق من يرى انه بريء منه وقال حذيفة المنافقون اليوم اكثر
منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان
وكماله وهو خفي وابعد الناس منه من يتخوفه واقربهم منه من يرى انه بريء منه فقد قيل للحسن يقولون ان لا نفاق اليوم فقال يا اخي
لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو او غيره لو نبتت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ على الارض باقدامنا وسمع ابن عمر رجلا
يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة وقال ايضا شر الناس
ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني بريء
من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج
وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان اكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد امن من النفاق وقال ابن ابي
مليكة ادركت ثلثين ومائة وفي رواية خمسمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يخافون النفاق وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا واكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك اذ طلع الرجل عليهم ووجهه
يقطر ماء من اثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا هو الرجل الذي وصفناه فقال عليه السلام
ارى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال صلى الله عليه وآله وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك
حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك قال اللهم نعم فالسفعة علامة من سواد والاسفع الذي اصاب وجهه علامة سواد
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه اللهم اني استغفرك لما علمت ولما لم اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله صلى الله عليه فقال وما
يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا
ظنوا انها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال السري السقطي لو ان رجلا دخل بستانا فيه من جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه
كل طير منها بلغته فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب
النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه كان عمر رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال ابو سليمان الداراني
سمعت من بعض الامراء شيئا فاردت ان انكره فخفت ان يأمر بقتلي ولم اخف من الموت ولكني خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند
خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما
يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي بصاحبه الى النار مدة او ينقص من درجات عليين ويحط
عن رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب
وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون **الوجه الرابع** وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم له
الايمان عند الموت ام لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لانه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال
انا صائم قطعا فلو افطر في اثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من آخر النهار وكما ان النهار ميقات
تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الايمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان
اكثر بكاء الخائفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لاحد من البشر فخوف
الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى

والعاقبة مستورة ولا يدرى أهو عدم ثم يختم وقيل في قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق أي بالسابقة يعني أظهرتها وقال بعض السلف إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة ونعوذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لأني لا أدري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد إلى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفي الحديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل وقيل في قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الإيمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال تعالى ولله عاقبة الأمور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما يفسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الإيمان بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ فيقال أصمت بالأمس فيقول نعم إن شاء الله إذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غيب لا يطلع عليه إلا الله فمن هذا يحسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا رب الأرباب فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد والله أعلم

كتاب أسرار الطهارة

وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه وأعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلاة على محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة أما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني الدين على النظافة وقال عليه السلام مفتاح الصلاة الطهور وقال الطهور نصف الإيمان وقال تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر إذ يبعد أن يكون المراد بقوله عليه السلام الطهور نصف الإيمان عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وتخريب الباطن وإبقائه مشحونا بالأخباث والأقذار هيهات هيهات والطهارة لها أربع مراتب المرتبة الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام والثالثة تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة والرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الأنبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فإن الغاية القصوى في عمل السر أن ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله عنه ولذلك قال الله عز وجل قل الله ثم ذرهم لأنهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي أحد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني فهذه مقامات الإيمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل إلى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالخلق المحمود ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينى نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التي هي كالقشر الأخير بالإضافة إلى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل أن الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب وتساهلهم في أمر الظاهر حتى إن عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء في جرة نصرانية وحتى إنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمص أقدامهم وعدوا الأشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الأرض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا

في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا في الحصباء ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر رضي الله عنه ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها ويقال أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع المناخل والأشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في النعلين أفضل لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزع نعله في صلاته إذ أخبره جبريل أن عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم قال عليه السلام لم خلعتم نعالكم قال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخذها منكرا لخلع النعال فهكذا كان تساهلهم في هذه الأمور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الأرض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيين الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مؤاكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الإيمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه فإن قلت أفتقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول إن هذا التنظف والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار المتقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد تقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف وأما مصيرها منكرا فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله صلى الله عليه وآله وسلم بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وإقامة الجاه وأما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فإذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لو لم يشغلوا أنفسهم بصرف الأوقات إليه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم إليه إلا قدر الحاجة فالزيادة عليه في حقهم منكر وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولا ينبغي للبطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابة إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال إني إذا لفارغ فلهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من أن يلبس الثياب المقصورة توهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم من فرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف فالناظر إليه معين له على الإسراف فكان يعتقد تحريم ذلك مع الاستنباط في تفصيل دقائق النجاسات ولو وجد العالم عاميا يتعاطى غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فإنه بالإضافة إلى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمارة بالسوء بعمل مباح في نفسه ويمتنع عليه المعاصي في تلك الحالة والنفس إن لم تشغل بشيء شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى الله تعالى صار ذلك

عنده من افضل القربات وفوق العالم المرتفع من ان تصرف الى شانه بنبغى نحو خاطره والشرف وعلو الهمة بحيث قل من لم يشتغل من
الجين من الجلب وليتفطن بهذا المثال لتفاوت الاعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم المهم البعض بها اعلى البعض عند تزاحمها
في حفظ اللحظات العزيزة بها الى ما هو افضل اهم من التعمق في احوال الدنيا عما فيها واذا قدعرفت هذه المقدمة واسيرت الى ان
الطهارة لها اربع مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب لسنا نتكلم الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر الا انا في الشطر الاول من الكتاب
لا نتعرض قصدا الا للطهارة وتعلق طهارة الظاهر ثلثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن
وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره **القسم الاول** في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق
بالمزال والمزال به والازالة **الطرف الاول** في المزال وهي النجاسات والاعيان ثلثة جمادات وحيوانات واجزاء حيوانات
اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل نبيذ مسكر والحيوانات طاهرة الا الكلب والخنزير وما تولد منهما او من احدهما فكلها بعد الموت نجسة الا الآدمي
الا الادمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل اليه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرها
فلا ينجس الماء بوقوع شيء فيه منها واما اجزاء الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت الا
العلقة وهي والعظم ينجس **الثاني** الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب
والمخاط والدمع وما يستحيل نجس الا ما هو مادة الحيوان وهو المني والبيض واما القيح والدم والروث والبول فنجس من سائر الحيوانات
ولا يعفى عن شيء من هذه النجاسات كثيرها وقليلها الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج والثاني
طين الشوارع وغبار الروث في الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط
او سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة والرابع دم البراغيث ما قل منه او كثر الا
اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك او ثوب غيرك فلبسته والخامس دم البثرات وما يترشح منها من قيح وصديد ذلك ابن عمر
على وجهه بثرة فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل وفي معناه اللطخات الدماسل التي تدوم غالبا وكذلك اثر الفصد الا ما يقع نادرا من خراج
او غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات الخمس تعرفك
ان امر الطهارة على التساهل وما ابدع فيها وسوسة لا اصل لها **الطرف الثاني** في المزال به وهو اما جامد واما مايع اما الجامد فحجر الاستنجاء
وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما المايعات فلا تزال النجاسة بشيء منها الا الماء ولا كل ماء بل الطاهر
الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة طعمه او لونه او ريحه فان لم يتغير
وكان قريبا من قلتين وهي خمسمائة من بحكم الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا
وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد اما الجاري اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها
وما تحتها لان الجريات متفاصلة وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء عن يمينها وشمالها اذا تقاصر
عن قلتين وان كان جري الماء اقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما تحتها نجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في
حوض قدر قلتين واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب
مالك في ان الماء وان قل لا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك
وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله ومما لا اشك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة
مكة والمدينة اذ لا تكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى آخر عصر الصحابة
لم ينقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء والذين
لا يحترزون عن النجاسات وقد توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في انه لم يعول الا على عدم تغير الماء بالنجاسة
النصرانية واناؤها غالبا نجسة يعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل اول وفعل
عمر دليل ثان والدليل الثالث اصغاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاناء للهرة وعدم تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها تأكل

الفارة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل في الآبار الرابع ان الشافعي نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم
تتغير وبحسبه ابو يوسف ولعله قاس بين ان تلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه ولعمري لقد قال القائل ان قوة الورود
لا تدفع النجاسة ثم انه لم يقوّ ويعلم انه مخالطة النجاسة وان احال ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء في
الاناء النجس وبين طرح الثوب النجس في اجانة فيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني الخامس انهم كانوا يستنجون
على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير انه يجوز التوضؤ به وان كان قليلا
واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير اولى ام على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة في الجري
الذي يجري في انابيب الحمامات هل لها تلك القوة ام لا فان لم يكن فما الفرق وان كان فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما تقع فيه مجاري المياه من الاواني على
الابدان والثياب وهي اضعف وما قيل ان الحالة الكلية حالة الجريان فانه اذا وقع على ...
الحاجة والكثير والقليل من الماء احوط ... في ... الاسعافات
فيه بقليل وقليله شرط يعقل طهارته بعدم التغير اولى او نسبة كثرة الماء بمقطع الكثرة وهو المانع من قلة الاجزاء النجاسة
فيها السابع ان الحامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الايدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء
ومع العلم بان الايدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليه فهذه الامور الخمسة مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم
التغير معولين على قوله عليه السلام خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه وفيه تحقيق وهو ان طبع كل مايع ان يقلب الى
صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا منه فكما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا فيحكم بطهارته لصيرورته ملحا وبطلان الصفة
الكلبية منه فكذلك الخل يقع في الماء ويقطع بطبعه اذا كثر وغلب ويعرف غلبته بغلبة طعمه او طعمه او لونه او ريحه فهذا المعيار وقد
اشار الشرع اليه في الماء القوي على ازالة النجاسة فحقيق بان يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا اذ يغلب عليه فيطهره
كما صار ذلك في القليل المتغير وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة ولا تظن ان ذلك عفو اذ لو كان كذلك لكان كاثر
الاستنجاء ودم البراغيث لصار الماء الملاقي له نجسا والمجرى لغسالة لها ونجس بوقوع السنور في الماء القليل ولما توضأ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية
فانه على انه يسر فانفعل ولا دليل على ماذكرنا ... ام يتعين ممكن ان تقال انه اراد به انه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم
فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل مما ذكرناه ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهر في نفيه الحمل اي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال
المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره اي ينعدم وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران ويغمسون الاواني النجسة فيها
ثم يترددون في انها تغيرت تغيرا مؤثرا ام لا فتبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسة فان قلت فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحمل
فيما تسكب عليك فانها فيما كثرت تحملها ايضا حكما قلت لما حمل ما لحصول وتخصيص النجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى
الجملة فيلتفت امور النجاسات الى المساهلة فيها من سيرة الاولين وحسم المادة الوسواس ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من
المسائل **الطرف الثالث** في كيفية الازالة والنجاسة ان كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي اجراء الماء على جميع
مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت
والقرص واما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها الا اذا كان الشيء له رائحة فائحة يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متوالية
يقوم مقام الحت والقرص في اللون والمزيل للوسواس ان يعلم ان الاشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا
يصلي معه ولا ينبغي ان يتوصل بالاستنباطات الى تقدير النجاسات **القسم الثاني** طهارة الاحداث ومنها الوضوء والغسل
والتيمم وتقدمها الاستنجاء فنورد كيفيتها على الترتيب مع اداتها وسننها مستدئين بسبب الوضوء وحرصنا الى قضاء الحاجة **فيجب**
ان يبعد عن اعين الناظرين في الصحراء وان يستتر بشيء ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وانه لا يستقبل
وان لا يستقبل الشمس والقمر ولا يستدبرهما ولا يستقبل القبلة الا اذا كان في بناء والعدول عنها في البناء ايضا احب وان يتقي في الصحراء
مواضع الجلوس وكذا يجلس وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا في الحجر وان يتقي

الموضع الصلب ومهاب الرياح في البول استتارا من رشاشه وان يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى وان كان في بنيان يقدم رجله
اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قائما قالت عائشة من حدثكم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يبول قائما فلا
تصدقوه وقال عمر رآني النبي عليه السلام وانا ابول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما وفيه رخصة اذ روى حذيفة انه عليه السلام بال قائما فأتيته
بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال عليه السلام عامة الوسواس منه قال ابن المبارك انه ان كان الماء جاريا فلا بأس ولا
يستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الرجس النجس
والخبائث الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد النبل قبل
الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وان يعد النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وان يستبرئ من البول
بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الامر وما يحس به من بلل
فليقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر ان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعل ذلك اعني رش الماء وكان اخفهم استبراء افقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان
علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل شيء حتى الخراءة امرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان لا نستقبل القبلة لغائط
او بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك اني لأحسنها واني لأبعد الاثر واعد
المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة يكون بالبادية والاقعاء
ههنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصة ان يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس كيفية الاستنجاء يستنجي لمقعدته بثلاثة احجار فان انقى كفى والا استعمل
رابعة فان انقى والا استعمل خامسا لان الانقاء واجب والايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعدة
قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة الى المؤخرة ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة كذلك ويمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة
فيديرها حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة ومسح من المقدمة او المؤخرة اجزأه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح
الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاث مرات في ثلاثة مواضع او في ثلاثة احجار او في ثلاثة مواضع من جدار الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان
حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك
الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء
فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم
تبرز وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة للفضلات الباطنة فحد ظهوره ان يصل الماء اليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ
من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط او بالارض ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين
الماء والحجر مستحب وقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا الآية قال عليه السلام لأهل قباء ما هذه الطهارة التي
اثنى الله تعالى بها عليكم قالوا انا نجمع بين الماء والحجر كيفية الوضوء اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان افواهكم
طرق القرآن فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله تعالى في الصلاة قال عليه الصلاة
والسلام صلاة على اثر سواك افضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وقال عليه السلام لولا ان اشق على امتي لأمرتهم بالسواك عند كل
صلاة وقال عليه الصلاة والسلام ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا وعن ابن
عباس انه قال لم يزل يأمرنا بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء وقال عليه السلام عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب وقال
علي رضي الله عنه السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يروحون والسواك على آذانهم
وكيفيته ان يستاك بخشب الاراك او غيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك

عند كل صلاة وعند كل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم او طول الازم او اكل ما يكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك
يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وآله وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله عليه اي لا وضوء كاملا ويقول عند
ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء ويقول اللهم اني اسألك اليمن
والبركة واعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة الصلاة ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه
لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة الا ان يكون صائما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك
وكثرة الذكر لك ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول في الاستنشاق اللهم اوجد لي
رائحة الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لان الاستنشاق ايصال
ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسل من مبتدأ سطح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض
ولا يدخل في حد الوجه النزعتان على طرفي الجبينين فهما من الرأس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه
وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على رأس الاذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء الى
منابت الشعور الاربعة الحاجبين والشاربين والاهداب والعذارين لانها خفيفة في الغالب والعذاران هما ما يوازي الاذنين
من مبتدأ اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة
والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصابع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما
فقد روي انه عليه السلام فعل ذلك ويرجو عنده خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي
بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك ويخلل اللحية الكثة عند غسل الوجه فانه مستحب
ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء الى اعلى العضد فانهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء
كذلك ورد الخبر قال عليه السلام من استطاع ان يطيل الغرة فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمنى ويقول اللهم
اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري
ثم يستوعب رأسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤوس اصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى
المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاث مرات ويقول اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك
ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا
ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه السلام
مسح الرقبة امان من الغل يوم القيامة ويقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا
ويخلل بيده اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي
على الصراط يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل اقدام المنافقين
ويرفع الماء الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه الى السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب
الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني اذكرك كثيرا
واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له
ثواب ذلك الى يوم القيامة ويكره في الوضوء امور منها ان يزيد على الثلاث وان يسرف في الماء توضأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم واساء وقال عليه السلام سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور ويقال من وهن علم الرجل
ولوعه بالماء في الطهور وقال ابراهيم بن ادهم يقال اول ما يبتدئ الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء
يقال له الولهان ويكره ان ينفض اليدين فيرش الماء وان يتكلم في اثناء وضوئه وان يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا

الوضوء يوزن قال سعيد بن المسيب والزهري ولكن روى معاذ انه عليه السلم مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة انه كان له منشفة ولكن
طعن في هذه الرواية عن عائشة وكره ان يتوضأ من اناء صفر وان يتوضأ بالماء المشمس وذلك من جهة الطب ونقل عن ابن عمر وابي هريرة
كراهة اناء الصفر قال بعضهم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فابى ان يتوضأ منه ونقل كراهة ذلك عن ابن عمر وابي هريرة ومهما فرغ من وضوئه واقبل
على الصلوة ينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي ان يستحيي من مناجاة الله تعالى
من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب تعالى وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق المذمومة اولى واهم
على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار
وما احدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار. **فضيلة الوضوء** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من توضأ فاسبغ
الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه
وقال الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلوة
بعد الصلوة فذلكم الرباط وتوضأ صلى الله عليه وآله وسلم مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به وتوضأ مرتين مرتين
وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله اجره مرتين وتوضأ ثلثا ثلثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن ابراهيم
عليه السلم وقال عليه السلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر اسم الله لم يطهر منه الا ما اصابه الماء وقال من توضأ
على طهر كتب الله له عشر حسنات وقال الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا حث على تجديد الوضوء وقال اذا توضأ العبد المسلم فمضمض
خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار عينيه فاذا
غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت اظفار يديه فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت اظفار
رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلوته نافلة له وروي ان الطاهر كالصائم
وقال عليه السلم من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال عمر ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع ان لا
يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه. **كيفية الغسل** وهو ان يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى
ويغسل يديه ثلثا ثم يستنجي كما وصفنا ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلوة كما سبق الا غسل القدمين فانه يؤخرهما
فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان اضاعة للماء ثم يصب الماء على شقه الايمن ثلثا ثم على شقه الايسر ثلثا ثم على رأسه ثلثا ثم يدلك ما اقبل
من بدنه وما ادبر ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء الى منابت ما كثف منه او خف وليس على المرأة نقض الضفائر الا اذا علمت ان الماء
لا يصل الى خلال الشعر ويتعهد معاطف البدن ومغابنه وليتق ان يمس ذكره في اثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء وان
توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وما عداه من المسائل
يحتاج اليها في عوارض الاحوال فليرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل امران احدهما النية واستيعاب البدن بالغسل
وفي الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه اسم المسح من الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب
اما الموالاة فليست بواجبة والاغسال الواجبة اربعة الغسل بخروج المني والتقاء الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغسال
سنة كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام والوقوف بعرفة والمزدلفة ولدخول مكة ولثلثة ايام التشريق ولطواف الوداع على قول
والكافر اذا اسلم غير جنب والمجنون اذا افاق ولمن غسل ميتا والكل ذلك مستحب. **كيفية التيمم** من تعذر عليه استعمال
الماء لفقده بعد الطلب او لمانع له عن الوصول اليه من سبع او حابس او كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه او لعطش رفيقه او كان
لغيره ولم يبع منه الا باكثر من ثمن المثل او كان به جراحة او مرض وخاف من استعماله فساد العضو او شدة الضنى فينبغي ان يصبر حتى
يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب خالص طاهر لين بحيث يثور منه غبار فيضرب عليه كفيه ضاما بين اصابعه
ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عنده استباحة الصلوة ولا يكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خفت او كثفت ويجتهد ان

يستوعب بهما وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن
ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين اصابعه ثم يلصق ظهور اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز اطراف
الانامل من احدى اليدين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى الى المرفق ثم يقلب بطن
كفه اليسرى على باطن ساعده اليمنى ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظاهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين اصابعه والغرض من هذا التكلف تحصيل الاستيعاب
الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا بأس بان يستوعب بضربتين وزيادة فاذا صلى به الفرض فله ان يتنفل كيف شاء فان اراد
جمع فرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية وهكذا لكل فريضة يتيمم. **القسم الثالث من النظافة** التنظف عن الفضلات
الظاهرة وهي نوعان اوساخ واجزاء. **النوع الاول** الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية الاول ما يجتمع في شعر الرأس
من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين ازالة للشعث وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به ويقول ادهنوا غبا وقال عليه السلم من كانت له شعرة فليكرمها اي ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه
رجل ثائر الرأس اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم كأنه شيطان. **الثاني** ما يجتمع من الوسخ
في معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع
والثالث ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها الاستنشاق والاستنثار. **الرابع** ما يجتمع
على الاسنان وطرف اللسان من الوسخ ويزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما. **الخامس** ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم
يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي الحديث المشهور انه عليه السلم كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر
ولا حضر وهي سنة العرب وفي حديث غريب انه عليه السلم كان يسرح لحيته في اليوم مرتين وكان عليه السلم كث اللحية
وكذلك كان ابو بكر رضي الله عنه وكان عثمان رضي الله عنه طويل اللحية رقيقها وكان علي رضي الله عنه عريض اللحية قد ملأت ما بين
منكبيه وفي حديث اغرب منه قالت عائشة اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج اليهم فرأيته يطلع في الحب يسوي
من رأسه ولحيته فقلت او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن
ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على اخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم مأمورا
بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى في تعظيم امره في قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته في اعينهم كيلا تستصغره اعينهم
فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله تعالى وهو ان
يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور على النية فانها اعمال في انفسها تكتسب الاوصاف من المقصود
فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب
وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى
الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام
المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله تعالى وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك
يتميز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر. **السادس** وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل
كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فامرهم صلى الله عليه وآله وسلم بغسل البراجم
السابع تنظيف الرواجب امر صلى الله عليه وآله وسلم العرب بتنظيفها وهي رؤوس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا تحضرها
المقراض في كل وقت فتجتمع فيها اوساخ فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين
يوما لكنه امر بتنظيف ما تحت الاظفار وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل قال له كيف ننزل
عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر امتك بذلك والاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله عز وجل
فلا تقل لهما اف اي بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر. **الثامن** الدرن الذي يجتمع على جميع

البدن بترشح العرق ومعاونة الطبيعة فذلك فائدة الحمام ولا بأس بدخول الحمام دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمامات
الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما وقال بعضهم
بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذاك لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن
على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره أما الواجبان في عورته فهو أن يصونها
عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة وفي إباحة
مس ما ليس بسوأة لإزالة الوسخ احتمال ولكن الأقيس التحريم إذ ألحق مس السوأتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي أن يكون بقية العورة
والواجبان في عورة الغير أن يغض بصره عنها وأن ينهى عن كشفها لأن النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول
ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا لخوف ضرب أو شتم أو ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه أن ينكر منكرا يرتكب المنكر عليه
حراما آخر فأما قوله أعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع الإنكار واستشعار
الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقبيح الأمر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في
هذه الأوقات إذ لا يخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة إلى ما فوق العانة إذ الناس لا يعدونها عورة وقد ألحقها الشرع
بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا استحب تخلية الحمام قال بشر بن الحارث ما أعنف رجلا لا يملك إلا درهما دفعه ليخلي له الحمام ورئي
ابن عمر في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة
وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن بإزارين إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه وأما السنن فعشرة الأولى النية وهي أن لا يدخل
لعاجل دنيا ولا عابثا لأجل هوى بل يقصد به التنظيف المحبوب تزينا للصلاة ثم يعطي الحمامي الأجرة قبل الدخول فإن ما يستوفيه مجهول
وكذا ما ينتظره الحمامي فالأجرة قبل الدخول فإن ما يستوفيه مجهول وكذا فتسليم الأجرة دفع للجهالة من أحد العوضين وتطييب لنفسه ثم
يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل
وقت الخلوة أو يتكلف تخلية الحمام فإنه وإن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمحتاطون للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة
من قلة الحياء وهو مذكر للنظر في العورات ثم لا يخلو الإنسان في الحركات عن انكشاف العورات بانثناء في أطرافه فيقع البصر على
العورة من حيث لا يدري ولأجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الأول وأن لا
يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فإنه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لا سيما الماء الحار فله مؤنة وفيه تعب
وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه إلى جهنم فإنه أشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام
من فوق نعوذ بالله منه بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فإنها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه منها أو ماء أو غيرهما
عبرة وموعظة فإن المرء ينظر بحسب همته فإذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فإذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش
يتأمل قيمتها والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبه والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها
فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء إلا ويكون له موعظة من الآخرة بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله له طريق عبرة فإن نظر
إلى سواد ذكر به ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية ذكر به أفاعي النار وإن نظر إلى صورة قبيحة ذكر به منكرا ونكيرا والزبانية وإن سمع صوتا
هائلا ذكر به نفخة الصور وإن رأى شيئا حسنا ذكر نعيم الجنة وإن سمع كلمة رد أو قبول في سوق أو دار ذكر به ما ينكشف من آخر أمره
بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا فإذا نسب مدة المقام
في الدنيا إلى مدة المقام في الآخرة استحقرها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته ومن السنة أن لا يسلم عند الدخول وإن سلم عليه لم يجب
بلفظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب قال عافاك الله ولا بأس أن يصافح الداخل ويقول عافاك الله ولا يبتدئ بالكلام
ولا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن إلا سرا ولا بأس بإظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبا
من الغروب فإن ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلكه غيره فقد نقل عن يوسف بن أسباط أنه أوصى أن يغسله إنسان

لم يكن من أصحابه وقال إنه كان يدلكني في الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة أن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل منزلا في بعض أسفاره ونام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال
إن الناقة تقحمت بي ومهما فرغ من الحمام شكر الله على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسأل عنه وقال ابن
عمر الحمام من النعيم الذي أحدثوا هذا من جهة الشرع أما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة أمان من الجذام وقيل النورة في
كل شهر مرة تطفئ المرارة وتنقي اللون وتزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام قائما في الشتاء أنفع من شربة دواء وقيل نومة في الصيف بعد
الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج
وكذا شربه هذا حكم الرجال أما النساء فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم
والمشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر وحرام على المرأة دخول الحمام إلا نفساء أو مريضة ودخلت عائشة رضي الله عنها حماما
من سقم بها فإذا دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بمئزر سابغ ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه **النوع الثاني**
ما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية الأول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهن ويترجل إلا إذا
تركه قزعا أعني أن يحلق بعضه ويترك بعضه وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم فإنه إذا لم يكن شريفا كان
ذلك تلبيسا الثاني شعر الشارب وقد قال عليه السلام قصوا الشارب وفي لفظ آخر قصوا الشوارب وفي لفظ حفوا الشوارب وأعفوا اللحى
أي اجعلوها حفاف الشفة أي حولها وحفاف الشيء حوله ومنه قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشعر
بالاستئصال وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال الله تعالى إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا أي يستقص عليكم وأما الحلق فلم يرد والإحفاء
القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعضهم إلى رجل أحفى شاربه فقال ذكرتني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وقال المغيرة بن شعبة نظر إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك ولا بأس
بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لأن ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه وقوله عليه السلام
أعفوا اللحى أي كثروها وفي الخبر أن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة الثالث شعر الإبط
ويستحب نتفه في كل أربعين يوما وذلك سهل على من تعوده في الابتداء فأما من تعود الحلق فيكفيه الحلق إذ في النتف تعذيب وإيلام
والمقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق الرابع شعر العانة ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة
ولا ينبغي أن يتأخر عن أربعين يوما الخامس الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا هريرة قلم أظفارك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء
لأنه لا يمنع وصول الماء ولأنه يتساهل فيه للحاجة لا سيما في أظفار الرجل ودقائق الأوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدي
للعرب وأهل السواد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرهم بالتقليم وينكر ما تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم بإعادة
الصلاة ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم أر في الكتب خبرا مرويا في ترتيب تقليم الأظفار ولكن سمعت
أنه روي أنه عليه السلام بدأ بمسبحة اليمنى وختم بإبهام اليمنى وابتدأ في اليسرى بالخنصر إلى الإبهام وفي اليمنى من المسبحة إلى الخنصر وختم
بإبهام اليمنى ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما دل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة وأما
العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبط من النقل بعد نقل الفعل إليه والذي لاح لي فيه والعلم عند الله سبحانه أنه لا بد من تقليم أظفار الرجل
واليد واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هي المشيرة
في كلمتي الشهادة من جملة الأصابع ثم بعدها ينبغي أن يبتدأ بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمين وإن وضعت
ظهر اليد على الأرض فالإبهام هي اليمنى وإن وضعت الكف فالوسطى هي اليمنى واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض
إذ جهة حركة اليمنى إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما اقتضاه الطبع أولى ثم إذا وضعت الكف على الكف
صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيستحق ترتيب الدور الذهاب من يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فيقع الابتداء بالخنصر اليسرى

وإبهامها ويبقى إبهام اليمنى وإنما قدرت الكف موضوعا على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك
أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فإن ذلك لا يقتضيه الطبع وأما أصابع الرجل فالأولى عندي
إن لم يثبت فيها نقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فإن المعاني التي ذكرناها لا تتجه ههنا إذ لا مسبحة في الرجل وهذه
الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبتدأ من جانب اليمين فإن تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص لا يقتضيه الطبع بخلاف اليدين
وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة وإنما يطول التعب علينا لو سئلنا ابتداء عن الحكم ثم إذا ذكر لنا فعله صلى الله عليه وآله
وسلم وتيسر لنا بإعانته عليه السلام وشهادته على الحكم استنباط المعنى ولا تظنن أن أفعاله عليه السلام في جميع
حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام لا يتقدم على
واحد منها بالاتفاق بل بمعنى يقتضي الإقدام والتقديم فإن الاسترسال مهملا كيف اتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني
سجية أولياء الله وكلما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال أبعد كان قربه من الأنبياء والملائكة
أكثر وكان قربه من الله تعالى أقرب والقريب من النبي وهو قريب من الله تعالى لا بد وأن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى
غيره فنعوذ بالله أن يكون تمام أمرنا في حركاتنا وسكناتنا في ناصية الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات بالكحل عليه السلام
أنه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين فبدأ باليمنى لشرفها والتفاوت بين العينين لتكون الجملة وترا فإن للوتر فضلا
على الشفع فإن الله تعالى وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من أوصاف الرب تعالى ولذلك استحب
الإيتار في الاستجمار وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان
بالكحل وإنما خص اليمنى بالثلاث لأن التفضيل لا بد منه للإيثار واليمنى أفضل فهي بالزيادة أحق وإن قلت لم يقتصر على اثنين في اليمنى
وهو شفع فذلك لضرورة إذ لو جعل لكل واحدة وترا لكان المجموع شفعا إذ الوتر مع الوتر شفع ورعاية الإيتار في مجموع الفعل وهو في
حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته في الآحاد ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء فقد نقل ذلك في الصحيح
وهو الأولى ولو ذهبت أستقصي دقائق ما راعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حركاته لطال الأمر فقس بما سمعته ما لم تسمعه واعلم
أن العالم لا يكون وارثا للنبي عليه السلام إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي إلا درجة واحدة وهي درجة النبوة وهي
الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث إذ الموروث هو الذي حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم
يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار
لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها اقتباسا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء السادسة
والسابعة زيادة السرة وقلفة الحشفة أما السرة فتقطع في أول الولادة وأما التطهير بالختان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة
ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال صلى الله عليه وآله وسلم الختان سنة للرجال مكرمة للنساء وينبغي أن لا
يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وآله وسلم لأم عطية وكانت تخفض يا أم عطية أشمي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى
عند الزوج أي أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه في الكناية وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي
أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمي من هذا الأمر ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان
من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته بين مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وآله وسلم الثامنة ما طال من اللحية
وإنما أخرناها لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع لذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل إن قبض الرجل
على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن
وقتادة وقالوا تركها عافية أحب لقوله عليه السلام أعفوا اللحى والأمر في هذا قريب إذا لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها
من الجوانب فإن الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنسبة إليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال
النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فإن التوسط في كل شيء حسن ولذلك قيل كلما طالت

اللحية [illegible] وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد من بعض وخضابها
بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لأجل الرياء وتركها شعثة إظهارا
للزهد والنظر إلى سوادها عجبا بالشباب وإلى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين أما
الأولى وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه قال عليه السلام خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد
بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب أهل النار وفي لفظ آخر الخضاب بالسواد
خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة
إلى عمر فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال أول من خضب بالسواد فرعون وعن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة الثانية
الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق
والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لا بأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة الثالث
تبييضها بالكبريت استعجالا لإظهار علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا على
الشباب وتظاهرا بكثرة العلم ظنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة
لا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر يقدم ابن عباس وهو
حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس ما آتى الله تعالى عبدا علما إلا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم وقوله تعالى إنهم فتية آمنوا بربهم وقوله وآتيناه الحكم صبيا وكان أنس يقول قبض رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة فهو شيخ فقال لم يشنه الله تعالى بالشيب فقيل
أو شين هو قال كلكم يكرهه ويقال إن يحيى بن أكثم ولي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخجله
بصغر سنه كم سن القاضي أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إمارة مكة وقضاءها فأفحمه
وروي عن مالك أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فإن التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة
عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية بن عبد شمس قال أيوب السختياني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه
وقال علي بن الحسين من سبق إليه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سنا منك وقيل لأبي عمرو بن العلاء أيحسن بالشيخ أن يتعلم
من الصغير قال إن كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل ورآه يمشي خلف بغلة الشافعي يا أبا عبد الله
تركت حديث سفيان بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر إن علم سفيان إذا فاتني
بعلو أدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلو ولا نزول الرابع نتفها أو نتف بياضها استنكافا من الشيب وقد نهى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ما سبق والشيب نور
الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه وهو مشوه للخلقة ونتف
الفنيكين بدعة وقد شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب وابن أبي
ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته وأما نتفها في أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فإن اللحية زينة الرجال
ولله ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى وهي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب التأويل اللحية هي المراد
بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال أصحاب الأحنف وددنا أنا نشتري للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضي وددت
أن لي لحية بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه
والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فإن من يشتم يعرض باللحية إذا كان للمشتوم لحية وقيل إن أهل الجنة مرد إلا هارون أخا موسى

بان لحيته الى سرته تفضيلا لذلك وتشبيها السادس نتفها كالتشبه بطايفة قدماء الطالبين للتشبه بالنسا والخنثى والتشبيه بالسل
كتب يكون في آخر الزمان اقوام يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رايحة الجنة لا اخلاق لهم الحدادة والزيادة
منها وهو ان يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الراس حتى يجاوز نصف اللحي او ينقص منها شعر الفتح بها من
هيئة اهل الصلاح الثامن تسريحها لاجل الناس قال بشر في اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها متشعثة لاظهار
الزهد التاسع والعاشر النظر الى سوادها او بياضها بعين التعجب وذلك مذموم في جميع اجزا البدن بل في جميع الاخلاق والافعال على
ما سياتي بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع التزين والنظافة وقد حصل منه اثنا عشر خصلة من سنن الجسد اربعة في
الراس تسريح الراس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلاث في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجم وتنظيف
الرواجب واربع في الجسد وهي نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجا بالماء فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك واذا اذن في
هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولنحيل تفصيلات الباطن واوساخها الى ربع المهلكات
فان اكثر من ان نحصيه ها هنا فتفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شا الله تعالى والله اعلم

كتاب اسرار الصلوة ومهماتها وهو الكتاب الرابع من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي غمر العباد بلطايفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظايفه الذي التنزل عن عرش الجلال
الى السما الدنيا من درجات الرحمة احدى عواطفه فارق الملوك مع التوحد بالجلال والكبريا بترغيب الخلق في السؤال والدعا وقال
هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب ورخص للعباد في المناجاة بالصلوات
كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفا الملوك لا يسمح
بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما اعظم شانه واقوى سلطانه واتم لطفه واعم احسانه والصلوة والسلام على محمد
نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما اما بعد فان الصلوة عماد الدين وعصام
اليقين وراس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين
محض العناية الى تفاريعها النادرة ووقايعها الشاذة لتكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعولا له اليه يفزع ويرجع ونحن الان في
هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقايق معانيها الخفية في معاني الخشوع
والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها في الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة ابواب

الباب الاول في فضايل الصلوات	**الباب** الثاني في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلوة
الباب الثالث في تفصيل الاعمال الباطنة من الصلوة	**الباب** الرابع في الامامة والقدوة
الباب الخامس في صلوة الجماعة وآدابها	**الباب** السادس في مسايل متفرقة تعم بها البلوى
الباب السابع في التطوعات	**الباب** الاول

في فضايل السجود والصلوات والجماعة والاذان وغيرها **فضيلة الاذان** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القرآن ابتغا وجه الله وام
بقوم وهم به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا الى الله ابتغا لوجه الله ورجل ابتلي بالرق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة
وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شي الا شهد له يوم القيمة وقال عليه السلام يد الرحمن على راس المؤذن

حتى يفرغ من اذانه وقيل في تفسير قوله عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت في المؤذنين وقال عليه السلام اذا سمعتم النداء فقولوا
مثل ما يقول المؤذن وذلك مستحب في الترتيل الا في الحيعلتين فانه يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله وفي قوله قد قامت الصلوة اقامها
الله وادامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب صدقت وبررت وعند الفراغ من المؤذن اللهم رب هذه الدعوة التامة و
الصلوة القايمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة
صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان اذن واقام صلى وراه امثال الجبال من الملايكة **فضيلة المكتوبة** قال الله تعالى
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وآله وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جا بهن ولم يضيع
منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شا عذبه وان شا ادخله
الجنة وقال عليه السلام مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من
درنه قالوا لا شي قال فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الما الدرن وقال ايضا ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنب
الكباير وقال بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال من لقي الله وهو مضيع الصلوة لم يعبا الله
بشي من حسناته وقال الصلوة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسئل اي الاعمال افضل فقال الصلوة لمواقيتها وقال من
حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال مفتاح الجنة الصلوة
وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلوة ولو كان شي احب اليه منها لتعبد به ملايكته فمنهم راكع وساجد وقايم
وقاعد وقال من ترك صلوة متعمدا فقد كفر اي قارب ان ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلد
انه بلغها ودخلها وقال عليه السلام من ترك صلوة متعمدا فقد بري من ذمة محمد وقال ابو هريرة من توضا فاحسن وضوه
ثم خرج عامدا الى الصلوة فانه في صلوة ما كان يعمد الى الصلوة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سيية فاذا
سمع احدكم الاقامة فلا يسع فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطى ويروى ان اول ما ينظر فيه يوم
القيمة من عمل العبد الصلوة فان وجدت تامة قبلت منه وساير عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وساير عمله وقال عليه السلام
يا ابا هريرة مر اهلك بالصلوة فان الله ياتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلما مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح
حتى يخلص له راس المال كذلك المصلي لا تقبل له نافلته حتى يودي الفريضة وكان ابو بكر يقول اذا حضرت الصلوة قوموا الى ناركم التي
اوقدتموها فاطفيوها **فضيلة اتمام الاركان** قال صلى الله عليه وآله وسلم مثل الصلوة المكتوبة كمثل الميزان من
اوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستوية كانها موزونة وقال عليه السلام ان
الرجلين من امتي ليقومان الى الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلوتيهما ما بين السما والارض واشار الى الخشوع وقال عليه
السلام لا ينظر الله يوم القيمة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وآله وسلم اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة
ان يحول الله وجهه وجه حمار وقال ايضا من صلى الصلوة لوقتها واسبغ وضوها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضا
مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سودا مظلمة
تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شا الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال عليه السلام اسوا
الناس سرقة من يسرق من صلوته وقال ابن مسعود وسلمان الصلوة مكيال فمن اوفى وفي له ومن طفف فقد علم ما قال الله تعالى في
المطففين **فضيلة الجماعة** قال صلى الله عليه وآله وسلم صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى
ابو هريرة انه عليه السلام فقد ناسا في بعض الصلوات فقال لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها
فاحرق عليهم بيوتهم وفي رواية ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلوة العشا وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا من شهد
العشا فكانما قام نصف الليل ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من صلى صلوة في جماعة فقد ملا نحره
عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلثة

اخا ان تعوجت اقامني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروي ان ابا عبيدة بن الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي آنفا حتى رأيت ان لي فضلا على غيري لا اؤم ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني ابو اسحاق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني اكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع المنادي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان تملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لا يجيبه وروي ان ميمون بن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة احب الي من ولاية العراق وقال عليه السلام من صلى اربعين يوما الصلوات في جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة ما اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون بعد السؤال كنا نسمع الاذان في المسجد ثم تحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت وروي ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

فضيلة السجود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تقرب العبد الى الله تعالى بشيء افضل من سجود خفي وقال ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط بها عنه خطيئة وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادع الله ان يجعلني من اهل شفاعتك وان يرزقني مرافقتك في الجنة فقال اعني بكثرة السجود وقيل اقرب ما يكون العبد الى الله ان يكون ساجدا وهو معنى قوله تعالى واسجد واقترب وقال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من اثر الوضوء وقال عليه السلام اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت انا بالسجود فعصيت فلي النار ويروى عن علي بن عبد الله انه كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب بادروا الى الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله من رجل يحب لقاء الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله اذا سجد فاكثروا الدعاء عند ذلك

فضيلة الخشوع قال الله تعالى واقم الصلاة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقيل ان المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال تعالى حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب خمرا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال عليه السلام انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروي عن الله تعالى في الكتب السالفة انه قال ليس كل مصل اتقبل صلاته انما اتقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على واطعم الفقير الجائع لوجهي وقال عليه السلام انما فرضت الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال عليه السلام اذا صليت فصل صلاة مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائرا الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال عليه السلام من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل له كيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله وقال عليه السلام لا ينظر الله تعالى الى الصلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث بالحصى وقيل لخلف بن ايوب الا يؤذيك الذباب في الصلاة فتطردها فقال لا اعود نفسي شيئا يفسد علي صلاتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون تحت اسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فانا قائم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة ويروى عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلاة قال لاهله تحدثوا انتم فلست اسمعكم ويروى عنه انه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملتها ويروى عن علي بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم ويروى عن ابن عباس انه قال قال داود الهي من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة فاوحى الله تعالى اليه يا داود انما يسكن بيتي واتقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي يطعم الجائع ويؤوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السماء كالشمس ان دعاني لبيته وان سألني اعطيته اجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في اعلى الجنان لا تيبس انهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الاصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلاة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى صلاتي واجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت ورائي اظنها آخر صلاتي ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبر تكبيرا بتحقيق واقرأ قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك الايسر وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

فضيلة المسجد وموضع الصلاة قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال من الف المسجد الفه الله تعالى وقال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد وقال الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من المسجد وقال يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وقال اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما حقه ان يقول الا خيرا ويروى في الاثر او الخبر الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة موجب للجنة وقال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال انس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله تعالى الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض وقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم

الباب الثاني في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان وستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قائما مستقبلا القبلة ويراوح بين قدميه ولا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى عليه السلام عن الصفن والصفد في الصلاة فالصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله

الصافنات الجياد وبهذا مما يراعى فى رجله عند القيام ويراعى فى ركبتيه [illegible]
وان شاء فرق [illegible] اقرب الى الخشوع [illegible]
[illegible]
على هذا القيام كذلك الركوع [illegible] فاذا استوى قيامه واستقباله والمراقبة [illegible]
تحصنا من الشيطان ثم ليأت بالاقامة وان كان يرجو حضور من [illegible]
[illegible]
[illegible]
يحاذى بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع [illegible]
[illegible] ثم يضع اليدين على ما فوق السرة [illegible]
ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى [illegible] والوسطى من اليمنى على طول الساعد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وضع اليمنى على الشمال بعد الارسال وفى بعض الروايات انه عليه السلام كان اذا كبر [illegible]
من وضع اليمين على الشمال [illegible] واما التكبير فينبغى [illegible]
[illegible]
[illegible] الاستفتاح [illegible] الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض الآية ثم يقرأ ان صلاتى ونسكى الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك [illegible] ولا اله غيرك [illegible]
[illegible] ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة [illegible] فى الصبح والمغرب والعشاء [illegible]
ويقول آمين فى آخر الفاتحة [illegible]
[illegible] ثم يقرأ السورة او قدر ثلث آيات من القرآن فما فوقها [illegible]
[illegible] فى الصبح من السور الطوال من المفصل وفى المغرب [illegible]
والعشاء [illegible] والسماء ذات البروج [illegible]
[illegible] قل هو الله احد [illegible]
[illegible] ثم يركع [illegible] تكبيرة الركوع [illegible] الى الركوع وان يضع
راحتيه على ركبتيه فى الركوع واصابعه [illegible] موجهة نحو القبلة على طول الساق [illegible]
[illegible]
وان يقول سبحان ربى العظيم ثلثا والزيادة الى السبع والى العشر حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول
سمع الله لمن حمده [illegible] ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شىء بعد [illegible]
[illegible] فى الصبح فى الركعة الاخيرة بالكلمات المأثورة [illegible] ثم يهوى الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] ثم يرفع من السجود [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ويصلى الركعة الثانية كالاولى [illegible]
[illegible] ويصلى على رسول الله وعلى آله [illegible] ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى [illegible]
[illegible] لا اله الا الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] السلام عليكم ورحمة الله [illegible]
[illegible]

المنهيات

[illegible] نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلوة عن الصفن
والصفد [illegible] وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلوة الحاقن والحاقب
والحازق [illegible] صلوة الجائع والغضبان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
واما الكف [illegible]
[illegible]
واما الاختصار [illegible] واما الصلب [illegible] واما المواصلة
[illegible] تكبيرة الاحرام [illegible] تكبيرة الاحرام [illegible]
[illegible] واما الحاقن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

تمييز الفرائض والسنن

[illegible]

سنن انه يرى... لا يجب جميعها والفرض منها اثنا عشر خصلة النية وقوله الله اكبر والقيام والفاتحة والانحنا في الركوع الى
ان تنال راحتاه ركبتيه مع الطمانينة والاعتدال عنه قايما والسجود مع الطمانينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال فيه ناقصا والجلوس للتشهد
الاخير والتشهد الاخير والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام الاول فاما نية الخروج فلا تجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيآت فيها
وفي الفرايض اما السنن فمن الافعال اربع رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد الاول
واما ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها فهي هيآت تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيئة تابعة للجلسة والاطراق وترك
الالتفات هيئة القيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصول السنن في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الانتقال
من السجود الى القيام وانها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم تفرد بذكر واما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله
آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول والصلوة
فيه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله ثم الدعاء في آخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية وانا جمعناها في اسم السنة فلها درجات
متفاوتة اذ تجبر منها بالسجود للسهو بعضه اما من الافعال فواحدة وهي الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها موثرة في ترتيب
نظم الصلوة في عين الناظر حتى يعرف بها انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يوثر في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل
الابعاض تجبر بالسجود واما الاذكار فكلها لا تقتضي سجود السهو الا ثلثة القنوت والتشهد الاول والصلوة على رسول الله فيه بخلاف تكبيرات
الانتقالات واذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة
مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا يغير صورة العبادة واما الجلسة للتشهد الاول فهو فعل معتاد
وما زيدت الا للتشهد فتركه ظاهر التاثير واما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يوثر مع ان القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة
وكذلك الدعاء في التشهد الاخير والقنوت ابعد ما يجبر بالسجود ولكنه شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ
صارت بالمد مع جلسة التشهد ولبقي قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي
خلو عن ذكر واجب احتراز عن اصل القيام في الصلوة فان قلت تمييز السنن عن الفرايض معقول اذ تفوت الصحة بفوات الفرض دون
السنة ويتوجه العقاب به دونها فاما تمييز سنة عن سنة والكل مامور على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب يرجى
على الكل فما معناه فاعلم ان اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يدفع تفاوتها ويكشف ذلك مثال وهو ان الانسان لا يكون
انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن واعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر اجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضاء
ينعدم الانسان بعدمه كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت به الحياة ولكن تفوت به مقاصد
الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا تفوت به الحياة ولا مقاصدها ولكن تفوت به الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب و
حسن اللون وبعضها لا يفوت به اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض
في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور
القلب والاخلاص كما سياتي ونحن الآن في اجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وساير الاركان تجري منها مجرى القلب وساير
الاركان تجري منها مجرى القلب والراس والكبد اذ تفوت وجود الصلوة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح
والتشهد الاول تجري منها مجرى العينين واليدين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير
الشخص بسببها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على اقل ما يجزي من الصلوة كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا
حيا مقطوع الاطراف واما الهيآت وهي ما وراء السنن فتجري مجرى اسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون واما وظايف
الاداب في تلك السنن فهي مكملات الحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلوة عندك قربة وتحفة تتقرب
بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك في يوم العرض الاكبر
فاليك الخيرة في تحسين صورتها او تقبيحها فان احسنت فلنفسك وان اسات فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه ان يتميز لك

السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقء العين لا يبطل
وجود الانسان ولكن يخرجه من ان يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان اذا اخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي ان تفهم
مراتب السنن والهيآت والاداب فكل صلوة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما
ضيعتني فطالع الاخبار التي اوردناها في كمال اركان الصلوة ليظهر لك وقعها

الباب الثاني

في الشروط الباطنة من اعمال القلب ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلوة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها
واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من الصلوة لتكون صالحة لزاد الاخرة

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى واقم الصلوة لذكري وظاهر الامر الوجوب والغفلة تضاد للذكر
فمن غفل في جميع صلوته كيف يكون مقيما للصلوة لذكره وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم وقوله حتى تعلموا ما تقولون
تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا وقوله عليه السلام انما الصلوة تمسكن وتواضع حصر
بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفي وقوله عليه السلام
من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا وصلوة الغافل لا تمنعه من الفحشاء وقال عليه السلام كم قائم حظه من صلوته
الا ما عقل والتحقيق فيه ان المصلي مناج ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الزكوة ان غفل الانسان
عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذي هو آلة الشيطان
عدو الله فلا يبعد ان يحصل بهما مقصود مع الغفلة وكذا الحج افعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلاء كان القلب
حاضرا مع افعاله او لم يكن اما الصلوة فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فانه محاورة ومناجاة
مع الله فاما ان يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة او المقصود الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة
والفرج بالامساك في الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكوة واقتطاع المال المعشوق ولا شك
في ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث
انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاي سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم
اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاي مشقة في حركة اللسان مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار بل
اقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا واثني عليه واساله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم
لم يبر في يمينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا
ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا في قلبه فلو كان تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق
الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا شك في ان المقصود من القراءة والاذكار
الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب
ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان
به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل الى انكارها في النطق وتمييزها عن الفعل واما الركوع والسجود فالمقصود
التعظيم بهما قطعا ولو جاز ان يكون معظما لله بفعله وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه
او يكون معظما للحائط الذي بين يديه وهو غافل عنه واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد
به الامتحان ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وساير العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص
وما ارى ان هذه العظمة كلها للصلوة من حيث اعمالها الظاهرة الا ان يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكوة
والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة النفس بتنقيص المال قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم اي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الاوامر هي المطلوبة فكيف الامر في الصلوة ولا ارب في افعالها

فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فإن قلت إن حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها
خالفت إجماع الفقهاء فإنهم لم يشترطوا حضور القلب إلا عند التكبير فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن
ولا يشقون عن القلوب ولا يطلع لهم على ما فيها ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال
كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع فقد نقل
عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكي عن سفيان الثوري أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروي عن الحسن أنه قال كل
صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له
وروي أيضا مسندا وقال عليه السلام إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل
منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا
ما عقل منها فجعله إجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع إلى أدلة
الشرع والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط
على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلون وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد
له إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك
نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة وكيف
لا والذي صلى مع الحدث ناسيا فصلاته عند الله باطلة ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء
فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك فكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من
الذي يعرض عن الخدمة وإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطرا في نفسه فإليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع
هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة
علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب
المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فإن فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة
وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به رمق
الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة وكم من حي لا حراك به قريب من
ميت فصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير كمثل حي لا حراك به **بيان** المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة اعلم أن هذه المعاني
تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها
ثم العلاج في اكتسابها أما التفاصيل فالأول حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم
بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه
غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون
حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت فيه الناس إذ ليس يشترك
الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في أثناء صلاته ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا
الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فإنها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور
القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم أمر زائد عليهما وأما الهيبة
فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري
مجراه من الأسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدره الإجلال وأما الرجاء
فلا شك أنه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب

الله كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم
والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب وأما أسباب هذه المعاني الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة
فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهمك ومهما أهمك أمر حضر القلب شاء أم أبى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلاة
لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى
الصلاة والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة
وسيلة إليها فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعهما حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلة
يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده
الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أن له سببا سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان وطريقه يستقصى في غير
هذا الموضع وأما التفهم فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب
مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعني النزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب
الخواطر إليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك
ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر وأما التعظيم فهو حالة للقلب تتولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله وعظمته
وهي من أصول الإيمان فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من
المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله تعالى فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم
حالة التعظيم والخشوع فإن المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله
لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله
وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء
والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية
والهيبة وسيأتي أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه
ومعرفة صدقه في وعد الجنة بالصلاة فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة وأما الحياء فباستشعاره
التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله تعالى ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث
دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بأنه مطلع على السريرة وخطرات القلب وإن
دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله
فعلاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان واليقين أعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى
كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة
رضي الله عنها كان عليه السلام يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى
يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك
وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي أنه أوحى إليه قل لعصاة أمتك لا يذكروني
فإني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته فإذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان
وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة وإلى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة
بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة في المسجد اجتمع الناس
عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجيب قلب إبراهيم عليه السلام كان يسمع على ميلين وجماعة كانت
تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد في همم الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم

وحماسة الحظوظ الحاصلة لهم حتى يدخل الرجل على ملك او وزير ويحدثه بمهمه ويخرج ولو سئل عمن حواليه او عن ثوب الملك لما
قدر على الاخبار عنه لاشتغال همه عن ثوبه والحاضرين حوله فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه ولكل
درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خشيته وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله تعالى القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك
قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثال هيئتهم في الصلوة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق
فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في
الدار الآخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم بيان الدواء النافع في حضور القلب اعلم ان المومن لا بد وان يكون معظما لله تعالى
وخائفا له وراجيا اليه ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها
في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة
الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشي الا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الخواطر اما ان يكون
امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر
منه الفكرة الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت
همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي في بيت
مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلوته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع
وفي المواضع المنقوشة المصبوغة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود
ليكون ذلك اجمع للهم والاقويا كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلوة في
ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه واما الاسباب
الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر
لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه في الصلوة ويشغلها به عن غيره ويعينه على
ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله وهول المطلع ويفرغ
قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان بن
شيبة اني نسيت ان اقول لك ان تخمر القدر الذي في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شي يشغل الناس عن صلوتهم فهذا طريق تسكين
الافكار فان كان لا يسكن هائج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهي
ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمات بشهواته فيعاقب
نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه
من اخراجه فيتخلص منه باخراجه كما روي انه عليه السلم لما لبس الخميصة التي اتاه بها ابو جهم وعليها علم وصلى نزع بعد صلوته وقال
اذهبوا بها الى ابي جهم فانها الهتني آنفا عن صلوتي وائتوني بانبجانية ابي جهم وامر صلى الله عليه وآله وسلم بتجديد شراك
نعله ثم نظر اليه في الصلوة اذ كان جديدا وامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان عليه السلم قد احتذى نعلا فاعجبه
حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا ان يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين
فلبسهما وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني نظرة اليه ونظرة اليكم وروي ان ابا طلحة
صلى في حائط له فيه شجر فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت وعن رجل آخر انه صلى في حائط والنخل مطوقة
بثمرها فنظر اليها فاعجبته فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان ثم قال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمان بخمسين الفا فكانوا يفعلون
ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره فاما ما

ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة
فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلوتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة اراد
ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى
التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرعت
اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب
كلما ذب آب ولاجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس
كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شي منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها
على الآخرة فلا يطمعن في ان تصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه
فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب
الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا
يحدثون فيهما انفسهم بامور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او ثلثها من الوسواس لنكون ممن
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه
من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلوة فنقول
حقك ان كنت من المريدين للآخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التي في شروط الصلوة واركانها اما الشروط السوابق فهي
الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء
يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر
فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه ياتيك النداء بالبشرى والفوز
يوم القضاء ولذلك قال عليه السلم ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه فيها واما الطهارة فاذا اتيت بها في
مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهي غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك
وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل وطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك واما
ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رايك في عورات باطنك
وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها الا ربك فاحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله ساتر
وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتذل بها نفسك ويستكين
تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسي الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الخوف و
الحياء واما استقبال القبلة فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى افترى ان صرف القلب عن سائر
الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها
بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن
وجه الله تعالى فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله
تعالى الا بالتفرغ عما سوى الله وقد قال عليه السلم اذا قام العبد الى صلوته وكان هواه ووجهه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته
امه واما الاعتدال قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله تعالى فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا
مطاطيا مستكينا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر وليكن
على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله في هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله تعالى وهو مطلع
عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل تقدر في دوام قيامك في الصلوة انك ملحوظ

وهو يترقب بين يديه كالتي من رجل صالح من اهلك ممن ترغب في ان يعرفك بالصلاح فانه تهدا عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك
وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك بالتماسك
عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها انك تدعين معرفة الله تعالى وحبه افلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من
عباده او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان تخشاه ولذلك لما قال ابو هريرة كيف الحياء من الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم تستحيي منه
كما تستحيي من الرجل الصالح من اهلك واما النية فاعزم على اجابة الله تعالى في امتثال امره بالصلاة واتمامها والكف عن نواقضها
ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله تعالى رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا المنة منه باذنه اياك في المناجاة
مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق
جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك
وان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه
صلى الله عليه رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان
يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن
بكرم الله تعالى وعفوه واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه
وجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله تعالى يتقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي
تتوجه به الى فاطر السموات فانظر اليه امتوجه هو الى امانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل على فاطر السموات واياك
ان يكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان
عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون
من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد في ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من
المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه الآية نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله تعالى وحمد الناس
فكن مستشعرا حذرا من هذا الشرك واستشعر الخجل في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك
يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه و
غضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله تعالى حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم
يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله لا بمجرد قولك فان من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله
فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان وكذلك من يتبع الشهوات التي هي
محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله تعالى عن شر الشيطان وحصنه
لا اله الا الله اذ قال الله تعالى فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فاما من اتخذ
الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الرحمن واعلم ان من مكائده ان يشغلك في الصلاة بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات
ليمنعك عن فهم ما تقرا فاعلم ان كل ما يشغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها واما
القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة
اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم
القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به
التبرك لابتداء القراءة بكلام الله تعالى وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور
بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكر لا من حيث

انه مسخر من الله تعالى ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح
لك رحمته فينبعث بها رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف
فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك
واياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو
حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله ومن التحميد ومن اظهار
الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا
الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهادا بالذين افاض عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين
ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان تكون ممن قال الله فيهم فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قسمت
الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله تعالى حمدني عبدي
واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى آخره فان لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله فناهيك به
غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرا من السور كما سياتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن امره
ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد
والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء وروي ان زرارة بن اوفى
لما انتهى الى قوله تعالى فاذا نقر في الناقور خر ميتا وكان ابراهيم اذا سمع قوله تعالى اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال
عبد الله بن واقد رايت ابن عمر يصلي مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر
وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب
فيها تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك
ايسر للتامل ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتمجيد والتعظيم كان النخعي اذا مر بمثل قوله تعالى
ما اتخذ الله من ولد يخفض صوته كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء ويقال لصاحب القرآن اقرا وارق ورتل كما كنت
ترتل في الدنيا واما دوام القيام فانه تنبيه على اقامة القلب مع الله تعالى على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما تجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات
الى غير الصلاة فاذا التفت الى غيره فذكره باطلاع الله تعالى عليك وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع
القلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وآله وسلم
وقد راى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي
والرعية وهي القلب والجوارح وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كانه وتد وابن الزبير كانه عود وبعضهم كان
يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي
ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا وتضطرب اطرافه بين يدي الله وذلك لقصور عن
معرفة جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره قال عكرمة في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال قيامه
وركوعه وسجوده وجلوسه واما الركوع والسجود فينبغي ان تجدد عنده ذكر كبرياء الله تعالى وترفع يديك مستجيرا بعفو الله تعالى من
عقابه ومتبعا لسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر
ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل
عظيم وتكرره على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا انه راحم لك وتؤكد الرجاء في نفسك بقولك
سمع الله لمن حمده اي اجاب لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض ثم

هوى الى السجود يهوا على درجات الاستكانة فمكّن اعزّ اعضائك وهو الوجه من اذلّ الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل
حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع وادلّ على الذلّ واذا وضعت نفسك موضع الذلّ فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت
الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى واكّده بالتكرار فان
الكرّة الواحدة ضعيفة الاثر فاذا رقّ قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذلّ
لا الى التكبّر والبطر وارفع راسك مكبّرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم واكّد التواضع بالتكرار
وعد الى السجود ثانيا كذلك واذا جلست للتشهد فاجلس متأدبا وصرّح بان جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات اي الاخلاق
الطاهرة لله تعالى وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك
ايها النبي وليصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمّل ان يرد الله
سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد عليه السلام بالرسالة مجددا عهد الله باعادة كلمتي الشهادة و
مستأنفا للتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة
واشرك في دعائك ابويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به واستشعر شكر الله
على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهّم انك مودّع لصلاتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها قال صلى الله عليه وآله وسلم صلّ صلاة مودّع
ثم اشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة وخف ان لا تقبل صلاتك وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فترد صلاتك
في وجهك وترجو مع ذلك ان يقبلها بفضله وكرمه كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة
وكان ابراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم
دائمون والذين هم يناجون على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذي تيسّر له منها ينبغي ان
يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسّر وفي مداواة ذلك ينبغي ان يجتهد واما صلاة الغافلين فانها مخطرة الا ان يتغمده الله برحمته و
الرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله تعالى ان يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام
بطاعته واعلم ان تخليص الصلاة من الآفات واخلاصها لوجه الله تعالى واداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم
والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار
الربوبية انما يكاشفون في الصلاة لا سيما في السجود اذ يتقرب العبد بالسجود ولذلك قال تعالى واسجد واقترب وانما يكون مكاشفة كل
مصلّ على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء
بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله كما كشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها
ويختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله ولبعضهم من افعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة
ويكون لتعيين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدّها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شيء معيّن كان ذلك
اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تترآى الا في المرآة الصقيلة وكانت المرايا كلها صدية فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل
من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم على مصب الهداية تسارعت الالسن الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر
ولو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود انسان في متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ربما انكر ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت
السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة
الاطوار دون انكار النبوة وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة
المشوشة ولم يطلبوه من تصفية القلب عما سوى الله فقدوه فانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يؤمن بالغيب و
يصدق به الى ان يشاهد بالتجربة ففي الخبر ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله تعالى الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه
وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان

السماء الى مفرق راسه وينادي مناد لو علم المصلي من يناجي ما التفت وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهي ملائكته بعبده
المصلي ففتح ابواب السماء ومباهاة الله ملائكته ومواجهة الله اياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التوراة
مكتوب يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال فكنا نرى ان
تلك الرقة والبكاء والفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له
الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة
آلاف ويباهي الله به مائة الف ملك وذلك ان العبد قد جمع في الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق الله ذلك على اربعين الف
ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيمة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيمة وهكذا الراكعون والقاعدون فان ما رزق الله
الملائكة من القربة والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص ولذلك قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان
الملائكة في الترقي من درجة الى درجة فانه لا يزال يتقرب الى الله تعالى فيستفيد مزيدا وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد
الا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها لا يستكبرون ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا
يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان
بصلوة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة ايضا فقال في آخرها والذين هم على صلواتهم يحافظون ثم قال في
ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس آخرا
وما عندي ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي الى هذا الحد ولذلك قال في اضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك
من المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى نسأل الله تعالى ان يجعلنا منهم وان يعيذنا من عقوبة من تحسن اقواله
وتقبح افعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان **حكايات** واخبار في صلاة الخاشعين اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان
ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلاة وفي غير الصلاة بل في خلوته وفي بيت الماء عند
قضاء الحاجة فان موجبات الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد
الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السماء اربعين سنة حياء من الله تعالى وخشوعا له وكان
الربيع بن خثيم من شدة غضه لبصره واطراقه يظن بعض الناس انه اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا رأته جاريته
قالت صديقك ذلك الاعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره
وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما والله لو رآك محمد لفرح بك وفي لفظ آخر لاحبك ومشى ذات يوم مع ابن
مسعود وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه في الحدادين فلما نظر الى
الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه الى الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه يقول هذا
والله الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت في صلاة قط فاهمني فيها الا ما اقول وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين
كان اذا صلى ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك
في الصلاة بشيء قال نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيئا مما نجد من امور الدنيا فقال لان
تختلف الاسنة فيّ احب الي من ان اجد في الصلاة ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن
يسار منهم وقد نقلنا انه لم يشعر بسقوط اسطوانة المسجد وتآكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في
الصلاة لا يحس بما يجري عليه فقطعت وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة فاذا دخلت في الصلاة خرجت
من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من الدنيا فقال لا في الصلاة
ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئا فقال وهل شيء احب الي من الصلاة فاذكره فيها وكان ابو الدرداء يقول من فقه الرجل
ان يبدأ بحاجته قبل الدخول في الصلاة ليدخل الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروي ان

عن ابيه صلى صلاة فاخفها فقيل له خففت يا ابا اليقظان فقال هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئا قالوا لا قال اني بادرت
سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا
خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطائفة من الصحابة كانوا
اخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه
في الاسلام وما اكمل لله صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله تعالى فيها وسئل
ابو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف اعلى شفع او على وتر
وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى يخرج وقال بعضهم هو الذي ان صلاها في اول الوقت لم يفرح وان اخرها
عن اول الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تأخيرها اثما واعلم ان الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلت الاخبار
عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلاة في الصحة لا تتجزى ولكن ذلك له معنى اخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد
جبر نقصان الفرائض بالنوافل وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضته عليه وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى
صلاة فترك من قراءتها آية فلما انصرف قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل ابي بن كعب فقال قرأت سورة كذا وتركت آية
كذا فما ندري انسخت ام رفعت فقال انت لها يا ابي ثم اقبل على الاخرين فقال ما بال اقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم
ونبيهم بين ايديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرائيل كذا فعلوا فاوحى الله اليهم ان قل لقومك تحضرون ابدانكم
وتعطوني السنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطل ما تذهبون وهذا يدل على ان استماع ما يقرأه الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه
وقال بعضهم ان العبد ليسجد السجدة وعنده انه تقرب بها الى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على اهل مدينته لهلكوا قيل وكيف
ذاك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فقد دلت هذه الحكايات
والاخبار مع ما سبق على ان الاصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله اعلم

الباب الرابع في الامامة والقدوة

وعلى الامام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة
وفي اركان الصلاة وبعد السلام اما الوظائف قبل الصلاة فست اولها ان لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان
النظر الى الاكثرين فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي الحديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم العبد
الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينهى عنه ان كان وراءه من هو افقه منه
وان امتنع الا اذا امتنع من هو اولى به فله التقدم فان لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة
بعد اقامة الصلاة فخسف بهم وما روي عن مدافعة الامامة من الصحابة فسببه ايثارهم من رأوه اولى بها او خوفهم على انفسهم السهو
وخطر ضمان صلاتهم فان الائمة ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما اشتغل قلبه وتشوش عليه الاخلاص في صلاته حياء من المقتدين
لا سيما في جهره بالقراءة فكان للاحتراز اسباب من هذا القبيل الثانية اذا خير المرء بين الاذان والامامة فينبغي ان يختار
الامامة فان لكل واحد فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي ان يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة اولى وقال قائلون
الاذان اولى لما نقلناه في فضيلة الاذان ولقوله عليه السلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فقالوا فيها خطر الضمان وقال عليه السلام
الامام امين فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص فعليه لا عليهم ولانه قال عليه السلام
اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة وفي الخبر من اذن في مسجد سبع سنين وجبت
له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابة انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان الامامة افضل اذ
واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابو بكر وعمر والائمة نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر افضل كما ان رتبة
الامارة والخلافة افضل لقوله عليه السلام ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم

الافضل والافقه فقال عليه السلام ائمتكم وفدكم الى الله فان اردتم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد
الانبياء افضل من العلماء ولا بعد العلماء افضل من الائمة المصلين لان هؤلاء قاموا بين الله وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا
بعماد الدين وهو الصلاة وبهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم ابي بكر للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا للدنيا
من رضيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان وما روي انه قال له رجل يا رسول
الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا قال لا استطيع قال كن اماما قال لا استطيع قال فصل بازاء الامام فلعله ظن انه لا يرضى
بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليه الثالثة ان يراعي الامام اوقات الصلوات
فيصلي في اوائلها ليدرك رضوان الله تعالى ففضل اول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا كذا روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم
وفي الحديث ان العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولم تفته ولما فاته من اول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ولا ينبغي ان يؤخر الصلاة لانتظار كثرة
الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فهي افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان في الجماعة
لم ينتظروا الثالث واذا حضر اربعة في الجنازة لم ينتظر الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في
سفر وانما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركعة فقام يقضيها
قال فاشفقنا من ذلك فقال قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تأخر في صلاة الظهر فقدموا ابا بكر حتى جاء وهم في الصلاة فقام الى جانبه
وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره الرابعة ان يؤم مخلصا لله تعالى
ومؤديا امانة الله في طهارته وجميع شروط صلاته اما الاخلاص فبان لا يأخذ عليها اجرة فقد امر رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم عثمان بن ابي العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذنا لا يأخذ على الاذان اجرا فالاذان طريق الى الصلاة فهي اولى بان لا يؤخذ عليها اجر
فان اخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بامامته او من السلطان او من آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية في
الفرائض اشد منها في التراويح ويكون اجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على نفس الصلاة
واما الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد
والشفيع للقوم فينبغي ان يكون خير القوم وكذلك الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان ذكر في اثناء
صلاته حدثا او خرج منه ريح فلا ينبغي ان يستحيي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنابة
في اثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة قال سفيان صل خلف كل بر وفاجر الا مدمن خمر او معلنا بالفسق او عاقا
لوالديه او صاحب بدعة او عبدا آبقا الخامسة ان لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا امر بالتسوية
قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر
استعداد الناس للصلاة ففي الخبر ليتمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه
نهى عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب السادسة ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع
المأموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم اذا نووا الاقتداء به ونالوا
فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخروا تكبيرهم عن تكبيرة الامام فيبتدئ بعد فراغه واما وظائف القراءة فثلاث اولها ان يسر بدعاء
الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح واولي العشاء والمغرب وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة
الجهرية وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة واختيار
الشافعي الجهر الثانية ان يكون للامام في القيام ثلاث سكتات كذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم اولاهن اذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه ان لم يسكت
يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان لم يقرؤوا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه السكتة الثانية اذا
فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرأ الفاتحة في السكتة الاولى فاتحته وهي نصف السكتة الاولى السكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل

ان يركع وهي احبهما فذلك بقدر ما ينفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه وليس للمأموم وراء الامام الا الفاتحة فان لم يسكت
الامام قرأ الفاتحة معه والمقتدي مع الامام وان لم يسمع المأموم في الجهرية لبعد او كان في السرية فلا بأس بقراءته للسورة ايضا ثم يقرأ
في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا بأس بان يقرأ
في الثانية باواخر السور نحو الثلثين والعشرين الى ان يختمها الا ان ذلك قراءة لا تكثر على الاسماع فيكون ابلغ في الوعظ وادعى الى التفكر
وانما كره بعض العلماء قراءة بعض اول السورة وقطعها وقد روي انه عليه السلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون
قطع فركع وقد روي انه في الفجر قرأ آية من البقرة وهي قوله قولوا آمنا بالله الآية وفي الثانية ربنا آمنا بما انزلت الآية وسمع بلالا يقرأ
من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال احسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل الى ثلثين آية وفي العصر
نصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل وآخر صلوة صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ما صلى
بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف اولى لا سيما اذا كثر الجمع قال عليه السلم في هذه الرخصة اذا صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم
الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلوة
واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزجر معاذا فقال افتان انت اقرأ سورة سبح
والسماء والطارق والشمس وضحيها وظائف الاركان ثلث اولها ان يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على الثلث فقد روي
عن انس بن مالك انه قال ما رايت اخف صلوة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تمام نعم روي ايضا ان انس بن مالك لما صلى
خلف عمر بن عبد العزيز وكان امير المدينة قال ما صليت وراء احد اشبه صلوة بصلوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الشاب
قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الركوع والسجود عشرا وذلك
حسن ولكن الثلث اذا كثر الجمع احسن فاما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر فهذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي ان يقول
الامام عند رفع راسه من الركوع سمع الله لمن حمده الثانية المأموم ينبغي ان لا يساوق الامام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوي للسجود
الا اذا وصلت جبهة الامام الى موضع السجود هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يهوي للركوع حتى
يستوي الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلوة على ثلثة اقسام طائفة بخمس وعشرين صلوة وهم الذين يكبرون ويركعون
بعد ركوع الامام وطائفة بصلوة واحدة وهم الذين يساوقونه وطائفة بلا صلوة وهم الذين يسبقون الامام وقد اختلف في ان
الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال به فضل جماعتهم وادراكهم لتلك الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا بأس
اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم الثالث لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من
التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للامام ان يخص نفسه ولا بأس
في تشهده ان يستعيذ بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر
ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل سمي مسيحا
لانه يمسح الارض بطولها وقيل لانه ممسوح العين اي مطموسها وظائف التحلل ثلث اولها ان ينوي بالتسليمتين السلام على القوم و
الملائكة الثانية ان يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابو بكر وعمر فيصلي النافلة في موضع آخر فان كان
خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور انه عليه السلم لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت
يا ذا الجلال والاكرام الثالثة اذا وثب فينبغي ان يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انتقال الامام فقد روي عن طلحة
والزبير انهما صليا خلف امام فلما سلما قالا للامام ما احسن صلوتك واتمها الا شيء واحد انك لما سلمت لم تقبل بوجهك ثم قالا
للناس ما احسن صلوتكم الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل الامام ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين احب هذه وظيفة الصلوة
اما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي ولا يقضى
عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه او يقول بلى وانا على ذلكم من الشاهدين او صدقت وبررت وما يشبه ذلك وقد نقل حديث

في رفع اليدين في القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك وان كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد اذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل
على التوقيف وبينهما ايضا فرق وهو ان لليد وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لها ههنا
فلا يبعد ان يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت فانه لائق بالدعاء والله اعلم فهذه جمل آداب القدوة والامامة

الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها فضيلة الجمعة

اعلم ان هذا يوم عظيم عظم الله تعالى به الاسلام وخصص به المسلمين قال الله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله
حرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال عليه السلم ان الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا
وقال عليه السلم من ترك الجمعة ثلثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس
يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر
ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له واخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم اولى الناس به سبقا واهل
الكتابين لهم تبع وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اتاني جبريل في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك
ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم اعطاه الله تعالى اياه او ليس له قسم ذخر له
ما هو اعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك اتخذ في الجنة واديا افيح من مسك ابيض
فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه وقال عليه السلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق
آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر
الى الله تعالى في الجنة وفي الخبر ان لله تعالى في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال
اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال عليه السلم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه
الساعة الا يوم الجمعة فانه صلوة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان
ومن الايام يوم الجمعة وقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فيقول سلام سلام يوم صالح وقال عليه السلم من مات
يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر

بيان شروط الجمعة

اعلم انها تشارك سائر الصلوات في الشروط
وتتميز عنها بستة شروط الاول الوقت فلو وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة وعليه ان يتمها ظهرا والمسبوق اذا وقعت
ركعته الاخيرة خارجا عن الوقت فيه خلاف الثاني المكان فلا تصح في الصحاري والبوادي وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة
لابنية لا تنقل يجمع اربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استيذانه الثالث
العدد فلا تنعقد باقل من اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد
اما في الخطبة او في الصلوة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الآخر الرابع الجماعة فلو صلى اربعون في قرية او في بلد متفرقين لم تصح جمعتهم
ولكن المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وان لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر فاذا
سلم الامام اتم الظهر الخامس ان لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى في تلك البلدة فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلثة
واربعة بقدر الحاجة وان لم يكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم اولا واذا تحققت الحاجة فالافضل الصلوة خلف الافضل من الامامين
فان تساويا فالمسجد الاقدم فان تساويا ففي الاقرب ولكثرة الناس ايضا فضل يراعى السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة
والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرائض التحميد واقله الحمد لله والثانية الصلوة على رسول الله والثالثة الوصية بتقوى الله
والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا فرائض الثانية اربع الا انه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الاربعين
واما السنن فاذا زالت الشمس واذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلوة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة
ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت ويشغل يديه
بقائمة السيف او العنزة كيلا يعبث بهما او يضع احداهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا

يبطل ولا يسعى ويكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم
لم يستحق جوابا والإشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطس أيضا هذه شروط الصحة فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على ذكر
عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو في قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات
ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ويرخص للمؤمن في ترك الجمعة بعذر المطر
والوحل والفزع والمرض والتمريض إذا لم يكن للمريض قيم ثم يستحب لهم تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة فإن حضر الجمعة
مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر **بيان** آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جمل الأول
أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والتسبيح والاستغفار بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت
بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف إن لله تعالى فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس
ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الأشغال التي تمنعه من البكور إلى
الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا وليكن مضموما إلى يوم الخميس أو السبت لا مفردا فإنه مكروه ويشتغل بإحياء هذه الليلة
بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع أهله في هذه الليلة أو في يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم حملوا
عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الأهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف
واغتسل لجسده وبهذا تتم آداب الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف أوفى الناس
نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس وأخسهم نصيبا من إذا أصبح يقول إيش هذا اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع
الثاني إذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر فإن كان لا يبكر فأقربه إلى الرواح أحب لتكون أقرب عهدا بالنظافة والغسل مستحب
استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء إلى وجوبه وقال صلى الله عليه وآله وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع
عن ابن عمر من أتى الجمعة فليغتسل وقال عليه السلام من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا وكان أهل المدينة إذا تسابّ المتسابان يقول
أحدهما لصاحبه لأنت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت
بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت فقال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمرنا بالغسل
وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وبما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من توضأ يوم الجمعة فبها
ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فإن اكتفى بغسل واحد
أجزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال أ
للجمعة فقال بل من جنابة فقال أعد غسلا ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وإنما أمره به لأنه لم يكن نواه وكان لا يبعد أن
يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل
ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله والأحب أن يحترز عن ذلك الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي في ثلاثة الكسوة
والنظافة وتطييب الرائحة أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الأظفار وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال
ابن مسعود من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله تعالى منه داء وأدخل فيه شفاء فإن كان قد دخل الحمام في الخميس
أو الأربعاء فقد حصل المقصود فليتطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بذلك الروح والراحة إلى مشام
الحاضرين في جواره وأحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه وروي ذلك في الأثر وقال
الشافعي رضي الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البيض من الثياب إذ أحب الثياب إلى الله
البيض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم وروى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الله وملائكته يصلون
على أصحاب العمائم يوم الجمعة فإن أكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل إلى الجامع ولا في وقت

الصلاة ولا عند صعود الإمام المنبر ولا في خطبته الرابع البكور إلى الجامع ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليبكر ويدخل
وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد إلى وقت
الصلاة قاصدا المبادرة إلى جواب نداء الله تعالى إياه إلى الجمعة والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه وقد قال عليه السلام من راح إلى الجمعة
في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا
أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت
الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فإنما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء
والساعة الأولى إلى طلوع الشمس والثانية إلى ارتفاعها والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى
الأعلى إلى الزوال وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلاة فلا فضل فيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث لو يعلم الناس ما
فيهن لركضوا ركض الإبل في طلبهن الأذان والصف الأول والغدو إلى الجمعة وقال أحمد بن حنبل أفضلهن الغدو إلى الجمعة وفي الخبر إذا
كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم وجاء في الخبر
أن الملائكة يتفقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون
اللهم إن كان أخره فقر فأغنه وإن كان أخره مرض فاشفه وإن كان أخره شغل ففرغه لعبادتك وإن كان أخره لهو فأقبل بقلبه إلى
طاعتك وكان يرى في القرن الأول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى
اندرس ذلك فقيل أول بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع وكيف لا يستحيي المؤمنون من اليهود والنصارى وهم يبكرون
إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون إلى رحاب الجوامع للبيع والشراء وطلب الربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة
وقيل إن الناس يكونون في قربهم عند النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة ودخل ابن مسعود الجامع بكرة فرأى ثلاثة
نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتبا لها رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد الخامس في هيئة الدخول
ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل
جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس وروى ابن جريج مرسلا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينا هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا
يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك أن
تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله قد جمعت معك فقال أولم أرك تتخطى رقاب الناس أشار به إلى أنه أحبط عمله وفي حديث مسند أنه عليه
السلام قال ما منعك أن تصلي معنا فقال أولم ترني يا رسول الله فقال رأيتك آنيت وآذيت أي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور ومهما
كان الصف الأول خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس
الذين يقعدون على أبواب الجامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم وإذا لم يكن في المسجد إلا من يصلي فينبغي أن لا يسلم فإنه تكليف جواب في غير
محله السادس أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب من أسطوانة أو حائط حتى لا يمر الناس بين يديه أعني بين يدي المصلي فإن
ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن يقف أربعين خير له من أن يمر بين يدي المصلي وقال
لأن يكون الرجل رمادا أو رمدا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلي قال لأن يكون الرجل رمادا أو رمدا تذروه الرياح خير
له من أن يمر بين يدي المصلي قال لأن يكون الرجل رمادا أو رمدا تذروه الرياح خير من أن يمر بين يدي المصلي وقد روي في حديث آخر في
المار والمصلي حيث صلى على الطريق أو قصر في الدفع وقال لو يعلم المار بين يدي المصلي حيث صلى على الطريق أو قصر في الدفع فقال
لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه والأسطوانة أو الحائط أو المصلى
المفروش حد للمصلي فمن اجتاز به فينبغي أن يدفعه قال عليه السلام ليدفعه فإن أبى فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنه شيطان
وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه وربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره أن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم أمره بذلك فإن لم يجد أسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده السابع أن يطلب

الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه وفي الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلثة ايام وفي لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل في طلب الصف الاول عن ثلثة امور اولها انه اذا كان يرى منكرا عند قرب الامام او يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام او غيره او صلاة في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح مذهب او غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتأخر له اسلم واجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد واشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه ونظر سفيان الثوري الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة من ابي جعفر فلما فرغ من الصلوة قال شغل قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد فقال يا ابا عبد الله اليس في الخبر ادن واستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هؤلاء فكلما بعدت منهم ولم تنظر اليهم كان اقرب الى الله تعالى وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب ابي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له اليس يقال خير الصفوف اولها قال نعم الا ان هذه امة مرحومة منظور اليها من بين الامم وان الله تعالى اذا نظر الى العبد في الصلوة غفر له ولمن وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك فمن تأخر على هذه النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات ثانيها ان لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة وكان الحسن وبكر المزني لا يصليان في المقصورة ورأيا انها قصرت على السلاطين وهي بدعة احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى انس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهة تختص بحالة التخصيص والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع فلا يوجب كراهية ثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد ان يقال الاقرب الى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى ويكره الصلوة في الاسواق والرحاب الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب الثامن ان يقطع الصلوة عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له اصل في اثر ولا خبر لكنه ان وافق سجود تلاوة فلا بأس به للدعاء لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه وقد روي عن علي وعثمان انهما قالا من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزران وقال عليه السلام من قال لصاحبه والامام يخطب انصت او صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغي ان يكون باشارة او رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث ابي ذر لما سأل ابيا والنبي عليه السلام يخطب فقال متى انزلت هذه السورة فاومأ اليه ان اسكت فلما نزل صلى الله عليه وآله وسلم قال له ابي اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابو ذر الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال صدق ابي وان كان بعيدا عن الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لان ذلك يتسلسل ويفضي الى هينمة حتى ينتهي الى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كان يكره الصلوة في وقت خطبة الامام فالكلام اولى قال علي رضي الله عنه تكره الصلوة في اربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلوة والامام يخطب التاسع ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا فقد روى عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلوة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك فيقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر انه عليه السلام كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعا وروى علي وعبد الله ستا والكل صحيح في احوال مختلفة

والاكمل الافضل العاشر ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان اقام الى المغرب فهو الافضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حج وعمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا لله تعالى مفكرا في آلائه شاكرا له على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا يفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وآله وسلم يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم امر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوهم

بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار

وهي سبعة امور الاول ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر الحلق قبل الصلوة روى عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلوة الا ان يكون عالما بالله يذكر بايام الله ويفقه في دين الله يتكلم بالغداة في الجامع فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة افضل من اشتغاله بالنوافل وقد روى ابو ذر ان حضور مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة قال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة اخ في الله وقد سمى الله تعالى العلم فضلا في مواضع قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من افضل القربات والصلوة افضل من مجالس القصاص اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع بكر ابن عمر رضي الله عنهما الى مجلسه في المسجد الجامع فاذا قاص يقص في موضعه فقال له قم من مجلسي فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه ولو كان ذلك من السنة لما حلت اقامته فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروى ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصا على ظهره ثم طرده الثاني ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه وفي خبر آخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلوة وقيل آخر وقت العصر اعني وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمها ان ينظر الى الشمس فيؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار الى ان تغرب وتخبر ان تلك الساعة هي المنتظرة وتأثره عن ابيها وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقد قيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي ان يصدق بما قال عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الاحبار انها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي وليس حين صلوة فقال كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قعد ينتظر الصلوة فهو في الصلوة قال بلى قال فذلك الصلوة فسكت ابو هريرة وكان كعب مائلا الى انها رحمة من الله تعالى للقائمين بحق هذا اليوم واوان ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعاء فيهما الثالث يستحب ان يكثر الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلوة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة فان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلوة تكون لك رضا ولحقه اداء واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جازيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين

يقول بها سبع مرات فقد قيل من قالها في جميع جمع كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم وان اراد ان يأتي
الى الصلوة المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد
المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم
ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة
الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وابلج
حجته وارفع في اعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا
بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين رب العالمين [illegible] العامة المطلق
والمشهورة في التشهد كان مصليا وينبغي ان يضيف اليها استغفارا فان ذلك ايضا مستحب في هذا اليوم الرابع قراءة القرآن فليكثر
منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى ابن عباس وابو هريرة رضي الله عنهما عنه ان من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة
اعطي نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة
وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها ان قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر ان قرأ
بالليل او في ركعتي المغرب او بين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون ان يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله احد
الف مرة ويقال ان من قرأها في عشر ركعات او عشرين ركعة فهو افضل من ختمة وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الف مرة ويقولون
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة او ليلتها فحسن وليس يروى انه صلى الله
عليه وآله وسلم كان يقرأ سورة باعيانها الا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلوة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
وكان يقرأ في صلوة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وروي انه كان يقرؤهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في
الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمن وسورة هل اتى على الانسان الخامس الصلوات يستحب اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات
يقرأ فيهن قل هو الله احد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده
من الجنة او يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وفي حديث غريب
انه عليه السلم سكت للداخل حتى فرغ فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما ويستحب في هذا اليوم ان يصلي اربع ركعات باربع سور
سورة الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسجدة لقمن وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور
في ليلة الجمعة ففيه فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمة وليكثر من سورة الاخلاص ويستحب ان يصلي صلوة التسبيح
كما سيأتي في باب التطوعات لسنتها وروي انه عليه السلم قال للعباس صلها في كل جمعة وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلوة يوم الجمعة
بعد الزوال للصلوة وبعد الجمعة الى العصر استماع العلم وبعد العصر الى المغرب التسبيح والاستغفار السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم
خاصة فانها تضاعف الا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال لاحد
[illegible] يوم الجمعة والامام يخطب وكان الحسن ابي ما عطى رجلا [illegible] ولم يعرفه [illegible] وقال
ابن مسعود اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع
الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسأل قائما او قاعدا في مكان من غير تخط وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق
بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما وقال اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن
الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه وقال بعض السلف من اطعم
مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسألك ان تغفر لي وترحمني
وان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له السابع ان يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد
ولا يبتدئ فيه السفر فقد روي ان من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر الا اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض

السلف شري الماء في المسجد سبيلا ليشرب او يسبل حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس
لو اعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب او سبل في المسجد وبالجملة ينبغي ان يزيد في الجمعة في اوراده وانواع خيراته فان الله تعالى اذا احب
عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيء الاعمال ليكون اوجع في عقابه
واشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسيأتي ذكرها في كتاب الدعوات ان شاء الله

الباب السادس في مسايل متفرقة

يعم البلوى بها ويحتاج المريد الى معرفتها فاما
المسائل التي [illegible] المستقصية فاكثرها في كتب الفقه مسئلة الفعل القليل وان كان لا يبطل الصلوة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في
دفع المار وقتل العقرب الذي يخاف ويمكن قتلها بضربة او ضربتين فاذا صار ثلثا كثر وبطلت الصلوة وكذلك القملة والبرغوث
مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلوة وكان ابن
عمر يقتل القملة في الصلوة حتى يظهر الدم على يديه وقال النخعي يأخذها ويوهمها ولا شيء عليه ان يقتلها وقال ابن المسيب يأخذها فيخدرها
ثم يطرحها وقال مجاهد الحب الي ان يدعها الا ان تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذيه ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال
في الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب ويقول لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي الصلوة وقد سمعت ان الفساق
بين يدي الملوك يصبرون على اذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا بأس ان يضع يده على فيه وهو الاولى وان عطس حمد الله في نفسه ولا يحرك
لسانه وان تجشأ فينبغي ان لا يرفع رأسه الى السماء وان سقط رداؤه فلا ينبغي ان يسويه وكذلك طرف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة
مسئلة الصلوة في النعلين جائزة وان كان نزع النعلين سهلا وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها
وفي معناها المداس صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك
خلعت فخلعنا فقال ان جبرئيل اتاني فاخبرني ان بهما خبثا فاذا اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فان رأى خبثا فليمسحه
بالارض وليصل فيهما وقال بعضهم الصلوة في النعلين افضل لانه قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه سألهم ليبين لهم سبب خلعه
اذ علم انهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلع نعليه فاذا هو فعل كليهما فمن خلع
فينبغي ان لا يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليهما ولعل
من رأى الصلوة فيهما افضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما روى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا صلى احدكم
فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
على يساره وكان اماما فللامام ان يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين قدميه فيشغلاه ولكن قدام قدميه ولعله
المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة مسئلة اذا بزق في صلوته لم تبطل صلوته لانه فعل قليل وما
لا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه فينبغي ان يحترز عنه الا كما اذن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فيه اذ روى بعض الصحابة انه عليه السلم رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني
بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت الينا وقال ايكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا احد قال فان احدكم اذا دخل في صلوته فان الله تعالى
بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر واجهه الله فلا يبزقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله او تحت قدمه اليسرى فان بدرته
بادرة فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا وذلك بعضه ببعض مسئلة لوقوف المقتدي سنة وفرض اما السنة فان يقف الواحد عن
يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم يضر ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل
وقف الرجل على اليمين وهي خلف الرجل ولا يقف احد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف
منفردا صحت صلوته مع الكراهة اما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين المقتدي والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا
في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بني له فلا يحتاج الى اتصال الصف بل الى ان يعرف افعال الامام صلى ابو هريرة على ظهر المسجد بصلوة الامام
كان المأموم على فناء المسجد في طريق او صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم ويشترط ان يعلم

ثم ليصل أحدهما إلى الآخر وإنما يشترط إذا وقف في صحن دار على باب المسجد بجنب المسجد وبابها لافظ في المسجد فالشرط أن يمتد صف من المسجد
في دهليزها من غير انقطاع إلى الصحن ثم يصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء
الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء مسألة المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الإمام فهو أول صلاته فليوافق الإمام وليبن عليه وليقنت
في الصبح في آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الإمام وإن أدرك مع الإمام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فإن ركع
الإمام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله عن الركوع فليتمم وإن عجز وافق الإمام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فيسقط عنه بالسبق
وإن ركع الإمام وهو في السورة فليقطعها وإن أدرك الإمام في السجود أو التشهد كبر للإحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه في الركوع
فإنه يكبر ثانياً في الهوي لأن ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركاً
للركعة ما لم يطمئن في الركوع والإمام بعد في حد الراكعين فإن لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الإمام حد الراكعين فاتته تلك الركعة مسألة
من فاتته الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أولاً ثم العصر فإن ابتدأ بالعصر أجزأه ولكن ترك الأولى واقتحم شبهة الخلاف فإن وجد
إماماً فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فإن الجماعة بالأداء أولى وإن صلى منفرداً في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة
الوقت والله يحتسب أيهما شاء فإن نوى فائتة أو تطوعاً جاز وإن كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة أخرى فلينو الفائتة أو النافلة
فإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له وإنما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة مسألة من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالأحب
قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة في أثناء الصلاة رمى الثوب وأتم والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبر
جبريل أن عليهما نجاسة فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يستأنف الصلاة مسألة من ترك التشهد الأول أو القنوت أو ترك الصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التشهد الأول أو فعل فعلاً سهواً وكانت تبطل الصلاة بعمده أو شك فلم يدر أصلى ثلاثاً أم أربعاً
أخذ باليقين وسجد سجدتي السهو قبل السلام فإن نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب فإن سجد بعد السلام وأحدث بطلت صلاته فإنه
لما دخل في السجود كأنه جعل سلامه نسياناً في غير محله فلم يحصل التحلل به وعاد إلى الصلاة فلذلك استأنف السلام بعد السجود فإن تذكر
سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد طول الفصل فقد فات مسألة الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل في العقل أو جهل
بالشرع لأن امتثال أمر الله تعالى مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت
أن أنتصب قائماً تعظيماً لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلاً بدخوله مقبلاً عليه بوجهي سفه في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث
داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظماً إلا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة واشتراط كون الصلاة ظهراً أداء فرضاً في كونه امتثالاً كاشتراط
كون القيام مقروناً بالدخول مع إقبال الوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيماً فإنه لو قام مدبراً عنه
أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظماً ثم هذه الصفات لا بد وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وإنما
يطول نظم الألفاظ الدالة عليها إما تلفظاً باللسان وإما تفكراً بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيه إلا أنك
دعيت إلى أن تصلي في وقت فأجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فإن هذه المقصودات وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون
مفصلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة
وإن لم يكن مفصلاً فإن من علم الحادث مثلاً فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوماً هي حاضرة وإن لم تكن مفصلة فإن
من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان وأن التقدم للعدم وأن التأخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت
العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو
الزمان المنقسم إلى المتقدم والمتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذباً وكان قوله مناقضاً لقوله إني أعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة
يثور الوسواس فإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهرية والأدائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها
وذلك محال ولو كلف نفسه مثل ذلك في القيام للعالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله تعالى
في النية كامتثال أمر غيره ثم أزيد عليه على سبيل التساهل والرخصة وأقول لو لم يفهم الموسوس النية إلا بإحضار هذه الأمور مفصلة ولم يتمثل

في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله إلى آخره بحيث لم يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية
ولكن لا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شطط ولو كان مأموراً به لوقع للأولين سؤال عنه
ولوسوس الصحابة في النية فعدم جريان ذلك دليل على أن الأمر على التساهل فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغي أن يقنع به
حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة وقد ذكرنا في الفتاوى وجوهاً من التحقيق
في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء إلى معرفتها فأما العامي فربما ضره سماعها ويهيج عليه الوسواس فلذلك
تركناها مسألة ينبغي أن لا يتقدم المأموم على الإمام في الركوع والسجود والرفع منهما وفي سائر الأعمال ولا ينبغي أن يساوقه
بل يتبعه ويقفو أثره فهذا معنى الاقتداء فإن ساوقه عمداً لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه فإن تقدم عليه ففي بطلان
صلاته خلاف ولا يبعد أن يحكم بالبطلان تشبيهاً بما لو تقدم على الإمام في الموقف بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في
الموقف فالمتابعة في الفعل أهم وإنما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلاً للمتابعة في الفعل وتحصيلاً لصورة التبعية إذ اللائق
بالمقتدي أن يتقدم المقتدى به فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهواً ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه
فقال أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك
بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته
إلى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول مسألة حق على من حضر
الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر عن جهل جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف
ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والإنكار على من يرفع رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود من رأى من يسيء صلاته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد أنه قال
الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة وجاء في الحديث أن بلالاً كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم
بالدرة وعن عمر رضي الله عنه أنه قال تفقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فعودوهم وإن كانوا
أصحاء فعاتبوهم والعتاب إنكار على ترك الجماعة ولا ينبغي أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة
إلى باب من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذي يتخلف عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد ميمنة
الصف ولذلك تزاحم الناس عليها في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال عليه السلام من عمر ميسرة
المسجد كان له كفلان من الأجر ومهما وجد غلاماً في الصف ولم يجد لنفسه مكاناً فله أن يخرجه إلى خلف ويدخل فيه أعني إذا لم
يكن بالغاً فهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى وسيأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى

الباب السابع

في النوافل من الصلوات اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلوات
ينقسم إلى ثلاثة أقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المواظبة عليه كالرواتب
عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لأن السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد
الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل أو الدخول فيه
وأمثاله ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكن تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله تعالى بالصلاة التي
ورد الشرع بفضلها مطلقاً فكأنه متبرع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقاً والتطوع عبارة عن التبرع
وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث أن النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع
أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم
من هذه الأقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعة

صلوة العيد ثم الخسوف ثم الاستسقاء وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها واعلم ان النوافل
باعتبار الاضافة الى متعلقاتها ينقسم الى ما يتعلق باسباب كالخسوف والاستسقاء والى ما يتعلق باوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم
الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام القسم الاول ما يتكرر بتكرر الايام والليالي
وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات الخمس وثلثة وراءها وهي صلوة الضحى واحياء ما بين العشائين والتهجد الاولى راتبة الصبح
ركعتان قال صلى الله عليه وآله وسلم ركعتا الصبح خير من الدنيا وما فيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون
المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسر في اوله الا ان يتعلم منازل القمر او يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل
بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنتي
عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى
يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو بطلوع الشمس ولكن السنة
اداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلوة فليشتغل بالمكتوبة قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا اقيمت الصلوة
فلا صلوة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انهما اداء ما وقعتا قبل طلوع الشمس لانهما تابع للفرض في وقته
وانما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادفها انقلب الترتيب وبقيتا اداء والمستحب ان يصليهما في المنزل
ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتي التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح الى طلوع الشمس الاحب فيه الذكر
والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة الثانية راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي سنة مؤكدة واربع قبلها
وهي ايضا سنة وان كانت دون الركعتين الاخيرتين روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من صلى اربع ركعات بعد
زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى الليل وكان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم لا يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السماء تفتح في هذه الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل رواه ابو ايوب الانصاري
وتفرد به ودل عليه ايضا ما روت ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له
بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر حفظت من
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته ام حبيبة الا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن حدثتني اختي حفصة انه كان يصلي ركعتين في بيته ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين
قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الاربعة ويدخل وقتها بالزوال والزوال يعرف بزيادة
ظل الاشخاص المنتصبة مائلا الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل
ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت
الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال في
علم الله تعالى وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه اخذ في الزيادة
يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام
والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن احسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا
مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر
الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون الخط مائلا الى احد الضلعين ثم ينصب عمودا
على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة د وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح في اول النهار مائلا الى جهة المغرب في صوب خط ا
ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط ب بحيث لو مد راسه لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي
غير مائل الى احدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح الى الجانب

الشرقي فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من اول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على راس الظل عند انحرافه
علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفته من علم الزوال الثالثة راتبة
العصر وهي اربع ركعات قبل العصر روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال
رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم مستحب استحبابا مؤكدا فان دعوته مستجاب لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر الرابعة
راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فقد نقل
عن جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة او غيره كان المؤذن اذا اذن
لصلوة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله السواري يصلون ركعتين وقال بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب
انا صلينا فيسال اصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله عليه السلام بين كل اذانين صلوة لمن شاء وكان احمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس
فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال لئن صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس
عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها في جانب المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد
من جانب المشرق قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم والاحب المبادرة في صلوة
المغرب خاصة وان اخرت وادى قبل غيبوبة الشفق الاحمر وقع ذلك اداء ولكنه مكروه اخر عمر رضي الله عنه صلوة المغرب ليلة حتى طلع نجم
فاعتق رقبة واخر ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين الخامسة راتبة العشاء الآخرة اربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة كان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بعد العشاء الآخرة اربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب
سبع عشرة ركعة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح واربع قبل الظهر وركعتان بعده واربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلث بعد
العشاء الآخرة وهي الوتر ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال عليه السلام الصلوة خير موضوع فمن شاء اكثر ومن شاء
اقل فاذا اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها آكد من بعض وترك الآكد ابعد لا سيما
والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك ان لا تسلم له فريضته من غير جابر السادسة الوتر قال انس بن مالك كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يوتر بعد العشاء بثلث ركعات يقرا في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة
قل هو الله احد وجاء في خبر آخر انه عليه السلام كان يصلي بعد الوتر جالسا ركعتين وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار اذا اراد ان ياوي
الى فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرا فيهما اذا زلزلت وسورة التكاثر وفي رواية اخرى قل يا ايها الكافرون
ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد اوتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بركعة وثلث وخمس وهكذا
بالاوتار الى احدى عشرة والرواية مترددة في ثلث عشرة وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة وكانت هذه الركعات اعني ما سميناه
جملته وترا صلوته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي فضلها في كتاب الاوراد وفي الافضل خلاف قيل ان الايتار بركعة
فردة وقيل الموصولة افضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما الامام اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة فان صلى موصولا نوى بالجميع
الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي سنة العشاء او بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا وان يكون
موترا لغيره بما سبق قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشاء لم يصح اي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم كما ورد به الخبر
والا فركعة فردة صحيحة في اي وقت كان وانما لم يصح لانه خرق اجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم ما يصيره وترا فاما اذا اراد ان يوتر
بثلث مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فانه ان نوى بهما التهجد او سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا
وانما الوتر ما بعده ولكن الاظهر انه ينوي الوتر كما ينوي في الثلث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون في نفسه وترا والآخر
ان ينشأ ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلث وترا والركعتان من جملة الثلث الا ان وتريتهما موقوفة على الركعة الثالثة وهي وتر بنفسها وموترة
لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موتران بغيرهما والوتر ينبغي ان يكون آخر صلوة الليل فيقع بعد التهجد

وسيأتي فضلها في الوتر والتهجد وليست الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الاوراد السابعة صلوة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الاعمال
ومن اصلها المعدود ركعاتها فاكثر ما نقل فيها ثمان ركعات روت ام هانئ اخت علي رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وآله وسلم صلى الضحى
ثمان ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد عنه غيرها فاما عائشة فانها ذكرت انه عليه السلم كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله
فلم تحد الزيادة اي انه كان يواظب على الاربع ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروي في حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان
يصلي الضحى ركعتين في وقتين اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني من اوراد النهار كما سيأتي فاذا
انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب المشرق صلى اربعا فالاول انما يكون اذا ارتفعت الشمس قدر نصف رمح والثاني اذا مضى
ربع النهار بازاء صلوة العصر فان وقتها ان يبقى ربع النهار بعده والظهر على نصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس
الى الزوال كما ان العصر على منتصف ما بين الزوال الى الغروب هذا افضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت
الضحى على الجملة الثامنة احياء ما بين العشائين سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعله صلى الله عليه وآله وسلم بين العشائين ست ركعات
ولهذه الصلوة فضل عظيم وقيل انها المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقد روي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال من صلى
بين المغرب والعشاء فانها من صلوة الاوابين وقال عليه السلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة
او قرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له غراسا لو طافه اهل الارض لوسعهم وسيأتي
بقية فضلها في كتاب الاوراد القسم الثاني ما يتكرر بتكرر الاسابيع وهي صلوات ايام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة اما الايام
فنبتدئ بيوم الاحد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة
الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه الله ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف
صلوة واعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذفر وروي عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال وحدوا الله بكثرة
الصلوة يوم الاحد فانه تعالى واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلوة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الركعة
الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله تعالى حاجته كان حقا على الله ان يقضي حاجته
يوم الاثنين روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة
الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي عشر مرات غفر له
ذنوبه كلها وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب
وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله احد اثنتي عشرة مرة واستغفر الله اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيمة اين فلان ابن فلان
ليقم فليأخذ ثوابه من الله تعالى فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج بتاج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة الف ملك مع كل
ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلألأ يوم الثلثاء روى يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من صلى يوم الثلثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي حديث آخر عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة
الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات لم تكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له
ذنوب سبعين سنة يوم الاربعاء روى ابو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى يوم الاربعاء
اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات والمعوذتين ثلث مرات
نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنه
شدائد القيمة ورفع له من يومه عمل نبي يوم الخميس عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى يوم
الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجبا وشعبان
وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله وتوكل عليه حسنة يوم الجمعة روي عن علي رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يوم الجمعة صلوة ما من عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح او اكثر من ذلك

فتوضأ ثم اسبغ الوضوء يصلي سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله تعالى له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ومن صلى
اربع ركعات رفع الله تعالى له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثماني ركعات رفع الله تعالى له في الجنات ثمانمائة درجة وغفر له
ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب له الفا ومائتا حسنة ومحا عنه الفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنة الفا ومائتي درجة وعن
نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلوة الجمعة يقرأ في كل ركعة
الحمد لله وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له يوم السبت روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي
كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل
عرش الله مع النبيين والشهداء اما الليالي فليلة الاحد روى انس بن مالك انه صلى الله عليه وآله وسلم قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله
وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي صلى الله
عليه وآله وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان
آدم صفوة الله وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمدا حبيب الله صلوات الله عليهم اجمعين كان
له من الثواب بعدد من ادعى لله ولدا ومن لم يدع لله تعالى ولدا وبعثه الله تعالى يوم القيمة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله
الجنة مع النبيين ليلة الاثنين روى الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ليلة الاثنين
اربع ركعات يقرأ في الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد وقل هو الله احد عشرين مرة
وفي الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله احد ثلثين مرة وفي الرابعة اربعين مرة ثم سلم وقرأ قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله
لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله تعالى حاجته كان حقا
على الله ان يعطيه سؤله ما سأل وهي تسمى صلوة الحاجة ليلة الثلثاء صلى ركعتين في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد
والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله خمس عشرة مرة ليلة الاربعاء روت فاطمة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ركعتين يقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الفلق
عشر مرات وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الناس عشر مرات نزل من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه
الى يوم القيمة وفي نسخة اخرى روت فاطمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ليلة الاربعاء ست ركعات
بثلث تسليمات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل اللهم مالك الملك الى آخر الآية فاذا فرغ من صلوته قال جزى الله
محمدا عنا ما هو اهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار ليلة الخميس قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات
والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلوته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا
لهما واعطاه الله ما يعطي الصديقين والشهداء ليلة الجمعة قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ليلة الجمعة
بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد احدى عشرة مرة فكانما عبد الله اثنتي عشرة سنة
صيام نهارها وقيام ليلها وقال انس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ليلة الجمعة صلوة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي
السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلث ركعات ونام على جنبه الايمن
ووجهه الى القبلة فكانما احيا ليلة القدر وقال عليه السلم اكثروا من الصلوة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة
ليلة السبت قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بني له
قصر في الجنة وكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهودية وكان حقا على الله ان يغفر له القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين
وهي اربعة صلوة العيدين والتراويح وصلوة رجب وصلوة شعبان الاولى صلوة العيدين وهي سنة مؤكدة وشعار من شعائر

الدين وينبغي ان يراعي فيها سبعة امور الاول التكبير ليلتها فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله
بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويبتدئ ليلة الفطر الى الشروع في صلاة العيد
وفي العيد الثاني من التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى آخرها يوم الثالث عشر هذا الملك لا قائل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة
وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد الثاني الغسل يوم العيد فيغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والاولى ان
افضل للرجال ويجتنب الصبيان الحرير والحلي التي عند الخروج وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر باخراج العواتق
وذوات الخدور الثالث ان يخرج من طريق ويرجع في طريق اخرى كذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرابع المستحب الخروج
الى الصحراء الا بمكة وبيت المقدس وان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم الصحو ان يأمر الامام رجلا يصلي بالضعفة
في المسجد ويخرج بالاقوياء مكبرين الخامس يراعي الوقت فوقت العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين
ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الاضحى لاجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لاجل
من يتصدقه الفطرة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السادس في كيفية الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق
واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل والناس يتنفلون ثم ينادي مناد الصلاة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى سوى
تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويقول وجهت
وجهي عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة الى ما بعد الثامنة ويقرأ في الاولى سورة ق بعد الفاتحة واقتربت في الثانية ويكبر
الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرة القيام والركوع ويقول بين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته
صلاة العيد قضاها السابع ان يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكبش فذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر
هذا عني وعمن لم يضح من امتي وقال من رأى هلال ذي الحجة واراد ان يضحي فلا يأخذن من شعره ولا من اظفاره وقال ابو ايوب الانصاري
كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشاة عن اهل بيته فيأكلون ويطعمون ولهم ان يأكلوا من الضحية بعد ثلثة
ايام فما فوقه ولذلك وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد الاضحى
ست ركعات وقال هذا من السنة في التراويح وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا
في ان الجماعة فيها افضل ام الانفراد وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها ليلتين او ثلثا للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان
توجب عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث امن الوجوب بانقطاع الوحي فقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر ولان الاجتماع
بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست من الشعائر
كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد اولى ولم تشرع فيهما جماعة وقد جرت العادة بان يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية
بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في
البيت وروي انه قال صلاة في مسجدي هذا افضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام افضل من الف صلاة
في مسجدي وافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية ركعتين لا يعلمهما الا الله وهذا لان الرياء والتصنع ربما تطرق اليه في الجمع ويأمن
منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار ان الجماعة افضل كما رآه عمر رضي الله عنه اذ بعض النوافل قد شرع فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون
من الشعائر التي تظهر واما الالتفات الى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في تفضيل الجمع من حيث انه
جماعة وكان قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء ولنفرض المسألة فيمن يثق من نفسه انه لا يكسل لو انفرد
ولا يرائي لو حضر الجمع فايهما افضل فيه يتردد النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب في الوحدة فيصح ان يتردد
في تفضيل احدهما على الآخر ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الاخير من شهر رمضان الخامس صلاة رجب فقد روي بالاسناد
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة
يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه ثلث مرات وقل هو الله احد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ

من صلاته صلى علي سبعين مرة ويقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب
الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول
فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسأل حاجته في سجوده فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يصلي احد هذه الصلاة
الا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من اهل بيته
ممن قد استوجب النار وهذه صلاة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كان لا تلحق رتبتها رتبة التراويح
وصلاة العيدين لان هذه الصلاة نقلها الآحاد ولكن رأيت اهل القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها السادس
صلاة شعبان ليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة في كل ركعة بعد الفاتحة احدى عشرة مرة قل هو الله احد
وهذا ايضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روي
عن الحسن انه قال حدثني ثلثون من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان من يصلي هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة
وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة القسم الرابع من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة
كصلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الاذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل
والدخول اليه ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن الاولى صلاة الخسوف قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الشمس والقمر
آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة قال ذلك لما مات
ولده ابراهيم وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها اما الكيفية فاذا انكسفت الشمس في وقت الصلاة فيه
مكروهة او غير مكروهة نودي الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين اولهما اطول من
الثاني لا يجهر ويقرأ في الاولى من قيامي الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة
النساء وفي الرابعة الفاتحة والمائدة او مقدار ذلك من القرآن من حيث اراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزأه ولو اقتصر على
سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر مائة آية وفي الثانية قدر ثمانين
وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما
جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر الا انه يجهر فيها لانها ليلية فاما وقتها فعند ابتداء الخسوف الى
تمام الانجلاء ويخرج وقتها بان ينجلي جميعه وتفوت صلاة خسوف القمر بان يطلع قرص الشمس اذ يبطل سلطان الليل ولا تفوت بغروب
القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر وان انجلى في اثناء الصلاة اتمها مخففة ومن ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة
لان الاصل هو الركوع الاول الثانية صلاة الاستسقاء فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار او انهارت قناة فيستحب للامام
ان يأمر الناس اولا بصيام ثلثة ايام وما اطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم يوم الرابع وبالعجائز
والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله
صلى الله عليه وآله وسلم لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج اهل الذمة متميزين لم
يمنعوا فاذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة فيصلي بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب
خطبتين بينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة
ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيجعل اعلاه اسفله وما على اليمين على الشمال
وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون سرا عند ذلك ثم يستقبلهم ويقول في الدعاء اللهم انك امرتنا بدعائك
ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة في ارزاقنا
ولا بأس بالدعاء ادبار الصلوات في الايام الثلثة قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها ويأتي في
كتاب الدعوات الثالثة صلاة الجنازة وكيفيتها مشهورة واجمع دعاء مأثور ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك انه قال رأيت رسول الله

عليه وآله وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله
واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا
خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف تمنيت ان اكون ذلك الميت ومن ادرك
التكبيرة الثانية فينبغي ان يرعى ترتيب صلوة نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيرة الذى فات كفعل المسبوق فانه
لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلوة معنى فالتكبيرات هي الاركان الظاهرة وجدير بان يقام مقام الركعات في بقية الصلوات
هذا هو الوجه الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلوة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطول بايرادها
وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وانما تصير نفلا في حق من لم يتعين عليه لحضور غيره ثم ينال به فضل فرض الكفاية
فانه لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض واسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون نفلا كيف لا اسقط به فرضا اي احد وينبغي طلب
كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس انه مات ابن له فقال يا كريب انظر
ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا اناس قد اجتمعوا له فاخبرته فقال تقول هم اربعون قال قلت نعم قال اخرجوه فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه واذا
شيع الجنازة فوصل المقابر او دخلها ابتداء قال عليه السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين
وانا ان شاء الله بكم لاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام عليه فقال اللهم عبدك رد اليك فارأف
به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح ابواب السماء لروحه وتقبله منه بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في احسانه
وان كان مسيئا فتجاوز عنه الرابعة تحية المسجد ركعتين فصاعدا وهي سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط وان كان الخطيب على المنبر
يخطب يوم الجمعة مع تاكيد وجوب الاصغاء الى الخطيب وان اشتغل بفرض او قضاء تادى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود ان لا
يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره ان يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور او جلوس فليقل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فقال انها تعدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي انه لا يكره
التحية في اوقات الكراهية وهي بعد العصر والصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روى انه عليه السلام صلى ركعتين
بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فافاد هذا الحديث فائدتين احديهما
ان الكراهية مقصورة على صلوة لا سبب لها ومن اضعف الاسباب قضاء النوافل اذ اختلف العلماء في ان النوافل هل تقضى واذا فعل
مثل ما فاته هل يكون قضاء فاذا انتفت الكراهية باضعف الاسباب فبالحري ان ينتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا يكره صلوة
الجنازة اذا حضرت ولا صلوة الخسوف والاستسقاء في هذه الاوقات لان لها اسبابا الفائدة الثانية قضاء النوافل اذ قضى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ولنا فيه اسوة حسنة وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا غلبه نوم
او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال العلماء من كان في الصلوة فناداه المؤذن فاذا سلم قضى
واجاب وان كان المؤذن قد سكت والصحيح الان انه يصير بعد ذلك قضاء لكن لا اول وليس قضاء اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم في وقت الكراهة نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي ان لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه
في وقت آخر كيلا يميل نفسه الى الدعة والراحة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه عليه السلام قال احب الاعمال
الى الله تعالى ادومها وان قل فيقصد به ان لا يفتر دوام عمله وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من
عبد الله بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله فليحذر ان يدخل تحت هذا الوعيد وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله بتركها ملالة فلولا المقت
والابعاد لما سلطت عليه الملالة الخامسة ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لان الوضوء قربة ومقصودها الصلوة والاحداث
عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلوة فيبطل الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات
وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال

لا اعرف شيئا الا اني لا احدث وضوءا الا اصلي عقيبه ركعتين او كما قال السادسة ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج
منه روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين تمنعانك مخرج السوء واذا
دخلت الى منزلك فصل ركعتين تمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل امر يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام وركعتان
عند ابتداء السفر وركعتان بعد الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك ماثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وكان بعض الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه وبداية الامور ينبغي
ان يبركها بذكر الله وهي على ثلث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله قال صلى الله عليه وآله وسلم كل امر ذي بال
لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر الثانية ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها ان يصدر بحمد الله تعالى
فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت هذا النكاح وقد كانت
عادة الصحابة في اداء الرسائل والنصيحة والمشورة والشفاعة تقديم التحميد الثالثة ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له
وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول اليه فانه نوع
سفر قريب السابعة صلوة الاستخارة فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخير في تركه او في الاقدام عليه فقد امر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا
فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت
تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني
ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني وقدر لي الخير اينما كان انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله قال
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال اذا هم احدكم بامر فليصل
ركعتين ثم ليسم الامر ويدعو بما ذكرنا وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة
لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب الثامنة صلوة الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومسته
حاجة في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلوة فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذي لا يرد ان
يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بام القرآن وآية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز
وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان
ذي العز والكرم سبحان ذي الطول اسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامة
التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد وعلى آل محمد ثم يسأل حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله تعالى قال
وهيب بلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون بها على معصية الله تعالى وهذه الصلوة رواها ابن مسعود عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم التاسعة صلوة التسبيح وهذه الصلوة ماثورة على وجهها ولا يختص بوقت ولا سبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة
واحدة او الشهر فقد روى عكرمة عن ابن عباس انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشيء اذا
انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته ان تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب
وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها
عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في
كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي
رواية اخرى انه يقول في اول الصلوة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة
قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجدة الاخيرة قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك
والمجموع في الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صليت نهارا فبتسليمة واحدة وان صليت ليلا فبتسليمتين احسن اذ قد ورد ان صلوة

الليل شيئا منها وان زاده بعد التسبيح ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات

فهذه هي الصلوات المأثورة ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الأوقات المكروهة الا تحية المسجد وما اوردناه بعدها واما ما

بعد التحية من ركعتي الوضوء لصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهي مؤكد وهذه الاسباب ضعيفة وقد رأيت بعض المتصوفة يصلي في

الاوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لان الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي ان يتوضأ

ليصلي لا انه يصلي لانه توضأ وكل محدث يريد ان يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له الا ان يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى

ولا ينبغي ان ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل اذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوؤه كما كان يفعله بلال فهو تطوع

محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على ان الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل ان ينوي بالصلاة الوضوء

بل ينبغي ان ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم ان يقول في وضوئه اتوضأ لصلاتي وفي صلاته يقول اصلي لوضوئي بل من اراد ان يحرس

وضوءه عن التعطل في وقت الكراهة فلينو قضاء ان كان يجوز ان يكون في ذمته قضاء صلاة تطرق اليها خلل بسبب من الاسباب فان قضاء

الصلوات في اوقات الكراهة غير مكروه ففي النهي مهمات ثلث احدها التوقي من مضاهاة عبدة الشمس ليطلع وسبها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها

فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلوة

في هذه الاوقات ونبه به على العلة والثالث ان سالكي طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات في جميع الاوقات والمواظبة على

نمط واحد من العبادات يورث الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل

هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملال بالمداومة

وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد استثقال وملال

ولذلك لم تكن الصلوة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك من

كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا مهمة في النهي عن ارتكاب اوقات

الكراهة الى غير ذلك من اسرار اخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فهذه المهمات لا تترك الا باسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلوة الاستسقاء والخسوف

وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغي ان يصادم به مقصود النهي هذا هو الاوجه عندنا والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

كتاب اسرار الزكوة ومهماتها

وهو الكتاب الخامس من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين تاليف الشيخ الامام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي رحمه الله بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اسعد واشقى وامات واحيا واضحك وابكى واوجد وافنى وافقر واغنى واضر واقنى الذي خلق الحيوان من

نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فافاض عليهم من نعمه ما ايسر به واستغنى واحوج اليه من

اخفق في رزقه واكدى اظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكوة للدين اساسا ومبنى وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن ماله زكى

والصلوة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله واصحابه المخصوصين بالعلم والتقى وسلم كثيرا اما بعد فان

الله تعالى جعل الزكوة احدى مباني الاسلام واردف بذكرها الصلوة التي هي اعلى الاعلام فقال تعالى اقيموا الصلوة وآتوا

الزكوة وقال صلى الله عليه وآله وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وشدد الوعيد على

المقصرين فيها فقال تعالى الذين يكنزون الذهب والفضة الآية ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج حق الزكوة قال الاحنف بن قيس

كنت في نفر من قريش فمر ابو ذر فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من بطونهم وبكي في اقفائهم يخرج من جباههم وفي

رواية يوضع على حلمة ثدي احدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال ابو ذر انتهيت الى النبي

صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال الاكثرون اموالا الا من قال

هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكوتها

الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس

كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقصارى مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكوة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة

والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغني معطي الزكوة وقابضها عن معرفته ونكشف ذلك في اربعة فصول الفصل الاول في انواع الزكوات

واسباب وجوبها الفصل الثاني في آدابها وشروطها الظاهرة والباطنة الفصل الثالث في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه الفصل الرابع في صدقة

التطوع وفضلها

الفصل الاول

في انواع الزكوات واسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها

ستة انواع زكوة النعم والنقدين والتجارة وزكوة الركاز والمعادن وزكوة المعشرات وزكوة الفطر

النوع الاول

زكوة النعم

ولا تجب هذه الزكوة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه فاما المال فشروطه خمسة ان يكون

نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال

الشرط الاول

كونه نعما فلا زكوة الا في الابل والبقر والغنم اما الخيل

والحمير والمتولد من الظباء والغنم فلا زكوة فيها الثاني السوم فلا زكوة في معلوفة واذا اسيمت في وقت وعلفت في وقت تظهر بذلك مؤنتها

فلا زكوة فيها الثالث الحول قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا زكوة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى من هذا نتاج المال فانه ينسحب عليه حكم

المال ويجب الزكوة فيه بحول الاصل ومهما باع المال في اثناء الحول او وهب انقطع الحول الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكوة في

الماشية المرهونة لانه هو الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب الا اذا عاد اليه بجميع نمائه فتجب زكوة ما مضى عند عوده ولو كان

عليه دين يستغرق ماله فلا زكوة عليه فانه ليس غنيا به اذ الغني ما يفضل عن الحاجة الخامس كمال النصاب اما الابل فلا شيء فيها حتى

تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية او ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان

وفي خمس عشرة ثلث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض

فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وان كان قادرا على شرائها وفي ست وثلثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها

حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها

بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلثين

استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون واما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلثين ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية

ثم في اربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل اربعين مسنة وفي كل ثلثين تبيع واما

الغنم فلا زكوة فيها حتى تبلغ اربعين ففيها شاة جذعة من الضأن او ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان

الى مائتين وواحدة ففيها ثلث شياه الى اربعمائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك

الواحد في النصاب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلثة نفر مائة وعشرون ففيها شاة على جميعهم وخلطة

الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط ان يريحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا وان يكونا

جميعا من اهل الزكوة ولا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت المخاض في

واجب الابل عن السن الى سن ما لم يجاوز بنت المخاض في النزول ولكن يضم اليه الجبران لكل سنة شاتين او عشرين درهما

ولصاحب المال ان يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعي من بيت المال ولا

تؤخذ في الزكوة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ويؤخذ من الكرائم كرائم ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الاكولة ولا

الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غذاء المال

النوع الثاني

زكوة المعشرات فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء

فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر ان يكون ثمانمائة من تمرا او زبيبا لا رطبا وعنبا

ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال احد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة فاذا كان جميعهم ثمانمائة من زبيب فعلى

جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا تعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل الشعير بالسلت فانه

نوع منه هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح او قناة فان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر

واما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب الا اذا اجتاحت الاشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها

في قطعها قبل تمام الادراك سوخذ الرطب ويكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل يرخص في مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح في الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف **النوع الثالث** زكوة النقدين فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكوة وتجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكوة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي هو على مليء ولكن تجب عند الاستيفاء وان كان مؤجلا فلا تجب الا عند حلول الاجل **النوع الرابع** زكوة التجارة وهي كزكوة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكوة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به اولى من نقد البلد ومن نوى التجارة في مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكوة والاولى ان يؤدي زكوة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في اخر الحول وجب الزكوة فيه بحول راس المال ولم يستانف له حولا كما في النتاج واموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكوة ربح مال القراض على العامل في حصته وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس **النوع الخامس** الركاز والمعادن والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والاولى ان لا يعتبر النصاب ايضا لان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره ايضا ليس ببعيد لان مصرفه مصرف الزكوات ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين واما المعادن فلا زكوة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيهما بعد الطحن والتخليص ربع العشر على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله ان يلحق في قدر الواجب بزكوة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر اذ هو عين النماء ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط ان يخرج الخمس من القليل والكثير ومن غير النقدين ايضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض والجزم بتفصيل شيء منها يمنع الاشباه **النوع السادس** صدقة الفطر وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيخرج من جنس قوته او من افضل منه فان اقتات حنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزاه وقسمتها كقسمة الزكوات فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه واولاده وكل قريب هو في نفقته اعني من تجب عليه نفقته من الاباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وآله وسلم ادوا صدقة الفطر عمن تمونون وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها اجزاها وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يؤدي عن بعضهم فالاولى بالتقديم من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه احكام فقهية لا بد للغني من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله ان يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا المقدار

الفصل الثاني في الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة **بيان** شروط الظاهرة

اعلم انه يجب على مؤدي الزكوة خمسة امور الاول النية وهو ان ينوي بقلبه زكوة الفرض وليس عليه تعيين الاموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالي الغائب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه ان لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكوة ولكن في ظاهر حكم الدنيا اعني في قطع المطالبة عنه اما في الاخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستانف الزكوة واذا وكل باداء الزكوة ونوى عند التوكيل او وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية الثاني البدار عقيب الحول وفي زكوة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من اخر يوم من رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن اخر زكوة ماله مع التمكن عصى ولم تسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق

فان اخر لغيبة المستحق فتلف ماله سقطت الزكوة عنه وتعجيل الزكوة جائز بشرط ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكوة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك او مات فالمدفوع ليس بزكوة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا اخر الامر وسلامة العاقبة الثالث ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزي ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة اقسام قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة في وصول الحصى اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل معناه لان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعو اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بان تكون الحركة لحق امر المعبود فقط لا لمعنى اخر واكثر اعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم في احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك اظهار العبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما امر من غير استيناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه **والقسم الثاني** من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء الدين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه عند رضاه تادى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس **والقسم الثالث** هو المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي ان ينسى ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكوة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكوة قرينة الصلوة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في ان على المكلف تعبا في تمييز اجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سياتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير ولكنه قادح في التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها في كتب الخلافيات ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل من الابل الى الشاة ولم يعدل الى النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين وان كانت الثياب والامتعة كلها في معناها فهذا وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكوة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شان الغلط فيه الرابع ان لا ينقل الصدقة الى بلد اخر فان اعين المساكين في كل بلدة تمتد الى اموالها وفي النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك اجزاه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكوة كل مال في تلك البلدة ثم لا باس ان يصرف الى الغرباء في تلك البلدة الخامس ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية فانه يشبه قول المريض انما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك والعبادات ينبغي ان يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في اكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكوة ويوجد في جميع البلاد اربعة اصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون اعني ابناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة اصناف مثلا قسم بينهم زكوة ماله بخمسة اقسام متساوية او متقاربة وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلاثة اسهم فما فوقها اما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي ان ينقص في كل صنف عن ثلثة ان وجد ثم لو لم يجب الا صاع للفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكوة وليخلط ماله بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه فان ذلك لا بد منه

بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكوة اعلم ان على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف الاولى

فهم وجوب الزكاة وسرها ووجه الامتحان فيها وانها لم جعلت من مباني الاسلام مع انها تصرف مالي وليست من عبادة الابدان وفي ذلك ثلاثة معان الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلائق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين الى قوله بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله تعالى والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الناس الى ثلاثة اقسام قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما فابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا جاء ابو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر رضي الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ابقيت لاهلك فقال مثله وقال لابي بكر ما ابقيت لاهلك قال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وآله وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله **القسم الثاني** درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم اما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى الآية واستدلوا بقوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون وبقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا انه مهما ارهقته حاجته كانت ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد ان اسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل ان يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقراض اي لا يجوز تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام وهي درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي اقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا يحفكم اي يستقصي عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا احد معاني امر الله سبحانه عباده ببذل المال المعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسيأتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التفصي منه وانما تزول صفة البخل بان تتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى المعنى الثالث شكر النعمة فان لله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله الوظيفة الثانية في وقت الاداء ومن آداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال بايصال السرور الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاته ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او شهر رمضان فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر لانه انزل فيها القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول **الوظيفة الثالثة** الاسرار فان ذلك ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وآله وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روي ايضا مسندا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تعالى له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفي الحديث المشهور سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما اعطته يمينه وفي الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية وفائدة الاخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص منه وقد بالغ في فضل الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقيه في يد اعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شانه ويوصيه بان لا يفشيه كل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب سبحانه وتعالى واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن الا بان يعرفه شخص واحد فتسليمه الى وكيل ليسلم الى المسكين والمسكين لا يعرف اولى اذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط الا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكاة ازالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقربا لادغة وصفة الرياء تنقلب في القبر في حكم المثال افعى من الافاعي وهو مأمور بتضعيفهما او قتلهما لدفع اذاهما او تخفيف اذاهما فمهما قصد الرياء والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ما يضعف من العقرب يزيد في قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه وقوة هذه الصفات التي هذا اثرها بالعمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فاي فائدة في ان يخالف داعي البخل ويجيب داعي الرياء فيضعف الادنى ويقوى الاقوى وستأتي اسرار هذه المعاني في ربع المهلكات **الوظيفة الرابعة** ان يظهر حيث يعلم ان في اظهاره ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء فقد قال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال الابداء اما للاقتداء واما لان السائل انما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي ان يترك التصدق خيفة من الرياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لان في الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بان يرى في صورة المحتاج فمن اظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من تستر به فانه محظور والتجسس فيه والاعتناء بذكره منهي عنه فاما من اظهره فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وآله وسلم من القى جلباب الحياء فلا غيبة له وقد قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ندب الى العلانية ايضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيها فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال **الوظيفة الخامسة** ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن والاذى فقيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها وقال سفيان من من فسدت صدقته فقيل له كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث به وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء والاذى ان يعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره او يوبخه بالمسألة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل الله صدقة منان وعندي ان المن له اصل ومغرس وهو من احوال القلب وصفاته ثم تتفرع عليه احوال ظاهرة على اللسان والجوارح فاصله ان يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا اليه

بل لحق الله تعالى به الذي يطهره وبحاجته من النار فانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل في قبض حقه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل ان تقع في يد السائل فليتحقق انه مسلم الى الله حقه والفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته الى الله تعالى ولو كان عليه دين لانسان فاحال به عبده او جاريته الذي هو يتكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت منته سفاهة وجهالة فان المحسن اليه هو المتكفل برزقه اما هو فانما يقضي الذي لزمه بشراء ما احبه وهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم الوجوب او احدها لم ير نفسه محسنا الا الى نفسه اما ببذل ماله اظهارا لحب الله او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما حصل هذا الجهل بان رأى نفسه محسنا اليه تفرع منه الى ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الامور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه واما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه امران احدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محالة والثاني رؤيته انه خير من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس منه وكلاهما منشأه الجهل اما كراهية تسليم المال فهو حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي الفا فهو شديد الحماقة ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضا الله تعالى والثواب في الآخرة وذلك اشرف مما بذله او يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل وشكرا لطلب المزيد وكيفما فرض فالكراهة لا وجه لها واما الثاني فهو ايضا جهل لانه لو عرف فضل الفقير على الغني وعرف خطر الاغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم هم الاخسرون ورب الكعبة فقال ابو ذر من هم قال هم الاكثرون اموالا الحديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى مسخرا له اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد الزم ان يسلم الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم اليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فيأكلها اعداؤه فاذن مهما انتفت الكراهة وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له في اداء الواجب وتقييضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والاذى فان قلت فرؤيته نفسه في درجة المحسن امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها انه لم ير نفسه محسنا فاعلم ان له علامة دقيقة واضحة وهو ان يقدر ان الفقير لو جنى عليه جناية او مالأ عدوا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده على استنكاره قبل التصدق فان زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لانه توقع بسببها ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك فان قلت فهذا امر غامض ولا ينفك قلب احد عنه فما دواؤه فاعلم ان له دواء باطنا ودواء ظاهرا اما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول واما الظاهر فالاعمال التي يتعاطاها متقلد المنة فان الافعال التي تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سيأتي اسراره في الشطر الاخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو رده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه لتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وام سلمة رضي الله عنهما اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما وهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا تعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة التي تجري مجرى الخشوع من الصلوات وتحت ذلك قوله عليه السلام لا يقبل الله صدقة منان وقوله عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذه الشريطة فحديث آخر وقد اشرنا الى معناه في كتاب الصلاة **الوظيفة السادسة** ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله وقيل لا يتم المعروف الا بثلاثة امور تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والاذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتأمل انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله وله المنة عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله وان كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الآخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه واما العمل فهو ان يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله تعالى فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله وبذل جميعه هو الاحب عند الله تعالى وانما لم يأمر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال تعالى فيحفكم تبخلوا **الوظيفة السابعة** ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه واجله واطيبه فان الله طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفي حديث ابان عن انس طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ قد يمسك الجيد لنفسه او لعبده او لاهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردأ طعام في بيته لاوغر بذلك صدره هذا ان كان نظره الى الله وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى والذي يأكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الآية اي لا تأخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه ولذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ووقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدأ وقال جرم ان لهم النار اي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار **الوظيفة الثامنة** ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك الصفات وهي ست **الصفة الاولى** ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي وهذا لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعانتك اياه وقال صلى الله عليه وآله وسلم اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين وفي حديث آخر اضف بطعامك من تحبه في الله وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان افضل فقال لا هؤلاء قوم همهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله تعالى احب الي من ان اعطي الفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه **الصفة الثانية** ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم افضل **الصفة الثالثة** ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطاء حمد الله تعالى وشكره ورأى ان النعمة منه ولم ينظر الى الواسطة فهذا هو اشكر العباد لله تعالى وهو ان يرى ان النعم كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اذ سلط الله عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله تعالى في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي

الباعث ارجح ... ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا يتردد فيه ... وبعض الاسباب قد يرجح على بعض ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال عرف الحق لاهله ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها من الافك قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت والله لا افعل ولا احمد الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعها يا ابا بكر وفي لفظ آخر انها قالت لابي بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك مع ان الوحي وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورؤية الاشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة الآية ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انها وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله في تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه **الصفة الرابعة** ان يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ... لانهم اغنياء بيقينهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغي ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال **الصفة الخامسة** ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الآخرة بعيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف فبهذه الاسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطي العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال **الصفة السادسة** ان يكون من الاقارب وذوي الارحام فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى قال علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الي من ان اتصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة درهم احب الي من ان اعتق رقبة والاصدقاء واخوان الخير ايضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك واصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد ... والاجر الثاني ما يعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فان قلوب الابرار لها آثار في الحال والمآل فان اصاب حصل الاجران وان اخطأ حصل الاول دون الثاني فبهذا يتضاعف اجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله اعلم

الفصل الثاني

في القابض واسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان اسباب الاستحقاق اعلم انه لا يستحق الزكاة الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمي ولا الى مطلبي اما الصبي والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية

الصنف الاول الفقراء والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان له قميص وليس له منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لانه في الحال قد عدم ما هو محتاج اليه ... فلا ينبغي ان يشترط في الفقير ان لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ... عن الفقر كونه معتادا للسؤال ... بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير

ويجوز ان يشترى له آلة وان قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات واوراد الاوقات فليكتسب لان الكسب اولى من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة واراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسألة وان كان مكتفيا بنفقة ابيه او من تجب عليه نفقته فهذا اهون من الكسب وليس بفقير **الصنف الثاني** المساكين والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك الف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فأسا وحبلا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك سوى الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب واثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي ان يحتاط في فهم الحاجة الى الكتاب فالكتاب يحتاج اليه لثلاثة اغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا الا مجرى التفرج والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة واما حاجة التعليم ان كان لاجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس باجرة فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كادوات الخياط وسائر المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكنة لانها حاجة مهمة واما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتاب طب ليعالج به نفسه او كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي ان يضبط مدة الحاجة والاقرب ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شيء لزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم فحاجة اثاث البيت وثياب البدن ينبغي ان تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء ولا ثياب الشتاء في الصيف والكتب بالثياب والاثاث اشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة الا الى احداهما فان قال احداهما اصح والاخرى احسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع التفرج والترفه وان كان نسختان من علم واحد احداهما بسيط والاخرى وجيز فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ في كل واحدة فائدة ليست في الاخرى وامثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وانما اوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقدار عددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديد بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع ياخذ فيه بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط **الصنف الثالث** العاملون وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجرة المثل فان فضل شيء من الثمن عن اجر مثلهم رد على بقية الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح **الصنف الرابع** المؤلفة قلوبهم على الاسلام وهم الاشراف الذين اسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي اعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظرائهم واتباعهم **الصنف الخامس** المكاتبون فيدفع الى السيد سهم المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته الى مكاتب نفسه لانه بعد عبد له **الصنف السادس** الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة او اطفاء فتنة **الصنف السابع** الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنياء اعانة لهم على الغزو والجهاد **الصنف الثامن** ابن السبيل وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد آخر اعطي بقدر بلغته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا اما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله اذا لم يعلم كذبه واما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى بقوله اني غاز فان لم يف به استرد واما بقية الاصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق فاما مقادير ما يصرف الى كل واحد فسيأتي **بيان** وظائف القابض وهي خمسة الاولى ان يفهم ان الله عز وجل اوجب صرف الزكاة اليه ليكفي مهمه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله عز وجل الخلق بان يكون همهم واحدا وهو الله واليوم الآخر وهو المعنى ... ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة

نعمة ليكفي الحاجات فأكثر الأموال وصبها في أيدي عباده ليكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعتهم فمنهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقحمه في الخطر ومنهم من أحبه فحماه عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنه فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه إن شاء الله فليأخذ ما يأخذه من الله عز وجل رزقاً له وعوناً له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل فإن استعان به على معصية الله عز وجل كان كافراً لأنعم الله عز وجل مستحقاً للبعد والمقت من الله.

الثانية أن يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله إليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقاً وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد أثنى الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاعلها ... ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع إذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض ... والنافع للمعطي ملاحظة أسباب التصغير ... والقابض بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله فإن من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلاً.

الثالثة أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حل تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحاً من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق عليه الأمر وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مالكاً معيناً فله أن يأخذ بقدر الحاجة فإن فتوى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به على ما سيأتي بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك إذا عجز عن الحلال فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديها وهو حرام.

الرابعة أن يتوقى مواضع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا المقدار المباح ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذ بالكتابة أو الغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل وإن أعطي زيادة أبى وامتنع إذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وإن كان مسافراً لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده وإن كان غازياً لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وإن أخذ بالمسكنة فلينظر أولاً إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه أو يستغني عن نفاسته فيمكن أن يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك إلى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهراً وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل المتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالاً كثيراً بل ما يتمم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادخر لعياله قوت سنة فهذا أقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب إلى التقوى ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال غداؤه وعشاؤه وقال آخرون يأخذ إلى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد الغنى خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش فسئل وما غناه قال خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم أربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعاً أنه عليه السلام قال من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال

وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني بها طول عمره أو يهيئ بضاعة ليتجر بها ويستغني بها طول عمره لأن هذا هو الغنى وقد قال عمر رضي الله عنه إذا أعطيتم فأغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل أبو طلحة ببستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال عليه السلام اجعله في قرابتك فهو خير لك فأعطاه حسان وأبا قتادة فحائط من نخل لرجلين كثير مغن وأعطى عمر أعرابياً ناقة معها ظئرها فهذا ما يحكى فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز إلى أن يشتري ضيعة فيستغني بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضاً مائل إلى الإسراف والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك كما قال صلى الله عليه وآله وسلم إذ الإثم حزاز القلوب فإذا وجد القابض في نفسه شيئاً مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللاً بالفتوى من علماء الظاهر فإن لفتاويهم قيوداً ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة.

الخامسة أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه فإنه لا يستحق مع شريكه إلا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فإنهم لا يراعون هذه القسمة إما لجهل وإما لتساهل وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسيأتي ذكر مظان السؤال ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام

الفصل الرابع

في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها بيان فضيلة الصدقة من الأخبار قوله صلى الله عليه وآله وسلم تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيباً إلا كان الله عز وجل يأخذها بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي الدرداء إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال الصدقة تسد سبعين باباً من الشر وقال صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال ما المعطي من سعة بأعظم أجراً من الذي يقبل إذا كان محتاجاً وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوماً لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندي ديناراً فقال أنفقه على نفسك قال إن عندي آخر قال أنفقه على زوجتك قال إن عندي آخر قال أنفقه على ولدك قال إن عندي آخر قال أنفقه على خادمك قال إن عندي آخر قال أنت به أبصر وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تحل الصدقة لآل محمد إنما هي أوساخ الناس وقال ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام وقال لو صدق السائل ما أفلح من رده وقال عيسى من رد سائلاً خائباً لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لا يكل خصلتين إلى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال عليه السلام ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين المتعفف اقرؤوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافاً وقال عليه السلام ما من مسلم يكسو مسلماً إلا كان في حفظ الله ما دامت عليه منه رقعة

الآثار

قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفاً وإن درعها لمرقع وقال مجاهد في قوله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه قال وهم يشتهونه وكان عمر بن الخطاب يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوي الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبي الجعد إن الصدقة لتدفع سبعين باباً من الشر وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفاً وإنها لتفك لحيي سبعين شيطاناً وقال ابن مسعود إن رجلاً عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل سبعين سنة وقال لقمان لابنه إذا أخطأت خطيئة فأعط صدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف

حين من حبال الدنيا الا الجنة منها الصدقة وقال عبد العزيز بن ابى رواد كان يقال ثلاث من كنوز الجنة كتمان المرض
وكتمان المصائب وكتمان الصدقة وروى مسندا وقال عمر بن الخطاب ان الاعمال تتباهى فتقول الصدقة انا افضلكن وكان عبد الله
بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم انى احب السكر وقال النخعى اذا كان الشى
لله لا احب ان يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة اجوع ما كانوا قط واعرى ما كانوا قط واظما ما كانوا قط فمن اطعم لله اشبعه الله
ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم اغنيا لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال
الشعبى من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه وكان مالك لا يرى باسا بشرب الرجل من الماء
الذى يتصدق به ويسقى فى المسجد ويقول انما جعل للعطشان كائنا من كان ولم يرد به اهل الحاجة والمسكنة على الخصوص وقيل ان الحسن
مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس اترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضى فى الحور العين بالفلس
واللقمة **بيان** اخفاء اخذ الصدقة واظهارها قد اختلف طلاب الاخلاص فى ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء افضل ومال قوم الى ان الاظهار
ونحن نشير الى ما فى كل واحد من المعانى والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه اما الاخفاء ففيه خمسة معان **الاول** انه ابقى للستر على الآخذ فان
اخذه ظاهرا هتك لستر المروة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف
الثانى انه اسلم لقلوب الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذ مع الاستغنا او ينسبونه الى اخذ زيادة
والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم اولى وقال ايوب السختيانى انى لاترك لبس الثوب الجديد خشية
ان يحدث فى جيرانى حسد وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشى لاجل اخوانى يقولون من اين له هذا وعن ابرهيم التيمى انه رئى عليه قميص
جديد فقال بعض اخوانه من اين لك هذا فقال كسانيه اخى خيثمة ولو علمت ان اهله علموا به ما قبلته **الثالث** اعانة المعطى على اسرار العمل فان
فضل السر على الجهر فى الاعطا اكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما اظهر هذا انكشف امر المعطى
ودفع رجل الى بعض العلما شيئا ظاهرا فرده ودفع اليه آخر شيئا فى السر فقبله فقيل له فى ذلك فقال ان هذا عمل بالادب فى اخفا معروفه فقبلته
وذاك اسا ادبه فى عمله فرددت عليه سوءه وقيل لبعض العارفين والسر شيئا كان يرده فى العلانية فسئل فى ذلك فقال عصيت الله عز وجل
بالجهر فلم اكن عونا لك على المعصية واطعته بالاخفا فاعنتك على برك وقال الثورى لو علمت ان احدهم لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت
الرابع ان فى اظهار الصدقة ذلا وامتهانا وليس للمومن ان يذل نفسه كان بعض العلما ياخذ فى السر ولا ياخذ فى العلانية ويقول ان فى
اظهاره اذلالا للعلم وامتهانا لاهله فما كنت بالذى ارفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله **الخامس** الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله
عليه وآله وسلم من اهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاوه فيها ولان يكون ورقا او ذهبا لا يخرجه عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم افضل ما
ان يهدى الى اخيه ورقا او يطعمه خبزا [illegible] فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطى فى الملا مكروه الا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم
عن هذه الشبهة واما الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة **الاول** الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراآة **الثانى** فى
اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبرى عن الكبريا ودعوى الاستغنا واسقاط النفس من اعين الخلق قال بعض العارفين
لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك لا تخلو عن احد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه اسلم لدينك
واقل لآفات نفسك او رجل تزداد فى قلبه باظهارك الصدق فذلك الذى يريده اخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة محبته لك وتعظيمه اياك
فتوجر انت اذ كنت سبب مزيد ثوابه **الثالث** هو ان العارف لا نظر له الا الى الله والسر والعلانية فى حقه واحد فاختلاف الحال
فى التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبا بدعا من ياخذ فى السر ويرد فى العلانية والالتفات الى الخلق حضروا ام غابوا نقصان فى الحال بل ينبغى
ان يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد وحكى ان بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فاراد ان يظهر
لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد كل واحد وذبح الا ذلك المريد
فانه رد الدجاجة فقال الشيخ ما لك لم تذبح كما ذبح اصحابك فقال لم اجد مكانا لا يرانى فيه احد فان الله عز وجل يرانى فى كل موضع فقال الشيخ
لهذا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله **الرابع** ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران النعمة

وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله وقرنه بالبخل فقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم
اذا انعم الله تعالى على عبد نعمة احب ان ترى عليه واعطى رجل بعض العارفين شيئا فى السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية
فيها افضل والسر فى امور الآخرة افضل ولذلك قال بعضهم اذا اعطيت فى الملا فخذ ثم اردد فى السر والشكر محثوث عليه وقال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر
الناس لم يشكر الله والشكر قائم مقام المكافاة حتى قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا عليه به وادعوا له
حتى تعلموا انكم قد كافاتموه ولما قالت المهاجرون فى الشكر يا رسول الله ما راينا خيرا من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان يذهبوا
بالاجر كله فقال كلا ما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم فهو مكافاة فالآن اذا عرفت هذه المعانى فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس ليس اختلافا
فى المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطا فى هذا انا لا نحكم حكما بتا بان الاخفا افضل فى كل حال او الاظهار افضل بل يختلف ذلك باختلاف
النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغى ان يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع
ومكر الشيطان والمكر والخداع اغلب فى معانى الاخفا منه فى الاظهار مع ان له دخلا فى كل واحد منهما فاما مدخل الخداع فى الاسرار فمن ميل
الطبع اليه لما فيه من خفض الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدرا والى المعطى بعين المنعم المحسن اليه
فهذا هو الدا الدفين ويستكن فى النفس والشيطان بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتعلل بالمعانى الخمسة التى ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه امر
واحد وهو ان يكون تالمه بانكشاف اخذه كتالمه بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغى صيانة الناس عن الغيبة
والحسد وسوء الظن او يتقى انتهاك الستر او اعانة المعطى على الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة اخيه
فان كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف صدقة غيره فتقديره الحذر من هذه المعانى اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال
العلم محذور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض مصون لا من حيث انها تعرض لعرض زيد
على الخصوص ومن احسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث
انه تطييب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا فى اكرامه وتفقده وهذا دا دفين
فى الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج عليه هذا الخبث فى معرض السنة ويقول الشكر من السنة والاخفا ويورد عليه المعانى
التى ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده فى الباطن ما ذكرناه ومعياره ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهى الخبر الى المعطى ولا
الى من يرغب فى عطائه وبين يدى جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون فى اخفائها وعادتهم انهم لا يعطون الا من يخفى ولا يشكر فان استوت
هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة فى الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا كان باعثه السنة فى الشكر فلا ينبغى ان يغفل عن قضا
حق المعطى فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغى ان يخفى ولا يشكر لان قضا حقه ان لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم
من حاله انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم للرجل الذى مدح بين يديه ضربت
عنقه لو سمعها ما افلح مع انه عليه السلم كان يثنى على قوم فى وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد فى رغبتهم فى الخير فقال
فى واحد انه سيد اهل الوبر وقال فى آخر اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ان من البيان لسحرا وقال اذا علم احدكم من اخيه
خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة فى الخير وقال اذا مدح المومن ربا الايمان فى قلبه وقال الثورى من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقال الثورى
ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا وكنت انا اسر به منك ورايت ذلك نعمة من الله على فاشكر والا فلا تشكر ودقائق هذه المعانى ينبغى
ان يلحظها من يراعى قلبه فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذى
قيل فيه ان تعلم مسئلة واحدة منه افضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ
فى الملا والرد فى السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغى ان يدفع بالتزويقات الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوى السر والعلانية وذلك هو الكبريت
الاحمر الذى يتحدث به ولا يرى **بيان** الافضل من اخذ الصدقة او الزكاة كان ابرهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان اخذ الصدقة افضل
فان فى اخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل فى اخذه صفة الاستحقاق كما وصف فى كتاب الله تعالى واما الصدقة
فالامر فيها اوسع وقال قائلون ياخذ الزكاة دون الصدقة لانه اعانة على واجب ولو ترك المساكين كلهم اخذ الزكاة لاثموا ولان الزكاة

لانه فيها زيادة حق ولحب لله رؤية العباد المحتاجين ولانه اخذ الحاجة ولا انسان يعلم حاجة نفسه قطعا ولحق الصدقة رفع الدين
فان الغالب ان المتصدق يعطي من يستحقه حيا ولانه من انفاس المساكين ادعى لذوق الذل والمسكنة وفي بعض الكمال في اخذ الصدقة
في معرض المنة ما لم يتمحض تخصيص على ذلك الاخوة خاصة والترك الحق في هذا انه يختلف باختلاف احوال الشخص وانها انعم بعلي
حصر من النية فان كان في شبهة من استحقاقه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان ياخذ الزكاة واذا علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين
صرفه الى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير بين هذا وبين الصدقة فان كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال
لو لم ياخذه هو فلياخذ الصدقة فان الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها الى مستحقها ففي ذلك تكثير الخير وتوسيع على المساكين وان كان المال
معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما متقارب واخذ الزكاة اشد في كسر النفس واذلالها
فاعلم ذلك

كتاب اسرار الصيام ومهماته

بسم الله الرحمن الرحيم وحسبي وعليه توكلي

الحمد لله الذي اعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد امله وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنة وفتح
لهم به ابواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان الى قلوبهم الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية
المنة والصلوة على محمد قائد الخلق وممهد السنة وعلى آله واصحابه ذوي الابصار الثاقبة والعقول المرجحنة وسلم تسليما اما بعد
فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله عليه الصلوة والسلام الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله عليه السلام الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية
النسبة الى الله عز وجل من بين سائر الاركان اذ قال سبحانه وتعالى فيما اخبر عنه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة
ضعف الا الصوم فانه لي وانا اجزي به وقد قال عز وجل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه
قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله عليه الصلوة والسلام والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله عز وجل من ريح
المسك يقول الله عز وجل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي فالصوم لي وانا اجزي به وقال صلى الله عليه وآله للجنة باب يقال له
الريان لا يدخله الا الصائمون وهو موعود بلقاء الله عز وجل في جزاء صومه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم للصائم فرحتان فرحة عند افطاره
وفرحة عند لقاء ربه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وقال عليه الصلوة والسلام نوم الصائم عبادة
وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين ونادى
مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية هي ايام الصوم اذ
تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال ان الله تعالى
يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول ايها الشاب التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي وقال في الصائم يقول
الله تعالى يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي وقيل في قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فيفرغ للصائم جزاؤه افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت
وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة اليه والارض كلها له
لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه
الا الله تعالى فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل
والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال عليه السلام
لعائشة داومي قرع باب الجنة قالت بماذا يا رسول الله قال بالجوع وسيأتي فضل الجوع في كتاب كسر الشهوتين من ربع
المهلكات ان شاء الله فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله تعالى
ففي قمع عدو الله نصرة له ونصرة الله موقوفة على النصرة له قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداية بالجهد من العبد
والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال عز وعلا والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
وانما التغيير تكثير الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله تعالى

وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء
فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة
بذكر اركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلثة فصول

الفصل الاول

في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده اما الواجبات الظاهرة فستة الاول مراقبة اول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان
غم فاستكمال ثلثين من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدلين ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا
للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه
واذا رؤي الهلال ببلدة ولم ير باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلد حكمها ولا يتعدى
الوجوب الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى ان يصوم شهر رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع
الذي خمسا سوى كل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجز لصيام رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذي عنينا بقولنا مبيتة ولو نوى
الصوم مطلقا او الفرض مطلقا لم يجز حتى ينوي فريضة الله صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان
لم يجز فانها ليست جازمة الا ان يستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل او كذبه لا يبطل الجزم او يستند الى استصحاب
كالشك في الليلة الاخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية او يستند الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان
باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزم النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم
القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه
تردد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن نوى ليلا ثم اكل لم تفسد نيته ولو نوت في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها الثالث
الامساك عن ايصال شيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة
والاكتحال وادخال الميل في الاذن والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق او ذبابة يسبق الى جوفه
او ما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذي اردنا بقولنا عمدا فاما ذكر الصوم فاردنا به
الاحتراز عن الناسي فانه لا يفطر اما من اكل عامدا في طرفي النهار ثم ظهر له انه اكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وان بقي على حكم ظنه واجتهاده
فلا قضاء عليه ولا ينبغي ان يأكل في طرفي النهار الا بنظر واجتهاد الرابع الامساك عن الجماع وحده تغييب الحشفة في الفرج وان جامع
ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا او احتلم واصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط اهله فنزع في الحال صح صومه وان صبر فسد
ولزمته الكفارة الخامس الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المني قصدا بجماع او بغير جماع فان ذلك مفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها
ما لم ينزل ولكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا او مالكا لاربه فلا باس بالتقبيل وتركه اولى واذا كان يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المني
افطر لتقصيره السادس الامساك عن اخراج القيء فالاستقاءة تفسد الصوم وان ذرعه القيء لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من حلقه او صدره
لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به الا ان يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند ذلك واما اللوازم بالافطار فاربعة القضاء والكفارة
والفدية والامساك بقية النهار تشبها بالصائمين اما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر او بغير عذر فالحائض تقضي الصوم
وكذا المرتد اما الصبي والكافر والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضي الصوم وكذا المرتد اما الصبي والكافر
من غير تقييد واما الكفارة فلا تجب الا بالجماع واما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا الجماع فلا يجب فيه كفارة والكفارة عتق رقبة فان اعسر فصوم
شهرين متتابعين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا واما الامساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه
ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية النهار ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفره ويجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل يوم
الشك والصوم في السفر افضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم يقدم اذا قدم صائما واما الفدية فتجب
على الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا واما
السنن فستة تأخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر او بالماء قبل الصلوة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائله

في الزكوة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الاخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا دخل
العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب وادأب اهله اي داموا النصب في العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انها في اوتارها
واشبه الاوتار بها ليلة احدى وعشرين وثلث وعشرين وخمس وعشرين وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف اولى فان نذر اعتكافا متتابعا او نواه
انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة مريض او لشهادة او لجنازة او زيارة او تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة
لم ينقطع وله ان يتوضأ في البيت ولا ينبغي ان يعرج على شغل آخر كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسأل عن المريض
الا مارا وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا بأس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح ولا بالاكل والنوم وغسل اليد في الطست
فكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا يخرج ببعض بدنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدني رأسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة
ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجة فاذا عاد ينبغي ان يستأنف النية الا اذا كان قد نوى اولا عشرة ايام مثلا والافضل مع ذلك التجديد

الفصل الثاني في اسرار الصوم وشروطه الباطنة اعلم ان للصوم ثلث درجات صوم العموم
وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص
فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار
الدنيوية وكفه عما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا يراد للدين فان ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب
من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود
وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا نطول النظر في تفصيلها قولا ولكن في تحقيقها عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله وانصراف عن غير الله
وتلبس بمعنى قوله قل الله ثم ذرهم واما الصوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة امور الاول غض البصر
وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله تعالى قال صلى الله عليه وآله وسلم النظرة سهم مسموم من سهام
ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى آتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وروى جابر عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال خمس
يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة الثاني حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش
والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت وشغله بذكر الله وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه
بشر بن الحارث وروى ليث عن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وآله وسلم انما الصوم جنة فاذا كان
احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم اني صائم وجاء في الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستأذنانه
في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احديهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه
فعجب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احديهما الى الاخرى
فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم الثالث كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك
سوى الله تعالى بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم
الاثم واكلهم السحت فالسكوت عن الغيبة حرام وقال انكم اذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم المغتاب والمستمع شريكان في الاثم
الرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام
الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله
وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره
وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي
يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام الخامس ان لا يستكثر من الحلال
وقت الافطار بحيث يمتلي جوفه فما من وعاء ابغض الى الله من بطن ملي من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم

عند الافطار ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة لرمضان فيؤكل فيه من الاطعمة ما لا
يؤكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى فاذا دفعت المعدة من ضحوة النهار الى العشاء
حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما
عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل
ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل اكلته التي كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من
الآداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف
حتى يخف عليه تهجده واوراده فعسى الشيطان ان لا يحوم على قلبه فينظر الى الملكوت وهو المراد بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ومن جعل بين قلبه
وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله وذلك هو الامر كله ومبدأ
جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الاطعمة ان شاء الله تعالى السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا
بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد
روي عن الحسن بن ابي الحسن انه مر بقوم وهم يضحكون فقال ان الله تعالى جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته
فسبق قوم ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون اما والله
لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء باساءته اي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك
وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال اني اعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله اهون من الصبر على
عذابه فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء صومه صحيح
فما معناه فاعلم ان فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هي اضعف من هذه الادلة التي اوردناها في هذه الشروط الباطنة لا سيما
الغيبة واشباهها ولكن ليس الى فقهاء الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علماء الآخرة
فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى المقصود ويفهمون ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من اخلاق الله وهو الصمدية والاقتداء
بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته
ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط الى اسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما
قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين والتحق بافق الملائكة والملائكة مقربون من الله والذي يقتدي بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله كقربهم فان
الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند ارباب الالباب واصحاب القلوب فاي جدوى
لتأخير اكلة وجمع اكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الاخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فاي معنى لقوله صلى الله عليه وآله وسلم
كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ولهذا قال ابو الدرداء رضي الله عنه يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف لا يعيبون صوم الحمقى
وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر
صائم والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم ان مثل من كف عن الاكل والشرب والجماع وافطر بمخالطة الآثام
كمن مسح على عضو من اعضائه في الوضوء ثلث مرات فقد وافق في الظاهر العدد الا انه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ومثل
من افطر بالاكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل اعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومثل من
جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلث مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته
ولما تلا قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع امانة والبصر امانة ولولا انه من امانات
الصوم لما قال فليقل اني صائم اي اني اودعت لساني لاحفظه فكيف اطلقه بجوابك فاذا قد ظهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا
ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة الآن في ان تقنع بالقشر عن اللباب او تتحيز الى غمار ارباب الالباب

الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه اعلم ان استحباب الصوم يتأكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل

سنة وبعضها في كل شهر وبعضها في كل اسبوع اما في السنة فبعد ايام رمضان يوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع
الاشهر الحرم مظان الصوم وهي اوقات فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه من
رمضان وفي الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ولانه ابتداء السنة فبناؤها على الخير احب وارجى لدوام بركته وقال صلى الله
عليه وآله وسلم صوم يوم من شهر حرام افضل من ثلاثين من غيره وفي الخبر من صام ثلاثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب
الله له عبادة تسعمائة عام وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم الا رمضان ولهذا يستحب ان يفطر قبل رمضان اياما فان
وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز ان يقصد استقبال رمضان
بيومين او ثلاثة الا ان يوافق وردا له وكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهي شهر رمضان والاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم
ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وافضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات
والمعدودات وذو القعدة من الاشهر الحرم وهو من اشهر الحج وشوال من اشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج وفي الخبر ما من ايام العمل فيهن افضل
واحب الى الله عز وجل من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله
قال ولا الجهاد في سبيل الله الا من عقر جواده واهريق دمه واما ما يتكرر في الشهر فاول الشهر واوسطه وآخره ووسطه الايام البيض
وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر واما في الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام
وتكثير الخيرات ليتضاعف اجرها ببركة هذه الاوقات واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك
اذ وردت اخبار تدل على كراهيته والصحيح انه انما يكره لشيئين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والآخر ان يرغب
عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه ان الله يحب ان تؤتى رخصه فاذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر
فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه ابو موسى الاشعري من صام الدهر كله
ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك
اشد على النفس واقوى في قهرها وقد ورد في فضله اخبار لان العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
عرضت علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت وقال صلى الله
عليه وآله وسلم افضل الصيام صوم اخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن عمرو في الصوم
وهو يقول اني اطيق افضل من ذلك فقال لا افضل من ذلك وقد روي انه صلى الله عليه وآله وسلم ما صام شهرا كاملا قط الا شهر رمضان
بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو ان يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام ثلاثة من اول الشهر وثلاثة من
الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث واذا ظهرت اوقات
الفضيلة فالكمال في ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله تعالى والفقيه بدقائق الباطن ينظر الى احواله فقد يقتضي
حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم فاذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب
لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال
لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره
العلماء ان توالى بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد ردي العادات ويفتح
ابواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين فهذا ما اردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به
والله اعلم هذا آخر كتاب الصوم والحمد لله حق حمده وصلواته على رسوله محمد النبي وآله وصحبه اجمعين من بعده وسلامه والله اعلم

كتاب اسرار الحج ومهماته

وهو السابع من ربع العبادات بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وامنا واكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا
وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله وصحبه
قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان الحج من بين اركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام
وكمال الدين فيه انزل الله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه قال صلى الله عليه وآله وسلم
من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في
الضلال واجدر بها ان نصرف العناية الى شرحها وتفصيل اركانها وسننها وآدابها وفضائلها واسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله تعالى في
ثلاثة ابواب **الباب الاول** في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل اركانها وشرائط وجوبها
الباب الثاني في اعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر الى الرجوع **الباب
الثالث** في آدابها الدقيقة واسرارها الخفية واعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الاول وفيه فصلان **الفصل
الاول** في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة وشد الرحال الى المشاهد فضيلة الحج قال الله تعالى واذن في الناس بالحج يأتوك
رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق قال قتادة لما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا ايها الناس ان الله سبحانه بنى بيتا فحجوه
نداءه كل من يريد الله عز وجل ان يحج من ذريته الى يوم القيامة وقال الله تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في الموسم والاجر في الآخرة ولما سمع
بعض السلف هذا قال غفر
لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم اي طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه
وآله وسلم من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما رئي الشيطان في يوم هو فيه اصغر
ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب
ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد اسنده جعفر بن محمد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر بعض المكاشفين من المقربين ان ابليس لعنه الله
ظهر له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي ابكى عينك قال خروج
الحاج اليه بلا تجارة اقول قد قصدوه اخاف ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي انحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله عز وجل ولو كانت
في سبيلي كان احب الي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان احب الي قال فما الذي قصف ظهرك
قال قول العبد اسألك حسن الخاتمة اقول يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله اخاف ان يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحجاج
والعمار وفد الله وزواره ان سألوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من
طريق اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله تعالى لم يغفر له وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ينزل
على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت
فانه من اجل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيامة واغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف
اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنبه ويقال ان الله تعالى اذا غفر للعبد ذنبا في الموقف
غفره لكل من اصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل اهل عرفة وهو افضل يوم في الدنيا
وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا قال اهل الكتاب لو انزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت في يوم عيدين اثنين
يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر
له الحاج وروي ان علي بن الموفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حججا فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام
فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا ابن الموفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني اكافيك بها يوم القيامة آخذ بيدك
في الموقف فادخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل
وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه
الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا

الحاج وسلوا اجابتهم وسلوهم الدعاء لهم ويبادرونهم قبل ان تدنسوا بالآثام وقال علي بن الموفق رحمه الله حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا في هذه السنة ستمائة الف افتدري كم قبل منهم قال لا قال ستة انفس ثم ارتفعا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل حج ستة انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفات قمت عند المشعر الحرام فجعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى احدهما صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال اتدري ماذا حكم ربنا تعالى في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف وعنه ايضا رحمه الله عليه ايضا قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت اللهم اني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم يقبل حجه قال فرأيت رب العزة تعالى في النوم فقال لي يا علي تتسخى علي وانا خلقت السخاء والاسخياء انا اجود الاجودين واكرم الاكرمين وانا احق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم اقبل حجه لمن قبلته

فضيلة البيت ومكة قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله سبحانه وتعالى قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا كملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيمة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقبله كثيرا وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر رضي الله عنه وقال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فرأى عليا رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات فقال علي رضي الله عنه يا امير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء ويشهد على الكافرين بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروي عن الحسن البصري ان صوم يوم بمكة بمائة الف وصدقة درهم بمائة الف وكذا كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة اسابيع يعدل عمرة وثلث عمر تعدل حجة وفي الخبر الصحيح عمرة في رمضان كحجة معي وقال صلى الله عليه وآله وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم آتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم آتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وفي الخبر ان الله تعالى ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض الاولياء فقال اني رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التي تتوقع ولادتها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره

فضيلة المقام بمكة وكراهيته كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلثة الاول خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام ولهذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يأنس الناس بهذا البيت الثاني تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس اي يثوبون ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم ان تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا

البيت خير لك من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله تعالى الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطر وبالحري ان يورث مقت الله تعالى لشرف الموضع وروي عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى من الطائفين حولي من تفكرهم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالنية قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة ويقال ان السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من الالحاد في الحرم وقيل الكذب ايضا الحاد وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركية احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى انه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضائها وبعضهم اقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره اجور دور مكة ولا تظنن ان كراهة المقام يناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم اما ان يكون افضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد صلى الله عليه وآله وسلم الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير ارض الله تعالى واحب بلاد الله تعالى الي ولولا اني اخرجت منك لما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه

فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد ما بعد مكة بقعة افضل من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فالاعمال فيها ايضا مضاعفة قال صلى الله عليه وآله وسلم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك كل عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلوة فيها بخمسمائة صلوة فيما سواها الا المسجد الحرام وكذا سائر الاعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال صلوة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلوة وصلوة في المسجد الاقصى بالف صلوة وصلوة في المسجد الحرام بمائة الف صلوة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة وما بعد هذه البقاع الثلث فالمواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال صلى الله عليه وآله وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا والحديث انما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلثة متماثلة ولا بلد الا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر واما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله تعالى نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله ان يشد الرحال الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك في غاية الاحالة فاذا جوز ذلك فقبور الاولياء والعلماء والصلحاء في معناها فلا يبعد ذلك ان يكون من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء في الحيوة من المقاصد هذا في الرحلة واما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه وآله وسلم البلاد بلاد الله تعالى والعباد عباد الله فاي موضع رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من بورك له في شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال ابو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه واخذ نعليه بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال الى بلد املأ فيه جرابي بدرهم وفي لفظ آخر بلغني عن قرية فيها رخص اقيم بها قال فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله قال نعم اذا سمعت في بلد برخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكى عنه انه قال والله ما ادري اي البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع واراد

السنة مثل ما لو افتى العراقي مثلا بحدة الجبابرة مثل كذا قال مكة حيث الله يبسط البدن وقال له رجل عزمت على المجاورة بمكة فاوصني قال ان
كنت لا تصلين في الصف الاول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقته واما كره الصف الاول لانه يشتغل بحسنه او باغنيائه عن صلاته
الربا والزنى والمتعة

الفصل الثاني

في شرائط وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته وبعضها يرد انما
الشرائط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما
يفعل الحاج من الطواف والسعي وغيرهما واما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر يوم النحر فمن احرم
بالحج في غيره انعقد عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا على النسك ايام منى فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه
لا يمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله باعمال منى واما شرط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت
فان احرم الصبي او العبد ولكن اعتق العبد وبلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزاهما عن حجة الاسلام
وليس عليهما دم لانهما وهذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت واما شرط وقوع الحج نفلا عن الحر
البالغ فهو بعد الفراغ عن حجة الاسلام فحجة الاسلام مقدم ثم القضاء لمن افسده في حالة الرق ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وعلى
الترتيب يتحتم وان نوى خلافه واما شرائط لزوم الحج فخمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه
فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة او حج واما الاستطاعة
فنوعان النوع الاول المباشرة وذلك له اسباب اما في نفسه فالصحة واما في الطريق فبان يكون خصبا آمنا بلا بحر خطر ولا عدو قاهر
واما في المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه ان كان له اهل او لم يكن له لان مفارقة الوطن شديدة وان يملك نفقة
من تلزمه نفقته في هذه المدة وان يملك ما يقضي به دينه وان يقدر على راحلة وكذا محمل ان لم يمكنه ان يستمسك على الراحلة واما النوع
الثاني استطاعة المعضوب بماله وهو ان يستاجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفي نفقة الذهاب بالمدة في هذا
النوع ولو بذل له الابن طاعته على ان يحج عنه صار به مستطيعا ولو عرض المال لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيها شرف
للولد وبذل المال فيه منة على الولد ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه
وان مات لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه وان استطاع في تلك السنة ولم يحج مع
الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله
تعالى قال عمر رضي الله عنه لقد هممت ان اكتب في الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابراهيم
النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج
فلم يصل عليه وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول من مات ولم يزك ولم يحج سال الرجعة الى الدنيا وقرا قوله عز وجل رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا فيما تركت قال الحج واما الاركان التي لا يصح الحج بدونها فخمسة الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول وان
العمرة كذلك الا الوقوف واما الواجبات المجبورة بالدم فستة الاحرام من الميقات فمن تركه وتجاوز الميقات محلا فعليه دم شاة
والرمي فيه الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه اربعة يجبر كلها
بالدم على احد القولين وفي القول الثاني يجبر بالدم على وجه الاستحباب واما وجوه اداء الحج والعمرة فثلاثة الاول الافراد وهو الافضل وذلك
ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا
ان تطوع الثاني القران وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج
الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب من النسكين والطواف غير محسوب لان شرط طواف الفرض
في الحج ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة الثالث التمتع
وهو ان يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولكن لا يكون متمتعا الا بشروط خمس الاول الا
يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة الثاني ان يقدم العمرة على الحج الثالث ان تكون عمرته
في اشهر الحج الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج الخامس ان يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت
هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى
الوطن وان لم يصم الثلاثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة متتابعة او متفرقة وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع
ثم القران واما محظورات الحج والعمرة فستة الاول لبس القميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين
فان لم يجد نعلين فكعبين فان لم يجد ازارا فسراويل ولا باس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي راسه فان احرامه في
الراس وللمراة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا تستر وجهها بما يماسه فان احرامها في وجهها الثاني الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء
طيبا فان تطيب او لبس فعليه دم شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا باس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة
وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة
ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض الوضوء مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم
النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس قتل الصيد البري اعني ما يؤكل او هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه
مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

الباب الثاني

في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل الجملة الاولى في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية
الاولى في المال فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده
من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء
والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد
ان يحمله من قليل او كثير ويحصل رضاه فيه الثانية في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان
ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه واخوانه المقيمين ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل
له في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول
لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت الثالثة في الخروج
من الدار ينبغي اذا هم بالخروج ان يصلي ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص فاذا
فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال
والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسالك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم
انا نسالك ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة
قبر نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب
اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك الرابعة اذا حصل على باب الدار قال بسم الله
توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل
علي اللهم اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى
لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما اهمني
وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو
بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه الخامسة في الركوب فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني
وجهت وجهي اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع اموري عليك انت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته
قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات ثم قال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم

ان الحامل على الطهارة المستعان على الامور السادسة في النزول والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر سيره في الليل قال صلى الله
عليه وآله وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ولا يكثر النوم بالليل حتى يكون ذلك عونا على السير ومهما اشرف
على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا المنزل وخير اهله
واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى ركعتين ثم قال اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا
يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ
بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم السابع
في الحراسة ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء
الليل افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفره
لانه ربما يستثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة افضل مما يناله من الحج والاحب بالليل ان يتناوب الرفيقان
في الحراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر فهو السنة فان قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والاخلاص
والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء
الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت
بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا
نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برافة ورحمة انك انت ارحم الراحمين الثامنة مهما علا نشزا
من الارض في الطريق فيستحب ان يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة
في سفره قال سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت الجملة الثانية في آداب الاحرام
من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة الاول ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام واعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس
منه ويتمم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته وراسه ويقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة الثاني ان يفارق الثياب
المخيطة ويلبس ثوبي الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين فالابيض هو احب الثياب الى الله تعالى ويتطيب في بدنه وثيابه ولا باس بطيب
يبقى جرمه بعد الاحرام فقد روي وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام الثالث
ان يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا او يبتدي بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا
او افرادا كما اراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك
لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا
ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الرابع اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني
على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي
اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء
وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرمت عليه المحظورات الست التي ذكرناها من قبل فليجتنبها الخامس يستحب تجديد التلبية في دوام
الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث
لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادي اصم ولا غائبا كما ورد في الخبر ولا باس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك
اعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا باس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم اذا اعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة الجملة الثالثة في آداب دخول مكة الى الطواف وهي ستة الاول ان يغتسل بذي
طوى لدخول مكة والاغتسالات المستحبة المسنونة في الحج تسعة الاول للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف
بمزدلفة ثم للطواف الزيارة ثم لرمي الجمرات الثلاث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي رحمه الله في الجديد

الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فعاد الى سبعة الثاني ان يقول عند الدخول في اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك
وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك الثالث ان يدخل
مكة من جانب الابطح وهو من ثنية كدا بفتح الكاف فقد عدل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جادة الطريق اليها فالتاسي به اولى واذا
خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف والاولى هي السفلى والاولى هي العليا الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى راس الردم فعنده يقع بصره
على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا
بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي ابواب رحمتك
وادخلني جنتك واعذني من الشيطان الرجيم الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى
الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني اسالك في مقامي هذا في اول
مناسكي ان تقبل توبتي وان تتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وامنا وجعله
مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك اسالك مسالة المضطر الخائف من عقوبتك
الراجي لرحمتك الطالب لمرضاتك السادس ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتي
اديتها وميثاقي وفيته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو
طواف القدوم الا ان يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف الجملة الرابعة في الطواف فاذا اراد افتتاح الطواف اما للقدوم او
لغيره فينبغي ان يراعي امورا الاول ان يراعي شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمكان وستر العورة
فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله تعالى اباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط ردائه تحت ابطه
اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التي سنذكرها
الثاني اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في
ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت
وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان بالمطاف ويشتبه والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل
عن عرض جدار البيت بعد ان ضيق اعلى الجدار ثم منها ابتداء الطواف الثالث ان يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء
الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويطوف فاول ما يجاوز
الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن امنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام
يشير بعينه الى مقام ابراهيم عليه السلام ويقول اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني من الشيطان الرجيم ومن النار
وحرم لحمي ودمي على النار وآمني من اهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول
اللهم اني اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال
اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقني بكاس محمد صلى الله عليه وآله وسلم شربة لا اظما بعدها ابدا فاذا بلغ الركن
الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم
وانت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني قال اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات
واعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار فاذا بلغ الحجر قال اللهم اغفر لي برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر
وعذاب القبر فعند ذلك قد تم شوطا واحدا فيطوف كذلك سبعة اطواف ويدعو بهذه الادعية في كل شوط الرابع ان يرمل في الثلاثة الاول
ويمشي في الاربعة الاخرى على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطى وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود

وبين لا اضطباع اظهار الشطارة والجلادة والتي بمكة كان القصد اولا قطع طمع الكفار ونسخت تلك السنة ولا فصل الرمل

العادون البيت فان لم يمكنه في الزحمة فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ثم ليقرب الى البيت في الزحمة ليمشي

اربعا ان امكنه استلام الحجر في كل شوط فهو احب وان منعه الزحمة اشار باليد وقبلها وكذا استلام الركن اليماني يستحب من بين

سائر الاركان وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يستلم الركن اليماني ولا يستلم الا الحجر باليد من افراد هو له العلة

ها سائر اذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتصق بالبيت وليتعلق بالاستار

وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقبتي من النار

واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا

مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع وليصل على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر الله من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عني حتى اقر

لربي بذنوبي السادسة اذا فرغ من ذلك فينبغي ان يصلي خلف المقام ركعتين يقرأ في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما

ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة ان يصلي لكل سبع ركعتين وان قرن بين اسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم ولكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والاولى اللهم

اعصمني بالطافك حتى لا اعصيك واعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك

الصالحين اللهم حببني الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتني للاسلام فثبتني عليه بالطافك وولايتك واستعملني

بطاعتك وطاعة رسولك واجرني من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلى الله عليه وآله وسلم من طاف

بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة هذا كيفية الطواف والواجب جملة بعد شروط الصلاة ان يستكمل عدد الطواف سبعا

بجميع البيت وان يبتدئ بالحجر الاسود ويجعل البيت على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وان

يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيئات الجملة الخامسة في السعي فاذا فرغ من الطواف

فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع بين الركن اليماني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه

درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من اصل الجبل كاف

وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج محدثة فينبغي ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدأ من هنالك سعى بينه وبين

المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي ان يستقبل البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها

على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده

صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله مخلصين

له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج

الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون

اللهم اني اسألك ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا واسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا

والآخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويدعو بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدئ بالسعي وهو يقول رب اغفر

وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينته حتى ينتهي

الى الميل الاخضر وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة اذرع اخذ في السعي السريع وهو الرمل حتى ينتهي

الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء

وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون

كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وينبغي ان لا يعيد السعي بعد الوقوف

والمروة بل يكتفي بذلك ركنا فانه ليس من شرط كل سعي ان يتبع بعد طواف اي طواف كان الجملة السادسة في الوقوف وما قبله الحاج ان انتهى

يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بايام وطاف طواف القدوم فيمكث محرما

الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية

والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق

من يوم النحر فينبغي ان يخرج الى منى ملبيا ويستحب المشي من مكة في المناسك الى انقضاء حجه ان قدر عليه والمشي من مسجد ابراهيم الى الموقف افضل

وآكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذه منى فامنن علي بما مننت به على اوليائك واهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق

به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اليك غدوت واياك اعتمدت ووجهك

اردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وافضل فاذا اتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد حيث ضرب رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم قبته وبطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة

وقعد واخذ المؤذن في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر

والعصر باذان واقامتين وقصر الصلاة وراح الى الموقف وليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة واما مسجد ابراهيم فصدره في الوادي

واخره من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والافضل

ان يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبل القبلة راكبا وليكثر من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء

والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل المستحب ان يلبي تارة ويكب على الدعاء اخرى ولا

ينبغي ان ينفصل عن طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند امكان الغلط

في الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه ان يتحلل عن احرامه باعمال العمرة ثم

يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي ولكن اهم اشغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعوات والدعاء

المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن السلف يوم عرفة اولى ما يدعى به فيقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد

يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري

ويسر لي امري وليقل اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخيرا مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي واليك ثوابي اللهم

اني اعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب

به الرياح وشر بوائق الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الآخرة والاولى

يا خير مقصود وابر منزول عليه واكرم مسؤول بالدعاء اعطني العشية افضل ما اعطيت احدا من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين اللهم

يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي اليك ان لا تنساني

في دار البلى اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من امري وانا البائس الفقير

المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه اسألك مسألة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف

الضرير ودعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا

رحيما يا خير المسؤولين اللهم اخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل الهي اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك

جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل ان تبلغني رحمتك وسعت كل شيء

وانا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي انت انت وانا انا العواد الى الذنوب

وانت العواد الى المغفرة الهي ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك

قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك عني الا غفرت لي يا خير من دعاه

داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه الصلاة والسلام اتوسل اليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي

الحوايج وهب لي ما سالت وحقق رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه الهي انت
صانع العشية ببعد مسعى كعقبه خاشع لك قد اسكنني بحرمة متضرع اليك عالما بان الكبر اطراح امر اتيته يستحق لك
سبيل اليك في العفو عن طالب اليك في نجاح حوائجه راح اليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجا كل حي وولي كل مومن من احسن فبرحمتك
يفوز ومن اسا فبخطيئته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك انخنا واياك املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن
عذابك اشفقنا وبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق
يخشى ويا من ليس له وزير يوتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على كثرة السوال الا جودا وكرما وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا
اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل
راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام
ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجانا الهنا تابعت النعم حتى اطمانت الانفس بتتابع
نعمك واظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت النعم حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك واظهرت الايات حتى افصحت
السموات والارض بادلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شي لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك واذا اساءت عبادك حلمت وامهلت واذا احسنوا
تفضلت وقبلت واذا عصوا سترت واذا اذنبوا عفوت وغفرت واذا دعوا اجبت واذا نادوا سمعت واذا اقبلوا اليك قربت واذا ولوا
عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك المبين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
فارضاك عنهم بالاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة مخلصين فيا الهنا
لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت
ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت احق بالتطول فتصدق علينا
ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا وانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولانا ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر من دعاء الحسين عليه السلام بعرفات يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه
الاصوات ويا من لا يغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسالة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة
مغفرتك يا ارحم الراحمين وتدعو بما بدا لك وتستغفر لنفسك ولوالديك ولجميع المؤمنين والمؤمنات ولتلح في الدعاء وتعظم المسالة فان
الله تعالى لا يتعاظمه شي قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجمع من اجلي وقال بكر المزني لو نظرت الى من هنا لظننت انهم قد
غفر لهم الا اني كنت فيهم الجملة السابعة في بقية اعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف فاذا امسى من
عرفة بعد غروب الشمس فينبغي ان يكون على السكينة والوقار ويجتنب وجيف الخيل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال ايها الناس اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا تطؤوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما
فاذا بلغ المزدلفة فليغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على ان يدخله ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم
ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة تسالك حوائج مؤتنفة فاجعلني
ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء يصليهما باذان واقامتين ليس بينهما
نافلة ولكن يجمع بين نافلة المغرب والعشاء بعد الفريضتين ويبدا بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين وهكذا يفعل
الجامع في السفر فان ترك النوافل في السفر جائز ولكن اداءها في الاوقات اولى وتحصيل فضيلتها بها وبين الفرايض فاذا
جاز ان يودى النوافل بتيمم واحد فكذلك التبعية بان يكون اداؤها على حكم الجمع بالتبعية اولى والاسنة من بعد مفارقة المنزل التعريج فيها
اداؤها على الراحلة ثم اذا ابت النية التبعية فلا كلام ثم يبيت تلك الليلة بمزدلفة من مناسكه ومن خرج منها في النصف الاول ولم يبت
فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من احسن القربات لمن يقدر عليه ثم اذا انتصف الليل ياخذ في التاهب للرحيل ويتزود الحصى
منها الجار وحق وليلتقط سبعين حصاة فانه مقدار الحاجة ان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضه ويكون الحصى خفافا بحيث يحتوي عليها

الحرام ابراهيم ثم يصلي صلاة الصبح وليأخذ في السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار ويقول اللهم
بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد صلى الله عليه وآله وسلم منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام
يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى موضع يقال له وادي محسر فيستحب ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان
كان راجلا اسرع في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر اخرى فيمشي حتى ينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلثة
فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلثة فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما
يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو طرف مواقع الجمرات ويرمي جمرة
العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته ان يقف مستقبل القبلة وان استقبل الجمرة فلا باس ويرمي سبع حصيات رافعا يده ويبدل
التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرائض
الصلوات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح آخر ايام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصفة التكبير ان يقول الله
اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله والله اكبر ثم ليذبح الهدي ان كان معه والاولى ان يذبح بنفسه وليقل بسم الله
والله اكبر اللهم منك وبك ولك تقبل مني كما تقبلت من خليلك ابراهيم والتضحية بالبدنة افضل ثم بالبقرة ثم بالشاة والشاة افضل من مشاركة
ستة في البدنة والبقرة والضان افضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الضحية الكبش الاقرن والبيضاء افضل من
الغبراء والسوداء قال ابو هريرة رضي الله عنه البيضاء افضل في الضحية من دم سوداوين وينبغي ان كان متطوعا بها ان يكون من ذوات النقص والجذع
والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجذع في الابل ولا يجزي الا اذا انقطع منها والعضب في القرن نقصان
التقايم والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق والخرقاء المثقوبة الاذن والمقابلة المقطوعة الاذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة
التي لا تنقي اي لا مخ لها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة ان يستقبل القبلة ويبتدئ بمقدم راسه ويحلق الشق الايمن الى العظمين
المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم اثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمراة تقصر
والاصلع يستحب له امرار الموسى على راسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحظورات الا النساء والصيد ثم
يفيض الى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة واول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وافضل وقته
يوم النحر ولا آخر لوقته بل له ان يوخره الى اي وقت ولكن يبقى مقيدا بعلقة الاحرام فلا تحل له النساء الى ان يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل
الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمي ايام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف
مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع
ذلك ركنا فلا ينبغي ان يعيد السعي واسباب التحلل ثلثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن وبهما اي باثنين من هذه الثلثة يحصل التحلل
الاول ولا حرج عليه في التقديم والتاخير لهذه الثلثة مع الذبح ولكن الاحسن ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا
اليوم ان يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففي الحج اربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة
يوم النحر وخطبة يوم النفر الاول وكلها افراد وعقيب الزوال وكلها افراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى
منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس يقرون في غد بمنى ولا ينفرون فاذا اصبح اليوم الثاني من العيد وزالت
الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة ويرمي اليها سبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين
الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة
مقبلا على الدعاء ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاولى ويقف كما وقف للاولى ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل
بل يرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني من ايام التشريق رمى في هذا اليوم
احدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وان

صبر الى الليل فليكن ذلك المروح لراحته حتى يجي في يوم النفر الثاني فاذا اعتمر فليجز كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقة
دم فليتصدق باللحم وله ان يزور البيت في ليالي منى بشرط ان لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك ولا يتركن
حضور الفرائض مع الامام في مسجد الخيف فان فضله عظيم فاذا افاض من منى فالاولى ان ينزل بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب
والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وان لم يفعل فلا شيء عليه الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها الى
طواف الوداع من اراد ان يعتمر قبل حجه او بعده كيف اراد فليغتسل وليلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل
مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود
الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفناه فاذا فرغ حلق راسه وقد تمت
عمرته والمقيم بمكة ينبغي ان يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت فاذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الافضل وليدخله حافيا
موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف حول بيت ربي فكيف اراهما اهلا لان اطا بهما
بيت ربي وقد علمت حيث مشتا والى اين مشتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل
اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ماء زمزم
لما شرب له اي يشفي ما قصد به الجملة التاسعة في طواف الوداع مهما عن له الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج والعمرة فلينجز اولا
اشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر اشغاله وداع البيت ووداعه بان يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه
صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم ياتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم ان البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك
حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى اعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد عني
رضى والا فمن الآن قبل ان تنأى عن بيتك داري هذا اوان انصرافي ان اذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم
اصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني واحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير اللهم
لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والاحب ان لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه
الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي وقال صلى الله
عليه وآله وسلم من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله ان اكون له شفيعا وليصل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طريقه كثيرا فاذا
وقع بصره على حيطان المدينة واشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعل دخولي فيه وقاية لي من النار وامانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول
من بئر الحرة وليتطيب وليلبس انظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل
عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يغير المسجد وليجتهد ان يصلي في المسجد الاول قبل ان زيد فيه ثم ياتي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقف
عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر ويجعل القنديل على راسه وليس من السنة ان يمس الجدار ولا ان يقبله
بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا امين الله السلام عليك
يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا احمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابا القاسم السلام
عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا حاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم السلام
عليك يا اكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد
الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا هادي الامة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل
بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى اصحابك الطيبين وعلى ازواجك الطاهرات امهات المؤمنين
جزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون

وصلى عليك في الاولين والآخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة
وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله وصفيه وامينه
وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك
اليقين فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وان كان قد اوصي بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان
السلام عليك من فلان ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على ابي بكر الصديق رضي الله عنه لان راسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وراس عمر عند منكب ابي بكر ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام
عليكما يا وزيري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في امته بعده بامور الدين تتبعان
في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند راس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين
القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يقول اللهم
انك قلت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك متشفعين به اليك في ذنوبنا وما
اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك فينا يا ارحم الراحمين ثم ياتي
الروضة فيصلي فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي
ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده على الرمانة التي كان صلى الله عليه وآله وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له ان ياتي احدا يوم الخميس
ويزور قبور الشهداء فيصلي الغداة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر فلا تفوته فريضة
في الجماعة في المسجد ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويزور قبر عثمان رضي الله عنه وقبر
الحسن بن علي رضوان الله عليه وفيه ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم اجمعين
ويصلي في مسجد فاطمة عليها السلام ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فذلك كله بالبقيع ويستحب له ان ياتي مسجد قبا في كل يوم سبت ويصلي فيه لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من خرج
من بيته حتى ياتي مسجد قبا ويصلي فيه كان له عدل عمرة وياتي بئر اريس يقال ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضا
منها ويشرب من مائها وياتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا ياتي سائر المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون
موضعا يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتوضا منها ويغتسل ويشرب
منها وهي سبعة آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وآله وسلم وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال
صلى الله عليه وآله وسلم لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من استطاع ان يموت
بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب
ان ياتي القبر ويعيد دعاء الزيارة كما تقدم ويودع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسال الله تعالى ان يرزقه العود اليه ويسال السلامة
في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا
خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني السلامة
في سفري ويسر رجوعي الى اهلي سالما يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما قدر عليه وليتتبع المساجد
التي بين مكة والمدينة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا **فصل** في سنن الرجوع من السفر كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اذا قفل من غزو او حج او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده
ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وفي بعض الروايات وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا
اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يبشرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك

هي السنة ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلاً فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أولاً وليصل ركعتين فهي السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فإذا دخل بيته قال توباً توباً لربنا أوباً لا يغادر علينا حوباً فإذا استقر في منزله فلا ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة
بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل
علامته أن يعود زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة متأهباً للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث

في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة بيان دقائق الآداب وهي عشرة الأول أن تكون النفقة حلالاً وتكون اليد خالية عن تجارة تشغل القلب
وتفرق الهم حتى يكون الهم مجرداً لله والقلب مطمئناً منصرفاً إلى ذكر الله وتعظيم شعائره وقد روي في خبر من طريق أهل البيت إذا كان آخر الزمان
خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا
التي يتصور أن تتصل بالحج وكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما إذا كان متجرداً بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب
الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا
القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين وعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط
الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه
ولست أقول لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبة ومتجراً فإن الله تعالى يعطي
الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله ويأخذ أجراً مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرها فمن كان مثاله
في أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فإنه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت أم موسى تأخذ ليتيسر
لها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم الثاني أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين
في الطريق فإن تسليم المال إليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كالإعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فإن لم يقدر فقد قال
بعض العلماء ولا بأس بما قاله إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة فإن هذه بدعة أحدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها
سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فإنه لو قعد في البيت أو رجع من
الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه إلى حالة الاضطرار الثالث
التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق من غير تقتير ولا إسراف بل على اقتصاد وأعني بالإسراف التنعم بأطايب الأطعمة والترفه بشرب
أنواعها على عادة المترفين فأما كثرة البذل فلا سرف فيه إذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم
بسبعمائة درهم قال ابن عمر رضي الله عنه من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول أفضل الحجاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقيناً
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له يا رسول الله ما بر الحج فقال طيب الكلام وإطعام
الطعام الرابع ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء
ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فإن ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي إلى المحظور محظور والفسوق اسم جامع لكل خروج
عن طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيب الكلام
مع إطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه
فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله عز وجل ويلزم
حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى وقيل سمي السفر سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه
لمن زعم أنه يعرف رجلاً هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا فقال ما أراك تعرفه الخامس أن يحج ماشياً إن قدر عليه
فذلك الأفضل أوصى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فإن للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من
حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه في
الطريق وإن أضاف إلى المشي الإحرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود في قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله

وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتمام حجه وهذا عند
التحقيق ليس مخالفاً للأول بل ينبغي أن يفصل ويقال من سهل عليه المشي فهو أفضل فإن كان يضعف ويؤدي ذلك به إلى سوء خلق وقصور
عن عمل فالركوب أفضل كما أن الصوم للمسافر والمريض أفضل ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشي
فيها أو يكتري حماراً بدرهم فقال إن كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشي وإن كان المشي أشد عليه كالأغنياء فالمشي له
أفضل وكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الأفضل أن يمشي ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكاري
عوضاً عن ابتذال الدابة فإذا كان لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه السادس أن يركب الزاملة لا المحمل
إلا من عذر وذلك لمعنيين أحدهما التخفيف عن البعير فإن المحمل يؤذيه والثاني اجتناب
زي المترفين المتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم
وطاف على الراحلة لينظر الناس إلى هديه وشمائله وقال خذوا عني مناسككم وقيل إن هذه المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها
وروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل
وجوالق ورواحل وما رأيت في جميعهم إلا محملين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير
ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحاج السابع أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة
ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان المتكبرين المترفين ويخرج عن حزب الضعفاء المساكين وخصوص الصالحين فقد أمر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وفي الحديث إنما الحاج الشعث التفل يقول
الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاؤوني شعثاً غبراً من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه
بالحلق وتقليم الأظفار وكتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد اخلولقوا واخشوشنوا أي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء
وقد قيل زين الحجيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف وينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كان
على العموم فقد روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلاً فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال أرى هذه
الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا إليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الإبل الثامن أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج
عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف
الطويل قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه
آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسناً إلى الدابة فيكون في حسناته ويوضع
في ميزانه لا في ميزان المكاري وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به يوم القيامة قال أبو الدرداء لبعير له عند الموت أيها البعير لا تخاصمني
إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك وعلى الجملة في كل كبد حرى أجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعاً وفي نزوله ساعة ترويح
للدابة وسرور قلب المكاري قال رجل لابن المبارك احمل لي هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى أستأذن المكاري فإني قد اكتريت فانظر كيف
تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فإنه إذا فتح باب القليل انجر إلى الكثير يسيراً يسيراً التاسع أن يتقرب
بإراقة دم وإن كان لم يكن واجباً عليه ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه إن كان تطوعاً ولا يأكل منه إن كان واجباً وقيل
في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله إنه تحسينه وتسمينه وسوق الهدي من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس
في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والأضحية والرقبة فإن أفضل ذلك أغلاه ثمناً وأنفسه عند أهله وروى
ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه أهدى بختية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبيعها ويشتري
بثمنها بدناً فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن
ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله تعالى فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد أو قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بر الحج فقال العج والثج والعج رفع

الصوت الثجة والثج نحر البدن وروت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما عمل آدمي يوم النحر احب الى الله عز وجل من اراقة دم وانها لتاتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل ان يقع بالارض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا والعاشر ان يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدي وبما اصابه من خسران ومصيبة في مال او بدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله وخسران اصابه ثواب فلا يضيع منه شيء عند الله تعالى ويقال ان من علامة قبول الحج ان يترك ما كان عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

الفصل الثالث في الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى آخره اعلم ان اول الحج الفهم اعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم المسير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها انكشف لكل حاج من اسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه اما الفهم اعلم انه لا وصول الى الله سبحانه الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولهذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله واللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة واثنى الله عليهم فقال تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله تعالى وفتروا عنه بعث الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه وآله وسلم ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل صلى الله عليه وآله وسلم عن السائحين فقال صلى الله عليه وآله وسلم هم الصائمون وانعم الله سبحانه على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة ارفاق ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله تعالى بافعال هي هيئات التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله تعالى فاما ترددات السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال فلا حظ للنفوس ولا انس للطبع بها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بان تكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف في فهم اصل الحج واما الشوق فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بان البيت بيت الله سبحانه وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله تعالى وزائر له وان من قصد البيت في الدنيا جدير بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر

الى وجه الله تعالى ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان امدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن اسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار لكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم والشوق الى لقاء الله تعالى يشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان المحب مشتاق الى كل ما له الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله تعالى فبالحري ان يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل واما العزم فليعلم انه بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله تعالى وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه خطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله تعالى بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة وليحذر ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير واما قطع العلائق فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جميع المعاصي وكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له او لا تستحي ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ اوامره ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك اولا الا النصب والشقاء وآخرا الا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر ان لا يعود اليه وليكتب وصيته لاولاده واهله فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله تعالى وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر واما الزاد فليطلبه من موضع حلال واذا احس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند الموت ولا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان تكون اعماله التي هي زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير واما الراحلة اذا احضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله تعالى له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى دار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فان امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب لان يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في اسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن واما شراء ثوبي الاحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله تعالى وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله تعالى ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله تعالى الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله تعالى بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط ولا عمامة كما في الكفن واما الخروج من البلد فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله عز وجل في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه انه ماذا يريد وان يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله تعالى الذي فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا باعماله في الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله تعالى ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل اليه وادركته المنية في الطريق لقي الله عز وجل وافدا اليه اذ قال عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله واما دخول البادية الى حين الوصول الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات القيامة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته

في هذه الحادثة في حاله وإذا تردد الخاطر اتفق وأما الإحرام والتلبية من الميقات فليعلم أن معناه إجابة نداء الله تعالى فارج
أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبريا وعلى فضل الله وكرمه
متكلا فإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهو محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت
به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال أخشى أن يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما
لبى غشي عليه ووقع من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال أحمد بن أبي الحواري كنت مع أبي سليمان الداراني حين أراد الإحرام
فلم يلب حتى سرنا ميلا فأخذته الغشية ثم أفاق وقال يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مر ظلمة بني إسرائيل أن
يقلوا من ذكري فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلغني أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك
حتى ترد ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الأصوات بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله تعالى حيث
قال عز وجل وأذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله تعالى
ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا
يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا وأما دخول مكة فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله آمنا وليرج عنده أن يأمن بدخوله
من عقاب الله وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالبا فالكرم
عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام اللائذ المستجير غير مضيع وأما وقوع البصر على البيت فينبغي أن يحضر عنده
عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وارج أن يرزقك الله النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك النظر
إلى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين إليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في
القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين
ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فإن كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة
فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين
الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا
تبتدئ الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة
الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الغيب كما أن عالم الملك
والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور في السماء بإزاء
الكعبة وأن طواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب
الإمكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه
بعض المكاشفين لبعض أولياء الله تعالى وأما الاستلام فليعتقد عنده أنه مبايع لله على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك
فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال الحجر يمين الله في الأرض يصافح
بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا إلى
البيت ورب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء في البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في
طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له إلا إليه ولا مفزع
له إلا عفوه وكرمه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن في المستقبل وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فإنه يضاهي تردد
العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى إظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك
وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية
إن لم يرحم في الأولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات

والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا إلى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران وأما
الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر
اقتداء بهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد
الواحد بين الرد والقبول وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله عز وجل ليحشرك في زمرة الفائزين المرحومين
وحقق رجاءك بالإجابة فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد
الأرض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقات من الصالحين وأرباب القلوب فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة
والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله سبحانه وتعالى أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب
الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله
لم يغفر له فكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق
إلى استدرار رحمة الله تعالى مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد وأما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للأمر
إظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد به التشبه بإبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم حيث
عرض له إبليس لعنه الله في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله تعالى أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله فإن خطر لك
أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في
قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي
فيه برغم أنف الشيطان واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه
إلا بامتثالك أمر الله تعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه وأما ذبح الهدي فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال
فأكمل الهدي وارج أن يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي أكبر وأجزاؤه أوفى كان
فداؤك به من النار أعم وأما زيارة المدينة فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وآله وسلم وجعل إليها هجرته وأنها داره التي شرع فيها فرائض ربه وسننه وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله ثم جعل
تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده ثم مثل في نفسك مواقع أقدام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند تردداته فيها
وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه إلا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها
وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه وإحباطه عمل من هتك حرمته
ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما من الله به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسفك على ما فاتك
من صحبته وصحبة أصحابه رضي الله عنهم أجمعين ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وأنك من رؤيته في الآخرة على خطر وأنك ربما لا تراه
إلا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله إياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وآله وسلم يرفع إلي أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يا رب
أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا فإن تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق
فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك
من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في الدنيا بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمحت نفسك
بالسفر لمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بعين الرحمة فإذا بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التي اختارها
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة وأن فرائض الله تعالى أول ما أقيمت في تلك العرصة
وأنها جمعت خير خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك في الله تعالى أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعا معظما وما أجدر هذا المكان بأن
يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكي عن أبي سليمان أنه قال حج أويس القرني رحمه الله ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد
قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فغشي عليه فلما أفاق قال أخرجوني فليس يلذ لي بلد محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيه مدفون

وأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفنا وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فإن المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلواتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بإزائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتوهم صعود الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية قائما على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار وهو يحثهم على طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخطبته وسل الله تعالى أن لا يفرق في القيامة بينك وبينه صلى الله عليه وآله وسلم فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الهم والحزن والخوف وأنه ليس يدري أقبل منه حجه وأثبت في زمرة المحبوبين أم رد حجه فألحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا إلى دار الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه إبليس فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإذا كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله منه غفر الله لنا ولجميع المسلمين والمسلمات تم آخر كتاب الحج والحمد لله رب العالمين وصلواته على خير خلقه محمد النبي وعلى آله الطيبين الطاهرين وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم والله أعلم وأحكم

كتاب آداب تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله العظيم الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وآله وسلم وكتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى هو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي أرشد الأولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهم منذرين فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز وقال الله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف ملازمة التلاوة والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده في أربعة أبواب **الباب الأول** في فضل القرآن وأهله **الباب الثاني** في آداب التلاوة في الظاهر **الباب الثالث** في الأعمال الباطنة عند التلاوة **الباب الرابع** في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره

الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في التلاوة

فضيلة القرآن قال صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى يوم القيامة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا وقال صلى الله عليه وآله وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته ثواب الشاكرين وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تعالى وأم به قوما وهم به راضون وقال صلى الله عليه وآله وسلم أهل القرآن أهل الله وخاصته وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله فما جلاؤها فقال صلى الله عليه وآله وسلم تلاوة القرآن وذكر الموت وقال صلى الله عليه وآله وسلم لله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته وأما الآثار فقال أبو أمامة الباهلي اقرءوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن وقال ابن مسعود إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضا اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات أما إني لا أقول الم حرف ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف وقال أيضا لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة إن البيت الذي يتلى فيه كتاب الله عز وجل اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك فقال بكلامي يا أحمد قال قلت يا رب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي إذا سمع الناس القرآن من الرحمن عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغي له أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال الثوري إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع أهل الدنيا ويروى أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اقرأ علي القرآن فقرأ عليه صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى الآية فقال له أعد فأعاد صلى الله عليه وآله وسلم فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ما ههنا أحد نستأنس به فمد يده إلى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي رضي الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن بالبلغم السواك والصوم وقراءة القرآن

ذم تلاوة الغافلين قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله تعالى منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله بعد القرآن وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له ما لك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن لأنه بلغني أن أصحاب القرآن يسألون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقال صلى الله عليه وآله وسلم أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها وقال صلى الله عليه وآله وسلم اقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فلست تقرؤه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقال بعض السلف إن العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك فقال إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته وقيل إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا إن أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده

سبحانه تعالى يا عبدي أما تستحيي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته إليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك

الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة

الأول في حال القارئ وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبل القبلة مطرقاً رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي أستاذه وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعاً في الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعاً قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل

الثاني في مقدار القراءة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذرم القرآن إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن في كل سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب ففي الختم أربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءاً وكأنه مبالغة في الاقتصار كما أن الأول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما في الأسبوع مرة والثانية في الأسبوع مرتين تقريباً من الثلاث والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وآخره فإن الملائكة تصلي عليه إن كانت ختمته ليلاً حتى يصبح وإن كان نهاراً حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل

الثالث في وجه القسمة أما من ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضي الله عنهم القرآن أحزاباً فروي أن عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد بيوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس وكان ابن مسعود يقسمه أقساماً لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق إلى آخره فهكذا حزبه الصحابة وكانوا يقرؤونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا قبل أن تعملت الأخماس والأعشار والأجزاء فما سوى هذا محدث

الرابع في الكتابة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فإنها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والأعشار والأجزاء وروي عن الشعبي والنخعي كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً من أن يؤدي إلى إحداث الزيادات وحسماً للباب وتشوقاً إلى حراسة القرآن عما يطرق إليه التغيير وإذا لم يؤد إلى محذور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثاً فكم من محدث حسن كما قيل في إقامة الجماعات في التراويح إنها من محدثات عمر رضي الله عنه وإنها بدعة حسنة إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها وبعضهم كان يقول أقرأ في المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسي وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كان القرآن مجرداً في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فإنه نور له ثم أحدثوا بعده نقطاً كباراً عند منتهى الآي ثم الفواتح والخواتم وقال أبو بكر الهذلي سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال وما تنقيطها قال يعربون الكلمة بالعربية قال أما إعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل إن الحجاج هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخر

الخامس الترتيل هو المستحب في هيئة القراءة لأنا سنبين أن المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت أم سلمة رضي الله عنها قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً وقال ابن عباس رضي الله عنهما لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وقال أيضاً لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له أيضاً في القراءة الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال

السادس البكاء البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وقال ابن عباس إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وآله وسلم إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب

السابع أن يراعي حق الآيات فإذا مر بآية سجدة سجد وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك وإذا قرأ قوله تعالى ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً فليقل اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وكذلك كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فإذا تطهر يسجد وقد قيل في كمالها أنه يكبر رافعاً يديه لتحريمه ثم يكبر للهوي للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فإنه ورد الأمر بالسجود فليتبع فيه الأمر وتكبيرة الهوي أقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموماً

الثامن أن يقول في مبتدأ قراءته أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحي القيوم وفي أثناء القراءة إذا مر بآية تسبيح سبح وكبر وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وإن مر بمرجو سأل وإن مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه إلا سبح فإذا فرغ قال ما كان يقوله صلى الله عليه وآله وسلم عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يا رب العالمين

التاسع في الجهر بالقراءة ولا شك في أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت فأقله ما يسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الإسرار ما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي

صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب إلى هذا المصلي فمره أن يخفض صوته فقال الغلام إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا أيها المصلي إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم سمع جماعة يجهرون من الصحابة في صلاة الليل فصوّب ذلك وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته ومر صلى الله عليه وآله وسلم على ثلثة من أصحابه مختلفي الأحوال فمر على أبي بكر رضي الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال إن الذي أناجيه هو يسمعني ومر على عمر رضي الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد أحسن وأصاب والوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضا تتعلق بغيره والخير المتعدي أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه ولأنه يطرد النوم برفع الصوت ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم فإن كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة أجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف أفضل إذ يزيد في العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد في الأجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لأن النظر في المصحف أيضا عبادة وقد خرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان كثير من الصحابة يقرؤون في المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رحمه الله عليه في السحر وبين يديه المصحف فقال له شغلكم الفقه عن القرآن إني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى أصبح العاشر تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال النبي ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وآله وسلم وقال دلني عليه حتى استمع قراءته إليه مدلته عليه فاستمع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله واستمع صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهم فوقفوا طويلا فقال صلى الله عليه وآله وسلم من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد وقال صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله أقرأ وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وآله وسلم إني أحب أن أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تفيضان واستمع صلى الله عليه وآله وسلم إلى قراءة أبي موسى الأشعري فقال صلى الله عليه وآله وسلم لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا ورأى هيثم القارئ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامه قال قال لي أنت الهيثم الذي يزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن وكان عمر رضي الله عنه يقول لأبي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ حتى يكاد وقت الصلوة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلوة الصلوة فيقول أولسنا في صلوة إشارة إلى قوله تعالى ولذكر الله أكبر وقال صلى الله عليه وآله وسلم من استمع آية من كتاب الله تعالى كانت له نورا يوم القيمة وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع

الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري الأول فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله تعالى إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال إن كل حرف من كلام الله تعالى في اللوح أعظم من جبل قاف وإن الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله تعالى ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع علو رتبته إلى فهم الإنسان مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك أنه دعا بعض الملوك إلى شريعة الأنبياء فسأله الملك عن أمور فأجاب الحكيم بما احتمله فهمه فقال الملك أرأيت ما تأتي به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه نزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بها من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام علي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون بها على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد أمره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الأسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغي أن يقتصر عليه **الثاني** التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله تعالى غاية الخطر فإنه تعالى قال لا يمسه إلا المطهرون وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله فإذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعدله وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي وهذا غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام **الثالث** حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة أي بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره وقيل لبعضهم إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال أو شيء أحب إلي من القرآن حتى أحدث به نفسي وكان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل إن في القرآن ميادين وبساتين وعرائس وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراءات بساتين القرآن والحاءات مقاصير القرآن والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات ديابيج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك

فاذا مثل القارئ في الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن الغرف
الحالات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلا يعزب قلبه ولا يتفرق فكره الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في
غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر
ليتمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد
فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام بآية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن
يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها امامه فهذا وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس انه قال
الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل في امر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي
واني كيف انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه
به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن قال ان كنتم صادقين عن عامر فما اصطنع الله ذلك عندنا وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بسم الله
الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما رددها للتدبر في معانيها وعن ابي ذر قال قام بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة فقام بآية يرددها
وهي ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال
بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول آية لا اتفهمها ولا يكون قلبي فيها
لا اعد لها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها
ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة
ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان ايضا يقول اقمت
نفسي مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة الخامس التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على
ذكر صفات الله عز وجل وذكر افعاله وذكر احوال الانبياء عليهم السلام وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار
اما صفات الله تعالى فكقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
فليتأمل معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي بن ابي طالب رضي الله عنه
بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله عز وجل عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم
وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن واعظم علوم القرآن تحت اسماء الله عز وجل وصفاته ولم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا
لائقة بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها واما افعاله فكذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل وجلاله اذ الفعل
يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء اذ كل شيء فهو منه واليه وبه
وهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه لا انه سيبطل
في ثاني الحال بل هو الآن باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو الا ان يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية
ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم المكاشفة ولهذا ينبغي اذا قرأ التالي قوله تعالى افرأيتم ما تحرثون
افرأيتم ما تمنون افرأيتم الماء الذي تشربون افرأيتم النار التي تورون فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني بل يتأمل في المني وهو نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر
في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل اعضائها بالاشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب
وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة
والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فليتأمل هذه العجائب ليترقى منها
الى اعجب العجائب وهي الصفة التي منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة فيرى الصانع واما احوال الانبياء عليهم السلام
فاذا سمع منها انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في

ملكه شيئا واذا سمع نصرتهم في آخر الامر علم قدرة الله تعالى وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن
فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية
وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه
فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك
قال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فاما الاستقصاء
فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين
اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا
حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد السادس التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس
منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن قال صلى الله عليه وآله وسلم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور
البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان
وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا
على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا لمذهب سمعه
بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان
يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه
حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى ان ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويتحرز
عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية
حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى
المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس انه
المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع
الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده
له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الباطن
والظاهر في كتاب قواعد العقائد ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب
ظلمة القلب وصدئه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب القلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات
اشد تراكما كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خف عن القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل
الصدأ ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله
عليه وآله وسلم اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني
حرموا فهم القرآن وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكير فقال سبحانه وتعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال تعالى وما يتذكر الا من
ينيب وقال عز وجل انما يتذكر اولوا الالباب فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الالباب ولذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب
رابعها ان يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم وان
ما وراء ذلك تفسير بالرأي وان من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب
الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس
فيه السابع التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع امرا او نهيا قدر انه هو المنهي والمأمور وان سمع وعدا او

وعيد انكم باذكره واذا سمع قصص الاولين والانبيا عليهم السلم علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه
ما يحتاج اليه فما من قصة من قصص القرآن الا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر
العبد ان الله تعالى ثبت فؤاده بما يقصه عليه من احوال الانبيا عليهم السلم وصبرهم على الايذا وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى
وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما انزل على رسول الله خاصة بل هو شفا ورحمة وهدى ونور للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافة بشكر
نعمة الكتاب فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقال
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم وقال تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم هذا بصائر
للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد
الآحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال الله تعالى واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ قال محمد
بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله تعالى واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي
كتبه اليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلما هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات
وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا اهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث
ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس احد هذا القرآن الا قام بزيادة او نقصان قال الله تعالى هو شفا ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا السادس التأثر وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه
من الحزن والخوف والرجا وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى
ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل واني لغفار ثم اتبع ذلك باربع شروط لمن تاب وآمن وعمل
صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر
اربع شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن
من اوله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به
الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث
والمواعظ فلم نجد شيا ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية
المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير
من الفرح وعند ذكر صفات الله تعالى واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله سبحانه
لذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف
النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود اقرأ علي قال فافتتحت سورة النسا فلما بلغت فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رأيت عيناه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الآن وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت
قلبه بالكلية ولقد كان في الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فمثل هذه الاحوال يخرجه عن ان
يكون حاكيا في كلامه فاذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فان لم يكن خائفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك
انبنا ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قال ولنصبرن على ما آذيتمونا فليكن حاله الصبر او العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة
فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى الا لعنة الله
على الظالمين وفي قوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله وهم في غفلة معرضون وفي قوله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحياة الدنيا وفي قوله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك من الآيات وكان داخلا في معنى قوله تعالى ومنهم
اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني التلاوة المجردة وفي قوله وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
لان القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق

القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي اذا قرأ القرآن
وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله
لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة القرآن
فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله فنبذوه ورا ظهورهم واشتروا به ثمنا
قليلا فبئس ما يشترون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم
تقرؤونه وفي بعضها اذا اختلفتم فقوموا عنه وقال الله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال صلى
الله عليه وآله وسلم ان احسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله عز وجل وقال ايضا لا يسمع القرآن من
احد اشهى منه ممن يخشى الله تعالى فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك
قال بعضهم قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لاقرأ ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراءة علي عملا اذهب فاقرأ على الله تعالى فانظر بما
ذا يأمرك وبماذا ينهاك ولهذا كان شغل الصحابة في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عشرين الفا من الصحابة
لم يحفظ القرآن منهم الا ستة واختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم
ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال يكفيني هذا وانصرف
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انصرف الرجل وهو فقيه فانما العزيز مثل تلك الحالة التي من الله تعالى بها على قلب المؤمن عقيب
فهم الآية فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان
والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان
يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ السابع الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله لا من نفسه فدرجات القراءة
ثلاث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرؤه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال
والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كأن ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحيا والتعظيم والاصغا
والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه
منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجة
اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في
كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد
الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعضهم
كنت اقرأ القرآن فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كأني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت
اتلوه كأني اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم فعنده
وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى
الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما
سواه يكون العبد ممتثلا لقوله ففروا الى الله ولقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت اليه
العبد بعين الالتفات شيا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله عز وجل الثامن التبري واعني به ان يتبرأ
من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد
الموقنين والصديقين فيها ويتشوف الى ان يلحقه الله تعالى بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر انه المخاطب

خزيا وأسفا فلذلك كان عمر رضي الله عنه يقول اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا إن الإنسان لظلوم كفار
وقيل ليوسف بن أسباط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله من تقصيري سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التقصير
في القراءة كانت رؤيته سبب قربه فإن من شهد البعد في القرب لطف به في الخوف حتى يسوقه إلى درجة أخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب في
البعد مكر به بالأمن الذي يفضيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا
بنفسه وإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف له الملكوت قال أبو سليمان الداراني وعد ابن ثوبان
أخا له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له وعدتني أن تفطر عندي فأخلفت فقال لولا ميعادي معك ما أخبرتك
بالذي حبسني عنك إني لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأني لم آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت
لي روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات
إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة
الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله تعالى يشتمل على السهل
اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات
والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها إذ يستحيل أن
يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي
وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل

لعلك تقول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله
عليه وآله وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المنسوبين
إلى التصوف في تأويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا إلى أنه كفر فإن صح ما قاله أهل
التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده
من النار فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الإخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم
برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب القلوب والفهم قال علي
رضي الله عنه إلا أن يؤتي الله عز وجل عبدا فهما في القرآن فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم
إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا وروي عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال
علي رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار وقال أبو الدرداء
لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوي سبعة وسبعين
ألف علم ومائتي علم إذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون إلا لتدبره باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله
إلى تكرير وقول ابن عباس من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها
داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع
إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي
القرآن رموز إليه ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم في
حديث علي رضي الله عنه والذي بعثني بالحق نبيا لتفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون
دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فإن فيه نبأ ما كان قبلكم ونبأ
ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه

النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الرد
وفي حديث حذيفة لما أخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال قلت يا رسول الله فما تأمرني إن أدركت ذلك
فقال صلى الله عليه وآله وسلم تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو النجاة وقال علي رضي الله عنه من فهم القرآن فسر جمل العلم أشار به إلى أن القرآن
يشير إلى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا يعني الفهم في القرآن وقال تعالى
ففهمناها سليمان سمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والعلم فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا
بالغا وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه وقول
أبي بكر رضي الله عنه أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي إلى غير ذلك مما ورد في الآثار والأخبار من النهي عن تفسير
القرآن بالرأي فلا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمر آخر و
باطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه الأول أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ومسندا إليه وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم
فينبغي أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأي لأنهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذا غيرهم من الصحابة والثاني
أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لترك الباقي فتبين على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي
في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة فقيل إن الر هي حروف من الرحمن وقيل إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غيره والجمع بين الكل غير
ممكن فكيف يكون الكل مسموعا الثالث أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنهما وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه
التأويل فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك الرابع أنه قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فأثبت
لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع وما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع في التأويل
وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله وأما النهي فإنه ينزل على أحد الوجهين الوجه الأول أن يكون له في الشيء
رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من
القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس
به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه
فيكون قد فسر برأيه أي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب
له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به كالذي يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم
تسحروا فإن في السحور بركة ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول
قال الله تعالى اذهب إلى فرعون إنه طغى ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد
الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم
الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي
ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص
بالرأي الوجه الثاني أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ
المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني
بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر القرآن بالرأي فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولا ليتقي به مواضع الغلط
ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز
التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر

فهو كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير
يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تع وآتينا ثمود
الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم
تكن عمياء ولا يدري انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله تع واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي حب العجل فحذف الحب وقوله
اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى بذكر
الحيوة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة وقوله عز وجل واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها والاهل محذوف ومضمر
وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض معناه خفيت على اهل السموات والارض والشيء اذا خفي ثقل فابدل اللفظ واقيم في مقام
على واضمر اهل وحذف وقوله تع وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم وقوله تع انا انزلناه في ليلة القدر اراد القرآن
وما سبق له ذكر وقال تعالى حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله عز وجل والذين اتخذوا من دونه اولياء ما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اي يقولون ما نعبدهم الا وقوله تع فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن
الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون اي يقولون ما اصابك فانه ان لم يرد به هذا كان مناقضا لقوله تع قل كل من عند الله
وسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب كقوله وطور سينين ومعناه طور سيناء وقوله سلام على آل
ياسين اي على الياس وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر
كقوله تع وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وقوله تعالى
قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا
ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه ولولا
كلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولا لكان نصبا كاللزام وقوله تع يسئلونك كانك حفي عنها اي يسئلونك عنها كانك حفي وقوله تعالى
لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي صارت انفال الغنائم لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى
وغيره وقوله تع حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معاني كلمة او حرف اما الكلمة
فكالشيء والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تبارك وتعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء اراد به النفقة مما
رزق وقوله وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء اي الامر بالعدل والاستقامة وقوله تع فان اتبعتني فلا تسألني
عن شيء اراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف بها في اوان الاستحقاق وقوله
ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق فربما يتوهم به انه يدل على انه لا يخلق شيء الا من شيء واما القرين فكقوله تع قال قرينه
هذا ما لدي عتيد اراد به الملك الموكل به وقوله تع قال قرينه ربنا ما اطغيته اراد به الشيطان واما الامة فتطلق على ثمانية
اوجه الامة الجماعة كقوله تع وجد عليه امة من الناس واتباع الانبياء كقولك نحن من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورجل جامع للخير
يقتدى به كقوله تع ان ابرهيم كان امة قانتا لله والامة الدين كقوله تع وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة اي القامة
وامة رجل منفرد بدينه لا يشركه فيه احد قال صلى الله عليه وآله وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة واحدة والامة الام يقال هذه
امة زيد اي ام زيد واما الروح فقد ورد في القرآن على معان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله تع
فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات اي اثرن بالحوافر نقعا والثانية كناية عن الاغارة وهي
المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله تع فانزلنا به الماء يعني السحاب فاخرجنا به من كل الثمرات يعني
بالماء وامثال هذا في القرآن لا تنحصر ومنها التدريج في البيان كقوله تع شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن اذ لم يظهر به انه ليلا او
نهارا وبان بقوله انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر به انه اي ليلة فظهر بقوله انا انزلناه في ليلة القدر وقد يظن في الظاهر اختلاف

بين معنى الآيات فهذا وامثاله مما لا يغني فيه الا النقل والسماع والقرآن من اوله الى آخره غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب وكان
مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتاخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من
اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور دخل في زمرة من فسر القرآن برأيه مثل ان
يفهم من الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورأيه اليه فاذا سمعه في موضع آخر مال برأيه الى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل
في كثرة معانيه فهذا ما يمكن ان يكون منهيا دون التفهم لاسرار المعاني كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير
بمثال وهو ان الله تعالى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات الرمي ونفي له
وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله تعالى وكذلك قال تعالى
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب وان كان الله هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى
امرهم بالقتال فحقيقة هذا تستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة
الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله تعالى حتى ينكشف بعد ايضاح امور كثيرة غامضة صدق قوله تع وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من
كلمة من القرآن الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم
على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة اعلى منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما
فاسرار كلمات الله تعالى لا نهاية لها فتنفد الابحر قبل ان تنفد كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك
في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله فهم بعض ارباب القلوب من قوله صلى الله عليه وآله وسلم في سجوده اعوذ برضاك
من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له اسجد واقترب فوجد
القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فترقى
الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيى به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك
ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب
واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به واسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير الظاهر عليه وليس هو مناقضا
لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله اعلم بالصواب
تم كتاب آداب التلاوة والحمد لله كثيرا والصلوة على رسوله محمد النبي وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الراشدين الاخيار والسلام والتحية كثيرا دائما

كتاب الاذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الشامل رأفته العام رحمته المجازي عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى فاذكروني اذكركم ورغبهم في السؤال والدعاء بامره
فقال تع ادعوني استجب لكم فاطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والاماني بقوله تعالى فاني قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعان والصلوة على محمد سيد انبيائه وعلى آله واصحابه خيرة اصفيائه وسلم كثيرا اما بعد
فليس بعد تلاوة كتاب الله تعالى عبادة تؤدى باللسان افضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله تعالى فلا بد من شرح
فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل وشرح فضيلة الدعاء وشروطه
وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها
ويتحرر المقصود من ذلك بذكر ابواب خمسة **الباب الاول** في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا
الباب الثاني في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلوة على رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم **الباب الثالث** في ادعية مأثورة منسوبة الى اصحابها واسبابها **الباب
الرابع** في ادعية مستحبة منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية المأثورة **الباب الخامس**

في ادعية المأثورة عند حدوث الحوادث **الباب الاول** في فضل الذكر على الجملة

والجامعة اما فضيلة الذكر قال الله تعالى فاذكروني اذكركم قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا
وكيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر
الحرام وقال تعالى فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا وقال عز وجل الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم اي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم
المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من
الغافلين وقال تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس رضي الله عنهما له وجهان احدهما ان ذكر الله لكم اكبر من ذكركم اياه والثاني ان ذكر الله اكبر من
كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات والاخبار قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء
في وسط الهشيم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين وقال عليه السلم ذاكر الله في الغافلين
كالحي بين الاموات وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى انا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال صلى الله عليه وآله
وسلم ما عمل ابن آدم عملا انجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال صلى الله عليه وآله
وسلم ولا الجهاد في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثلاثا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من احب ان
يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله تعالى وسئل صلى الله عليه وآله وسلم اي الاعمال افضل فقال صلى الله عليه وآله وسلم
ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال عليه السلم لذكر الله تعالى بالغداة والعشي افضل
من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل اذا ذكرني عبدي في
نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه واذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب مني
ذراعا تقربت باعا واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وآله وسلم سبعة يظلهم الله سبحانه
يوم لا ظل الا ظله الحديث وذكر من جملتهم رجل ذكر الله تعالى في خلاء ففاضت عيناه من خشية الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير
لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا اعناقهم ويضربون اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله تعالى دائما وقال
صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وفي الآثار قال
الفضيل بلغنا ان الله تعالى قال في بعض كتبه ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما وقيل ان الله تعالى
قال في بعض كتبه ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال
الحسن الذكر ذكران ذكر الله بين نفسك وبين الله ما احسنه واعظم اجره وافضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم الله ويروى ان كل
نفس يخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله تعالى وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس يتحسر اهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم
لم يذكروا الله فيها **فضيلة مجالس الذكر** قال صلى الله عليه وآله وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى الا حفت بهم الملائكة
وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون
بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما قعد
قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا كان عليهم حسرة يوم القيمة وقال داود عليه السلم
الهي اذا رأيتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي وقال صلى الله عليه وآله
وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن الفي الف مجلس من مجالس السوء وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان اهل السماء ليتراءون بيوت
اهل الارض التي يذكر فيها اسم الله كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا
فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا افترقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريرة رضي الله عنه

انه دخل السوق فقال اراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا
السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا ابا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله تعالى ويقرءون القرآن قال فذلك
ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم انه قال ان لله ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا
الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء الدنيا فيقول الله عز وجل على اي شيء تركتم عبادي يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك
ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله عز وجل وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني فيقولون يا ربنا
لو رأوك لكانوا اشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم سبحانه من اي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول هل رأوها فيقولون
لا فيقول فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا اشد هربا منها واشد نفورا فيقول واي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول
هل رأوها فيقولون لا فيقول الله سبحانه فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا اشد حرصا فيقول الله عز وجل اني
اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم وانما جاء لحاجة فيقول سبحانه هم القوم لا يشقى جليسهم **فضيلة**
التهليل قال صلى الله عليه وآله وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان
يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد توضأ فاحسن الوضوء
ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة يدخل
من ايها شاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كاني انظر اليهم عند الصيحة
ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيمة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت
في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال صلى الله
عليه وآله وسلم لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا هريرة لقن
الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء قال هي اهدم واهدم
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم لتدخلن الجنة كلكم الا من
ابى وشرد على الله شرود البعير على اهله فقيل يا رسول الله ومن الذي يأبى قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من قول لا اله
الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وكلمة الاخلاص وكلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق والعروة الوثقى
وهي ثمن الجنة وقال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان قيل الاحسان في الدنيا قول لا اله الا الله وفي الآخرة الجنة
وكذا قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وروى البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من
قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمة وروى عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال في يوم مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه احد كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله وقال عمر رضي الله عنه
من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف
الف حسنة ومحي عنه مثل ذلك من السيئات وبني له بيت في الجنة ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى صحيفته فلا تمر
على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفي الصحيح عن ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل
وروي عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده

لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
قال اللهم اغفر لي غفر له او دعا استجيب له وان توضأ وصلى قبلت صلوته وفضيلة التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ذكرنا ما قال صلى
الله عليه وآله وسلم من سبح دبر كل صلوة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا
شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال سبحان
الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فاين انت من صلوة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال الرجل قلت وماذا يا رسول الله فقال قل سبحان الله وبحمده سبحان
الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا
يسبح الله الى يوم القيمة لك ثوابه وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض فاذا
قال الحمد لله ثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض فاذا قال الحمد لله ثالثة قال الله تعالى سل تعط وقال رفاعة الزرقي
كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك
الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلوته قال لقد رايت بضعة وثلاثين ملكا
يبتدرونها ايهم يكتبها اول وقال سبحان الله والحمد لله صلى الله عليه وآله وسلم الباقيات الصالحات هي لا اله الا الله
وسبحان الله والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما على الارض رجل يقول لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى النعمان
بن بشير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الذين يذكرون من جلال الله من تسبيحه وتهليله وتحميده ينعطفن حول العرش
لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن اولا يحب احدكم ان لا يزال عند الله شيء يذكر به وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وآله
وسلم قال لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية وزاد ولا حول ولا قوة
الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وآله وسلم احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر لا يضرك بايهن بدات رواه سمرة بن جندب وروى ابو مالك الاشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقول
الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله اكبر يملآن ما بين السماء والارض والصلوة نور والصدقة برهان
والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وقال ابو هريرة رضي الله عنه
قال عليه الصلوة والسلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم قال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الكلام احب الى الله تعالى قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله
وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال عليه الصلوة والسلام ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر قال فاذا قال العبد سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر
مثل ذلك وذكر الى الكلمات قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة
وعن ابي ذر انه قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم
ويتصدقون بفضول اموالهم فقال او ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ان لكم بكل تسبيحة صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تهليلة
صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهي له صدقة قال
ونهي عن منكر صدقة ومباضعة الرجل اهله صدقة قالوا يا رسول الله ياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال صلى الله عليه وآله وسلم
ارايتم لو وضعها في حرام اكان عليه فيها وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له فيها اجر وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يا رسول الله سبق اهل الاموال بالاجر يقولون ما نقول وينفقون ولا ننفق قال صلى الله عليه وآله وسلم افلا ادلك
على عمل اذا انت عملته ادركت من قبلك وفت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلوة ثلاثا وثلاثين وتكبر اربعا وثلاثين

ويحمد ثلاثا وثلاثين وروي عن بعض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن
بالانامل فانهن مستنطقات يعني بالشهادة في القيمة وقال ابن عمر رضي الله عنه رايته صلى الله عليه وآله وسلم يعقد التسبيح وقال
صلى الله عليه وآله وسلم فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا قال العبد لا اله الا الله
والله اكبر قال الله صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى صدق
عبدي لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى صدق عبدي لا حول
ولا قوة الا بي ومن قالها عند الموت لم تمسه النار وروى مصعب بن سعيد عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال ايعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة قيل كيف ذلك قال يسبح الله مائة تسبيحة فتكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة
وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا عبد الله بن قيس او يا ابا موسى الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كنز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تعالى
اسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيمة وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه قال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال
الملك هديت واذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين
فيقول الاخرى كيف لكم بمن هدي وكفي ووقي فان قلت فما بال ذكر الله عز وجل مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل و
انفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم ان تحقيق ذلك لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة
ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه ايضا
وحضور القلب في لحظة والذهول عن الله مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله على الدوام او في اكثر
الاوقات هو المقدم على العبادات بل بها يشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول وآخر فاوله يوجب الانس
والحب وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس والحب فان المريد في بداية امره قد يكون متكلفا بصرف قلبه
ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله تعالى فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من
المشاهد في العادات ان تذكر غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر
ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر ذكره ومن اكثر
ذكر شيء وان كان تكلفا احبه وكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب
موجبا والثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر النعيم الا
من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا
وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة
متحملة لما تكلفت هي النفس ما عودتها تتعود اي ما كلفتها او الفتها يصير لها طبعا آخر ثم اذا حصل الانس بذكر الله تعالى انقطع عن غير الله
وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله تعالى فان كان قد انس
به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله تعالى ولا يبقى بعد الموت في الحيوة عائق
فكانما خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ان روح
القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت وكل من عليها فان ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا في حقه الى ان تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى
ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله تعالى
معه بعد الموت فيقول انه اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم

الملكوت والى ما ذكرناه يشير قوله صلى الله عليه وآله وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وقوله ارواح
الشهدا في حواصل طيور خضر يطير بها وقوله لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم باسمائهم اني قد وجدت ما وعدني
ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وانى يجيبون
وقد جيفوا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا والحديث
في الصحيح هذا قوله في المشركين واما المؤمنون والشهدا فقد قال عليه السلام ان ارواحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش
وهذه الحالة وما اشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافي ذكر الله تعالى وقال عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا
عند ربهم يرزقون الآية ولاجل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا
والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله تعالى منقطع العلائق عن غيره فانه قد يقدر عبد على ان يجعل همه مستغرقا بالله تعالى فلا يقدر على ان
يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته واهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد
هون على قلبه حياته في حب الله تعالى وطلب مرضاته ولا تجرد لله اعظم من ذلك ولذلك عظم امر الشهادة وورد فيه من
الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله الانصاري رضي الله عنه يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجابر
الا ابشرك يا جابر قال بلى يا رسول الله بشرك الله بالخير قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله احيى اباك واقعده بين يديه وليس بينه
وبينه ستر فقال تعالى تمن علي يا عبدي ما شئت اعطيكه قال يا رب ان تردني الى الدنيا حتى اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى فقال تعالى سبق القضا
مني بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وطلب ما استولى
على قلبه من ذكر الله تعالى فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه امر
الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك
لقلة حظه في الآخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد
نيل مال او ان يقال شجاع او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله واعلا كلمته فهذه هي الحالة التي عبر عنها بان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصود له
سوى الله وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصود له سواه ومن يقول
ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فامره في مشيئة الله تعالى ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا اله الا الله على سائر الاذكار
وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى
الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسأل الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا ظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا
غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقا الله فان من احب لقا الله عز وجل احب الله لقاءه ومن كره لقا الله تعالى كره لقاءه فهذه
مرامز الى معاني الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

الباب الثاني في آداب الدعا

قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسما الحسنى وقال تعالى ربكم ادعوني استجب لكم الآية واما الاخبار فروى النعمان بن بشير
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الدعا هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدعا مخ العبادة
وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وآله وسلم ليس شي اكرم عند الله تعالى من الدعا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد لا يخطئه
من الدعا احدى ثلاث ذنب يغفر له او خير يعجل له او خير يدخر له وقال ابو ذر يكفي من الدعا مع البر ما يكفي الطعام من الملح وقال
صلى الله عليه وآله وسلم سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج

آداب الدعا وهي عشرة

الاول ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات
الليل قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال صلى الله عليه وآله وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة الى السما الدنيا حين يبقى
ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له عز وجل وقيل ان
يعقوب عليه السلام انما قال سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت السحر واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله تعالى اليه
اني قد غفرت لهم وجعلتهم انبيا الثاني ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة ان ابواب السما تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله
وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة المكتوبة فاغتنموا الدعا فيها وقال مجاهد ان الصلوة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعا
خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدعا بين الاذان والاقامة لا يرد وقال صلى الله عليه وآله وسلم الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة
يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفا القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة
وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله تعالى فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار رحمة الله تعالى
وبحقيقة اسبابه شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا اجدر بالاجابة قال ابو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا فيه الدعا وروى ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اني نهيت
ان اقرا القرآن راكعا او ساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه من الدعا فانه قمن ان يستجاب لكم الثالث ان يدعو
مستقبل القبلة ويرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه روى جابر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل
يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع
يديه اليه ان يردهما صفرا وروى انس انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعا ولا يشير باصبعيه وروى ابو هريرة
انه صلى الله عليه وآله وسلم مر على رجل يدعو باصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وآله وسلم احد احد اي اقتصر على الواحدة وقال ابو الدردا
ارفعوا هذه الايدي قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح بهما وجهه في آخر الدعا قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اذا مد يديه في الدعا لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما
مما يلي وجهه فهذه هيئات اليد ولا يرفع بصره الى السما قال صلى الله عليه وآله وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السما عند الدعا
او لتخطفن ابصارهم الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي ان ابا موسى الاشعري قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب
ان الذي تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بدعائك وقد اثنى الله
تعالى على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال اذ نادى ربه ندا خفيا وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية الخامس ان لا يتكلف السجع في الدعا فان حال
الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وآله وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعا وقال الله تعالى ادعوا
ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقيل معناه التكلف للاسجاع والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يتعدى في دعائه
فيسأل ما لا يقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعا ولذلك ورد في الخبر ان العلما يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال
لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلما قال صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والسجع في الدعا حسب احدكم ان يقول
اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعا
والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو فقال اعلى الله تبالغ اشهد لقد رايت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا
جيدين اللهم لا تفضحنا يوم الدين اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان
الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق وقيل ان العلما والابدال لا يزيدون في الدعا على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر
سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من ادعية عباده اكثر من ذلك واعلم ان المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة
والذلة والا ففي الادعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم اسألك
الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ما تريد وامثال ذلك
فليقتصر على المأثورات من الدعوات او ليلتمس بلسان التضرع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله تعالى السادس التضرع

والخشوع والرهبة قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال صلى الله عليه وآله وسلم
اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه السابع ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يقل
احدكم اذا دعا اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا دعا احدكم
فليعظم الرغبة فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء وقال صلى الله عليه وآله وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب
دعاء من قلب غافل وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل اجاب شر الخلق ابليس اذ قال رب
انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الثامن ان يلح في الدعاء ويكرره ثلثا قال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم اذا دعا دعا ثلثا واذا سأل سأل ثلثا وينبغي ان لا يستبطئ الاجابة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم يستجاب لاحدكم ما لم
يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت فاسئل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم انا اسأل الله منذ عشرين سنة حاجة في
اجابتي وانا ارجو الاجابة سألت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا سأل احدكم ربه عز وجل مسئلة
فعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال التاسع ان يفتتح الدعاء
بذكر الله تعالى فلا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان
ربي العلي الاعلى الوهاب قال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يسأل الحاجة ثم يختم بالصلوة
عليه فان الله يقبل الصلوتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلوة
علي فان الله تعالى اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احديهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي رضي الله عنه العاشر وهو الاصل
في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة قال كعب الاحبار اصاب الناس قحط شديد على
عهد موسى عليه السلام فخرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا ثم خرج ثلث مرات فلم يسقوا فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام فقال موسى عليه الصلوة والسلام ومن هو يا رب حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انهاكم
عن النميمة واكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله تعالى عليهم الغيث قال سعيد بن جبير قحط الناس في
زمان ملك من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا فقال الملك ليرسلن الله علينا السماء او لنؤذينه قيل له وكيف تقدر ان تؤذيه وهو في السماء
فقال اقتل اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له فارسل الله السماء وقال سفيان الثوري بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين
حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال يبكون ويتضرعون فاوحى الله تعالى الى انبيائهم لو مشيتم الي باقدامكم
حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها
ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار اصاب الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا يدعون فاوحى الله تعالى الى نبيهم
ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم
ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي
تقول اللهم انا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الاوزاعي
خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر الستم مقرين بالاساءة فقالوا اللهم نعم فقال
اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا ورفع يديه
ورفعوا ايديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجارة وروي ان عيسى عليه السلام
خرج يستسقي فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام من اصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في المفازة الا رجل واحد فقال له
عيسى عليه السلام اما لك من ذنب فقال والله ما اعلم من شيء غير اني كنت ذات يوم اصلي فمرت بي امرأة فنظرت اليها بعيني هذه فلما
جاوزت ادخلت اصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت بها المرأة فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى اؤمن على دعائك فدعا فتجللت
السماء سحابا ثم صبت فسقوا قال يحيى الغساني اصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا

بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت في توراتك ان نعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثاني اللهم انك انزلت في توراتك
ان نعتق ارقاءنا اللهم انا ارقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت في توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا اللهم انا
مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا نحن بسعدون المجنون في
المقابر فنظر الي فقال يا عطاء اهذا يوم النشور او بعثر ما في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء بقلوب ارضية
ام بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال
الهي وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من اسمائك وما وارت الحجب من آلائك الا ما سقيتنا ماء غدقا تحيي
به العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى ارعدت السماء وابرقت وجاءت بمطر كافواه القرب
فولى وهو يقول شعر
افلح الزاهدون والعابدونا … اذ لمولاهم اجاعوا البطونا
اسهروا الاعين العليلة فيه … فمضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى … قيل في الناس ان فيهم جنونا
وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج
الناس يستسقون فخرجت معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحديهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبي فسمعته يقول
الهي اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسئلك اللهم يا حليما ذا
اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان يسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام واقبل المطر
من كل مكان قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال لي ما لي اراك كئيبا فقلت امر سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة
فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى ان عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم
ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وهذه ايدينا اليك بالذنوب
ونواصينا بالتوبة وانت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر
واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما استتم كلامه حتى ارخت السماء
مثل الجبال

فضيلة الصلوة على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفضله صلى الله عليه وآله وسلم قال [illegible] ان الله و
ملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال
انه جاءني جبرئيل عليه السلام فقال اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد
من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقل عبد من ذلك او ليكثر
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلوة وقال صلى الله عليه وآله وسلم بحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده
فلا يصلي علي وقال صلى الله عليه وآله وسلم من صلى علي مرة كتب له عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات وقال صلى الله عليه وآله
وسلم من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة
والفضيلة والشفاعة يوم القيمة حلت له شفاعتي وقال صلى الله عليه وآله وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام
اسمي في ذلك الكتاب وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان في الارض ملائكة سياحين يبلغوني عن امتي السلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس
احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وقيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال صلى الله عليه وآله وسلم قولوا اللهم صل
على محمد وآله وسلم وعلى ازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وروي ان عمر رضي الله عنه سمع بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت
يدك عليه فسكن فامتك كانت اولى بالحنين عليك لما فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته
فقال عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبياء وذكرك
في اولهم فقال سبحانه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عنده يا رسول الله ان اهل النار يودون ان يكونوا قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا

بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى
الله عليه وآله وسلم عليك بأبي وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق
حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك
بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية
فقالت لا تأكلني فإني مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو
دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم
لا يعلمون بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما
آمن معه إلا القليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفوا لك ما جالستنا ولو لم تنكح إلا كفوا لك ما نكحت إلينا ولو لم تؤاكل إلا كفوا لك ما آكلتنا
لقد والله جالستنا ونكحت إلينا وآكلتنا وركبت الحمار ولبست الصوف ووضعت طعامك بالأرض ولعقت أصابعك
تواضعا منك صلى الله عليه وآله وسلم ورأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم **فضيلة** قال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلي على
النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي أما إنك صليت علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت وقال أبو الحسن الشافعي
رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بم جزي الشافعي رضي الله عنه عنك حيث يقول
في كتاب الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال صلى الله عليه وآله وسلم جزي عني أنه
لا يوقف في الحساب **فضيلة** الاستغفار قال الله سبحانه وتعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله
فاستغفروا لذنوبهم قال علقمة والأسود قال ابن مسعود في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما فاستغفر الله
إلا غفر له قوله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله وقوله تعالى ومن
يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال الله تعالى والمستغفرين بالأسحار وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره
إنه كان توابا وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم وقال صلى الله
عليه وآله وسلم من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وآله وسلم
إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة هذا مع أنه كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال صلى الله عليه وآله وسلم
إنه ليغان على قلبي حتى إني أستغفر الله في كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله
العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام
الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر غفرت ذنوبه وإن كان فارا من الزحف قال حذيفة كنت ذرب اللسان
على أهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لساني النار فقال صلى الله عليه وآله وسلم فأين أنت من الاستغفار فإني لأستغفر الله
في اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله فإن التوبة من الذنب الندم
والاستغفار وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني
اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني
أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم حديثا نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه وإذا حدثني أحد من الصحابة استحلفته فإذا حلف صدقته قال وحدثني أبو بكر وصدق
أبو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله
إلا غفر الله له ثم تلا قوله والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن المؤمن
إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه فذلك الران الذي
ذكر الله تعالى في قوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الله ليرفع الدرجة للعبد

جاء الستار ولم تحكم الأكفا لها كما تنبا
ولم تؤاكل الا كفؤا لك ما آم

في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال اللهم اجعلني من
الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساؤوا استغفروا وقال صلى الله عليه وآله وسلم إذا أذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي فيقول
الله تعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب اعمل يا عبدي ما شئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن رجلا لم يعمل خيرا قط نظر إلى السماء فقال إن لي ربا يا
رب اغفر لي فقال الله قد غفرت لك وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر وقال
صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم ومن علم أني ذو قدرة على أن أغفر
غفرت له ولا أبالي وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه
ولو كانت كدبيب النمل ويروى أن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما
صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء على نفسي بذنبي قد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت إنه لا يغفر
الذنوب جميعا إلا أنت **وأخبار** وآثار قال خالد بن معدان قال الله تعالى في بعض كتبه إن أحب عبادي إلي المتحابون بجلالي المعلقة
قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة
القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار وقال علي رضي الله عنه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما
هي قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تفسيرها أقلني وقال
بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا
وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا
يحتاج إلى استغفار كثير وقيل من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله وهو لا يعلم وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة
يقول اللهم إن استغفاري مع إصراري للؤم وإن تركي الاستغفار مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب إلي بالنعم مع غناك عني وكم
أتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك يا من إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك إذ هو يرجى بعظيم عفوك
يا أرحم الراحمين قال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوب لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا
إن شاء الله اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم أوف لك به وأستغفرك
من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة
من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملإ وخلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال إنه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر
عليه السلام والتحية

الباب الثالث

في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستجاب أن
يدعو الإنسان بها صباحا ومساء وعقب كل صلاة فمنها دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنهما
بعثني أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حاجة فأتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى ركعتي قبل صلاة
الفجر قال اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها ألفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع
بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم أعطني إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده
كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر
على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي وقصر عملي وافتقرت إلى رحمتك فأسألك يا قاضي الأمور ويا
شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه
عملي ولم تبلغه نيتي من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فإني أرغب إليك فيه وأسألكه يا رب العالمين
اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك سلما لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من
خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله يا ذا الحبل الشديد

والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة دار الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود إنك رحيم ودود
وإنك تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان
ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي
ونورا في بصري ونورا في لحمي ونورا في عظمي ونورا في دمي ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي
ونورا من تحتي اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا لا أستحيي به في أثري دعاء عائشة رضي الله عنها قال لها رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يا عائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك
الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله
عليه وآله وسلم وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين دعاء فاطمة رضي الله عنها قال
فاطمة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث
لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله يا أرحم الراحمين دعاء الصديق رضي الله عنه قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه علمني
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الدعاء فقال قل اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى كليمك ونوح نجيك وعيسى كلمتك
وروحك وبكلام موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبكل وحي أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل
أعطيته أو غني أغنيته أو فقير أغنيته أو ضال هديته وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى وأسألك باسمك الذي قسمت به أرزاق العباد
وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فأرست وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد
الوتر المنزل في كتابك من لدنك النور المبين وباسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور
وجهك أن ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك
يا أرحم الراحمين دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه روى بريدة الأسلمي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يا بريدة
ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبدا قال قلت بلى يا رسول الله
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضاي
اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل فأعزني وإني فقير فأغنني برحمتك يا أرحم الراحمين دعاء قبيصة قال قبيصة بن المخارق
يا رسول الله علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت سني وعجزت عن أشياء كنت أعملها فقال صلى الله عليه وآله وسلم أما لدنياك فإذا صليت
الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنك إن قلتهن أمنت
من الغم والجذام والبرص والفالج وأما لآخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وأفض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وأنزل
علي من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم أما إنه إذا وافى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها
شاء دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه قيل لأبي الدرداء احترقت دارك فقال ما احترقت وما كان الله ليفعل
ذلك ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك فقيل له ما ندري أي قوليك أعجب قال إني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من قال هذه الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت
عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير
وأن الله قد أحاط بكل شيء علما اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم
دعاء إبراهيم الخليل صلوات الله عليه كان يقول إذا أصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك
ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم قال ومن
دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه دعاء عيسى عليه السلام كان يقول اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره
ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل

همي ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني دعاء الخضر عليه السلام قال إن الخضر وإلياس عليهما السلام إذا
التقيا في كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد
الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله قال من قالها إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق دعاء معروف الكرخي قال محمد بن
حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله بهن وجد الله عندهن قلت
اكتبها قال لا ولكن أرددها عليك كما رددها علي بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما أهمني حسبي الله
الحليم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤوف عند المسألة
في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القوي العزيز عند الصراط
حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وروي عن أبي الدرداء أنه قال من قال في كل يوم سبع مرات
فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وروي عن أبي الدرداء أنه قال من قالها كفاه الله ما أهمه من أمر
آخرته صادقا كان بها أو كاذبا دعاء عتبة الغلام رحمه الله رئي عتبة الغلام في المنام بعد موته فقال دخلت
الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين
كلهم أجمعين واجعلنا من الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين
دعاء آدم عليه السلام قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله تعالى أن يتوب على آدم عليه السلام طاف سبعا بالبيت وهو يومئذ
ليس ببناء ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم
ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي والرضا بما قسمت لي
فأوحى الله إليه إني قد غفرت لك ولن يأتي أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه
ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها دعاء علي رضي الله عنه روى
علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى يمجد نفسه كل يوم ويقول إني أنا الله رب العالمين إني أنا الله لا إله
إلا أنا الحي القيوم إني أنا الله لا إله إلا أنا العلي العظيم إني أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد إني أنا الله لا إله إلا أنا العفو الغفور الرحيم
مبدئ كل شيء وإليه يعود إني أنا الله لا إله إلا أنا العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار
الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم الكريم أهل الثناء والمجد أعلم السر وأخفى القادر
الرزاق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل إني أنا الله لا إله إلا أنا كما دعاه في الأول من دعا بهذه الأسماء كتب من الساجدين
المخبتين النبيين يحشر مع محمد وإبراهيم وموسى وعيسى والنبيين في دار الجلال وله ثواب العابدين في السماوات والأرضين دعاء
أبي المعتمر سليمان التيمي تسبيحات روي عن يونس بن عبيد أنه قال رأيت رجلا في المنام ممن قتل بشط بلاد الروم فقلت
ما أفضل ما رأيت ثم من الأعمال قال رأيت ثم تسبيحات أبي المعتمر من الله بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق
وملء سماواته وملء أرضه ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى
يرضى وإذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة
من الساعات ونسم ونفس من أبد الأبد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره دعاء
إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه روى إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليهما أنه كان يقول هذا الدعاء في كل يوم جمعة
إذا أصبح وإذا أمسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد
الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبيته

اسه حاضعا رلسوي الله في كل آية حامدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا اشهد الله تعالى واشهد ملائكته وانبيائه
ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بانه هو الله لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله
وسلم وان الجنة حق وان النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعيدك حق ولقاءك حق
والساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور على هذا احيى وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله اللهم انت ربي لا اله الا انت
خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك اللهم من شر ما صنعت اللهم اني ظلمت نفسي فاعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي انه لا يغفر
الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك
وسعديك والخير كله في يديك انا بك واليك استغفرك واتوب اليك آمنت بك اللهم بما ارسلت من رسول وآمنت اللهم بما انزلت من
كتاب وصلى الله على محمد النبي الامي وعلى آله وسلم كثيرا خاتمة كلامي ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين آمين رب العالمين
اللهم ونجا خوضه واستعنا بكلامه سرا بدعا سابقا لا انقطا معبدة ابدا واحشرنا في زمرة غير خزايا ولا ناكثين ولا الكسيف والمرتابين
ولا مفتونين والمغضوب عليهم ولا الضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول
الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا بار يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من
سبحت له السموات باكنافها وسبحان من سبحت له الجبال باصواتها سبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان
بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الاشجار باصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات
السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك يا حي يا حليم سبحانك لا اله الا
انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت على كل شيء قدير

الباب الرابع

في ادعية ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن اصحابه بحذف الاسانيد منتخبة من جملة احمد ابو طالب المكي وابن خزيمة
وابن المنذر رحمهم الله يستحب للمريد اذا اصبح ان يكون احد اوراده الدعاء كما سياتي في كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث
الآخرة المتدين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما دعا به فقل اذا استفتحت صلاتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
نبيا صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان
لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل ذي شر ومن شر الشيطان وشركه وقل اللهم اني اسالك العفو والعافية
في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن
شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين
وقل اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك
علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثلاث مرات اللهم اني اسالك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت
ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي
او اكتسب خطيئة او ذنبا لا تغفره اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسالك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسالك
قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت
علام الغيوب اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وعلى
كل غيب شهيد اللهم اني اسالك ايمانا دائما لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم في اعلى جنة
الخلد اللهم اني اسالك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واسالك حبك وحب من احبك وحب كل عمل يقربني الى
حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق
احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسالك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في

الفقر والغنى ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين
اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا
اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا واسكن في نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا لخدمتك واجعل احب الينا مما سواك
واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة و
آخره تكرمة ومغفرة الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي
سكن كل شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى آله
وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي رسول
رب العالمين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا لمرضاتك عنا
ووفقنا لمحابك اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لما ترضى منا على اختيارك
اللهم انا نسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك
عني اعف عني انك انت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك انت الرحمن وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار سبحانك
وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك انت ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي
فاغفر لي ذنبي انك انت ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني
بما رزقتني واستعملني صالحا تقبله مني اسالك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة يا من لا تضره الذنوب
ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا اننا
سمعنا مناديا ينادي للايمان الى قوله الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا الى آخر السورة رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما
ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز
الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله
ونعم الوكيل انواع الاستعاذة الماثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ
بك من ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع ومن طمع في طمع
ومن طمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع
فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن ان ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب
القبر وفتنة المحيا والممات اللهم انا نسالك قلوبا اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسالك عزائم مغفرتك ومنجيات امرك وموجبات رحمتك و
السلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي واعوذ بك من الغم والغرق
والهدم واعوذ بك ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت في طلب الدنيا واعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم
اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء
اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم اني اعوذ بك من جار السوء
في دار المقامة فان جار البادية يتحول اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق
والشقاق والنفاق والسمعة والرياء واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال
نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة

الغنى وشر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المأثم والمغرم اللهم انى اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلوة لا تنفع ودعوة
لا تستجاب واعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدر اللهم انى اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء يا ارحم الراحمين الى العلم

الباب الخامس

في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث اذا اصبح [illegible]
استحب بعد اجابة المؤذن وقد ذكرناه وادعية دخول الخلاء والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل
اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا وفي بصري نورا واجعل خلفي نورا ومن امامي نورا ومن فوقي نورا اللهم اعطني نورا اللهم انى اسألك
بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان
تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا خرجت الى الحاجة فقل بسم الله رب اعوذ بك ان اظلم
او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم التكلان على الله عز وجل فاذا انتهيت الى المسجد تريد
دخوله فقل اللهم صل على محمد وآله وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول واذا رأيت من ينشد
ضالة في المسجد فقل لا رده الله عليك واذا رأيت من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك بذلك امر رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم فاذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم انى اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخره عن ابن عباس رضي الله عنهما
كما اوردناه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا ركعت فقل اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت
ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان احببت فقل سبحان ربي العظيم ثلاثا او سبوح
قدوس رب الملائكة والروح ثلاثا فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض و
ملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد حق ما قال العبد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد
فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله احسن الخالقين
اللهم سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي هذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت او
تقول سبحان ربي الاعلى ثلاثا فاذا فرغت من الصلوة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر
الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس واردت دعاء يكفر لغط المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله اللهم انى اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها واعوذ
بك من شرها وشر ما فيها اللهم انى اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فاذا كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك
عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسألك من خيره وخير ما
صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له فاذا رأيت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات
الا انت لا حول ولا قوة الا بالله واذا رأيت الهلال فقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي
وربك الله عز وجل وتقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم انى اسألك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر
واذا هبت الريح فقل اللهم انى اسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به
فاذا بلغك موت احد فقل انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في
الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله وتقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وتقول عند
الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون وتقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا
رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وتقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك
الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا فاذا سمعت صوت الرعد فقل سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته
فاذا رأيت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من

خيفته فاذا امطرت السماء فقل اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب فاذا غضبت فقل اللهم
اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم فاذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم
فاذا غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل فاذا طنت اذنك فقل اللهم صل على محمد وآله ذكر الله من ذكرني بخير واذا رأيت استجابة دعائك
فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات واذا ابطأت الاجابة فقل الحمد لله على كل حال فاذا سمعت اذان المغرب فقل
اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك اسألك ان تغفر لي فاذا اصابك هم فقل اللهم انى عبدك ابن
عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او اعطيته
احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي قال صلى الله عليه
وآله وسلم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب الله حزنه وهمه وابدل مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال صلى الله عليه
وآله وسلم بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها فاذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا
اشتكى الانسان قرحة او جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى
سقيمنا باذن ربنا فاذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله
وقدرته من شر ما اجد واحاذر واذا اصابك كرب فقل لا اله الا الله العلي الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات
ورب الارض ورب العرش الكريم فاذا اردت النوم فتوضأ اولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر اربعا وثلاثين وسبح ثلاثا وثلاثين واحمد
ثلاثا وثلاثين ثم قل اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن
انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيى واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التورية
والانجيل والفرقان اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء
وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انك خلقت نفسي وانت تتوفاها لك
مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم انى اسألك العافية باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني
عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك
آمنت بكتابك الذي انزلت ونبيك الذي ارسلت فيكون هذا آخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وليقل قبل ذلك
اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال اليك التي تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا اسألك فتعطيني واستغفرك
فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي فاذا استيقظت من نومه عند الصباح الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح
الملك لله والعظمة لله والسلطان لله والعزة لله والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه
وآله وسلم وملة ابينا ابراهيم عليه السلام حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير اللهم انا
نسألك ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم
ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ
بك من شر هذا اليوم وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف
السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسى
قال مثل ذلك الا انه يقول امسينا ويقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة
ربي آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فاذا نظرت في المرآة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها
وجعلني من المسلمين واذا اشتريت خادما او غلاما او دابة فخذ بناصيته وقل اللهم انى اسألك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره
وشر ما جبل عليه واذا هنأت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير فاذا قضيت الدين فقل للمقضي له بارك الله لك في
اهلك ومالك اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه ادعية لا يستغني المريد عنها وعن حفظها وما سوى ذلك من

ادعية الصلاة والوضوء ذكرناها في الصلاة والطهارة والحج فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض وكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى ان لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى خذوا حذركم وان لا يسقي الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت البذر بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله تعالى وهو منتهى العبادات ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق انه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله تعالى الا عند المام حاجة وارهاق ملمة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله تعالى بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء عليهم السلام ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله تعالى ويمنع من نسيانه واما الغنى فسبب البطر في غالب الامور فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فهذا ما اردنا ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخير واما بقية الدعوات في الاكل والشرب والسفر وعيادة المريض وغيرها فسنوردها في مواضعها ان شاء الله تعالى تم كتاب الاذكار والدعوات والحمد لله كثيرا والصلاة على رسوله محمد النبي الامي وآله وسلم عليه

كتاب الاوراد وترتيبها وتفصيل احيا الليل وهو الختام من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون والاستعانة ونحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله تعالى غدوا وعشيا وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا اما بعد فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا يحملهم في سفرهم الى اوطانهم ويحترزوا عن مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤوس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل في نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احيا الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار الباب الثاني في كيفية احيا الليل وفضيلته وما يتعلق به

الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها

فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هي الطريق الى الله تعالى اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا ان لا نجاة الا في لقاء الله تعالى وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا بالله وان المحبة والانس لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لا تحصل الا بدوام الفكر في صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي ان يستغرق جميع الاوقات او اكثرها

فان النفس بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته الى التدبيرات الدنيوية وشهواته المباحة مثلا والشطر الآخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها الطبع اذ يكون الوقت متساويا فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويتصفى في طلبها القلب ويتجرد واما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته بالطاعة ومن اراد ان يترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله فانظر الى خطاب الله سبحانه لرسوله عليه السلام واقتبسه بنور الايمان فقال تعالى لاقرب عباده اليه واعلاهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال عز وجل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله تعالى مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى وقد قال الله تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل لتعرف بها مقادير الاوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الآخر ليتدارك في احدهما ما فات في الآخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة

بيان اعداد الاوراد وترتيبها اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى المغرب وردان والليل ينقسم الى اربعة اوراد وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان من النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به

الورد الاول ما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال تعالى فالق الاصباح وقال تعالى قل اعوذ برب الفلق واظهار القدرة بقبض الظل فيه اذ قال تعالى ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض الظل بسطوع نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار وقوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا واما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي ان يبتدئ بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر الادعية والآيات التي ذكرناها في كتاب الدعوات وليلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي ستر عورته امتثالا لامر الله تعالى واستعانة على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه الى بيت الماء ان كانت به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والادعية التي ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح اعني السنة في منزله كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعله ويقرأ بعد الركعتين اللتين

إما في المسجد أو في البيت الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما وهو قوله اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي إلى آخره
ثم يخرج من البيت متوجها إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى إلى الصلاة سعيا بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما ورد به الخبر
ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد متسعا
ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاهما في البيت ويشتغل بالدعاء الذي ذكرناه وإن
كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والأحب التغليس بالجماعة فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يغلس بالصبح
ولا ينبغي أن يدع الصلاة في الجماعة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه
سيئة والحسنة بعشر أمثالها فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى
يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل
طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك في هذه
الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال أبشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله أو قال مع رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال ألا تصليان قال علي فقلت
يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يضرب بيده على فخذه
ويقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ثم ينبغي أن يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح إلى أن تقام الصلاة فيقول أستغفر الله
العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم
يصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة فإذا فرغ منها قعد في
المسجد إلى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لأن أقعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى
طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب وروي أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي
بعضها ويصلي ركعتين أي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان فيما يذكر من رحمة ربه يرويه أنه قال يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما فإذا ظهر فضل
ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغي أن يكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر
أما الأدعية فكلما فرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام
حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وهو قوله سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على
كل شيء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم
يبتدئ بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الدعوات فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراه
أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه وأما الأذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغي أن
يكرر كل واحدة منها ثلاثا أو سبعا وأكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشر مرات فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر
والأوسط الأقصد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أدومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها
فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرا في القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فتحدث
فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر
وهذه الكلمات عشرة الأولى قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
الثانية قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الثالثة قوله سبوح قدوس رب الملائكة

والروح الرابعة قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة
السادسة قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لا إله إلا الله الملك الحق
المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على محمد
عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد العاشرة قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بك من همزات
الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرا
واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هذه الكلمات فضلا على حدة وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة
من الملال وأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة
سورة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها وقوله لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق إلى آخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من أول الحديد وثلاثا من آخر الحشر وإن قرأ
المسبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمي ووصاه أن يقرأها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له فضيلة
جملة الأدعية المذكورة فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الأبدال قال أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى إلي هدية وقال يا كرز اقبل مني
هذه الهدية فقلت يا أخي ومن أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها إبراهيم التيمي قلت أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه قال بلى قال كنت جالسا
في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أر في زماني أحسن منه وجها ولا أحسن ثيابا
ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر فقلت في أي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك
وحبا لك في الله وعندي هدية أريد أن أهديها لك فقلت ما هي فقال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل أن تنبسط على الأرض وقبل الغروب
سورة الحمد سبع مرات وقل أعوذ برب الناس سبعا وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي كل واحد
سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا وتصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبعا وتستغفر لك
ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له أهل
إنك غفور رحيم جواد كريم رؤوف رحيم سبع مرات وانظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية
فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقلت أخبرني بثواب ذلك فقال إذا لقيت محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فاسأله عن ثوابه
فإنه يخبرك بذلك فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا
عظيمة مما رآه في الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأتاني
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم علي وأخذ بيدي
فقلت يا رسول الله إن الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس
الأبدال وهو من جنود الله في الأرض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا وعمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئا مما أعطيته
فقال والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا وكان إبراهيم التيمي يمكث أربعة أشهر لم
يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فإن أضاف إليها شيئا مما انتهى إليه ورده من القرآن أو
اقتصر عليه فحسن فإن القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في كتاب التلاوة وأما
الأفكار فليكن ذلك إحدى وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع إلى فنين أحدهما
أن يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائف يومه الذي بين يديه ويدبر الحيل في
دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة
في أعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين والثاني فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله وتواتر آلائه الظاهرة
والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد

من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون بعض وإنما استقصينا ذلك في كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو أشرف
العبادات إذ فيه معنى الذكر وزيادة أمرين أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة إذ لا يحب القلب
إلا من اعتقد تعظيمه ولا ينكشف عظمة الله وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة
التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر أيضاً يورث الأنس وهو نوع من المحبة لكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم ونسبة محبة
العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله
وخصاله المحمودة بالتجربة إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقاً من غير تفصيل وجوه الحسن
فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل
بالإيمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله إلا أمور جملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا
ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأن أحداً لم يحط بكنه جلاله وجماله فإن ذلك غير مقدور
لأحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بحسب ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال الحضرة الربوبية ولا لحجبها وإنما
عدد حجبها التي استحقت أن تسمى نوراً وكاد أن يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إليه سبعين حجاباً قال صلى الله عليه وآله وسلم
إن لله سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدركه بصره وتلك الحجب أيضاً مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب
تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الأول أصغرها ثم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم الخليل عليه السلام
في ترقيه فقال فلما جن عليه الليل أي أظلم عليه الأمر رأى كوكباً أي وصل إلى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما أريد به هذه الأجسام
المضيئة فإن آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل
عليه السلام والحجب المسماة أنواراً لم يرد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح الآية ولنجاوز هذه المعاني فإنها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من ينفتح له
بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علم المعاملة وذلك أيضاً مما تكثر فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الأربع أعني
الصلاة والدعاء والذكر والقراءة ينبغي أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح في كل ورد وبعد الفراغ من وظيفة الصلاة بل ليس بعد
الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنه والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي
الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وأصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار وهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك
فلا بأس الورد الثاني ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بمضي ثلاث ساعات
من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان إحداهما صلاة الضحى
وقد ذكرنا في كتاب الصلاة أن الأولى أن يصلي ركعتين عند الإشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قيد نصف رمح
ويصلي أربعاً أو ستاً أو ثمانياً إذا رمضت الفصال من حر الشمس ووقت الركعتين هو الذي أراده الله تعالى بقوله يسبحن
بالعشي والإشراق فإنه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الأرض
فإنها تمنع إشراقها التام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذي أقسم الله تعالى به فقال والضحى والليل إذا سجى وخرج رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يصلون عند الإشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال فلذلك نقول
إذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي
وقتي الكراهية وهما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل
وكأن ركعتي الإشراق تقع في مبدأ وقت الإذن في الصلاة وانقضاء الكراهية إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم إن الشمس تطلع ومعها قرن
الشيطان فإذا ارتفعت فارقها فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغباراتها وهذا يراعى بالتقريب الوظيفة الثانية

في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس
علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فإن لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر
والصلاة إن شاء تطوعاً بها فإنها ليست مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة قسماً خامساً من جملة وظائف
هذا الوقت وإنما يكره بعد الصبح كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا
يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر الورد الثالث من ضحوة النهار إلى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله
بقليل وإن تقدم بكل ثلاث ساعات أو بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فقد مضى قبلها صلاة الضحى فإذا مضت
ثلاث أخرى فالمريد في هذا النصف بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب إلا أن الضحى لم يستحب فيه وقت الكتاب
على الطعام فالوظيفة في هذا الوقت الأقسام الأربعة ويزيد أمران الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق
فإن كان تاجراً فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب
على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب في كل يوم لو تشاغل بتحصيل كفايته ليومه فيلزمه الخيرة ولتحصيل الآخرة فإن الحاجة إلى
زاد الآخرة أشد والتمتع بها أدوم فالاشتغال بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن إلا في ثلاثة مواطن
مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه غنية أنه لا بد لهم منه وذلك
أن الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه ويجمعون ما لا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلاً فيعرضون
عنه ولا يرغبون فيه الأمر الثاني القيلولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كما أن التسحر سنة يستعان به على صيام النهار فإن كان
لا يقوم بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم أحب له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع إلى الأذكار
والوظائف المذكورة إذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم وكم من
عابد أحسن أحواله النوم وذلك إذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثوري كان يعجبهم إذا تفرغوا
أن يناموا طلباً للسلامة فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ولكن ينبغي أن ينتبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة
بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فإن ذلك من فضائل الأعمال وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر
فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند إعراض العبيد عنه جدير
بأن يزكيه الله ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فإن الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة
باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معنيي قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أي يخلف أحدهما الآخر في
الفضل والثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما الورد الرابع ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهو أقصر أوراد
النهار وأفضلها فإذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن بالأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب
الأذان ثم ليقم إلى إحياء ما بين الأذان والإقامة فذلك وقت الإظهار الذي أراده الله تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت أربع
ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة واحدة ولكن طعن في تلك الرواية ومذهب الشافعي أنه يصلي مثنى مثنى كسائر النوافل وهو الذي صح في الأخبار
في باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورتين من المئين أو أربعاً من المثاني من طوال المفصل فهذه ساعة تستجاب
فيها الدعوات وأحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرفع فيها له عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة
لا ينبغي أن يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعاً فقد كره ابن مسعود رضي الله عنه أن يتبع الفريضة مثلها من غير فاصل ويستحب أن
يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون جامعاً بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة
والتسبيح والتحميد مع شرف الوقت الورد الخامس ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشتغلاً بالذكر أو الصلاة
بعد الصلاة وكان من سنة السلف أن الداخل يدخل المساجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دوياً كدوي النحل من التلاوة فإن
كان في بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل في حقه وإحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث في الفضل وفي

هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان في النهار قال بعض العلماء ثلث يمقت الله عليها الضحك من غير عجب
والاكل من غير جوع ونوم النهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نوم
ثماني ساعات في الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منها مقدارا استوفاه بالنهار فحسب
ابن آدم ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرين سنة ومهما نام ثماني ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان
النوم غذاء الروح كما ان الطعام غذاء البدن وكما ان العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي
الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر بالتدريج فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد هو من اطول الاوراد وامتعها
للعباد وهو احد الآصال التي ذكرها الله تعالى اذ قال عز وجل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال
واذا سجد لله الجمادات فكيف يجوز ان يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات الورد السادس اذا دخل وقت العصر دخل وقت
الورد السادس وهو الذي اقسم الله تعالى به اذ قال والعصر ان الانسان لفي خسر وهذا احد معنيي الآية وهو المراد بالآصال في احد التفسيرين
وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشي والابكار وليس في هذا الورد صلوة الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر
ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤوس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع
عن الصلوة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد الاقسام الثلثة
الورد السابع اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض ويرى صفرة
في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد
بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد
تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار
خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة وسبحان الله العظيم
وبحمده من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القرآن احب كقوله استغفروا
ربكم انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان
يقرأ قبل الغروب والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم اني
اسألك عند اقبال ليلك وادبار نهارك كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلوة المغرب وبالغروب ينتهي اوراد النهار فينبغي
ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فان ساوى يومه امسه فيكون مغبونا وان كان شرا منه
فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان رأى نفسه متوفرا
على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة النهار
فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل
بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحيوة فلا يكون لها بعده طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار
فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها بيان اوراد الليل وهي خمسة الاول اذا غربت الشمس
صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشائين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله
به فقال فلا اقسم بالشفق والصلوة فيه هي ناشئة الليل لانه اول نشوء ساعاته وهي آنية من الآناء المذكورة في قوله تعالى ومن آناء الليل
فسبح وهي صلوة الاوابين وهي المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع روى ذلك عن الحسن واسنده ابن ابي زياد الى رسول الله صلى الله عليه
انه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وآله وسلم الصلوة بين العشائين وقال عليه الصلوة والسلام عليكم بالصلوة بين العشائين
فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل انس عمن ينام بين العشائين فقال لا تفعل فانها
الساعة المعنية بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسيأتي فضل احياء ما بين العشائين في الباب الثاني وترتيب هذا الورد ان يصلي

بعد المغرب ركعتين اولا يقرأ فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي
اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا بأس ان يصليها في بيته ان لم يكن عزمه العكوف في
المسجد وان كان عزمه العكوف في انتظار العتمة فهو الافضل اذا كان آمنا من التصنع والرياء الورد الثاني يدخل بدخول وقت العشاء
الى حد نومة الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال تعالى والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وقال
الى غسق الليل فهنالك يغسق الليل وتستوسق ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلثة امور الاول ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربع قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستة بعد الفرض
ركعتين ثم اربعا ويقرأ فيهما من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي واول الحديد وآخر الحشر الثاني ان يصلي ثلث عشرة ركعة آخرهن
الوتر فانه اكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى به من الليل والاكياس يأخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء من آخره
والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل افضل ثم ليقرأ في هذه الصلوة قدر ثلثمائة
آية من السور المخصوصة التي كان يكثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر
والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور او بعضها قبل النوم فقد روي في ثلث احاديث ما كان يقرأ رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها
آية افضل من الف آية وكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الاعلى وفي الخبر انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب سبح اسم ربك الاعلى
وكان يقرأ في ثلث ركعات الوتر سورا سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلث مرات
الثالث الوتر وليوتر قبل النوم ان لم تكن عادته القيام قال ابو هريرة اوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لا انام الا على
وتر وان كان معتادا لصلوة الليل فالتأخير افضل قال صلى الله عليه وآله وسلم صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر
بركعة وقالت عائشة رضي الله عنها اوتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اول الليل واوسطه وآخره فانتهى وتره الى السحر وقال علي
رضي الله عنه والوتر على ثلثة انحاء ان شئت اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني انه يصير وترا لما مضى وان شئت اوترت
بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها اخرى ثم اوترت من آخر الليل وان شئت اخرت الوتر ليكون آخر صلوتك هذا ما روي عنه
والطريق الاول والثالث لا بأس بهما واما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي ان ينقض وروي مطلقا انه صلى الله عليه وآله وسلم لا وتران
في ليلة ولمن تردد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما اذا زلزلت والهيكم التكاثر لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية
قل يا ايها الكافرون لما فيها من التبرئة وافراد العبادة لله تعالى فقيل ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له ان يوتر في آخر صلوة وكانه
صار ما مضى شفعا بهاتين وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا ابو طالب المكي وقال فيه ثلثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من آخر
الليل وهو كما ذكر لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ وبطل وتره الاول فكونهما شافعا ان استيقظ غير
شافع ان نام فيه نظر الا ان يصح من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايتاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما
وتر بمعناهما فيحسب وترا ان لم يستيقظ وشفعا ان استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح
جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت وروي انه عليه السلام ما مات حتى كان اكثر صلوته
جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف اجر القائم وللنائم نصف اجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نائما الورد الثالث
النوم ولا بأس ان يعد ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل انه اذا نام العبد على طهارة وذكر الله تعالى
يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر اذا نام
على الطهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف في الخواص والعلماء وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم و
لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم
الليل اجمع لا انام منه شيئا واتفوق في القرآن فيه تفوقا فقال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكرا

ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال معاذ الله منك وآداب النوم عشرة الاول الطهارة والسواك قال
صلى الله عليه وآله وسلم اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن
البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هو المؤثرة في انكشاف
حجب الغيب الثاني ان يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما ينتبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يستاك كذلك يفعله بعض السلف وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان
يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها فان لم يتيسر له الطهارة فيستحب له مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل
القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اتى فراشه
وهو ينوي ان يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى الثالث ان لا يبيت
من له وصية الا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن من القبض في النوم فان من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ
الى يوم القيامة يزوره الاموات ويتحدثون ولا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت
الفجاة وموت الفجاة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت لكونه مثقل الظهر بالمظالم الرابع ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب
لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال صلى الله عليه وآله وسلم من آوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد
ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم الخامس ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد فيه وكان بعض السلف يكره التمهيد
ويرى ذلك تكلفا للنوم وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق
لقلوبهم واجدر بتواضع نفوسهم فمن لا يسمح نفسه بذلك فليقتصد السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا
قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم كانوا قليلا من الليل ما
يهجعون وان غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار بحيث لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس يكره النوم قاعدا
وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال صلى الله عليه وآله وسلم تكلفوا من العمل
ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال خير هذا الدين ايسره وقيل فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكني اصلي وانام
واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن شاده غلبه فلا تبغض الى نفسك
عبادة الله تعالى السابع ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله
ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الشق الايمن
الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك اللهم ربي وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى آخر الدعوات المأثورة التي اوردناها في كتاب
الدعوات المأثورة التي اوردناها هناك ويستحب ان يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها ويقرأ قوله تعالى والهكم اله
واحد لا اله الا هو الى قوله لقوم يعقلون يقال ان من قرأها عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الاعراف هذه الآية
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وآخر بني اسرائيل قل ادعوا الله الآيتين فانه يدخل في قلبه شيطان ملك يوكل بحفظه
فيستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث بهما في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وليقرأ عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي رضي الله عنه يقول ما ارى ان رجلا مستكمل العقل ينام قبل ان
يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليسبح خمسا وعشرين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات
الاربعة مائة مرة التاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم
تمت في منامها وكما ان المستيقظ ينكشف له مشاهدات لا تناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله
ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمان لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا

تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار
اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات والارضين السبع ورب العرش
العظيم ورب كل شيء ومليكه الى آخر الدعاء كما ذكرناه في الدعوات فحق على العبد ان ينظر انه على ماذا ينام
وما الغالب عليه حب الله وحب لقائه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من احب
ومع ما احب العاشر الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا اله الا
الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله وهو علامة
الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما استحب هذه الاذكار
لتستجر القلب الى ذكر الله فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر ما اوردناه من ادعية
التيقظ الورد السابع يدخل بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد
يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم الله تعالى
فقال عز وجل والليل اذا سجى اي اذا سكن وسكونه هدوه في هذا الوقت ولا تبقى عين الا نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة
ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الليل اسمع قال جوف الليل وقال داود
عليه السلام الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله تعالى اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فان من قام اوله نام آخره ومن قام آخره لم
يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الليل افضل فقال
نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار
الى سماء الدنيا وغير ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسننه وآدابه
وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبل القبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يسبح عشرا
ويحمد عشرا ويهلل عشرا ويقول الله اكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت بهاء السموات والارض
ولك الحمد انت زين السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك
حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت
واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها
وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها
الا انت اسألك مسألة البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين
واكرم المعطين وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته وقال اللهم رب
جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف
فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم
بالوتر ان لم يكن قد اوتر ويستحب ان يفصل بين الصلوات بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بالليل انه صلى اولا ركعتين خفيفتين ثم صلى مثنى مثنى ما تيسر له وختم بالوتر ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون
اللتين قبلهما ثم لم يزل ينقص بالتدريج الى ثلاث عشرة ركعة وسئلت عائشة رضي الله عنها اكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما اسر وقال عليه السلام صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال صلاة المغرب
اوترت صلاة النهار فاوتروا صلاة الليل واكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة ويقول في ركعة

من ورده من القرآن او من السور المخصوصة ما خف عليه ويستحب ان يختم بهذا الورد القريب من السدس الاخير من الليل الورد الخامس السدس
الاخير من احياء الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي
هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد ورد في هذا الورد ان سلمان اخا ابا الدرداء ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره فلما
كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له سلمان اخاه ابا الدرداء ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره فلما كان السحر قال سلمان قم ابا
الدرداء ... قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه
اي الدرداء امرته بهذا لانه لا يقوم الليل فاتيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر له ذلك فقال صدق سلمان
فهذا الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فاذا طلع الفجر انقضت اوراد
الليل ودخلت اوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى آخرها ثم يقول
وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة واسأله
حفظها حتى يتوفاني الله عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعلها لي عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل
تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم
بين اربعة امور صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وصلاة جنازة ففي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له وفي رواية
دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان يمضي اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة او ببصلة
او كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا النار ولو بشق
تمرة ودفعت عائشة رضي الله عنها الى سائل عنبة واحدة فاخذها فنظر من كان عندها بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير
وكانوا لا يردون السائل اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ما سأله احد شيئا فقال لا الا ان لم يكن عنده يسكت
وفي الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلاثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة
ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل وحملك
عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة ثم قال وركعتا الضحى تاتي على ذلك كله او تجمع لك ذلك كله وتدخل ... حاجة وصاحب
ذلك ... ثم ... لم يستعن بطول القيام وورد والنيام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة
من السلف رحمهم الله كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي جماعة اسانيدهم على سبيل الاشتهار عن اربعين من
التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة كان منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب
بن الورد المكيان وطاووس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار
الشاميان وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العباديان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي
ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم رجع وقرأه
مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم المرتبة الثانية ان يقوم نصف الليل وهذا لا يحصى عدد
المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل
ينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل محبوب اذ يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك
ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اذا اوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال
فيؤذنه بالصلاة وقالت ايضا ما الفيته السحر الا نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم
هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد النهار
وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلام المرتبة الثالثة ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله

ان يكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه المرتبة الرابعة ان لا يراعي المقادير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر
ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى
النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان فهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وهكذا كان من اخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وهو طريقة ابن عمر واولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكان بعض السلف يقول هي اول نومة فاذا انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني
فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حيث المقدار فلم يكن على نمط واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه ويختلف
ذلك في الليالي ودليله قوله تعالى في القرآن في موضعين من سورة المزمل ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي
الليل كانه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه وقريب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه
وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد
انه قال راقبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر الى الافق فقال ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار الى قوله الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى لا ادري اصلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى اقول نام
مثل ما صلى ثم استيقظ فقال مثل ما قال اولا ثم فعل مثل ما فعل اولا المرتبة الخامسة وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او
يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل
ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشائين
والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل وهذه هي المرتبة السابعة ومهما كان النظر الى
المقادير فتتفاوت المراتب بطول الوقت وقصره وفي الرتبة الرابعة والسابعة لم ينظر فيهما الى المقادير فليس يجري امرهما في التقدم والتأخر على الترتيب
المذكور بل السابعة ليست دون ما ذكرنا في السادسة والخامسة دون الرابعة بيان الليالي والايام الفاضلة اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد
الفضل التي يتأكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر
عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان في ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
فيه كانت فيه وقعة بدر وقال ابن الزبير هي ليلة القدر واما التسع الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف
منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلاة ماثورة فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة
فمن صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه وآخرته
ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة في كل ركعة سورة الاخلاص
عشر مرات كانوا لا يتركونها كما اوردناه في صلوات التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال صلى الله عليه وآله وسلم من احيا ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم
تموت القلوب واما الايام الفاضلة فهي تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم
روى ابو هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا وهو
اليوم الذي هبط فيه جبرئيل على محمد عليهما السلام بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة
ويوما العيدين والايام المعلومات وهي عشر ذي الحجة والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهناه في الايام الخمسة في الدنيا لم ينله
في الآخرة واراد العيدين ويوم الجمعة ويوم عرفة وعاشوراء ومن فواضل الايام في الاسبوع الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى
وقد ذكرنا فضائل الاشهر والايام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة بنا الى الاعادة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وقد تم
ربع العبادات وهو المجلد الاول من كتاب احياء علوم الدين بافضال الله تعالى وحسن توفيقه ويتلوه في المجلد الثاني ان شاء الله
تعالى كتاب ربع العادات في تاريخ شهر مبارك من محرم الحرام سنه سبع وتسعين وثمانمائة الهجرة المصطفوية حامدا مصليا مسلما مستغفرا

كتاب آداب الاكل وهو الكتاب الاول من ربع العادات من كتب احياء العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى احسن تدبير الكائنات فخلق الارض والسموات
وانزل الماء الفرات من المعصرات فاخرج به الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وحفظ بالماكولات قوى الحيوانات واعان
على الطاعات والاعمال الصالحات باكل الطيبات والصلوة على محمد ذى المعجزات الباهرات وعلى آله واصحابه صلوة تتوالى
على ممر الاوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان مقصد ذوى الالباب لقاء الله سبحانه
فى دار الثواب ولا طريق الى الوصول الى لقاء الله الا بالعلم والعمل ولا تمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن
الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين
وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم والعمل
ويقوى به على التقوى فلا ينبغى ان يترك نفسه مهملا سدى يسترسل فى الاكل استرسال البهائم فى المرعى فان ما هو ذريعة الى
الدين ووسيلة اليه ينبغى ان تظهر انوار الدين عليه وانما انوار الدين آدابه وسننه التى يزم العبد بزمامها ويلجم المتقى بلجامها
حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام فى اقدامها واحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر وان كان فيها اوفر حظ للنفس
قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليوجر حتى فى اللقمة يرفعها الى فيه والى فى امراته وانما ذلك اذا رفعها بالدين وللدين مراعيا
فيه آدابه ووظائفه وها نحن نرشد الى وظائف الدين فى الاكل فرائضها وسننها وآدابها ومروآتها وهيآتها فى اربعة ابواب وفصل فى آخرها

الباب الاول فيما لا بد للاكل من مراعاته وان انفرد بالاكل ٥ **الباب** الثانى فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الاكل ٥

الباب الثالث فيما يخص تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين ٥ **الباب** الرابع فيما يخص الدعوة والضيافة واسبابها ٥

الباب الاول فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع
الاكل وقسم بعد الفراغ منه **القسم الاول** فى الآداب التى تتقدم على الاكل وهى سبعة الاول ان يكون
الطعام بعد كونه حلالا فى نفسه طيبا فى جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه فى الشرع ولا بحكم هوى ولا
مداهنة فى دين على ما سياتى معنى الطيب المطلق فى كتاب الحلال والحرام وقد امر الله تعالى باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهى
عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما لامر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية فالاصل فى الطعام
كونه طيبا وهو من الفرائض واصول الدين **الثانى** غسل اليد قال صلى الله عليه وآله وسلم الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر

وبعده ينفى اللمم وفى رواية ينفى الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد لا تخلو عن لوث فى تعاطى الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة
والنزاهة ولان الاكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بان يقدم عليه ما يجرى منه مجرى الطهارة من الصلوة **الثالث**
ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من رفعه الى المائدة كان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اتى بالطعام وضعه على الارض فهذا اقرب الى التواضع فان لم يكن فعلى السفرة فانها تذكر السفر
ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته الى زاد التقوى وقال انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خوان ولا فى سكرجة
قيل فعلام كنتم تاكلون قال على السفر وقيل اربعة احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموائد والمناخل والاشنان و
الشبع واعلم انا وان قلنا الاكل على السفرة اولى فلسنا نقول الاكل على المائدة منهى عنه نهى كراهة او تحريم اذ لم يثبت فيه نهى وما يقال
من انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليس كل ما ابدع منهيا عنه بل المنهى عنه بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع
مع بقاء علته بل الابداع قد يجب فى بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب وليس فى المائدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثال
ذلك مما لا كراهة فيه والاربعة التى جمعت فى انها مبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب للنظافة
والاشنان اتم فى التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لا يتيسر او كانوا مشغولين بامور اهم من المبالغة
فى النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد ايضا وكان مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا واما المنخل فالمقصود
منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط واما المائدة فتيسير للاكل وهو ايضا مباح ما لم ينته الى الكبر والتعاظم واما الشبع فهو اشد هذه الاربعة
فانه يدعو الى تهييج الشهوات وتحريك الادواء فى البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات **الرابع** ان يحسن الجلسة على السفرة
فى اول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما
نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكئا انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد والشرب متكئا
مكروه للمعدة ويكره الاكل نائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب روى عن على رضى الله عنه انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع
ويقال منبطحا على بطنه والعرب قد تفعله **الخامس** ان ينوى باكله ان يتقوى به على طاعة الله ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التلذذ
والتنعم بالاكل قال ابرهيم بن شيبان منذ ثمانين سنة ما اكلت شيئا لشهوتى ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه اذا اكل لاجل قوة العبادة
لم تصدق نيته الا باكل ما دون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وايثار القناعة على الاتساع قال صلى الله عليه وآله وسلم ما ملا آدمى وعاء شرا
من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد
اليد الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع احد ما لا بد من تقديمه على الاكل ثم ينبغى ان يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى
عن الطبيب وسياتى فائدة قلة الاكل وكيفية التدريج فى التقليل منه فى كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات **السادس** ان يرضى
بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد فى التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادم بل من كرامة الخبز ان لا ينتظر به الادم
وقد ورد الامر باكرام الخبز فكل ما يديم الرمق ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغى ان يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلوة ان حضر
وقتها اذا كان فى الوقت متسع قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء وكان ابن عمر ربما سمع قراءة
الامام وهو لا يقوم من عشائه ومهما كانت النفس لا تتوق الى الطعام ولم يكن فى تاخير الطعام ضرر فالاولى تقديم الصلوة فاما
اذا حضر الطعام واقيمت الصلوة وكان فى التاخير ما يبرد الطعام او يشوش امره فتقديمه احب عند اتساع الوقت تاقت النفس
او لم تتق لعموم الخبر ولان القلب لا يخلو عن الالتفات الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا **السابع** ان يجتهد فى تكثير الايدى
على الطعام ولو من اهله وولده قال صلى الله عليه وآله وسلم اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال انس كان عليه السلم لا ياكل
وحده **القسم الثانى** فى آداب حالة الاكل وهو ان يبدا ببسم الله فى اوله وبالحمد فى آخره ولو قال مع كل لقمة
بسم الله فهو حسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله
الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره وياكل باليمنى ويبدا بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد الى الاخرى

فان ذلك تطلعة في الكل ونهم اكرا كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يعيب ماكولا كان اذا اعجبه اكله والا تركه وان اكل مما يليه
الا الفاكهة فان له ان يجيل يده قال صلى الله عليه وآله وسلم كل مما يليك ثم كان يدور على الفاكهة فسئل فقال ليس هو نوعا واحدا
ولا ياكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام بل ياكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع بالسكين
ولا يقطع اللحم ايضا نهى عنه وقال انهسوه نهسا ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يؤكل به قال صلى الله عليه وآله وسلم اكرموا الخبز
فان الله انزله من بركات السماء وقال صلى الله عليه وآله وسلم انه من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز
وقال عليه السلام اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه
فانه لا يدري في اي طعامه البركة ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله ويأكل من التمر وترا سبعا او احدى
وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النوى من فيه على ظهر كفه ثم يلقيه وكذا كل ما له عجم وثفل ولا
يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وان لا يكثر الشرب في اثناء الطعام الا اذا
غص بلقمة او صدق عطشه فقد قيل ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة واما الشرب فادابه ان يأخذ الكوز بيمينه ويقول
بسم الله ويشربه مصا لا عبا قال صلى الله عليه وآله وسلم مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب ولا يشرب قائما
ولا مضطجعا ويراعي اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فيه بالحمد ويرده بالتسمية
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا … تيمنا بسنة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فانه … ولعله لمس الكوز … ايضا على يمينه شرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبنا
وابو بكر عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر ناحية فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن ويشرب في ثلاثة انفاس يحمد الله
في اواخرها ويسمي في اوائلها ويقول في آخر النفس الاول الحمد لله وفي الثاني رب العالمين وفي الثالث الرحمن الرحيم
فهذا قريب من عشرين ادبا في حالة الاكل والشرب تدل عليها الاخبار والآثار

الفصل الثالث

ما يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك
قبل الشبع ويلعق اصابعه ثم يمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام قال عليه السلام من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة
وعوفي في ولده ويخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما يجمع من اصول اسنانه بلسانه اما المخرج بالخلال فيرميه
ويتمضمض بعد الخلال وفيه اثر عن اهل البيت وان يلعق القصعة فقد قيل من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة وان التقاط
الفتات مهور الحور العين وان يشكر الله تعالى بقلبه على ما اطعمه ويرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله
ومهما اكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا فاستعملنا صالحا وان اكل
شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم عن المائدة
حتى ترفع وان كان اكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم اكثر خيره وبارك له فيما رزقته ويسر له ان يفعل خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا واياه من
الشاكرين وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة ويكثر الاستغفار والحزن على
ما اكل من شبهة ليطفئ بدموعه حر النار التي عرض لها نفسه لقوله صلى الله عليه وآله وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وليس من اكل
وبكى كمن اكل وهو يلهو ويقول اذا اكل لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه واذا اكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا
منه فان ذلك الدعاء مما خصص به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللبن لعموم نفعه ويستحب عقيب الطعام الحمد لله الذي اطعمنا
وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافيا من كل شيء ولا يكفي منه شيء اطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم
وهديت من ضلال واغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما انت اهله ومستحقه اطعمنا طيبا فاستعملنا
صالحا اللهم اجعله لنا عونا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معصيتك واما غسل اليد بالاشنان فكيفيته ان يجعل الاشنان
على كفه اليسرى ويغسل الاصابع الثلاث من اليد اليمنى اولا ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح بها شفتيه ثم ينعم غسل الفم باصبعه
ويدلك ظاهر اسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل اصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك بقية الاشنان اليابس اصابعه ظهرا وبطنا
ويستغني به عن اعادة الاشنان الى الفم واعادة غسله

الباب الثاني

فيما يزيد بسبب الاجتماع
والمشاركة في الاكل وهي سبعة الاول ان لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو
المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اشرأبوا للاكل واجتمعوا له الثاني ان لا يسكتوا على الطعام فان
ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها الثالث ان يرفق برفيقه في القصعة
فلا يقصد ان يأكل زيادة على ما يأكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي ان يقصد الايثار
وان لا يأكل تمرتين في دفعة الا اذا فعلوا ذلك او استأذنهم فان قلل رفيقه نشطه ورغبه في الاكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث
مرات فان ذلك الحاح وافراط كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا خوطب في شيء ثلاثا لم يراجع بعد ذلك وكان عليه السلام يكرر الكلام
ثلاثا فليس من الادب الزيادة عليه فاما الحلف عليه بالاكل فممنوع قال الحسن بن علي الطعام اهون من ان يحلف عليه الرابع ان لا
يحوج رفيقه الى ان يقول له كل قال بعض الادباء احسن الآكلين اكلا من لا يحوج
صاحبه الى ان يتفقده في الاكل ولا ينبغي ان يدع شيئا مما يشتهيه لاجل نظر الغير اليه فان ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته
في الوحدة ولكن ليعود نفسه حسن الادب في الوحدة حتى لا يحتاج الى التصنع عند الاجتماع نعم لو قلل من الاكل ايثارا للاخوان ونظرا لهم
عند الحاجة الى ذلك فهو حسن وان زاد في الاكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الاكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن
المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ويقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده درهما
وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط في الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي من يحوجني
الى تعاهده في الاكل وكل هذا اشارة الى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر ايضا تبين محبة الرجل لاخيه بجودة اكله في منزله
الخامس ان يغسل اليد في الطشت لا بأس به وله ان يتنخم فيه ان اكل وحده وان كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم
الطشت اليه غيره اكراما فليقبله اجتمع انس بن مالك وثابت البناني على طعام فقدم انس الطشت اليه فامتنع ثابت فقال انس اذا اكرمك اخوك
فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروي ان هارون الرشيد دعا ابا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطشت فلما فرغ قال
يا ابا معاوية تدري من صب على يدك فقال لا قال صب عليك امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت
العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله ولا بأس ان يجتمعوا على غسل اليد في الطشت في حالة واحدة فهو اقرب الى
التواضع وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي لهم ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطشت قال صلى الله عليه وآله وسلم
اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم قيل ان المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا ترفع طست من بين يدي القوم الا مملوءة ولا
تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم والخادم الذي يصب على
اليد كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا لانه اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي انه صب على يد واحد خادم
جالس فقام المصبوب على يده فقيل له لم قمت فقال احدنا لا بد وان يكون قائما وهذا اولى لانه ايسر للصب والغسل واقرب الى
تواضع الذي يصب فاذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فان العادة جارية بذلك ففي الطشت سبعة اداب
ان لا يبزق فيه وان يقدم به المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمنة وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم
قائما وان يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه
هكذا فعل مالك بالشافعي في اول نزوله عليه وقال لا يرعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض السادس ان لا ينظر الى اصحابه
ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل يغض بصره ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها
ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم اخيرا فقد
فعل ذلك كثير من الصحابة وان امتنع بسبب فليعتذر اليهم دفعا للخجلة عنهم السابع ان لا يفعل ما يستقذره غيره ولا ينفض يده
في القصعة ولا يقدم اليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه واذا اخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام واخذه بيساره ولا يغمس اللقمة

بكل نواة درهم

الدسمة في الخل ولا الدسومة في الخل بعد كونه منه والتمر التي قطعها نصفا لا تعين بينهما في المرقة والخل وما يليهم ما يذكر في الستيد ذلك

الباب الثالث في ادب تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين وفضيلة تقديم الطعام

الى الاخوان فضل كثير قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب
عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها الا نفقة الرجل على اخوانه في
الطعام فان الله يستحي ان يسأله عن ذلك هذا مع ما ورد من الاخبار في الطعام قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تزال الملائكة
تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وروي عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا
لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام
لم يحاسب من اكل فضله فانا احب ان استكثر مما اقدم اليكم لنأكل فضله وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما يأكل
مع اخوانه وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا اكل وحده وفي الخبر ثلث لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما
افطر عليه وما اكل مع الاخوان وقال علي رضي الله عنه لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق رقبة وكان ابن عمر
يقول من كرم الرجل طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه وكانت الصحابة يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا
يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية ليس من الدنيا وفي الخبر
يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول جاع اخوك المسلم فلم
تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال عليه السلام اذا اتاكم الزائر فاكرموه وقال عليه السلام ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها
وباطنها من ظاهرها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال النبي عليه السلام خيركم من اطعم الطعام وقال
عليه السلام من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله تعالى من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام
واما آدابه فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام اما الدخول فليس من السنة ان يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل
وقت الاكل فان ذلك من المفاجأة وقد نهي عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه
يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما ولكن حق الداخل اذا لم يتربص واتفق ان
صادفهم على الطعام ان لا يأكل ما لم يؤذن له فاذا قيل له كل نظر فان علم انهم يقولونه عن محبة لمساعدته فليساعد وان كانوا يقولونه
حياء منه فلا ينبغي ان يأكل بل ينبغي ان يتعلل اما اذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص وقت اكله فلا بأس به فقد قصد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل ابي الهيثم بن التيهان وابي ايوب الانصاري لاجل طعام التمسوه
وكانوا جياعا والدخول على مثل هذا اعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الاطعام وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله المسعودي
له ثلثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة ولآخر ثلثون يدور عليهم في الشهر ولآخر سبعة فكان اخوانهم معلومهم بدل الاكتساب
وكان قيام اولئك بهم على قصد التبرك عادة لهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا اكل
من طعامه فله ان يأكل بغير اذنه اذ المراد من الاذن الرضا لا سيما في الاطعمة وامرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف
وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن واكل طعامه محبوب وقد قال تعالى او صديقكم ودخل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم دار بريرة واكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وذلك لعلمه بسرورها بذلك
ولذلك اذن ان يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بالاذن فان لم يعلم فلا بد من الاستئذان اولا ثم الدخول وكان محمد بن
واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير اذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا وروي
عن الحسن انه كان قائما يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام ما بدا لك يا ابا سعيد في الورع
تأكل متاع الرجل بغير اذنه فقال يا لكع اتل علي آية الاكل فتلا الى قوله او صديقكم فقال فمن الصديق يا ابا سعيد فقال من
استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وجاء قوم الى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة وجعلوا

ادب العادة في اكرام الزائر والطعام

يأكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا ودخل قوم على بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدم اليهم فذهب
الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه فاخذ الكل وقدمه الى اصحابه وقال كلوا
فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له قد اخذه فلان فقال قد احسن فلما لقيه قال يا اخي ان عادوا فعد فهذه آداب الدخول واما
آداب التقديم فترك التكلف اولا وتقديم ما حضر فان لم يحضره شيء ولم يملك فلا يستقرض لاجل ذلك فيشوش على نفسه وان حضره ما
هو محتاج اليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي ان يقدم دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال لولا اني اخذته بدين لاطعمتكم
منه قال بعض السلف في تفسير التكلف ان تطعم اخاك ما لا تاكله انت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع
الناس بالتكلف يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالي بمن اتاني من اخواني فاني لا اتكلف له انما
اقرب اليه ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت ادخل على اخ لي فيتكلف لي فقلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا انا
فما بالنا اذا اجتمعنا اكلناه فاما ان تقطع هذا التكلف او اقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف ان يقدم جميع
ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم وروي ان رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال اجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا
ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال وكان بعضهم يقدم من كل ما في بيته شيئا فلا يترك نوعا الا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا
على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وقال بعضهم اذا قصدت لزيارة فقدم
ما حضر واذا استزرت فلا تبق ولا تذر وقال سلمان امرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا
وان نقدم اليه ما حضرنا وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم
قال لهم كلوا لولا ان الله تعالى لعن المتكلفين لتكلفت لكم وعن انس بن مالك وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من
الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري ايهما اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه الادب
الثاني وهو للزائر ان لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على المزور احضاره فان خيره اخوه بين طعامين فليختر ايسرهما
عليه كذلك السنة في الخبر ما خير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين شيئين الا اختار ايسرهما وروى الاعمش عن ابي وائل انه
قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر لكان اطيب
فخرج سلمان ورهن مطهرته واخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت
لم تكن مطهرتي مرهونة هذا اذا توهم تعذر ذلك على اخيه او كراهته له فان علم انه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح
فعل الشافعي ذلك مع الزعفراني اذ كان نازلا عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها
الى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الايام والحق بها لونا اخر بخطه فلما رأى الزعفراني ذلك اللون انكر وقال ما امرت بهذا
فعرضت عليه الرقعة ملحقا فيها بخط الشافعي فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه قال ابو بكر
الكتاني دخلت على السري فجاءني بفتيتة واخذ يجعل نصفها في القدح فقلت له ايش تعمل انا اشرب كله في مرة فضحك وقال افضل
لك من حجة وقال بعضهم الاكل على ثلاثة اقسام مع الفقراء بالايثار ومع الاخوان بالانبساط ومع ابناء الدنيا بالادب الادب
الثالث ان يشهي المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه اجر وفضل جزيل
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صادف من اخيه شهوة غفر له ومن سر اخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل وقال صلى
الله عليه وآله وسلم من لذذ اخاه بما يشتهي كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف
درجة واطعمه الله من ثلاث جنان جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد الادب الرابع ان لا يقول له هل اقدم لك طعاما
بل ينبغي ان يقدم ان كان قال الثوري اذا زارك اخوك فلا تقل له اتأكل او اقدم اليك ولكن قدم فان اكل والا فارفع وان كان
لا يريد ان يطعمهم طعاما فلا ينبغي ان يظهر عليهم او يصفه لهم قال الثوري اذا اردت ان لا تطعم عيالك مما تأكل فلا تحدثهم
ولا يرونه معك وقال بعض الصوفية اذا دخل عليكم الفقراء فقدموا اليهم طعاما واذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة واذا دخل

الباب الرابع

في آداب الضيافة وفيها آداب فيها صحة الدعوة ثم

ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولنقدم على شرحها فضيلة الضيافة قال صلى الله عليه وآله
وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله تعالى ومن أبغض الله أبغضه الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له
فقال عليه السلام انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم إنه نزل به ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيئا من الدقيق إلى رجب فقال اليهودي والله
لا أسلفه إلا برهن فأخبرته فقال والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني لأديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده
وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان فلصدق
نيته دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوام الموضع
إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الإيمان فقال إطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله
عليه وآله وسلم في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال إطعام الطعام
وطيب الكلام وقال أنس كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والأخبار الواردة في فضل الضيافة وإطعام الطعام لا تحصى فلنذكر
آدابها أما الدعوة فينبغي للداعي أن يقصد بدعوته الأتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وآله وسلم أكل طعامك الأبرار في دعائه
لمن دعا له وقال لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وآله
وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم وكذلك
يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إيحاشا لقلوب الباقين وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل
استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين
وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بسبب من الأسباب وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال
سفيان الثوري من دعا أحدا إلى الطعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة فإن أجاب المدعو فعليه خطيئتان لأنه حمله على الأكل مع كراهته ولو علم
ذلك لما كان يأكله وإطعام التقي إعانة له على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية له على الفسق قال خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين
فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة قال لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة أنفسهم وأما الإجابة
فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وآله وسلم لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلي ذراع لقبلت
وللإجابة خمسة آداب الأول أن لا يميز الغني بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل
الإجابة وقال انتظار المرقة ذل وقال الآخر إذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي ومن المتكبرين من يجيب الأغنياء
دون الفقراء وهو خلاف السنة كان عليه السلام يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن بن علي بقوم من المساكين الذين
يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بغلته فسلم عليهم فقالوا له هلم إلى الغداء
يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال نعم إن الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب
وقال قد أجبتكم فأجيبوني فقالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم وأما قول القائل إن
من وضع يده في قصعة غيره ذلت له رقبته فقد قال بعضهم معناه خلاف السنة وليس كذلك فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالإجابة
ولا يتقلده منة وكان يرى ذلك يدا له على المدعو ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحضر لعلمه بأن الداعي له منة ويرى ذلك
شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستثقل الإطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا
فليس من السنة إجابته بل الأولى التعلل ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم إليك وديعة
كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال السري السقطي آه على لقمة ليس لله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة

فإذا علم المدعو أنه لا منة له فلا ينبغي أن يرد قال أبو تراب النخشبي قدم إلي طعام فامتنعت فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما
فعلمت أنه عقوبته وقيل لمعروف الكرخي كل من دعاك تمر إليه فقال أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني الثاني أنه لا ينبغي أن يمتنع
من الإجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك في التوراة
أو بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر أخا في الله وإنما قدم
إجابة الدعوة والزيارة لأن فيهما قضاء حق الحي فهو أولى من الميت وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو دعيت إلى كراع الغميم لأجبت وهو
موضع على أميال من المدينة أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره الثالث أن لا
يمتنع لكونه صائما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليفطر وليحتسب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحتسب في الصوم
وأفضل وذلك في صوم التطوع وإن لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر وإن تحقق أنه متكلف فليتعلل وقد قال صلى
الله عليه وآله وسلم لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك أخوك وتقول إني صائم وقد قال ابن عباس من أفضل الحسنات إكرام الجلساء
بالإفطار فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب وقد قيل
الكحل والدهن أحد القراءين الرابع أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط المفروش غير حلال
أو كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج أو آنية فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو سماع شيء من المزامير والملاهي
أو التشاغل بنوع من اللهو والفحش والهزل واللعب وكل ذلك مما يمنع الإجابة واستحبابها ويوجب تحريمها أو كراهيتها وكذا إذا كان الداعي
ظالما أو مبتدعا أو فاسقا أو شريرا أو متكلفا طالبا للمباهاة والفخر الخامس أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون
عاملا في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملا للآخرة وذلك بأن ينوي الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في قوله لو دعيت إلى كراع لأجبت وينوي الحذر من معصية الله لقوله صلى الله عليه وآله وسلم من لم يجب الداعي فقد عصى الله
وينوي إكرام أخيه المؤمن اتباعا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله وينوي إدخال السرور على قلبه
لقوله صلى الله عليه وآله وسلم من سر مؤمنا فقد سر الله عز وجل وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله إذ شرط رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه التزاور والتباذل لله عز وجل وقد حصل البذل من أحد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه أيضا
وينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق أو استحقار أخ مسلم أو ما
يجري مجراه فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول أنا أحب أن يكون لي في كل عمل
نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال صلى الله عليه وآله وسلم إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته
إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه والنية إنما تؤثر
في المباحات والطاعات أما المنهيات فلا فإنه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز
أن يقال الأعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذا المباح المردد بين
وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنيات فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث وأما الحضور فأدبه أن يدخل
الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق
المكان على الحاضرين بالزحمة بل إن أشار إليه صاحب الدار بموضع لم يخالفه البتة فإنه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته
تشوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وآله وسلم إن من التواضع لله الرضا
بالدون من المجلس ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب حجرة النساء وسترهم ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فإنه دليل
الشره ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب الدار عند الدخول القبلة وبيت
الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رحمهما الله وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب
البيت أولى لأنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يتقدم بالغسل وفي آخر الطعام يتأخر بالغسل لينتظر أن يدخل من يأكل معه وإذا دخل

ورأى سكرا يعني ان قد ... الا اكره لخباثة وانصرف والمنكر فرش الديباج واستعمال اواني الفضة والذهب والتصوير
على الحيطان وسماع الملاهي والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال احمد اذا رأى
مكحلة راسها مفضض ينبغي ان يخرج ولم يأذن في الجلوس الا في ضبة وقال اذا رأى كلة فينبغي ان يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة
ولا يدفع حرا ولا بردا ولا يستر شيئا وكذا قال يخرج اذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة وقال اذا اكترى
بيتا فيه صورة او دخل الحمام ورأى صورة فينبغي ان يحكها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وانما النظر في الكلة وتزيين
الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهي الى التحريم اذ الحرير يحرم على الرجال قال عليه السلام هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وما على
الحائط ليس منسوبا الى الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الاولى اباحته لموجب قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده لا سيما في وقت
الزينة اذا لم يتخذ عادة للتفاخر وان تخيل ان الرجال يتمتعون بالنظر اليه فلا يحرم على الرجال الاستمتاع بالنظر الى الديباج
مهما لبسه الجواري والنساء والحيطان في معنى النساء اذ ليست موصوفة بالذكورة فاما احضار الطعام فله آداب خمسة الاول
تعجيل الطعام فذلك من اكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومهما
حضر الاكثرون وغاب واحد او اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل اولى من حق اولئك في التأخير الا ان
يكون المتأخر فقيرا او ينكسر قلبه بذلك فلا بأس بالتأخير واحد المعنيين في قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين
انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم دل عليه قوله فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين والروغان الذهاب
بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجله ولم يلبث قال حاتم الاصم العجلة من الشيطان الا في خمس
فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اطعام الضيف وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب
ويستحب التعجيل في الوليمة قيل الوليمة في اول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء الثاني ترتيب الاطعمة بتقديم
الفاكهة اولا ان كانت فذلك اوفق في الطب فانها اسرع استحالة فينبغي ان تقع في اسفل المعدة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة
في قوله وفاكهة مما يتخيرون ثم قال ولحم طير مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال صلى الله عليه وآله
وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم
قوله في ضيف ابراهيم اذ احضر العجل الحنيذ اي المحنوذ وهو الذي اجيد نضجه وهو احد معنيي الاكرام اعني تقديم اللحم وقال تعالى
في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادم ولا يقوم غيره
مقامه ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاوة
من الطيبات وقال ابو سليمان الداراني اكل الطيبات يورث الرضا عن الله ويتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء
الفاتر عند الغسل قال المأمون شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله وقال بعض الادباء اذا دعوت اخوانك فاطعمتهم حصرمية وبورانية
وسقيتهم ماء باردا فقد اكملت الضيافة وانفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لم يكن يحتاج الى هذا اذا كان خبزك
جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن على المائدة خير من
زيادة لونين وقيل ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل فذلك مستحب ولما فيه من التزيين بالخضرة وفي الخبر ان
المائدة التي انزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة
ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا اذا اجتمع حسن للموافقة الثالث ان يقدم من الالوان اطيبها حتى يستوفي
من يريد فلا يكثر الاكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه
حيلة في استكثار الاكل وكان من سنة المتقدمين ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ويصففون القصاع على المائدة ليأكل
كل واحد مما يشتهي وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا الاطيب منه ويحكى عن بعض ارباب المروءات
انه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الالوان ويعرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم الي بعض المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا

بالعراق انما نقدمه آخرا فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخجلت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة فقدم الينا الوان من
الرؤوس المشوية طبيخا ونفيضا فكنا نأكل وننتظر بعدها لونا او حملا فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض
الشيوخ وكان مزاحا ان الله تعالى يقدر ان يخلق رؤوسا بلا ابدان قال وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيت السحور فلهذا يستحب ان
يقدم الجميع او يخبر بما عنده الرابع ان لا يبادر الى رفع الالوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدي عنها فلعل منهم من يكون
بقية ذلك اللون اشهى عنده مما استوفاه او بقيت فيه حاجة الى الاكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهي من التمكن على المائدة التي يقال انها
خير من لونين ويحتمل ان يكون المراد به سعة المكان وحكي عن السوري وكان صوفيا
من الظرفاء ... وقدم الحمل وكان في صاحب المائدة بخل فلما راى القوم قد مزقوا الحمل كل ممزق
ضاق صدره وقال يا غلام ارفع الى الصبيان فرفع الحمل الى داخل الدار فقام السوري يعدو خلف الحمل فقيل له الى اين فقال
آكل مع الصبيان فاستحيى الرجل وامر برد الحمل ومن هذا الفن ان لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم لانهم يستحيون بل ينبغي ان
يكون آخرهم اكلا كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الالوان ويتركهم يستوفون فاذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده الى الطعام
واكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه الخامس ان يقدم من الطعام قدر الكفاية
فان التقليل عن الكفاية نقص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراءاة لا سيما اذا كان لا تسمح نفسه بان يأكلوا الكل الا ان يقدم الكثير
وهو طيب النفس لو اخذوا الجميع ونوى ان يتبرك بفضل طعامهم اذ في الحديث انه لا يحاسب عليه احضر ابراهيم بن ادهم طعاما كثيرا
على مائدته فقال له سفيان يا ابا اسحاق اما تخاف ان يكون هذا سرفا فقال ابراهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه النية فالتكثير
تكلف قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة ومن ذلك كان لا
يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع
وينبغي ان يعزل اولا نصيب اهل البيت حتى لا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق في
الضيفان السنتهم ويكون قد اطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما بقي من الاطعمة فليس للاضياف اخذه
وهو الذي تسميه الصوفية الزلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض او علم ذلك بقرينة حاله وانه يفرح به فان
كان يظن كراهته فلا ينبغي ان يؤخذ واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي ان يأخذ الواحد الا ما يخصه
او ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء فاما الانصراف فله آداب ثلاثة الاول ان يخرج مع الضيف الى باب الدار وهو
سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال عليه السلام ان من
سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار قال ابو قتادة قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام يخدمهم بنفسه
فقال له اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافئهم وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب
الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن ابي زياد ما دخلت
على عبد الرحمن بن ابي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا الثاني ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى
في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ودعي
بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وخرج اليه صاحب المنزل
وقال قد خرج القوم فقال هل بقي شيء قال لا قال فكسرة ان بقيت قال لم تبق قال فالقدر امسحها قال قد غسلتها فانصرف
يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد احسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا معنى التواضع وحسن الخلق وحكي ان الاستاذ
ابا القاسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه اربع مرات فرده الاب في المرات الاربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور
ولقلب الاب بالانصراف فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما
بينه وبين ربه فلا تنكسر بما يجري من العباد من الاذلال كما لا تستبشر بما يجري منهم من الاكرام بل يرون الكل من الواحد القهار ولذلك

قال بعضهم انما اجيب الدعوة لاني اتذكر به طعام الجنة اي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه الثالث ان
لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة ايام فربما يتبرم به ويحتاج الى
اخراجه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الضيافة ثلاثة فما زاد فصدقة نعم لو الح رب المنزل عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك
ويستحب ان يكون عنده فراش للضيف النازل قال صلى الله عليه وآله وسلم فراش للرجل وفراش للمراة وفراش للضيف والرابع
للشيطان **فصل** يجمع آدابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة الاول روي عن ابراهيم النخعي انه قال
الاكل في السوق دناءة واسنده الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسناده غريب وينقل على ضده عن ابن عمر انه قال كنا
ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ورؤي بعض مشايخ الصوفية المعروفين ياكل في
السوق فسئل في ذلك فقال ويحك اجوع في السوق وآكل في البيت فقيل تدخل المسجد فقال استحيي ان ادخل بيته للاكل فيه ووجه الجمع
ان الاكل في السوق تواضع وترك تكلف في بعض الناس فهو حسن وخرق مروة في بعضهم فهو مكروه ويختلف ذلك بعادات البلاد
والاحوال والاشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر اعماله حمل ذلك على قلة المروة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع اعماله
في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا الثاني قال علي رضي الله عنه من ابتدا غداءه بالملح اذهب الله تعالى عنه سبعين نوعا
من البلاء ومن اكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده
شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والبشقارجات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء و
سمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك
يذهبان البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقلل غشيان النساء وليخفف الرداء وليقل الدين الثالث قال الحجاج لبعض
الاطباء صف لي صفة آخذ بها ولا اعدوها قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا تاكل المطبوخ حتى ينعم نضجه
ولا تشربن دواء الا من علة ولا تاكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تاكلن طعاما الا اجدت مضغه وكل ما احببت من الطعام ولا تشرب عليه
فاذا شربت فلا تاكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول واذا اكلت بالنهار فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة
وفي معناه قول العرب تغد تمد تعش تمش يعني تمدد كانه قال الاخر تمطى اي تمطط وقال حبس البول يفسد الجسد كما
يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه الرابع في الخبر قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم
الكاذة يعني الالية قال بعض الحكماء لابنه يا بني لا تخرج من منزلك حتى تاخذ حلمك يعني تتغدى فان فيه حلما ويقطع العطش
ويدفع الشهوة ان رايته في السوق قال الحكيم لسمين ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك فما هي قال آكل لباب البر وصغار المعز وادهن
بدهن البنفسج والبس الكتان الخامس الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض كذا قيل وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين
من المكروه وعلى شك من العافية وهذا حسن في حال الصحة وراى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صهيبا ياكل تمرا واحدى عينيه
رمدة فقال تاكل التمر وانت رمد فقال يا رسول الله انما امضغ بالشق الآخر يعني جانب السليمة فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم السادس يستحب ان يحمل الطعام الى اهل الميت ولما جاء نعي جعفر بن ابي طالب قال عليه السلام ان آل جعفر شغلهم ميتهم
عن صنع طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون فذلك سنة واذا قدم ذلك الى الجمع حل الاكل منه الا ما هيئ للنوائح والمعينات عليه
بالبكاء والجزع فلا ينبغي ان يؤكل منه السابع لا ينبغي ان يحضر طعام ظالم فان اكره فليقلل الاكل ولا يقصد الطعام الاطيب رد
بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رايتك تقصد اللطيف وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه واجبر
السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما ان آكل واخلي التزكية او ازكي ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكي ان
ذا النون المصري حبس ولم ياكل اياما في السجن فكانت له اخت في الله فبعثت اليه من مغزلها طعاما على يد السجان فامتنع ولم
ياكل فعاتبته المراة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذه غاية الورع الثامن
حكي عن فتح الموصلي انه دخل على بشر الحافي زائرا فاخرج بشر درهما الى احمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وادما طيبا

قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت اللبن
واشتريت تمرا جيدا ثم قدمت اليه فاكل واخذ الباقي فقال بشر تدرون لم قلت اشتر طعاما طيبا لان الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر
تدرون لم لم يقل لي كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب المنزل كل تدرون لم حمل ما بقي لانه اذا صح التوكل لم يضر الحمل وحكي ان ابا علي
الروذباري اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال له رجل قد اسرفت فقال له ادخل فكل ما اوقدته لغير الله فاطفه
فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع واشترى ابو علي الروذباري احمالا من السكر وامر الحلاويين حتى بنوا جدارا من
السكر عليه شرفات ومحاريب على اعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها التاسع قال الشافعي الاكل
على اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاث اصابع من السنة وباربع وخمس من الشره واربع تقوي البدن
اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربع توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على
الريق وكثرة اكل الحموضة واربع تقوي البصر الجلوس حيال القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجلس واربع توهن
البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المراة والقعود في استدبار القبلة واربع تزيد في الجماع اكل العصافير
واكل الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير والنوم على اربعة انحاء نوم على القفا وهو نوم الانبياء عليهم السلام يتفكرون في
خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو
نوم الشياطين واربع تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء واربع هن من العبادة لا
يخطو خطوة الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل
بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم بادر الاكل كيف لا يموت وقال لم ار شيئا انفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب ه

كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا تصادف سهام الاوهام في عجائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول عن اوائل
بدائعها الا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهي تتوالى عليهم اختيارا او قهرا ومن بدائع الطافه ان خلق من الماء
بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها الى الحراثة جبرا واستبقى بها نسلهم اقهارا وقسرا ثم عظم امر الانساب
وجعل لها قدرا فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وامرا منكرا وندب الى النكاح
وحث عليه استحبابا وامرا فسبحان من كتب الموت على عباده فاذلهم به هدما وكسرا ثم بث بذور النطف في اراضي الارحام وانشا
منها خلقا وجعله جابرا لكسر الموت تنبيها على ان بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا
والصلاة على محمد المبعوث بالانذار والبشرى وعلى آله واصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا وحصرا وسلم كثيرا اما بعد فان
النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر
النبيين فما احراه بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده وآرابه وتفصل فصوله وابوابه والقدر المهم من احكامه
ينكشف في ثلاثة ابواب **الباب الاول** في الترغيب فيه وعنه **الباب الثاني**
في الآداب المرعية في العقد والعاقدين **الباب الثالث** في آداب المعيشة بعد العقد الى الفراق

الباب الاول

في الترغيب في النكاح والترغيب عنه اعلم ان العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح
فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس
الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو الى الوقاع وقال آخرون الافضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن
الاكساب محظورة واخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان يقدم اولا ما ورد من الاخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب
عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منهما فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائله او لم يسلم **الترغيب في النكاح**
اما من الآيات فقال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا امر وقال تعالى فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وهذا منع من العضل ونهي عنه

وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فذكر ذلك في معرض الامتنان واظهار
الفضل ومدح اولياءه بسؤال ذلك في الدعا فقال والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الآية في الدعا
ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبيا الا المتاهلين فقالوا ان يحيى عليه السلم قد تزوج ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل
واقامة السنة وقيل لغض البصر واما عيسى فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وآله وسلم
النكاح سنتي فمن احب فطرتي فليستن بسنتي وقال تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة حتى بالسقط وقال
من رغب عن سنتي فليس مني وان من سنتي النكاح فمن احبني فليستن بسنتي وقال صلى الله عليه وآله وسلم من ترك التزويج مخافة
العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لاصل الترك وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كان ذا طول فليتزوج وقال صلى الله عليه
وآله وسلم من استطاع منكم الباة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء
وهذا يدل على ان سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار
للضعف عن الوقاع بالصوم وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة
في الارض وفساد كبير وهذا ايضا تعليل للترغيب لخوف الفساد وقال صلى الله عليه وآله وسلم من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته
لاجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء في الاغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالتزويج احدهما وقال
صلى الله عليه وآله وسلم كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاثة ولد صالح يدعو له ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح واما الآثار فقال عمر رضي
الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور فبين ان الدين غير مانع منه وحصر المانع في امرين مذمومين وقال
ابن عباس لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج ويحتمل انه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة
الا بالتزويج ولا يتم النسك الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول ان اردتم النكاح
انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكي لا القى
الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وهذا
منهما يدل على انهما رأيا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز من غائلة الشهوة وكان عمر يكثر النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد
وكان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الا تتزوج فقال يا رسول الله اني فقير لا شيء لي وانقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانيا فاجاب
فاعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله اعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني الى الله ان قال لي الثالثة
لافعلن فقال له الثالثة الا تتزوج قال فقلت يا رسول الله زوجني قال اذهب الى بني فلان فقل ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يامركم ان تزوجوني فتاتكم قال فقلت يا رسول الله لا شيء لي فقال للاصحاب اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا
به الى القوم فانكحوه فقال له اولم وجمعوا له من الاصحاب شاة للوليمة وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل انه توسم فيه
الحاجة الى النكاح وحكي ان بعض العباد في الامم السالفة فاق اهل زمانه في العبادة فذكر من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك
فسال النبي عن ذلك فقال انت تارك للتزويج قال لست احرمه ولكني فقير وانا عيال على الناس قال فانا ازوجك ابنتي فزوجه
النبي ابنته وقال بشر بن الحارث فضل علي احمد بن حنبل بثلث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا اطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح
وضيقي عنه ولانه نصب اماما للعامة ويقال ان احمد تزوج في اليوم الثاني من وفاة ام ولده عبد الله وقال اكره ان ابيت
عزبا واما بشر فانه لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك بتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قولوا لهم هو مشغول بالفرض
عن السنة وعوتب مرة اخرى فقال ما يمنعني من التزوج الا قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن فذكر ذلك لاحمد فقال واين مثل
بشر انه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فقد روي انه رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رفعت منازلي في الجنة

واشرف بي على مقامات الانبيا ولم ابلغ منازل المتاهلين وفي رواية قال لي ما كنت احب ان تلقاني عزبا قال فقلنا له ما فعل ابو
نصر التمار فقال رفع فوقي بسبعين درجة فقلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه فقال بصبره على بنياته والعيال وقال سفيان بن
عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان له اربع نسوة
وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من اخلاق الانبيا وقال رجل لابرهيم بن ادهم طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة
فقال لروعة منك بسبب العيال افضل من جميع ما انا فيه قال فما الذي يمنعك من النكاح فقال ما لي حاجة في المرأة وما اريد ان اغر امرأة
بنفسي وقد قيل فضل المتاهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متاهل افضل من سبعين ركعة من عزب واما آفات
النكاح فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد وقال صلى الله عليه وآله وسلم
يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيقه فيدخل المداخل التي يذهب
فيها دينه فيهلك وقال بعض الحكما قلة العيال احد اليسارين وكثرتهم احد الفقرين وسئل ابو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر
عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وقال ايضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتاهل
وقال مرة ما رأيت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى وقال ايضا ثلث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا
او تزوج امرأة او كتب الحديث وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال وقال ابن ابي الحواري تناظر جماعة في هذا
الحديث فاستقر رايهم على انه ليس معناه ان لا يكونا له بل ان يكونا له ولا يشغلاه عن الله وهو اشارة الى قول ابي سليمان الداراني ما
شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم وبالجملة لم ينقل عن احد الترغيب عن النكاح مطلقا الا مقرونا بشرط واما الترغيب
في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده **فوائد النكاح**
وفيه فوائد خمسة الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن الفائدة الاولى الولد وهو
الاصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل وان لا يخلو العالم عن جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل
في اخراج البذر وبالانثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة الى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير في بث الحب
الذي يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة
اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا للقدرة واتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة
وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه هي الاصل في الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة
حتى لم يحب احدهم ان يلقى الله عزبا **الاول** موافقة محبة الله تعالى بالسعي في تحصيل الولد لابقاء جنس الانسان والثاني طلب محبة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تكثير من به مباهاته والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده والرابع طلب الشفاعة بموت
الولد الصغير اذا مات قبله اما الوجه **الاول** فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهو احقها واقواها عند ذوي البصائر
النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيا له ارضا مهياة للحراثة
وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فان تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل
عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله سبحانه وتعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وخلق
النطفة في الفقار وهيا لها في الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل
واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب بتعريف ما
اعدت له هذا ان لم يصرح به الخالق على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالمراد فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر حيث قال
تناكحوا تكثروا فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة
والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهي ليس برقم حروف واصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة
في ادراك دقائق الحكمة الازلية ولذلك عظم الشرع الامر في قتل الاولاد وفي الواد لانه منع لتمام الوجود واليه اشار من قال العزل

احد الوالدين فالناكح ساع في اتمام ما احب الله تعالى تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولاجل محبة الله تعالى بقا
النفوس امر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فان قلت قولك ان
بقا النفس والنسل محبوب يوهم ان فناها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحيوة بالاضافة الى ارادة الله تعالى ومعلوم
ان الكل بمشية الله وان الله غني عن العالمين فمن اين يتميز عنده موتهم عن حيوتهم او بقاوهم عن فنائهم فاعلم ان هذه كلمة حق
اريد بها باطل فان ما ذكرناه لا ينافي اضافة الكاينات كلها الى ارادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها ولكن المحبة والكراهة
يتضادان وكلاهما لا يضادان الارادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب والمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة مرادة و
الطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر فلا نقول انه مرضي ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى ولا يرضى لعباده
الكفر فكيف يكون الفنا بالاضافة الى محبة الله تعالى وكراهته كالبقا فانه تعالى يقول ما ترددت في شي كترددي في قبض روح
عبدي المسلم هو يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له من الموت فقوله لا بد له من الموت اشارة الى سبق الارادة والتقدير
المذكور في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وفي قوله الذي خلق الموت والحيوة ولا تناقض بين قوله نحن قدرنا بينكم الموت
وبين قوله وانا اكره مساءته ولكن ايضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقايقها
فان السابق الى الافهام منها امور تناسب ارادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله وصفات الخلق
من البعد ما بين ذاته وذاتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله سبحانه مقدس عنهما ولا يناسب ما ليس بجوهر ولا
عرض الجوهر والعرض فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقايق داخلة في علم المكاشفة ووراءه سر القدر الذي
منع من افشائه فلنقتصر عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع
نسلا ادام الله وجوده من ادم صلى الله عليه وآله وسلم عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود
المستدام من وجود آدم على نفسه فمات ابتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون
زوجوني لا القى الله عزبا فان قلت فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه فاقول الولد يحصل بالوقاع ويحصل
الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر لا يدخل في الاختيار انما المتعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن
عقد فقد ادى ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوة خفية
لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب ايضا في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلع امرار الموسى
على راسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الآن وقد كان المراد منه اولا اظهار الجلد
للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين اظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب في
حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المراة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء الوطر فان ذلك لا يخلو عن
نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة الوجه الثاني السعي في محبة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ورضاه بتكثير ما به مباهاته وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ويدل على مراعاة امر الولد بالوجوه
كلها جملة ما روي عن عمر انه كان ينكح كثيرا ويقول انما انكح للولد وما روي من الاخبار في مذمة المراة العقيم وقال عليه السلم خير
نسائكم الولود الودود وقال عليه السلم سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وهذا يدل على ان طلب الولد ادخل في اقتضاء فضل النكاح
من طلب دفع غائلة الشهوة لان الحسناء اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة الوجه الثالث ان يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له
كما ورد في الخبر ان جميع عمل ابن آدم ينقطع الا ثلث وفي الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق من نور وقول القائل ان الولد
ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فانه مؤمن والصلاح هو الغالب على اولاد ذوي الدين لا سيما اذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وفي الجملة
دعاء المؤمن لابويه مفيد برا كان او فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة
وزر اخرى ولذلك قال تعالى الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شي اي ما نقصناهم من اعمالهم وجعلنا اولادهم مزيدا في احسانهم

الوجه الرابع ان يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الطفل يجر بابويه
الى الجنة وفي بعض الاخبار ياخذ بثوبه كما انا الآن آخذ بثوبك وقال ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل
محبنطئا اي ممتليا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة وفي الخبر ان الاطفال
يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلايق للحساب فيقال للملايكة اذهبوا بهولاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم
مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فاين آباونا وامهاتنا فيقول الخزنة ان آباكم وامهاتكم ليسوا مثلكم انه
كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه
وهو اعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون يا ربنا اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع آبائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا بايدي
آبائكم فادخلوهم الجنة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار وقال صلى الله عليه وآله
وسلم من مات له ثلثة لم يبلغوا الحنث ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وحكي ان بعض الصالحين
كان يعرض عليه التزويج فيابى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فسئل عن ذلك
فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رايت في المنام كان القيامة قد قامت وكاني في جملة الخلايق
في شدة العطش والكرب فنحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من فضة واكواب من ذهب
وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون اكثر الناس فمددت يدي الى احدهم وقلت اسقني فقد اجهدني العطش
فقال ليس لك فينا ولد انما نسقي آباءنا فقلت ومن انتم قالوا نحن من مات من اطفال المسلمين واحد المعاني المذكورة في قوله تعالى
فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال الى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعة ان اكثر فضل النكاح لاجل كونه
سببا للولد **الفايدة الثانية** التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج
واليه الاشارة بقوله عليه السلم من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر واليه الاشارة بقوله عليه السلم عليكم بالباءة
فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء واكثر ما نقلناه من الآثار والاخبار اشارة الى هذا المعنى وهذا المعنى دون الاول
لان الشهوة موكلة بتقاضي تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله ودافع لجنده وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه
في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز ان يقال
المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الاكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة
والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة اخرى سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها
لذة لو دامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع ولو رغب العنين في
لذة الجماع او الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب فاحدى فوايد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا
على عبادة الله فانظر الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة
فالحيوة الظاهرة حيوة المرء ببقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحيوة الباطنة هي الحيوة الاخروية فان هذه اللذة الناقصة
بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فتستحث على العبادة الموصلة اليه فيستفيد العبد بشدة الرغبة
فيها تيسر المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان ظاهرا وباطنا بل من ذرات ملكوت السموات
والارضين الا وتحتها من لطايف الحكمة وعجايبها ما تحار العقول فيها ولكن ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها
عن زهرة الدنيا وغرورها وآفاتها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق
فان الشهوة اذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش واليه اشار بقوله عليه السلم الا تفعلوه تكن فتنة في الارض
وفساد كبير وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فاما حفظ القلب
عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه في

أكثر الأوقات وقد عرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الوقاع ما لو صرح به بين يدي أخس الخلق لاستحيى منه
والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمر للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة على الصوم
لا تقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن ينضاف إليه ضعف في البدن وفساد في المزاج ولذلك قال ابن عباس لا يتم نسك
الناسك إلا بالنكاح وهي محنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة
ومجاهد أنهما قالا في الخلق لا إنسان ضعيفا لا يصبر على النساء وقال فياض بن نجيح إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم
يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق إذا وقب قال قيام الذكر وهذه بلية غالبة إذا هاجت لا يقاومها
عقل ولا دين وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه السلام
بقوله ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب منكن وإنما ذلك لهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه اللهم إني أعوذ
بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر منيي وقال اللهم إني أسألك أن تطهر قلبي وتحصن فرجي فما يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين أو ثلاث أو أربع فأنكر عليه بعض الصوفية فقال
هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله عز وجل جلسة أو وقف بين يديه موقفا في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا
من ذلك كثير فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي إلا نفذته
لأستريح وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي معصية وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين
الذي تنكر منهم قال إنهم يأكلون كثيرا قال وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون قال ينكحون كثيرا قال وأنت أيضا لو حفظت
عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد يقول أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت
وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله
لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال
إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها وقال عليه السلام
لا تلجوا على المغيبات أي اللاتي غاب عنهن أزواجهن فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن
الله أعانني عليه فأسلم قال سفيان بن عيينة فأسلم أنا منه هذا معناه فإن الشيطان لا يسلم ولذلك يحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة
وعلمائهم أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلي المغرب ثم يغتسل ويصلي وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج
عدة الشيطان منه وروي أنه جامع ثلاثا من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الآخرة وقال ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء
ولما كانت الشهوة أغلب على مزاجهم كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أبيح نكاح الأمة عند خوف العنت مع أن
فيه إرقاق الولد وهو نوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنغيص
الحياة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التي تستحقر الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها وروي أنه
انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال ابن عباس هل من حاجة قال نعم أردت أن أسأل مسألة
فاستحييت من الناس وأنا الآن أهابك وأجلك فقال ابن عباس إن العالم بمنزلة الوالد فما كنت أفضيت به إلى أبيك فأفض إلي فقال
إني شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فأعرض عنه ابن عباس ثم قال أف
وتف نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على أن العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الأمة وفيه إرقاق الولد
وأشد منه الاستمناء باليد وأفحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس الإباحة في شيء منه لأنهما محذوران يفزع إليهما حذرا من الوقوع
في محذور أشد منه كما يفزع إلى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة المطلقة ولا في معنى
الخير المطلق وليس قطع اليد المتآكلة من الخيرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك فإذا في النكاح فضل
من هذا الوجه ولكن هذا لا يعم الكل بل الأكثر فرب شخص فترت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى

ما سبق من أمر الولد فإن ذلك عام إلا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنها المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها
الزيادة على الواحدة إلى الأربع فإن يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال فقد نكح علي رضي الله عنه بعد فاطمة
بسبع ليال ويقال إن الحسن بن علي رضي الله عنهما كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امرأة وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد وربما
طلق أربعا في وقت واحد واستبدل بهن وقد قال عليه السلام للحسن رضي الله عنه أشبهت خلقي وخلقي وقال الحسن مني والحسين
من علي وقيل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة وكان في
الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة فالمراد
تسكين النفس فلينظر إليه في الكثرة والقلة **الفائدة الثالثة** ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة
إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهي عن الحق نفور لأنه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالإكراه على
ما يخالفها جمحت وثابت وإذا روحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل
الكرب ويروح القلب وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى ليسكن إليها وقال علي روحوا
القلوب فإنها إذا أكرهت عميت وفي الخبر على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يخلو فيها بمطعمه ومشربه فإن في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ آخر لا يكون العاقل ظاعنا إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة
لمعاش أو لذة في غير محرم وقال عليه السلام لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى والشرة الجد
والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الإرادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان أبو الدرداء يقول إني لأستجم نفسي بشيء من اللهو
لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال شكوت إلى جبريل ضعفي
عن الوقاع فدلني على الهريسة وهذا إن صح لا محمل له إلا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فإنه استثارة
للشهوة ومن عدم الشهوة عدم أكثر هذا الأنس وقال عليه السلام حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة
فهذه أيضا فائدة لا ينكرها من جرب إتعاب نفسه في الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى
إنها تطرد في حق الممسوح ومن لا شهوة له إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح
ذلك وأما قصد الولد وقصد دفع الشهوة فمما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجاري والخضرة وأمثالها ولا يحتاج إلى ترويح
النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتنبه له **الفائدة الرابعة** تفريغ القلب
عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة
الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة
المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك
قال أبو سليمان الداراني الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة وإنما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا
وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال المرأة الصالحة وقال عليه السلام ليتخذ أحدكم قلبا
شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير فلنحيينه حياة
طيبة الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أعطي عبد بعد الإيمان بالله خيرا من امرأة صالحة وإن منهن
غنما لا يحذى منه ومنهن غلا لا يفدى منه وقوله لا يحذى أي لا يعتاض عنه بعطاء وقال عليه السلام فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته
عونا له على المعصية وأزواجي أعوان لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يأمر إلا بخير فعد معاونتها على الطاعة
فضيلة فهذه أيضا من الفوائد التي يقصدها الصالحون إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعو إلى
امرأتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به أمور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل بسبب
العزوة من القوة بسبب تداخل العشائر فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد

من يخرج عنه الشرع سلم حاله ونزع قلبه للعبادة فان الذل يشوش القلب والعزبا لكثرة دوام الذل **الفائدة الخامسة**
مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن
وارشادهن الى الطريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربيته لاولاده فكل هذه اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية
وولاية والاهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال
صلى الله عليه وآله وسلم يوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وليس من اشتغل
باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها فمقاساة الاهل والولد بمنزلة
الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل علي احمد بن حنبل بثلاث احداها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه السلام
ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليوجر في رفع اللقمة الى في امراته وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل اعطاني
الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له اين انت من عمل الابدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن
المبارك وهو مع اخوانه في الغزو تعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال انا اعلم رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل
فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله افضل مما نحن فيه وقال عليه السلام من حسنت صلاته وكثر عياله وقل
ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وفي حديث آخر ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الحديث اذا
كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بالعيال وفيه اثر عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال عليه السلام من كان له ثلاث بنات فانفق
عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر له كان ابن عباس اذا حدث بهذا
قال هو والله من غرائب الحديث وغرره وروي ان بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت فعرض عليه التزويج
فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبي واجمع لهمي ثم قال رايت في المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السماء فتحت وكان رجالا
ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الي فقال لمن وراءه هذا هو المشؤوم فيقول الآخر نعم ويقول
الثالث كذلك ويقول الرابع نعم فخفت ان اسالهم هيبة منهم الى ان مر بي آخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من هذا المشؤوم
الذي تومئون اليه فقال انت فقلت ولم ذلك فقال كنا نرفع عملك في اعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك
مع الخالفين فلا ندري ما احدثت فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم تكن تفارقه زوجتان او ثلاث وفي اخبار الانبياء ان قوما دخلوا
على يونس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاضافهم فكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امراته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا
من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سالت الله عز وجل وقلت ما انت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت
فلان تتزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فان
المنفرد بنفسه او المشارك لمن حسن خلقه لا يترشح منه خبائث النفس الباطنة ولا ينكشف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة ان
يجرب نفسه بالتعرض لامثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل اخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة
باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه ايضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها
الا احد رجلين اما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الاخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا في المجاهدة
ورياضة واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وانما عمله عمل الجوارح بصلاة او حج او عمرة او غيره
فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم افضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها الى غيره
فاما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية في اصل الخلقة او بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم
والمكاشفات فلا ينبغي ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها واما العبادة بالعمل في الكسب لهم فالعلم افضل من
ذلك لانه ايضا عمل وفائدته اعم واشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له

بالفضيلة **وآفات** النكاح ثلاث الاولى وهي اقواها العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل احد لا سيما في هذه الاوقات
مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع في الطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك اهله والمتعزب في امن من ذلك
اما المتزوج ففي الاكثر يدخل في مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بدنياه وفي الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله
من الحسنات امثال الجبال فيسال عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات
كل اعماله فلا تبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله ويقال ان اول ما يتعلق
بالرجل في القيامة اهله وولده فيوقفونه بين يدي الله ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن
لا نعلم فيقتص لهم منه وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه يعني العيال وقال عليه السلام
لا يلقى الله احد بذنب اعظم من جهالة اهله فهذه آفة عامة قل من يتخلص منها الا من له مال موروث او مكتسب من حلال يفي
به وباهله وكان له من القناعة ما يمنعه عن الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه الآفة او هو محترف ويقدر على كسب حلال من المباحات
باحتطاب او اصطياد او كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر على ان يعامل به اهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله
الحلال وقال ابن سالم وقد سئل عن التزويج فقال هو افضل في زماننا لمن ادركه شبق غالب مثل الحمار يرى الاتان فلا ينتهي عنها بالضرب
ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه اولى **الآفة الثانية** القصور عن القيام بحقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال
الاذى منهن وهي دون الاولى في العموم فان القدرة على هذا ايسر من القدرة على الاولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن
اهون من طلب الحلال وفي هذا ايضا خطر لانه راع ومسئول عن رعيته وقال عليه السلام كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول وروي
ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان
حاضرا فهو بمنزلة هارب وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار كما نقي انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه
واذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت الى نفسه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء ان كثرت كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر
بعضهم عن التزويج وقال انا مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى شعر لم يسع الفار في جحرها علقت المكنس في دبرها
ولذلك اعتذر ابراهيم بن ادهم وقال لا اغر امراة بنفسي ولا حاجة لي فيهن اي من القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وانا
عاجز عنه ولذلك اعتذر بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وكان يقول لو كنت اعول دجاجة لخفت ان
اصير جلادا على الجسر ورئي سفيان الثوري على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رايت ذا عيال افلح وكان سفيان
يقول شعر يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا صخب فيه ولا صياح فهذه آفة عامة ايضا وان كانت دون عموم
الاولى لا يسلم منها الا الحكيم العاقل الحسن الاخلاق البصير بعادات النساء الصبور على لسانهن الوقاف على اتباع شهواتهن الحريص على
الوفاء بحقهن المتغافل عن زللهن المداري بعقله اخلاقهن والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق
وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة اسلم له **الآفة
الثالثة** وهي دون الاولى والثانية ان يكون الاهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له الى طلب الدنيا وحسن تدبير المعيشة
للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من اهل ومال وولد فهو مشؤوم على
صاحبه ولست اعني بهذا ان يدعو الى محظور فان ذلك مما اندرج تحت الآفة الاولى والثانية بل ان يدعوه الى التنعم بالمباح بل
الى الاغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والامعان في التمتع بهن ويثور من النكاح انواع من الشواغل من هذا الجنس يستغرق
القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال ابراهيم بن ادهم من تعود
افخاذ النساء لم يجئ منه شيء وقال ابو سليمان من تزوج فقد ركن الى الدنيا اي يدعوه ذلك الى الركون الى الدنيا فهذه مجامع الآفات
والفوائد فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح او العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل تتخذ هذه
الآفات والفوائد معتبرا ومحكا ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد بان كان له المال الحلال وخلق

ويجد في الدين تام لا يشتغل بالنكاح عن الله تعالى وهو مع ذلك شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يمارى في ان النكاح افضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد فان انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة افضل له وان تقابل الامر وهو الغالب فينبغي ان يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات في النقصان منه واذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة واظهر الآفات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول من لم يكن في اذية من الشهوة وكانت فائدته في السعي لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له اولى فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الامرين امر الولد فان النكاح للولد سعي في طلب حياة للولد موهومة وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين رأس المال وفي فساد الدين بطلان الحياة الاخروية وذهاب رأس المال فلا يقاوم هذه الفائدة احدى هاتين الآفتين واما اذا انضاف الى امر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى في رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح اولى له لانه متردد بين ان يقتحم الزنا او اكل الحرام والكسب الحرام اهون الشرين وان كان يثق بنفسه انه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح اولى لان النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان اهله والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو الى العفو اقرب من اكل الحرام الا ان يخاف ايضا افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت فاذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهي ان يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب فاولى ترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام واكله واطعامه فهكذا ينبغي ان يوزن بهذه الآفات والفوائد ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقل عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح فان قلت فمن امن من الآفات فالافضل له التخلي لعبادة الله او النكاح فاقول الجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل لان الليل وسائر اوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى الاوقات المكتوبة والنوم والاكل وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلاة النافلة او الحج وما يجري مجراه من الاعمال البدنية فالنكاح له افضل لان في الكسب الحلال والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على اخلاق النساء انواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وان كانت عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه فترك النكاح افضل فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا عليه السلام من الازواج فاعلم ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام اخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغولة بهممهم غير غافلة عن مهماتهم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلو درجته لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ومتى سلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان يغير السواقي ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره واما عيسى عليه السلام فانه اخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالاهل او يتعذر معها طلب الحلال او لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فآثر التخلي للعبادة وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في طيب المكاسب واخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وما له فيه ومهما كانت الاحوال منقسمة حتى يكون

النكاح في بعضها افضل فحقنا ان ننزل افعال الانبياء على الافضل في كل حال

الباب الثاني

فيما يراعى حالة العقد من احوال المرأة وشروط العقد اما العقد فاركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل اربعة الاول اذن الولي فان لم يكن فالسلطان الثاني رضاء المرأة ان كانت ثيبا بالغة او كانت بكرا ولكن يزوجها غير الاب والجد الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة الرابع ايجاب وقبول متصل به بلفظ الانكاح والتزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج او الولي او وكيلهما واما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المرأة بل بعد انقضائها ان كانت معتدة ولا في حال سبق غيره اذ نهي عن الخطبة على الخطبة ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما خفيفا والتحميد قبل الخطبة ايضا مستحب ومن آدابه ان يلقي امر الزوج الى سمع الزوجة وان كانت بكرا فذلك اولى بالالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يؤدم بينهما ومن الآداب احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ومنها ان ينوي بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل ان يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب ان يعقد في المسجد وفي شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني عليه السلام في شوال وبنى بي في شوال اما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان احدهما للحل والثاني لطيب المعيشة وحصول المقاصد النوع الاول ما يعتبر فيها للحل وهو ان تكون خلية من موانع النكاح والموانع تسعة عشر الاول ان تكون منكوحة للغير الثاني ان تكون معتدة عن الغير سواء كانت عدة وفاة او طلاق او وطء شبهة او كانت في استبراء وطء عن ملك يمين الثالث ان تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر الرابع ان تكون مجوسية الخامس ان تكون وثنية او زنديقة لا تنتسب الى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده السادس ان تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل فاذا عدمت كلتا الفضيلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف السابع ان تكون رقيقة والناكح حر قادر على طول الحرة او غير خائف من العنت الثامن ان تكون كلها او بعضها مملوكا للناكح ملك يمين التاسع ان تكون قريبة للزوج بان تكون من اصوله او فصوله او فصول اول اصوله او من اول فصل من كل اصل بعده اصل واعني باصوله الامهات والجدات وبفصوله الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله الاخوة واولادهم وباول فصل من كل اصل بعده اصل العمات والخالات دون اولادهن العاشر ان تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم الحادي عشر المحرم بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد نكح ابنتها او جدتها من قبل او وطئهن بالشبهة في عقد او وطئ امها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد فمجرد العقد على المرأة يحرم امهاتها ولا يحرم فروعها الا بالوطء الثاني عشر ان تكون المنكوحة خامسة اي يكون تحت الناكح اربع سواها اما في نفس النكاح او في عدة الرجعة فان كانت في عدة بينونة لم تمنع الخامسة الثالث عشر ان يكون تحت الناكح اختها او عمتها او خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما ذكرا والآخر انثى لم يحل بينهما النكاح فلا يجوز ان يجمع بينهما الرابع عشر ان يكون هذا الناكح قد طلقها ثلثا فهي لا تحل له ما لم يطأها زوج غيره في نكاح صحيح الخامس عشر ان يكون الناكح قد لاعنها فانها تحرم عليه ابدا بعد اللعان السادس عشر ان تكون محرمة بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام التحلل السابع عشر ان تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ الثامن عشر ان تكون يتيمة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ التاسع عشر ان تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممن توفي عنها او دخل بها فانهن امهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا فهذه هي الموانع المحرمة واما

الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده ثمانية الدين والخلق والحسن
وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة الاولى ان تكون صالحة ذات دين فهذا هو الاصل وبه
ينبغي ان يقع الاعتناء فانها ان كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت
بالغيرة قلبه وتنغصت بذلك عيشه فان سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا
بدينه وعرضه ومنسوبا الى قلة الحمية والانفة واذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها اشد اذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها
ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا رسول الله ان لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها
قال اني احبها قال امسكها وانما امر بامساكها خوفا عليه بانه ان طلقها اتبعها نفسه وفسد هو ايضا معها فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد
عنه مع ضيق قلبه اولى وان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله او بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه وان سكت ولم ينكر
كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا وان انكر وخاصم تنغص العمر ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين وفي حديث آخر من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها
وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها وقال ايضا لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها
وانكح المرأة لدينها وانما بالغ في الحث على الدين لان مثل هذه المرأة تكون عونا على الدين فاما اذا لم تكن متدينة كانت شاغلة
عن الدين ومشوشة له الثانية حسن الخلق وذلك اصل مهم في طلب الفراغة والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة
بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها اكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الاولياء قال بعض العرب
لا تنكحوا من النساء ستة لا انانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة اما الانانة فهي التي تكثر الانين والتشكي
وتعصب راسها كل ساعة فنكاح الممراضة او نكاح المتمارضة لا خير فيه والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا
والحنانة التي تحن الى زوج آخر او ولدها من زوج آخر وهذا ايضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شيء بحدقتها فتشتهيه
وتكلف الزوج شراءه والبراقة تحتمل معنيين احدهما ان تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل
بالصنع والثاني ان تغضب على الطعام فلا تأكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية يقولون برقت المرأة و
برق الصبي الطعام اذا غضب عنده والشداقة المتشدقة الكلام ومنه قوله عليه السلام ان الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين
الكلام ومنه قوله عليه السلام ان الله تعالى ويحكى ان السائح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته فامره بالتزويج ونهاه عن
التبتل فقال لا تنكح اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشز اما المختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب والمبارية
المباهية بغيرها المفاخرة باسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهو الذي قال الله تعالى ولا متخذات اخدان و
الناشز التي تعلو على زوجها في الفعال والمقال والنشز العالي من الارض وكان علي رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال خيار
خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان
تكلم كل احد بكلام لين مريب واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه
الحكايات ترشد الى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح الثالثة حسن الوجه فذلك ايضا مطلوب اذ به يحصل التحصن والطبع
لا يكتفي بالدميمة غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وان المرأة لا تنكح لجمالها ليس
زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الامر يرغب في النكاح
ويهون امر الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالفة والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع الى مراعاة اسباب الالفة
ولذلك استحب النظر فقال اذا اوقع الله في نفس احدكم من امرأة فلينظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينهما اي يؤلف بينهما من وقوع
الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف وقال عليه السلام ان في اعين
الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون

كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم ومعلوم ان النظر لا يعرف الخلق والدين
والمال وانما يعرف الجمال والقبح وروي ان رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه اهل
المرأة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فاوجعه عمر رضي الله عنه ضربا وقال غررت القوم وروي ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من
العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا
عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت
مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق
جميعا فيستحب ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغي ان يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف في
اخلاقها وجمالها الا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل اليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في
مبادي النكاح ووصف المنكوحات الى الافراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الخداع والاغراء اغلب والاحتياط
فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف الى غير زوجته فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد او تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال
فهو الى الزهد اقرب لانه على الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين على الدين في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمان الداراني
الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج
يتيمة فيؤجر فيها ان اطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابناء الدنيا فتشتهي
عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسأل من اعقلهما فقيل
العوراء فقال زوجوني اياها فهذا دأب من لم يقصد التمتع واما من لا يأمن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح
حصن للدين وقد قيل اذا كانت المرأة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها
قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله وصف نساء الجنة بهذه الصفة في قوله خيرات حسان اراد بالخيرات
حسن الخلق وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا والعروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة والحور
البياض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيناء الواسعة العين وقال عليه السلام خير نسائكم التي اذا
نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وانما تسر بالنظر اذا كانت محبة للزوج الرابعة
ان تكون خفيفة المهر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير النساء احسنهن وجوها وارخصهن مهورا وقد نهى عن المغالاة
في المهر تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة
من ادم حشوها ليف واولم على بعض نسائه بمدين من شعير وعلى اخرى بمدي تمر ومدي سويق وكان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة درهم ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تزوج بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة
دراهم وزوج سعيد بن المسيب ابنته من ابي هريرة على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها
بعد سبعة ايام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج من خلاف العلماء فلا بأس وفي الخبر من بركة المرأة سرعة تزويجها
وسرعة رحمها اي الولادة ويسر مهرها وقال ايضا اباركهن اقلهن مهرا وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة فيكره السؤال
عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغي ان ينكح طمعا في المال قال الثوري اذا تزوج وقال اي شيء للمرأة فاعلم انه لص واذا اهدى اليهم شيئا
فلا ينبغي ان يهدي ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذلك اذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة فاما التهادي فمستحب وهو
سبب المودة قال عليه السلام تهادوا تحابوا واما طلب الزيادة فداخل في قوله ولا تمنن تستكثر اي تعطي طلب الزيادة فداخل في قوله
تعالى ولا تمنن تستكثر اي تعطي لتطلب اكثر وتحت قوله تعالى وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله فان
الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وان لم يكن في الاموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار

ويسد مقاصد النكاح الخامسة ان تكون المرأة ولودا فان عرفت بالعقر فليمتنع من تزوجها قال عليه السلم عليكم بالولود الودود فان لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعى صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين السادسة ان تكون بكرا قال عليه السلم لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وفي البكارة ثلث فوايد احدها ان تحب الزوج وتالفه فيوثر في معنى الود وقد قال عليه السلم عليكم بالودود والطباع مجبولة على الانس باول مالوف واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال فربما لا ترضى بعض الاوصاف التي تخالف ما الفته فتقلى الزوج الثانية ان ذلك اكمل في مودته لها فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا اشد نفورا الثالثة انها لا تحن الى الزوج الاول واكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا السابعة ان تكون نسيبة اعني ان تكون من اهل الدين والصلاح فانها ستربي بناتها وبنيها فاذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التاديب والتربية ولذلك قال عليه السلم اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن فقال المرأة الحسناء في المنبت السوء وقال عليه السلم تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع الثامنة ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي نحيفا وذلك لتاثيره في تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما المعهود الذي دام النظر يضعف الحس عن تمام ادراكه والتاثر به فلا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغبة في النساء ويجب على الولي ايضا ان يراعي خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف دينه او قصر عن القيام بحقها او كان لا يكافئها في نسبها قال عليه السلم النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما او فاسقا او مبتدعا او شارب الخمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار قال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فممن ازوجها قال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال عليه السلم من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها

الباب الثالث في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج

وفيما على الزوجة اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب في اثني عشر امرا في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتاديب بالنشوز والوقاع والولادة والمفارقة بالطلاق الادب الاول الوليمة وهي سنة قال انس راى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال صلى الله عليه وآله وسلم بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صفية بسويق وتمر وقال صلى الله عليه وآله وسلم طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به لم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب ويستحب التهنئة فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلم امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال عليه السلم فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه الدفوف وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل على غداة بنى بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من آبائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذه وقولي التي كنت تقولين قبلها الادب الثاني حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال والصاحب بالجنب قيل هي المرأة وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلوة الصلوة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في ايديكم يعني اسرا اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال عليه السلم من صبر على سوء خلق امرأته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون

واعلم ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد كانت ازواجه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امرأة عمر عمر في الكلام فقال اتراجعيني يا لكعاء فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابن ابي قحافة فانها حبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخوفها من المراجعة وقد دفعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزجرتها امها فقال عليه السلم دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وجرى بينه عليه السلم وبين عائشة كلام حتى ادخلا بينهما ابا بكر حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر رضي الله عنه حتى دمي فوها وقال يا عدية نفسها او يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ندعك لهذا ولم نرد منك هذا وقالت له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك من رضاك فقالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك ويقال اول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عائشة وكان يقول لها كنت لك كابي زرع لام زرع غير اني لا اطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امرأة منكن غيرها وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارحم الناس بالنساء والصبيان الثالث ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي انه كان يسابق عائشة رضي الله عنها في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام فقال هذه بتلك انه من افكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشورا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتحبين ان تري لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤوا وقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول حسبك واقول اسكت مرتين او ثلثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقال عليه السلم خياركم خيركم لنسائه وانا خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا وقال لقمان ينبغي للعاقل ان يكون في اهله كالصبي واذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه وهو احد ما قيل في معنى قوله عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله وقال عليه السلم لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد غير سائل عما فقد الرابع ان لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما راى ما يخالف الشرع والمروة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله في النار وقال عمر خالفوا النساء فان في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلم تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية واطاع الشيطان لما قال ولامرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين وسمى الزوج سيدا فقال تعالى والفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان ارخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال الشافعي رضي الله عنه ثلاثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المرأة والخادم والنبطي اراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك

ومكنك وكانت نسا العرب تعلم بناتهن اختبار الازواج كانت المراة تقول لابنتها اختبري زوجك قبل الاقدام والجراة عليه
انزعي زج رمحه فان سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكاف على ظهره
وامتطيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض فكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي ان تسلك
سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش
والغالب عليهن سو الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة وقال عليه السلم مثل المراة
الصالحة في النسا كمثل الغراب الاعصم من ماية غراب يعني الابيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المراة السو
فانها تشيبك قبل الشيب واتق شرار النسا فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال عليه السلم استعيذوا
من الفواقر وعد منهن المراة السو فانها المشيبة قبل الشيب وفي لفظ اخر ان دخلت عليها سبتك وان غبت عنها
خانتك وقد قال عليه السلم في خيرات النسا انكن صواحبات يوسف يعني ان صرفكن ابا بكر عن التقدم ميل منكن عن الحق الى
الهوى قال الله تعالى حين افشين سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اي مالت وقال
ذلك في خير ازواجه وقال عليه السلم لا يفلح قوم تملكهم امراة وزجر عمر امراته لما راجعته وقال ما انت الا لعبة في جانب البيت
فاذن فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج
بقدر الداء فلينظر الرجل اولا الى اخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها الخامس الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن
مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم ان تتبع عورات النسا وفي لفظ اخر ان تبغت النسا ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سفر قال قبل
دخول المدينة لا تطرقوا النسا ليلا فخالفه رجلان فسبقا فراى كل واحد منهما في منزله ما يكره وفي الخبر المشهور المراة كالضلع
ان قومته كسرته فدعه تستمتع بها على عوج وهذا في تهذيب اخلاقها وقال عليه السلم ان من الغيرة غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على
اهله من غير ريبة ولان ذلك من سو الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم وقال علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى
بالسو من اجلك واما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة
الله ان ياتي المؤمن ما حرم عليه وقال عليه السلم اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ولاجل غيرة
الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد
احب اليه المدح من الله تعالى ومن اجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رايت في الجنة قصرا وفيه
جارية فقلت لمن هذا فقيل لعمر فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال اعليك اغار يا رسول الله وكان الحسن يقول
اتدعون نساكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله من لا يغار وقال عليه السلم ان من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله
ومن الخيلا ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فاما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة
والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل
وقال عليه السلم اني لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب والطريق المغني عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج
الى الاسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة رضي الله عنها اي شي خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا
يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض فاستحسن قولها وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسدون
الثقب والكوى في الحيطان لئلا تطلع النسوان الى الرجال وراى معاذ امراته تطلع في الكوة فضربها وراى امراته دفعت الى
غلام له تفاحة قد اكلت بعضها فضربها وقال عمر رضي الله عنه اعروا النسا يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن في الخروج
في الهيئة الرثة وقال عودوا نساكم لا وكان قد اذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للنسا في حضور المسجد والصواب
الان المنع الا العجائز بل استصوب ذلك في زمان الصحابة رضوان الله عليهم حتى قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ما احدثت النسا بعده لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تمنعوا اما الله مساجد الله فقال
بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني اقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرا
على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قد اذن لهن في الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن والخروج الان ايضا مباح للمراة العفيفة
برضا زوجها ولكن القعود اسلم وينبغي ان لا تخرج الا لمهم فان الخروج الى النظارات والامور التي ليست مهمة تقدح في المروة وربما
تفضي الى الفساد واذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه المراة في حقه بل هو
كوجه الصبي الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنسا
يخرجن منتقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النسا لامروا بالتنقب او منعن من الخروج الا لضرورة السادس الاعتدال في
النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد قال الله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين
وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال صلى الله عليه وآله وسلم خيركم خيركم لاهله وقال صلى الله عليه
وآله وسلم دينار انفقته في سبيل الله ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته في رقبة ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا
الذي انفقته على اهلك وقيل كان لعلي رضي الله عنه اربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال الحسن رضي
الله عنه كانوا في الرجال مخاصيب وفي الاثاث والثياب مجاديب وقال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله في كل جمعة فالوذجة
وكان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي ان يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد
لو ترك وهذا اقل درجات الخير وللمراة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستاثر عن اهله بماكول
طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان كان مزمعا على ذلك فلياكله بخفية بحيث لا يعلم
اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا اكل فليقعد العيال على مائدته فقد قال سفيان بلغنا ان الله تعالى
وملائكته يصلون على اهل بيت ياكلون في جماعة واهم ما يجب عليه من مراعاته في الانفاق ان يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل
السو لاجلها فان ذلك جناية عليها لا مراعاة لها والسابع ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم
زوجته احكام الصلوة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه امر بان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فعليه ان
يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استمعت ويخوفها في الله ان تساهلت في امر الدين ويعلمها من احكام الحيض والاستحاضة
ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة يطول فاما الذي لا بد من ارشاد النسا اليه في امر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع
دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضا الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضا الظهر والعصر في
انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضا المغرب والعشا وهذا اقل ما تراعيه النسا فمن علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال
واخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج وان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض
عليها فليس لها ان تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما اهملت المراة حكما من احكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها
الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الاثم الثامن فمهما خرج الى السفر واراد استصحاب واحدة اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فان ظلم امراة بليلتها قضى لها فان القضا واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك
يطول ذكره وقد قال عليه السلم من كان له امراتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جا يوم القيامة
واحد شقيه مايل وانما عليه العدل في العطا والمبيت اما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم اي ان تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع وكان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يعدل بينهن في العطا والبيتوتة في الليالي ويقول اللهم هذا جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك
يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها احب نسايه اليه وسائر نسايه يعرفن ذلك وكان يطاف به محمولا في مرضه في

كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول اين انا غدا ففطنت امرأة منهن فقالت انما يسأل عن يوم عائشة فقلن يا رسول الله
قد اذنا لك ان تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولوني الى بيت
عائشة ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم بين
نسائه وقصد ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته ان يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه
فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر ازواجه ليلة ليلة ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم لحسن عدله وقوته كان اذا
تاقت نفسه الى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه او ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طاف على نسائه في ليلة واحدة وعن انس انه عليه السلام طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار السابع
في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما جميعا او من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر
على اصلاحهما فلا بد من حكمين احدهما من اهله والآخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث
عمر رضي الله عنه حكما الى زوجين فعاد ولم يصلح امرهما فعلاه بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعاد الرجل
واحسن النية وتلطف بهما فاصلح بينهما واما اذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة
قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في تأديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في المضجع او انفرد
عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة الى ثلاث ليال فان لم ينجع ذلك فيها ضربها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسما
ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما حق المرأة على الرجل قال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا
اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجرها الا في البيت وله ان يغضب عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى
شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ ارسل بهدية الى زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقمأتك اذ
ردت عليك هديتك اي اذلتك واستصغرتك فقال عليه السلام انتن اهون على الله من ان يقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد
اليهن الثامن في آداب الجماع ويستحب ان يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله احد اولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم
اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج من صلبي وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله قال اللهم جنبني
الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك
الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا الآية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار صوته ثم ينحرف عن القبلة فلا يستقبل
القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغطي رأسه ويغض صوته ويقول
للمرأة عليك بالسكينة وفي الخبر اذا جامع احدكم اهله فلا يتجردان تجرد العيرين اي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل
قال عليه السلام لا يقعن احدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله قال القبلة والكلام
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه ونسبه والثاني ان يكرمه
احد فيرد عليه كرامته والثالث ان يقارب الرجل جاريته او زوجته فيصيبها قبل ان يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل
ان تقضي حاجتها منه ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر الاول والآخر والنصف يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال ان
الشياطين يجامعون فيها وروي كراهة ذلك عن علي ومعاوية وابي هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلتها تحقيقا
لاحد التأويلين في قوله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله من غسل واغتسل ثم اذا قضى وطره فليتمهل على اهله حتى تقضي هي ايضا
نهمتها فان انزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذاء لها والاختلاف في طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا
الى الانزال والتوافق في وقت الانزال الذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحيي وينبغي ان يأتيها في كل اربع ليال مرة
فهو اعدل اذ عدد النساء اربعة فجاز التأخير الى هذا الحد نعم ينبغي ان يزيد او ينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها
واجب عليه وان كان لا تثبت المطالبة بالوطء فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في الحيض ولا بعد انقضائه وقبل الغسل

فهو محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام في الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأتى اذ حرم غشيان
الحائض لأجل الأذى والأذى في غير المأتى دائم فهو اشد تحريما من اتيان الحائض وقوله تعالى فأتوا حرثكم انى شئتم اي اي وقت شئتم
وله ان يستمني بيديها وان يستمتع بما تحت الازار بما يشتهي سوى الوقاع وينبغي ان تتزر المرأة بازار من حقوها الى فوق الركبة في حال الحيض
فهذا من الادب وله ان يؤاكل الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها فان اراد ان يجامع ثانية بعد اخرى فليغسل
فرجه اولا وان احتلم فلا يجامع حتى يغتسل او يبول ويكره الجماع في اول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فان اراد النوم او الاكل فليتوضأ
اولا وضوء الصلاة فذلك سنة قال ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ ولكن قد وردت فيه رخصة
قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينام جنبا لم يمس ماء ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه او لينفضه فانه
لا يدري ما حدث عليه بعده ولا ينبغي ان يحلق او يقلم او يستحد او يخرج الدم او يبين من نفسه جزءا وهو جنب اذ ترد اليه سائر اجزائه في الآخرة فيعود
جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه بجنابتها ومن الآداب ان لا يعزل بل لا يسرح الا الى محل الحرث وهو الرحم فما من نسمة قدر الله كونها الا وهي
كائنة هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان عزل فقد اختلف العلماء في اباحته وكراهته على اربعة مذاهب فمن مبيح مطلقا
بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكأن هذا القائل يحرم الايذاء دون العزل ومن قائل
يباح في المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا ان ذلك مباح واما الكراهة فانها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه
بالمعنى الثالث اي فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد ان يقعد فارغا لا يشتغل بذكر او صلاة ويكره للحاضر في مكة مقيما بها ان
لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهة ترك الاولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روي عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ان الرجل ليجامع اهله فيكتب له بجماعه اجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا
الولد لكان له اجر التسبب اليه مع ان الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب اليه نعم ان الله
من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الامناء في الرحم وانما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لان اثبات النهي انما
يمكن بنص او قياس على منصوص ولا نص ولا اصل يقاس عليه بل ههنا اصل يقاس عليه وهو ترك النكاح اصلا او ترك الجماع بعد
النكاح او ترك الانزال بعد الايلاج فكل ذلك ترك للافضل وليس بارتكاب نهي ولا فرق اذ الولد يتكون بوقوع
النطفة في الرحم ولها اربعة اسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر الى الانزال ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه
الاسباب اقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالاول وليس هذا كالاجهاض
والوأد لان ذلك جناية على موجود حاصل وله ايضا مراتب واول مراتب الوجود ان تقع النطفة في الرحم وتختلط
بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة وافساد ذلك جناية فان صارت مضغة وعلقة كانت الجناية افحش وان نفخ فيه الروح واستوت
الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيا وانما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث الوقوع
في الرحم لا من حيث الخروج من الاحليل لان الولد لا يخلق من مني الرجل وحده بل من الزوجين جميعا اما من مائه ومائها او من مائه ودم الحيض
فان بعض الشريح ان المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وان الدم منها كاللبن من الرائب وان النطفة من الرجل شرط في خثور دم
الحيض وانعقاده كالانفحة للبن اذ بها ينعقد الرائب وكيفما كان فماء المرأة ركن في الانعقاد فيجري الماءان مجرى الايجاب والقبول
في الوجود الحكمي في العقود فمن اوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الايجاب والقبول
كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما ان النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الاحليل ما لم يمتزج بماء المرأة
او دمها فهذا هو القياس الجلي فان قلت فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية الباعثة
عليه اذ لا يبعث عليه الا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي فاقول النيات الباعثة على العزل خمس الاولى في السراري
وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ودفع اسبابه ليس بمنهي عنه الثانية
استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه الثالثة الخوف من

كثرة الحرج بسبب كثرة الاولاد والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب والدخول مداخل السوء وهذا ايضا غير منهي عنه فان قلة
الحرج معين على الدين نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولا
جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الافضل ولكن النظر الى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول انه منهي عنه
الرابعة الخوف من الاولاد الاناث لما يعتقد في تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة العرب في قتلهم الاناث فهذه نية فاسدة
لو ترك بسببها اصل النكاح او اصل الوقاع اثم بها لا بترك النكاح والوطء فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اشد وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من ان يعلوها رجل وكانت تتشبه بالرجال ولا ترجع الكراهة
الى ترك النكاح الخامسة ان تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة
نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية
فاسدة استأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو الفاسد دون
منع الولادة فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثا قلت فالعزل كترك النكاح وقوله
ليس منا اي ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الافضل فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العزل
ذلك الوأد الخفي وقرأ واذا الموءودة سئلت وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح ايضا اخبار صحيحة في الاباحة وقوله صلى الله عليه وآله و
سلم الوأد الخفي كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريما فان قلت فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما العزل هو الوأد الاصغر
فان الممنوع وجوده به هو الموءودة الصغرى قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك انكره عليه علي رضي
الله عنه لما سمعه وقال لا تكون موءودة الا بعد سبع اي بعد سبعة اطوار وتلا الآية الواردة في اطوار الخلقة وهو قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله ثم انشأناه خلقا آخر اي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله
تعالى في الآية الاخرى واذا الموءودة سئلت واذا نظرت الى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي
وابن عباس رضي الله عنهم في الغوص على المعاني ودرك العلوم كيف وفي المتفق عليه في الصحيحين عن جابر انه قال كنا نعزل على عهد
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن ينزل وفي لفظ آخر كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينهنا وفيه ايضا
عن جابر انه قال ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وانا اطوف
عليها واكره ان تحمل فقال عليه السلام اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حملت
فقال قد اخبرتكم انه سيأتيها ما قدر لها كل ذلك في الصحيحين الحادي عشر في آداب الولادة وهي خمسة الاول ان لا يكثر
فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري الخيرة له في ايهما فكم من صاحب ابن يتمنى ان لا يكون له او يكون بنتا بل السلامة منهن
اكثر والثواب فيهن اجزل قال صلى الله عليه وآله وسلم من كانت له ابنة فأدبها فاحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ
عليها من النعمة التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ما من احد يدرك له ابنتان فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة وقال انس قال عليه السلام من كانت له ابنتان او اختان
فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقال قال انس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خرج الى سوق
من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم و
ليبدأ بالاناث قبل الذكور فانه من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان له ثلاث بنات او اخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن ادخله الله الجنة بفضل
رحمته اياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله فقال واثنتان فقال رجل او واحدة فقال وواحدة الثاني
ان يؤذن في اذن المولود روى رافع عن ابيه قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذن في اذن الحسين حين ولدته فاطمة

عليها السلام وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى
لم تضره ام الصبيان ويستحب ان يلقن اول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان في اليوم السابع
ورد به الخبر الثالث ان يسميه باسم حسن فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا سميتم فعبدوا وقال احب
الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلماء كان ذلك في عصره اذ كان ينادي يا ابا القاسم
والآن فلا بأس نعم وسمى رجل ابنه عيسى فقال عليه السلام ان عيسى لا اب له فكره ذلك والسقط ينبغي ان يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد
بن معاوية بلغني ان السقط يصرخ يوم القيامة وراء ابيه فيقول انت ضيعتني وتركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله
كيف وهو لا يدري انه غلام او جارية فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وآله
وسلم انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله بدل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم اسم العاص بعبد الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي وقيل ان ذلك كان في حياته قال الراوي
كان اسم زينب برة فقال عليه السلام تزكي نفسها فسماها زينب وكذلك ورد نهي في اسم افلح ونافع وبركة لانه يقال اثم بركة فيقال لا الرابع العقيقة عن الذكر
شاتين وعن الانثى بشاة ولا بأس بالشاة ذكرا كان او انثى روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
امر في الغلام بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة وروي انه عق عن الحسن بشاة وهذا رخصة في الاقتصار على واحد وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الغلام عقيقة فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره
ذهبا او فضة فقد روي فيه خبر انه عليه السلام امر فاطمة يوم سابع حسين ان تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة قالت
عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم الخامس ان يحنكه بتمرة او حلاوة وروي عن اسماء انها قالت ولدت عبد الله
بن الزبير بقبا ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء
دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان اول مولود ولد في الاسلام ففرحوا
به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم التاسع في الطلاق وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات
الى الله عز وجل وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه ايذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح ايذاء الغير الا بجناية من جانبها او
بضرورة من جانبه قال الله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا حيلة للفراق وان كرهها ابوه فليطلقها
قال ابن عمر كان تحتي امرأة احبها وكان ابي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ابن
عمر طلق امرأتك فهذا يدل على ان حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر ومهما آذت زوجها وبذت على
اهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق او فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة
مبينة مهما بذت على اهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا اريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الاذى من الزوج
فلها ان تفتدي ببذل مال ويكره للرجل ان يأخذ منها اكثر مما اعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى فلا
جناح عليهما فيما افتدت به فرد ما اخذته فما دونه لائق بالفداء فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة قال صلى الله عليه
وآله وسلم ايما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام وقال المختلعات هن
المنافقات ثم ليراع الزوج في الطلاق اربعة امور الاول ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فان الطلاق في الحيض او الطهر
الذي جامع فيه بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فان فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر رضي الله عنه زوجته في
الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء
امسكها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق
فقط الثاني ان يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد
بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى

الضرورة وعند الحاجة ينبغي ان يكون هو الساعي فيه بان يكون فيه معلقاً بزوجة الغير وطلقها اعني زوجة المحلل بعد ان يذوق
منه ثم يورث ذلك تبيين انه الزوجة وكان ذلك نوعاً في الجمع حرام ولكنه مكروه لانه المعاني واعني الكراهية تركه المقرر لسنة الثالث
ان يتلطف في التعلل بطلاقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من اذى الفراق
قال الله تعالى ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في اصل النكاح كان الحسن بن علي رضي الله عنه مطلاقاً ومنكاحاً ووجه
ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امرأتين وقال قل لهما اعتدا وامره ان يدفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال
ماذا فعلتا فقال اما احديهما فنكست رأسها وتنكست واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق
الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعاً امرأة بعدما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام
فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة حيث قالت لو لم اسر مسيري ذلك لكان احب الي من ان
يكون لي ستة عشر ذكراً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه
في مجلسه وقال الا ارسلت الي فكنت اجيئك فقال الحاجة لنا فقال وما هي قال جئتك خاطباً ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم
رفع رأسه فقال والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها اعز علي منك ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني وانت مطلاق فاخاف ان
تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك فانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن رضي الله عنه وقام وخرج فقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول ما اراد عبد
الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقاً في عنقي وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته
ان حسناً مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان احب
ترك فسر ذلك علياً رضي الله عنه فقال لو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام وهذا تنبيه على ان من
طعن في حبيبه من اهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي ان يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة ما امكن فان ذلك اسر لقلبه
واوفق لباطن رأيه والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعاً فقال وان يتفرقا
يغن الله كلا من سعته الرابع ان لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح
وعيد عظيم ويروى عن بعض الصالحين انه اراد طلاق امرأة فقيل له ما الذي يريبك فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته
فلما طلقها قيل له لم طلقتها قال ما لي ولامرأة غيري فهذا بيان ما على الزوج **القسم الثاني** من هذا الباب النظر في
حقوق الزوج عليها والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقاً في كل ما طلب منها في
نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة قال صلى الله عليه وآله وسلم ايما امرأة ماتت وزوجها
عنها راض دخلت الجنة وكان رجل خرج الى سفر وعهد الى امرأته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في الاسفل فمرض
فارسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تستأذن في النزول الى ابيها فقال عليه السلام اطيعي زوجك فمات فاستأمرته
فقال اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليها يخبرها ان الله قد غفر لابيها بطاعتها لزوجها
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها واضاف
طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات
باولادهن لولا ما يأتين الى ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها
النساء فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت الى الجنة فاذا اقل
اهلها النساء فقلت اين النساء قال شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب وعن عائشة رضي الله
عنها اتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا نبي الله اني فتاة اخطب وانا اكره التزويج فما حق الزوج على
المرأة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت افلا اتزوج قال بلى تزوجي فانه خير وقال ابن عباس

رضي الله عنهما اتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت اني امرأة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج
فقال ان من حق الزوج على الزوجة اذا ارادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطي شيئاً من بيته الا باذنه
فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعاً الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها
وان خرجت من بيتها بغير اذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيته او تتوب وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لو امرت احداً ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال عليه السلام اقرب ما تكون المرأة من وجه
ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها افضل من صلاتها في
صحن دارها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال صلى الله عليه وآله
وسلم المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال ايضاً للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة
فاذا ماتت ستر القبر عشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والستر
والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراماً وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا
خرج من منزله تقول له امرأته او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف
بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالاً وما عرفته رزاقاً
ولي رب رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة
وقال لها والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكن ورثت مالاً جزيلاً من زوجي فاردت
ان تنفقه على اخوانك وتعرف بك الصالحين فيكون لي طريقاً الى الله فقال حتى استأذن استاذي فرجع الى ابي سليمان قال وكان
ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية الله هذا كلام
الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كن من جص ففني من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلاً عمن غسل
بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك
وكانت رابعة هذه تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة ومن الواجبات عليها ان لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب الذي يخاف فساده فان اطعمت عن رضاه كان لها
مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع
الزوج كما روي ان اسماء بنت خارجة الفزاري قال لابنته عند التزوج انك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت الى فراش
لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له ارضاً يكن لك سماء وكوني له مهاداً يكن لك عماداً وكوني له امة يكن لك عبداً لا تلحي به فيقلاك
ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا فاقربي منه وان نأى فابعدي عنه واحفظي انفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك الا طيباً ولا يسمع الا
حسناً ولا ينظر الا جميلاً وقال رجل لزوجته شعر خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة * فانك لا تدرين كيف المغيب * واني رأيت الحب في القلب والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب
فالقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها لا يكثر صعودها ولا اطلاعها قليلة الكلام
لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته وحضرته وتطلب مسرته في جميع امورها ولا تخونه في نفسها
وماله ولا تخرج من بيتها وان خرجت باذنه فمختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة
من ان يسمع غريب صوتها او يعرفها بشخصها لا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن انه يعرفها همتها صلاح شأنها
وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها واذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضراً لم تستفهم ولم تعاوده في الكلام
غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر اقاربها متنظفة في نفسها
مستعدة في الاحوال كلها للتمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين امرأة آمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى يثبن أو يمتن وقال صلى الله عليه وآله وسلم حرم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبلي غير أني أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرني إلى باب الجنة فأقول ما لهذه تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك ومن آدابها أن لا تفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه فقد روي أن الأصمعي قال دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها تحت رجل من أقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد أسأت في قولك لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي أفلا أرضى بما رضي الله لي فأسكتتني وقال الأصمعي رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما أبعد هذا من هذا فقالت

شعر: ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والبطالة جانب

ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي أن تؤذي زوجها بحال روي عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا ومما يجب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها أن لا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر وتجتنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت أبي سلمة دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدة ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها فقد روي عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما أنها قالت تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلي أبو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما ومعه أصحابه رضوان الله عليهم والنوى على رأسي فقال صلى الله عليه وآله وسلم إخ إخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أني قد استحييت فجئت الزبير فحكيت له ما جرى فقال والله لحملك النوى على رأسك أشد علي من ركوبك معه

كتاب آداب الكسب والمعاش

وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حمد موحد يمحق في توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشى وتمجيد ممجد من يصرح بأن كل شيء ما سوى الله باطل ولا يتحاشى وأن كل من في السموات والأرض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولو أرادوا ونشكره إذ رفع السماء للعباد سقفا مبنيا ومهد الأرض بساطا ممدودا وفراشا وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشا ونصلي على رسوله الذي يصدر المؤمنين عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا وسلم كثيرا أما بعد فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب جعل الآخرة دارا للثواب والعقاب والدنيا دار التمحل والاضطراب والتشمر والاكتساب وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها والناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والأقرب إلى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشريعة ونحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة أبواب

الباب الأول
في فضل الكسب والحث عليه

الباب الثاني
في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات

الباب الثالث
في بيان العدل في المعاملة

الباب الرابع
في بيان الإحسان فيه

الباب الخامس
في شفقة التاجر على دينه

الباب الأول
في فضل الكسب والحث عليه

أما من الكتاب فقوله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم وقال تعالى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وقال تعالى فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة وقال عليه السلام التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه وآله وسلم من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان صلى الله عليه وآله وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي الخبر إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف وقال صلى الله عليه وآله وسلم أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر آخر أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح وقال صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق وروي أن عيسى صلوات الله عليه رأى رجلا فقال له ما تصنع فقال أتعبد قال من يعولك قال أخي قال أخوك أعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إني لا أعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به ولا أعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فإن الله تعالى لا ينال ما عنده بمعصيته وقال صلى الله عليه وآله وسلم الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه وقال من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر وأما الآثار فقد قال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في أرضه فقال له عمر أصبت استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أحيحة

شعر: فلن أزال على الزوراء أعمرها ... إن الكريم على الإخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضي الله عنه إني لأكره أن أرى الرجل فارغا لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب إلي لأنه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إلي من موطن أتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل يقع في فأذكر استغنائي عنه فيهون ذلك علي وقال أيوب كسب فيه شيء أحب إلي من سؤال الناس وجاءت ريح

عاصف في البحر فقال اهل السفينة لابراهيم بن ادهم اما ترى هذه الشدة فقال ما هذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقال ايوب
قال لي ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني الغنى عن الناس وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال
لا اعمل شيئا حتى ياتيني رزقي فقال هذا رجل جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى جعل رزقي تحت
ظل رمحي وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق
وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعضهم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وقال ابو
قلابة لرجل لان اراك تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد وروي ان الاوزاعي لقي ابراهيم بن ادهم وعلى عنقه
حزمة حطب فقال له يا ابا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانه بلغني انه من وقف موقف مذلة في
طلب حلال وجبت له الجنة وقال ابو سليمان ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدا برغيفيك فاحرزهما
ثم تعبد وقال معاذ بن جبل ينادي يوم القيمة اين بغضاء الله في ارضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال و
الاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك الا الكسب والتجارة فان قلت فقد قال صلى الله عليه وآله
وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك
اليقين وقيل لسلمان الفارسي اوصنا فقال من استطاع منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن
تاجرا ولا خائنا فالجواب ان وجه الجمع بين الاخبار تفصيل الاحوال فنقول لسنا نقول التجارة افضل مطلقا من كل شيء
ولكن التجارة اما ان يطلب بها الكفاية او الثروة او الزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار
المال وادخاره لا ليصرف الى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لانه اقبال على الدنيا التي حبها راس كل خطيئة فان كان مع ذلك
خائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما اراده سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا واراد بالتاجر طالب الزيادة فاما اذا طلب بها الكفاية لنفسه
واولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال افضل وان كان لا يحتاج الى السؤال وكان يعطى من غير
سؤال فالكسب افضل لانه انما يعطى لانه سائل بلسان حاله وينادي بين الناس بفقره فالتعفف والتستر اولى من البطالة بل من
الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم
الاحوال والمكاشفات او عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وامثالهم او رجل
مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل امورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة
للمصالح او الاوقاف المسبلة على العلماء والفقراء فاقبالهم على ما هم فيه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا اوحي الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان كن من التاجرين لانه كان جامعا لهذه المعاني
الاربعة الى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار الصحابة رضي الله عنهم على ابي بكر رضي الله عنه بترك التجارة لما ولي الخلافة
اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان ياخذ كفايته من مال المصالح وراى ذلك اولى ثم لما توفي اوصى برده الى بيت المال ولكنه
رآه في الابتداء اولى ولهؤلاء الاربعة حالتان اخريان احديهما ان تكون كفايتهم عند ترك الكسب من ايدي الناس وما يتصدق
عليهم من زكاة او صدقة من غير حاجة الى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة للناس على الخيرات وقبول
منهم لما هو حق عليهم وافضل لهم الحالة الثانية الحاجة الى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويناها في السؤال وذمه
تدل ظاهرا على ان التعفف عن السؤال اولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى
اجتهاد العبد ونظره لنفسه بان يقابل ما يلقى في السؤال من المذلة وهتك المروءة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل
من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم او العمل ويهون عليه
بادنى تعريض في السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغي ان يستفتي المريد فيه
قلبه وان افتاه المفتون فان الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال ولقد كان في السلف من له ثلثمائة وستون

صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم
فكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في هذه الامور فان اجر الآخذ كاجر المعطي مهما كان الآخذ
يستعين به على الدين والمعطي يعطيه عن طيبة قلب ومن اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو
الافضل له بالاضافة الى حاله ووقته والله اعلم فهذه فضيلة الكسب ولكن العقد الذي به الاكتساب يجمع اربعة امور الصحة
والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل واحد بابا ونبتدي بذكر اسباب الصحة في الباب الثاني والله اعلم

الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربوا والسلم والاجارة والقراض والشركة
وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب اعلم ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لان
طلب العلم فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب يحتاج الى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف
على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسال فانه اذا لم يعلم
اسباب الفساد بعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا اقدم العلم ولكني اصبر الى ان تقع لي الواقعة فعندها
اتعلم واستفتي فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة
فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روي عن عمر رضي الله
عنه انه كان يطوف في السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من يفقه والا اكل الربا شاء ام ابى وعلم
العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهي البيع والربا والسلم والاجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها
العقد الاول البيع وقد احله الله تعالى وله ثلثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ **الركن الاول** العاقد
ينبغي للتاجر ان لا يعامل بالبيع اربعة الصبي والمجنون والعبد والاعمى لان الصبي غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل ولا يصح
بيع الصبي وان اذن فيه الولي عند الشافعي وما اخذ منهما مضمون عليه لهما وما سلمه اليهما في المعاملة فضاع في ايديهما فهو المضيع له
واما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم ان لا يعاملوا العبيد ما لم
ياذن لهم السيد في معاملتهم وذلك بان يسمعه صريحا او ينتشر في البلد انه ماذون في الشراء لسيده والبيع له فيعول على الاستفاضة
او على قول عدل يخبره بذلك فان عامله بغير اذن السيد فعقده باطل وما اخذ منه مضمون عليه لسيده وما سلمه اليه ان ضاع في يد العبد
لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له الا المطالبة اذا عتق واما الاعمى فانه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح ذلك فليامره بان يوكل
وكيلا بصيرا ليشتري له او يبيع فيصح بيع وكيله وان عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة وما اخذ منه مضمون عليه بقيمته
وما سلمه اليه ايضا مضمون بقيمته واما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح ان كان من
اهل الحرب فان فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها ربه واما الجندية من الاتراك والتركمانية والعرب والاكراد والسراق
والخونة واكلة الربا والظلمة وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغي ان يتملك مما في ايديهم شيئا لاجل انها حرام الا اذا عرف شيئا بعينه انه حلال
وسياتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام **الركن الثاني** في المعقود عليه وهو المال المقصود نقله من احد العاقدين
الى الآخر ثمنا كان او مثمنا فيعتبر فيه ستة شروط **الاول** ان لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل
وعذرة ولا بيع العاج والاواني المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز
بيع الخمر ولا الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا توكل وان كان يصلح للاستصباح او طلاء السفن ولا باس ببيع الدهن
الطاهر الذي نجس بوقوع نجاسة او موت فارة فيه فانه يجوز الاستصباح به في غير الاكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا
باس ببيع بزر القز فانه اصل حيوان منتفع به وتشبيهه بالبيض وهو اصل حيوان اولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك
ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة **الثاني** ان يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفارة ولا الحية
ولا التفات الى انتفاع المشعبذ بالحية وكذلك انتفاع ارباب الحلق باخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهرة والنحل

وبيع الفهد والأسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لأجل الحمل ويجوز بيع الهرة والطوطي وهي الببغاء والطاوس
والطيور المليحة الصورة والصوت وإن كانت لا تؤكل فإن التفرج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح وإنما الكلب هو
الذي لا يجوز أن يقتنى إعجاباً بصورته إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي
فإنه لا منفعة لها شرعاً وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان فإن كسرها واجب
وصور الأشجار يتسامح بها وأما الثياب والأطباق التي عليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لعائشة رضي الله عنها اتخذي منها نمارق ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وإذا جاز الانتفاع من وجه
صح البيع لذلك الوجه الثالث أن يكون المتصرف فيه مملوكاً للعاقد أو مأذوناً من جهة المالك ولا يجوز أن يشتري من غير المالك
انتظاراً للإذن من المالك بل لو رضي بعد ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة
ولا من الولد مال الوالد ولا من الوالد مال الولد اعتماداً على أنه لو عرف لرضي به فإنه إذا لم يكن الرضا متقدماً لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يكثر في الأسواق فيجب
على العبد المتدين أن يحترز منه الشرط الرابع أن يكون المعقود عليه مقدوراً على تسليمه شرعاً وحساً فما لا يقدر على تسليمه حساً لا يصح
بيعه كالآبق والسمك في الماء والجنين في البطن وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فإنه
يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعاً كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعها أيضاً وكذلك
بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيراً وكذا بيع الولد دون الأم لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع الخامس
أن يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف أما العلم بالعين فبأن يشير إليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أي شاة
أردت أو ثوباً من هذه الثياب التي بين يديك أو ذراعاً من هذا الكرباس وخذه من أي جانب شئت أو عشرة أذرع من هذه الأرض
وخذه من أي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين إلا أن يبيع شائعاً مثل أن يبيع نصف الشيء أو عشره
فإن ذلك جائز وأما العلم بالقدر فإنما يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر إليه فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا
يدريان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل إذا لم تكن زنة الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة
من الحنطة أو بعتك بهذه الصرة من الدراهم أو بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافياً في معرفة
المقدار وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الأعيان ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب التغير فيها
والوصف لا يقوم مقام العين هذا أحد المذهبين ولا يجوز بيع الحنطة في سنبلها ويجوز بيع الأرز في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع الجوز واللوز في القشرة
السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز بيع الباقلاء الرطب في قشره للحاجة ويتسامح ببيع الفقاع على جريان عادة الأولين به ولكن يجعل إباحة
بعوض فلو اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لأنه ليس مستتراً بخلقة ولا يبعد أن يتسامح به إذ في إخراجه إفساده كالرمان وما يستتر
بخلقته السادس أن يكون المبيع مقبوضاً إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص فقد نهى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم عن بيع ما لم يقبض ويستوي فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل
وقبض العقار بالتخلية وقبض ما اشتراه بشرط الكيل لا يتم إلا بأن يكيله فأما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلاً
فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض **الركن الثالث** لفظ العقد ولا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود
منهما إما صريح أو كناية فلو قال أعطيتك هذا بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلت جاز مهما قصدا البيع فإنه قد يحتمل الإعارة إذا
كان في ثوبين أو دابتين والنية تدفع الاحتمال والصريح أقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل أيضاً فيما تقتضيه ولا
ينبغي أن يقرن بالبيع شرطاً على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيئاً آخر أو أن يحمل المبيع إلى داره أو اشترى الحطب بشرط
النقل إلى بيته كل ذلك فاسد إلا إذا أفرد استئجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الشراء للمنقول ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة
بالفعل دون اللفظ باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعي رحمه الله أصلاً وانعقد عند أبي حنيفة رحمه الله عليه إن كان في المحقرات
ثم ضبط المحقرات عسير فإن رد الأمر إلى العادات فقد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة إذ يتقدم الدلال إلى البزاز يأخذ منه

ثوب ديباج بقيمة عشرة دنانير مثلاً ويحمله إلى المشتري ويعود إليه بأنه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فيأخذ من صاحب العشرة ويسلمه
إلى البزاز فيأخذه ويتصرف فيه ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما إيجاب وقبول أصلاً وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع
فيعرض متاعاً قيمته مائة دينار مثلاً فيمن يزيد فيقول هذا علي بتسعين ويقول الآخر علي بخمسة وتسعين ويقول الآخر بمائة فيقال
له زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول فقد استمرت به العادات وهذه من المعضلات التي ليست تقبل
العلاج إذ الاحتمالات ثلاث إما فتح باب المعاطاة مطلقاً في الحقير والنفيس وهو محال إذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه
وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم فبماذا يحكم بانتقال
الملك من الجانبين لا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب والثياب النفيسة وما يكثر التنازع فيه إذ للمسلم أن
يرجع ويقول قد ندمت وما بعته وإنما لم أقصد إلا الإعطاء وتسليم وذلك ليس ببيع واحتمال آخر أن نسد الباب كما قال الشافعي
رحمه الله من إبطال العقد وفيه إشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات معتاداً في زمن الصحابة رضي الله عنهم ولو كانوا
يتكلفون الإيجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلاً منتشراً ولكان يشتهر وقت الإعراض
بالكلية عن تلك العادة فإن الأعصار في مثل هذا تتقارب والثاني أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الإنسان شيئاً من
الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة فأي فائدة في تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك والاحتمال الثالث أن يفصل
بين المحقرات وغيرها كما قال أبو حنيفة رحمه الله عليه وعند ذلك يعسر الضبط في المحقرات ويشكل عليه وجه نقل الملك من غير لفظ
يدل عليه وقد ذهب ابن سريج رحمه الله إلى تخريج قول للشافعي رحمه الله على وفقه وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس
لو ملنا إليه لمسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولغلبة الظن بأن ذلك كان معتاداً في الأعصار الأول فأما الجواب عن
الإشكالين فهو أن نقول أما الضبط في فصل المحقرات عن غيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فإن ذلك غير ممكن بل له طرفان
واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدودة في المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاطاة وطالب
الإيجاب والقبول فيه يعد مستقصياً ويستبرد تكلفه لذلك ويستثقل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ولا وجه له فهذا
طرف المحقرات والطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها
وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها أنها في محل الشبهة فحق ذي الدين أن يميل فيها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم
بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشكلة وأما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو أن يجعل الفعل باليد أخذاً
وتسليماً سبباً إذ اللفظ لم يكن سبباً لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم إليه
مسيس الحاجة وعادة الأولين واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها وأي فرق بين أن
يكون فيه عوض أو لا يكون إذ الملك لا بد من نقله في الهبة أيضاً إلا أن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس
كان طلب الإيجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما نراه أعدل الاحتمالات وحق الورع
المتدين أن لا يدع الإيجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف فلا ينبغي أن يمتنع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول فإن ذلك
لا يعرف تحقيقاً فربما اشتراه بإيجاب وقبول فإن كان حاضراً عند شرائه أو أقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فإن كان الشيء
محقراً وهو إليه محتاج فليتلفظ فإنه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه إذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن فإن قلت
إن أمكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل إذا حضر في ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابها قد اكتفوا بالمعاطاة في بيع أو سمع ذلك منهم
أو رآه أيجب عليه الامتناع من الأكل فأقول يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان الشيء الذي اشتروه نفيساً ولم يكن من المحقرات
وأما الأكل فلا يجب الامتناع منه فإني أقول إن تردد في جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغي أن لا يجعله دلالة على الإباحة
فإن أمر الإباحة أوسع وأمر نقل الملك أضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع إذن في الأكل وإذن في الإطعام
لمن يريده المشتري يعلم ذلك بقرينة الحال كإذن الحمامي في دخول الحمام فينزل منزلة ما لو قال أبحت لك أن تأكل هذا الطعام أو تطعم

من اردت فانه يحله ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه يحل الاكل ويلزمه الضمان بعد الاكل هذا قياس الفقه عندي
ولكنه بعيد المعاطاة فاكل ملكه وسلف لو تعليل الضمان وذلك في ذمته واما الثمن الذي سلمه ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل
حقه فله ان يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وان كان قادرا على مطالبته فانا لا نجعل ما ظفر به من ملكه الا في بلد لا يدري ملكه
العين ان تصرف الى دينه فعليه المراجعة واما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد ان يجعل الفعل دلالة
على الرضا بان يستوفي دينه مما سلم اليه فليلاحظ بجهته لكن على الاحوال جانب البائع اغمض لان ما اخذه قد يريد المالك ان يشتري
ولا يمكنه التملك الا اذا تلف من طعام في يد المشتري ثم ربما يفتقر الى استيفاء فيحصل التملك كما يكون قد تملك بمجرد رضا
استفاده من الفعل دون القول واما جانب المشتري للطعام فهو لا يريد الا الاكل فانه ذلك مباح بالاباحة المفهومة من
قرينة الحال ولكن يلزمه ضمان ما اتلف ففي ذلك القياس ان الضمان يسقط عنه اذا تملك البائع ما اخذه من المشتري
فيكون كالقابض منه والمتحمل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها والعلم عند الله من احتمالات تظنون اوردناها
ولا يمكننا الفتوى الا على هذه الظنون واما الورع فانه ينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبه **العقد الثاني**
عقد الربا وقد حرمه الله تعالى وشدد الامر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين على
الاطعمة اذ لا ربا الا في نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل اما النسيئة فان لا يبيع شيئا من جواهر النقدين
بشيء من جواهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى
دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة به حرام من حيث النساء ومن حيث ان الغالب انه يجري فيه تفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل
وزنه واما الفضل فيحترز منه في ثلثة في بيع المكسر بالصحيح فلا تجوز المعاملة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي فلا
ينبغي ان يشتري رديا بجيد دونه في الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة
فان اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة فالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ان
كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها اصلا الا اذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة عليه اذا لم يقابل
بالنقد وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس اذا لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها لان المقصود منها النقرة وهي مجهولة وان
كان نقدا رائجا في البلد رخصنا في المعاملة لاجل الحاجة وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها ولكن لا تقابل بالنقرة اصلا
وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي ان يشترى بمتاع آخر ان كان مقدار الذهب
منه معلوما الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها من النقرة
وبما اريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصيرفي ان يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا ان يبيعه بل بالفضة ان لم يكن
فيها فضة ويجوز شراء ثوب منسوج بالذهب بحيث لو عرض على النار لم يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة
وغيرها واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والمشتري او لم يختلف فان اتحد الجنس
فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد في هذا معاملة القصاب بان يسلم اليه الغنم ويشتري به اللحم نقدا او نسيئة وهو حرام
ومعاملة الخباز بان يسلم اليه الحنطة ويشتري به الخبز منه نسيئة ونقدا وهو حرام ومعاملة العصار بان يسلم اليه الجوز واللوز والسمسم
ليأخذ منه الادهان وهو حرام وكذا اللبان يعطي اللبن ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر اجزاء اللبن فلا يباع الطعام
بجنسه الا اذا كان مثلا بمثل وما ذكرناه لا يجوز ان يباع به مماثلا ولا متفاضلا فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز
وسويق ولا بالعنب دبس وخل وعصير ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام
في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب مماثلا ومتفاضلا فهذه جمل مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على
ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتي فيها اذا تشكك والتبس عليه واذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم
الربا والحرام وهو لا يدري **العقد الثالث** السلم وليراع التاجر فيه عشرة شروط

الاول ان يكون رأس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى قيمة رأس المال فان اسلم كفا من الدراهم
جزافا في كر حنطة لم يصح في احد القولين الثاني ان يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ
السلم الثالث ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والالبان
واللحوم ومتاع العطارين واشباهها ولا يجوز في المعجونات والمركبات وما تختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف
والنعال المختلفة اجزاؤها وصنعتها ولا في جلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ
يعفى عنه ويتسامح فيه الرابع ان يستقصي وصف هذه الامور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتا
لا يتغابن بمثله الا ذكره فان ذلك الوصف يقوم مقام الرؤية في البيع الخامس ان يجعل الاجل معلوما ان كان مؤجلا فلا يؤجل
الى الحصاد ولا الى ادراك الثمار بل الى الاشهر والايام فان ذلك قد يتقدم ويتأخر السادس ان يكون المسلم فيه مما يقدر على
تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا ينبغي ان يسلم في العنب الى اجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فان كان الغالب
وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة فله ان يمهله ان شاء او يفسخ ويرجع في رأس المال ان شاء السابع ان يذكر
مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كيلا يثير ذلك نزاعا الثامن ان لا يعلقه بمعين فيقول من حنطة هذا الزرع او ثمرة هذا البستان
فان ذلك يبطل كونه دينا نعم لو اضاف الى ثمرة بلد او قرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع ان لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود
مثل درة موصوفة يعز مثلها او جارية حسناء معها ولدها او غيرها مما لا يقدر عليه غالبا العاشر ان لا يسلم في طعام مهما
كان رأس المال طعاما سواء كان من جنسه او لم يكن ولا يسلم في نقد اذا كان رأس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربا والله اعلم
العقد الرابع الاجارة وله ركنان الاجرة والمنفعة فاما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن
فينبغي ان يكون معلوما او موصوفا بكل ما شرطناه في المبيع ان كان عينا وان كان دينا فينبغي ان يكون معلوم الصفة والقدر
وليحترز فيه عن امور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بعمارتها فذلك باطل اذ قدر العمارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على
المكتري ان يصرفها الى العمارة لم يجز لان عمله في الصرف الى العمارة مجهول ومنها استئجار السلاخ على ان ياخذ الجلد بعد السلخ
واستئجار حمال الجيف بجلد الجيفة واستئجار الطحان بالنخالة او ببعض الدقيق وهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله
على عمل الاجير فلا يجوز ان يجعل اجرة ومنها ان يقدر في اجارة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم
يقدر اشهر الاجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة **الركن الثاني** المنفعة المقصودة بالاجارة وهي العمل وحده
ان كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وجملة فروع الباب مندرجة تحت
هذه الرابطة ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات وانما نشير الى ما تعم به البلوى فليراع في العمل الماثل
عليه امور خمسة الاول ان يكون متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب فلو استأجر طعاما ليزين به الدكان او اشجارا ليجفف
عليها الثياب او دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فان هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وبر من الاعيان وذلك لا يجوز بيعها
ولهذا لا يستأجر بياع على ان يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما ياخذ البياع عوضا عن جاههم وحشمتهم وقبول قولهم
في ترويج السلع فهو حرام اذ ليس يصدر منهم الا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وانما يحل لهم اذا تعبوا بكثرة التردد والكلام
في تأليف امر المعاملة ثم لا يستحقون الا اجرة المثل فاما ما تواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس ماخوذا بالحق الثاني ان لا يتضمن
الاجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاعه واجارة المواشي للبنها واجارة البساتين لثمارها ويجوز استئجار
المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افرادها غير ممكن وكذا يتسامح بالوراق وحبر الخياط لانهما لا يقصدان على حيالهما الثالث
ان يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الاخرس على التعليم ونحوه
وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سليمة او قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه او استئجار الحائض
على كنس المسجد او المعلم على تعليم السحر او الفحش او استئجار زوجة الغير على الارضاع دون اذن زوجها او استئجار المصور على صورة

الحيوانات او استيجار الصانع على صنعة الاواني من الذهب والفضة وكل ذلك باطل الـرابع ان لا يكون العمل واجبا على
الاجير او لا يكون بحيث لا تجري النيابة فيه فلا يجوز اخذ الاجرة على الجهاد وعلى سائر العبادات التي لا نيابة فيها اذ لا يقع ذلك
عن المستاجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي اخذ الاجرة على امامة صلوة التراويح وعلى
الاذان وعلى التصدي للتدريس او اقراء القرآن خلاف اما الاستيجار على تعليم مسئلة بعينها او تعليم سورة بعينها لشخص معين
صحيح الخامس ان يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل
الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز اهماله وتفصيل ذلك يطول وانما ذكرنا هذا
ليعرف به جليات الاحكام ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسأل فان الاستقصاء شان المفتي لا شان العوام **العقد**
الخامس القراض وليراع فيه ثلثة اركان الركن الـثاني الربح وليكن معلوما بالجزئية بان يشترط له الثلث او النصف او ما
شاء فلو قال على ان لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز اذ ربما لا يكون الربح اكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بجزء
شائع الثالث العمل الذي على العامل وشرطه ان يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتاقيت فلو شرط ان يشتري بالمال
ماشية ليطلب نسلها ويتقاسمان النسل او حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح لان القراض مأذون فيه في التجارات وهو البيع
والشراء وما يقع من ضروراتهما فقط وهذه حرف اعني الخبز ورعاية المواشي ولو ضيق عليه وشرط ان لا يشتري الا من فلان او لا
يتجر الا في الخز الاحمر او شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل يتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما
اراد المالك الفسخ فله ذلك فاذا فسخ في حالة المال كله نقد لم يخف وجه القسمة وان كان عرضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك
تكليفه ان يرده الى النقد لان العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وان قال العامل ابيعه وابى المالك فالمتبوع رأي المالك الا اذا
وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على راس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار راس المال بجنس راس المال لا بنقد آخر
حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه وليس له بيع الفاضل على راس المال ومهما كان راس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لاجل الزكوة
فاذا كان قد ظهر من الربح شيء فالاقيس ان زكوة نصيب العامل على العامل وانه يملك الربح بالظهور وليس للعامل ان يسافر بمال
القراض دون اذن المالك فان فعل صحت تصرفاته ولكنه ضمن الاعيان والاثمان جميعا لانه عدوان بالنقل يتعدى الى نقل المنقول
وان سافر بالاذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما ان نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله
على رأس المال فاما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له ان يبذل عليه اجرة وعلى العامل نفقته وسكناه في البلد وليس عليه
اجرة الحانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض واذا رجع فعليه ان يرد بقايا الات السفر من
المطهرة والسفرة وغيرهما **العقد السادس** الشركة وهي اربعة انواع ثلثة منها باطلة الاول شركة المفاوضة
وهي ان يقولا تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا وعلينا ومالاهما متميزان الـثاني شركة الابدان وهي ان يتشارطا الاشتراك في اجرة
العمل الثالث شركة الوجوه وهو ان يكون لاحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل وانما الصحيح
الرابع المسماة شركة العنان وهو ان يختلطا ماليهما بحيث لا يتميز الا بقسمة ويأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف
ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز ان يغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول وبالقسمة ينفصل
الملك عن الملك والصحيح انه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه
على كل مكتسب والا اقتحم الحرام من حيث لا يدري واما المعاملة مع القصاب والخباز والبقال فلا يستغني عنها المكتسب وغير المكتسب
والخلل فيه من ثلثة اوجه من اهمال شروط البيع او اهمال شروط السلم او الاقتصار على المعاطاة اذ العادة جارية بكتبة الحظوظ
على جهة الحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما نرى القضاء باباحته لحاجة ونحمل
تسليمهم على اباحة التناول مع انتظار العوض فيحل اكله ولكن يجب الضمان باكله ويلزم قيمته يوم الاتلاف فتجتمع في الذمة تلك
القيم فاذا وقع التراضي على مقدار ينبغي ان يلتمس منهم كما يطالب المطلق تحللا ليبقى عهدة ان يتطرق اليه تفاوت في التقويم فهذا

يجري العادة به فان تكليفه وزن الثمن لكل واحد من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذلك التكليف بالعقد
والقبول [illegible] في كل نوع سهل يعتمد به

الباب الثالث

في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة اعلم ان المعاملة قد تجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض
به المعامل لسخط الله تعالى اذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد وهذا الظلم نعني به ما يستضر به الغير وهو منقسم الى ما يعم ضرره والى ما
يخص المعامل **القسم الاول** فيما يعم ضرره وهو انواع النوع الاول الاحتكار فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار وهو ظالم
عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته
كفارة لاحتكاره وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ
من الله وبرئ الله تعالى منه وقيل فكانما قتل الناس جميعا وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام اربعين يوما قسا قلبه وعنه انه احرق
طعام محتكر بالنار وروي في فضل ترك الاحتكار عن الخير طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفي لفظ آخر فكانما اعتق
رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم وداخل تحته وعن بعض السلف انه
كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة
في السعر فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة فربح فيه امثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام
يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وانك قد خالفت وما نحب ان نربح اضعافه بذهاب شيء من الدين وقد جنيت علينا
جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق على فقراء البصرة وليتني انجو من اثم الاحتكار كفافا لا علي ولا لي واعلم ان النهي
مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس اما الجنس فيطرد النهي في اجناس الاقوات اما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت
كالادوية والعقاقير والزعفران واشباهه فلا يتعدى النهي اليه وان كان مطعوما واما ما هو معين على القوت كاللحم والفواكه وما
يسد مسد شيء من القوت في بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن
والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه واما الوقت فيحتمل ان يطرد النهي في جميع الاوقات وعليه يدل الحكاية التي
ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون في تاخير
بيعه ضرر ما فاما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم
ينتظر قحطا كان في ادخار العسل والسمن والشيرج واشباهها امر لا ينبغي ان يقتضي تحريمه ويعول في نفي التحريم والاباحة على
انه يفهم قطعا من تخصيص الطعام واذا لم يكن ضرر فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية لانه ينتظر مبادي الضرار وهو
ارتفاع الاسعار وانتظار مبادي الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دون انتظار عين الضرار وانتظار عين الضرار ايضا هو دون الاضرار
فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا يستحب لانه طلب ربح والاقوات
اصول خلقت قواما والربح من المزايا فينبغي ان يطلب فيما خلقت من جملة المزايا التي لا ضرورة للخلق اليها ولذلك اوصى بعض التابعين
رجلا فقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتان ان يكون
جزارا فانها صنعة تقسي القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة النوع الـثاني ترويج الزيف من الدراهم
في اثناء النقد فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروجه على غيره وكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد
في الايدي ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه فانه الذي فتح ذلك الباب قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيئا وقال بعضهم
انفاق درهم زيف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة اظهرها
في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة او مائتي سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه
ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة

سنة يعذب بها في قبره ويسأل عنها الى آخر انقراضها قال الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم اي نكتب ايضا ما اخروه من آثار اعمالهم كما
نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر وانما اخر آثار اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره وليعلم ان في الزيف خمسة
امور الاول انه اذا رد عليه شيء منه فينبغي ان يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه ان يروجه في بيع آخر وان افسده
بحيث لا يمكن التعامل به جاز الثاني انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه ولكن لئلا يسلم الى مسلم زيفا وهو
لا يدري فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون
علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم الثالث انه ان سلم وعرف المعامل انه زيف لم يخرج عن الاثم لانه ليس يأخذه الا ليروجه
على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا فانما يتخلص من اثم الضرر الذي يخص معامله فقط الرابع
انه ان يأخذ الزيف ليعمل بقوله عليه السلام رحم الله سهل البيع سهل القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر وان
كان عازما على ان يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض الخير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء الخامس ان
الزيف نعني به ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه او ما لا ذهب فيه اعني في الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو
نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وقد رأينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة او لم يعلم وان
لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم مقدار النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان
لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع
العنب ممن يعلم انه يتخذه الخمر وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بمثل هذا في التجارة اشد من
المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق افضل من المتعبد وقد كان السلف
يحتاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال حملت على فرسي لاقتل علجا فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا
مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا
وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس ووضعت رأسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرأيت
في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك اردت ان تأخذ علي العلج ثلاث مرات وانت بالامس اشتريت لي علفا
ودفعت في ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا ابدا فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وابدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره
وليقس عليه امثاله **القسم الثاني** ما يخص ضرره المعامل فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه
المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب لاخيه الا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره به بل
ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم من باع اخاه شيئا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانق فانه
ترك النصح المأمور به في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذه جملته فاما تفصيله ففي اربعة امور ان لا يثني على السلعة بما
ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا اصلا وان لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئا وان لا يكتم من سعرها
ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه اما الاول فهو ترك الثناء فان وصفه السلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل المشتري فهو تلبيس
وظلم مع كونه كذبا وان لم يقبل فهو كذب واسقاط مروءة اذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروءة وان اثنى على السلعة
بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه انه لم تكلم بها قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا
ان يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب فلا بأس بذكر
القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده منه ان يعرفه اخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته ولا
ينبغي ان يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا
فقد جعل الله تعالى عرضة لايمانه وقد اساء فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفي الخبر
ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وفي الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب

وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان بعطيته
ومنفق سلعته بيمينه فاذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ
في امر اليمين وقد روي عن يونس بن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشراء فاخرج غلامه سفط الخز ونشره ونظر اليه وقال
اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة فمثل هؤلاء هم الذين
اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجاراتهم بل علموا ان ربح الآخرة اولى بالطلب من ربح الدنيا الثاني ان يظهر جميع عيوب
المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فان اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة
والنصح واجب ومهما اظهر احسن وجهي الثوب واخفى الثاني كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك
اذا عرض احسن فردي الخف والنعل وامثاله ويدل على تحريم الغش ما روي انه عليه السلام مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده
فيه فرأى بللا فقال ما هذا فقال اصابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ويدل على
وجوب النصح باظهار العيوب ما روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه
واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال ان شئت فخذ وان شئت
فاترك فقيل له انك اذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصح لكل مسلم وكان
واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلاثمائة درهم فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح
به يا هذا اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رأيته وانها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم
وقال لواثلة رحمك الله افسدت علي بيعي فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا تبيينه فقد فهموا من النصح
ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضائل وزيادة المقامات بل اعتقدوا انه من شروط الاسلام
الداخلة تحت بيعتهم وهذا امر يشق على اكثر الخلق فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس لان القيام بحقوق
الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها الا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما
ان تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من متفرقات التلبيسات يهلكه الله
دفعة واحدة وقد حكي ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيع فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض اولاده
ان تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة كيف وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما واذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما وفي الحديث يد الله على الشريكين ما لم
يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذن لا يزيد المال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان
لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين والدنيا
والالاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الافلاس منه ويراه اصلح له في بعض احواله
فيعرف معنى قولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر
عليه ان يعلم ان ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وان فوائد اموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها واوزارها
فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم وفي لفظ آخر ما لم
يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله كذبتم لستم بها صادقين وفي حديث
آخر من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان يحجزه عما حرم الله وقال ايضا ما آمن بالقرآن من استحل
محارمه ومن علم ان هذه الامور قادحة في ايمانه وان ايمانه رأس ماله في تجارة الآخرة لم يضيع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له

بسبب ربح يتمتع بها الوارث بعده وعن بعض التابعين لو دخلت الجامع وقيل لي من خير هؤلاء وهو غاص باهله لقلت انصحهم
لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قيل لي من شرهم قلت من اغشهم لهم فاذا قيل هذا قلت هو شرهم والغش حرام في البيوع
والصنائع جميعا فلا ينبغي ان يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي ان يحسن الصنعة ويحكمها
ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب فيتخلص [illegible] الوجهين سواء ولا تفضل اليمنى على الاخرى وجود الحشو وليكن شيئا
واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق احدى النعلين على الاخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه احمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لا يتبين قال
لا يحل لمن يبيعه ان يخفيه وانما يحل للرفاء اذا علم انه يظهره او انه لا يريده للبيع فان قلت فلا تتم المعاملة مهما وجب على الانسان
ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط التاجر ان لا يشتري للبيع الا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع
في بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا يحتاج الى تلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير
الا بتلبيس فمن تعود هذا لم يشتر المعيب فان وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري
ابرا اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري انها تنخمت مرة عندنا دما فهكذا
كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة او ليوطن نفسه على عذاب الآخرة الثالث ان لا يكتم في المقدار وذلك
بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل الحقيقي
قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك ان يتعداه وكان بعضهم يقول لا اشتري
الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والارض
وما اخسر من باع طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز من هذا لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات حتى يجمعهم
ويؤدي حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وارجح ونظر
فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه فقال يا بني فعلك هذا افضل من
حجتين وعشرين عمرة وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان صلوات
الله عليه لابنه كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له انه كان فاسقا
فسكت فاعيد عليه فقال كانك قلت لي كان صاحب ميزان يعطي باحدهما وياخذ بالآخر اشار به الى ان فسقه مظلمة بينه وبين
الله ومظالم العباد والمسامحة والعفو فيها ابعد والتشديد في امر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة
وفي قراءة عبد الله بن مسعود لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان اي لسان الميزان فان النقصان
والرجحان يظهر بميله وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولا ينصفه بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى
ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فان تحريم ذلك في الكيل ليس لكونه مكيلا بل لكونه امرا مقصودا ترك
العدل والنصفة فيه فهو جار في جميع الاعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في افعاله واقواله
وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها
كان على ربك حتما مقضيا فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظيما
فلذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم الفا والوف سنين
فنسال الله تعالى ان يقربنا من الاستقامة والعدل فان الاستداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عن جنباته غير مطموع فيه فانه ادق
من الشعر واحد من السيف ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفاته
انه ادق من الشعر واحد من السيف وبقدر الاستقامة على الصراط يخف العبد يوم القيامة على الصراط وكل من خلط بالطعام
ترابا ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظاما لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس

على هذا سائر التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في وقت الذرع ولم يمده واذا
باع مده في الذرع ليظهر تفاوتا في القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل الرابع ان يصدق في سعر الوقت
ولا يخفي منه شيئا فقد نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن تلقي الركبان ونهى عن النجش اما تلقي الركبان فهو ان يستقبل الرفقة و
يتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال عليه السلام لا تتلقوا الركبان ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق
وهذا الشراء منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وان كان صادقا ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر وزوال
التلبيس ونهي ايضا ان يبيع حاضر لباد وهو ان يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد ان يتسارع الى بيعه فيقول له الحضري
اتركه عندي حتى اغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهي
ولانه تاخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق ونهي عن النجش وهو ان يتقدم الى البائع بين يدي
الراغب المشتري ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها وانما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا ان لم يجر مواطاة مع البائع
فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وان جرى مواطاة ففي ثبوت الخيار خلاف والاولى اثبات الخيار لانه تغرير بفعل يضاهي
التغرير في المصراة وتلقي الركبان فهذه المناهي تدل على انه لا يجوز ان يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت ويكتم منه امرا لو علمه
لما اقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب وقد حكي عن رجل من التابعين انه كان بالبصرة وله غلام
بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه غلامه ان قصب السكر قد اصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا
فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين الفا فانصرف الى منزله فافكر ليلته فقال ربحت ثلاثين الفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما اصبح
غدا الى بائع السكر فدفع اليه ثلاثين الفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن اين صارت لي فقال اني كتمتك حقيقة الحال
وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد اعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات
ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيى مني فتركها لي فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو اطيب لقلبي فاخذ
منه ثلاثين الفا فهذه الاخبار في المناهي والحكايات تدل على انه ليس له ان يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي من
البائع غلاء السعر او من المشتري تراجع الاسعار فان فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بان يقول
بعت بما قام علي او بما اشتريته فعليه ان يصدق ثم يجب ان يخبر بما حدث بعد العقد من عيب او نقصان ولو اشترى الى اجل وجب
ذكره ولو اشترى مسامحة من صديق او ولده وجب ذكره لان المعامل يعول على عادته في الاستقصاء لا يترك النظر لنفسه فاذا
تركه بسبب من الاسباب فيجب اخباره اذ الاعتماد فيه على امانته

الباب الرابع في الاحسان في المعاملة

وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى سلامة راس المال
والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا براس
المال فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للمتدين ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان وقد قال الله تعالى
واحسن كما احسن الله اليك وقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ونعني بالاحسان
فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنال
رتبة الاحسان بواحد من ستة امور الاول في المغابنة فينبغي ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة واما اصل المغابنة
فماذون فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد اما
لشدة رغبته او لشدة حاجته في الحال فينبغي ان يمتنع من قبوله فذلك من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة ظلما
وقد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن
يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب قيمة كل حلة منها اربعمائة وضرب فيها ما قيمتها مائتان فمر الى الصلاة وخلف
ابن اخيه في الدكان فجاء اعرابي وطلب حلة باربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها فمضى بها

وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال له بكم اشتريت فقال بأربعمائة فقال لا تساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال
هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيه فقال له يونس انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده إلى الدكان
ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه وقال له أما استحييت أما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها
إلا وهو راض بها قال فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك وهذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث
غبن المسترسل حرام وكان الزبير بن عدي يقول أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن أن يشتري لحما بدرهم فغبن مثل
هؤلاء المسترسلين ظلم وإن كان من غير تلبيس فهو من ترك الإحسان وقلما يتم هذا إلا بنوع تلبيس وإخفاء سعر الوقت وإنما الإحسان
المحض ما نقل عن السري السقطي أنه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه وكأنه رأى أن يربح
على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فأتاه الدلال وكان من الصالحين وقد صار اللوز بتسعين فقال السري قد
عقدت عقدا لا أحله لست أبيعه إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلما لست آخذ منك إلا بتسعين
قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال وروي عن محمد بن
المنكدر أنه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب
ذلك الأعرابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال له إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال
وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك
وإما أن نرد عليك خمسة وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة فانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ
فقيل له محمد بن المنكدر فقال لا إله إلا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قحطنا فهذا إحسان في أن لا يربح على
العشرة إلا نصفا أو واحدا على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد
من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة كان علي رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق و
أعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت
ربحا قط ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسيئة ويقال إنه باع ألف ناقة فما ربح إلا عقلها باع كل عقال بدرهم فربح
عنها ألفا وربح من نفقته عليها ليومه **الثاني** في احتمال الغبن في المشتري إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئا من فقير
فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله عليه السلام رحم الله سهل البيع وسهل الشراء فأما إذا اشترى
من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد فقد ورد
من طريق أهل البيت المغبون لا محمود ولا مأجور وكان إياس بن معاوية قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين كان يقول
لست بخب والخب لا يخدعني ولا يخدع ابن سيرين ويخدع الحسن ويخدع أبي معاوية بن قرة والكمال في أن لا يغبن
ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن يخدع وأعقل من أن يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهم
من خيار السلف رضي الله عنهم يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على
اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال إن الواهب يعطي فضله وإن المغبون يغبن عقله وقال بعضهم إنما أمنع عقلي وبصيرتي فلا
أمكن الغابن منه فإذا وهبت أعطي لله ولا أستكثر منه شيئا **الثالث** في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه
مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالإمهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب إليه ومحثوث عليه
وقال عليه السلام رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء فليغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اسمح يسمح لك وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا
وفي لفظ آخر أظله الله في ظل عرشه حوسب فلم يوجد له حسنة فسئل هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أداين
الناس فأقول لفتياني سامحوا الموسر وأنظروا المعسر وفي لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله نحن أحق بذلك منك

فتجاوز عنه وغفر له وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره
بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضيه غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق
بجميعه كل يوم وقال صلى الله عليه وآله وسلم رأيت مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقيل معناه
أن الصدقة تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يتحمل ذل الاستقراض إلا محتاج ونظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى رجل يلازم
رجلا بدين فأومأ إلى صاحب الدين بيده ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فأعطه وكل من باع شيئا وترك ثمنه في الحال ولم يرهقه
إلى الطلب فهو في معنى المقرض وروي أن الحسن باع بغلة له بأربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا أبا سعيد
قال قد أسقطت عنك مائة فقال له فأحسن يا أبا سعيد فقال قد وهبت لك مائة أخرى فقبض من حقه مائتي درهم فقيل له يا أبا سعيد
هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الإحسان وإلا فلا وفي الخبر خذ حقك في عفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا **الرابع**
في توفية الدين ومن الإحسان حسن القضاء وذلك بأن يمشي إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشي إليه يتقاضاه فقد قال عليه السلام
خيركم أحسنكم قضاء ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته وليسلم أجود مما شرط وأحسن فإن عجز فلينو قضاءه مهما
قدر قال صلى الله عليه وآله وسلم من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من
السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمل وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فهم به أصحابه فقال دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالإحسان
أن يكون الميل الأكثر من المتوسط إلى من عليه الدين فإن المقرض يقرض عن الغنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذا
ينبغي أن تكون الإعانة للمشتري أكثر فإن البائع راغب عن السلعة يبغي ترويجها والمشتري محتاج إليها هذا هو الأحسن إلا أن يتعدى
من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه عن تعديه وإعانة صاحبه إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما
الخامس أن يقيل من يستقيله فإنه لا يستقيل إلا متندم مستضر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار
أخيه قال صلى الله عليه وآله وسلم من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة أو كما قال **السادس** أن يقصد في معاملته
جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطالبهم إن لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له دفتران
في الحساب أحدهما ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرفه من الضعفاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتهيه
فيقول أحتاج إلى خمسة أرطال مثلا من هذا وليس معي ثمنه فكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار
بل عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر أصلا ولا يجعله دينا ولكن يقول خذ ما تريد فإن تيسر لك فاقض وإلا فأنت في
حل وسعة فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست والقائم به محيي لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يمتحن
دين الرجل وورعه ولذلك قيل **شعر** لا يغرنك من المرء قميص رقعه ... أو إزار فوق عظم الساق منه رفعه ... ولدى الدرهم فانظر
غيه أو ورعه ... ولذلك قيل إذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه
وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال ائتني بمن يعرفك فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا فقال له عمر أنت جاره الأدنى الذي يعرف
مدخله ومخرجه قال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم الذي
يستبين به ورع الرجل قال لا قال أظنك رأيته قائما في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه أخرى قال نعم قال
اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فأتني بمن يعرفك

الباب الخامس

في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته لا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة وما يفوته
من الربح في الآخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وشفقته
على نفسه بحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه في العاجل وأحوج

نعم البيع في العاجل احمد عاقبة في الآجل وقال معاذ بن جبل في وصيته انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وانت الى نصيبك من الآخرة
احوج فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه فانه سيمر على نصيبك من الدنيا فينتظمه قال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اي
لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات واما تمام شفقة التاجر على دينه فيما يهمه بسبعة امور
الاول حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال
عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لسائر الخلق
ما يحب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والاحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في
السوق فاذا اضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا في طريق الآخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر في الدنيا ربح في الآخرة
الثاني ان يقصد القيام في صنعته او تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش
وهلك اكثر الخلق فانتظام امر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو اقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا وعلى
هذا حمل بعض الناس قوله اختلاف امتي رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما
يستغنى عنها لرجوعها الى طلب التنعم والتزين في الدنيا والآخرة فليشتغل صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص
وجميع ما تزخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه ذوو الدين فاما عمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك
من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم للرجال وصياغة الصائغ مراكب الذهب او خواتيم الذهب
للرجال فكل ذلك من المعاصي والاجرة المأخوذة عليه حرام ولذلك اوجبنا الزكاة فيها وان كنا لا نوجب الزكاة في الحلي لانها اذا
قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحلي المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا
ان بيع الطعام وبيع الاكفان مكروه لانه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء السعر ويكره ان يكون جزارا لما فيه من قساوة
القلب وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة
الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل
وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب وكرهوا
شراء الحيوان للتجارة لان المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي بصدده لا محالة وطوله وقيل بع الحيوان واشتر الموتان وكرهوا
الصرف لان الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولانه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد اعيانها وانما يقصد رواجها
وقلما يتم للصيرفي ربح الا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد فقلما يسلم الصيرفي وان احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر
الدرهم الصحيح والدينار الا عند الشك في جودته او عند ضرورة وقال احمد بن حنبل ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وعن اصحابه في الصياغة من الصحاح وانا اكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري ذهبا ويصوغه واستحبوا
تجارة البز قال سعيد بن المسيب ما من تجارة احب الي من البز ان لم يكن فيها ايمان وقد روي خير تجارتكم البز وخير صناعتكم
الخرز وفي حديث آخر لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف وقد كان غالب اعمال الاخيار من السلف
عشر صنائع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر
والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي
لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب الا مواسطة واستبق الحواشي وظهور الاجزاء واربعة من الصناع موسومون عند الناس
بضعف الرأي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء
العقول يضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد ان مريم مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة
فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجيب
دعاؤها وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات ومن فروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم وكذا الاذان

وصلاة التراويح وان حكم بصحة الاستيجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فان هذه اعمال حقها ان يتجر بها للآخرة واخذ
الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك الثالث ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة واسواق
الآخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال في بيوت اذن الله ان
ترفع ويذكر فيها اسمه فينبغي ان يجعل اول النهار الى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الاوراد وكان عمر رضي الله عنه
يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحو السلف يجعلون اول النهار وآخره للآخرة والوسط
للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤوس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر ان الملائكة اذا
صعدت بصحيفة العبد وفي اول النهار وفي آخره ذكر وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيئ الاعمال وفي الخبر تلتقي ملائكة الليل والنهار عند
طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله اشهدكم
اني قد غفرت لهم ثم مهما سمع الاذان في وسط النهار للاولى والعصر فينبغي ان لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما
كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة مع الامام في اول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء
وقد كان السلف يبتدرون عند الاذان ويخلون الاسواق للصبيان واهل الذمة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت
وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين
فكان احدهم اذا رفع المطرقة رمى بها وقام الى الصلاة الرابع ان لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله في السوق ويشتغل
بالتسبيح والتهليل فذكر الله في السوق بين الغافلين افضل قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل
بين الفارين وكالحي بين الاموات وفي لفظ آخر كالشجرة الخضراء بين الهشيم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من دخل السوق فقال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له
الف الف حسنة وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال
الحسن ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد
اهلها وكان عمر رضي الله عنه اذا دخل السوق قال اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما احاطت به السوق اللهم
اني اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة وقال ابو جعفر الفرغاني كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد
ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق
حكمه ان يدخل المسجد ويأخذ باذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه اني لاعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثمائة
ركعة وثلاثون الف تسبيحة قال فسبق الى وهمي انه يعني به نفسه فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم في الدنيا فان
من يطلب الدنيا للاستعانة على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد وانما النجاة بالتقوى قال
صلى الله عليه وآله وسلم اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت عليهم الاحوال وبه تكون
حياتهم وعيشهم اذ فيه يرون تجارتهم وربحهم وقد قيل من احب الآخرة عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش
الخامس ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بان يكون اول داخل وآخر خارج وبان يركب البحر في التجارة
فهما مكروهان يقال ان من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر لا يركب البحر الا لحج او عمرة او غزو وكان عمرو بن العاص
يقول لا تكن اول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فان بها باض الشيطان وفرخ وروي عن معاذ بن جبل وعبد الله
بن عمر ان ابليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فائت اصحاب الاسواق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة
وكن مع اول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر شر البقاع الاسواق وشر اهلها اولهم دخولا وآخرهم خروجا وتمام هذا الاحتراز
ان يراقب وقت كفايته فاذا حصل كفايته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كان صالحو السلف فقد كان منهم من اذا
ربح دانقا انصرف قناعة به وكان حماد بن سلمة يبيع الخز في سفط بين يديه فكان اذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال ابراهيم

ن بشار وقلت لا يرتم بن ادم امر اليوم اعمال الغد فقال يا ابن بشار الكتاب ومطالب تطلبك من الاسوية ومطالب ما لسوف
الدنيا ... يصلح ... وصغينا ... فانصرف ... ما نعنه ... تكيد انيا وطلب العمل ... فكان منهم
من يعمل بعد الظهر ومنهم من لا يعمل في الاسبوع الا يوما او يومين وكانوا يكتفون به السادس ان لا يقتصر على اجتناب الحرام
بل يتقي مواقع الشبهات ومظان الريب ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتي قلبه فاذا وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل اليه سلعة رابه
امرها سال عنها حتى يعرف والا اكل الشبهة وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبن فقال من اين لكم هذا فقيل من الشاة
فقال ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال
ان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم عن اصل الشيء واصل اصله ولم يزد لان ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال
فانه عليه السلام كان لا يسال عن كل ما يحمل اليه وانما الواجب ان ينظر التاجر الى من يعامله وكل منسوب الى ظلم او سرقة او خيانة
او ربا فلا يعامله وكذا الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل اصحابهم واعوانهم لانه معين بذلك على الظلم وحكي عن رجل انه
تولى عمارة سور لثغر من الثغور قال فوقع في نفسي من ذلك شيء وان كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام ولكن كان
الامير الذي تولى عمارته من الظلمة قال فسالت سفيان فقال لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين فقال
نعم ولكن اقل ما يدخل عليك ان تحب بقاءهم ليوفوك اجرك فتكون قد احببت بقاء من يعصي الله وقد جاء في الخبر من دعا لظالم
بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه وفي الحديث ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان
على هدم الاسلام ودخل سفيان على المهدي وبيده درج ابيض فقال يا سفيان اعطني الدواة حتى اكتب فقال اخبرني
اي شيء تكتب فان كان حقا اعطيتك وطلب بعض الامراء من بعض العلماء المحبوسين عنده ان يناوله طينا ليختم به الكتاب
فقال ناولني الكتاب اولا حتى انظر ما فيه فهكذا كانوا يحترزون من معاونة الظلمة ومعاملتهم اشد انواع الاعانة فينبغي
ان يجتنبه ذو الدين ما وجد اليه سبيلا وبالجملة فينبغي ان ينقسم الناس عنده الى من يعامل ومن لا يعامل وليكن من يعامله اقل
من لا يعامله في هذا الزمان قال بعضهم اتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لي ان اعامل من الناس
فيقال عامل من شئت ثم اتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت الا فلانا وفلانا ثم اتى زمان آخر فكان يقال لا تعامل احدا
الا فلانا وفلانا واخشى ان ياتي زمان يذهب هذا ايضا وكان قد كان الذي كان يحذر ان يكون انا لله وانا اليه راجعون السابع ينبغي
ان يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعلة
وقولة انه لم اقدم عليها ولاجل ماذا فانه يقال انه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة
على عدد من عامله قال بعضهم رايت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر علي خمسين الف صحيفة فقلت هذه
كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد من عاملت في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من اول المعاملة
الى آخرها فهذا ما على المكتسب في معاملته من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين
وان اضاف اليه الاحسان كان من المقربين فان راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكرناه في الباب الخامس كان من الصديقين والله اعلم

كتاب الحلال والحرام وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق الانسان من الطين اللازب والصلصال ثم ركب صورته في احسن تقويم
واتم اعتدال ثم غذاه في اول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه من طيبات
الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه عليه من طلب
القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال ولقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال فضيق عليه

عزة الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يدعوه الى اعماق العروق الا الشهوات المائلة الى الغلبة والاسترسال فبقيت لما وثقت
بزمام الحلال خائبة خاسرة ما لها من ناصر ولا وال والصلوة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل اما بعد فقد قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض اعصاها
على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله اذ ظن الجهال
ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت في
الموات وما عداه فقد اخبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذا تعذرت القناعة بالحشيش من
النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يدركوا بين الاموال فرقا
وفصلا وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات ولا تزال هذه الثلاث مقترنات كيف ما تقلبت
الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى
مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان المخرج التضييق عن حيز الامكان
ونحن نوضح ذلك في سبعة ابواب والله اعلم بالصواب

الباب الاول في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام

الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانهما في الحلال والحرام

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

الباب السادس في الدخول على السلاطين ومخالطتهم والله اعلم

الباب السابع في مسائل متفرقة

الباب الاول

في الحلال والحرام وفيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات
الورع فيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات
قبل العمل وقيل ان المراد به الحلال وقال الله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال الله تعالى ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما الآية وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ثم قال فان لم تفعلوا فاذنوا
بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم ثم قال ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
جعل آكل الربا في اول الامر مؤذنا بمحاربة الله وفي آخره متعرضا للنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى
وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما قال صلى الله عليه وآله وسلم
طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة قال بعض العلماء اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال
صلى الله عليه وآله وسلم من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في
درجة الشهداء وقال عليه السلام من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفي رواية
زهده الله تعالى في الدنيا وروي ان سعدا سال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يسال الله تعالى ان يجعله مجاب

الدعوة فقال له اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر عليه السلام الحريص على الدنيا فقال رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار
مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب لذلك وفي حديث ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فالصرف
النافلة والعدل الفريضة وقال عليه السلام من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلوته ما دام عليه وقال
صلى الله عليه وآله وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يبال من اين اكتسب
المال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في طلب الحلال وروي هذا مرفوعا
وموقوفا على بعض الصحابة ايضا وقال عليه السلام من امسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله عنه راض وقال
عليه السلام من اصاب مالا من مأثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار وقال
عليه السلام خير دينكم الورع وقال عليه السلام من لقي الله ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كله ويروى ان الله عز وجل قال واما
الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال عليه السلام درهم من ربا اشد عند الله من ثلثين زنية في الاسلام وفي حديث ابي
هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم
ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس و
اعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير وفي الحديث من اكتسب مالا من
حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار في كتاب آداب الكسب يكشف
عن فضل كسب الحلال واما الآثار فقد روي ان الصديق رضي شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله فقال تكهنت لقوم
فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيء قال الراوي حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق
وخالط الامعاء وفي بعض الاخبار انه عليه السلام اخبر بذلك فقال او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وكذلك شرب
عمر رضي من ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيأ وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة وهي الورع
وقال عبد الله بن عمر رضي لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار لم يقبل ذلك منكم الا بورع حاجز وقال
ابرهيم بن ادهم ما ادرك من ادرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله من عرف ما يدخل جوفه
كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابرهيم بن ادهم رحمه الله لم لا تشرب من ماء زمزم قال لو كان لي
دلو شربت وقال سفيان الثوري من انفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره الا الماء
والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله ومفتاحها الدعاء واسنانها لقمة الحلال وقال
ابن عباس لا يقبل الله صلوة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال
اداء الفرائض بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الموت وقال من احب
ان يكاشف بآيات الصديقين فلا ياكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة ويقال من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم
قلبه وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق
بمائة الف ومائة الف وقال بعض السلف ان العبد ياكل اكلة فيتقلب قلبه فينغل كما ينغل الاديم ولا يعود الى حاله ابدا
وقال سهل من اكل الحرام عصت جوارحه شاء ام ابى علم ام لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا اطاعته جوارحه ووفقت للخيرات
وقال بعض السلف ان اول لقمة ياكلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب
الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر ويروى في آثار السلف ان الواعظ كان اذا جلس للناس قال
العلماء تفقدوا منه ثلثا فان كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه على لسان الشيطان ينطق وان كان سيء الطعمة
فعن الهوى ينطق وان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الاخبار المشهورة عن علي عليه

ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب وروي ان بعض الصالحين دفع طعاما
الى بعض الابدال فلم ياكل فقيل له عنه فقال نحن لا ناكل الا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف الملكوت
ونشاهد الآخرة ولو اكلنا مما تاكلون ثلثة ايام لما رجعنا الى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له
الرجل فاني اصوم الدهر واختم القرآن في كل شهر ثلثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة التي رأيتني شربتها العشاء
احب الي من ثلثين ختمة في ثلثمائة ركعة من اعمالك وكانت شربة لبن من ظبية وحشية وقد كان بين احمد بن حنبل ويحيى بن معين
صحبة طويلة فهجره احمد اذ سمعه يقول اني لا اسأل احدا شيئا ولو اعطاني الشيطان لاكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح
فقال تمزح بالدين اما علمت ان الاكل من الدين قدمه الله على العمل الصالح فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وفي الخبر
انه مكتوب في التورية من لم يبال من اين مطعمه لم يبال الله من اي ابواب النار ادخله وعن علي رضي الله عنه انه لم ياكل بعد قتل عثمان و
نهب الدار طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة واجتمع فضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن
الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام الي الا اني لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة
وغيرها فقال ابن المبارك ان نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال ان اصول الضياع قد اختلطت
بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق قال لله
علي ان لا آكل خبزا ابدا حتى القاه فكان يشرب اللبن فاتته امه بلبن فسألها فقالت هو من شاة بني فلان فسأل عن
ثمنها وانه من اين لهم فذكرت فلما ادناه من فيه قال بقي انها من اين كانت ترعى فسكتت فلم يشرب لانه كان ترعى من موضع
للمسلمين فيه حق فقالت امه اشرب فان الله يغفر لك فقال ما احب ان يغفر لي وقد شربته فانال مغفرته بمعصيته وكان
بشر الحافي من الورعين فقيل له من اين تاكل فقال من حيث تاكلون ولكن ليس من ياكل وهو يبكي كمن ياكل وهو يضحك وقال
يد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمة وهكذا كانوا يتحرزون عن الشبهات اصناف الحلال ومداخله اعلم ان تفصيل
الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغني المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها لا
ياكل من غيرها فاما من يتوسع في الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه في كتب الفقه ونحن الآن
نشير الى مجامعه في سياق تقسيم وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه

القسم الاول

الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله ان الاعيان الماكولة على وجه الارض لا تعدو ثلثة اقسام فانها اما ان
تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من النبات او من الحيوان فاما المعادن وهي اجزاء الارض وجميع ما يخرج منها
فلا يحرم اكله الا من حيث انه يضر بالاكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخبز لو كان مضرا لحرم اكله والطين الذي يعتاد
اكله لا يحرم الا من حيث الضرر وفائدة قولنا انها لا تحل مع انها لا تؤكل انه لو وقع شيء منها في مرقة او طعام مائع لم يصر محرما
واما النبات فلا يحرم منها الا ما يزيل العقل او يزيل الحيوة او الصحة فمزيل العقل البنج والخمر وساير المسكرات ومزيل الحيوة
السموم ومزيل الصحة الادوية في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذي لا يسكر منها
ايضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة واما السم فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته او لعجنه بغيره فلا يحرم واما
الحيوانات فتنقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الاطعمة والنظر يطول في تفصيله لا سيما في الطيور الغريبة
وحيوانات البر والبحر وما يحل اكلها فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا روعي فيه شروط الذابح والآلة والمذبح وذلك مذكور
في كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا او مات فهو حرام ولا يحل الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل
من الاطعمة كدود التفاح والجبن فان الاحتراز منهما غير ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء
والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة لا سبب في تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره
لم يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره اكله كالنخامة والمخاط وشربه وكذلك

لنجاستها فان الصحيح انها لا تنجس بالموت اذ امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان يمقل الذباب في الطعام اذا وقع فيه وربما
يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ولو تهرت نملة او ذبابة في قدر لم يجب اراقتها اذ المستقذر ما يحرم اذا بقي له جرم ولم يجس
حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمي ميت في قدر ولو وزن دانق حرم الكل
لا لنجاسة فان الصحيح ان الآدمي لا ينجس بالموت ولكن لان اكله محرم احتراما وليس للاستقذار واما الحيوانات المأكولة فاذا ذبحت بشرط الشرع
فلا يحل جميع اجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس في الاعيان
شيء محرم نجس الا من الحيوانات واما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فان نجاسة المسكر تغليظ للزجر
عنه لكونه في مظنة التشوق ومهما وقع قطرة من النجاسة او جزء من نجاسة جامدة في مرقة او طعام او دهن حرم اكل
جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الاكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه
مجامع ما يحرم لصفة في ذاته

القسم الثاني

ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه وفيه يتسع النظر فنقول
اخذ المال اما ان يكون باختيار المتملك او بغير اختياره فالذي بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان يكون لا من مالك
كنيل المعادن او يكون من مالك والذي يؤخذ من مالك فاما ان يؤخذ قهرا او يؤخذ تراضيا والمأخوذ قهرا اما ان يكون
لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والمأخوذ تراضيا
اما ان يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة
اقسام الاول ما يؤخذ من غير مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار و
الاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون المأخوذ مختصا بذي حرمة من الآدميين فاذا انفك من الاختصاصات تملكها
آخذها وتفصيل ذلك في كتاب احياء الموات الثاني المأخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار
المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وامان
وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير وكتاب الفيء والغنيمة وكتاب الجزية الثالث ما يؤخذ قهرا باستحقاق
عند امتناع من عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه
واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض او سلطان او مستحق وتفصيله في كتاب تفريق الصدقات
وكتاب الوقف وكتاب النفقات اذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق
فاذا استوفيت شرائطها كان المأخوذ حلالا الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط
العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين اعني الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة
وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع
والكتابة والصداق وسائر المعاوضات الخامس ما يؤخذ بالرضا من غير عوض وهو حلال اذا روعي شرط المعقود
عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات
السادس ما يحصل بغير اختياره كالميراث وهو حلال اذا كان الموروث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال
ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكاة والحج والكفارات ان كان واجبا
وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض فهذه مجامع مداخل الحلال اشرنا الى جملتها ليعلم المريد انه ان كانت طعمته من جهة
لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور وكل من يأكل من جهة من هذه الجهات ينبغي ان يستفتي فيها اهل العلم ولا يقدم
عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد ان قيل لك طلب العلم فريضة
على كل مسلم

درجات الحلال والحرام

اعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال
كله طيب ولكن بعضه اطيب واصفى من بعض وكما ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة
الاولى كالسكر وبعضها في الثانية كالفانيذ وبعضها في الثالثة كالدبس وبعضها في الرابعة كالعسل وكذلك الحرام بعضه
خبيث في الدرجة الاولى وبعضه في الثانية والثالثة والرابعة وكذلك الحلال تتفاوت درجات صفائه وطيبه فلنقتد
باهل الطب في الاصطلاح على اربع درجات تقريبا وان كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر اذ يتطرق الى كل درجة من الدرجات
ايضا تفاوت لا ينحصر فان من سكر اشد حرارة من سكر وكذا غيره فلذلك نقول الورع عن الحرام على اربع درجات ورع
العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع
عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي
يرخص في التناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية
الثالثة ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهي
ورع المتقين قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس الرابعة
ما لا بأس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدي الى ما به بأس ولكنه يتناول لغير الله ولا على نية التقوي به على عبادة الله او تتطرق الى
اسبابه المسهلة له كراهية او معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة الى ان نفصلها
بالامثلة والشواهد اما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الاولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة واطراح سمة الفسق
فهو ايضا على درجات في الخبث فالمأخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة
المغصوب على سبيل القهر بل المغصوب اغلظ اذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وايذاء الغير وليس في المعاطاة ايذاء
وانما فيه ترك طريق التعبد فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من ترك ما ربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع
ووعيده وتأكيده في بعض المناهي على ما سيأتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الصغيرة والكبيرة بل المأخوذ ظلما
من فقير او صالح او يتيم اخبث واغلظ من المأخوذ من قوي او غني او فاسق لان درجات العقاب تختلف باختلاف درجات
المؤذي به فهذه دقائق في تفاصيل الخبائث لا ينبغي ان يذهل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت دركات النار واذا
عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة الى حصرها في ثلث درجات او اربع فان ذلك جار مجرى التحكم والتشهي وهو طلب حصر
فيما لا حاصر له ومما يدل على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سيأتي في تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض حتى
اذا اضطر الى اكل ميتة او اكل طعام الغير او اكل صيد الحرم فانا نقدم بعض هذه على بعض امثلة الدرجات
الاربع في الورع وشواهدها اما الدرجة الاولى وهو ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل من المداخل
الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي يصير مقتحمه الى الفسق والمعصية
وهو الذي نريده بالحرام المطلق فلا يحتاج الى امثلة وشواهد واما الدرجة الثانية فامثلتها كل شبهة لا يوجب
اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتي في باب الشبهات اذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فيلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها
والورع عنه ورع الموسوسين كمن يمتنع عن الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه وهذا
وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك
ونحمله على نهي التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم كل ما اصميت ودع ما انميت والانماء ان يجرح الصيد فيغيب عنه
ثم يدركه ميتا اذ يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر فاذا عمتنا كما سيأتي ان هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين
وقوله دع ما يريبك امر تنزيه وورد في بعض الروايات كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثر غير سهمك وكذلك قال صلى الله
عليه وآله وسلم لعدي بن حاتم في الكلب المعلم وان اكل فلا تأكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على سبيل التنزيه للخوف
اذ قال لابي ثعلبة الخشني كل منه فقالوا وان اكل منه قال وان اكل ولان حالة ابي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا يحتمل هذا الورع
فما لعدي كان يحتمله وحكي عن ابن سيرين انه ترك لشريك له اربعة آلاف درهم لانه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على انه لا

بأس وأمثلة هذه الدرجة ذكرناها عند التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة ولا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة

أما الدرجة الثالثة وهي ورع المتقين فيشهد له قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وقال عمر كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام وقال أبو الدرداء إن من تمام التقوى أن يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان فحمله إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرى فكل ما يستوفيه يأخذه بنقصان حبة وما يعطيه يزيده بزيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح الناس به فإن ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجر إلى غيره وتألف النفس الاسترسال وتترك الورع فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد أنه قال كنت ساكنا في بيت بكراء فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأتربه وأجففه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب فلما نمت وإذا أنا بشخص واقف يقول يا علي سيعلم غدا الذي يقول وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته فإن للتقوى منزلة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد به أنه يستحق عقوبة على فعله ومن ذلك ما روي أن عمر رضه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنته حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة أنا أجيد الوزن فقال لا أحببت أخاف أن تضعيه في الكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فأخذ بأنفه حتى لا تصيبه الرائحة وقال وهل ينتفع منه إلا بريحه لما استبعد ذلك منه وأخذ الحسن رضه تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال عليه السلم كخ كخ ألقها ومن ذلك ما روي عن بعضهم أنه كان عند محتضر فمات ليلا فقال أطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن وروى سليمان التيمي عن نعيمة العطارة قالت كان عمر يدفع إلى امرأته طيبا من طيب المسلمين فتبيعه امرأته فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر بأسنانها فتعلق بإصبعها شيء منه فقالت بكذا بإصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر فقال ما هذه الريح فأخبرته فقال طيب المسلمين تأخذينه فانتزع الخمار من رأسها وأخذ جرة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق بإصبعها منه شيء فأدخلت إصبعها في فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر ورع التقوى لخوف أداء ذلك إلى غيره وإلا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب إلى المسلمين ولكن أتلفه عليها زجرا وردعا وإبقاء من أن يتعدى الأمر ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رضه عن رجل يكون في المسجد فيحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال ينبغي أن يخرج من المسجد فإنه لا ينتفع من العود إلا بريحه وهذا قد يقارب الحرام فإن القدر الذي يعلق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد ويتشح به فلا يدري أنه يتسامح به أم لا وسئل أحمد عمن سقطت منه ورقة من أحاديث فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستأذن ثم يكتب وهذا أيضا قد يشك في أن صاحبه هل يرضى به أم لا فما هو في محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الأولى ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن يدعو إلى غيرها وإن كانت الزينة مباحة في نفسها وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السندية فقال أما أنا فلا أستعملها ولكن إذا كان للطين فأرخص فأما من أراد الزينة فلا ومن ذلك أن عمر رضه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة أن تشير إليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا كان من ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس أي مخافة أن يفضي إليه وأكثر المباحات داعية إلى المحظورات حتى استكثار الأكل واستعمال الطيب للمتعزب فإنه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو إلى الفكر والفكر يدعو إلى النظر والنظر إلى غيره وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو إلى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا المباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو عن خطر وكذلك كل ما أخذ بالشهوة فقلما يخلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان فقال أما تجصيص الأرض فيمنع التراب وأما تجصيص الحائط فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تجصيص المسجد وتزيينه واستدل بما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل أن يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى وإنما هو شيء مثل الكحل يطلى فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك خوفا من سريان التداعي الشهوات في المباحات إلى غيرها فإن المحظور والمباح يشتهيهما شهوة واحدة وإذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى خوف التقوى الورع عن هذا كله فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطلق في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف أداؤه إلى معصية البتة

أما الدرجة الرابعة وهو ورع الصديقين فالحلال عندهم كل ما لا تتقدم في أسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم ومن رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ أنفسهم المنفردين لله تعالى بالقصد ولا شك أن من يتورع عما يوصل إليه بمعصية أو يستعان به على معصية فيتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية أو كراهة فمن ذلك ما روي عن يحيى بن يحيى أنه شرب الدواء فقالت له امرأته لو مشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدواء فقال هذه مشية لا أعرفها وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين سنة فكأنه لم يحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجز الإقدام عليه وعن سري رضه أنه قال انتهيت إلى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي إن كنت قد أكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فهتف بي هاتف أن القوة التي أوصلتك إلى هذا الموضع من أين هي فرجعت وندمت ومن هذا ما روي عن ذي النون المصري رحمه الله أنه كان جائعا محبوسا فبعثت إليه امرأة صالحة طعاما على يد السجان فلم يأكل ثم اعتذر فقال جاءني على طبق ظالم يعني أن القوة التي أوصلت الطعام إلي لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع ومن ذلك أن بشرا رضه كان لا يشرب الماء من الأنهار التي حفرها الأمراء فإن النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور بأعمال الأجراء وقد أعطيت أجرتهم من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من الكرم الحلال وقال لصاحبه أفسدته إذ سقيته من الماء الجاري من النهر الذي حفره الظلمة وهذا أبعد عن الظلم من شرب الماء لأنه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء فكان بعضهم إذا احتاج في طريق الحج لم يشرب من المصانع التي عملها الظلمة مع أن الماء لله ولكن بقي محفوظا بالمصنع المصنوع بمال حرام فكأنه انتفع به وامتناع ذي النون من يد السجان أعظم من هذا كله لأن يد السجان لا توصف بأنها حرام بخلاف الطبق المغصوب إذا حمل عليه ولكن وصل إليه بقوة اكتسبها بالغذاء الحرام ولذلك تقيأ الصديق رضه اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه قوة مع أنه شربه على جهل وكان لا يجب إخراجه ولكن تخلية الباطن عن الخبث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع كسب حلال الكسب خياط يخيط في المسجد فإن أحمد رضه كره جلوس الخياط في المسجد وسئل عن المغازلي يجلس في قبة من المقابر وقت يخاف من المطر فقال إنما هي من أمر الآخرة وأطفأ بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره مالهم وامتنع من تسجير تنور للخبز وقد بقي فيه جمر من حطب مكروه وامتنع من أن يحكم شسع نعله في مشعلة السلطان فهذه دقائق الورع عند سالكي طريق الآخرة والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما أخذ بشهوة أو يوصل إليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان العبد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوازا على متن الصراط وأبعد عن أن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت دركات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث وإذا علمت حقيقة الأمر فإليك الخيرة فإن شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص والسلام والله أعلم

الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها

بين الحلال والحرام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فإن ما لا يعرفه الكثير قد يعرفه القليل فنقول الحلال المطلق هو الذي خلت عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وانحل عن أسبابه ما تطرق إليه تحريم أو كراهية ومثاله الماء الذي يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقفا عند جمعه وأخذه من الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة والحرام المحض ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة في الخمر والنجاسة في البول أو حصل بسبب منهي عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكن احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فإن صيد البر والبحر حلال ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلتت منه وكذلك السمك يتصور أن يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء المطر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء المطر والاحتراز منه وسواس فلنسم هذا الفن من الورع ورع الموسوسين حتى يلتحق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فإن كان قاطعا كما لو وجد حلقة في أذن السمك أو كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كيا لا يقدر عليه إلا بعد الضبط ويحتمل أن يكون جرحا فهذا موضع الورع وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير أو يغيب عنه المعير فيتحرج عن العاريات وصار الحق للوارث فهذا وسواس إذ لم يدل عليه سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المحذورة ما تنشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشآ عن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكا ولهذا نقول من شك أنه صلى ثلاثا أو أربعا أخذ بالثلاث إذ الأصل عدمه ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التي أداها قبل هذا بعشر سنين كانت أربعا أو ثلاثا لم يتحقق قطعا أنها أربع وإذا لم يتحقق جوز أن يكون ثلاثا وهذا التجويز لا يكون شكا إذ لم يحضره سبب يوجب اعتقاد كونها ثلاثا فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب فهذا ملتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إليّ فأكله فإقدامه عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له فلا ينبغي أن يعد هذا النمط من أقسام الشبهات وإنما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين ومثارات الشبهة خمسة المثار الأول الشك في سبب المحلل والمحرم وذلك لا يخلو إما أن يكون متعادلا أو غلب أحد الاحتمالين فإن تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا إلا بالمثال والشواهد فلنقسمه على أقسام أربعة

القسم الأول أن يكون التحريم معلوما من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الإقدام عليها مثاله أن يرمي إلى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري أنه مات بالغرق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين فلا يترك اليقين بالشك كما في الأحداث والنجاسات وركعات الصلوات وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعدي بن حاتم لا تأكله فلعله قتله كلب غير كلبك ولذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتي بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أيهما هو وروي أنه أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقت يا رسول الله قال أجل وجدت تمرة فخشيت أن تكون من الصدقة وفي رواية فأكلتها فخشيت ومن ذلك ما روي عن بعضهم أنه قال كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور تغلي بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل فأخاف أن تكون هذه فأكفأناها ثم أعلم الله تعالى بعد ذلك أنه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا وكان امتناعه أولا لأن الأصل عدم الحل وشك في كون الذبح محللا

القسم الثاني أن يعرف الحل ويشك في المحرم فالأصل الحل وله الحكم كما إذا نكح رجلان امرأتين وطار طائر فقال أحدهما إن كان هذا غرابا فامرأتي طالق وقال الآخر إن لم يكن فامرأتي طالق والتبس أمر الغراب فلا نقضي بالتحريم في واحدة ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى تحل لسائر الأزواج وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه المسألة وأفتى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال أحدهما للآخر أنت حسود فقال أحسدنا زوجته طالق ثلاثا فقال الآخر نعم وأشكل الأمر وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت في المياه والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه فإن قلت وأي مناسبة بين هذا وبين ذاك فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فإنه لازم في غير ذلك في بعض الصور فإنه لو تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز له أن يشربه وإذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يترك بالشك إلا أن ههنا دقيقة وهو أن وزان هذه المسألة أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشتبه عليه فلا يجوز له أن يستعمل أحدهما بغير اجتهاد لأنه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فيبطل الاستصحاب فكذلك ههنا قد وقع الطلاق على إحدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول قد اختلف أصحاب الشافعي في الإناءين على ثلاثة أوجه فقال قوم يستعمل أحدهما بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه أن يكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزينب طالق وإن لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة ونحرمهما عليه لأنه لو وطئهما كان مقتحما للحرام قطعا وإن وطئ إحداهما وقال أقتصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد وشخصين لأن التحريم على شخص واحد محقق بخلاف الشخصين إذ كل واحد شك في التحريم في نفسه فإن قيل فلو كان الإناءان لشخصين فينبغي أن يستغنى عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإنائه لأنه تيقن طهارته وقد شك الآن فيه قلنا هذا محتمل في الفقه والأرجح في الفقه المنع فإن تعدد الشخص ههنا كاتحاده لأن صحة الوضوء لا تستدعي ملكا بل وضوء الإنسان بماء غيره في رفع الحدث كوضوئه بمائه فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده أثر بخلاف الوطء في زوجة الغير فإنه لا يحل ولأن للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع به قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة وأبواب الاستصحابات والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناه في الكتب الفقهية ولسنا نقصد الآن إلا التنبيه على قواعدها

القسم الثالث أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فإن استند غلبة الظن إلى سبب معتبر شرعا فالذي نختار فيه أنه يحل والاجتناب من الورع مثاله أن يرمي إلى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فإن ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالقسم الأول وقد اختلف قول الشافعي رضي الله عنه في هذا القسم والمختار أنه حلال لأن الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والأصل أنه لم يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك فإن قيل فقد قال ابن عباس كل ما أصميت ودع ما أنميت وروت عائشة رضوان الله عليها أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأرنب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال أصميت أم أنميت فقال بل أنميت قال إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه لعله أعان على قتله شيء وكذلك قال عليه السلام لعدي في كلبه المعلم فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه والغالب أن الكلب المعلم لا يسيء خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه قلنا هذا التحقيق وهو أن الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بأن يفضي إلى الموت سليما عن طريان غيره عليه وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه أن موته على الجهة المحللة أو على الجهة المحرمة فلا يكون

في معنى التعويل على الحل في ساعة ثم شك فيما يطرأ عليه فإن الخبر الذي رواه ابن عباس وإرشاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات أنه قال عليه السلام كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثراً غير
سهمك ومناسبته على المعنى الذي ذكرناه وهو أنه إن وجد أثراً آخر فقد تعارض السبب فتعارض الظن وإن لم يجد
سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات
المظنونة وغيرها فأما قول القائل إنه لم يعرف موته على الحل في ساعة فيكون شكاً في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق
إذ الجرح سبب الموت فطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الإجماع على أن من جرح وغاب فوجد ميتاً فيجب القصاص
على جارحه بل إن لم يغب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الإنسان فجأة فينبغي أن لا يجب القصاص
إلا بحز الرقبة والجرح المذفف لأن العلل القاتلة في الباطن لا تؤمن ولأجلها يموت الصحيح فجأة ولا قائل بذلك مع أن
القصاص مبناه على الشبهة وكذلك الجنين المذكى حلال ولعله مات قبل ذبح الأم بسبب آخر أو لم ينفخ فيه الروح
وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم ينفخ فيه أو كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة فإن
الاحتمال الآخر إذا لم يستند إلى علامة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه فكذلك هذا وأما قوله صلى الله عليه وآله
وسلم فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه فللشافعي في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لأن السبب قد
تعارض إذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل به ولو استرسل المعلم بنفسه فأخذ لم يحل لأنه يتصور منه أن يصطاد
لنفسه بمجرد انبعاث إشارته ثم أكل فدل انبعاثه على أنه ما انبعث إلا لإشارته وأنه يسعى في وكالة ونيابة ودل الأكل آخراً على أنه
أمسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الدال المتعارض الاحتمال والأصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو
كما لو وكل رجلاً بأن يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يحل للوكيل وطؤها لأن
للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعاً ولا دليل يرجح والأصل التحريم فهذا ملحق بالقسم الأول لا بالقسم الثالث القسم الثالث
أن يكون الأصل حلالاً ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعاً فيرفع الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له
حكم مع غالب الظن ومثاله أن يؤدي اجتهاده إلى نجاسة أحد الإناءين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فيوجب
تحريم شربه كما أوجب منع الوضوء به وكذا إذا قال إن قتل زيد عمراً أو قتل زيد صيداً منفرداً بقتله فامرأتي طالق فجرحه
وغاب فوجد ميتاً حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافعي أن من وجد في الغدران ماء متغيراً احتمل
أن يكون تغيره بطول المكث أو بالنجاسة يستعمله ولو رأى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيراً واحتمل أن يكون بالبول أو بطول المكث لم يجز
استعماله إذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة
بعين الشيء فأما غلبة الظن لا من جهة علامة متعلقة بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي في أن أصل الحل هل يزال به إذ اختلف
قوله في التوضي من أواني المشركين ومدمني الخمر والصلاة في المقابر المنبوشة والصلاة مع طين الشوارع أعني المقدار
الزائد على ما يتعذر الاحتراز عنه وعبر الأصحاب عنه إذا تعارض الأصل والغالب وإنما جرى وجهان في حل الشرب من أواني
مدمني الخمر والمشركين لأن الغالب النجاسة والحل والحرمة فالتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر والذي
نختاره أن الأصل هو المعتبر وأن العلامة إذا لم تتعلق بعين المتناول لم ترفع الأصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه
في المثار الثاني للشبهة وهو شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه أو ظن وحكم حرام شك في
طريان محلل عليه أو ظن وبان الفرق بين ظن يستند إلى علامة في عين الشيء وبين ما لا يستند إليه وكل ما حكمنا في هذه الأقسام
الأربعة بأنه حلال في الدرجة الأولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة
العدول الذين لا يقضى في فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة إلا ما ألحقناه برتبة الوسواس فإن الاحتراز
عنه ليس من الورع أصلاً المثار الثاني للشبهة شك منشأه الاختلاط وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الأمر ولا يتميز

والخلط لا يخلو إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بعدد محصور فإن اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن
يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالإشارة كاختلاط المائعات أو يكون اختلاط استبهام مع تميز الأعيان كاختلاط
الأعبد والدور والأفراس والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلو إما أن يكون مما يقصد عينه كالعروض أو لا يقصد كالنقود
فيخرج من هذا التقسيم أقسام الأول أن تستبهم العين بعدد محصور كما لو اختلطت ميتة بذكية أو بعشر ذكيات
أو اختلطت رضيعة بعشر نسوة أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع لأنه لا مجال للاجتهاد
والعلامات في هذا وإذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق
في هذا بين أن يثبت حل فيطرأ اختلاط المحرم كما لو وقع الطلاق على إحدى زوجتيه في مسألة الطائر أو يختلط
قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة بأجنبية فأراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق إحدى
الزوجتين كما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب
وجانب الحظر أغلب في نظر الشرع فلذلك ترجح وهذا إذا اختلط حلال محصور بحرام محصور فإن اختلط حلال
محصور بحرام غير محصور فلا يخفى أن وجوب الاجتناب أولى **القسم الثاني** حرام محصور بحلال غير محصور
كما لو اختلطت رضيعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح أهل البلد بل له أن ينكح من شاء منهن
وهذا لا يجوز أن يعلل بكثرة الحلال إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حلال بتسعة حرام ولا قائل به بل العلة
الغلبة والحاجة جميعاً إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب لا يمكن أن يسد عليه باب
النكاح وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعاً لا يلزمه ترك الشراء والأكل فإن ذلك حرج وما في الدين من حرج
ويعلم هذا بأنه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجن وغل واحد في الغنيمة عباءة لم يمتنع أحد من شراء
المجن والعباء في الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك كان يعرف أن في الناس من يربي في الدراهم والدنانير وما ترك رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا الناس الدراهم بالكلية وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن
المعاصي وهو محال وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط أيضاً في بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا
من ورع الموسوسين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به
في ملة من الملل ولا في عصر من الأعصار فإن قلت فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو أراد الإنسان أن
يحصر أهل البلد لقدر عليه أيضاً إن أمكنه فاعلم أن تحديد هذا الأمر غير ممكن وإنما يضبط بالتقريب فنقول كل عدد لو
اجتمع في صعيد واحد لعسر على الناظر عدهم بمجرد النظر كالألف والألفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين
فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلحق بأحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استفتي فيه القلب فإن الإثم
حزاز القلوب وفي مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوابصة استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك
وكذلك الأقسام الأربعة التي ذكرناها في المثار الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والإثبات وأوساط
متشابهة فالمفتي يفتي بالظن وعلى المستفتي أن يستفتي قلبه فإن حاك في صدره فهو الآثم فيما بينه وبين الله فلا ينجيه في
الآخرة فتوى المفتي فإنه يفتي بالظاهر والله يتولى السرائر **القسم الثالث** أن يختلط حرام لا يحصر بحلال
لا يحصر كحكم الأموال في زماننا هذا فالذي يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة
المحصور إلى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فليحكم ههنا والذي نختاره خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول
شيئاً بعينه احتمل أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام فإن لم يكن في العين علامة
فتركه ورع وأخذه حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات أن يأخذه من يد سلطان ظالم إلى غير ذلك من العلامات التي
سيأتي ويدل عليه الأثر والقياس أما الأثر فما علمناه في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء الذين بعده إذ كانت

أثمان الخمور ودراهم الربا من أيدي أهل الذمة مختلطة بالأموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم عن الربا إذ قال أول ربا أضعه ربا العباس ما ترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصي
حتى روي أن بعض أصحاب النبي عليه السلام باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لعن الله فلانا هو أول من سن بيع الخمر إذ لم يكن
قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن فلانا يجر في النار عباءة قد غلها وقتل رجل ففتشوا
متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غلها وكذلك أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم الأئمة الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع
من تلك الأموال مشارا إليه في الورع والأكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الأموال المنهوبة في أيام الظلمة ومن أوجب ما لم
يوجبه السلف الصالحون وزعم أنه تفطن من الشرع ما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل ولو جاز أن يزاد عليهم في
أمثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم إن الجدة كالأم في التحريم وابن الابن كالابن
وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور في القرآن والربا جار في غير الأشياء الستة وذلك محال فإنهم أولى بفهم الشرع من غيرهم
وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب التصرفات وخرب العالم إذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في
شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك لا محالة إلى الاختلاط فإن قيل فقد علم أنه امتنع من الضب وقال أخشى أن يكون
مما مسخه الله وهو في اختلاط غير المحصور قلنا يحمل ذلك على الورع والتنزه أو يقول الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من
المسخ فهو دلالة في عين المتناول فإن قيل فهذا معلوم من زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزمان الصحابة بسبب
الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الأقل بالإضافة إلى الحلال فما تقول في زماننا وقد صار
الحرام أكثر ما في أيدي الناس لفساد المعاملات وإهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة فمن أخذ مالا لم
يشهد علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام أم لا فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان
قليلا لكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر الأموال حرام في زماننا غلط محض ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر
فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك
بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر ومثاله أن الخنثى بين الخلق نادر وإذا أضيف إليه المريض وجد كثيرا وكذا
السفر حتى يقال المرض والسفر من الأعذار العامة والاستحاضة من الأعذار النادرة ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس
بالأكثر أيضا بل هو كثير والفقيه إذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا فهو
غلط فإن الصحيح والمقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فإذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام
أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجندية أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدي التي
تكررت في أصل الإسلام إلى زماننا هذا على أصول الأموال الموجودة اليوم أما المستند الأول فباطل فإن الظالم كثير وليس
بالأكثر فإنهم الجندية إذ لا يظلم إلا ذو غلبة وشوكة وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم فكل سلطان
يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك إقليما يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته تزيد عددهم على
جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة
منهم مع تنعمهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم بجمع من ألف وزيادة وكذا القول في السراق فإن البلدة الكبيرة
تشتمل منهم على عدد قليل وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضا كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر
المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذي يعامل بالربا أو غيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح
منها على الفاسد إلا أن يطلب الإنسان بوهمه في البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الديانة حتى يتصور أن يقال المعاملات
الفاسدة أكثر وشاذ ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيرا فليس بالأكثر لو كان كل معاملة فاسدة فكيف يخلو عنها صاحبها

عن معاملة صحيحة تساوي الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد
واستبعاده إياه واستعظامه له وإن كان نادرا حتى ربما يظن أن الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل أنهم
الأكثرون وهو خطأ فإنهم الأقلون وإن كان فيهم كثرة وأما المستند الثالث وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من
المعادن والنبات والحيوان وهي حاصلة بالتوالد فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا أن يتطرق إلى الواحد من تلك الأصول غصب أو معاملة
فاسدة فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج إلى خمسمائة
أصل أو ألف أصل إلى أول الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذا إلى أول زمان النبوة حلالا فأما المعادن
فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج إلا من دار الضرب وهي
في أيدي الظلمة بل المعادن في أيدي الظلمة يمنعون الناس عنها ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها
منهم غصبا فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لم يتطرق إليه عقد فاسد ولا ظلم إليه وقت النيل ولا وقت الضرب
في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى إذا حلال إلا الصيد والحشيش في الصحاري
والمفاوز والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر إلى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالاستنبات
والنتاج فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخييلا فالجواب أن هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام
المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الأصل والغالب إذ الأصل في هذه الأموال
قبل هذه التصرفات جواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح فيضاهي هذا محل قولي الشافعي
في النجاسات والصحيح عندنا أنه يجوز الصلاة في الشوارع إذا لم ير نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الوضوء من أواني
المشركين جائز وأن الصلاة في المقابر المنبوشة جائزة فلنثبت هذا أولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضي عمر رضي الله عنه من
جرة نصرانية مع أن مشركيهم يشربون الخمر ويطعمون الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم أوانيهم عن أيديهم بل نعلم
قطعا أنهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين
علم أن الغالب عليهم النجاسة وأن الطهارة في تلك الثياب محال أو نادر بل نقول نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير
ولا يغسلونه مع أنه يداس بالبقر والدواب وهي تبول عليها وتروث وقلما تخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق
وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة وقد يصيبها
الأمطار وقد لا يصيبها وما كانوا يحترزون عنها وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب
ويمشون في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليه ويستنزهون عنه ومتى تسلم الشوارع
عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها فلا ينبغي أن نظن أن الأعصار والأمصار تختلف في مثل
هذا حتى يظن أن الأعصار الخالية كانت الشوارع فيها تغسل أو كانت تحرس عن الدواب هيهات فذلك
معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين فأما الظن
الغالب الذي يستثار من رد الوهم إلى مجاري الأحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعي وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير
تغير وقد كانت عادة الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والأيدي المختلفة تغمس فيها
على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضي من جرة نصرانية ثبت جواز الشرب والتحق الحل بحكم النجاسة
فإن قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف
تقاس عليه قلنا إن أريد به أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب أن يعتقد فيهم
أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصور التي تعارض فيها الأصل

والغالب فبان أن الغالب الذي لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح فأما من عمم في الحلال كان نظره في
الشرع صونه كما لا بأس به مخافة ما به بأس لأن أمر الأموال مخوف والنفس تميل إليه إن لم تضبطها وأمر الطهارة
ليس كذلك وقد امتنع طائفة منهم من الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه وقد حكي عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء من ماء البحر وهو
الطهور المحض فالافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي جمعنا فيه على أنا نجري في هذا المستدل على الجواب الذي ذكرناه
في المستدلين السالفين لا نسلم ما ذكروه من أن الأكثر هو الحرام لأن المال وإن كثر حرامه فليس يجب أن يكون في أصل
حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصوله بعضها وتحقق وكان الذي سرق أو غصب اليوم يجوز الأكل
بالإضافة إلى ما لا يغصب ولا يسرق فهكذا كان الأمر في كل عصر وفي كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول بالفساد
في كل زمان بالإضافة إلى غيره أقل فليس يدرى أن هذا النوع بعينه من أي القسمين فلا نسلم أن الغالب تحريمه فإن كان
يريد المغصوب بالتولد الذي يدعي المغصوب فيكون نوع الأكثر لا محالة الكثير بما عصرنا فإن الغالب أن الحبوب المغصوبة
تغصب للأكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها تؤكل ولا تستبقى للتولد فكيف يقال أن نوع الحرام أكثر من نوع
بل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام وليتفهم المسترشد من هذا طريقا مختصرا لأكثر فإنه من أمر تقدم وأكثر العلماء الغلط
فيه فكيف العوام هذا في المتولدات من الحبوب والحيوانات فأما المعادن فإنها مخلاة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء
ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم ويأخذون الأقل لا محالة لا الأكثر ومن جاوز من السلاطين حده فظلم منع الناس عنه
فأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستنابة في إثبات اليد على المباحات والاستيجار عليه
فالمستأجر على الاستقاء إذا حاز الماء دخل في ملك المستقي له فاستحق الأجرة فكذا النيل فإذا فرعنا على هذا لم يحرم عين الذهب
إلا أن يقدر ظلم بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الأجرة
في ذمته وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون
إليهم الذهب المسبوك أو النقد الرديء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ما سلموه إليهم إلا شيئا
قليلا هو أجرة لهم على العمل وذلك جائز وإن كان من دنانير مضروبة من ذهب السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل
لا محالة نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال
الحشمة السلطان فما أخذه عوض عن حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم
لأهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج من المائة إلا واحد وهو عشر العشر فكيف يكون هو الأكثر فهذه أغاليط
سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى تنحوا الورع وسدوا باب التمييز بين مال
ومال وذلك عين البدعة والضلال فإن قيل لو تقدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه
إذا لم يكن في العين المتناول علامة خاصة فنقول الذي نراه أن تركه ورع وأن أخذه ليس بحرام لأن الأصل الحل ولا يرفع
إلا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرها بل أزيد وأقول لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا أنه لم يبق في الدنيا
حلال لكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس إلى ضده فمهما حرم الكل
حل الكل وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة أحدها أن يقال يدع الناس الأكل حتى يموتوا من عند
آخرهم الثاني أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها أياما إلى الموت الثالث أن يقال
يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة الرابع أن يتبعوا
شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة الخامس أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة
أما الأول فلا يخفى بطلانه أما الثاني فباطل قطعا لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا أوقاتهم مع الضعف
فشا فيهم الموتان وبطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة

وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين وأما الثالث
وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيف ما اتفق
فهو رفع للشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد فتنطلق الأيدي بالغصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون
ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فإنه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجا فأنا أيضا
محتاج وإن كان ما أخذته زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه وإذا لم يراع اليوم أو السنة فالذي
يراعي فكيف ينضبط ويؤدي إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال
كل ذي يد على ما في يده وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع وإذا لم يجز
إلا بالتراضي فللتراضي أيضا منهاج في الشرع تتعلق به المصالح فإن لم يعتبر أصل التراضي ويبطل تفصيله وأما الاحتمال الخامس وهو
الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي فهو الذي نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك
طريق الآخرة ولكن لا وجه لإيجابه على الكافة ولا إدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في
أيدي الناس وكذا أيدي السراق فكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لا حق له إلا في قدر الحاجة وأنا
محتاج فلا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على الحاجة من أيدي الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة ويدر
على الكل الأموال يوما فيوما أو سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع أموال أما التكليف الشطط فهو أن السلطان لا يقدر
على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلا وأما التضييع فهو أن ما فضل على الحاجة من الفواكه واللحوم
والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتعفن فإن الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع
الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجاتهم ثم يؤدي ذلك إلى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى
عن الناس إذا أصبح الناس لا يملكون إلا قدر حاجاتهم وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن
يستأنف الأمر ويمهد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالا من غير فرق
وأعني بقولي يجب عليه إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبعوثا لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذ لا يتم الصلاح برد الكافة
إلى قدر القوت والحاجة البتة فإن لم يبعث للصلاح لم يجب هذا ونحن نجوز أن يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم
فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فإنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكنا نقدر الأمر
جاريا على المألوف من سنة الله تعالى في بعثة الأنبياء لصلاح الدين والدنيا وما لي أقدر هذا وقد كان ما قدرته فلقد بعث
نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى صلى الله عليه وآله وسلم قد مضى عليه ستمائة سنة والناس
منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبدة الأوثان وإلى مصدقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن والكفار
مخاطبون بفروع الشريعة والأموال كانت في أيدي المكذبين له والمصدقين أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى
صلوات الله عليه وأما المصدقون فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبي أقرب فكانت
الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما وعفا صلى الله عليه وآله وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدي بالأموال
ومهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا لأجل بعثة رسول ولا ينقلب حلالا بأن يسلم الذي في يده الحرام فإنا لا نأخذ
في الجزية منهم ما نعرفه بعينه أنه ثمن خمر أو مال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن وأمر العرب كان
أشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى من الاحتمالات والخامس طريق الورع بل تمام الورع
الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح
الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد ولو اشتغل الخلق
كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فإن ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف

الدنيوية والصناعات الخسيسة تبطل النظام ثم تبطل سلطنة الملك لانهم فالمعنى من المباحة والمنتظم للملوك وكذلك السلوك
على الدنيا بحق والتسليم طريق الدين الذى هو الدين وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم الذين الدين ايضا وبهم فرغ سلامة
الدين لهم ان يعرض الاكثرون عن طريقهم ويشتغلون بامور الدنيا وذلك قسمة سبقت به المشيئة الازلية واليه الاشارة بقوله
عز وجل ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فان قيل الحاجة الى التعدي بعموم التحريم حتى لا يتخلل الا نادر
ذلك عموم واقع وهو معلوم ولا شك في ان البعض حرام وذلك البعض هو الاقل والاكثر فيه نظر وما ذكرتموه في الامثال الاخير
الا الحلال على ولكنه لابد من دليل يحصل على تجويز ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كانها مصالح مرسلة
فلابد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة فاقول ان سلم
ان الحرام هو الاقل فيكفينا ان عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب
فان تقدير ان يكون الاكثر هو الحرام فيحل التناول ايضا وبرهانه بالمثال والدليل والقسم الذي حصرناه وابطلنا منه اربعة
واثبتنا القسم الخامس فان ذلك اذا كان جاريا فيما اذا كان الكل حراما كان احرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر او الاقل فقول القائل
هو مصلحة مرسلة هوس فان ذلك انما يتخيل من يتخيله في امور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في ان مصلحة الدين
والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا شك في ان رد كافة الناس الى حد الضرورة او الحاجة او الى
الصيد مخرب للدنيا اولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك فيه لا يحتاج الى اصل يشهد له وانما يستشهد على الخيالات
المظنونة المتعلقة باحاد الاشخاص البرهان الثاني ان يقال مثال ما ورد فيه الى اصل متفق عليه بين الفقهاء الاشبه بالاثبتة الجزئية
وهو ان كانت الجزئية … ممتنع عند المحصلين … ما ذكرناه في الامر الكلي الذي هو مصدر فرض النبي لو بعث
زمان عم التحريم حتى لا يحكم بعين غلبة العالم والتبادل المحرم الجزئي هو انه قد تعارض فيه اصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات
المعينة من الاموال التي ليستحقون فحكم الاصل لا الغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانية واواني المشركين وذلك
مما قد شاهد من فعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعينة احترازا عن الاواني التي تتطرق الاجتهاد اليها وقولنا ليست
محصورة احترازا عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والاجنبية فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الاصل وكذا لم
نسلم ان الاصل في الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم فيقول … الاموال لا تحرم لصفة في عينها كالخمر والخنزير وطين الشارع
صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء … وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد فيها فلا فرق
بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليها
فلا فرق والجواب الثاني ان اليد دلالة ظاهرة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب … بدليل ان الشرع الحقه به اذ من
ادعى عليه دينا فالقول قوله لان الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملكه في يده فالقول ايضا قوله اقامة لليد
مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة البرهان الثالث هو ان نقول
على … لا يحصى ولم يدل على عينه انه … وان كان قطعا بان لا تصرف اذا دل بطريق الظن اولى وبيانه ان نعلم انه ملك
زيد بحقه ان يمتنع التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا في العالم ولكن وقع الياس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال
مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو علم ان له مالكا محصورا في عشرة اشخاص مثلا او عشرين امتنع
التصرف فيه فالذي يشك في ان له مالكا سوى صاحب اليد ام لا لا يزيد على الذي يستيقن قطعا ان له مالكا ولكن لا يعرف عينه
فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكه
يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه ولو سرق منه سارق
قطع يده فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير وليس ذلك الا للحكم بان المصلحة تقتضي ان ينتقل الملك اليه ويحل له فقضينا بموجب
المصلحة فان قيل ذلك يختص بنظر السلطان فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير اذنه فلا سند له الا المصلحة

وهو انه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وبين صرفه الى مهم والصرف الى مهم اصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما
نشك فيه والفعل غريب انه يحكم بدلالة اليد ويترك على ارباب الايدي اذا شك فيها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي
الى الضرر الذي ذكرناه وجهات المصالح تختلف فان السلطان تارة يرى من المصلحة ان يبني بذلك المال قنطرة وتارة
ان يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدور مع المصلحة كيف ما دارت فكذلك الفتوى في مثل هذا يدور على
المصلحة وقد تخرج من هذا ان الخلق غير ماخوذين في اعيان الاموال بظنون لا تستند الى علامة تتعلق بتلك الاعيان
كما لم يؤاخذ السلطان والفقير الذي ياخذ منه بعلمهم ان المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين المالك واشار اليه وفرق
بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا السبب الرابع وهو اختلاط المعاصي التي
الى العوض … واحد وسياتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من المظالم المثال الثالث للشبهة وهو ان يتصل
بالسبب المحلل معصية اما في قرائنه واما في لواحقه واما في سوابقه او في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد
وابطال السبب المحلل مثال المعصية في القرائن البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوب والاحتطاب
بالقدوم المغصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه وكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فان
الامتناع من جميع ذلك ورع وان لم يكن المستفاد بهذه الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة
في غالب الامر تطلق لارادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة
ايضا معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحلال الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهة تشبه التحريم فان
اريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه والا فينبغي ان يسمى هذا كراهة لا شبهة واذا عرف المعنى فلا مشاحة في
الاسامي فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات ثم اعلم ان هذه الكراهة لها ثلاث درجات الاولى منها تقرب من الحرام
والورع عنه مهم والاخيرة ينتهي الى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة الى الطرفين فالكراهة
في صيد كلب مغصوب اشد منها في الذبيحة بسكين مغصوب او المقتنص بسهم مغصوب اذ الكلب له اختيار وقد اختلف
في ان الحاصل به لمالك الكلب او للصياد ويليه البذر المزروع في ارض مغصوبة فان الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة
ولو اثبتنا الحبس لمالك الارض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن الاقيس ان لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة
مغصوبة او اقتنص بشبكة مغصوبة اذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب
ثم ذبح ملك نفسه بالسكين المغصوب اذ لم يذهب احد الى تحريم الذبيحة ويليه البيع في وقت النداء فانه ضعيف التعلق بمقصود
وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس فيه الا انه اشتغل بالبيع عن واجب اخر كان عليه ولو افسد البيع بمثله لافسد بيع كل
من عليه زكاة درهم او صلاة فائتة وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق فان الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات
فليس للجمعة الا الوجوب بعد النداء وينجر ذلك الى ان لا يصح نكاح اولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن
الفعل الواجب عليه الا انه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما يسبق الى الافهام خصوصه فتكون الكراهية اشد
ولا باس بالحذر منه ولكن قد ينجر الى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وسائر معاملاتهم وقد حكي عن بعضهم
انه اشترى شيئا فسمع انه اشتري يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما اشتري وقت النداء وهذا غاية المبالغة لانه رد
بالشك ومثل هذا الوهم في سوق الناس والمعاملات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الايام والورع حسن والمبالغة فيه احسن
ولكن الى حد معلوم فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم هلك المتنطعون فليحذر من امثال هذه المبالغات فانها وان كانت
لا تضر صاحبها ربما اوهم عند غيره ان مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو ايسر منه فيترك اصل الورع وهو مستند اكثر الناس في زماننا
هذا اذ ضيق عليهم الطريق فايسوا عن القيام به فاطرحوه فكما ان الموسوس في الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا
بعض الموسوسين في الحلال سبق الى وهمهم ان مال الدنيا كله حرام فتوسعوا وتركوا التمييز وهو عين الضلال

مثال اللواحق هو كل تصرف يفضي في سياقه إلى معصية وأعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام من المعروف بالفجور
بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن المأخوذ منه والأقيس أن ذلك صحيح
والمأخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال ولكنه يعصي عصيان الإعانة
على المعصية إذ لا يتعلق ذلك بعين العقد فالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام والتي تليه في
الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن يغزو ويظلم أيضا لأن الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف
بيع السيف في وقت الفتنة خيفة من أن يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الأول والكراهية فيه أخف وما هو بالغلو يكاد
يلتحق بالوسواس ما نقل عن جماعة أنه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لأنهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام
من الظلمة ولا يباع منهم البقر والفدان وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لا يباع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحراثة
ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي هذا إلى حد التنطع المنهي عنه وكل متوجه إلى الخير على قصد صحيح لا بد وأن يتوق إلى أنه
أمر به العلم المحقق وربما استقدم على ما لم يكن بدعة في الدين يستحسن الناس بعده بها ويظن أنه يشتغل بالخير ولهذا قال
عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم أن يكونوا ممن قيل
فيهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وبالجملة لا ينبغي أن يشتغل الإنسان بدقائق الورع
إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذا جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وقد روي عن سعد
بن أبي وقاص أنه أحرق كرمه خوفا من أن يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا أعرف له وجها إن لم يعرف هو سببا خاصا
يوجب الإحراق إذ ما أحرق نخيله وكرمه من كان أرفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا
وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الإتلافات وأما المقدمات فلتطرق المعصية إليها أيضا ثلاث درجات
الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ما بقي أثره في المتناول كالأكل من شاة علفت بعلف مغصوب أو رعت
في مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سببا لبقائها وربما يكون الباقي من لحمها ودمها وأجزائها من ذلك العلف وهذا الورع
مهم وإن لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف رضي الله عنهم وكان لأبي عبد الله الطوسي البزوغندي شاة يحملها
على رقبته كل يوم إلى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان يشرب من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان
من كان في البستان ولم يستحل أخذها فإن قيل فقد روي عن عبد الله بن عمر وعبيد الله أنهما اشتريا إبلا فأنفذاها إلى الحمى فرعتها
وهذا يدل على أن رأى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما قلنا ليس كذلك فإن العلف يفسد بالأكل واللحم
خلق جديد وليس عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن عمر رضي الله عنه رأى قسمة الكلأ ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ
الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة وكذلك شاطر أبا هريرة إذ رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل
ورأى حفظه لذلك نائبا مناب حق عمله وعقده بالشطر اجتهادا والرتبة **الوسطى** ما نقل عن بشر بن الحارث من امتناعه عن ماء ساق
في نهر احتفره الظلمة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره وامتناع آخر عن عنب كرم يسقى بماء جرى في نهر حفر ظلما وهو أرفع منه
وأبلغ في الورع وامتناع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق وأعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال
وصل إليه على يد سجان وقوله إنه جاءني على يد ظالم ودرجات هذه لا تنحصر **الرتبة الثالثة** وهي قريبة من الوسواس
والمبالغة أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف وليس هو كما لو عصى بأكل الحرام فإن الموصل قوته الحاصلة
من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس
بخلاف آكل الحرام إذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام ويجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة أو كذبة وهو غاية التنطع
والإسراف فليضبط ما عرفته من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة اليد المستفادة بالغذاء الحرام
ولو امتنع عن الشرب من كوز لأن الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب إنسان أو شتمه لكان هذا وسواسا

ولو اشترى ثم لم يشتر شاة ... ما أكل حراما صفحا البعد من يد السجان لأن الطعام سيق إليه بقوة السجان وما ساقه شيء بنفسه والسائق
منهما عن العدو لم يعن الطعام فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا ببيان ما يتداعى إليه هذا الأمر واعلم أن
كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه يختص بالدرجة الأولى التي يمكن تكليف كافة الخلق به ولو اجتمعوا عليه
لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين والفتوى في هذا ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم لوابصة إذ قال
استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وعرفه بكلامه إذ قال الإثم حواز القلوب وكل ما حاك في صدر المريد من هذه الأسباب فلو أقدم
عليه مع حزازة القلب استضر به وأظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو أقدم على حرام في علم الله وهو يظن أنه حلال لم يؤثر
ذلك في قساوة القلب ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره وإنما الذي ذكرناه
من النهي عن المبالغة أردنا به أن القلب الصافي المعتدل هو الذي يجد حزازة في مثل ذلك الأمور فإن مال على موسوس
عن الاعتدال ووجد الحزازة وأقدم مع ما يجده في قلبه فذلك يضره لأنه أخذ بحق نفسه فيه وبين الله وتقوى قلبه ولذلك
شدد على الموسوسين في الطهارة وفي نية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه بثلاث مرات لغلبة الوسوسة
عليه فيجب عليه أن يستعمل الرابع وصار ذلك حكما في حقه وإن كان مخطئا في نفسه وأولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك
شدد على أصحاب موسى لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولو أخذوا أولا بعموم لفظ البقرة وكل ما يطلق عليه الاسم لكان ذلك
فلا تغفل عن هذه الدقائق التي أوردناها نفيا وإثباتا فإن من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك أن يزل في
درك مقاصده وأما المعصية في العوض فله أيضا درجات **الدرجة العليا** التي تشتد الكراهة فيها أن يشتري
شيئا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب أو مال حرام فينظر فإن سلم البائع إليه الطعام قبل قبض الثمن بطيبة قلب فأكله قبل
قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع ولا هو أيضا من الورع المؤكد فإن قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه
لم يقض الثمن ولو لم يقضه أصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فإن قضى الثمن من الحرام
وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها إلى البائع فإن أبرأه
على ظن أن الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء ولا يصلح ذلك للإيفاء فهذا حكم المشتري والأكل منه
وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيبة قلب ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده لأن الذي تعين
الشرع به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه بإقباض النقد كما تعين ملك المشتري وإنما يبطل حق حبسه إما بالإبراء أو بالاستيفاء
ولم يجر شيء منهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام إذا أكله بغير إذن المرتهن وبينه وبين أكل طعام الغير
فرق ولكن أصل التحريم شامل هذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه فأما إذا وفى الثمن
الحرام أولا ثم قبض فإن كان البائع عالما بأن الثمن حرام ومع هذا أقبض المبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته إذ ما
أخذه ليس بثمن ولا يصير آكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي منه ولا أقبض
المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فأكله حرام تحريم أكل المرهون إلى أن يبرئه أو يوفي من حلال أو يرضى هو بالحرام
ويبرئ فيصح إبراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمة فأما الامتناع
عنه فمن الورع المهم لأن المعصية إذا تمكنت من السبب الموصل إلى الشيء تشتد الكراهة فيه كما سبق وأقوى الأسباب
الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البائع بتسليمه إليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة
لا تنخرم به ويزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان ثوبا أو أرضا في الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية
الثمن وسلمه إلى فقيه أو غيره صلة أو خلعة وهو شاك في أنه سيقضي ثمنه من الحلال أو الحرام فهذا أخف إذ وقع الشك في تطرق
المعصية إلى الثمن وتتفاوت خفة هذا بتفاوت كثرة الحرام وقلته في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضها أشد
من بعض والرجوع فيه إلى ما يقدح في القلب **الرتبة الوسطى** أن يكون العوض غصبا وحراما ولكن تعين المعصية كالأثر

عوضا عن الثمن عصا بها جرح لها ولكن سببا للمعصية كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا والمشتري شارب خمر او سيفا وهو قاطع طريق فلا
يحكم بتحريمه في بيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضي فيه كراهة دون الكراهة التي في الغصب وتتفاوت درجات هذه الرتبة
ايضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن فلهذا ومهما كان العوض محرما فبذله حرام فان احتمل تحريمه ولكن ابيح
بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندي النهي عن كسب الحجام وكراهته اذ نهى عليه السلم مرات ثم امر بان يعلف الناضح وكسب
الحجام وما يتوهم انه بسبب مباشرة النجاسة والقذر فاسد اذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قائل به وان قيل به فلا يمكن طرده
في القصابة اذ كيف يكون مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب للنجاسة اكثر منه للحجام والفصاد
فان الحجام ياخذ الدم بالمحجمة ويمسحه بالقطنة ولكن السبب ان في الحجامة والفصد جرحا لبدن حيوان واخراجا
لدمه وبه قوام حياته والاصل فيه التحريم وانما يحل بضرورة ويعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون
ضارا فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفصاد فصد عبد وصبي ومعتوه الا باذن الولي
والسيد وقول الطبيب ولولا انه حلال في الظاهر لما اعطى عليه السلم اجرة الحجام ولولا انه يحتمل التحريم لما نهى عنه ولا يمكن الجمع بين اعطائه
ونهيه الا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي ان يذكر في القرائن المقرونة بالسبب لانه اقرب اليه

الرتبة السفلى

وهي درجة الموسوسين وذلك ان يحلف انسان على ان لا يلبس من غزل امه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهة فيه
والورع عنه وسوسة وروي عن المغيرة انه قال في هذه الواقعة لا يحل واستشهد بان النبي عليه السلم لعن اليهود اذ حرمت
عليهم الخمور فباعوها وهذا غلط لان بيع الخمر باطل اذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس من هذا
بل مثال ما ذكرناه ان يملك الرجل جارية هي اخته من الرضاع فباعها بجارية اجنبية فليس لاحد ان يتورع عنه ويشبه ذلك ببيع الخمر
وهذا غاية الشرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها فان كان لا يمكن تمييز الدرجات المحصورة
في ثلث واربع ولا في عدد ولكن المقصود من التحديد التقريب والتفهيم فان قيل فقد قال عليه السلم من اشترى ثوبا بعشرة
دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما كان عليه ثم ادخل ابن عمر اصبعيه في اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته منه قلنا ذلك
محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا في الذمة واذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في اكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من
ملك يتوعد عليه بنفي القبول لمعصية تتطرق الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشتري في وقت النداء وغيره

المثار الرابع

الاختلاف في الادلة فان ذلك كالاختلاف في السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل
سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الغير فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في علم
الله وهي اما ان يكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة او لتعارض التشابه

القسم الاول

ان يتعارض ادلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن او السنة او تعارض قياسين او تعارض قياس وعموم وكل ذلك
يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب او الاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الاخذ به
وان ظهر في جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد وان كان المقلد
يجوز له ان ياخذ بما افتى له مقلده الذي يظن انه افضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف افضل اطباء البلد بالتسامع
والقرائن وان كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي ان ينتقد من المذاهب اوسعها عليه بل عليه ان يبحث حتى يغلب على ظنه الافضل
ثم يتبعه فلا يخالفه اصلا نعم ان افتى له امامه بشيء ولامامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا
المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون
بحل اشياء ولا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها ولنقسم هذا ايضا على ثلث مراتب

المرتبة الاولى

ما يتاكد الاستحباب في الورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الاخر عليه فمن المهمات التورع عن
فريسة الكلب المعلم اذا اكل منه وان افتى المفتي بانه حلال لان الترجيح فيه غامض وقد اخترنا ان ذلك حرام وهو اقيس قولي

الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب ابي حنيفة او غيره من الائمة رحمهم الله كان الورع
فيه وان افتى المفتي بالقول الاخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وان لم يختلف فيه قول الشافعي رحمه الله لان الاية
ظاهرة في ايجابها والاخبار متواترة فيه فانه عليه السلم قال لكل من سأله عن الصيد اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت
عليه اسم الله فكل ونقل ذلك على التكرر وقد شاع الذبح بالتسمية وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط ولكن
لما صح قوله عليه السلم المؤمن يذبح على اسم الله سمى او لم يسم واحتمل ان يكون هذا عاما موجبا لصرف الاية وسائر الاخبار
عن ظاهرها ويحتمل ان يخصص هذا بالناسي ويترك الظواهر فلا تاويل وكان حمله على الناسي ممكنا تمهيدا لعذره في
ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتاويل الاية ممكنا كان ما اقرب ترجيحا ذلك ولا ينكر وقع الاحتمال المقابل له فالورع عن
مثل هذا مهم واقع في الدرجة الاولى

المرتبة الثانية

وهو متاخم درجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل
الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الاخبار حديث الجنين وان ذكاته ذكاة
امه صحة لا يتطرق احتمال الى متنه والضعف الى سنده وكذلك صح انه اكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وقد نقل ذلك في الصحيحين فاظن ان ابا حنيفة لم تبلغه هذه الاحاديث ولو بلغته لقال بها ان انصف فان لم ينصف منصف
فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد

المرتبة الثالثة

ان لا يشتهر
في المسئلة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله
فانا اتورع فان النقلة وان كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم فان العدل ايضا قد يكذب
والوهم جائز عليهم فانه قد يسبق الى سمعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة رضي الله
عنهم فيما كانوا يسمعونه من عدل تسكن نفسهم اليه واما اذا تطرق تهمة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف
وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من خالف في اخبار الاحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في اصل الاجماع وقوله انه
ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان من ان ياخذ ميراث الجد ابي الاب ويقول ليس في كتاب
الله ذكر الا للبنين والحاق ابن الابن بالابن من اجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز اذ خالف النظام فيه
وهذا هوس ويتداعى الى ان يترك ما علم بعمومات القرآن اذ من المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يفهم
منها الصحابة بقرائن ودلالات وكل ذلك وسواس فاذا لا طرف من اطراف الشبهات الا وفيها غلو واسراف فليفهم
الورع ما ذكرناه ذلك ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وليترك حزاز
القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف بالاشخاص والوقائع ولكن ينبغي ان يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم
الا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزازة في مكان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد
صلى الله عليه وآله وسلم الكل الى فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله

القسم الثاني

ان يتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب فيرى
مثله في يد رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع وندور وقوعه من غير المنهوب على انه حرام فيتعارض
الامران وكذلك يخبر عدل انه حرام وآخر انه حلال او يتعارض شهادة فاسقين او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع
الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسياتي تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال

القسم الثالث

تعارض الاشباه في الصفات التي بها تناط الاحكام مثاله ان يوصي بمال للفقهاء فيعلم ان الفاضل
في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدا التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن
والورع الاجتناب وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما لا حيلة له فيه اذ يكون المتصف
بالصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله الى احدهما وكذلك الصدقات المصروفة الى

المحتاجين فإن من لا شيء له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غني ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب
وكتاب فإن قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف إليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب ويتصدى منه
النظر في مقدار سعة الدار وأبنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع أثاث
البيت إذا كان من الصفر لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما يحتاج إليه كل يوم وما يحتاج إليه
كل سنة كآلات الشتاء وما لا يحتاج إليه إلا في سنين وشيء من ذلك لا حد له والوجه في مثل هذا ما قاله عليه السلام دع ما يريبك
إلى ما لا يريبك وكل ذلك في محل الريب فإن توقف المفتي فلا وجه له إلا التوقف وإن أفتى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف
وهو أهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت
المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد وبينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع
على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال
زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه إلى ما لا يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف بلفظ العرب
إذ العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا مسميات اللغات بحدود محدودة ينقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فإنها
لا تحتمل ما دونها وما فوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقديرات وليست الألفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب
الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا ويتطرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة
وتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ
من الغوامض وكذلك سائر الألفاظ وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليستدل به على طريق التصرف في الألفاظ إلا
فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجاذب إلى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات
يجب اجتنابها إذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله عليه السلام دع ما يريبك إلى ما لا يريبك
وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات وبعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء
واحد كان الأمر أغلظ مثل أن يأخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط
الحرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها فهذه مراتب
عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح أخذ به وما التبس فليجتنب فإن الإثم حزاز القلوب
وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح المفتي أما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعول على كل قلب فرب موسوس
ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب
لدقائق الأحوال فهو المحك الذي يمتحن به خفايا الأمور وما أعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور
من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته وقد جاء في الزبور أن الله أوحى إلى داود عليه السلام قل لبني إسرائيل إني لا أنظر
إلى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجلي فذلك الذي أؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي والله أعلم وأحكم

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانهما

في الحلال والحرام اعلم أن كل من قدم إليك طعاما أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تتهب فليس لك أن تفتش عنه وتسأل
وتقول هذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه وليس لك أيضا أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب
مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشأ
الريبة ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال **المثار الأول** أحوال المالك وله بالإضافة إلى
معرفتك ثلاثة أحوال إما أن يكون مجهولا أو مشكوكا فيه أو معلوما بنوع ظن يستند إلى دلالة **الحالة الأولى** أن
يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الأجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب أهل التصوف

والتجارة والعلم وغيرها من العلامات فإذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة
تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول وإذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا أو قصابا
أو غيره ولا علامة تدل على كونه مريبا أو خائنا ولا ما يدل على نفيه فهذا مجهول لا ندري حاله ولا نقول إنه مشكوك
فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين
ما لا يدرى وبين ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك ما لا يدرى قال يوسف بن أسباط منذ ثلاثين
سنة ما حاك في قلبي شيء إلا تركته وتكلم جماعة في أشد الأعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن أبي سنان ما شيء
عندي أسهل من الورع إذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وإنما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول حكم
هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاما أو حمل إليك هدية أو أردت أن تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال
بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم على أخذه وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس
فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وإن بعض الظن إثم وهذا المسلم يستحق بإسلامه عليك أن لا تسيء الظن
به فإن أسأت الظن به في عينه لأنك رأيت فسادا من غيره فقد جنيت عليه وأثمت به في الحال نقدا من غير شك ولو
أخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا
ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الأسواق وكان الحرام أيضا موجودا في
زمانهم وما نقل عنهم سؤال إلا عن ريبة إذ كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل إليه بل سأل في أول
قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية لأن قرينة الحال وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء تغلب
على الظن أن ما يحمل إليهم بطريق الصدقة ثم إسلام المعطي ويده لا يدلان على أنه ليس بصدقة وكان يدعى إلى
الضيافات فيجيب ولا يسأل أصدقة أم لا إذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة ولذلك دعته أم سليم
ودعاه الخياط الذي روى أنس بن مالك وقدم إليه طعاما فيه قرع ودعاه الرجل الفارسي فقال له عليه السلام
أنا وعائشة فقال لا فقال فلا ثم أجابه بعده فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب إليهما إهالة ولم ينقل
السؤال في شيء من ذلك وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من أمره وسأل عمر رضي الله عنه الذي
سقاه من لبن إبل الصدقة إذ رابه فإنه أعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل يوم قبله وهذه أسباب الريبة فكل من
وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا بإجابته من غير تفتيش بل لو رأى في داره تجملا أو مالا كثيرا فليس له
أن يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن أين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه إذا احتمل أن يكون ورث
مالا أو اكتسبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع ولا
يريد أن يدخل جوفه إلا ما يدري من أين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وإن كان لا بد من أكله فليأكل بغير سؤال
فإن السؤال إيذاء وهتك ستر وإيحاش وهو حرام بلا شك فإن قلت لعله لا يتأذى فأقول لعله يتأذى وأنت
تسأل حذرا من لعل فإن قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الإثم المحذور في إيذاء مسلم بأقل من الإثم في أكل الشبهة
والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدري هو به لأن
الإيذاء في ذلك أكثر وإن سأل من حيث لا يدري هو ففيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالغيبة
وإن لم يكن صريحا وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا
تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكم من زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي
وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشهرة بأكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم
أن يتأذى أشد من خوفه على بطنه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري إذا لم يكن ثم علامة توجب

للاجتناب فليعلم أن طريق الورع الترك ومن الجرأة أنه لم يكن يجتنب الأكل فالورع لا أكل وإحسان الظن
بما نقل عن الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع ولن يدرك
أحد مد أحدهم ولا نصيفه ولو أنفق ما في الأرض جميعا كيف وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طعام
بريرة فقيل إنها صدقة فقال هي لها صدقة ولنا هدية ولم يسأل عن المتصدق عليها فكان المتصدق
ولم يمتنع الحالة الثانية أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أورثت ريبة فلنذكر صورة الريبة ثم حكمها أما الصورة
فهو أن يدل على تحريم ما في يده دلالة إما من خلقته أو من زيه وثيابه أو من فعله وقوله أما الخلقة فبأن يكون على خلقة
الأتراك والبوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على
دأب أهل الفساد وأما الثياب فالقباء والقلنسوة وزي أهل الفساد والظلم من الأجناد وغيرهم وأما الفعل والقول
فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضا في المال ويأخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة
فإذا أراد أن يشتري شيئا من مثل هذا أو يأخذ منه هدية أو يجيبه في ضيافته وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه
إلا هذه العلامات فيحتمل أن يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالإقدام جائز والترك من الورع
ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فأورثت ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذي
نختاره ونفتي به لقوله عليه السلام دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستحباب ولقوله
عليه السلام سأل الصدقة أم هدية وسأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه وكل ذلك كان في موضع
الريبة وحمله على الورع وإن كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه إلا بقياس والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فإن دلالة
اليد والإسلام قد عارضتها هذه الدلالات فأورثت ريبة فإذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له وإنما لا نترك حكم اليد والاستصحاب
بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا الماء متغيرا واحتمل أن يكون بطول المكث فإن رأينا ظبية بالت فيه ثم احتمل
التغير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشارب ولبس القباء
وهيئة الأجناد تدل على الظلم بالمال أما القول والفعل المخالف للشرع إن تعلق بظلم المال فهو أيضا دليل ظاهر كما لو سمعه يأمر
بالغصب والظلم أو يعقد عقد الربا فأما إذا رآه قد شتم غيره في غضبه أو أتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة
ضعيفة فكم من إنسان يتحرج في طلب المال ولا يكسب إلا الحلال ومع ذلك لا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة
فليتفطن لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بحد فليستفت العبد في مثل ذلك قلبه وأقول إن هذا إن رآه من مجهول
فله حكم وإن رآه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذ تعارضت الدلالتان بالإضافة
إلى المال وتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج
في المال لا يتحرج في غيره وكم من محسن للصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم في مثل هذه المواضع ما يميل إليه
القلب فإن هذا أمر بين العبد وبين الله فلا يبعد أن يناط بسبب خفي لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم
حزازة القلب ثم ليتنبه لدقيقة أخرى وهي أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون
جنديا أو عامل سلطان أو نائحة أو مغنية فإن دل على أن في ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع
الحالة الثالثة أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث توجب ظنا في حل المال وتحريمه مثل أن يعرف
صلاح الرجل وديانته وعدالته في الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في
المجهول بل الأولى وإلا قدام ههنا أبعد من الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن
حراما وأما أكل طعام أهل الصلاح فدأب الأنبياء والأولياء وقال عليه السلام لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي
فأما إذا علم بالخبرة أنه جندي أو مغن أو مرب فاستغنى عن السؤال فيستدل عليه بالهيئة والشكل والثياب فههنا

السؤال واجب لا محالة كما في موضع الريبة بل أولى **المقام الثاني** فيما يستند الشك فيه إلى سبب في المال
لا في حال المالك وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق
فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام فعند
ذلك يجب السؤال فإن لم يكن هو الأكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على أنه
لا يجب السؤال إذا لم يكن الأكثر حراما أن الصحابة لم يمتنعوا عن الشراء في الأسواق وفيها دراهم الربا
وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وإنما السؤال نقل عن آحادهم نادرا في بعض الأحوال وفي محال
الريبة في حق الشخص المعين وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما
أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون في تلك الغنائم شيء مما أخذوه من المسلمين وذلك لا يحل أخذه مجانا بالاتفاق بل يرد
على صاحبه عند الشافعي رحمه الله وصاحبه أولى به بالثمن عند أبي حنيفة رحمه الله ولم ينقل التفتيش عن هذا
وكتب عمر رضي الله عنه إلى أذربيجان إنكم في بلاد يذبح فيها الميتة فانظروا ذكيه من ميته أذن في السؤال وأمر به ولم يأمر
بالسؤال عن الدراهم التي هي أثمانها لأن أكثرها لم يكن أثمان الجلود وإن كان هي أيضا تباع وأكثر الجلد كان بالذكاة
ذلك وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه إنكم في بلاد أكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكي من الميتة فخص الأمر
بالسؤال ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور تكثر وقوعها في العادات فلنفرض صورا
مسألة شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكانه طعام مغصوب أو مال منهوب ومثل أن يكون
القاضي أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذي له إدرار على سلطان ظالم وله أيضا مال موروث ودهقنة أو تجارة أو
رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربي أيضا فإن كان الأكثر من ماله الحرام لم تجز الإجابة إلى ضيافته ولا قبول هديته
وصدقته إلا بعد التفتيش فإن ظهر أن المأخوذ من وجه الحلال فذاك وإلا ترك وإن كان الحرام أقل والمأخوذ
مشتبه فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبتين إذ قضينا بأن لو اشتبه مذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب
الكل وهذا يشبهه من حيث إن مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ويخالفه
من وجه إذ الميتة يعلم وجودها في الحال يقينا والحرام الذي خالط ماله يحتمل أنه قد خرج من يده وليس
موجودا في الحال فإن كان المال قليلا وعلم قطعا أن الحرام موجود في الحال فهو ومسألة اختلاط الميتة واحد
وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك ويشبه من وجه اختلاط غير المحصور كما
في الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا شك في أن الهجوم عليه بعيد من الورع جدا
ولكن النظر في كونه فسقا مناقضا للعدالة وهذا من حيث المعنى غامض لتجاذب الأشباه ومن حيث النقل غامض
لأن ما نقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل هذا وكذا عن السلف يمكن حمله على الورع ولا نص فيه على التحريم
وما نقل من الإقدام على الأكل كأكل أبي هريرة طعام معاوية مثلا إن قدر في جملة ما في يده حرام فذلك أيضا يحتمل أن
يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح فالأفعال في هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب
العلماء المتأخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو أعطاني السلطان شيئا لأخذته وطرد الإباحة فيما إذا كان الأكثر أيضا حراما
مهما لم يعرف عين المأخوذ واحتمل أن يكون حلالا واستدل بأخذ بعض السلف جوائز السلطان كما سيأتي في باب
بيان أموال السلاطين فأما إذا كان الحرام هو الأقل واحتمل أن لا يكون موجودا في الحال لم يكن الأكل حراما وإن تحقق
وجوده في الحال كما في مسألة اشتباه الميتة بالذكية فهذا مما لا أدري ما أقول فيه وهي من المتشابهات التي يتحير
المفتي فيها لأنها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة إذا اشتبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب
الاجتناب وإن كان ببلدة فيها عشرة آلاف لم يجب وبينهما أعداد لو سئلت عنها لكنت لا أدري ما أقول فيها ولقد توقف

فعلى أن يسأل فيه أوضح من هذا إذ سئل أحمد بن حنبل عن رجل رمى صيدا فوقع في ملك غيره أيكون الصيد للرامي أو
لمالك الأرض فقال لا أدري فروجع فيه مرات فقال لا أدري وكثير من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم
فليقطع المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما يعاملون السلطان
فقال إن لم يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على التساهل في
الأقل ويحتمل التساهل في الأكثر أيضا وبالجملة لم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة القصاب والخباز
فاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا أو لمعاملته السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعيد والمسألة مشكلة في نفسها فإن
قيل فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رخص فيه فقال خذ ما يعطيك السلطان فإنما يعطيك من الحلال وما
يأخذ من الحلال أكثر من الحرام وسئل ابن مسعود في ذلك فقال السائل إن لي جارا لا أعلم إلا خبيثا يدعونا ونحتاج إليه
فنستسلفه فقال إذا دعاك فأجب وإذا احتجت فاستسلفه فإن لك المهنأ وعليه المأثم وأفتى سلمان بمثل ذلك وقد
علل علي بالكثرة وعلل ابن مسعود بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ولك المهنأ وأنت لا تعرفه وروي أنه قال
رجل لابن مسعود إن لي جارا يأكل الربا ولا يزال يدعونا إلى الطعام أفنأتيه فقال نعم وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات
كثيرة مختلفة واحتمال الشافعي ومالك جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط مالهم الحرام قلنا أما ما روي عن علي بن
أبي طالب رضي الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فإنه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه
ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره ولست أنكر أن رخصته صريحة في الجواز وفعله محتمل للورع
ولكنه إن صح فمال السلطان له حكم آخر فإنه بكثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر فسيأتي بيان ذلك وكذلك فعل الشافعي وذلك
يتعلق بمال السلطان وسيأتي حكمه فإنما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم قريبة من الحصر وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه
فقد نقل ما نقلته الثقات والضعيف الحفظ والمشهور عنه ما يدل على التوقي في الشبهات إذ قال لا يقولن أحدكم أخاف
وأرجو فإن الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك وقال اجتنبوا الحكاكات
فإنها الإثم فإن قيل فلم قلتم إذا كان الأكثر حلالا لم يحرم الأخذ والصحيح أن المأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص
ولليد علامة على الملك حتى أن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والكثرة تهجم ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فلم يكن
كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام فلا يجوز أن يستدل
على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم دع ما يريبك إلى ما لا يريبك لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو
ما يريبه لعلامة في عين المملوك وليس الاختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم
فالجواب أن اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وإنما يؤثر إذا سلم عن معارض قوي فإذا تحققنا الاختلاط وتحققنا
أن الحرام المختلط موجود في الحال وأن المال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين تقرب
ماله من الحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم نحمل عليه قوله عليه السلام دع ما يريبك إلى ما لا يريبك لم يبق له
محل إذ لا يمكن أن يحمل على الاختلاط بقليل حلال غير محصور إذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه وعلى أي موضع
حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد في تناول العلامات
والاستصحابات وللكثرة تأثير في تحقيق الظن وكذا الحصر وقد اجتمعا جميعا قال أبو حنيفة رحمه الله للمجتهد أن يأخذ بأي
إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وتقوي الكثرة ومن قال يأخذ بأي آنية
أراد بغير اجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب أيضا فلزمه تجويز ذلك ههنا بمجرد علامة اليد والتحري
وذلك في بول اشتبه بماء إذ لا استصحاب فيه ولا نطرده أيضا في ميتة اشتبهت بمذكاة إذ لا استصحاب في الميتة لأنه
لا تدل العلامة عليه ويد لحق الطعام المباح علامة ملك فههنا أربع متعلقات استصحاب وقلة في الخلط أو كثرة

واجتماع الاستصحاب في المخلوط به وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق به الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الأربعة ربما
يغلط فيشبه بعض المسائل بما لا يشبهه فحصل مما ذكرناه أن الخلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله
وكل واحد إما معلوم يقينا أو مظنون عن علامة أو موهوم والسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا
كما في الترك كما يجوز أن يحتمل أن يكون كل ما أخذه غنيمة وإن كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف ويكاد يشير سير
أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الميل إلى الرخصة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال فيها غير واجب أصلا مسألة
إذا أحضر طعام إنسان علم أنه دخل في يده حرام من إدرار كان قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا فله
الأكل ولا يلزمه التفتيش وإنما التفتيش من الورع ولو علم أنه قد بقي منه شيء ولكن لم يدر أنه الأكثر أم الأقل فله أن يأخذ
بأنه الأقل وقد سبق أن أمر الأقل مشكل وهذا يقرب منه مسألة إذا كان في يد المتولي للخيرات والأوقاف أو الوصايا
مالان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يسلمه إليه صاحب الوقف نظر
فإن كان تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي وكان المتولي ظاهر العدالة فله أن يأخذ بغير بحث لأن الظن بالمتولي
أنه لا يصرف إليه إلا ما يستحقه من المال الذي يستحقه وإن كانت الصفة خفية أو كان المتولي ممن عرف حاله أنه يخلط
ولا يبالي كيف يفعل فعليه السؤال إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه وهذا يوازن سؤال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم عن الصدقة والهدية عند تردده فيها لأن اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب
فلا ينجي منه إلا السؤال فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه
مسلم وأراد أن يأكل من يده لحما من ذبيحة واحتمل أن يكون مجوسيا لم يجز له ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد لا تدل على الميتة
ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلد مسلمين فيجوز أن يظن بالذي ليس عليه علامة الكفر أنه مسلم
وإن كان الخطأ ممكنا فيه فلا ينبغي أن يلتبس المواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد مسألة له أن يشتري في البلد
دارا وإن علم أنها تشتمل على دور مغصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع فإن كان
في سكة عشر دور مثلا واحدة منها مغصوبة أو وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنه ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصصت
بفقهاء أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء ويأكل من وقفها
بغير سؤال لأنه يكون من باب الاختلاط في المحصور فلا بد من التمييز وإنما يجوز السكون مع الإبهام لأن الرباطات والمدارس
في البلد لا بد وأن تكون محصورة مسألة حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال
إن رآه يغضبه وإنما من لا يغضب لها أوجبنا السؤال إذ تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالي بغضب مثله
إذ يجب إيذاء الظالم بأكثر من ذلك والغالب أن مثل هذا لا يغضب من السؤال نعم إن كان يأخذ من يد غلامه أو وكيله
أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأله مهما استراب لأنهم لا يغضبون من سؤاله ولأن عليه أن يسألهم
ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه من سقاه من إبل الصدقة وسأل أبا هريرة
رضي الله عنه لما قدم عليه بالكثير فقال ويحك أكل هذا طيب من حيث إنه تعجب من كثرته وكان من رعيته ولا سيما
وقد يخفى في ضيعة السؤال ولذلك قال علي رضي الله عنه ليس شيء أحب إلى الله من حلم إمام ورفقه ولا شيء أبغض
إليه من جهله وخرقه مسألة قال الحارث المحاسبي رحمه الله لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغي
أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدي إلى البغضاء وما
ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع في مثل هذا الاحتراز عن هتك الستر وإثارة البغض
ثم زاد على هذا فقال وإن رابه منه شيء أيضا لم يسأله ويظنه أن يطعمه من الطيب وتجنب الخبيث فإن كان لا يطمئن
قلبه إليه فليحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسؤال قال لأني لم أجد أحدا من العلماء فعله وهذا منه مع ما نبهته من

ان يسهل على مسامحة فيما اذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم للعذر المحقق لان لفظ الريبة يدل على
التوهم بدلالة قوله عليه السلام لا يوجب اليقين فليراع هذه الدقائق في السؤال مسئلة بها سوقه القايل الى فائدة
في السؤال مسئلة بها سوف القايل انه فائدة في السؤال عن بعض الحرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فان
وثقت بامانته فليتوجه بامانته في الحلال فما قولهما علمت مخالطة الحرام بمال انسان وكان له غرض في حصول كضيافة
او صنو لك بعينه فلا يحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فينبغي ان يسال من غيره وكذا ان كان بياعا وهو يرغب
في البيع لطلب الربح فلا يحصل الثقة بقوله انه حلال ولا فائدة في السؤال منه وانما يسال من غيره وانما يسال من صاحب
اليد اذا لم يكن متهما كما يسال التركي عن المال الذي سلمه اليه من اي جهة وكما سال رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم عن الهدية والصدقة فان ذلك لا يؤذي ولا يتهم القايل فيه وكذلك اذا اتهمه بالتلبيس يسال طريق الحلال
فلا يتهم في ولاء اذا اخبر عن طريق صحيح وكذلك يسال عبده وخادمه ليعرف طريق الكسب فههنا ينبغي السؤال ان
كان يطلب المال الحرام اطلب السؤال من غيره فاذا اخبر عدل واحد قبله وان اخبر فاسق يعلم من قرينة حاله انه لا يكذب
حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لان هذا امر بينه وبين الله والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا
يحصل بقول عدل في بعض الاحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة من ظاهره يصدق وانما نيطت الشهادة
بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل ابو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق فكم من شخص
تعرفه وتعرف انه قد يقتحم المعاصي ثم انه اذا اخبر بشيء وثقت به وكذلك اذا اخبرك صبي مميز عرفته بالتثبت فقد
يحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد فاما اذا اخبر مجهول لا يدري من حاله شيء اصلا فهذا كالمجهول الذي اكل من يده لان
دلالة الظاهر على ملكه وبنا بنوبه اسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وبهذا ينظر للخلق وفي عدالة في النفس حيث
لو اجتمع منهم جماعة ينبغي ظنا قويا الا ان الواحد فيه في غاية الضعف فليتطلع الحد تأثيره في القلب فان المفتي
هو القلب في مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات الى قراين خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتأمل فيه ويدل
على وجوب الالتفات اليها ما روي عن عقبة بن الحارث انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال اني تزوجت
امراة فجاءت امة سوداء فزعمت انها قد ارضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال انها سوداء تصغر من شانها فقال عليه السلام
كيف وقد زعمت انها قد ارضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك وفي لفظ اخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب المجهول
ولم يظهر امارة غرض له فيه كان له وقع في القلب لا محالة ولذلك يتأكد الامر بالحزازة فان اطمأن اليه القلب كان
الاحتراز تحتما ولحا مسئلة حيث يجب السؤال لو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ويجوز ان يترجح
في قلبه قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ويجوز ان يترجح في قلبه قول احد العدلين او احد الفاسقين ويجوز
ان يترجح احد الجانبين بالكثرة او الاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يعسر تصويره مسئلة لو نهب متاع
مخصوص في نهب وصادف من ذلك النوع متاعا في يد انسان واراد ان يشتريه واحتمل ان لا يكون من المغصوب فان كان
ذلك الشخص ممن عرف بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وان كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيئا فان كان
يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشتري وان كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة الا نادرا وانما
كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع عن شرائه
من الورع المهم ولكن الوجوب فيه محتمل لان اليد دلالة ضعيفة والعلامة المستنبطة لها الا في بعضه فانه كان الاصل انه
مغصوب لانه تركه والتحليل دليل واكثر هذه الوقايع يلتبس الامر فيها فهي من المشتبهات التي لا يعرفها كثير من الناس
فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه مسئلة لو قال قائل سال
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن لبن قدم اليه فذكر انه من شاة فسال عن الشاة من اين هي فذكر من كذا فسكت عن السؤال

أصحيح السؤال عن اصل المال ام لا وان وجب فعن اصل واحد او اصلين او اكثر وما الضبط فيه فاقول لا ضبط فيه
والتفويض فيه الى الرأي ينظر الى الريبة المقتضية للسؤال اما وجوبا او ورعا ولا غاية للسؤال الا حيث ينقطع الريبة المقتضية
له وذلك يختلف باختلاف الاحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال
فان قال اشتريته انقطع بسؤال واحد وان قال من شاتي فوقع الشك في الشاة فان قال اشتريتها انقطع وان
كانت الريبة من الظلم وذلك فيما بين العرب وسرق الذي حريم الغصب فلا ينقطع بقوله انه من شاتي ولو قال
ان الشاة ولدتها امها الشاة في ملكي وان اسنده الى الوراثة من ابيه وحاله لا يستجهوله انقطع السؤال فان كان يعلم ان جميع
مال ابيه حرام فقد ظهر التحريم وان كان يعلم ان الاكثر حرام فكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الارث عليه
لا يغير حكمه فلينظر الى هذه المعاني مسئلة سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادمهم
الذي يقدم الطعام اليهم وقف على ذلك المسكن ووقف اخر على جهة اخرى على غير هؤلاء وهو يخلط ويسوق الكل
على هؤلاء فاكل طعامه حرام او حلال او شبهة فقلت هذا ينقسم الى سبعة اصول

الاصل الاول ان الطعام الذي يقدم اليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة لا سيما في الاطعمة والمستحقر
فليس فيه شبهة الا الخلاف

الاصل الثاني ان ينظر ان الخادم يشتريه بعين المال الحرام او في الذمة
فان اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وان لم يعرف فالغالب انه يشتري في الذمة ويكون الاخذ بالغالب فلا يثبت
به تحريم بل شبهة احتمال بعيد فهو شراء بعين حرام

الاصل الثالث انه من اين يشتريه فان
اشتراه ممن اكثر ماله الحرام لم يجز وان كان اقل فالورع نظر فيه وان لم يعرف جاز له الاخذ بانه يشتريه ممن ماله
حلال او ممن لا يعرف المستحق لانه كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لان ذلك هو الغالب فلا
يثبت منها تحريم بل شبهة احتمال

الاصل الرابع ان يشتريه لنفسه او للقوم فان المتولي والخادم
كالنائب وله ان يشتري لهم ولنفسه ولكن يكون ذلك بنية او بصريح اللفظ واذا كان يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ
والغالب انه لا ينوي عند المعاطاة والقصاب والخبازون بيناه يكون تعويلهم عليه ويقصد البيع منه لا ممن يحضرون
فيقع عنه جهة ويدخل في ملكه فهذا الاصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يثبت انهم ياكلون من ملك الخادم

الاصل الخامس ان الخادم يقدم اليهم ولا يمكن ان يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك وانما يقدم له
اعتمادا على عوض من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس بيع ولا اقراض لانه لو انتقض بطل الثمن بالثمن استبعد ذلك
وفيه الحالات لا يطلبه فاشبه اصل ينزل عليه من الحالة الهبة بشرط الثواب اعني هدية لا لفظ فيها من شخص يقتضي
قرينة حاله انه يطمع في ثواب رده للصحيح والثواب لا يلزم وههنا طمع الخادم في ان ياخذ ثوابها مما يتم الا خيرهم
الوقف ليقضي به دينه من القصاب والخبازين والبقال فهذا ليس فيه شبهة اذ لا يشترط لفظ في الهبة ولا في
تقديم الطعام وان كان يجمع اسقاط الثواب الا انه يقول من لا يصحح الهبة في استحقاق ثواب

الاصل السادس ان الثواب الذي يلزم فيه خلاف فقيل انه اقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى
له ان لا يرضى باضعاف القيمة والصحيح انه يتبع رضاه فاذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد رضي بما ياخذ من
السكان على الوقف فان كان لهم من الحق بقدر ما اكلوه فقد تم الامر وان كان ناقصا ورضي به الخادم صح ايضا ولكن
علم ان الخادم لا يرضى لولا ان في يده الوقف الاخر الذي ياخذه بسبب هؤلاء السكان فكانه رضي بالثواب بعضه
بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل في السكان فهذا الخلل يتطرق الى الاثمر وقد ذكرنا حكمه من قبل وانه
من مقتضى التحريم ومن مقتضى الشبهة ومن الاسخي تحريمها على ما فصلناه فلا يسلب المتحرج الا بوصل المنعم بسبب
الهبة الحرام

الاصل السابع انه يتعوض به القصاب والخبازون والبقال عن ارتفاع الوقف فانه وقف

ما احتمل حتى يتم سقيه ما الطعم فمن صح الاسر فان تحرج عنه وترك القصاب والخباز بان كان حراما او وصل الى يده
خل تطرق الى ثمن الطعام ثم فيلتفت الى ما تقدم من الشرا في الذمة ثم قضاء الثمن من حرام وهذا اذا علم انه
قضاه من حرام فان احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة ابعد فتحرجه من هذا الاكل من هذا البيع حرام ولكن اكل شبهة
وهو بعيد من الورع لان هذه الاصول اذا كثرت وتطرق الى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام اكثر منه لا محالة
في النفس كما ان الحديث اذا طال اسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه اقوى مما اذا قرب اسناده فهذا حكم المال الذي
تداوله الايدي والتناوب واما اوردناه ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتبسة وانها كيف ترد الى الاصول فان ذلك
مما يعجز عنه اكثر المفتين

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام واخراجه ووظيفة اخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما

النظر الاول في كيفية التمييز والاخراج

اعلم ان كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب او
وديعة او غيرها فامره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو اما ان كان في مال هو من ذوات الامثال كالحبوب
والنقود والادهان واما ان يكون في اعيان متمايزة كالعبيد والثياب والدور فان كان في المتماثلات او كان
شائعا في المال كله كمن اكتسب المال من تجارة يعلم انه قد كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها او من غصب دهنا وخلطه
بدهن نفسه او فعل ذلك في الحبوب او الدراهم والدنانير فلا يخلو اما ان كان معلوم القدر او مجهولا فان كان معلوم
القدر مثل ان يعلم ان قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف فان اشكل فله طريقان احدهما الاخذ باليقين
والآخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة الا الاخذ باليقين
لان الاصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير الا بعلامة قوية وليس في اعداد الركعات علامة يوثق بها واما
ههنا فلا يمكن ان يقال الاصل ان ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الاخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع
في الاخذ باليقين فان اراد الورع فطريق التحري والاجتهاد ان لا يستبقي الا القدر الذي يتيقن انه حلال وان
اراد الاخذ بالظن فطريقه مثلا ان يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن ان النصف حلال وان الثلث
حرام ويبقى السدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو ان يقتطع القدر المتيقن
من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد فيه ان غلب على ظنه التحريم اخرجه وان غلب الحل جاز له الامساك والورع
اخراجه وهذا الورع اوكد لانه صار مشكوكا فيه وكان امساكه اعتمادا على انه في يده فيكون الحل اغلب عليه وقد كان
ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام ويحتمل ان يقال الاصل التحريم فلا يأخذ الا ما يغلب على ظنه انه حلال وليس احد الجانبين
اولى من الآخر وليس يتبين لي في الحال ترجيح وهو من المشكلات فان قيل هب انه اخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس
يدري انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز ان يقال اذا اختلطت ميتة بتسع مذكاة
فله ان يطرح واحدة اي واحدة كانت ويأخذ الباقي ويستحله ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل لو
طرح التسع واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال انه الحرام فنقول بل المال يحل باخراج
البدل لتطرق المعاوضة اليه واما الميتة فلا يتطرق المعاوضة اليها فلنكشف الغطاء عن هذا الاشكال بالفرض في
درهم معين اشتبه بدرهم آخر من ذي درهمين احدهما حرام وقد اشتبه عينه فقد سئل احمد بن حنبل عن مثل هذا فقال
يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل المرتهن آنيتين وقال لا ادري ايتهما آنيتك فتركهما
فقال المرتهن هذا الذي لك وانما كنت اجربك فقضى دينه ولم يأخذ الرهن ورعا ولكنا نقول انه غلب الظن
في درهم لمالك معين فنقول اذا رد احد الدرهمين عليه ودفع مع العلم بحصته الحال حل له الدرهم الآخر لانه
لا يخلو اما ان يكون المردود في علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وان كان غيره فقد حصل الكل واحد درهم

في يد صاحبه والاحتياط ان يقابلها بالسعر فان لم يفعل ووقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وكان المغصوب منه
قد مات لم يتم ذلك في يد الغاصب وعسر الوصول الى عينه واستحق ضمانه فما اخذه وقع عن الضمان وهذا في جانب واضح
فان المغصوب منه ملك المال بحكم الشرع متعين لنظر وان اشكل في الجانب الآخر فلم يتحقق ملكه فسبيله الا انا نقضي بانه
كالفقير يقع ذلك في نفسه فقد تقدم ان الغاصب في يد الآخر وليس يمكن الوصول اليه فهو كالنائب ويحصل لا يعيده في
حكم الله ان كان الامر كذلك وسبب هذا التبادل في علم الله كما لو سقط الشاص لو التقى رجلان كل واحد منهما على صاحبه
من غير ان يعين سابقا وقع كل واحد ماله في يده في الحرام والحرمة كان مقابله ولم يكن عليه عهدة للآخر بطريق التقاص
فكذلك اذا تم سلف فمن الحقوق بهذا اولى من المغصوب الذي ياخذ دينه حراما ويطرحه في الف الف درهم لرجل آخر بتصرف
كل المال المحرم عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدي اليه فانظر الى هذا من البعد وليس مما ذكرناه الا ترك
القبط والمعاطاة تبع ومن الجهل بعلمه فيث سيطرق اليه احتمال اذ الفضل يضعف دلالة البحث بل يكفي الملك في
الف التسليم والتسليم والقبادلة قطعا والبيع عن يمكن للآن المبيع مشار اليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما لا يقبل
البيع كما لو خلط رطل دهن بالف رطل دهن لغيره وكذا الذهب والرطب وكل ما لا يباع البعض فان قيل فانتم جوزتم
اذا لم يعرف من يحضره بحجة من شراء هذه العقود وجعلتموه بيعا قلنا لا نجعله بيعا بل نقول بدل ما فات في يده فملكه كما
يملك المتلف عليه من الرطب اذا اخذ مثله بهذا اذا اساعده صاحب المال ولكنا نقول ان ساعده واحد وقال لا احد
وربما اصلا الا عين ملكي فان اشتبهت فاتركه ولا اهبه ولا اعطيك الا ذلك فاولى على القاضي ان ينوب عنه
فيقبض حتى يطيب للرجل ماله فان هذا محض التعنت والتضييق والشرع لا يرد به وان عجز عن القاضي ولم يجده
فيحكم رجلا مستدينا ليقبض عنه فان عجز فيتولى هو بنفسه ويفرزه على نية الصرف الى ذلك الرجل ويتعين ذلك ويطيب
له الباقي وهذا في خلط المائعات اظهر والزم فان قيل فينبغي ان يحل له الاخذ ويفصل الحق الى نية كان حاجة
الى الاخراج اولا ثم التصرف في الباقي قلنا قال قائلون يحل له ان يأخذ ما دام قدر الحرام ولا يجوز ان يأخذ الكل
فاخذ لمجرد ذلك وقال آخرون ليس له ان يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الابدال وقال الآخرون
لا يجوز للآخذ ان يأخذ منه واما هو فلا يحل فان اعطى غيره يؤديه لا للاخذ واصحا جوزنا اخذ الكل وهذا لكن الا
المالك لو ظهر فله ان يطالبه من هذه الجملة اذ يحتمل المصروف الى الشيء عينه حتى يهلك المال ويمتنع تميزه
لا احتمال ولا على عينه وما هو اقرب الى الحق ان يقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فلذلك ما يحتمل فيه ان يرجع
العين يقدم على ما لا يحتمل ولو جاز ان يأخذ ان يسد ذلك لكان لصاحب الدهن الآخر ان يأخذ الدهنين ويصرف
منهما ويسرد على صاحبه من موضع آخر ولا اختلاط من الجانبين وليس بكلامنا ان يقدم ما بابا اولى من الآخر الا
ان ينظر الى الاقل فيقدر ما يحل ويبعد او ينظر الى الذي خلط فيجعل بتعديه الحق عليه وكلاهما بعيدان جدا وهذا
واضح في ذوات الامثال فاما ما يقع عوضا في تركة فات من غير عقد اما اذا اشتد او رد وبدا وجه تعيينه فلا
الى المصالحة والتراضي فان ابى ان يأخذ الا عين حقه ولم يقف عليه واراد ان يتخلص عن جميع ملكه فان كانت مماثلة
اتم بالطريق ان يتبع القاضي جميع العقود ويوزع الثمن عليهم بقدر النسبة وان كانت متفاوتة اخذ من طالب البيع
قيمة اخس العقود وصرف الى الممتنع منه متفاوتة لا يقل ويقف في معرفة التفاوت الى التبين او الاصطلاح الا ان
المشكل ان لم يوجد القاضي فللذي يريد الخلاص وفي يده الكل ان يتولى ذلك بنفسه بين يدي الصلحة وما عرفناه من الاحمال
صيغته المختارة ويلتبس تنبيه على العمل به وهذا في الخلط ظاهر وفي النقود درهم في الورض اخفض اذا لم يسع البعض
بعد العين البعض فلذلك لم يحتج الى البيع ولنختم بيان هذا الاصل بمسئلة اخرى وهي جماعة ورثوا
السلطان فتصنيفه لم يرثهم ورثه عليه قطعة معينة بين جميع الورثة ولورثة بعضهم من مقبرة سابقة لم اخذ منه فان

النصف الذي لا يتميز حتى يقال هو المردود والباقي هو المغصوب ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصده حين الغصب
في نصف لا في نصف آخر. مسئلة: اذا وقع في يده مال حرام من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل
منه ارتفاع فينبغي ان يحسب اجرة مثله لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة او حصل منه زيادة فلا تصح توبته
ما لم يخرج اجرة المغصوب وكل زيادة حصلت منه ويتعين اجرة العبد والثياب والاواني وامثال ذلك مما لا تعتاد
اجارتها مما يتيسر ولا يدرك ذلك الا بالاجتهاد والتخمين وكذا كل التقديرات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الاخذ بالاقصى
وما يتجه على المال المغصوب في عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة اذا كان ثمنه
حراما كما سبق حكمه وان كان باعيان تلك الاموال فالعقود كانت فاسدة وقد قيل ينفذ باجازة المغصوب منه للمصلحة
ليكون المغصوب اولى به والقياس انه ينفسخ تلك العقود ويسترد الثمن ويرد الاعواض وانما يعجز عنه لكثرته ويحصل اموال
حرام قد حصلت في يده فللمغصوب منه قدر راس ماله والفضل حرام يجب اخراجه ليتصدق به فلا يحل للغاصب ولا
للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده. مسئلة: من ورث مالا ولم يدر ان مورثه من اين اكتسبه امن حلال
او حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه حراما وشك في قدره اخرج مقدار الحرام بالتحري
وان لم يعلم ذلك ولكن علم ان مورثه كان يتولى اعمال السلاطين واحتمل انه لم يكن ياخذ في عمله شيئا او كان قد
اخذ ولم يبق في يده منه لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب فان علم ان بعض ماله كان من الظلم فيلزمه
اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا يلزمه والاثم على المورث واستدل بما روي ان رجلا ممن ولي عمل
السلطان مات فقال الصحابي الآن طاب ماله اي لوارثه وهذا ضعيف لانه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من
متساهل فقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن
المختلط ومن اين يؤخذ ذلك نعم اذا لم يستيقن يجوز ان يقال هو غير مطالب بما لا يدري فيطيب لوارثه الذي لا يدري ان فيه
حراما ليس يدري قدره. **النظر الثاني** في المصرف فاذا اخرج الحرام فله ثلاثة احوال اما ان يكون له مالك معين فيجب الصرف
اليه او الى وارثه وان كان غائبا فينتظر حضوره او الايصال اليه وان كانت له زيادة ومنفعة فليجمع فوائده الى وقت
حضوره واما ان يكون لمالك غير معين وقع الياس من الوقوف على عينه ولا يدري انه مات عن وارث ام لا فهذا
لا يمكن الرد فيه لكثرة الملاك كالغلول في الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق
دينارا واحدا مثلا على الف والفين فهذا ينبغي ان يتصدق به واما ان يكون في مال الفيء والاموال المرصدة لمصالح
المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور التي يشترك
في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لا شبهة فيه اما التصدق وبناء
القناطر فينبغي ان يتولاه القاضي فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم
اليه ضامن لو ابتدا به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد عالما متدينا فان
التحكيم اولى من الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود الصرف واما عين الصارف فانما
نطلبه لمصارفات دقيقة في المصالح فلا يترك اصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو اولى عند القدرة عليه فان
قيل ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة الى ان ذلك غير جائز لانه حرام
وحكي عن الفضيل انه وقع في يده درهمان فلما علم انهما من غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال لا اتصدق الا بالطيب
ولا ارضى لغيري ما لا ارضاه لنفسي فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس اما
الخبر فامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه فكلمته بانها حرام اذ قال
اطعموها الاسارى ولما نزل قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون كذبه المشركون وقالوا

للصديق الا ترون ما يقول صاحبكم يزعم ان الروم ستغلب فخاطرهم ابو بكر رضي الله عنه باذن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فلما حقق الله صدقه جاء ابو بكر بما قامرهم به فقال عليه السلام هذا سحت فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله وكان
قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له في المخاطرة مع الكفار واما الاثر فان ابن مسعود رضي الله عنه
اشترى جارية فلم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه ان رضي والا
فالاجر لي وسئل الحسن رحمه الله عن توبة الغال وما يؤخذ منه بعد تفرق الجيش فقال يتصدق به وروي ان رجلا سولت له نفسه فغل
مائة دينار من الغنيمة ثم اتى اميره ليرده عليه فابى ان يقبضه وقال تفرق الناس فاتى معاوية رضي الله عنه فابى ان
يقبض فاتى بعض النساك فقال ادفع خمسه الى معاوية وتصدق بما بقي فبلغ معاوية قوله فتلهف اذ لم يخطر له ذلك
وقد ذهب احمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من الورعين الى ذلك واما القياس فهو ان هذا المال مردد بين
ان يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ قد وقع الياس عن مالكه وبالضرورة يعلم ان صرفه الى خير اولى من القائه
في البحر فانا ان رميناه في البحر فقد فوتناه على انفسنا وعلى المالك
ولم تحصل منه فائدة واذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول
الاجر للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح ان للزارع والغارس اجرا في كل ما يصيبه الناس
والطيور من ثماره وذلك بغير اختياره واما قول القائل لا نتصدق الا بالطيب فذلك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الان نطلب الخلاص
من المظلمة لا الاجر وترددنا بين التضييع والتصدق ورجحنا جانب التصدق وقول القائل لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لانفسنا فهو كذلك ولكنه علينا
حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذ احله دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل واذا حل
فقد رضينا له الحلال ونقول ان له ان يتصدق على نفسه وعياله اذا كان فقيرا اما عياله واهله فلا يخفى لان الفقر لا
ينتفي عنهم بكونهم من عياله واهله بل هم اولى من يتصدق عليهم واما هو فله ان ياخذ منه قدر حاجته لانه ايضا فقير ولو تصدق
به على فقير لجاز وكذا اذا كان هو الفقير ولنزد في بيان هذا الاصل ايضا بمسائل. مسئلة: اذا وقع في يده مال من يد
سلطان قال قوم يرده الى السلطان فهو اعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من ان يتصدق به واختار المحاسبي ذلك
وقال كيف يتصدق به ولعله مال كان معينا ولو جاز ذلك لجاز ان يسرق من السلطان ويتصدق به وقال قوم يتصدق به
اذا علم ان السلطان لا يرده الى المالك لان ذلك اعانة للظالم وتكثير لاسباب ظلمه فالرد اليه تضييع لحق المالك والمختار
انه اذا علم من عادة السلطان انه لا يرده الى مالكه فيتصدق به عن المالك فهو خير للمالك ان كان له مالك
معين من ان يرد على السلطان لانه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فرده على السلطان تضييع واعانة
للسلطان الظالم وتفويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر اذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالاخذ من
السلطان فانه يشبه اللقطة التي ايس عن معرفة صاحبها اذ له ان يتصرف فيها بالتصدق عن المالك وله ان
يتملكها ان كان فقيرا من حيث انه اكتسبه بجهة مباحة وهي الالتقاط وههنا تحصيل المال بجهة مباحة فيتوقف في
التملك ولا يتوجه المنع من التصدق. مسئلة: الذي حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له ان ياخذ قدر حاجته
لفقره فينبغي ان ينظر في حاجته نظرا ذكرناه في كتاب اسرار الزكاة وقد قال قوم ياخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وان قدر على
شراء ضيعة او تجارة يكتسب بها لعياله فعل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الاولى ان يتصدق بالكل ان وجد في نفسه
قوة التوكل ويترصد للطف الله في الحلال فان لم يستطع فله ان يشتري ضيعة او يتخذ راس مال ليتعيش بالمعروف منه وكل
يوم وجد فيه حلالا امسك ذلك اليوم عنه فاذا فني عاد اليه فاذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما انفقه من قبل
ويكون ذلك قرضا عليه ثم ياكل الخبز ويترك اللحم ان قدر عليه والا اكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره من ان لا يتنعم
عليه ولكن جعل ما انفقه قرضا عليه فيه نظر ولا شك في ان الورع ان يجعله قرضا اذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن

مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه بل يبعد ان يجب عليه ايضا اذا اخذه لفقير لا سيما اذا وقع في يده
من ميراث ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الامر عليه فيه مسئلة اذا كان في يده حلال وحرام او شبهة
وليس يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه اوكد في نفسه منه في عبده وعياله
واولاده الصغار واما الكبار من اولاده فيحرسهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم الى ما هو اشد منه فان افضى فيطعمهم
بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو انه يتناول مع العلم والعيال ربما يعذرون
اذ لم يعلموا ثم اذا لم يكن الامر بينة فليبدأ في الحلال بنفسه ثم بمن يعول واذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته
وبين غيره من المؤن كاجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال وكالاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد
الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما يتعلق ببدنه ولا غناء عنه هو اولى
بان يكون طيبا واذا دار بين القوت واللباس فيحتمل ان يقال يخص القوت بالحلال لانه يمتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت
من حرام فالنار اولى به واما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والابصار عن بشرته وهذا هو الاظهر عندي
وقال الحارث المحاسبي يقدم اللباس لانه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روي انه لا يقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه
بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن امثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ومن نبت لحمه من حرام فمراعاة اللحم
والعظم ان ينبت من الحلال اولى ولذلك تقيا الصديق رضي الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى
فان قيل فاذا كان الكل مصروفا الى اغراضه فاي فرق بين نفسه وبين غيره وبين جهة وجهة وما مدرك هذا الفرق
قلنا عرف ذلك بما روي ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عن ذلك فنهى عن كسب الحجام فروجع مرات فنهى فقيل ان له ايتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما
يأكله هو او دابته واذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه مسئلة الحرام الذي
في يده لو تصدق على الفقراء فله ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر وما انفق على عياله فليقتصد
وليكن وسطا بين التوسع والتضييق فيكون الامر على ثلاث مراتب وان انفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه
وان كان غنيا فلا يطعمه الا اذا كان في برية او قدم ليلا ولم يجد شيئا فانه في ذلك الوقت فقير وان كان الفقير
الذي حضر ضيفه تقيا لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليجمع جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا
ينبغي ان يكرم اخاه بما يكره ولا ينبغي ان يعول على انه لا يدري فلا يضره فان الحرام اذا حصل في المعدة اثر في قساوة
القلب وان لم يعرفه صاحبه ولذلك تقيا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وان افتينا
بانه حلال للفقير احللناه بحكم الحاجة فهو كالخنزير والخمر اذا احللناه بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات مسئلة
اذا كان الحرام او الشبهة في يد ابويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل
ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله وان كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه ان الورع طلب
رضاهما بل هو واجب فليتلطف في الامتناع فان لم يقدر فليوافق وليقلل الاكل بان يصغر اللقمة ويطيل المضغ
ولا يتوسع فان ذلك عدوان والاخت والاخ قريبان من ذلك لان حقهما ايضا مؤكد وكذلك اذا البسته امه ثوبا
من الشبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا عند حضورها
فيصلي فيه صلاة المضطر وعند تعارض اسباب الورع ينبغي ان يتفقد هذه الدقائق وقد حكي عن بشر انه حملت
اليه امه رطبة وقالت بحقي عليك ان تاكلها وكان يكرهها فاكل ثم صعد غرفة فصعدت امه وراءه فرأته يتقيا
فعله لانه اراد ان يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة وقد قيل لاحمد سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا
فقال احمد هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل العبادي عنها فقال بر والديك فما تقول فقال احب ان تعفيني

نقد بعث بما فيه الاثم قال ما احسن ان تقدمهم مسئلة من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية
لانه مفلس ولا تجب عليه الزكوة اذ معنى الزكوة وجوب اخراج ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما ردا على المالك ان عرفه او
صرفا الى الفقراء ان لم يعرف المالك واما اذا كان مال شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لان
كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج الا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث يغلب تحريمه فان كفر اولى بالوجوب وان لزمته
كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليخرج عما عليه بيقين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون
الاطعام اذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكفيه الاطعام والذي نختاره ان كل شبهة حكمنا بوجوب
اجتنابها ولزمنا اخراجها من يده لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصدقة والاطعام
اما الصوم فلانه مفلس حكما واما الاطعام فلانه قد وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل ان يكون اللزوم له فيكون
اللزوم من جهة الكفارات مسئلة من في يده مال حرام امسك عن الحج فان اراد ان يتطوع بالحج ان كان ماشيا
فلا باس لانه سيأكل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة اولى فان كان لا يقدر على ان يمشي ويحتاج الى
زيادة للركوب فلا يجوز له اخذ الشبهة في الطريق كما لا يجوز شراء المركوب في البلد وان كان يتوقع
القدرة على حلال لو اقام بحيث يستغني به عن الحرام فالاقامة في انتظاره اولى من الحج ماشيا بمال
الحرام مسئلة من خرج للحج الواجب بمال فيه شبهة فليجتهد ان يكون قوته من الطيب فان لم يقدر فمن وقت
الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام
وملبسه حرام فليجتهد ان لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره ثوب حرام فانا وان جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة وما الحقناه
بالطيبات فان لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من تناوله ما ليس بطيب فعساه ينظر الله اليه
بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته مسئلة سأل احمد رجل فقال له مات ابي وترك مالا
وكان يعامل من تكره معاملته فقال تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له عليه دين وله دين فقال تقضي وتقتضي فقال
افترى ذلك فقال تدعه محتسبا بدينه ولما ذكره صحيح وهو يدل على انه رأى التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال
يخرج قدر الربح وانه رأى ان اعيان اموال من يكتسب الحرام لا تحرم اذا اختلطت في المعارضات الفاسدة بطريق التعامل
مهما امكن التصرف وعسر الرد وعول في قضاء دينه على انه متيقن فلا يترك بسبب الشبهة والله اعلم بالصواب

الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة امور في مدخل ذلك المال الى يد السلطان من اين هو وفي صفته
التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي يأخذه هل يستحقه اذا اضيف الى حاله وحال شركائه في الاستحقاق **النظر
الاول** في جهات الدخل للسلطان وكل ما يحل للسلطان سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان ماخوذ من
الكفار وهو الغنيمة المأخوذة بالقهر والفيء وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية واموال المصالحة
التي تؤخذ بالشروط والمعاقدة والقسم الثاني المأخوذ من المسلمين فلا يحل منه الا قسمان المواريث وسائر الاموال
الضائعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها اما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان وما
عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام فاذا كتب لفقيه او غيره
ادرارا او صلة او خلعة على جهة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما ان يكتب على الجزية او على المواريث او على الاوقاف
او على ملك احياه السلطان او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة التجار او على الخزانة
فالاول هو الجزية واربعة اخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس

لا ابيعه لما فيه مصلحة ويدعى فيه الاحتياط في الدين نحو حلال بشرط ان لا تكون الجزية الا مضروبة على وجه شرعي
زيادة على دينار او على اربعة دنانير فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط
ان يكون الذمي الذي يوخذ منه مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ونحوه ولا يوخذ من
صبي ولا امراة اذ لا جزية عليهما فهذه امور يراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تضرب عليه وفيما
يصرف اليه فيعتبر النظر في جميع ذلك الثاني المواريث والاموال الضائعة فهي للمصالح والنظر فيه ان الذي خلفه هل كان
ماله كله حراما او اكثره او اقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما فالنظر في صفة من يصرف اليه بان يكون في الصرف اليه مصلحة
ثم في المقدار المصروف الثالث الاوقاف وكذلك يجري النظر فيه كما يجري في الميراث مع زيادة النظر في شرط الواقف
حتى يكون الماخوذ موافقا له في جميع شرائطه الرابع ما احياه السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط اذ له ان يتملك
ملكه ما شاء من الموات وانما النظر في ان الغالب انه احياه باكراه الاجراء او اجرتهم من حرام فان الاحياء
يحصل بحفر القناة والانهار وبناء الجدران وتسوية الارض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كان اكرههم على العمل
لم يملكه السلاطين وهو حرام وان كانوا استاجرهم ثم قضى اجرتهم من الحرام فهذا يورث شبهة وقد نبهنا عليه في
تعلق الكراهة بالاعواض الخامس ما اشتراه السلطان في الذمة من ارض او ثياب خلعة او فرس او غيره فهو ملكه
وله ان يتصرف فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد سبق تفصيله السادس
ان يكتب على عامل خراج المسلمين او من جمع من اموال التسمية والمصادرة وهو الحرام المحض الذي لا شبهة فيه وهو اكثر
ادرارات في هذا الزمان الا على اراضي العراق فانها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين السابع
ما يكتب على بياع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيرهم فماله كمال خزانة السلطان وان كان يعامله مع غيره
اكثر فما يعطيه يرضى على السلطان وسياخذ بدله من الحرام فالحلال يتطرق اليه العوض وقد سبق حكم ثمن الحرام
الثامن ان يكتب على الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فاذا لم يعرف للسلطان دخل الا من الحرام فهو
سحت محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على الحلال والحرام فاحتمل ان يكون ما يسلم اليه بعينه من الحلال
احتمالا قويا ما يوقع في الشبهة واحتمل ان يكون من الحرام وهو الاغلب لان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار
والحلال في ايديهم معدوم او عزيز وقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله ان ياخذه
وقال آخرون لا يحل ان ياخذ ما لم يتحقق انه حلال فلا يحل شبهة اصلا وكلاهما اسراف والاعتدال ما قدمناه
وهو الحكم بان الاغلب اذا كان الحرام حرم وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقف كما سبق
ولقائل ان يحتج بجواز اخذ مال السلاطين اذا كان فيها حرام وحلال مهما لم يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روي عن
جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم ابو هريرة وابو سعيد الخدري
وزيد بن ثابت وابو ايوب وجرير بن عبد الله وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من
مروان ويزيد بن عبد الملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابراهيم والحسن
وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هارون الرشيد الف دينار في دفعة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال
علي رضي الله عنه خذ ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من
ترك العطاء منهم تورعا مخافة على دينه ان يحمل على ما لا يحل الا ترى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان
نحلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسال وعن سعيد بن المسيب
عن ابي هريرة انه كان اذا اعطاه معاوية سكت وان منعه وقع فيه وعن الشعبي عن ابن مسروق انه قال لا يزال العطاء باهله
حتى يدخلهم النار اي يحملهم ذلك على الحرام لا انه في نفسه حرام وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنه ان المختار كان

يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسال احدا ولا ارد ما رزقني الله واهدي اليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار
ولكن يعارضه ما روي ان ابن عمر رد هدية المختار والاسناد في رده اثبت وعن نافع ان معاوية بعث الى ابن
عمر بستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض من بعض من اعطاه واعطى السائل ولما قدم الحسن
بن علي على معاوية رضي الله عنهم فقال لاجيزنك بجائزة لم اجزها احدا قبلك من العرب ولا اجيزها احدا بعدك من العرب
قال فاعطاه اربعمائة الف فاخذها وعن حبيب بن ابي ثابت قال لقد رايت جوائز المختار لابن عمر وابن عباس فيقبلانها
فقيل ما هي قال مال وكسوة وعن الزبير بن عدي انه قال سلمان اذا كان لك صديق عامل او تاجر يقارف الربا فدعاك
الى طعام او نحوه او اعطاك شيئا فاقبل فان لك المهنا وعليه الوزر فان ثبت هذا في المربي فالظالم في معناه وعن جعفر
عن ابيه ان الحسن والحسين رضي الله عنهما كانا يقبلان جوائز معاوية رضه وقال الحكم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير
وقد جعل عاملا على اسفل الفرات فارسل الى العشارين ان اطعمونا مما عندكم فارسلوا الطعام فاكل واكلنا معه وقال
العلاء بن زهير الازدي اتى ابراهيم ابي وهو عامل على حلوان فاجازه فقبل وقال ابراهيم لا باس بجائزة العمال لان
للعمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما اعطاك فهو من طيب ماله فقد اخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين
الظلمة وكلهم طعنوا على من اطاعهم في معصية الله وزعم بعض الفرقة ان ما نقل من امتناع جماعة لا يدل على التحريم بل على الورع
كالخلفاء الراشدين وابي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاؤه
الى محظور ورعا وتقوى فاقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع اولئك لا يدل على التحريم وما نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك
عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثون الفا وما نقل عن الحسن من قوله لا اتوضا من ماء صيرفي وان ضاق وقت
الصلاة لاني لا ادري اصل ماله فكل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه احسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم
على الاتساع ايضا فهذه شبهة من يجوز اخذ مال السلطان الظالم والجواب ان ما نقل من اخذ هؤلاء محصور قليل بالاضافة
الى ما نقل من ردهم وانكارهم وان كان يتطرق الى اتباعهم احتمال الورع فيتطرق الى اخذ من اخذ منهم احتمال الاستحقاق
في الجملة بتفاوتهم في الورع فان للورع في حق السلاطين اربع درجات **الدرجة الاولى** ان لا ياخذ من مالهم
شيئا اصلا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى ان ابا بكر رضه حسب جميع ما كان اخذه من
بيت المال فبلغ ستة الاف درهم فغرمها لبيت المال وحتى ان عمر رضه كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له و
اخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكي
وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه فاخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لآل
عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكسح ابو موسى الاشعري بيت المال فوجد درهما فمر بني لعمر فاعطاه فراى عمر
بيده الدرهم فقال ما هذا قال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في اهل المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لا يبقى
من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا
ولكن خاف ان لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على ما لا بد منه امتثالا لقوله عليه السلام دع ما يريبك
الى ما لا يريبك ولقوله من تركها فقد استبرا لدينه وعرضه ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التشديد
في الاموال السلطانية حتى قال عليه السلام حين بعث عبادة بن الصامت الى الصدقة اتق الله يا ابا الوليد لا تجيء يوم
القيامة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء او بقرة لها خوار او شاة لها ثؤاج قال يا رسول الله ايكون ذلك قال نعم والذي
نفسي بيده الا من رحم الله قال والذي بعثك بالحق لا اعمل على شيء ابدا وقال صلى الله عليه وآله وسلم اني لا اخاف
عليكم ان تشركوا بعدي انما اخاف عليكم ان تنافسوا انما اخاف التنافس في المال ولذلك لما ذكر عمر في حديث طويل
ذكر فيه مال بيت المال اني لم اجد نفسي فيه الا كوالي مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت

بالمعروف وروي ان ابا طاوس استعمل كاتبا من لسانه الى عمر بن عبد العزيز رضه فاعطاه ثلثمائة دينار وباع
طاوس صنعة لدفعه الى عمر ... انا السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه من الدرجة العليا في الورع

الدرجة الثانية هو ان ياخذ مال السلطان ولكن انما ياخذ اذا علم ان ما ياخذه من جهة حلال فاشتمال
يد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار او اكثرها او ما اختص منها باكابر الصحابة والورعين
منهم مثل ابن عمر رضي الله عنهما فانه كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من اشدهم
انكارا عليهم واشدهم ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه واشفق على نفسه من ولايته
وكونه ماخوذا عند الله به فقالوا له انا نرجو لك الخير حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت
فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال اقول ذلك اذا طاب المكسب وزكت النفقة وسترد فترى وفي حديث آخر انه
قال ان الخبيث لا يكفر الخبيث وانك قد وليت البصرة ولا احسبك الا وقد اصبت منها شرا فقال له ابن عامر الا
تدعو لي فقال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة من
غلول وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه الى الخيرات وعن ابن عمر انه قال في ايام الحجاج ما شبعت من الطعام
منذ انتهبت الدار الى يومي هذا وروي عن علي رضي الله عنه انه كان له سويق في اناء مختوم يشرب منه فقيل اتفعل
هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما اني لا اختمه بخلا به ولكني اكره ان يجعل فيه ما ليس منه واكره ان يدخل بطني غير طيب
فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يعجبه شيء الا خرج منه فطلب منه نافع بثلثين الفا فقال اني اخاف ان تفتنني
دراهم ابن عامر وكان هو الطالب اذهب فانت حر وقال ابو سعيد الخدري ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا
الا ابن عمر فبهذا يتضح انه لا يظن به وبمن كان في منصبه انه ياخذ ما لا يدري انه حلال **الدرجة الثالثة**
ان ياخذ ليتصدق به على الفقراء او يفرقه على المستحقين فان ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فاذا كان السلطان
ان لم ياخذه لم يفرقه واستعان به على الظلم فقد نقول اخذه منه وتفرقته اولى من تركه في يده وهذا قد رآه بعض
العلماء وسياتي وجهه وعلى هذا ينزل ما اخذه اكثرهم ولذلك قال ابن المبارك ان الذين ياخذون الجوائز اليوم
ويحتجون بابن عمر وعائشة ما اقتدوا بهم لان ابن عمر فرق ما اخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقة ستين الفا
وعائشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد قبل ما تصدق به وقال رايت ان آخذ منهم واتصدق احب الي من
ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل الشافعي رضه بما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه
حبة **الدرجة الرابعة** ان لا يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستنفق ولكن ياخذ من سلطان اكثر ماله
حلال وهكذا كان الخلفاء في زمن الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن اكثر وهذا مما يحتج به جماعة
العلماء اكثر ما لهم حراما ويدل عليه تعليل علي بعض ... حيث قال فان ما ياخذ من الحلال اكثر يدل على ان الاكثر
يتعاطى فيه في حق آحاد الناس ومال السلطان اشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد ان يؤدي اجتهاد مجتهد الى
جواز اخذ ما لم يعلم انه حرام اعتمادا على الغلب وانما منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت هذه الدرجات
فحسبت ان ادرارات الظلمة في زماننا لا تجري مجراها ولا ينبغي ان تقاس بها من وجهين قاطعين احدهما ان اموال السلاطين
في عصرنا حرام كلها او اكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والفيء والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شيء في
يد السلاطين ولم يبق الا الجزية وانها تؤخذ بانواع من الظلم لا يحل اخذها به فانهم يجاوزون حدود الشرع
في الماخوذ والماخوذ منه والوفاء بالشرط ثم اذا نسبت ذلك الى ما ينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين
ومن المصادرات والرشى وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشره والوجه الثاني ان الظلمة في العصر الاول
لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوقين الى استمالة قلوب الصحابة ٥

والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون اليهم من غير سؤال واذلال بل كانوا
يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به وكانوا ياخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في اغراضهم ولا يغشون
مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم فما
كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم فلم يكن باخذهم باس فاما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين
بعطية الا لمن طمعوا في استخدامهم والتكثر بهم والاستعانة بهم على اغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة
على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء في حضورهم ومغيبهم فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال اولا وبالتردد في الخدمة
ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة على اغراضه عند الاستعانة رابعا وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا
وباظهار الحب والموالاة والمناصرة له على اعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوي اعماله سابعا لم ينعم عليه
بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي مثلا فاذن لا يجوز ان ياخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم انه حلال لافضائه
الى هذه المعاني فكيف ما يعلم انه حرام او يشك فيه فمن استجرأ على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس
الملائكة بالحدادين ففي اخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء
عليهم والتردد الى ابوابهم وكل ذلك معصية على ما سنبين في الباب الذي يلي هذا فاذن قد تبين مما تقدم مداخل
اموالهم وما يحل منها وما لا يحل فلو تصور ان ياخذ الانسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته
يساق اليه لا يحتاج فيه الى تفقد عامل وخدمته ولا الى ثناء عليهم وتزكيتهم ولا الى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ ولكن يكره
لمعان سننبه عليها في الباب الذي يلي هذا **النظر الثاني** من هذا الباب في قدر الماخوذ وصفة الآخذ
ولنفرض المال من اموال المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف
او صدقة او خمس فيء او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما احياه او اشتراه فله ان يعطي ما شاء لمن شاء وانما النظر
في الاموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه الا الى من فيه مصلحة عامة او هو محتاج اليه عاجز عن الكسب فاما
الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفي
كلام عمر رضه ما يدل على تخصيص صنف بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم به تتعدى مصلحته الى المسلمين
ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التي
تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم
ايضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد
المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن اهل العداوة واهل البغي واعداء الاسلام ويدخل فيه الكتاب و
الحساب والوكلاء وكل من يحتاج اليه في ترتيب ديوان الخراج اعني العمال على الاموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال
للمصالح والمصلحة اما ان تتعلق بالدين او بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالاجناد حراسة الدنيا والدين والملك
توأمان فلا يستغني احدهما عن الآخر والطبيب وان كان لا يرتبط بعلمه امر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين
يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج اليها في مصلحة الابدان او مصلحة البلاد ادرار من
هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين اعني من يعالج منهم بغير اجرة وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا
مع الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار
بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع ويغني وله ان يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد اخذ
الحسن رضه من معوية في دفعة اربعمائة الف درهم وقد كان عمر رضه يعطي لجماعة اثني عشر الف درهم نقرة
في السنة واثبت عائشة في هذه الجريدة ولجماعة عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم

حتى لا يبقى منه شيء فان خص كل واحد بالكثير فلا بأس وكذلك للسلطان ان يخص من هذا المال ذوي الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي ان يلتفت فيه الى المصلحة ومهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلاطين وانما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين احدهما ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته وهو اما معزول او واجب العزل فكيف يجوز ان يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني انه ليس يعمم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للآحاد ان يأخذوا أفيجوز لهم ان يأخذوا بقدر حصصهم ام لا يجوز اصلا ام يجوز لكل واحد ان يأخذ ما اعطي اما الاول فالذي نراه انه لا يمنع اخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب الطاعة للامراء وقد ورد في الامر بطاعة الامراء والمنع من سل اليد عن مساعدتهم اوامر وزواجر فالذي نراه ان الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني العباس رضي الله عنهم وان الولاية نافذة للسلاطين في اقطار البلاد المبايعين للخليفة وقد ذكرنا في الكتاب المستظهري ما يشير الى وجه المصلحة فيه والقول الوجيز انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأسا فكيف يفوت رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع الا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في اقطار الارض ولاية نافذة الاحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في احكام الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلسنا نطول الآن به واما الاشكال الآخر وهو ان السلطان اذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد ان يأخذ منه فهذا مما اختلف فيه العلماء على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري ان حصته منه دانق او حبة فليترك الكل وقال قوم له ان يأخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم انه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطي الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال ما لو صرف اليه بطريق الايثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له ان يأخذ والتفضيل جائز في العطاء سوى ابو بكر رضي الله عنه فراجعه عمر رضي الله عنه فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ وفضل عمر في زمانه فاعطى عائشة اثني عشر الفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية واقطع عمر لعلي خاصة رضي الله عنهما واقطع عثمان ايضا من السواد خمس جنات وآثر عثمان عليا رضي الله عنهما فقبل منه ولم ينكر وكل ذلك جائز فانه في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي اقول فيها ان كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لا نص لصاحب الشرع فيها اصلا ولا في مسألة تقرب منها فيكون في معناها بقياس جلي كهذه المسألة ومسألة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين والكل سنة وحق وان كل واحد من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة فان المفضول ما رد في زمان عمر شيئا الى الفاضل مما كان قد اخذه في زمان ابي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا ان كل واحد من الرأيين حق فليؤخذ هذا الجنس دستورا للاختلافات التي يصوب فيها كل مجتهد فاما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص او قياس جلي بغفلة او سوء رأي وكان في القوة بحيث ينقض حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب من اصاب النص او ما في معنى النص

ويحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين او الدنيا واخذ من السلطان خلعة او ادرارا على التركات او الجزية لم يصر فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنائه واطرائه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا الا بها كما سنبينه

الباب السادس

فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم

اعلم ان لك مع الامراء والعمال الظلمة ثلاثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك اما الحالة الاولى وهي الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الاخبار والآثار فننقلها لتعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم اما الاخبار فانه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد ان يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم وذلك لان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال عليه السلام سيكون بعدي امراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد علي الحوض وروى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال ابغض القراء الى الله عز وجل الذين يزورون الامراء وفي الخبر خير الامراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الامراء وفي الخبر العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضي الله عنه واما الآثار فقال حذيفة رضي الله عنه اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلطان فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت حب القارئ الناسك للامراء نفاق وحبه للاغنياء رياء وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له ولم قال لانه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل انما عملت له على شيء يسير فقال له عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شؤما وشرا وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين وقال وهيب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء ولما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين اليه عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه عليه السلام وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله عز وجل لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك في جنب ما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله عز وجل فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة الآية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد

وما يحكى على الله من تغير في نعت ولا في السموات السلم يهتدي من الاخبار فهذه الآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتنة
وانواع الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان
متعرض لان يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا ينفك عن احدها اما الفعل فالدخول
عليهم في غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن الملاك حرام ولا يغرنك قول القائل ان ذلك
مما يتسامح به الناس كتمرة او فتات خبز فان ذلك صحيح في غير المغصوب اما المغصوب فلا لانه ان قيل كل جلسة خفيفة
لا تنقص الملك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجري هذا في كل واحد فيجري في المجموع والغصب انما تم بفعل الجميع وانما
يتسامح به اذا انفرد اذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فاما اذا كان ذلك طريقا الى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم
ينسحب على الكل فلا يجوز ان يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على ان كل واحد انما يخطو خطوة لا تنقص الملك لان المجموع
مفوت للملك وهو كضرب خفيف في التعليم يباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب
القصاص على الجميع مع ان كل واحد من الضربات لو انفرد لكان لا يوجب قصاصا فان فرض الظالم في موضع غير
مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله فهو حرام والدخول اليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام
واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصي بالدخول من حيث انه دخول ولا بقوله السلام عليك ولكن
ان سجد او ركع او مثل قائما في سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم
معصية بل من تواضع لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضي التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم
فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية الا عند خوف او لامام عادل او لعالم
او لمن يستحق ذلك بامر ديني قبل ابو عبيدة بن الجراح يد عمر لما لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف
حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات فاما السكوت عن رد الجواب
ففيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من
الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل فاما السكوت فهو
انه سيرى في مجلسهم من فرش الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من رأى
سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء والسكوت على
جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين الثياب وآكلين الطعام وجميع ما في ايديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب
عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت
فهذا حق ولكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه
عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا نقول من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز
له ان يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي ان يحترز عن مشاهدته واما القول فهو ان يدعو للظالم
او يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك رأسه او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب والموالاة
والاشتياق الى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه
الاقسام اما الدعاء فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته او ما يجري هذا
المجرى فاما الدعاء بالحراسة وطول البقاء واسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال عليه السلام
من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز الدعاء الى الثناء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا
ومكرما لظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال عليه السلام ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد
اعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له فيما يقول والتزكية على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالاعانة

فان التزكية والثناء اعانة على المعصية وتحريك الرغبة فيه كما ان التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه
والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى الى
ان يموت ثم تعرض عنه فان جاوز ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه فان كان
كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم وحقه ان يبغضه في الله ويمقته فالبغض
في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص لمحبته وان احب
لسبب آخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وكان الواجب عليه ان يبغضه فان اجتمع في شخص خير وشر وجب
ان يحب لاجل ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر وسيأتي في كتاب الاخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين البغض
والحب فان سلم من ذلك كله فلا يسلم من فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسعه في النعمة ويزدري
نعم الله عليه ويكون مقتحما نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا
فانها مسخطة للرزق وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان
ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات واما محظورات دعي سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك
بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي عليه السلام نهى عن بيعتين فقيل ادخل من الباب
واخرج من الباب الآخر قال والله لا يقتدي بي احد من الناس فجلده مائة والبسه المسوح ولا يجوز الدخول عليهم
الا بعذرين احدهما ان يكون من جهتهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة فيجب عليه الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة
الخلق حتى لا يضطرب الولاية والثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق
التظلم فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول الحالة الثالثة
ان يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه واما القيام والاكرام فلا يحرم مقابلة له على اكرامه
فانه باكرام العلم والدين مستحق للاحماد كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن
الاولى ان لا يقوم ان كان معه في خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين واعراضه عمن
اعرض عن الله فاعرض الله عنه وان كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام
على هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث فسادا في الرعية ولا يناله اذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام اولى ثم
يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصحه فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرفه فليعرفه فذلك
واجب واما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن
ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده الى طريق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل بها
غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى غرضه بالظلم فاذن يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف
فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم فهذه ثلاثة امور تلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا
وهو ايضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر او بغير عذر وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة
واذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينا انا عنده اذ
دق داق الباب واذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له ما لي اذا رأيتك امتلأت منك رعبا
قال حماد لانه عليه السلام قال ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وان اراد ان يكنز به الكنوز هاب من كل
شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تأخذها وتستعين بها قال ارددها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك
الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتأخذها وتقسمها قال لعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق
منها انه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني الحالة الثالثة ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك وهو الواجب اذ لا سلامة الا

فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا
يتاسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله امرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن فاذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما
قاله حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم
فما عسى ان يكون في اليوم وما قاله ابو الدرداء اذ قال اهل الاموال ياكلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس
ولهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها براء وكل من احاط علمه بظلم ظالم ومعصية
عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لان من صدر منه ما يكره نقص به رتبته في القلب لا محالة
والمعصية ينبغي ان تكره فانه اما ان تغفل عنها او ترضى بها او تكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة
فليكن جناية كل احد على حق الله كجنايته على حقك فان قلت الكراهية لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب قلنا ليس كذلك
فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله لا يحب الله وانما لا يحب الله
من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة واذا احبه كره ما كرهه واحب ما احبه وسياتي تحقيق ذلك في كتاب
المحبة والرضا فان قلت فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل كما حكي
ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد
تفانوا قال من التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين
ولكن قال السلام عليك ولم يكنه ولكن جلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم
بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال
وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم علي بامرة المؤمنين
ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام فقال اما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فاني
اخلعها بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت
علي بن ابي طالب عليه سلام الله يقول لا يحل لرجل ان يقبل يدي احد الا امراته من شهوة او ولده من رحمة واما قولك
لم تسلم بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله سمى
اولياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت
امير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم
قيام فقال هشام عظني فقال سمعت من امير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب
كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان الثوري قال ادخلت على ابي جعفر بمنى فقال لي
ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملات الارض ظلما وجورا قال فطاطا راسه ثم رفع راسه
فقال ارفع الينا حاجتك قلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق
الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطاطا راسه ثم رفع وقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر بن الخطاب فقال لخازنه
كم انفقت قال بضعة عشر درهما واري ههنا اموالا لا تطيق الجمال حملها فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين اذا الزموا
وكانوا يغررون بارواحهم في الانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن ابي شميلة على عبد الملك وكان يوصف بحسن العقل
والادب فقال له عظني فقال يا امير المؤمنين ان الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى
فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم لاجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني
ما عشت ابدا ولما استعمل عثمان بن عفان ابن عباس اتاه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابطا عنه ابو
ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الرجل اذا ولي ولاية

تباعد الله عنه ودخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرات في بعض الكتب ان الله يقول من احمق من سلطان
ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم ولبست
الصوف وتركتها عظاما تتقعقع فقال له والي البصرة اتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال قلة
الطمع فينا وترك الامساك لما في ايدينا وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد
فجزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال له عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس
فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا امير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكي ان سليمان بن عبد الملك
قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت فقال
لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال يا ابا حازم كيف القدوم على الله
قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى سليمان وقال
ليت شعري ما لي عند الله قال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي
جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا ابا حازم اي عباد الله اكرم قال اهل
المروءة والتقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاي الدعاء اسمع قال دعاء المحسن اليه
للمحسن قال فاي الصدقة افضل قال للسائل البائس وجهد المقل ليس فيها من ولا اذى قال فاي القول اعدل
قال قول الحق عند من تخافه او ترجوه قال فاي المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاي
المؤمنين احمق قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان وما تقول فيما نحن فيه قال
او تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير المؤمنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك
عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم
فقال رجل من جلسائه بئس ما قلت قال ابو حازم ان الله تبارك وتعالى قد اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا
يكتمونه قال فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد قال ان تاخذه من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر عليه
فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع لي فقال ابو حازم اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير
الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمان اوصني فقال اوصيك واوجز عظم
ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك وقال عمر بن عبد العزيز لابي حازم عظني فقال اضطجع ثم
اجعل الموت عند راسك ثم انظر ما تحب ان يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن وما تكره ان يكون فيك تلك الساعة
فدعه الآن فلعل تلك الساعة قريبة ودخل اعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا اعرابي فقال يا
امير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال يا اعرابي انا لنجود بسعة الاحتمال
على من لا نرجو نصحه ولا نامن غشه قال الاعرابي يا امير المؤمنين انه قد تكنفك رجال اساءوا الاختيار لانفسهم
فابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله عز وجل ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم للدنيا
فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عز وجل فانهم لم يالوا في الامانة تضييعا وفي الامة خسفا وعسفا وانت مسؤول عما
اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته
بدنيا غيره فقال سليمان اما انك يا اعرابي قد سللت لسانك وهو اقطع سيفك فقال اجل يا امير المؤمنين ولكن لك
لا عليك وحكي ان ابا بكرة دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة
تاتي عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه فما
اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك الطالب وانا وما نحن فيه زائل والذي نحن صائرون اليه باق ان خيرا فخير وان شرا

فهكذا كان دخول اهل العلم على السلاطين اعني علما الحق فاما علما الدنيا فيدخلون ليتقربوا الى قلوبهم فيدلونهم
على الرخص ويستنبطون بدقايق الحيل طرق السعة فيما يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ
لم يكن قصدهم الاصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى احدهما ان يظهر انه
قصدي في الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على انفسهم ذلك وانما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة
وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من اقرانه في العلم
ووقع موقع القبول وظهر به اثر الصلاح فينبغي ان يفرح به ويشكر الله على كفايته هذا المهم كمن وجب عليه ان يعالج
مريضا ضايعا فقام بمعالجته غيره فانه يعظم به فرحه وان كان يصادف في قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو
مغرور الثاني ان يزعم اني اقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما ذكرناه
واذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم في الاحوال العارضة في مخالطة السلاطين وما يشرع اليهم مسائل مسئلة
اليك السلطان مالا لتفرقه على الفقرا فان كان له مالك معين فلا يحل اخذه وان لم يكن بل كان حكمه انه يجب التصدق
به على المساكين كما سبق فلك ان تاخذه وتتولى التفرقة ولا تعصي باخذه ولكن من العلما من امتنع عنه فعند هذا ينظر في
الاولى فنقول الاولى ان تاخذه ان امنت ثلث غوايل الغايلة الاولى ان يظن السلطان بسبب اخذك ان ماله طيب
ولولاه لكنت لا تمد اليه يدك ولا تدخله في ضمانك فان كان كذلك فلا تاخذه فان ذلك محذور ولا تفي الخيرات بمباشرتك
التفرقة بما يحصل لك من الجراة على كسب الحرام الغايلة الثانية ان ينظر اليك غيرك من العلما والجهال فيعتقدون انه
حلال فيقتدون بك ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون فهذا اعظم من الاول فان جماعة يستدلون باخذ الشافعي على جواز
الاخذ ويغفلون عن تفرقته واخذه على نية التفرقة فالمقتدى والمتشبه به ينبغي ان يحترز منه غاية الاحتراز
فانه يكون فعله سبب ضلال الخلق وقد حكي عن وهب بن منبه ان رجلا اتي الى ملك بمشهد من الناس واكره على اكل لحم
الخنزير فلم ياكل فقدم اليه لحم غنم واكره بالسيف فلم ياكل فقيل له في ذلك فقال ان الناس قد اعتقدوا اني طولبت بلحم الخنزير فاذا
خرجت سالما وقد اكلت فلا يعلمون ماذا اكلت فيضلون ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف اخي الحجاج وكان عاملا
وكان في غداة باردة فقال لغلامه هلم ذلك الطيلسان والقه على ابي عبد الرحمن اي طاوس وكان قد قعد على الكرسي
فالقي عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى القى الطيلسان عنه وغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن ان تغضبه
لو اخذت الطيلسان وتصدقت به قال نعم لولا ان يقول من بعدي اخذه طاوس ولا يصنع به ما اصنع به اذن لفعلت
الغايلة الثالثة ان يتحرك قلبك الى حبه لتخصيصه اياك وايثاره لك بما انفذه اليك فان كان كذلك فلا تقبل فان ذلك
هو السم القاتل والدا الدفين اعني ما يحبب الظلمة اليك فان من احببته لا بد وان تحرص عليه وتداهن فيه قالت
عايشة رضي الله عنها جبلت القلوب على حب من احسن اليها وقال عليه السلام اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي بين
ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك وروي ان بعض الامرا ارسل الى مالك بن دينار بعشرة الاف فاخرجها كلها فاتاه
محمد بن واسع وقال له ما صنعت بما اعطاك هذا المخلوق فقال سل اصحابي فقالوا اخرجه كله قال انشدك الله اقلبك
اشد حبا له الان ام قبل ان ارسل اليك فقال لا بل الان فقال انما كنت اخاف هذا وقد صدق فانه اذا احبه احب بقاه
وكره عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو مذموم وقال سلمان
بن مسعود من رضي بامر وان غاب عنه كان كمن شهده وقال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا قيل لا ترضوا
باعمالهم فان كنت بالقوة بحيث لا تزداد حبا بذلك فلا باس بالاخذ وقد حكي عن بعض عباد البصرة انه كان ياخذ
اموالا ويفرقها فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدي فادخلني الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبي لان
الذي سخره للاخذ بيدي هو الذي ابغضه لاجله شكرا له على تسخيره اياه وبهذا يتبين ان اخذ المال الان منهم وان

كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور مذموم لانه لا ينفك عن هذه الغوايل مسئلة ان قال قايل اذا جاز اخذ ماله
وتفرقته فهل يجوز ان يسرق ماله او يخفي وديعته ويجحد ويفرق على الناس فنقول ذلك غير جايز لانه ربما يكون له مالك
معين وهو على عزمه ان يرده عليه وليس كما يبعثه اليك فان العاقل لا يظن به ان يتصدق بما يعلم مالكه فيدل تسليمه على
انه لا يعرف مالكه فان كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز ان يسرق منه المال ما لم يعرف ذلك ثم كيف يسرق ويحتمل
ان يكون ملكه قد حصل له بشرا في ذمته فان اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل اليه بل لو وجد لقطة وظهر ان صاحبها
جندي واحتمل ان يكون له بشرا في الذمة اعني وجب الرد عليه فاذا لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن اودع عنده
ولا يجوز انكار الوديعة ويجب الحد على سارق مالهم الا اذا ادعى السارق انه ليس له مالك معين فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى
مسئلة المعاملة معهم حرام لان اكثر مالهم حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام فان ادى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى
النظر فيما يسلم اليهم فان علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم انهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من
الخمار وانما الخلاف في الصحة وان احتمل ذلك وامكن ان يلبسه نساوه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى بعينه في الاول
وفي معناه بيع الفرس منهم لا سيما في وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او جباية اموالهم فان ذلك اعانة لهم بفرسه وهي
محظورة فاما بيع الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجراها مما لا يعصى بعينه بل يتوسل به فهو مكروه لما فيه من اعانتهم على
الظلم لانهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وساير الاسباب وهذه الكراهة جارية في الاهدا اليهم وفي العمل
لهم من غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة والترسل والحساب واما تعليم القرآن فلا يكره الا من حيث اخذ
الاجرة فان ذلك حرام الا من وجه يعلم حله ولو انتصب وكيلا لهم يشتري لهم في السوق من غير جعل واجرة فهو مكروه من
حيث الاعانة وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون به المعصية كالغلام والديباج للفرش واللبس والفرس للركوب الى الظلم
والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال والعرف الدال عليه
حصلت الكراهة مسئلة الاسواق التي بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها تاجر
واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه وللناس ان يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا اخرى فالاولى
الشرا منه فان ذلك اعانة لسكانهم وتكثير لكرا حوانيتهم وكذلك معاملة السوق التي لا خراج لهم عليها احب من معاملة
سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى لم يجوزوا معاملة الفلاحين واصحاب الاراضي التي عليها خراج لانهم ربما
يصرفون ما ياخذونه الى الخراج فيحصل به الاعانة وهذا غلو في الدين وحرج على المسلمين فان الخراج قد عم
الاراضي ولا غنى بالناس عن ارتفاع الارض ولا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الارض حتى لا يطلب
خراجه وذلك مما يطول ويتداعى الى حسم باب المعاش مسئلة معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم
بل اشد اما القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فانهم على زي العلما
ويختلطون بهم وياخذون من اموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاقتدا بذوي الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق
اليهم واما الخدم والحشم فاكثر اموالهم من الغصب الصريح ولا يقع في ايديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال حتى
تضعف الشبهة باختلاط الحلال بها قال طاوس لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم على من شهدت
عليه وبالجملة انما فسدت الرعية بفساد الملوك وفسدت الملوك بفساد العلما فلولا القضاة السوء والعلما السوء لقل
فساد الملوك خوفا من انكارهم ولذلك قال عليه السلام لا تزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم يمال قراوها
امراها وانما ذكر القرا لانهم كانوا هم العلما وانما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة وما ورا ذلك من العلوم
محدثة بعدهم وقال سفيان لا تخالط السلطان ولا من يخالطه وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب
القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركا بعض وقد صدق فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعن في الخمر عشرة ه

حتى العاصي والعشار وقال ابن مسعود آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتاباً حتى تعلم ما فيه
وامتنع سفيان من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما يكتب به فكل من حوالي السلاطين من خدمهم
ظلمة كلهم يجب بغضهم في الله جميعاً وروي عن عثمان بن زائدة انه سأله واحد من الجند وقال اين الطريق
واظهر انه اصم وخاف ان يكون متوجهاً الى الظلم فيكون هو بارشاده الى الطريق معيناً وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف
مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين واهل الحمامات والصاغة والصباغين وارباب الحرف مع غلبة الكذب
والفسق عليهم بل مع الكفار من اهل الذمة وانما هذا في الظلمة خاصة الآكلين لاموال اليتامى والمساكين والمواظبين
على ايذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعارها وهذا لان المعصية تنقسم الى لازمة ومتعدية
والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله وحسابه على الله واما معصية الولاة بالظلم وهو متعدية
وانما يغلظ امرهم لذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدي يزدادون عند الله مقتاً فيجب ان يزداد منهم اجتناباً ومن
معاملتهم احترازاً فقد قال عليه السلام يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار وقال عليه السلام من اشراط الساعة رجال
معهم سياط كاذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القبا وطول الشوارب
وسائر الهيآت المشهورة فمن رؤي على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لانه الذي جنى على نفسه
اذ تزيا بزيهم ومساواة الزي تدل على مساواة القلب ولا يتجانن الا مجنون ولا يتشبه بالفساق الا فاسق نعم
الفاسق قد يلتبس فيتشبه باهل الصلاح فاما الصالح فليس له ان يتشبه باهل الفساد لان ذلك تكثير لسوادهم وانما نزل
قوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة وقد
روي ان الله اوحى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفاً من خيارهم وستين الفاً من شرارهم
فقال ما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا يتبين ان بغض الظلمة والغضب
لله عليهم واجب وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لعن علماء بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين
في معايشهم مسألة المواضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط
فيها وينظر اما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما امكن فان وجد عنه معدلاً تأكد الورع وانما
جوزنا العبور وان وجد معدلاً لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالكاً كان حكمها ان ترصد للخيرات وهذا خير فاما اذا
عرف ان الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة او مقبرة او مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه اصلاً الا لضرورة يحل
بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه واما المسجد فان بني في ارض مغصوبة
او بخشب مغصوب من مسجد آخر او ملك معين فلا يجوز دخوله اصلاً ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف
الامام وليقف خارج المسجد فان الصلاة في الارض المغصوبة تسقط الفرض بها وتنعقد في حق الاقتدا وان عصى
صاحبه بالوقوف في الغصب وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد آخر ان وجد فان لم يجد
غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لانه يحتمل ان يكون من ملك الذي بناه ولو على بعد وان لم يكن له مالك معين فهو
لمصالح المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد اعني في الورع
قيل لاحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج الى الصلاة ونحن بالعسكر فقال حجتي ان الحسن وابراهيم التيمي خافا ان
يفتنهم الحجاج وانا اخاف ان افتتن ايضاً فاما الحلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول فانه غير منتفع بها انما
هي زينة والاولى ان لا ينظر اليه واما البواري التي فرشوها فان كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها والا فبعد
ان ارصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ولكن الورع العدول عنه فانه محل الشبهة فاما السقاية فحكمها ما ذكرناه فليس

من الورع الوضوء والشرب منها والدخول اليها الا اذا كان يخشى فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة واما الرباطات
والمدارس فان كانت الرقبة مغصوبة او الآجر منقولاً من موضع معين يمكن الرد الى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وان التبس
المالك فقد ذكرنا ان الورع اجتنابه ولكن الظاهر الفتوى جوازه اذ حكم هذه الابنية ان صدرت من جهة السلاطين
ان يصرف الى المصالح اذ لا يعرف مالكه ... الى المصالح والملك الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ ما لا
يعرف له مالك ... مسألة الارض المغصوبة اذا جعلت شارعاً لم يجز ان يتخطى البتة وانما
يجوز ... وان كان له مالك معين ... فاما ان كان الشارع مباحاً وعليه ساباط
وفي وجه الجواز الجلوس تحت السقف كالمشي في الشارع لمستطرق ان يستظل بالسقف في دفع حر الشمس والمطر وغيرهما
لان السقف يراد لذلك وكذا حكم من دخل مسجداً او ارضاً مباحة سقف وحوط بغصب ... لا يكون
محتجباً بالسقف الا اذا كان له فائدة في الحيطان والسقف ... فذلك حرام لان استباحة
الحرام ... على الغصب لما فيه من المماسة بل للاستظلال ... والسقف للاستظلال فلا

الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها وقد سئل عنها في الفتاوى

مسألة سئل عن خادم الصوفية يخرج الى السوق ويجمع طعاماً او نقداً ويشتري به طعاماً فمن الذي يحل له ان
ياكل منه وهل يختص بالصوفية ام لا فقلت اما الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوه واما غيرهم فيحل لهم اذا اكلوه برضا الخادم
ولكن لا يخلو عن شبهة اما الحل فلان ما يعطى لخادم الصوفية انما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو للخادم لا للصوفية وهو كالرجل
المعيل يعطى بسبب عياله لانه يتكفل بهم وما ياخذه يقع ملكاً له لا للعيال وله ان يطعم غير العيال اذ يبعد ان يقال لم يخرج
عن ملك المعطي ولا استيلاء الخادم على الشراء والتصرف فيه لان ذلك يصير الى الملك ... لا يكفي ... ثم لا صائر اليه
في الصدقات والهدايا ويبعد ان يقال ذلك الملك الى الصوفية الحاضرين في الخانقاه اذ لا خلاف
انه له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو مات كلهم او واحد منهم لم يجب صرف نصيبه الى الورثة ولا يمكن ان يقال انه وقع لجهة
التصوف ولا يتعين له مستحق لان الملك الى الجهة لا يوجب تسليطاً لاحد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينحصرون
الى يوم القيامة فاما ما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز ان ينتصب نائباً عن الجهة فلا وجه الا ان يقال
هو ملكه وانما يطعم الصوفية بحكم شرط التصوف والمروءة فان منعهم منه منعهم عن ان يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى
تنقطع رفقتهم فلا يتطوع ... مسألة سئل عن مال اوصى به للصوفية فمن الذي يجوز ان يصرف اليه
فقلت التصوف امر باطن لا يطلع عليه فلا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف في اطلاق اسم الصوفي والضابط
الكلي ان كل من هو بصفة اذا نزل في خانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكراً عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل
ان يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية وان لا يكون مشتغلاً بحرفة وان يكون مخالطاً لهم بطريق المساكنة
في الخانقاه ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها يجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق
لان الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من اهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم لا يستحق ما اوصى
للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصغائر واما الحرفة والاشتغال بالكسب فيمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر
والصانع في حانوته او داره والاجير الذي يخدم باجرة كل هؤلاء لا يستحقون ولا يجبر هذا بالزي والمخالطة فاما الوراقة
والخياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها فاذا تعاطاها لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع
الاستحقاق وكان ذلك لا يجبر بمساكنته اياهم مع بقية الصفات واما القدرة على الحرفة من غير مباشرة فلا تمنع واما الوعظ
والتدريس فلا ينافي اسم التصوف اذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر اذ لا متناقض ان يقال صوفي واعظ
او صوفي عالم ومدرس كما يتناقض ان يقال صوفي دهقان او صوفي تاجر او صوفي عامل واما الفقر فان زال بغنى مفرط ينسب الرجل

الى الزرع والتجارة فلا يخرجه ذلك عن حد الصوفية وان كان له مال ولا يفي دخله بخرجه لم يبطل حقه وكذا اذا كان له مال قاصر
عن وجوب الزكوة وان لم يكن له خرج ومن اعتاد له ليس لها الا العادات والمخالطة معهم ومساكنتهم ظاهرا وباطنا ولكن
مخالطهم يدخل في جملتهم وان لم يكن على زيهم ويتخلق باخلاقهم ومن شرك في سمتهم وكان ترك المخالطة بحيث لا يدخل في جملتهم فان
لم يكن على زيهم وجد سيرة الصفات فيه فلا يستحق الا اذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة و
الزي ينوبان مناب الكل والفقيه الذي ليس على زيهم فاحكم فان كان خارجا فهو ليس صوفيا فالمتزوج ونزول
شيخ من شايخهم ولا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يمنع مع وجود الشرايط المذكورة اولا الثالثة من الرباط
والسكن فلا يخرج عن جملتهم مسئلة ما وقف على رباط الصوفية وسكانها فالامر فيه اوسع مما اوصي للصوفية لان معنى
الوقف الصرف الى مصالحهم فلغير الصوفي ان ياكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبناه على التسامح حتى
جاز الانفراد به في الغنايم المشتركة وللقوال ان ياكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معاشهم وما اوصي
للصوفية لا يجوز ان يصرف الى قوال الصوفية بخلاف الوقف وكذلك لمن حضر من العمال والتجار والقضاة والفقهاء
ممن له غرض في استمالة قلوبهم يحل الاكل برضاهم فان الواقف لا يمنع الا ما هو معتاد فيه لجريان عادات الصوفية به ولا يخلو عن
ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لغير الصوفي ان يسكن معهم على الدوام وان ياكل وان رضوا به اذ ليس لهم تغيير شرط الواقف
بمشاركة غير جنسهم واما الفقيه اذا كان على زيهم واخلاقهم فله النزول عليهم وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط
في التصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت الى خرافات بعض الحمقى ان العلم حجاب فان الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا تاويل
هذه الكلمة في كتاب العلم وان الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المذموم والمحمود وشرحهما واما الفقيه اذا لم يكن على
زيهم واخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم وان رضوا بنزوله فيحل له الاكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزي يجبره الساكن
ولكن برضا اهل الزي فهذه امور يشهد لها العادات وفيها امور متقابلة لا تخفى اطرافها في النفي والاثبات وتتشابه اوساطها
فمن احترز في مواضع الاشتباه فقد استبرا لدينه كما نبهنا عليه في باب الشبهات مسئلة سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية
مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرم احدهما دون الاخرى فقلت باذل المال لا يبذله قط الا
لغرض ولكن الغرض اما آجل كالثواب واما عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى
اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها واما للتوصل بالمحبة الى غرض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذه خمسة الاول ما غرضه الثواب
في الآخرة وذلك اما ان يكون لكون المصروف اليه محتاجا او عالما او منتسبا بنسب ديني او صالحا في نفسه متدينا فما علم الآخذ انه يعطى
لحاجته لا يحل له ان علم انه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل له ان ياخذ الا ان يكون في العلم كما يعتقده المعطي فان كان
خيل اليه كمالا في العلم حتى بعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان ياخذه ان كان فاسقا
في الباطن فسقا لو علمه المعطي لما اعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة اليه وانما ستر الله الجميل
هو الذي يحبب الخلق الى الخلق والمتورعون وكلوا في الشراء من لا يعرف انه وكيلهم حتى لا يحابوا في البيع خيفة من ان ياكلوا
الا بالدين فان ذلك مخطر والتقي الخفي حتى لا يكاد العلم والنسب والتقي معنى ان ياكل الخفي بالدين ما اكل القسم الثاني
ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته فهذه هبة بشرط الثواب ولا يخفى حكمها وانما تحل عند الوفاء
بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود الثالث ان يكون المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدي
الى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هبة بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فان
كان حراما كالسعي في تنجيز ادرار حرام او ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه او
شهادة متعينة فيحرم عليه ما ياخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف
لجاز الاستئجار عليه فما ياخذه حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه القصة الى يد السلطان ولك دينار

وكان بحيث يحتاج فيه الى تعب وعمل متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينني في غرض كذا او ينعم علي بكذا وافتقر في تنجيز غرضه
الى كلام طويل فذلك جعل كما ياخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام اذا كان لا يسعى في حرام وان كان مقصوده
يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه او تلك الفعلة من ذي الجاه تفيده كقوله للبواب لا تغلق دونه باب
السلطان او كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لانه عوض عن الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت
ما يدل على النهي عنه كما سياتي في هدايا الملوك فاذا كان لا يجوز العوض عن اسقاط الشفعة والرد بالعيب وادخال الاغصان في
هواء الملك وجملة من الاغراض مع كونها مقصودة فكيف يجوز عن الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة
ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير او غيره فلا يذكره الا بعوض فان عمله في التلفظ
غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز اخذ العوض عليه ولا على علمه اذ ليس ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما
به ومن الحذاق في الصناعة كالصيقل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف او المرآة بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الخلل
ولحذقه باصابته بدقة واحدة وقد يزيد بدقة واحدة في قيمة السيف والمرآة مئة دينار فهذا لا ارى باسا باخذ الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات
يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل الرابع ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين
ولكن طلبا للاستئناس وتاكيدا للصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مقصود العقلاء ومندوب اليه في الشرع قال عليه السلم
تهادوا تحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان في الغالب ايضا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبته ولكن اذا لم تتعين تلك
الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في الحال او المآل سمي ذلك هدية وحل اخذها الخامس ان يطلب التقرب الى القلب
وتحصيل المحبة لا لمحبته ولا للانس من حيث انه انس فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض تنحصر جنسها وان لم تنحصر عينها
وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدى اليه فان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف والاخذ مكروه فان فيه مشابهة
الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها وان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة او جباية مال او غيره من الاعمال
السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى اليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية اذ القصد
بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لامر ينحصر جنسه اذ ما يمكن التوصل اليه بالولايات لا يخفى وآية انه لا يبغي المحبة
انه لو ولي في الحال غيره لسلم المال الى غيره فهذا مما اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما والمعنى فيه متعارض
فانه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين واذا تعارضت المشابهة القياسية
وعضدت الاخبار والآثار احدهما تعين الميل اليه وقد دلت الاخبار على تشديد الامر فيها قال عليه السلم ياتي على الناس زمان
يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البري ليتعظ به العامة وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن السحت فقال يقضي الرجل
الحاجة فيهدى له الهدية ولعله اراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها او تبرع بها لا على قصد اجرة فلا يجوز ان ياخذ بعد شيئا في معرض
العوض وشفع مسروق شفاعة فاهدى له صاحبها جارية فغضب ورده وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما
بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت واخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي اخذه ولداه من بيت
المال وقال اعطيتما لمكانكما مني وعلم انه اعطي لاجل جاه الولاية واهدت امراة ابي عبيدة بن الجراح الى خاتون ملكة الروم خلوقا
فكافاتها بجوهر فاخذه عمر فباعه واعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه في بيت مال المسلمين وقال جابر وابو هريرة هدايا الملوك
غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل كان عليه السلم يقبل الهدية فقال كانت له هدية ولنا رشوة اي كان يتقرب اليه لنبوته
لا لولايته ونحن انما نعطى للولاية واعظم من ذلك كله ما روى ابو حميد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث واليا
على الصدقات الازد فلما جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم امسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لي هدية فقال عليه السلم
الا جلست في بيت ابيك وبيت امك حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال ما لي استعمل الرجل
منكم فيقول هذا لكم وهذا هدية لي الا جلس في بيت امه ليهدى له والذي نفسي بيده لا ياخذ منكم احد شيئا بغير حقه الا اتى الله بحمله فلا

يأتي أحدكم يوم القيمة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ثم قال اللهم هل بلغت
وإذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيته يجوز
له أن يأخذه في ولايته وما علم أنه يعطى لولايته حرم أخذه وما أشكل عليه في أصدقائه أنهم هو شبهة فليجتنبه والله أعلم

كتاب آداب الصحبة والأخوة والعشرة

مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولاً وامتناناً وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته
إخواناً ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخداناً وفي الآخرة رفقاء وخلاناً والصلوة على محمد المصطفى
وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً أما بعد فإن التحاب في الله تعالى والأخوة
في دينه من أفضل القربات وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون
بالمتحابين في الله وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها
يتقرب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلثة أبواب إن شاء الله تعالى وحده

الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة في الله وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها

الباب الثاني في حقوق الصحبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها

الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الأسباب

الباب الأول

في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها فضيلة الألفة والأخوة اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق
والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر
ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام
إذ قال وإنك لعلى خلق عظيم وقال النبي عليه السلام أكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقال أسامة بن شريك قلنا يا رسول
الله ما خير ما أعطي الإنسان فقال خلق حسن وقال عليه السلام بعثت لأتمم محاسن الأخلاق وقال عليه السلام أثقل ما يوضع في
الميزان خلق حسن وقال عليه السلام ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال عليه السلام يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال
أبو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن
الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد في الثناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هي
الدين والتقوى وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع قال الله سبحانه وتعالى مظهراً عظم منته على الخلق
بنعمة الألفة لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وقال فأصبحتم بنعمته إخواناً أي بالألفة ثم ذم
التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا إلى قوله لعلكم تهتدون وقال عليه السلام إن أقربكم
مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وقال عليه السلام المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن
لا يألف ولا يؤلف وقال عليه السلام في الثناء على الأخوة في الدين من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر
أعانه وقال عليه السلام مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما
من صاحبه خيراً وقال عليه السلام في الترغيب في الأخوة في الله من آخى أخاً في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله
وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إني أحبك في الله فقال له أبشر ثم أبشر فإني سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ينصب

لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس
ولا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله
ورواه أبو هريرة فقال فيه إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء
ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله
وقال عليه السلام ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه ويقال إن الأخوين في الله إذا كان
أحدهما أعلى مقاماً من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به كما يلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة
إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة وقد قال الله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء وقال عليه
السلام إن الله عز وجل يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي وحقت
محبتي للذين يتناصرون من أجلي وقال عليه السلام إن الله عز وجل يقول يوم القيمة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم
في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي وقال عليه السلام سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله
ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خالياً
ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا يعلم
شماله ما تنفق يمينه وقال عليه السلام ما زار رجل رجلاً في الله شوقاً إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت
لك الجنة وقال عليه السلام إن رجلاً زار أخاً له في الله فأرصد الله له ملكاً فقال أين تريد فقال أريد أن أزور أخي فلاناً
فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبنعمة له عندك قال لا قال فبم قال أحبه في الله قال
فإن الله أرسلني إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة وقال عليه السلام أوثق عرى الإيمان الحب في الله
والبغض في الله فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله ويروى
أن الله عز وجل أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إلي فقد تعززت بي ولكن هل
عاديت في عدواً أو هل واليت في ولياً وقال عليه السلام اللهم لا تجعل لفاجر عندي يداً ولا منة فيرزقه قلبي محبة
ويروى أن الله عز وجل أوحى إلى عيسى عليه السلام لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبغض
في الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئاً وقال عليه السلام تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد عنهم والتمسوا
رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة
عمله ويروى في الأخبار السالفة أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظاناً وارتد لنفسك إخواناً وكل
خدن وصاحب لا يؤازرك على مسرتي فهو لك عدو وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال يا داود ما لي أراك منتبذاً وحداناً
قال إلهي قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظاناً وارتد لنفسك أخداناً وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه
فإنه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال يا رب كيف لي أن يحبني الناس كلهم وأسلم
فيما بيني وبينك قال خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق أهل الدنيا وأهل
الآخرة بأخلاق الآخرة وقال النبي عليه السلام إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون
بالنميمة المفرقون بين الإخوان وقال عليه السلام إن لله ملكاً نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين
الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين وقال أيضاً ما أحدث عبد أخاً في الله إلا أحدث الله له درجة في
الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون
على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كما يضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيضيء
حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله آثار قال علي رضي

عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما والله لو صمت النهار لا افطر وقمت الليل لا انام وانفقت مالي علقا علقا في سبيل الله اموت يوم
اموت وليس في قلبي حب لاهل طاعة الله وبغض لاهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئا وقال ابن السماك عند موته
اللهم انك تعلم اني اذا كنت اعصيك كنت احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي اليك وقال الحسن رضي الله عنه على ضده يا ابن
آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم
وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الاعمال او كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض
كلامه هاه تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين باي عمل
عملته باي شهوة تركتها باي غيظ كظمته باي رحم قاطع وصلتها باي زلة لاخيك غفرتها باي قريب باعدته في الله باي
بعيد قاربته في الله ويروى ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال الهي صليت لك وصمت
وتصدقت فقال ان الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والذكر نور فاي عمل عملت لي قال موسى الهي دلني
على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عاديت لي عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض
في الله وقال ابن مسعود لو ان رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب
وقال الحسن مصارمة الفاسق قربان الى الله وقال رجل لمحمد بن واسع اني لاحبك في الله فقال احبك الذي احببتني له ثم
حول وجهه وقال اللهم اني اعوذ بك ان احب فيك وانت لي مبغض ودخل رجل على داود الطائي فقال له ما حاجتك
فقال زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي اذا قيل لي من انت فتزار امن الزهاد
انت لا والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا
فلما شخت صرت مرائيا والله للمرائي شر من الفاسق وقال عمر رضي الله عنه اذا اصاب احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقلما
يصيب ذلك وقال مجاهد المتحابون في الله اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض تتحات عنهم الخطايا كما تتحات ورق الشجر
في الشتاء اذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه اخيه على المودة والرحمة عبادة **بيان معنى الحب**
في الله وتمييزه عن الحب في الدنيا اعلم ان الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو ان
الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب الاجتماع في المكتب او في المدرسة او في السوق او على
باب السلطان او في الاسفار والى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذي نريد بيانه اذ الاخوة في الدين واقعة في هذا
القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية ولا ترغيب الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة
وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد مخالطته والذي يحب
فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب
ومقصود وراءه واما ان يحب للتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها
واما ان يكون متعلقا بالآخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اقسام **اما القسم الاول**
وهو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن وهو ان يكون في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة
اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان
يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هو الصورة الظاهرة اعني حسن الخلقة
واما ان يكون الصورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الاخلاق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع
كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف
القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحظة جمال صورة وحسن خلق وخلق ولكن لمناسبة

باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشيء ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة
البشر الاطلاع عليها وعنه عبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الالفاظ
الارواح جنود مجندة تلتقي فتتشام في الهواء وكنى بعض العلماء عن هذا بان قال ان الله خلق الارواح ففلق بعضها فلقا واطافها حول العرش
فاي روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا في الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان ارواح المؤمنين
ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى احدهما صاحبه قط وروي ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى
فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت فقالت صدق الله وصدق رسول الله
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث والحق في هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد
للائتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والاخلاق باطنا وظاهرا امر مفهوم واما الاسباب التي اوجبت تلك المناسبة
فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذيان المنجم ان يقول اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره او تثليثه فهذا نظر
الموافقة والمودة فيقتضي التناسب والتواد واذا كان على مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والعداوة فهذا
لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله تعالى في خلق السموات والارض لكان الاشكال فيه اكثر من الاشكال في اصل
التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما اوتينا من العلم الا قليلا ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والشاهد
وقد ورد الخبر قال عليه السلام لو ان مؤمنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل
الى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه وهذا يدل على ان شبه الشيء منجذب اليه بالطبع وان كان
هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة الا وفي احدهما وصف من الآخر وان اشكال
الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران الا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك
فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من هاهنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكماء كل انسان يانس الى
شكله كما ان كل طير يطير مع جنسه واذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد ان يفترقا وهذا معنى
خفي تفطنت له الشعراء حتى قال قائلهم وقائل كيف تفارقتما ❊ فقلت قولا فيه انصاف ❊ لم يك من شكلي ففارقته ❊ والناس اشكال
والاف ❊ فقد ظهر بهذا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال او مآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة
في الطباع الباطنة والاخلاق الخفية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فان الصور
الجميلة مستلذة في عينها وان قدر فقد اصل الشهوة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب
بالحمرة والى الماء والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله تعالى بل هو حب بالطبع وشهوة
النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا الحب بالطبع وبشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه ان
اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصور الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وان لم يتصل به غرض مذموم
فهو مباح لا يحمد ولا يذم **القسم الثاني** ان يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره
والوسيلة الى المحبوب محبوب والمحبوب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك
احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ لا يطعم ولا يلبس ولكنهما وسيلة الى المحبوبات ومن الناس من يحب الذهب
والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود ويتوصل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله
او جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصور الفائدة على الدنيا
لم يكن من جملة الحب في الله وان لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به الا الدنيا كحب التلميذ لاستاذه فهو ايضا
خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب الى الله بل لينال به الجاه

والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول والعلم وسيلة اليه والاستاذ وسيلة الى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى اصلا ثم ينقسم هذا ايضا الى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من قهر الاقران وحيازة اموال اليتامى وظلم الرعية بولاية القضاء وغيره كان الحب مذموما وان كان يقصد به التوصل الى مباح فهو مباح وانما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصود المتوصل اليه فانها تابعة له غير قائمة بنفسها

القسم الثالث

ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الآخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء اذ قال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء والتعليم لا يتم الا بمتعلم فهو اذن آلة في تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب ترقيه الى رتبة التعظيم في ملكوت السماء فهو محب في الله بل الذي يتصدق باموال الله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله فاحب طباخا لحسن صنعته في الطبخ فهو في جملة المحبين في الله وكذلك لو احب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد احبه في الله بل نزيد على هذا ونقول اذا احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه للعلم او للعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله بل نزيد عليه ونقول اذا احب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع اغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب الى الله فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من اولي الثروة وكان المواسي والمواسى جميعا من المتحابين في الله بل نزيد عليه ونقول من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه او ليولد له ولد صالح يدعو له واحب زوجته لانها آلة الى هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك وردت الاخبار بوفور الاجر والثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته بل نقول كل من هو مستهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في الدار الآخرة فاذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبة لما هو محبوب عنده وهو رضا الله بل ازيد على هذا واقول اذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لان يتوسل به الى الله والى الدنيا فاذا احبه لصلاحه للامرين فهو من المحبين في الله كمن يحب استاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فاحبه من حيث ان في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة وهو وسيلة اليهما فهو محب في الله وليس من شرط حب الله ان لا يحب في العاجل حظا البتة اذ الدعاء الذي امر به الانبياء فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقال عيسى في دعائه اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي فدفع شماتة الاعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل لا تجعل الدنيا اصلا من همي بل قال لا تجعلها اكبر همي وقال نبينا عليه السلام في دعائه اللهم اني اسألك رحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة وقال اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة وعلى الجملة فاذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضا لحب الله فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين احدهما اقرب من الاخرى فكيف يتصور ان يحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وانما يحبه غدا لان الغد سيصير حالا راهنة وحظوظ الغد ستصير ايضا حالة راهنة فالحالة الراهنة لا بد وان تكون مطلوبة ايضا الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها وهو الذي احترز عنها الانبياء والاولياء وامروا بالاحتراز عنها والى ما لا يضاد وهو الذي لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح واكل الحلال وغيره فكل ما يضاد حظوظ الآخرة فحق العاقل ان يكرهه ولا يحبه اعني ان يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم انه لو اقدم عليه لقطعت يده او حزت رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو اكله فان ذلك محال ولكن على معنى انه يزجره عقله عن الاقدام عليه ويحصل فيه كراهية للضرر المتعلق به والمقصود من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه ويعلمه او تلميذه لانه يتعلم منه ويخدمه واحدهما حظ عاجل والآخر آجل فيكون في زمرة المتحابين في الله ولكن بشرط واحد وهو ان يكون بحيث لو منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمستنكر ان يشتد حبك لانسان لجملة اغراض ترتبط لك به فان امتنع بعضها نقص حبك وان زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى اغراض هي اكثر مما يوصل اليها الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الاغراض الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله وحده ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الايمان بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله فذلك وان دق فهو عزيز قال الجريري تعامل الناس في القرن الاول بالدين حتى رق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب وفي الثالث بالمروة حتى ذهبت المروة ولم يبق الا الرغبة والرهبة

القسم الرابع

ان يحب لله وفي الله لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراءه وهو اعلى الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من آثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه واحب من يثني عليه واحب من يثني على محبوبه واحب من يتسارع الى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في احوال العشاق ويدل عليه اشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال المجنون

شعر: امر على جدار ديار ليلى ... اقبل ذا الديار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

فاذن المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق باسبابه بحسب افراط المحبة وقوتها فكذلك حب الله سبحانه وتعالى اذا قوي وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود سواه فان كل موجود سواه اثر من آثار قدرته ومن احب انسانا احب خطه وصنعته وجميع افعاله ولذلك كان عليه السلام اذا حمل اليه الباكورة مسح بها عينيه واكرمها وقال انه قريب العهد بربنا وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من اياديه وصنوف نعمه وتارة لذاته لا لامر آخر وهو ادق وابلغ المحبة واعلاها وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربع المنجيات وكيفما انقسمت حتى يتعدى الى ما هو في نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الاحساس بالالم والفرح بفعل المحبوب وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك الالم وذلك كالفرح بضربة من المحبوب او قرصة فيها نوع معاتبة فان قوة المحبة تثير فرحا يغمر الالم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من الله ولا نفرح الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا اريد ان انال مغفرة الله بمعصيته وقال سمنون: وليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرني

وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والمقصود ان حب الله اذا قوي اثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم او عمل واثمر حب كل من فيه صفة من الصفات المرضية عند الله من خلق حسن وتأدب بآداب الشرع وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله الا اذا اخبر عن حال رجلين احدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق الا وجد في نفسه ميلا الى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف ايمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل وان كانا غائبين عنه بحيث يعلم انه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الميل حب في الله ولله من غير حظ فانه انما يحبه لان الله يحبه

بل لانه رضي عنه الله بل لانه يحب الله تعالى ولانه مشغول بعبادة الله تعالى الا انه اذا اضعف لم ينظر اليه ولا يطرب بثواب والحزن
وتتحمل على الولاية والنصرة والذب بجميع النفس والمال واللسان ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله
ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب في الحال لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة
والتابعين بل من الانبياء المتقدمين صلوات الله عليهم وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه
عند طعن اعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك لحب الله لانهم خواص عباد الله ومن احب
ملكا او شخصا جميلا احب خواصه وخدمه واحب من احبه الا انه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث
لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال شعر اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد
ان كان يرضيكم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم الم وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح
بان يشاطر محبوبه في نصف ماله او في ثلثه او في عشره فمقادير الاموال موازين المحبة اذ لا تعرف درجة المحبوب الا بمحبوب
يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل ابي بكر الصديق فانه لم
يترك لنفسه اهلا ولا مالا فسلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله قال ابن عمر بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس وعنده
ابو بكر الصديق عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال اذ نزل عليه جبريل فاقراه من الله السلام وقال له يا رسول الله ما لي ارى
ابا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فاقرئه من الله السلام وقل له يقول لك ربك
اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط قال فالتفت النبي عليه السلام الى ابي بكر فقال يا ابا بكر هذا جبريل يقرئك السلام
من الله ويقول اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فبكى ابو بكر وقال اعلى ربي اسخط انا عن ربي راض انا عن ربي
راض فحصل من هذا ان كل من احب عالما او عابدا او احب شخصا راغبا في علم او في عبادة او في خير فانما احبه في الله
ولله وله فيه من الاجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض ايضا ولكن
نزيده بيانا

بيان البغض في الله

اعلم ان من يحب في الله لا بد وان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا لانه
مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلا بد وان تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله ومن احب بسبب
يبغض بضده وهذان متلازمان لا ينفصل احدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد
من الحب والبغض دفين في القلب وانما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة و
المباعدة وفي المخالفة والموافقة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة ولذلك قال الله تعالى هل واليت فيّ وليا
وهل عاديت فيّ عدوا كما نقلناه وهذا واضح في حق من لم يظهر لك الا طاعاته اذ تقدر على ان تحبه او لم يظهر لك الا فسقه وفجوره
واخلاقه السيئة فتقدر على ان تبغضه وانما المشكل اذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف اجمع بين المحبة و
البغض وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فاقول ذلك غير متناقض
في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تحبه
من وجه وتبغضه من وجه فمن له زوجة حسناء فاجرة او ولد ذكي خادم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه
ويكون معه على حالة بين حالتين اذ لو فرض له ثلاثة اولاد احدهم ذكي بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار او ذكي
عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي ان تكون حالك بالاضافة
الى من غلب عليه الفجور ومن غلب عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بان تعطي كل صفة حظها
من البغض والحب والاعراض والاقبال والصحبة والقطيعة وسائر الافعال الصادرة منه فان قلت فكل مسلم فاسلامه
طاعة منه فكيف ابغضه مع الاسلام فاقول تحبه للاسلام وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال الكافر والفاجر
ادركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله بالطاعة له كالجناية على حقك والطاعة

لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض
وبين التودد اليه والتوحش عنه فلا تبالغ في اكرامه مبالغتك في اكرام من يوافقك على جميع اغراضك ولا تبالغ في اهانته
مبالغتك في اهانة من خالفك في جميع اغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله الى طرف الاهانة عند غلبة الجناية وتارة
الى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي ان يكون فيمن يطيع الله ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه
اخرى فان قلت فبماذا يمكن اظهار البغض فاقول اما في القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف
والتغليظ في القول اخرى واما في الفعل فبقطع السعي في اعانته مرة وبالسعي في اساءته وافساد مآربه اخرى وبعض هذا
اشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه اما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه متندم
عليها ولا يصر عليها فالاولى فيه الاغماض والستر اما ما يصر عليه من صغيرة او كبيرة فان كان ممن تأكدت بينك وبينه
مودة وصحبة فله حكم آخر وسيأتي وفيه خلاف بين العلماء واما اذا لم يتأكد اخوة وصحبة فلا بد من اظهار اثر البغض اما في
الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات اليه واما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا اشد من الاعراض وهو بحسب
غلظ المعصية وخفتها وكذلك في الفعل ايضا رتبتان احداهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو اقل الدرجات
والاخرى السعي في افساد اغراضه عليه كفعل الاعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية اما
ما لا يؤثر فيه فلا مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا بالمال والجمال والجاه
الا ان ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث ولا تحريض عليه فاذا قدرت على اعانته ليتم له مقصوده وقدرت
على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه اما الاعانة فلو تركتها اظهارا للغضب عليه في فسقه فلا بأس وليس يجب
تركها اذ ربما يكون لك نية في ان تتلطف باعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن وان لم
يظهر لك ذلك ولكن رأيت ان تعينه على غرضه قضاء لحق اسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كانت معصيته
بالجناية على حقك او حق من يتعلق بك وفيه نزل قوله تعالى ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله
لكم اذ تكلم مسطح بن اثاثة في واقعة الافك فحلف ابو بكر رضي الله عنه ان يقطع رفقه عنه وقد كان يواسيه بالمال فنزلت الآية
مع عظم معصيته بتعديه على الحرم من حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها الا ان الصديق
رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والاحسان الى من اساء من اخلاق الصديقين فانما
يحسن الاحسان فيه لان في الاحسان الى الظالم اساءة الى المظلوم وحق المظلوم اولى في المراعاة وتقوية قلبه بالاعراض
عن الظالم احب الى الله من تقوية قلب الظالم فاما اذا كنت انت المظلوم فالاحسن في حقك العفو والصفح
وطرق السلف قد اختلفت في اظهار البغض مع اهل المعاصي وكلهم اتفقوا على اظهار البغض على الظلمة والمبتدعة وكل
من عصى الله بمعصية متعدية منه الى غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم
من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان احمد بن حنبل يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسأل
احدا شيئا ولو حمل السلطان الي شيئا لاخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال انك لا بد
ان تورد اولا شبهتهم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تأويله قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته
وهذا امر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان الغالب على القلب النظر الى اضطرار الخلق
وعجزهم وانهم مسخرون لما قدروا له اورث هذا تساهلا في المعاداة والبغض وله وجه ولكن قد تلتبس به المداهنة فاكثر
البواعث على الاغضاء عن المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك
على الغبي الاحمق بانه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك ان ينظر اليه بعين الرحمة ان جنى على خاص حقه ويقول انه قد سخر له
والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعل وقد كتب عليه فمثل هذا قد يصح له نية في الاغماض عن الجناية على حق الله

وان كان يستلطف الجناية على حقه ويرحم عند الجناية على حق الله فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه به فان قلت فاقل الدرجات في اظهار البغض الهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه قلنا لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فانا نعلم ان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ القول عليه ويظهر البغض والى من يعرض عنه ولا يتعرض له والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الاحوال في هذه الامور اما مكروهة او مندوبة فتكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي الى التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف اصل المعرفة لله تعالى واصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب الى غيره وانما المتعدي افراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق اصلا

بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم

فان قلت اظهار البغض والعداوة بالفعل ان لم يكن واجبا فلا شك انه مندوب اليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا ام لا فاعلم ان المخالف لامر الله سبحانه لا يخلو اما ان يكون مخالفا في عقده او في عمله والمخالف في العقد اما مبتدع او كافر والمبتدع اما داع الى بدعته او ساكت والساكت اما لعجزه او باختياره فاقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الاول الكافر فالكافر ان كان محاربا فهو يستحق القتل والارقاق فليس بعد هذين اهانة واما الذمي فانه لا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض عنه والتحقير له بالاضطرار الى اضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك والاولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومؤاكلته فاما الانبساط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منها الى حد التحريم قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او اخوانهم الآية وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقال عليه السلام المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما الثاني المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي لانه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وان كان ممن لا يكفر به فامره بينه وبين الله اخف من امر الكافر لا محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر الكافر غير متعد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق اما المبتدع الذي يدعو الى البدعة ويزعم ان ما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب في اظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد وان سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وان علمت ان الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب اولى لان جواب السلام وان كان واجبا فيسقط بادنى غرض حتى يسقط بكون الانسان في الحمام او في قضاء حاجته وغرض الزجر اهم من هذه الاغراض وان كان في ملأ فترك الجواب اولى لينفر الناس عنه ويقبح البدعة في اعينهم وكذلك الاولى كف الاحسان اليه والاعانة له لا سيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه او لقيه ببشر فقد استخف بما انزل الله على محمد عليه السلام الثالث المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فامره اهون فالاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الاعراض وان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى لان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها واما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو اما ان يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها او كان مما لا يقتصر عليه ويؤذي غيره وذلك ينقسم الى ما يدعو غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ اسباب الشرب والفساد لاهل الفساد او لا يدعو غيره الى فعله كالذي يشرب ويزني فهذا الذي لا يدعو غيره اما ان يكون عصيانه بكبيرة او بصغيرة وكل واحد فاما ان يكون مصرا عليه او غير مصر فهذه التقسيمات يحصل منه ثلاثة اقسام ولكل قسم رتبة وبعضها اشد من بعض ولا يسلك بالكل مسلكا واحدا

القسم الاول وهو اشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب والنميمة فهؤلاء الاولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى ايذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون الى من يظلم في الدماء والى من يظلم في الاموال والى من يظلم في الاعراض وبعضها اشد من بعض فالاستحباب في اهانتهم والاعراض عنهم مؤكد جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجر لهم او لغيرهم كان الامر فيه آكد واشد الثاني صاحب الماخور الذي يهيئ اسباب الفساد ويسهل طرقها على الخلق فهذا لا يؤذي الخلق في دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم وان كان على وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف منه فان المعصية بين العبد وبين الله الى العفو اقرب ولكن من حيث انه متعد على الجملة الى غيره فهو شديد وهذا ايضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن ان فيه نوعا من الزجر له او لغيره الثالث الذي يفسق في نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور يخصه فالامر فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب لان النهي عن المنكر واجب فاذا فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر عليه فان تحقق ان نصحه يمنعه من العود وجب النصح وان لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالافضل النصح والزجر بالتلطف او بالتغليظ ان كان هو الانفع فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم انه يصر وان النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح ان ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الاعمال بالنيات اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والاعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فالاولى ضده اذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به الى غرض او لخوف من تأثير وحشته ونفرته في جاه او مال بظن قريب او بعيد وكل ذلك تردد الى اشارات الشيطان وبعيد عن اعمال الآخرة فكل راغب في اعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الاحوال والقلب هو المفتي فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظان انه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات ويدل على التخفيف في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روي ان شارب خمر ضرب مرات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال عليه السلام لا تكن عونا للشيطان على اخيك او لفظ هذا معناه وكان هذا اشارة الى ان الرفق اولى من العنف والتغليظ

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال صلى الله عليه وآله وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ولا بد ان يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته ويشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى المقصود فبالاضافة الى المقصود تظهر الشروط وتطلب الصحبة لفوائد دينية ودنيوية اما الدنيوية فكالانتفاع بالمال او الجاه او مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا واما الدينية فيجتمع فيها ايضا اغراض مختلفة اذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الاحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها

استطار الشناعة في الآخرة عنه قال بعض السلف استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك
وروي في غريب التفسير في قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم
الجنة معهم وقال إذا غفر للعبد شفع في إخوانه ولذلك حث جماعة من الصحابة على الصحبة والإلفة والمخالطة وكرهوا العزلة
والانفراد فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل إلا بها ولنفصلها أما على الجملة فينبغي أن يكون فيمن تؤثر صحبته
خمس خصال أن يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل
فلا خير في صحبة الأحمق وإلى القطيعة والوحشة يرجع عاقبتها وإن طالت قال علي كرم الله وجهه شعر فلا تصحب أخا الجهل
وإياك وإياه فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه وللقلب على
القلب دليل حين يلقاه كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر شعر
إني لآمن من عدو عاقل وأخاف خلا يعتريه جنون فالعقل فن واحد وطريقه أدرى فأرصد والجنون فنون
ولذلك قيل مقاطعة الأحمق قربان إلى الله وقال الثوري النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الأمور
على ما هي عليه إما بنفسه وإما إذا فهم وأما حسن الخلق فلا بد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليها ولكن إذا غلبه غضب
أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير في صحبته وأما
الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق
بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن
بها وقال تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا وقال عز وجل واتبع سبيل من أناب إلي وفي مفهوم
ذلك زجر عن الفاسق وأما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها إليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف
تؤثر صحبته وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال عليك بإخوان الصدق
تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر
صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك
الذين يخشون الله تعالى وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة قال يا بني إن عرضت
لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤونة مانك اصحب من إذا مددت
يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن سكت ابتداك وإن نزلت بك نازلة واساك اصحب من إذا قلت صدق
قولك وإن حاولتما أمرا أمرك وإن تنازعتما آثرك فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط أن يكون قائما بجميعها قال
ابن أكثم قال المأمون فأين هذا فقيل له أتدري لم أوصاه بذلك قال لا قال لأنه أراد أن لا يصحب أحدا وقال بعض الأدباء لا تصحب
من الناس إلا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فإن لم
تجده فلا تصحب إلا نفسك وقال علي رضي الله عنه رجزا إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك ومن إذا ريب زمان
صدعك شتت فيك شمله ليجمعك وقال بعضهم الناس أربعة فواحد حلو كله فلا تشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر
فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق لا تصحب خمسة
الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب والأحمق فإنك لست منه على شيء
يريد أن ينفعك فيضرك والبخيل فإنه يقطع أحوج ما تكون إليه والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق فإنه
يبيعك بأكلة أو أقل منها فقيل وما أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إلي
من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق وقال بعض العلماء لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من أمر دينك فينفعك أو
رجل تعلمه شيئا من أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال ابن أبي الحواري قال لي أستاذي أبو سليمان يا أحمد

لا تصحب إلا أحد رجلين رجل ترتفق به في دنياك أو رجل تزيد معه وتنتفع به في آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وقال سهل
بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم أن هذه
الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها
فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطا في الصحبة للآخرة والأخوة كما قال بشر الإخوة ثلاثة أخ لآخرتك وأخ لدنياك
وأخ لتأنس به وقلما تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة وقد قال المأمون الإخوان
ثلاثة أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء
لا يحتاج إليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة الناس مثل الشجر والنبات منها ما له
ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ما له ثمر وليس له ظل
وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ما له ثمر وظل جميعا ومنها ما ليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق
الثياب ولا طعم فيها ولا شراب ومثاله من الحيوانات الفأرة والعقرب كما قال الله تعالى يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس
المولى ولبئس العشير وقال الشاعر شعر الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر هذا له ثمر حلو مذاقته
وذاك ليس له طعم ولا ثمر فإذن من لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به قال أبو ذر الوحدة
خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى واتبع سبيل من أناب
إلي ولأن مشاهدة الفسق والفساق تهون أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنه قال سعيد بن المسيب لا تنظروا
إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة بل لا سلامة في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم وقال الله تعالى وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما أي سلامة والألف بدل من الهاء ومعناه إنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا فهذا ما أردنا أن نذكره
من معاني الأخوة وشروطها وفوائدها فليبتدئ بذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها وأما الحريص على الدنيا فصحبته
سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري فمجالسة الحريص تحرك الحرص
ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا ولذلك يكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة قال علي رضي الله عنه أحيوا
الطاعات بمجالسة من يستحيى منه وقال أحمد بن حنبل ما أوقعني في بلية إلا الصحبة من لا أحتشمه وقال لقمان يا بني جالس العلماء
وزاحمهم بركبتيك فإن القلب ليحيى بالحكمة كما تحيى الأرض الميتة بوابل المطر

الباب الثاني

في حقوق الأخوة والصحبة اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا
يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح وكذا عقد الأخوة فلأخيك عليك حق في المال
وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعها
ثمانية جمل الحق الأول في المال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى
وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذلك الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا في مقصد واحد
فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص
والاستئثار والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك
فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية
التقصير في حق الأخوة والثانية أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته
في المال قال الحسن كان أحدهم يشق إزاره بين أخيه والثالثة وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على
حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا كما روي أنه سعي بجماعة من
الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب أعناقهم وفيهم أبو الحسين النوري فبادر إلى السياف ليكون هو أول مقتول فقيل له

فذلك مثال الحيتان أو نقول الإخوان في الحي في بين اللحظة فكان ذلك سبب عفا جميعهم وفي حكاية طويلة فإن لم تصادف
نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها
في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الإخوان بترك الإفضال فليؤاخ أهل القبور وأما الدرجة الدنيا فليست
أيضا مرضية عند ذوي الدين روي أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال
خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعي الأخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من
الأخوة ينبغي أن لا تضايقه في الدنيا قال أبو حازم إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنياك وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة
وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله المؤمنين بها في قوله وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون أي كانوا خلطاء في الأموال
لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من لا يصحب من قال نعلي لأنه أضافه إلى نفسه وجاء فتح الموصلي إلى منزل أخ له وكان
غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاها فقال إن صدقت فأنت حرة سرورا بما فعل وجاء
رجل إلى أبي هريرة وقال إني أريد أن أواخيك في الله فقال أتدري ما حق الإخاء قال عرفني قال أن لا تكون أحق
بدينارك ودرهمك مني قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل أحدكم
يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه قال لا قال فلستم بإخوان ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا يا أبا
سعيد أصليت قال نعم قالوا فإن أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم
قاله كالمتعجب منه وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم وهو يريد بيت المقدس فقال إني أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم على أن أكون
أملك لشيئك منك قال لا قال أعجبني صدقك وكان إبراهيم بن أدهم إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب إلا من يوافقه
وصحبه رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراك فجعلها
في القصعة وردها إلى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال أين الشراك فقال ذلك الثريد الذي أكلته أيش كان قال كنت تعطيه
شراكين أو ثلاثة قال اسمح يسمح لك وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير إذنه رجلا رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك قال
ابن عمر أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأس شاة فقال أخي فلان أحوج مني إليه فبعث به إليه فبعثه
ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة وروي أن مسروقا ادان
دينا ثقيلا وكان على أخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق
وهو لا يعلم ولما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال
عبد الرحمن بارك الله لك فيهما فآثره بما آثره به وكأنه قبله ثم آثره بمثله وذلك مساواة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة
وقال أبو سليمان الداراني لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له وقال أيضا إني لألقم اللقمة
أخا من إخواني فأجد طعمها في حلقي ولما كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه
لعشرون درهما أعطيها أخي في الله أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين وقال أيضا لأن أصنع صاعا من طعام
وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلي من أن أعتق رقبة واقتداء الكل في الإيثار برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه دخل غيضة
مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت أحق
بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أو أضاعه وخرج رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وستره
حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى
حذيفة وقال بأبي وأمي أنت يا رسول الله لا تفعل فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل
فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله

أن يتوسع بصاحبه روي أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة
فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل
على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا فدخل الحسن فقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض حتى ظهرت
أنت وأصحابك وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى أو صديقكم
وقال أو ما ملكتم مفاتحه إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض إليه التصرف كما يريد وكان أخوه يتحرج عن
الأكل بحكم تحرج القلب حتى أنزل الله هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء

الحق الثاني

في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة وهذه أيضا لها درجات
كما للمواساة بالمال فأدناها القيام بالحاجات عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح
وقبول المنة قال بعضهم إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فكبر
عليه واقرأ عليه هذه الآية والموتى يبعثهم الله وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ما هذا قال لما
أسديته إلي فقال خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه
أربع تكبيرات وعده في الموتى قال جعفر بن محمد إني لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردهم فيستغنوا عني
هذا في الأعداء فكيف في الأصدقاء وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم
ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته وكان
الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا
يعرفه أخوه وبهذا تظهر الشفقة والأخوة إذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون
بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته وقال صلى الله عليه وآله وسلم ألا وإن لله أواني في أرضه وهي القلوب
فأحب الأواني إلى الله أصفاها وأصلبها وأرقها أصفاها من الذنوب وأصلبها في الدين وأرقها على الإخوان وبالجملة فينبغي
أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك وأن تكون متفقدا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل
عن أحوال نفسك وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمت بها ولا
ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة
بل تجتهد في البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد كان الحسن يقول إخواننا أحب إلينا
من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع أخاه في الله بعث الله
ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة وفي الأثر ما زار رجل أخا في الله شوقا إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه
طبت وطابت لك الجنة وقال عطاء تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا
نسوا فذكروهم وروي أن ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله فقال أحببت
رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال عليه السلام إذا أحببت أحدكم فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا
عدته وإن كان مشغولا أعنته وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول أعرف
وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكى وقيل لابن عباس من أحب الناس إليك قال جليسي وقال ما اختلف رجل إلى مجلسي
ثلاثا من غير حاجة له إلي فعلمت ما مكافأته من الدنيا وقال سعيد بن العاص لجليسي علي ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث
أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وقد قال الله تعالى رحماء بينهم إشارة إلى الشفقة والإكرام ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد
بطعام لذيذ أو بحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه

الحق الثالث

على اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه

فيما يكرهه فلا يبادئه ولا ينافسه فإن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رآه في طريق أو في حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده فلا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وأن يسكت عن أسراره التي بثها إليه فلا يبثها إلى غيره البتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئاً منه ولو بعد القطيعة والوحشة فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فإن الذي سبك من بلغك قال أنس كان عليه السلام لا يواجه أحداً بشيء يكرهه والتأذي يحصل أولاً من المبلغ ثم من القائل نعم لا ينبغي أن يخفي ما يسمع من الثناء عليه فإن السرور به أولاً يحصل من المبلغ المدح ثم من القائل وإخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلاً إلا إذا وجب عليه النطق في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فإذ ذاك لا يبالي بكراهته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر أما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي أهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه أمران أحدهما أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئاً واحداً مذموماً فهون على نفسك ما تراه من أخيك وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به فلا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فأي الرجال المهذب وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك والأمر الثاني أنك تعلم أنك لو طلبت منزهاً عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه أصلاً فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو فإذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى فالمؤمن الكريم أبداً يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والمودة والاحترام وأما المنافق اللئيم فإنه أبداً يلاحظ المساوي والعيوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات وقال الفضيل الفتوة الصفح عن زلات الإخوان ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيراً ستره وإن رأى شراً أظهره وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحها أيضاً روي أن رجلاً أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام أنت بالأمس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه وأغضبني اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه فقال صلى الله عليه وآله وسلم إن من البيان لسحراً وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر آخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي الحديث الآخر إن الله يكره لكم البيان كل البيان ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ولا أحد يعصي الله فلا يطيعه فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلاً في حق الله فبأن تراه عدلاً في حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضاً وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لا تعلمه وعليك أن تحمل ما تشاهده على سهو ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى فراسة وهو الذي يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكاً ضرورياً لا يقدر على دفعه وإلى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء اعتقادك فيه على أن تنزله على الوجه الأردأ من غير علامة تخصصه به وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله قد حرم على المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء وقال صلى الله عليه وآله وسلم إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله قد حرم على المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء وقال إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً والتجسس في تطلع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين ويكفيك تنبيهاً على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجميل أن الله

تعالى يوصف به في الدعاء فيقال يا من أظهر الجميل وستر على القبيح وستر القبيح وإظهار الجميل هو المرضي عند الله ممن تخلق بأخلاقه فإنه ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز أنت عمن هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك وقد قال عيسى صلوات الله عليه للحواريين كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائماً وقد كشف الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولا شك في أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوي والعيوب ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما أبعده إذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه لأجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون فكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فإن الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث ولكن يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالاً وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء ويترشح الباطن بخبثه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله وقد روى عبد الرحمن بن جبير عن أبيه أنه قال كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التوراة فقدم علي اليهودي من سفر فقلت إن الله قد بعث فينا نبياً فدعانا إلى الإسلام فأسلمنا وقد أنزل علينا كتاباً مصدقاً للتوراة قال اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نجد نعته ونعت أمته في التوراة أنه لا يحل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه المسلم ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذباً فليس الصدق واجباً في كل مقام فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه فإن أخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائياً وخارجاً عن أعمال السر إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة وفي خبر آخر فكأنما أحيا موءودة وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة وقال المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه المال الحرام من غير حله وقال عليه السلام إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره قيل لبعض الأدباء كيف حفظك للسر قال أنا قبره وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار وقيل إن قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر وقال آخر أستره وأستر أني أستره وعبر عنه ابن المعتز فقال في هذا البيت شعر

ومستودعي سراً تبوأت كتمه ... فأودعته صدري فصار له قبرا

وقال الآخر وأراد الزيادة عليه شعر

وما السر في صدري كثاو بقبره ... لأني أرى المقبور ينتظر النشرا

ولكنني أنساه حتى كأنني ... بما كان منه لم أحط ساعة خبرا

ولو جاز كتم السر بيني وبينه ... عن السر والأحشاء لم يعلم السرا

وأفشى بعضهم سره إلى أخيه ثم قال أحفظت فقال بل نسيت وكان أبو سعيد سفيان الثوري يقول إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قال خيراً وكتم سرك فاصحبه وقيل لأبي يزيد من نصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوماً ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند أربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتاً على اختلاف هذه الأحوال ولذلك قيل في هذا المعنى شعر

وربما الكريم اذا انصرم وصله يخفي القبيح ويظهر الاحسان ورب اللئيم اذا انقضى وصله يخفي الجميل ويظهر القبيح وقال العباس لابنه عبد الله اني ارى هذا الرجل يعني عمر يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من الف ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل اعظم لان السكوت عن الحق اشد على النفس من السكوت على الباطل وانما الاجر على قدر النصب واشد الاسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمنافسة فانها عين التدابر والتقاطع فان التقاطع يقع اولا بالآراء ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد الاحتقار المماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق او الى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش وفي حديث ابي امامة الباهلي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقال بعض السلف من لاحى الاخوان وماراهم قلت مروته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن اياك ومماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم او مفاجاة لئيم وقال بعض السلف اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة الف رجل وعلى الجملة فلا باعث على المماراة الا اظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على الكبر والاحتقار والايذاء والشتم بالحمق والجهل ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف تضامه الاخوة والمصافاة وقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة الى حد لم يروا السؤال ايضا وقالوا اذا قلت لاخيك قم فقال الى اين فلا تصحبه بل ينبغي ان يقوم ولا يسال وقال ابو سليمان الداراني كان لي اخ بالعراق فكنت اجيئه في النوائب فاقول اعطني من مالك شيئا فكان يلقي الي كيسه فآخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من قلبي وقال آخر اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخاء واعلم ان قوام الاخوة بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة قال ابو عثمان الحيري موافقة الاخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال

الحق الرابع على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي ايضا النطق بالمحاب بل هو اخص بالاخوة لان من قنع بالسكوت صحب اهل القبور وانما تراد الاخوة ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت معناه كف الاذى فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقده في احواله التي يحب ان يتفقد فيها كالسؤال عن عارض ان عرض واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله التي يكرهها ينبغي ان يظهر بلسانه وافعاله كراهتها وجملة احواله التي يسر بها ينبغي ان يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فمعنى الاخوة المساهمة في السراء والضراء وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف انك تحبه احبك بالطبع لا محالة واذا عرفت انه ايضا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال صلى الله عليه وآله وسلم تهادوا تحابوا ومن ذلك ان تدعوه باحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن ذلك ان تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله عند من يؤثر هو الثناء عنده

فذلك من اعظم الاسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على اولاده واهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه وآكد من ذلك ان تبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به فان اخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك ان تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وان لم يتم قال علي رضي الله عنه من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة واعظم من ذلك تاثيرا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه فالسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما شبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاخوين باليدين تغسل احداهما الاخرى لينصر احدهما الآخر وينوب عنه وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه وهذا من الاسلام والخذلان فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق لحمه فاخسس باخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الاعراض اشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى باكل لحوم الميتة فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا والملك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالامثلة المحسوسة يمثل الغيبة باكل لحم الميتة حتى ان من يرى انه ياكل لحم ميتة فانه يغتاب الناس لان ذلك الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصورة فاذن حماية الاخوة بدفع ذم الاعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الاخوة فان لك فيه معياران احدهما ان تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا ما الذي كنت تحب ان يقوله اخوك فيك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به والثاني ان تقدر انه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى ينبغي ان يكون في مغيبه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر اخ لي بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب ان يسمعه لو حضره وقال آخر ما ذكر لي اخ الا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو ان لا يرى لاخيه الا ما يراه لنفسه وقد نظر ابو الدرداء الى ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه الآخر وبالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المؤاخاة والمصاحبة فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق فلا جرم اجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال عليه السلام احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الايمان جزاء الصحبة والاسلام جزاء الجوار فالفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فان الصحبة تقتضي حقوقا كثيرة في احوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضي الا حقوقا قريبة في اوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وارشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك بان تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة ليزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه احد فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة اذ قال عليه السلام المؤمن مرآة المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقيل لمسعر اتحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم وان قرعني بين الملأ فلا وقد صدق فان النصح على الملأ فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة

الذين يحبون به الى الجنة فاذا انا بباب الجنة اعطوا الكتاب محتويا ليتراوه وبا اهل الميت ينادون على رءوس الاشهاد ب
جوارحهم بفضايحهم يتعادون بذلك حتى يا رفضاحاه ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة
بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فاذا اغضيت لسلامة دينك ولما
ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت
مداهن وقال ذو النون لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان
الا بالعداوة فان قلت اذا كان في النصح ذكر العيوب ففيه ايحاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الاخوة فاعلم ان الايحاش
انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب اعني قلوب العقلاء واما
الحمقى فلا يلتفت اليهم فان من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها كان كمن ينبهك
على حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت تكره ذلك فما اشد حمقك والصفات الذميمة عقارب
وحيات وهي في الآخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والارواح والمها اشد مما يلدغ الظواهر والاجساد وهي مخلوقة
من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ولذلك كان عمر رضه يستهدي ذلك من اخوانه ويقول رحم الله امرا
اهدى الى اخيه عيوبه ولذلك قال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما كرهت فاستعفى فالح عليه فقال بلغني ان لك
حلتين تلبس احديهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة فقال رضه اما هذان فقد كفيتهما
فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة المرعشي الى يوسف بن اسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن
فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت له لا بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن راسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة
الموتى واعلم ان من قرا القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن ان يكون بآيات الله من المستهزئين وقد وصف الله تعالى
الكاذبين ببغضهم الناصحين اذ قال ولكن لا تحبون الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فاما ما علمت انه يعلمه من نفسه فانما
هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي ان يكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح بالتعريض مرة
وبالتصريح اخرى الى حد لا يؤدي الى الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه
فالسكوت عنه اولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح اخيك في دينه او دنياه اما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال
والعفو والصفح والتعامي عنه والتعرض لذلك ليس من النصح في شيء نعم ان كان بحيث يؤدي استمراره عليه الى القطيعة
فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل اذ ينبغي ان
يكون قصدك من اخيك اصلاح نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه
قال ابو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له يوما شيئا على ان يزول ما في قلبي فلم يزل فاخذت بيده يوما الى
البيت وقلت له ضع رجلك على خدي فابى فقلت لا بد ففعل فزال ذلك عن قلبي وقال ابو علي الرباطي صحبت عبد الله الرازي
وكان يدخل البادية فقال على ان تكون انت الامير او انا فقلت بل انت فقال وعليك الطاعة فقلت نعم فاخذ مخلاة ووضع
فيها الزاد وحمل على ظهره فاذا قلت له اعطني قال الست انا الامير فعليك الطاعة فاخذنا المطر ليلة فوقف على راسي الى
الصباح وعليه كساء وانا جالس يمنع عني المطر فكنت اقول ليتني مت ولم اقل انت الامير الحق الخامس العفو
عن الزلات والهفوات وهفوة الصديق لا تخلو اما ان تكون في دينه بارتكاب المعصية او في حقك بتقصيره في
الاخوة اما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والاصرار عليه فعليك التلطف في نصحه بما يقوم اوده ويجمع شمله ويعيد الى
الصلاح والورع حاله فان لم تقدر وبقي مصرا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في ادامة حق مودته او مقاطعته
فذهب ابو ذر رضه الى الانقطاع وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احببته ورأى ذلك من مقتضى
الحب في الله والبغض في الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال

عما كان فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وقال ابرهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب
يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وقال ايضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا
زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث عمر وقد سال عن اخ كان آخاه فخرج الى الشام فسال عنه بعض من قدم
عليه وقال ما فعل اخي قال ذلك اخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر قال اذا اردت الخروج فآذني
فكتب عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية ثم
عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرا الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع وحكي ان اخوين ابتلي احدهما
بهوى فاظهر عليه اخاه وقال اني قد اعتللت فان شئت ان لا تعقد على صحبتي لله فافعل فقال ما كنت لاحل عقد
اخوتك لاجل خطيئتك ابدا ثم عقد اخوه بينه وبين الله ان لا ياكل ولا يشرب حتى يعافي الله اخاه من هواه فطوى اربعين
يوما في كلها يساله عن هواه فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب
اخيه بعد الاربعين فاخبره بذلك فاكل وشرب بعدما كاد يتلف هزالا وضرا وكذلك حكي عن اخوين من السلف انقلب
احدهما عن الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته ان آخذ
بيده واتلطف له في المعاتبة وادعو له بالعود الى ما كان عليه وروي في الاسرائيليات ان اخوين عابدين في جبل
نزل احدهما ليشتري من المصر لحما بدرهم فراى بغيا عند اللحام فرمقها وعشقها واجتذبها ثم اقام عندها ثلاثا واستحيى
ان يرجع الى اخيه من جنايته قال فافتقده اخوه واهتم بشانه فنزل الى المدينة فلم يزل يسال عنه حتى دل عليه فدخل
اليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وانكر الآخر انه يعرفه لفرط استحيائه منه فقال قم يا اخي فقد علمت شانك
وقصتك وما كنت قط احب الي ولا اعز من ساعتك هذه فلما راى ان ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه
فهذه طريقة قوم وهي الطف وافقه من طريقة ابي ذر رضه وطريقته احسن واسلم فان قلت ولم قلت هذا الطف
وافقه ومقارف هذه المعصية لا تجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا ثبت بعلة فالقياس ان
يزول بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية فاقول اما كونه الطف فلما فيه من
الرفق والاستمالة والتعطف المفضي الى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة
اصر واستمر واما كونه افقه فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت تاكد الحق ووجب الوفاء بموجب
العقد ومن الوفاء به ان لا يهمل ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته جائحة والمت به آفة افتقر
بسببها في دينه فينبغي ان يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من الواقعة التي المت به فالاخوة
عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب والفاجر اذا صحب تقيا وهو ينظر الى خوفه ومداومته فسيرجع
على قرب ويستحيي من الاصرار بل الكسلان يصحب الحريص على العمل فيحرص حياء منه قال جعفر بن سليمان مهما فترت في العمل
نظرت الى محمد بن واسع واقباله على الطاعة فيرجع الي نشاطي في العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعا وهذا التحقيق
وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز ان يهجر بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه في عشيرته فان عصوك
فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل اني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب والى هذا اشار ابو الدرداء لما قيل له الا تبغض
اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله والا فهو اخي واخوة الدين اوكد من اخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم ايما احب اليك
اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل القرابة تحتاج
الى مودة والمودة لا تحتاج الى القرابة وقال جعفر الصادق مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة
من قطعها قطعه الله فاذن الوفاء بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق فانه
لم يتقدم له حق وان تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي ان يقاطع بل يجامل والدليل عليه ان ترك المؤاخاة والصحبة ابتداء ليس

بذمومه ولا مكروه بل قال الكاتبون لا نراه اولى فانا نقطع الاخ في دولته ونهي عنه ونحن نذمه في نفسه ونسبته الى تركه ابتدا
كنسبة الطلاق الى ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله من ترك النكاح قال عليه السلام شرار عباد الله المشاؤن
بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال بعض السلف في زلات الاخوان ود الشيطان ان يلقي على اخيكم مثل هذا حتى يهجره
ويقطعه فماذا اتقيتم من محبة عدوكم وهذا لان التفريق بين الاحباب من محاب الشيطان كما ان مقارفة العصيان من
محابه فان حصل للشيطان احد غرضيه فلا ينبغي ان يضاف اليه الثاني والى هذا اشار عليه السلام في الذي شتم الرجل
الذي اتى فاحشة اذ قال مه وزجره لا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتدا
لان مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الاحباب ايضا محذورة وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم
وفي الابتداء قد سلم فراينا ان المهاجرة والتباعد هو الاولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفا اولى بحق الاخوة بما
كله في زلته في دينه اما زلته في حقه بما يوجب ايحاشه فلا خلاف في ان الاولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه
حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين
عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لا اخوك فان ظهر بحيث
لم يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن
استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون
شيطانا ان لم تقبل قال الاحنف حق الصديق ان تحتمل منه ثلثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة وقال اخر ما شتمت
احدا قط لانه ان شتمني كريم فانا احق من غفرها او لئيم فلا اجعل عرضي له غرضا ثم تمثل وقال الشاعر **شعر**
واغفر عوراء الكريم ادخاره • واعرض عن شتم اللئيم تكرما • وقد قيل خذ من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر • فالعمر اقصر
من معاتبة الخليل على الغير • ومهما اعتذر اليك اخوك كاذبا كان او صادقا فاقبل عذره • وقد قال عليه السلام من اعتذر اليه اخوه فلم
يقبل عذره فعليه مثل اثم صاحب المكس وقد قال عليه السلام المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فلم يصفه بانه لا يغضب ولذلك قال الله
والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لان العادة لا تنتهي الى ان يجرح الانسان فلا يتالم بل تنتهي الى ان يصبر
عليه ويحتمل وكما ان التالم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتالم باسباب الغضب طبع القلب لا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه
والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشفي والانتقام والمكافاة وترك العمل بمقتضاه ممكن وقد قال الشاعر **شعر**
ولست بمستبق اخا لا تلمه • على شعث اي الرجال المهذب • قال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري اذا واخيت اخا في هذا الزمان
فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تامن ان ترى في جوابك ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على
مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغي ان لا تبالغ في البغض عند الوقيعة
قال الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة وقال عليه السلام احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو ان تحب
تلف صاحبك مع هلاكك **الحق السادس** الدعا للاخ في حياته ومماته بكل ما يحبه لنفسه ولاهله وكل متعلق به فتدعو له
كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا دعا
الرجل لاخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وفي لفظ اخر يقول الله تعالى بك ابدا عبدي وفي الحديث يستجاب للرجل في اخيه
ما لا يستجاب له في نفسه وفي الحديث دعوة الاخ لاخيه في الغيب لا ترد وكان ابو الدرداء يقول اني لادعو لسبعين من
اخواني في سجودي اسميهم باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصفهاني يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك
ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت وما صرت اليه يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وكان الاخ الصالح
يقتدي بالملائكة اذ جاء في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم ويسالون عنه

ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له كتب كانه شهد جنازته وصلى عليه وروي عن النبي عليه السلام
مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شي ينتظر دعوة من ولد او والد او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات
من دعا الاحياء من الانوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت معه
طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح
الحي بالهدية **الحق السابع** الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع
اولاده واصدقائه فان الحب انما يراد للاخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام في السبعة
الذين يظلهم الله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثير في حال
الحياة ولذلك روي انه عليه السلام اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان كرم العهد
من الايمان فمن الوفاء للاخ مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ في نفسه
فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة والحب الا تعديهما من المحبوب الى كل من يتعلق به حتى الكلب
الذي على باب داره ينبغي ان يميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا
يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادي
يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال مخبرا عن يوسف من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ويقال
ما تواخى اثنان في الله فيفرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما وكان بشر يقول اذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من
يؤنسه وذلك لان الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الذ الاشياء
مجالسة الاخوان والانقلاب الى كفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ومن
ثمرات المودة في الله ان لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لاخيه فاليه ترجع فائدته وبه وصف الله
تعالى المحبين في الله فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ووجود الحاجة
هو الحسد ومن الوفاء ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخيه وان ارتفع شانه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على
الاخوان بما يتجدد من الاحوال لؤم ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا من كان يالفهم في المنزل الخشن
واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت لم يطمع فيك
وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وقال بعض الحكماء اذا ولي اخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير وحكى الربيع ان
الشافعي آخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين فتغير له عما كان فكتب اليه الشافعي رضي الله عنه الابيات **شعر**
اذهب فودك من فؤادي طالق ابدا • وليس طلاق ذات البين • فان ارعويت فانها تطليقة • ويدوم ودك لي على ثنتين
وان امتنعت شفعتها بمثالها • فتكون تطليقتين في حيضين • فاذا الثلاث اتتك مني بتة • لم تغن عنك ولاية السيبين
واعلم انه ليس من الوفا موافقة الاخ فيما يخالف الحق في امر يتعلق بالدين بل من الوفا له المخالفة فقد كان الشافعي آخى محمد بن
عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي رضي الله عنه وقال **شعر** مرض الحبيب
فعدته • فمرضت من حذري عليه • واتى الحبيب يعودني • فبرئت من نظري اليه • وظن الناس لصدق مودتهما انه يفوض
امر حلقته اليه بعد وفاته فقيل للشافعي رضي الله عنه في علته التي مات فيها الى من نجلس بعدك يا ابا عبد الله فاستشرف له محمد بن
عبد الحكم وهو عند راسه ليومي اليه فقال الشافعي سبحان الله ايشك في هذا ابو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ومال اصحابه
الى البويطي مع ان محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي افضل واقرب الى الزهد والورع فنصح الشافعي لله وللمسلمين
وترك المداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع الى مذهب ابيه
ودرس كتب مالك وهو من كبار اصحاب مالك رضي الله عنه وآثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل

بالمبادرة وصنف كتاب الام الذي ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه

فيه ولم ينسب الى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره والمقصود ان الوفا بالمحبة من تمامها قال الاحنف الاخا جوهرة

رقيقة ان لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك

الفضل ولا من اخيك التقصير ومن آثار الصدق والاخلاص وتمام الوفا ان تكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع

عن اسبابها كما قيل وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الاحباب هينة الخطب وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال

لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلثين سنة ما يخيل الي ان حسرتهم ذهبت عن قلبي ومن الوفا ان لا يسمع بلاغات

الناس على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب

فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته اصلا قال واحد لحكيم قد جئتك خاطبا لمودتك قال ان

جعلت مهرها ثلثا فعلت لا تسمع علي بلاغة ولا تخالفني في امر ولا توطئني عشوة ومن الوفا ان لا يصادق عدو صديقه

قال الشافعي اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك **الحق الثامن** التخفيف وترك التكلف والتكليف

وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ولا يستمد

منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تبركا بدعائه واستئناسا

بلقائه واستعانة على دينه وتقربا الى الله بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته قال بعضهم من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضونه فقد

ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم وقال بعض الحكما من جعل نفسه عند الاخوان

فوق قدره اثم واثموا ومن جعل نفسه في قدره تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي

بساط التكلف حتى لا يستحيي منه فيما لا يستحيي من نفسه قال الجنيد ما تواخى اثنان في الله فاستوحش احدهما من صاحبه او احتشم

الا لعلة في احدهما وقال علي شر الاصدقا من تكلف لك ومن احوجك الى المداراة والجاك الى الاعتذار وقال الفضيل

انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهما اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن اخو المؤمن لا

يغتنمه ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلثون رجلا حارث المحاسبي وطبقته وحسن

المسوحي وطبقته فما تواخى اثنان في الله واحتشم احدهما من صاحبه او استوحش الا لعلة في احدهما وقيل لبعضهم من نصحب

قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ كان جعفر بن محمد يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي

واتحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد

عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سوا وانما قال هذا لان به يتخلص عن التكلف والتحفظ

والا فالطبع يحمله على ان يتحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع ابنا الدنيا بالادب ومع ابنا الآخرة

بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسأت ويحمل

عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغي ان يواخي

كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم بهذه الشروط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى يكثر اخوانه اذ يكون به مواخيا في الله والا

كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان في هذا الزمان اين اخ لي في الله فاعرض الجنيد حتى

اعاده ثلثا فلما اكثر قال له ان اردت اخا يكفيك مؤنتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت اخا تحمل انت مؤنته

وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك فسكت الرجل واعلم ان الناس ثلثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه

ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وتتضرر به وهو الاحمق او السيئ الخلق فهذا الثالث ينبغي ان تجتنبه فاما

الثاني فلا تجتنبه لانك تنتفع به في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به وقد اوحى الله تعالى الى موسى ان اطعتني

فما اكثر اخوانك اي ان واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف

ف

لاني كنت معهم على نفسي ومن هذه شيمته كثر اخوانه ومن التخفيف وترك التكليف ان لا يعترض في نوافل العبادات

كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين اربع معان ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر

كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان

ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الريا والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت

مودته وقال بعض الصحابة ان الله تعالى لعن المتكلفين وقال عليه السلم انا والاتقيا من امتي برا من التكلف وقال بعضهم

اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلا وصلى ونام فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال

بقيت خامسة وهو ان يحضر مع الاهل في بيت اخيه ويجامعها لان البيت يتخذ للاستخفا في هذه الامور الخمس والا فالمساجد اروح

لقلوب المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد تم الاخا وارتفعت الحشمة وتاكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير الى ذلك

اذ يقول مرحبا واهلا وسهلا اي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان ولك عندنا اهل تانس بهم بلا وحشة لك منا ولك

عندنا سهولة في ذلك كله اي لا يشتد علينا شي مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكليف الا بان يرى نفسه دون اخوانه ويحسن الظن بهم ويسي

الظن بنفسه فاذا راهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم قال ابو معاوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف قال كلهم يرى

لي الفضل عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني وقد قال عليه السلم المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له

فهذه اقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفيان اذا قيل لك يا شر الناس

فغضبت فانت شر الناس اي ينبغي ان تكون معتقدا ذلك في نفسك ابدا وسياتي وجه ذلك في كتاب العجب والكبر وقد قيل

في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان نظما في هذا المعنى **شعر** تذلل لمن ان تذللت له ✽ يرى ذاك للفضل لا للبله

وجانب صداقة من لا يزال ✽ على الاصدقا يرى الفضل له ✽ وقال الاخر **شعر** كم صديق عرفته بصديق ✽ صار احظى من الصديق العتيق

ورفيق رايته في طريق ✽ صار عندي هو الصديق الحقيقي ✽ ومهما راى الفضل لنفسه فقد احتقر اخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم

قال عليه السلم بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم ومن تتمة الانبساط وترك التكلف ان يشاور اخوانه في كل ما يقصده ويقبل

اشاراتهم فقد قال الله تعالى وشاورهم في الامر ولا ينبغي ان يخفي عنهم شيا من اسراره كما روي عن يعقوب ابن اخي معروف

قال جا اسود بن سالم الى عمي معروف وكان مواخيا له فقال ان بشر بن الحارث يحب مواخاتك وهو يستحيي ان يشافهك

بذلك وقد ارسلني اليك يسالك ان تعقد له فيما بينك وبينه اخوة يعتد بها ويعتمد عليها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان

يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقا فقال معروف اما انا لو اخيت احدا لم احب مفارقته

ليلا ونهارا ولزرته في كل وقت ولآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب في الله احاديث كثيرة ثم قال فيها

وقد اخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا رضي الله عنه فشاركه في العلم وقاسمه البدن وانكحه افضل بناته واحبهن اليه وخصه

بذلك لمواخاته وانا اشهدك اني قد عقدت له اخوة بيني وبينه وعقدت اخاه في الله لرسالتك ولمسالته على ان لا يزورني

ان كره ذلك ولكني ازوره متى احببت ومره ان يلقاني في مواضع نلتقي بها ومره ان لا يخفي علي شيا من شانه وان يطلعني

على جميع احواله فاخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضي وسر به فهذا جامع حقوق المحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك

الا بان تكون على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك

اما البصر فبان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت

اقبالهم عليك وكلامهم معك روي انه عليه السلم كان يعطي كل من جلس اليه نصيبا من وجهه وما استصغاه احد الا ظن

انه اكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسالته وتوجهه للجالس اليه وكان مجلسه مجلس حيا وتواضع وامانة

وكان عليه السلم اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما يحدثونه به وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتدا منهم

بفعله وتوقيرا له عليه السلم واما السمع فانه يسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به ولا يقطع

حديثهم عليه براً وسار بغير مداخلة واعراض فان اربتك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما لم يكن منهم ولا
تتذكر حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك لا يتحقق عليهم ولا يخالطهم الا بما يعرفونه ولا ايذيك فانه لا ابتهما
عن معرفتهم في كل ما يتعاطى الذي وما الرجال فمهما فان يشيء ومأمن شيء لا يتبع لاشيء البتة حيث لا يعدهم الا شيئا
ولا ترج منهم الا ستر عيوبه وستر لهم اذ ابتلي ولا يتعدى لا بعدهم ويعذر حيث ينعدهم بهاتهم بالتعادي حتى يعلم
من الحقوق مثل السلام والاعتقاد والثناء فانها من حقوق الصحبة وفي ضمنها نوع من الاجنبية والكلفة فاما تمام الانطوية
بساط التكلف بالكلية فلا يسلكه الا سالك لكن من الاداب الظاهرة عنوان ادب الباطن وصفاء القلب ومهما
القلب استغنى عن تكلف اظهارها بما فيه ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره الى الخالق
لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها اعلى انواع
الخدمة لله اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة خاتمة لهذا الباب نذكر فيه
جملة من اداب العيشة والمجالسة مع اصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء ان اردت حسن العيشة فالق صديقك وعدوك
بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر من غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع امورك في اوسطها فكلا طرفي قصد
الامور ذميم ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات وان جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك
والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة
التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام الحسن
ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك
ولا شعرك ولا تصنيفك وسائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في
الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوه قليلا
هنت عليهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واخفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط
وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات
الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك واذا هدأ غضبك فتكلم وان قربك سلطان فكن منه على حد السنان وان استرسل اليك فلا
تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه بك ان تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه وان
كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه
اعدى الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك فاذا دخلت مجلسا فالادب البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس
حيث اتسع وحيث يكون اقرب الى التواضع وان تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس والجلوس على الطريق فان جلست فادبه
غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السائل والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والارتياد لموضع البصاق فلا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك او تحت قدمك اليسرى
ولا تجالس الملوك فان فعلت فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والاعراب في
الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت المودة وان لا تتجشأ بحضرتهم ولا تتخلل بعد
الاكل عنده وعلى الملك ان يحتمل كل شيء الا افشاء السر والقدح في الملك والتعرض للحرم والمجالس العامة فان فعلت فادبه ترك
الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجري في سوء الفاظهم وقلة اللقاء مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح
لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد
ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون وهو يميت القلب و
يباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل

لا يكون المزاح الا من سخف او بطر ومن بلي في مجلس بمزاح او لغط فليذكر الله عند قيامه قال عليه السلام من جلس في مجلس فكثر فيه
لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان
في مجلسه ذلك **الباب الثالث** في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من
يدلي بهذه الاسباب اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او مع غيره واذا تعذر عيش الانسان الا بمخالطة من هو
من جنسه لم يكن له بد من تعلم اداب المخالطة وكل مخالط ففي مخالطته ادب والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته
التي بها وقعت المخالطة والرابطة اما القرابة وهي اخصها او اخوة الاسلام وهي اعمها او الجوار او الصحبة السفر او المكتب
او الدرس واما الصداقة او الاخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم اكد وللمحرم
حق ولكن حق الوالدين اكد وكذلك حق الجار يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى ان البلدي
في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة وللمعارف
درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل آكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالانس وكذلك الصحبة في المكتب
آكد من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها اذا قويت صارت اخوة فان ازدادت صارت محبة فان
ازدادت صارت خلة والخليل اقرب من الحبيب والمحبة ما تتمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب فكل خليل حبيب
وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فاما كون الخلة فوق الاخوة فمعناه ان
لفظ الخلة عبارة عن حالة هي اتم من الاخوة وتعرفه من قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
صاحبكم خليل الله اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه صلى الله عليه
وآله وسلم سوى حب الله وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع انه اتخذ عليا رضي الله عنه اخا فقال علي مني بمنزلة
هارون من موسى الا النبوة فعدل بعلي رضي الله عنه عن النبوة كما عدل بابي بكر رضي الله عنه عن الخلة فشارك ابو بكر عليا
رضي الله عنهما في الاخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة واهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه نبه عليه بقوله لاتخذت ابا بكر خليلا
وكان عليه السلام حبيب الله وخليله وقد روي انه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال ان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ
ابرهيم خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله تعالى فاذا ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات
بينهما وقد ذكرنا حق الصحبة والاخوة ويدخل فيهما ما وراءهما من المحبة والخلة وانما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق
بحسب تفاوت رتب المحبة والاخوة حتى ينتهي اقصاها الى ان يوجب الايثار بالنفس والمال كما آثر ابو بكر رضي الله عنه نبيا صلى
الله عليه وآله وسلم وكما آثر طلحة بيده اذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلوات الله عليه ونحن الآن نذكر اداب
حق الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك اعني ملك اليمين فان ملك النكاح قد ذكرنا
حقوقه في كتاب اداب النكاح **حقوق المسلم** هي ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس و
يعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب
ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ورد جميع ذلك في اخبار وآثار وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم انه قال اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم
وقال ابن عباس في معنى قوله رحماء بينهم يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من امة محمد صلى الله
عليه وآله وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده
وتب عليه واغفر له ومنها ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر وروى ابو
موسى عنه عليه السلام انه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها ان لا يؤذي احدا من المسلمين بفعل

ولا قول قال عليه السلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال عليه السلم في حديث طويل لابي ذر بالغفار فان لم
تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدق بها على نفسك وقال ايضا افضل المسلمين من سلم المسلمون من يده
ولسانه وقال عليه السلم اتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله اعلم فقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
قالوا فمن المؤمن قال من امنه المؤمنون على انفسهم واموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل
يا رسول الله ما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على اهل النار الجرب
فيحكون حتى يبدو عظم احدهم من جلده فينادي يا فلان هل يوذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت توذي المؤمنين وقال
عليه السلم لقد رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت توذي الناس وقال ابو برزة يا رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم علمني شيئا انتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلى الله عليه وآله وسلم من
زحزح عن طريق المسلمين شيئا يوذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب له حسنة اوجب له بها الجنة وقال عليه السلم لا يحل لمسلم
ان يشير الى اخيه بنظرة توذيه وقال عليه السلم لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال عليه السلم ان الله يكره اذى المؤمنين وقال
الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا توذه وجاهل فلا تجاهله ومنها ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله
لا يحب كل مختال فخور وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد
على احد ثم ان فاخر عليه غيره فليحتمل ان قال الله تعالى لنبيه خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن ابن ابي
اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يانف ولا يستكبر ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها
ان لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة
قتات وقال الخليل بن احمد من نم اليك نم عليك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها ان لا يزيد في الهجر
لمن يعرفه على ثلثة ايام مهما غضب عليه قال ابو ايوب الانصاري قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق
ثلث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من اقال مسلما
عثرته اقاله الله يوم القيامة قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين قالت عائشة
ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس ما عفا رجل
عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من
احد تواضع لله الا رفعه الله ومنها ان يحسن الى كل من يقدر عليه ما استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل روى
علي بن الحسين عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصنع المعروف الى اهله والى غير اهله فان
لم تصب اهله فانت من اهله وباسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راس العقل بعد الدين التودد الى الناس
واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ياخذ احد بيده فينزع يده
حتى يكون الرجل هو يرسله ولم يكن يرى ركبته خارجا عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ
من كلامه ومنها ان لا يدخل على احد منهم الا باذنه بل يستاذن ثلثا فان لم يوذن انصرف قال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم الاستيذان ثلث فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة ياذنون او يردون ومنها
ان يخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فانه ان اراد لقاء الجاهل بالعلم والامي بالفقه والعي بالبيان اذى
وتاذى ومنها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من لم يوقر
كبيرنا ولم يرحم صغيرنا ومن اللطف بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال عليه السلم من اجلال الله اكرام
ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن قال جابر قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وآله
وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم مه فاين الكبير وفي الخبر ما وقر شاب شيخا الا قيض الله له في سنه من يوقره

زين الشبان بموادم الحق ويليتنبه له ولا يوقت لنوير الشيخ الا من حضره بطول العمر وقال عليه السلم لا تقوم الساعة
حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا وتغيض الكرام غيضا ويجترى الصغير على الكبير واللئيم على الكريم
كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يامر بهم فيرفعوا اليه فيرفع منهم بين يديه
ومن خلفه ويامر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وآله
بين يديه وحملك وراءه ويقول بعضهم امر اصحابه ان يحملوك وراءهم وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فياخذه
فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول صلى الله عليه وآله وسلم لا تزرموا الصبي فيدعه حتى يقضي بوله
ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور اهله فيه والا يروا انه تاذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعد ومنها ان
يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال صلى الله عليه وآله وسلم من تحرم عليه النار فقالوا بلى يا رسول الله قال رسول
الله على كل لين هين سهل قريب وقال بعضهم يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال ان من موجبات المغفرة
بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا
النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها
وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله قال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام
وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء بالعهد واداء الامانة
وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح وقال انس عرضت للنبي صلى الله عليه وآله
وسلم امراة وقالت لي معك حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسي في اي نواحي السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس
اليها حتى قضت حاجتها وقال وهب بن منبه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة ايام فسال الله تعالى
ان يريه كيف يغوي الشيطان الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي
من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى ارسلني اليك وهو تعالى يقول لك ان كلامك هذا الذي
تكلمت به اعجب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من
الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين ومنها ان لا يعد مسلما بوعد الا
ويفي به قال صلى الله عليه وآله وسلم العدة عطية وقال العدة دين وقال ثلث في المنافق اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
اؤتمن خان وقال عليه السلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وذكر ذلك ومنها ان ينصف الناس من نفسه ولا ياتي
اليهم الا بما يحب ان يؤتى اليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلث خصال الانفاق من الاقتار
والانصاف من نفسه وبذل السلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته وهو يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليات الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا الدرداء احسن
مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما قال الحسن اوحى الله الى آدم صلوات الله عليه وآله وسلم
باربع وقال فيهن جماع الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق فاما التي لي فتعبدني
لا تشرك بي شيئا واما التي لك فعملك اجزيك به افقر ما تكون اليه واما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الاجابة واما التي بينك وبين
الناس فتصحبهم بالذي تحب ان يصحبوك وسال موسى صلوات الله عليه ربه تعالى فقال اي رب اي عبادك اعدل قال الذي ينصف من
نفسه ومنها ان يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم وروي ان عائشة كانت في سفر
فنزلت منزلا فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين
المسكين وتدعين هذا الغني فقالت ان الله تعالى انزل الناس منازل لا بد لنا من ان ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين يرضى بقرص وقبيح بنا ان نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصا وروي انه عليه السلم دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى
غص واستلا فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رداءه فالقاه اليه

فقال له اطرح علي هذا فاخذه ووضعه على وجهه وجعل يستلذ ويبكي ثم لفه ورمى به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال ما كنت
لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني فنظر النبي يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له عليه حق قديم
فليكرمه روي ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بامي ثم
اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت قومي فقال اما حقي وحق بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل
ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد واخدمها ووهب لها سهمانه بحنين فبيع من عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة الف
درهم ولربما اتاه من يأتيه وهو على وسادة جالس فلا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها تحت الذي يجلس اليه فان ابى عزم
عليه حتى يفعل ومنها ان يصلح ذات البين من المسلمين مهما وجد اليه سبيلا قال عليه السلام الا اخبركم بافضل من درجة
الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
افضل الصدقة اصلاح ذات البين وعن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال
عمر يا رسول الله بابي انت وامي ما الذي اضحكك قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي
من هذا فقال الله عز وجل رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع باخيك
لم يبق من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبكاء فقال ان ذلك
ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فيقول الله عز وجل للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان
فقال يا رب ارى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق او لاي شهيد هذا قال الله عز وجل
لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال بماذا يا رب قال بعفوك عن اخيك قال يا رب قد عفوت عنه
قال الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تبارك
وتعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيمة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وهذا يدل
على وجوب الاصلاح لان ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب اوكد منه وقال عليه السلام كل الكذب مكتوب الا ان
يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما او يكذب لامرأته ليرضيها ومنها ان يستر عورات
المسلمين كلهم قال عليه السلام من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة وقال عليه السلام لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيمة
وقال ابو سعيد الخدري قال عليه السلام لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وقال لماعز لما اخبره لو سترته
بثوبك كان خيرا لك فاذن على المسلم ان يستر عورة نفسه فحق اسلامه واجب عليه كحق اسلام غيره قال ابو بكر رضي الله عنه لو اخذت شاربا
لاحببت ان يستره الله ولو اخذت سارقا لاحببت ان يستره الله وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا
وامرأة على فاحشة فلما اصبح قال للناس ارأيتم لو ان اماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما
انت امام فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك لك اذن يقام عليك الحد ان الله لم يأمن على هذا الامر اقل من اربعة شهداء ثم تركهم ما شاء الله ان
يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الاولى فقال علي رضي الله عنه مثل مقالته الاولى وهذا يشير الى ان عمر رضي الله عنه كان مترددا في ان الوالي هل له
ان يقضي بعلمه في حدود الله فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الاخبار خيفة من ان لا يكون له ذلك فيكون قاذفا
باخباره ومال رأي علي رضي الله عنه الى انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع لستر الفواحش فان افحشها الزنا وقد
نيط باربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة وهذا قط لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم يكن له
ان يكشف عنه فانظر الى الحكمة في حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم الذي هو اعظم العقوبات ثم انظر الى كثيف ستر الله كيف اسبله
على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فنرجو ان لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ففي الحديث ان الله اذا ستر على عبد عورة
في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها في الآخرة وان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها مرة اخرى وعن عبد الرحمن بن عوف قال
حرست مع عمر ليلة بالمدينة فبينما نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه اذا باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط

فاخذ عمر بيد عمر وقال لي اتدري بيت من هذا قلت لا قال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى قلت ارى انا
قد اتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه
وآله وسلم لمعوية انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت تفسدهم وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لمعوية انك ان
اتبعت عورات الناس يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا الناس ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة
اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته وقال ابو بكر رضي الله عنه لو رأيت احدا على حد من حدود الله
ما اخذته ولا دعوت له احدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود اذ جاءه رجل بآخر فقال
هذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكهوه فوجدوه نشوان فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم قال للجلاد اجلد وارفع
يدك واعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء او مرط فلما فرغ قال للذي جاء به ما انت منه قال عمه قال عبد الله ما ادبت
فاحسنت الادب ولا سترت الحرمة انه ينبغي للامام اذا انتهى اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا ثم
قال اني لاذكر اول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتي بسارق فقطعه فكأنما اسف وجهه فقالوا يا رسول الله كأنك
كرهت قطعه قال عليه السلام وما يمنعني لا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم انه ينبغي للسلطان اذا انتهى اليه حد ان يقيمه ان الله
عفو يحب العفو وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفي رواية كأنما سفي في وجه رسول الله رماد
لشدة تغيره وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة
وعنده خمر فقال يا عدو الله اظننت ان الله يسترك وانت على معصيته فقال وانت يا امير المؤمنين فلا تعجل ان اكن عصيت الله
واحدة فقد عصيت الله في ثلاث قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال الله عز وجل وليس البر بان تأتوا البيوت
من ظهورها وقد تسورت علي وقد قال الله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية وقد دخلت بيتي بغير اذن ولا سلام
فقال عمر هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله يا امير المؤمنين لئن عفوت عني لا اعود لمثلها ابدا فعفا عنه وخرج
وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعته
يقول ان الله ليدني منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يا رب
حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك قال له يا عبدي اني لم استرها عليك في الدنيا الا وانا اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى
كتاب حسناته واما الكافرون والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين وقال صلى الله
عليه وآله وسلم كل امتي معافى الا المجاهرين وان من المجاهرة ان يعمل الرجل سوءا ثم يخبر به وقال عليه السلام من استمع من قوم حديثا وهم له
كارهون صب في اذنيه الآنك يوم القيمة ومنها ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم
عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال عليه السلام كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل من احد يسب ابويه قال نعم يسب ابوي غيره
فيسبون ابويه وقد روي انس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله فقال يا فلان
هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فاني لم اكن اظن بك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
وزاد في رواية اني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا وكانا رجلين فقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته في العشر
الاواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق
فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين انها امرأتي قال هلا حيث لا يراك احد من الناس ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين
الى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر قال النبي عليه السلام اني اوتى واسأل وتطلب الي الحاجة وانتم عندي فاشفعوا
لتؤجروا ويقضي الله على يدي نبيه ما احب وقال معوية قال عليه السلام اشفعوا الي تؤجروا اني اريد الامر فاؤخره كي
تشفعوا الي فتؤجروا وقال عليه السلام ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة تحقن بها الدماء

ويجب بها السنة الى آخره ويدفع بها المكروه عن اخيه وروى عن عكرمة عن ابن عباس ان مغيث زوج بريرة كان عبدا اسود له حبيب كاني
انظر اليه خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال عليه السلم للعباس الا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة
مغيثا فقال النبي عليه السلم لو راجعته فانه ابو ولدك قالت يا رسول الله اتامرني فافعل فقال لا انما انا شافع ومنها ان
يبدا كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلم قال صلى الله عليه وآله وسلم من بدا بالكلام قبل السلم فلا تجيبوه حتى يبدا
بالسلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم اسلم ولم استاذن فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ارجع فقل السلام عليكم وادخل وروى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على
اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته وقال انس خدمت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثماني حجج فقال لي يا انس اسبغ الوضوء
يزد في عمرك وسلم على من لقيته من امتي تكثر حسناتك واذا دخلت منزلك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك فقال الله عز وجل
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال عليه السلم والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى
تحابوا افلا ادلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلم بينكم وقال ايضا اذا سلم المسلم على المسلم
فلم يرد عليه لعنته الملائكة واذا سلم ورد عليه صلت عليهم الملائكة سبعين مرة وقال عليه السلم الملائكة تتعجب من المسلم يمر على
المسلم فلا يسلم وقال عليه السلم يسلم الراكب على الماشي واذا سلم من القوم واحد اجزا عنهم وقال قتادة كانت تحية من قبلكم
السجود فاعطى الله عز وجل هذه الامة السلام وهي تحية اهل الجنة وكان ابو مسلم الخولاني يمر على قوم ولا يسلم ويقول لا يمنعني
الا اني اخشى ان لا يردوا فتلعنهم الملائكة والمصافحة ايضا سنة مع السلم وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عليه السلم عشرون فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلثون وكان انس يمر
على الصبيان فيسلم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه فعل ذلك وروى عبد الحميد بن بهرام انه عليه السلم مر في
المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فاومى بيده بالتسليم واشار عبد الحميد بيده الى الحكاية قال عليه السلم لا تبدوا اليهود
والنصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لا تصافحوا اهل الذمة ولا تبدؤهم بالسلام واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه قالت عائشة ان رهطا من اليهود
دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا السام عليك فقال النبي عليه السلام يا عائشة ان الله يحب الرفق في كل
شيء قالت عائشة فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلم يا عائشة ان الله يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة الم تسمع
ما قالوا قال فقد قلت عليكم وقال عليه السلم يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير
وقال عليه السلام لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالاكف قال
ابو عيسى اسناده ضعيف وقال عليه السلم اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست
الاولى باحق من الآخرة وقال انس قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة
تسعة وستون لاحسنهما بشرا وقال عمر رضه سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على
صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال ابو هريرة قال
النبي عليه السلم تمام تحياتكم بينكم المصافحة قال عليه السلم قبلة المسلم اخاه المصافحة ولا باس بقبلة يد المعظم في الدين تبركا به
وتوقيرا وروى عن عمر رضه قال قبلنا يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال كعب بن مالك قال لما نزلت توبتي اتيت النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فقبلت يده وروى ان اعرابيا قال يا رسول الله ائذن لي اقبل راسك ويدك قال فاذن له ففعل ولقي ابو عبيدة
عمر بن الخطاب رضهما فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وهو يتوضا فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ورد عليه ومد يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من اخلاق
الاعاجم فقال ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا مر الرجل

بالقوم فسلم عليهم وردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم واطيب وقال
رجل يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال لا قال فيعانق بعضنا بعضا قال لا قال
فيصافح بعضنا بعضا قال نعم والالتزام والتقبيل ورد به الخبر عند القدوم من السفر وقال ابو ذر ما لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت اجود واجود والاخذ بالركاب في
توقير العلماء ورد به اثر فان ابن عباس اخذ بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحاب
زيد والقيام مكروه قال انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما
يعلمون من كراهيته لذلك وروى انه عليه السلم قال اذا رايتموني فلا تقوموا كما يصنع الاعاجم وقال عليه السلم من سره
ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوا مقعده من النار وقال عليه السلم لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا
وتفسحوا وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا اتى احدكم مجلسا فان دعا رجل فليجلس
اليه فانما هي كرامة اكرمه بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فيجلس فيه وروى انه عليه السلم سلم
رجل على رسول الله وهو يبول فلم يرد عليه فكره السلم على من يقضي حاجته وكره ان تبتدا عليك السلم قال رجل ابتدا
فقال عليه السلم ان عليك السلم تحية الميت قالها ثلثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلم عليكم ورحمة الله ويستحب اذا دخل
اذا اراد ولم يجد مجلسا ان لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا في المسجد اذ اقبل ثلثة نفر فاقبل
اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واما احدهما فراى فرجة في الحلقة فجلس فيها واما الآخر فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا
فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلثة اما احدهم فاوى الى الله فآواه الله واما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه
في موضع يجب فيه نصرة واما الآخر فاعرض فاعرض الله عنه ومنها ان
يشمت العاطس قال صلى الله عليه وآله وسلم في العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمكم الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم عن ابن مسعود
قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله
فاذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاطسا ولم يشمت آخر فسأله فقال انه حمد الله وانت سكت وقال عليه السلم تشميت
المسلم اذا عطس ثلث مرات فان زاد فهو زكام وروى انه شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك مزكوم وقال ابو هريرة كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او يده وروي خمر وجهه وقال ابو موسى الاشعري كان اليهود يتعاطسون
عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجاء ان يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة
عن ابيه ان رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى
والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي عليه السلم قال من صاحب الكلمات فقال انا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم والذي بعثني بالحق
لقد رايت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها ايهم يكتبها وقال عليه السلم من عطس عند حديث فهو حق وقال عليه السلم
العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليضع يده على فيه واذا قال آه آه فان الشيطان يضحك في جوفه
وقال ابرهيم النخعي اذا عطس في قضاء الحاجة فلا باس بان يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال كعب قال موسى اقريب
انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال انا جليس من ذكرني فقال فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها قال كالجنابة والغائط
فقال اذكرني على كل حال ومنها انه اذا ابتلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة و
خالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم
وهذا معنى المداراة وقالت عائشة استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلم ائذنوا له فبئس
رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم النت له القول
فقال يا عائشة ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه وفي الخبر ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة

وبوجه من يخاف شره قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن قال ابن عباس في معنى قوله سبحانه وتعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة اي
الفحش والاذى بالسلام والمداراة وقال في معنى قوله تبارك وتعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة
والحيا والمداراة وفي الاثر خالطوا الناس باعمالكم وزايلوهم بالقلوب وقال محمد بن الحنفية ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا
يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له فرجا ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنيا ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام وكان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وكان سليمان عليه السلام في ملكه
اذا دخل المسجد ورأى مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقيل ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام احب من ان يقال له
يا مسكين وقال كعب الاحبار ما في القرآن من يا ايها الذين آمنوا فهو في التورية يا ايها المساكين وقال عبادة بن الصامت
ان للنار سبعة ابواب ثلثة للاغنيا وثلثة للنساء وواحد للفقرا والمساكين وقال الفضيل بلغني ان نبيا من الانبيا قال كيف
اعلم رضاك عني فقال انظر كيف رضى المساكين عنك وقال عليه السلام اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال
الاغنيا وقال موسى الهي اين ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا
تدري الى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا فاما اليتيم فقال عليه السلام من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني
فقد وجبت له الجنة البتة وقال عليه السلام انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وهو يشير باصبعيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
من وضع يده على راس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم
يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه قال
عليه السلام المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه وقال عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وآله
وسلم ان احدكم مرآة اخيه فاذا راى به شيئا فليمط عنه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره
وقال صلى الله عليه وآله وسلم من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين
وقال عليه السلام من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلثا وسبعين مغفرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم انصر اخاك
ظالما او مظلوما فقيل كيف ينصر ظالما قال تمنعه من الظلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان من احب الاعمال الى الله ادخال
السرور على المؤمن ان يفرج عنه غما او يقضي عنه دينا او يطعمه من جوع وقال صلى الله عليه وآله وسلم من حمى مؤمنا من منافق
يعنيه بعث الله تعالى اليه ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم وقال صلى الله عليه وآله وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر
الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم
من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وقال معروف الكرخي من قال اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد كل يوم
ثلث مرات كتبه الله من الابدال وبكى علي بن الفضيل فقيل له ما يبكيك قال ابكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله
وسئل عن ظلمه ولم يكن له حجة ومنها ان يعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف في اثبات هذا الحق ونيل فضله وادب العائد
خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند الاستيذان لا يقابل
الباب ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل من ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح وقال عليه السلام تمام عيادة المريض ان يضع
احدكم يده على جبهته او على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة وقال عليه السلام من عاد مريضا قعد في مخارف
الجنة حتى اذا قام وكل به سبعون الف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا عاد الرجل المريض خاض
في الرحمة فاذا قعد عنده قرت فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا عاد المسلم اخاه او زاره قال الله عز وجل طبت
وطاب ممشاك وتبوأت منزلا في الجنة وقال عليه السلام اذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى اليه ملكين فقال انظرا
ما يقول لعواده فان كان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفع ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدي علي ان توفيته ان ادخله
الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيآته وقال صلى الله عليه وآله وسلم من عاد

ويحزن فيعجب منه وقال عثمان رضه مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قالها مرارا ودخل صلى الله عليه وآله وسلم على علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسألك تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك او خروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احديهن
ويستحب للعليل ايضا ان يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا اشتكى احدكم
بطنه فليسأل امرأته شيئا من صداقها فليشتر به عسلا فيشربه بماء السماء فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء والمبارك وقال عليه السلام
يا ابن آدم انما ابتليك بالمرض حتى من تكلم به في اول مرضه نجاه الله من النار قال من قال لا اله الا
الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا على كل حال الله اكبر كبيرا ربنا جل جلاله
وقدرته بكل مكان اللهم ان كنت امرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في ارواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني
من النار كما باعدت اولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى وروي انه عليه السلام قال عيادة المريض فواق ناقة وقال طاوس
افضل العيادة اخفها وقال ابن عباس عيادة المريض مرة سنة فما ازدادت فنافلة وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلث
وقال عليه السلام غبا ولد وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلث وقال عليه السلام اغبوا في العيادة واربعوا وجملة ادب المريض
حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع الى الدعا والتوكل بعد الدوا على خالق الدوا ومنها ان يشيع جنائزهم
قال صلى الله عليه وآله وسلم من شيع جنازة فله قيراط فان وقف حتى تدفن فله قيراطان وفي الخبر القيراط مثل احد ولما روى
ابو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الآن في قراريط كثيرة والمقصود من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار
كان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغد فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول فالاول والآخر لا عقل له
وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت والله لا اعلمه ما دمت حيا وقال
الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع كلهم ونظر ابرهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون
انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت فقد رأى ومرارة الموت فقد ذاق وخوف الخاتمة فقد امن وقال صلى
الله عليه وآله وسلم يتبع الميت ثلثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله ومنها ان يزور
قبورهم والمقصود الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله عليه وآله وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر رضه
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكيت فقال ما يبكيكم قلنا
بكينا لبكائك قال هذا قبر آمنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنت في ان استغفر لها فابى علي فادركني
ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان رضه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته وسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يقول ان القبر اول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول ما
يكلم ابن آدم حفرته فيقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فماذا اعددت لي وقال ابو
الدرداء الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرونني
معادي وان قمت لم يغتابوني وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر ولم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال عليه السلام
ان لله مناديا ينادي يا اهل القبور من تغبطون قالوا نغبط اهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي
ويذكرون الله ولا نذكر وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عنه وجده حفرة من
حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال
رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقول يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل ان لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز
الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم اما تراهم صرعى قد خلت
بهم المثلات واصاب الهوام من ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن عذاب الله وادب

المريض خفض الجناح وتطويل الحزن وتقليل الحديث وترك التبسم وادب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت
والتفكر في الموت والاستعداد له وان يمشي امام الجنازة بقربها والاسراع بالجنازة سنة فهذه جمل تنبه على اداب المعاشرة مع عموم
الخلق والجملة الجامعة فيه ان لا تستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا فتهلك لانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله
يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها
ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله عز وجل ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في
اعينهم ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر
عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك الا اذا رأيت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر
اليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم
لك وثنائهم في وجهك وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد الا في المائة واحدا وربما لا تجده ولا تشك اليهم احوالك
فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية فذلك طمع كاذب واني تظفر به ولا تطمع فيما في ايديهم
فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء
واذا سألت اخا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل
بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك ولكن وعظك عرضا وارسالا من غير تنصيص على الشخص ومهما رأيت
منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا بلغك عنهم غيبة او رأيت منهم شرا او اصابك
منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله
ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي واعتقد انك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم فالله المحبب والمبغض الى القلوب وكن
فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون
عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطاء والنسيان
ولا يعفون يغرون الاخوان بالاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان
سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون
وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجابهوك بها في غضبهم ووحشتهم
ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة بان تصحبه مدة في دار او موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه
او تعامله في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا وابنا ان كان صغيرا
واخا ان كان مثلك فهذه جمل اداب المعيشة مع اصناف الخلق

حقوق الجوار

اعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء
ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبي عليه السلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له
حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له
حقان فالجار المسلم الذي له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا
بمجرد الجوار وقد قال النبي عليه السلم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال عليه السلم ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت
انه سيورثه وقال عليه السلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال عليه السلم اول خصمين يوم القيامة جاران
وقال عليه السلم لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقال عليه السلم اذا انت رميت كلب جارك فقد آذيته ويروى ان رجلا
جاء الى ابن مسعود فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال اذهب فان هو عصى الله فيك فاطع الله فيه وقيل لرسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال عليه السلم هي في النار وجاء رجل اليه عليه السلم
يشكو جاره فقال له اصبر ثم قال له في الثالثة او الرابعة اطرح متاعك في الطريق فجعل الناس

يمرون به ويقولون ما لك فيقال آذاه جاره فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال رد متاعك فوالله لا اعود وروى الزهري
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يشكو جاره فامر النبي ان ينادي على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري
اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واومى الى اربع جهات وقال عليه السلم اليمن والشوم في المرأة و
المسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن
سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه وسوء جوار اهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشومه صعوبته وسوء خلقه واعلم انه ليس حق
الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار ايضا قد كف اذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد
من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه
وسد بابه دوني وبلغ ابن المقفع ان جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا بحرمة ظل داره ان
باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها وشكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان
يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فاكون قد احببت لهم ما لا احب لنفسي وجملة حق الجار ان يبدأه بالسلام ولا
يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح
ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في
مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه ولا يضيق طرقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر
ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض
بصره عن حرمته ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف لولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا الى جملة
الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين وقد قال عليه السلم اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استنصرك
نصرته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة
عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه فان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها
ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار
الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي عليه السلم قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمرو وغلام له
يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله
عليه السلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى باسا ان تطعم الجار اليهودي
والنصراني من اضحيتك وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وآله وسلم وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض
اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها وقالت عائشة قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل علي ببابه والآخر ناء ببابه عني
وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا فقال المقبل عليك ببابه ورأى ابو بكر الصديق ولده عبد الرحمن وهو
يماظ جارا له فقال لا تماظ جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون وقال الحسن بن عيسى النيسابوري سألت عبد الله بن المبارك
قلت الرجل المجاور ياتيني فيشكو غلامي انه اتى اليه امرا والغلام ينكره فاكره ان اضربه ولعله بريء واكره ان ادعه فيجد علي
جاري فكيف اصنع قال ان غلامك لعله ان يحدث حدثا يستوجب فيه الادب فاحفظه عليه فاذا شكاه جارك فادبه على ذلك
الحدث فتكون قد ارضيت جارك وادبته على ذلك الحدث وهذا تلطف في الجمع بين الحقين وقالت عائشة خلال المكارم عشر
تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن احب صدق الحديث
وصدق الباس واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الامانة والتذمم للجار والتذمم للصاحب وقرى
الضيف ورأسهن الحياء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها
ولو فرسن شاة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء وقال

عن ابن مسعود قال قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اسأت فقد اسأت وقال جابر قال النبي عليه السلام من كان له جار في حائط او شريك فلا يبعه حتى يعرضه عليه وقال ابو هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء ام ابى وقال ابن عباس قال عليه السلام لا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبة في حائطه وكان ابو هريرة يقول ما لي اريكم عنها معرضين والله لارمينها بين اكتافكم وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب ذلك وقال عليه السلام من اراد الله به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه

حقوق الاقارب والرحم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال عليه السلام من سره ان ينسأ له في اثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه وفي رواية من سره ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الناس افضل فقال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وآله وسلم بصلة الرحم وان ادبرت وان اقول الحق وان كان مرا وقال عليه السلام ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل المكافي ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وقال عليه السلام ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنمو اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى مكة عرض له رجل فقال له ان كنت تريد النساء البيض والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال عليه السلام ان الله منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم وقالت اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها قال نعم وفي رواية افاعطيها فقال نعم صليها وقال عليه السلام الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحائط له كان يحبه عملا بقوله تعالى حتى تنفقوا مما تحبون قال يا رسول الله هي في سبيل الله وللفقراء والمساكين فقال عليه السلام وجب اجرك على الله فاقسمه في اقاربك وقال عليه السلام افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو في معنى قوله افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم

حقوق الوالدين والولد

لا يخفى انه اذا تأكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيهما وقد قال عليه السلام لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقال صلى الله عليه وآله وسلم بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحدا ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن امسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحدا وان ظلماه وان ظلماه وقال عليه السلام الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك ويروى ان الله عز وجل قال لموسى يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته برا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فاوحى الله اليه اتتعاظم ان تقوم لابيك وعزتي لا اخرجت من صلبك نبيا وقال عليه السلام ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شيء وقال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وقال عليه السلام ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه وقال عليه السلام بر الوالدة على الولد ضعفان وقال عليه السلام دعاء الوالدة اسرع اجابة فقيل يا رسول الله ولم ذاك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من ابر فقال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال عليه السلام

رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقال [illegible] سبعا ويؤدبه سبعا ويصاحبه سبعا ادبه سبعا وقال ابن [illegible] قال النبي عليه السلام الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين ادب فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال عليه السلام من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين او رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبلت بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد رأى الاقرع بن حابس النبي عليه السلام وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال ان من لا يرحم لا يرحم وقالت عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما اغسلي وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفة فضرب بيدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية وتعثر الحسن وهو على منبر النبي فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالناس اذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث امر فلما قضى صلاته قالوا لقد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته قال عليه السلام ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معاوية ارسل ابي الى الاحنف فلما وصل اليه قال يا ابا بحر ما تقول في الولد قال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي واني لمملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي الف درهم ومائتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر [illegible] وكيفية القيام بحقهما [illegible] في حق الحقوق فان من الرابطة آكد [illegible] ان اكثر العلماء على ان طاعة الابوين واجبة في الشبهات وان لم تجب في الحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تأكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذي هو فرض الاسلام نفل لانه على التأخير والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدري هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال عليه السلام هل باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك قال لا فقال عليه السلام فارجع الى ابويك فاستأذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد وجاء آخر اليه عليه السلام يستشيره في الغزو فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة عند رجليها وجاء آخر وطلب البيعة على الهجرة وقال ما جئتك حتى ابكيت والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما وقال عليه السلام حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال عليه السلام اذا استصعبت على احدكم دابته او ساء خلق زوجته او احد من اهل بيته فليؤذن في اذنه

حقوق المملوك

اعلم ان ملك النكاح قد سبقت حقوقه في آداب النكاح فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا في المعاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال عليه السلام للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال عليه السلام لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيئ الملكة وقال عبد الله بن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت عنه

يا رسول الله كم اعفو عنه قال كل يوم سبعين مرة وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى العوالي كل يوم سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه ويروى عن ابي هريرة انه راى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله فانما هو اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وقالت جارية لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك قالت اردت الراحة منك قال اذهبي فانت حرة لوجه الله وقال الزهري متى قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وقيل للاحنف ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق فقال لها انت حرة لا باس عليك وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك مولاك يعصي مولاه وانت تعصي مولاك فاغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت فاراقتها على راس سيدها ميمون فقال يا جارية احرقتني فقالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله عز وجل قال وما قال الله تعالى قالت والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله تعالى يقول والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله وقال ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسالك بالله اسالك بوجه الله فسمع رسول الله عليه السلام صياح العبد فانطلق اليه فلما راى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امسك يده فقال رسول الله سالك بوجه الله فلم تعفه فلما رايتني امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار وقال عليه السلام العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران فذهب احدهما وقال عليه السلام عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون النار فاما اول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال واول ثلاثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور وعن ابي مسعود الانصاري قال بينا انا اضرب غلاما لي اذ سمعت صوتا من خلفي اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالقيت السوط فقال لله اقدر عليك منك على هذا وقال عليه السلام اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه رواه معاذ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه وان لم يفعل فليناوله لقمة وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤونته وقربه اليه فليجلسه وليأكل معه او ليأخذ اكلة فليروغها ثم ليضعها في يده وليقل كل هذه ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا ان نجمع عليه عملين وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كانت عنده جارية فصانها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فذلك له اجران وقد قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فجملة حق المملوك ان يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته او بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله وتقصيره في طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد ان النبي عليه السلام قال ثلاثة لا يسال عنهم رجل فارق الجماعة وعصى امامه فمات عاصيا فلا تسال عنه وامراة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤونة الدنيا فتبرجت بعده فلا تسال عنها وثلاثة لا يسال عنهم رجل نازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وازاره العز ورجل في شك من الله والقنوط من رحمة الله والله اعلم ٥

كتاب العزلة وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بان صرف هممهم الى مؤانسته واجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح اسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقر في قلوبهم النظر الى زينة الدنيا وبهجتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستانس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الانس بالانس وان كان من اخص خاصته والصلاة على محمد سيد انبيائه وخيرته وعلى آله واصحابه سادة الحق وائمته

اما بعد فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احداهما على الاخرى مع ان كل واحد منهما لا ينفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة فما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمؤاخاة والمؤالفة يكاد يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف الغطاء عن الحق فيه مهم ويحصل ذلك برسم بابين

الباب الاول في نقل المذاهب والحجج فيه
الباب الثاني في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل

الباب الاول في نقل المذاهب والاقاويل وذكر حجج الفريقين فيه

اما المذاهب فقد اختلف الناس فيه وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وابراهيم بن ادهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان والتالف والتحبب الى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة والماثور عن العلماء من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة تدل على الميل الى احد الرايين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات لتتبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوائل والفوائد وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن رضي الله عنه كلمات احفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما اصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وانا شاب اصبر على اشد من هذا كنت اجالس الناس ولا اكلمهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فانشا يقول هذين البيتين شعر

قليل الهم لا ولد يموت ... ولا امر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وافاد علما ... فغايته التفرد والسكوت

وقال ابراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقيل كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيا للمرء ان يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله عز وجل وقال الفضيل اني لاجد للرجل عندي يدا اذا لقيني ان لا يسلم علي واذا مرضت ان لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت جنازته وكان سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا ياتيان المدينة لجمعة وغيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن اسباط سمعت سفيان الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة وقال بشر بن عبد الله اقل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيامة فان تكن فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل على حاتم الاصم بعض الامراء فقال الك حاجة قال نعم قال ما هي قال ان لا تراني ولا اراك وقال رجل لسهل اريد ان اصحبك فقال اذا مات احدنا فمن يصحب الآخر فليصحبه الآن وقيل للفضيل ان عليا ابنك يقول لوددت اني في مكان ارى الناس ولا يروني فبكى الفضيل وقال يا ويح علي افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يروني وقال الفضيل ايضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقال ابن عباس افضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه اقاويل المائلين الى العزلة

ذكر حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها

احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وبقوله تعالى فالف بين قلوبكم امتن على الناس بالسبب المؤلف

وهذا ضعيف لان المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله واصول الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوائل
من الصدور وهي الاسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله عليه السلام المؤمن الف مالوف
ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وهذا ايضا ضعيف لانه اشارة الى مذمة سوء الخلق الذي يمتنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته
الحسن الخلق الذي ان خالط الف والف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه او طلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله عليه السلام
من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية وبقوله عليه السلام من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربقة الاسلام
وهذا ايضا ضعيف لان المراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على امام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغي وذلك مخالفة بالرأي وخروج
عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق الى امام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك الا بالبيعة من الاكثر فالمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة
فليس في هذا تعرض للعزلة واحتجوا بنهيه عليه السلام عن الهجر فوق ثلث اذ قال من هجر اخاه فوق ثلث فمات دخل النار وقال عليه
السلام لا يحل لامرئ مسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث والسابق بالسلام يدخل الجنة وقال من هجر اخاه سنة فهو كسفك دمه وقالوا العزلة هجرة
بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك
المخالطة اصلا من غير غضب مع ان الهجر فوق ثلث جائز في موضعين احدهما ان يرى فيه استصلاحا للمهجور في الزيادة
الثاني ان يرى لنفسه سلامة فيه والنهي وان كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عائشة
رضي الله عنها ان النبي عليه السلام هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر وروي عن عمر انه عليه السلام اعتزل نساءه شهرا وصعد الى غرفة
له وهي خزانة فلبث تسعة وعشرين يوما فلما نزل قيل له انك كنت فيها تسعة وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعة وعشرين يوما وروت
عائشة ان النبي عليه السلام قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلثة ايام الا ان يكون ممن لا يؤمن بوائقه فهذا صريح في التخصيص وعلى
هذا ينزل قول الحسن رضي الله عنه حيث قال هجران الاحمق قربة الى الله عز وجل فان ذلك يدوم الى الموت اذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر
عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم سعد بن ابي وقاص كان مهاجرا لعمار بن ياسر
حتى مات وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه
حتى مات وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة واحتجوا بما روي ان رجلا اتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به الى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقال لا تفعل انت ولا احد منكم لصبر احدكم في بعض مواطن الاسلام خير من عبادة احدكم اربعين عاما والظاهر
ان هذا انما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روي عن ابي هريرة انه قال غزونا على عهد
رسول الله فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن افعل ذلك حتى اذكر لرسول الله
عليه السلام فذكره فقال عليه السلام لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله خير من صلاته في اهله ستين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم
وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله فواق ناقة ادخله الله الجنة واحتجوا بما روى معاذ بن جبل انه عليه السلام
قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ياخذ القاصية والناحية والشاذة اياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة
والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسياتي ان ذلك ينهى عنه الا لضرورة

ذكر حجج المائلين الى تفضيل العزلة

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي الآية
ثم قال فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا اشارة الى ان ذلك ببركة العزلة
وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فائدة فيها الا دعوتهم الى الدين وعند الياس من اجابتهم فلا وجه الا هجرتهم وانما الكلام
في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة اذ روي انه قيل له عليه السلام الوضوء من جر مخمر احب اليك ام من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس
فقال بل من هذه المطاهر التماسا لبركة ايدي المسلمين وروي انه لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع
في الحياض قد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه وقال اسقوني فقال العباس ان هذا
النبيذ شراب قد مغث وخيض بالايدي افلا آتيك بشراب انظف من هذا في جرة مخمرة في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه

الناس التماس بركة ايدي المسلمين فشرب منه فكيف يستدل باعتزال الكفار والاصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا
ايضا بقول موسى عليه السلام وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فانه فزع الى العزلة عند الياس منهم وقال في اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم
وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا عليه السلام قريشا لما آذوه وجفوه ودخل
الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا به الى المدينة بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار
عند الياس منهم فانه عليه السلام لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف ما اعتزل بعضهم بعضا وهم
مؤمنون وانما اعتزلوا الكفار وانما النظر في العزلة من المؤمنين واحتجوا بقوله عليه السلام لعقبة بن عامر الجهني حيث قال يا رسول الله
ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك لسانك وابك على خطيئتك وروي انه قيل له عليه السلام اي الناس افضل فقال مؤمن
مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال عليه السلام
ان الله يحب العبد التقي النقي الخفي وفي الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما قوله لعقبة بن عامر فلا يمكن تنزيله الا على انه عليه
السلام عرف بنور النبوة من حاله وان لزوم البيت كان اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يامر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون
سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وان لا يخرج الى الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد
افضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال عليه السلام الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا
يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وعلى هذا ينزل قوله رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا اشارة الى شرير بطبعه تتاذى
الناس بمخالطته وقوله ان الله يحب العبد التقي الخفي اشارة الى ايثار الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب
معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لامر لا يتعلق بالعزلة واحتجوا بما روي انه عليه السلام
قال لاصحابه الا انبئكم بخير الناس قالوا بلى فاشار بيده نحو المغرب وقال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار
عليه الا انبئكم بخير الناس بعده واشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلوة ويؤتي الزكوة ويعلم حق الله في ماله اعتزل
شرور الناس فاذا ظهر ان هذه الادلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة
بعضها بالبعض ليتبين الحق فيه

الباب الثاني في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها

اعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص
بحسب ما فصلنا من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوائد العزلة وهي تنقسم الى فوائد دينية ودنيوية
والدينية تنقسم الى التمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والى التخلص من ارتكاب المناهي
التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال
الخبيثة من جلساء السوء واما الدنيوية فتنقسم الى التمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته والى التخلص من محذورات
يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته بالمخالطة
والتاذي بسوء خلق الجليس في مرائه او سوء ظنه او نميمته او محاسدته او التاذي بثقله وتشويه خلقته والى هذا يرجع مجامع فوائد
العزلة فلنحصرها في ست فوائد

الفائدة الاولى الفراغ للعبادة والفكر والاستيناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة
الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله تعالى في امر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ
مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله عز وجل والمتمسكون بكتاب
الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك
في ان هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة اولى بهم ولذلك كان عليه السلام في ابتداء امره يتبتل في جبل حراء ويعتزل اليه
حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبونه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله عز وجل حتى كان الناس يظنون ان
ابا بكر رضي الله عنه خليله فاخبر صلى الله عليه وآله وسلم عن استغراق همه بالله فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم

الخليل الله ولن يتسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والإقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك
ولا يبعد أن تنتهي درجة بعض الأولياء إليه فقد نقل عن الجنيد أنه قال أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلمهم وهذا
إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه
وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه ملم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه قد يستغرقه الهم
بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن
الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي أرادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك
دوام الفكر وتثبيت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة
فقال ما أنا وحدي أنا جليس الله عز وجل إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت وقيل لبعض الحكماء إلى أي
شيء أفضى بهم الزهد والخلوة فقال إلى الأنس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام فقلت يا
إبراهيم تركت خراسان فقال ما تهنأت بالعيش إلا ههنا أفر بديني من شاهق إلى شاهق فمن رآني يقول موسوس أو
ملاح أو حمال وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة إخوانك قال إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من عنده
حاجتي وقيل للحسن يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قال فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه فقال أمر
شغلني عن الناس وعن الحسن فقال هذا الرجل الذي أخبرناك به وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال يا عبد الله أراك
قد حببت إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال أمر شغلني عن الناس فقال فما جالسا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن إذا
رأيتموه فأخبروني به فنظروا إليه ذات يوم وعنده الحسن فقال له الحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله قال إني أصبح وأمسي بين
نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن
فالزم ما أنت عليه وقيل بينما أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس ما جاء بك قال جئت لآنس بك فقال أويس
ما كنت أرى أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أدركني
استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي وقال عبد الواحد بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة
قيل وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة
ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك
ما أحسن حال من انقطع إلى الله عز وجل ويروى عن بعض الصالحين أنه قال بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بعابد خارج
من بعض تلك الجبال فلما نظر إلي تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر إليك فقال يا هذا إني أقمت في هذا
الجبل دهرا طويلا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسألت الله عز وجل أن لا يجعل حظي
من أيامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب وآلفه الوحدة والانفراد فلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر الأول فإليك عني
فإني أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه
وقال إليك عني يا دنيا لغيري فتزيني وأهلك فغري ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع
إليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فإذن في الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفيه قيل
وإني لأستغشي وما بي غشوة لعل خيالا منك يلقى خياليا وأخرج من بين الجلوس لعلني أحدث عنك النفس بالسر خاليا ولذلك قال
بعض الحكماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيتكثر حينئذ بملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه فإذا
كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس فإذا
هي فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له
أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس

الحاصل بدوام الذكر والمعرفة إلا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة

الفائدة الثانية

التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربع الغيبة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع عن الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا أما الغيبة فإذا عرفت في كتاب
آفات اللسان من المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون فإن عادة الناس كافة
التمضمض بأعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة وإن
خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله وإن سكت كنت شريكا والمستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين وإن أنكرت
أبغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى الغيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا إلى الاستخفاف والشتم
وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع ومن خالط الناس فلا يخلو عن
مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله به وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر وربما يجره طلب الخلاص منها إلى معاص هي أكثر مما نهى عنه
ابتداء وفي العزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق وقد قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا وقال أيها الناس إنكم تقرءون
هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإنكم تضعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال عليه السلام إن الله ليسأل العبد
حتى يقول ما منعك إذا رأيت المنكر في الدنيا أن تنكره فإذا لقن الله عبدا حجته فيقول يا رب رجوتك وخفت الناس وهذا
إذا خاف من ضرب لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكل وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف إثارة للخصومات
وتحريك لغوائل الصدور كما قيل شعر وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المتنصح ومن جرب الأمر بالمعروف
ندم عليه غالبا فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه فإذا سقط عليه فيقول ليتني تركته مائلا نعم لو
وجد أعوانا أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة استقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وانج برأسك وأما الرياء فهو الداء
العضال الذي يعسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع
فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه النفاق فإنك إن خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا
إليهما جميعا وإن جاملتهما كنت من شرار الناس قال عليه السلام إن من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه
وأقل الواجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه وليس يخلو ذلك عن كذب إما في الأصل وإما في الزيادة وإظهار الشفقة بالسؤال
عن الأحوال في قولك كيف أنت وكيف أهلك وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه فهذا نفاق محض قال السري لو دخل علي أخ فسويت لحيتي
بيدي لدخوله خشيت أن أكتب في جريدة المنافقين وكان الفضيل جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ له فقال له ما جاء بك
قال المؤانسة يا أبا علي قال هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني
وإما أن أقوم عنك وقال بعض العلماء ما أحب الله عبدا إلا أحب أن لا يشعر به ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال كيف أنت
يا هشام فغضب عليه وقال لم لم تخاطبني بإمرة المؤمنين فقال لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت أن أكون كاذبا فمن
أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس وإلا فليرض بإثبات اسمه في جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في
قولهم كيف أصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن أحوال الدين لا أحوال الدنيا قال حاتم الأصم لحامد اللفاف
كيف أنت في نفسك قال سالما معافى فكره حاتم جوابه فقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان إذا قيل لعيسى
صلوات الله عليه كيف أصبحت قال لا أملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهنا بعملي والخير كله في
يد غيري فلا فقير أفقر مني وكان الربيع بن خثيم إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي أرزاقنا وننتظر
آجالنا وكان أبو الدرداء إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت بخير إن نجوت من النار وكان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول
أشكر ذا إلى ذا وأذم ذا إلى ذا وقيل لأويس القرني كيف أصبحت فقال كيف يصبح رجل إذا أمسى لا يعلم أنه

نعم واذا اصبح لا ادري انمسي وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لبعض الحكماء كيف
اصبحت قال لا ارضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي وقال الحكيم كيف اصبحت قال اصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد
بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة الى الآخرة وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اصبحت اشتهي
عافية يوم الى الليل فقيل له الست في عافية في كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك
فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عادل بلا حجة وقيل لحسان بن سنان
ما حالك قال وما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل
فدخل ابن سيرين منزله فاخرج له الف درهم فدفعها اليه وقال خمسمائة فاقض بها دينك وخمسمائة عد بها على عيالك ولم يكن عنده
غيرها ثم قال والله لا اسال احدا عن حاله ابدا وانما فعل ذلك لانه خشي ان يكون سواله عن غير اهتمام بامره فيكون به مرائيا منافقا
فقد كان سوالهم عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله وان سالوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم
من الحاجة وقال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه وارى الآن اقواما يتلاقون
ويسالون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم لحبة من ماله لمنعه فهل هذا الا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك انك ترى
هذا يقول كيف انت ويقول الآخر كيف انت فالسائل لا ينتظر الجواب والمسؤول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان ذلك
عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن واحقاد والالسنة تنطلق بالسؤال قال الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك
اي سلم الله قلبك وبدنك فاما الآن فكيف اصبحت عافاك الله كيف انت احسن الله اليك ان اخذنا بقولهم كانت بدعة لا ولا كرامة ان شاءوا غضبوا
علينا وانما قال ذلك لان البداية بقولك كيف اصبحت بدعة وقال رجل لابي بكر بن عياش كيف اصبحت فما اجابه وقال دعونا من
هذه البدعة وقال انما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل
يلقى اخاه غدوة فيقول كيف اصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف امسيت والمقصود ان الالتقاء في غالب العادات
ليس يخلو عن انواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذمومات بعضها محظورة وبعضها مكروهة وفي العزلة الخلاص منها فان من
لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام
منهم واما مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم فهي داء دفين قلما ينتبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان
فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل المجالسة لادرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستثقاله اذ
يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع فيسقط وقعه واستعظامه منه وانما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فاذا صار
مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل اليه او لما دونه ومهما طالت مشاهدته الكبائر
من غيره استحقر الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده وتؤثر
مجالسة الفقراء في استعظام ما اتيح له من النعم وكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا تاثيره في الطبع فمن يقصر نظره على
ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار
وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتمام الاقتداء ومن نظر الى احوال اهل الزمان واعراضهم
عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي استعظم امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في
تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكر الصالحين
تنزل الرحمة فانما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليست تنزل عند الذكر بعينه ولكن سببه هو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص
على الاقتداء بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة
ذكر احوال الصالحين فهذا معنى تنزل الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من نظمه وهو انه عند ذكر
الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم يهون على الطبع امر المعاصي واللعنة هو البعد ومبدأ البعد عن الله هو المعاصي والاعراض

عن الله بالاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها
عن القلب ومبدأ سقوط الثقل هو وقوع الانس بها بكثرة السماع واذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك
بمشاهدتهم بل قد صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال مثل الجليس السوء مثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك
من ريحه فكما ان الريح يعلق بالثوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب
المسك ان لم يهب لك منه تجد ريحه ولهذا اقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين احداهما انها غيبة والثانية وهي
اعظمهما ان حكايتها تهون على المستمعين امر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامها والاقدام عليها فيكون ذلك سببا
لتهوين تلك المعصية فانه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف نستبعد هذا منا وكلنا مضطرون
اليه حتى العلماء والعباد ولو اعتقد ان مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الاقدام فكم من
شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه قبحها بان الصحابة رضي الله
عنهم لم ينزهوا انفسهم عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال علي ومعاوية رضي الله عنهما ويخمن في نفسه ان ذلك لم يكن لطلب الحق
بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد الخطأ يهون عليه امر الرياسة ولوازمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل الى اتباع الهوى
والاعراض عن الحسنات بل الى تقدير السوء فيما الصحيح فيه بالتنزيل على سعي الشهوة ليتعلل به وهو خادم مكايد
الشيطان ولذلك وصف الله المراعين للشيطان فيه بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضرب عليه السلام
لذلك مثلا وقال مثل الذي يجلس يسمع الحكمة ثم لا يعمل الا بشر ما يسمع كمثل رجل اتى راعيا فقال له يا راعي اجزر لي شاة من غنمك
قال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فاخذ باذن كلب الغنم وكل من ينقل هفوات الائمة فهو مثله ومما يدل على سقوط
وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوا استبعادا
يكاد يفضي الى تكفيره وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن اوقاتها فلا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تاخير الصوم
مع ان صلاة واحدة تقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب
الا ان الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما
من ذهب او شرب من اناء فضة استبعدته النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم الا بما هو اغتياب للناس
ولا يستبعد منه والغيبة اشد من الزنا فكيف لا تكون اشد من لبس الحرير ولكن كثرة مشاهدة الغيبة والمغتابين اسقط
عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها فتفطن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الاسد فانك لا تشاهد منهم الا
ما يزيد حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا
يذكرك الله بصورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق ان الجليس
الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير من جليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت الى حال من تريد
مخالطته لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه بالعزلة او التقرب اليه بالمخالطة واياك ان تحكم مطلقا على العزلة او المخالطة
بان احدهما اولى اذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا او نعم خلف محض والحق في المفصل الا التفصيل ٥٥

الفائدة الثالثة

الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها
وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل لها في سلامة منها قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك
بين اصابعه قلت فما تامرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك
امر العامة وروى ابو سعيد الخدري انه عليه السلام قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاب الجبال ومواقع
القطر يفر بدينه من الفتن وروى عبد الله بن مسعود انه عليه السلام قال سياتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه

إلا من فرّ بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله
قال إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله فإذا كان ذلك حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزويج قال
إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدي
قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده موارد الهلكة وهذا الحديث
وإن كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه إذ لا يستغني المتأهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة إلا بمعاصي الله
ولست أقول هذا أوان ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ولأجله قال سفيان الثوري والله لقد حلت العزلة
وقال ابن مسعود ذكر النبي عليه السلم الفتنة وأيام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فبم تأمرني إن
أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت أرأيت يا رسول الله إن دخل علي داري قال فادخل
بيتك قلت إن دخل علي بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله حتى تموت وقال سعد لما
دعي إلى الخروج أيام معاوية قال لا إلا أن تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقتله والمؤمن فأكف
عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبيناهم كذلك يسيرون إذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس
عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها وتاهوا وضلوا وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها وتاهوا وأناخ آخرون
وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبين الطريق فسافروا فاعتزل سعد وجماعة فارقوا الفتن ولم يخالطوا إلا بعد زوال الفتن وعن ابن عمر
رضي الله عنهما أنه لما بلغه أن الحسين رضي الله عنه توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له أين تريد فقال العراق فإذا معه طوامير
وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر إلى كتبهم ولا تأتهم فأبى فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر إلى كتبهم ولا
تأتهم فأبى فقال إني محدثك حديثا إن جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة
على الدنيا وإنكم بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يليها أحد منكم أبدا وما صرفها عنكم إلا الذي هو خير لكم
فأبى أن يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال أستودعك الله من قتيل وكان في الصحابة عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة
أكثر من أربعين رجلا وجلس طاووس في بيته فقيل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الأئمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق
لزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم
لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هناك عما أنتم فيه عافية فإذن الحذر من الخصومات ومثارات الفتن أحد
فوائد العزلة **الفائدة الرابعة** الخلاص من شر الناس فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات
والأطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة أو الكذب فربما يرون منك من الأعمال والأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه
فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت يظهر فيه فرصة للشر فإذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك
ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم فقال ما هما فقال **شعر** اخفض الصوت إن نطقت
بليل والتفت بالنهار قبل المقال ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون أو بجمال ولا شك أن من اختلط بالناس وشاركهم
في أعمالهم لم ينفك من حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم أنه يستعد لعداوته ونصب المكيدة عليه وتدسيس غائلة
وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو مهما اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم
إلا الحرص قال المتنبي رحمه الله **شعر** إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم وعادى محبيه بقول عداته
وأصبح في ليل من الشك مظلم وقد قيل معاشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار وأنواع الشر الذي يلقاه من معارفه ومن يختلط
به كثيرة ولسنا نطول بتفصيلها ففيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار
العزلة وقال أبو الدرداء اخبر تقله وقال الشاعر **شعر** من حمد الناس ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يحمد وصار بالوحدة مستأنسا
يوحشه الأقرب والأبعد وقال عمر في العزلة راحة من خليط السوء وقيل لعبد الله بن الزبير ألا تأتي المدينة قال ما بقي فيها

إلا حاسد نعمة أو فرح بنقمة وقال ابن السماك كتب صاحب لنا أما بعد فإن الناس كانوا دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء له
ففر منهم فرارك من الأسد وكان بعض الأعراب يلازم شجرة ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال إن سمع مني لم ينم علي وإن تفلت
في وجهه احتمل وإن عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء وكان بعضهم لزم الدفاتر والمقابر فقيل له
في ذلك فقال لم أر أسلم من وحدة ولا أوعظ من قبر ولا جليسا أمتع من دفتر وقال الحسن أردت الحج فسمع ثابت فأحب أن نصطحب
فقال له الحسن ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه وهذه إشارة
إلى فائدة أخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروءة والأخلاق والفقر وسائر العورات وقد مدح الله تعالى المتسترين
فقال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال الشاعر ولا عار أن زالت عن الحر نعمة ولكن عارا أن يزول التجمل ولا يخلو
الإنسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى في الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها وقال
أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في آخر القرن الأول
فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد مماته
أقلل من معرفة الناس فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا ممن عرفت وقال بعضهم جئت إلى مالك بن دينار
وهو قاعد وحده وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس
السوء وقيل لبعضهم ما حملك على أن تعتزل الناس قال خشيت أن أسلب ديني ولا أشعر وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع
أخلاق القرين السوء وقال أبو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدبروه ولا ظهر جواد إلا عقروه
ولا قلب مؤمن إلا خربوه وقال بعضهم أقلل المعارف فإنه أسلم لدينك وقلبك وأخف لسقوط الحقوق عنك لأنه كلما كثرت
المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم أنكر من تعرف ولا تتعرف إلى من لا تعرف **الفائدة الخامسة**
أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد فإن رضا الناس غاية لا تدرك
فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولائم والإملاكات
وفيها تضييع الأوقات والتعرض للآفات ثم قد تعوق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المعاذير ولا يمكن إظهار كل الأعذار فيقولون
قد قام بحق فلان وقصر في حقي ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة اشتهى موته خيفة
من تخجيله إذا صح على تقصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه
المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين أو دنيا قال عمرو بن العاص كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء وقال
ابن الرومي عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب
وقال الشافعي أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة فإن من نظر
إلى زينة الدنيا وزهرتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى إلا الخيبة في أكثر الأطماع ويتأذى به ومهما اعتزل
لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم وقال عليه السلام
انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت
أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت وحكي أن
المزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما رأى من حاله وحسن هيئته فتلا قوله
تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ثم قال بلى أصبر وأرضى وكان فقيرا مقلا فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن
فإن من شاهد زينة الدنيا فإما أن يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر أو
تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا أما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في أكثر الأوقات فليس كل من يطلب
الدنيا تتيسر له وأما في الآخرة فبما يؤثره من متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه ولذلك قال ابن الأعرابي **شعر**

إذ الآن أبا الذين جانب الغنى سموت إلى العلياء جانب الفقر. أشار إلى أن الطمع يوجب الذل

الفائدة السادسة

الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة خلقهم وأخلاقهم فإن رؤية الثقيل هي العمى الأصغر قيل للأعمش لم عمشت عيناك قال من النظر إلى الثقلاء. ويحكى أنه دخل عليه رجل فقال له في الخبر إن من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك قال كفاني رؤية الثقلاء وأنت منهم. وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت إلى ثقيل مرة فغشي علي. وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى الثقلاء. وقال الشافعي ما جالست ثقيلا إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أثقل علي من الجانب الآخر. وهذه الفوائد ما سوى الأوليين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضا متعلقة بالدين فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يأمن أن يغتابه وأن يستنكر ما هو صنع الله وإذا تأذى من غيره بغيبة أو سوء ظن أو محاسدة أو نميمة أو غيرها لم يصبر على مكافأته وكل ذلك يجر إلى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم.

آفات العزلة

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعي إليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس والإيناس ونيل الثواب وإنالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فإنها من فوائد المخالطة وهي سبعة

الفائدة الأولى التعليم والتعلم

وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما أعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر في هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ولا ينفك في أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو أصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال فمثال النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه فالمريض الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه فلا تليق العزلة إلا بالعالم وأما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المتعلم والمعلم ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه فإنه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب إلا لكلام مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ أو لجدل معقد يتوصل به إلى إفحام الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة وأقرب علم مرغوب فيه المذهب والمطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولي الولايات واجتلاب الأموال فهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فإن صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في بلد كبير أكثر من واحد أو اثنين إن صودف ولا ينبغي أن يغتر الإنسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله فإن الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله وانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين منهم واعتبر بهم أنهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها أو راغبين فيها وزاهدين عنها وليس الخبر كالمعاينة واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة فإن فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فإن لم يؤثر في الحال أثر في المآل وأما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله بل لا يزال متماديا في حرصه إلى آخر عمره ولعل ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرخص فيه إذ يرجى أن ينزجر به في آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله وبالترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه فإن المقصر العالم بتقصيره أسعد حالا من الجاهل المغرور أو من المتجاهل المغبون وكل عالم اشتغل بالتعليم ينبغي أن يكون غرضه التوسل إلى الجاه وحظه لذة النفس في الحال باستشعار الإدلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء كما قال عليه السلام ولذلك حكي عن بشر أنه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الأحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول إني أشتهي أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فإنما يقول أوسعوا لي وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيماذا رغبت قالت في الحديث ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو كتب الحديث أو اشتغل بالسفر فقد ركن إلى الدنيا فهذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له إن كان عاقلا في هذا الزمان أن يتركه فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال إخوان العلانية أعداء السر إذا لقوك تملقوك وإذا غبت عنهم سلقوك من أتاك منهم كان عليك رقيبا وإذا خرج كان عليك خطيبا أهل نفاق ونميمة وغل وخديعة وإخوان بهت وعصبية ولا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلما إلى أوطارهم وحمارا في حاجاتهم إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك عليك ثم يعدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه وهو حق وصدق فإنك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد إليهم فكأنه يهدي تحفة إليه ويرى حقه ولعله يرى عليه الكيل إليه ما لم يتكفل برزق له على الإدرار ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد إلى أبواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله إلى أن يسلم إليه ما يقدر تسليمه من عين ذلك المال ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه إن سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه إلى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مقادير الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وإن فاوت بينهم سلقه السفهاء بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الأساود والآساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالبة ما يأخذه ويفرقه في العقبى والعجب أنه مع هذا البلاء كله يمني نفسه بالأباطيل ويدليه حبل الغرور ويقول لا تفتر عن صنيعك فإنك بما تفعله مريد وجه الله ومذيع شرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وناشر علم دين الله وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح وأي مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم فبهم يظهر الدين وتتقوى أهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لا سبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فيلحظهم أعين الجهال ويستجرئون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واتباعا لآثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية إلا بفساد الملوك وما فسد الملوك إلا بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فإنه الداء الذي ليس له دواء

الفائدة الثانية النفع والانتفاع

أما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب وإن كان معه مال لو اكتفى به قانعا لأقنعه فالعزلة أفضل له إذا انسدت طرق المكاسب في الأكثر إلا من المعاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من الإقبال بكنه الهمة على الله والتجرد بذكر الله أعني من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن أوهام وخيالات فاسدة وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال إلا

بالمخالطة ومن يقدر عليه مع القيام بحدود الشرع فهو افضل له من العزلة ان كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات و
البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة **الفائدة الثالثة** التأديب
والتأدب ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد
بالمخالطة وهي افضل من العزلة في حق من لم تتهذب اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية
في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم واهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين
بهممهم الى الله وكان هذا هو المبدأ في الاعصار الخالية والآن قد خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مالت سائر
شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير والاستتباع والتذرع الى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع فان كانت
النية هذا فالعزلة خير منه ولو الى القبر وان كانت النية رياضة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما
يحتاج اليه في بداية الارادة فبعد حصول الارتياض ينبغي ان يفهم ان الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها
ان تتخذ مركبا يقطع به المراحل ويطوى على ظهرها الطريق والبدن مطية القلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات ان لم
يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها الا
الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة ويراد الدابة لفائدة
تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من الم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي ان يقنع بها كالراهب الذي قيل له
يا راهب فقال ما انا براهب انما انا كلب حبست نفسي حتى لا اعقر الناس وهذا حسن بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغي ان يقتصر
عليه فان من قتل نفسه ايضا لم يعقر الناس بل ينبغي ان يتشوف الى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى الى الطريق
وقدر على السلوك استبان له ان العزلة اعون عليه من المخالطة فالافضل لمثل هذا الشخص المخالطة اولا والعزلة آخرا واما
التأديب فانما نعني به ان يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم
وحكمه حكمه ويتطرق اليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق الى نشر العلم الا ان مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين
للارتياض ابعد منها من طلبة العلم ولذلك ترى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة فينبغي ان يقيس ما تيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة
وتهذيب القوم ويقابل احدهما بالآخر وليؤثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن
الحكم عليه مطلقا بنفي ولا اثبات **الفائدة الرابعة** الاستئناس والايناس وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات
ومواضع المعاشرة والانس وهذا يرجع الى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا يجوز مؤانسته او على وجه
مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة احواله واقواله في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت
التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فان القلوب
اذا اكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة انس يروح القلب فهي اولى اذ الرفق في العبادة من حزم العبادة
ولذلك قال عليه السلام ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم يروح وفي
تكليفها الملازمة تنفير ولن يشاد هذا الدين احد الا غلبه فان الدين متين والايغال فيه برفق دأب المستبصرين ولذلك قال
ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس فلا يستغني
المعتزل اذن عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته تلك عليه
سائر ساعاته فقد قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء في الدين وحكايات
احوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال
رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لا ينقطع شكواه ولو عمر اعمارا طويلة والراضي عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من
الاستئناس في بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض الاشخاص فليتفقد فيه احوال القلب واحوال

الجليس ثم ليجالس **الفائدة الخامسة** في نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المريض وحضور العيدين اما
حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة في سائر الصلوات ايضا لا رخصة في تركه الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة
الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال سرور على قلب
مسلم واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او ليعزوه في المصائب او يهنئوه على النعم فانهم ينالون بذلك ثوابا وكذلك اذا
كان من العلماء واذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي ان يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها
التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات
وعيادة المرضى والجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة وزيارة القبور وكان بعضهم فارق الامصار ولحق بقلل
الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل **الفائدة السادسة** من المخالطة التواضع فانه من افضل المقامات ولا
يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين
مصحفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك قد ملأت الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك
شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال الآن قد بلغت محبة ربي فاوحى الله تعالى الى نبيه قل له انك لن تبلغ رضاي
حتى تخالط الناس وتصبر على اذاهم فخرج فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله تعالى اليه الآن قد بلغت
رضاي فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر ومانعه عن المحافل ان لا يوقر او لا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى
لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من ان يظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ
البيت سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء انهم
يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم على بابهم وطريقهم وتقبيلهم يده
على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل
حيث قال وهل جئتني الا لاتزين لك وتتزين لي وعن حاتم الاصم اذ قال للامير الذي زاره حاجتي اليك ان لا اراك ولا تراني
فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم اليه
بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا ينقص من منصب من هو متكبر بعلمه
او دينه اذ كان علي رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله وابو هريرة
وحذيفة وابي وابن مسعود كانوا يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق على اكتافهم وكان ابو هريرة يقول وهو والي المدينة والحطب على
رأسه طرقوا لاميركم وكان سيد المرسلين صلوات الله عليه يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني احمله فيقول صاحب
الشيء احق بحمله وكان الحسين بن علي يمر بالسؤال وبين ايديهم كسر فيقولون هلم الى الغداء يا ابن رسول الله وكان ينزل على الطريق
ويأكل معهم ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المتكبرين الوجه الثاني ان الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم
مغرور لانه لو عرف الله حق المعرفة علم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه
وان من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تنال فرضا الله اولى
بالطلب ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الاعلى والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر
ما يصلحك فافعله ولذلك قيل من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال اعمل كذا وكذا
فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد
يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا خالقه وان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي
باي حال يرونه وقال الشافعي ليس من احد الا وله محب ومبغض فاذا كان كذا فكن مع اهل طاعة الله وقيل للحسن يا ابا سعيد
ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك في السؤال فتبسم وقال للقائل هون على نفسك فاني حدثت

حتى يبكي فكان يعاوده الحزن فقطعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم
لم يسلم منهم فقال موسى عليه السلام يا رب احبس عني السنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم اصطفه لنفسي فكيف افعله بك واوحى الله سبحانه الى
عزير ان لم تطب نفسك بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين فاذا من حبس نفسه في البيت لم يحزنه
اعتقادات الناس واقاويلهم فيه وهو في غنا خاصية الدنيا والذات لا تصعد له الى اكبر وكان اصله فاذا لا يستحب العزلة
الا لمستغرق في الاوقات بربه ذكرا او فكرا او عبادة او علما بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته اذ كثرت آفاته ويشوش عليه عبادته
فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي ان يتقى فانها مهلكات في صور منجيات **الفائدة السابعة التجارب** فانها تستفاد من
المخالطة للخلق ومجاري احوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهم مصالح الدين والدنيا وانما يفيدها التجربة والممارسة فلا خير في
عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب
ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الاحوال ولا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات
باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلا يسير وكل غضوب او حقود او حسود اذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه
الصفات مهلكات في انفسها يجب اماطتها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال
دمل ممتلئ بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بالمه ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر صورته ولم يكن معه
من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام لتفجر منه الصديد وفار
فوران الشيء المختنق اذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وسائر الاخلاق الذميمة
انما تتفجر منه خبائثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان يستشعر
في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس او حزمة حطب على راسه ويتردد في الاسواق ليجرب نفسه فان غوائل النفس ومكايد
الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكي عن بعضهم انه قال اعدت صلوة ثلثين سنة مع اني كنت اصليها في الصف الاول ولكن تخلفت
يوما بعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت بالصف
الاول فعلمت ان جميع صلواتي كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس الي ورؤيتهم اياي في زمرة السابقين الى الخير فالمخالطة لها
فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الخبائث واظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق لانه نوع من المخالطة دائمة وستأتي غوائل هذه المعاني و
دقائقها في ربع المهلكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل
ان يكون العلم بالصلوة ولا يراد الا للصلوة افضل من الصلوة فانا نعلم ان ما يراد لغيره فذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع
بتفضيل العالم على العابد حتى قال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم يرجع الى ثلثة
اوجه احدها ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اذ يتعدى فائدته والعمل لا يتعدى والثالث ان يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك
افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق الى الخالق بعد انصرافها اليه لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل يرادان لهذا
العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب
هو هذا العلم والعمل كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام اعترض في البين بهذا الكلام فلنرجع
الى المقصود فنقول اذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطأ بل ينبغي ان ينظر
الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفائت
بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة
للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك
بالاحوال وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الافضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد
عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز ان يحكم بها على غيره المخالف له في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو

ان الصوفي لا يحكم الا عن حاله فلا جرم تختلف اجوبتهم في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه
فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما
من واحد الا واجاب بجواب آخر وكان ذلك حقا بالاضافة الى حاله وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله
بن الجلا حين سئل عن الفقر فقال اضرب بكمك الحائط وقل ربي الله هو الفقر وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسأل ولا يعارض
ان عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير هو الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك لا يكون لك
من حيث لم يكن وقال ابراهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب
مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما
لصاحبه في التصوف او يثني عليه بل كل واحد يدعي انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التي تعرض
لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف
ومثال نظر هؤلاء ما رأيت من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم في الصيف قدمان ويحكى عن آخر انه قدم وعن آخر
يرد عليه وانه في الشتاء سبعة اقدام ويحكى عن آخر انه نصف قدم وآخر يرد عليه وانه في الشتاء سبعة اقدام ويحكى عن آخر انه خمسة
اقدام وآخر يرد عليه وهذا يشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد منهم اخبر عن الظل الذي رآه ببلد نفسه فصدق في
قوله واخطأ في تخطئة صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده او هو مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم على العالم الا بما هو حال نفسه والعالم
بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر باحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى
ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره في تفضيل العزلة والمخالطة فان قلت فمن آثر العزلة ورآها افضل له
واسلم فما آدابه في العزلة فنقول انما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة واما آداب العزلة فلا يطول
فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شره عن الناس اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور
عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل و
الذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش اكثر وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم
وعن الاصغاء الى اراجيف البلاد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك يتغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلوة او الفكر
من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد وان ينبت وتتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها
الى البعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله والاخبار ينابيع الوساوس واصولها وليقنع باليسير من
المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران وليسد سمعه عن
الاصغاء الى ما يثنى عليه بالعزلة او يقدح فيه بترك الخلطة فان كل ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب
به لا بد وان يكون واقفا عن سيره في طريق الآخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد او ذكر مع حضور قلب واما بالفكر في جلال الله
وصفاته وافعاله وملكوت سمواته وارضه واما بالتأمل في دقائق الاعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعي الفراغ
والاصغاء الى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالحة او جليس صالح
لتستريح نفسه في اليوم ساعة عن كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا
وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل
عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق
قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وان من انس
بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وانسه فرحا بفضل الله عليه كما
قال الله تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله

وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه في هواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قالت الصحابة رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر والله تعالى أعلم

كتاب آداب السفر وهو الكتاب السابع
من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر فأصبحوا راضين
بمجاري القدر منزهين قلوبهم عن التلفت إلى منتزهات البصر إلا على سبيل الاعتبار بما يسبح في مسارح النظر ومجاري
الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر والصلاة على محمد سيد البشر وعلى آله وأصحابه المقتفين
لآثاره في الأخلاق والسير وسلم تسليما كثيرا أما بعد فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب
والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحارى والفلوات وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى
ملكوت السموات وأشرف السفرين السفر الباطن فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقليد
من الآباء والأجداد لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء جنة عرضها السموات والأرض ظلمة السجن وضيق
الحبس ولم أر في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام إلا أن هذا السفر لما كان مقتحمه في خطر عظيم لم يستغن فيه عن دليل
وخفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه
فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين منتزهات الأنفس والملكوت والآفاق وإليه دعا الله سبحانه بقوله سنريهم آياتنا في
الآفاق وبقوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الإنكار بقوله تعالى وإنكم لتمرون
عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وبقوله وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن يسر
له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق
فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده فغنائمه دائمة
غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم وإذ زاغوا أزاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان
والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة الدنيا أو ذخيرة
للآخرة فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط
وآداب إن أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وإن واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين

الباب الأول في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته

الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات

الباب الأول في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الأول في فوائد السفر وفضله ونيته

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كما ذكرناه في كتاب الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب
أو طلب فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد ومطلب
والمهروب عنه إما أمر له نكاية في الأمور الدنيوية كالطاعون والوباء إذا ظهر ببلد أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء سعر وهو إما
عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأذية في بلدة فيهرب منها وإما أمر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع أسباب
تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه أو كمن يدعى إلى بدعة قهرا أو إلى ولاية عمل لا تحل مباشرته
فطلب الفرار منه والمطلوب إما دنيوي كالمال والجاه أو ديني والديني إما علم أو عمل والعلم إما علم من العلوم الدينية

وإما علم بأخلاقه وصفاته على سبيل التجربة وإما علم بآيات الأرض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الأرض
والعمل إما عبادة أو زيارة والعبادة هو الحج والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس
والثغور فإن الرباط بها قربة وقد يقصد بها الأولياء والعلماء وهم إما موتى فتزار قبورهم وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد
من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام أربعة القسم الأول
السفر في طلب العلم وهو إما واجب وإما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا وذلك العلم إما علم بأمور دينية أو بأخلاقه في نفسه
أو بآيات الله في أرضه وقد قال عليه السلام من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وفي خبر آخر من سلك طريقا
يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر
رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره
ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغهم عن عبد الله بن أنيس
الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى سمعوه وقل مذكور في العلم محصل له من زمان الصحابة إلى زماننا
إلا وحصل العلم بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا مهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحسين الخلق
وتهذيبه ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال
وبه يخرج الله الخبء في السموات والأرض وإنما سمي السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي كان يعرف بعض الشهود
هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا فقال ما أراك تعرفه وكان بشر يقول يا معشر القراء سيحوا
تطيبوا فإن الماء إذا كثر مقامه في موضع تغير وبالجملة فإن النفس في الوطن مع مواتاة الأسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها
بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة فإذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة
انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر مخالطة
مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال
والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد وأما الجاحدون والغافلون والمغترون
بلامع السراب من زهرة الدنيا فإنهم لا يبصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم لمحجوبون يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وما أريد بالسمع السمع الظاهر فإن الذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه
وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك فيه الإنسان سائر الحيوانات فأما السمع الباطن فيدرك
به لسان الحال الذي هو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل حكاية لكلام الوتد والحائط قال الجدار للوتد لم تشقني فقال
سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي وما من ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله تعالى بالوحدانية
هي توحيدها وأنواع شهادات لصانعها بالتقدس هي تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لأنهم لم يسافروا من مضيق السمع الظاهر
إلى فضاء السمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال إلى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان صلى الله
عليه مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسماع كلام الله تعالى الذي يجب تقديسه عن مشابهة الحروف
والأصوات ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره
بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات فما له وللتردد في الفلوات وله غنية في
ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم مسخرات وهي إلى أبصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة
في الحركة على توالي الأوقات فمن الغرائب أن يدأب في الطواف بآحاد المساجد من أمرت الكعبة أن تطوف به ومن الغرائب أن
يطوف في أكناف الأرض من تطوف به أقطار السموات ثم ما دام المسافر مفتقرا إلى أن يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر
فهو بعد في المنزل الأول من منازل السائرين إلى الله والمسافرين إلى حضرته وكأنه معتكف على باب الوطن لم يفضه السير إلى

متسع الفضاء لا سبب لطول المقام في هذا المنزل إلا الجبن أو القصور ولذلك قال بعض أرباب القلوب إن الناس ليقولون
افتحوا أعينكم حتى تبصروا وأنا أقول غمضوا أعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق إلا أن الأول خبر عن المنزل الأول
القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن الذي يخطر فيها إلا مخاطر بنفسه والمجاوز إليها ربما يتيه
فيها سنين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل وإنما الهالكون في التيه هم الأكثرون من ركاب هذا الطريق ولكن
السائحون السالكون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى وليس هذا الملك يشبه ملك
الدنيا فإنه يقل إلا أضافه الكثرة الخلق طلابه وهو أعظم المطلوب ثم الساعد ثم الذي هلك الكثرون الذي يهلك والمتصدي
لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام وما أودع الله العز
والملك في الدين والدنيا إلا في متن الخطر وقد سمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل ترى الجبناء أن الجبن حزم
وتلك خديعة الطبع اللئيم فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الأرض فلنرجع إلى الغرض الذي كنا
نقصده ولنبين **القسم الثاني** وهو أن يسافر لأجل العبادة إما الجهاد أو الحج وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله
الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء
وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام
لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى لأن ذلك في المساجد فإنها متماثلة بعد
هذه المساجد وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والعلماء والأولياء في أصل الفضل وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا
عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة
الدعاء وبركة النظر إليهم فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة وفيه أيضا حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم هذا
سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم كيف ومجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب
الصحبة وفي التوراة سر أربعة أميال زر أخا في الله وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط
بها فالحديث ظاهر في أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج
وبيت المقدس أيضا له فضل كبير خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد
إلى المدينة وقد سأل سليمان عليه السلام ربه أن من قصد هذا المسجد لا يعنيه إلا الصلاة فيه أن لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه
حتى يخرج منه وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك **القسم الثالث** أن يكون السفر للهرب من سبب
مشوش للدين وذلك أيضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق
والأسباب فإن ذلك كله يشوش فراغ القلب والدين لا يتم إلا بقلب فارغ عن غير الله فإن لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور أن يشتغل
بالدين ولا يتصور تخيلها بطلبها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق من جميع
الأوزار والأعباء بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي ليست الدنيا أكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع
جاهه وكثرت علائقه فلا يتم مقصوده إلا بالغربة والخمول وقطع العلائق التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما يمده الله
بمعونته فينعم عليه بما يقوي به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعدمها
فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن
الاتساع للخلق والخالق وإنما يسعد بهذه القوة الأنبياء والأولياء والوصول إليها بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيه
مدخل أيضا ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوة الظاهرة في الأعضاء فرب رجل قوي ذي مرة سوي شديد
الأعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه ألف رطل مثلا فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج
فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وإن كان ذلك لا يبلغه درجته فلا ينبغي أن يترك الجهد باليأس

عن الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن قال سفيان الثوري
هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف في موضع يحول إلى غيره وقال أبو
نعيم رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها
رخص أريد أن أقيم بها فقلت وتفعل هذا قال نعم إذا بلغك عن قرية أن فيها رخصا فأقم بها فإنه أسلم لدينك وأقل لهمك وهذا
هرب من غلاء السعر وكان سري السقطي يقول للصوفية إذا خرج الشتاء فقد خرج آذار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار
فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم ببلد أكثر من أربعين يوما وكان من المتوكلين ويرى الإقامة اعتمادا على الأسباب في كتاب التوكل
القسم الرابع السفر هربا مما يقدح في البدن كالطاعون أو في المال كغلاء السعر أو ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب
الفرار في بعض المواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه ولكن يستثنى منه الطاعون
فلا ينبغي أن يفر منه لورود النهي فيه قال أسامة بن زيد قال عليه السلام إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم
ثم بقي بعد في الأرض فيذهب المرة ويأتي الأخرى فمن سمع به في أرض فلا يقدمن عليه ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار
وقالت عائشة رضي الله عنها قال عليه السلام إن فناء أمتي بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير
تأخذهم في مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف وعن مكحول
عن أم أيمن قالت أوصى النبي عليه السلام بعض أهله لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت أو خوفت وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج
من كل شيء هو لك فاخرج منه ولا تترك الصلاة عمدا فإن من ترك الصلاة عمدا فقد برئت منه ذمة الله وإياك والخمر فإنها مفتاح
كل شر وإياك والمعصية فإنها تسخط الله ولا تفر من الزحف وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت فيهم أنفق من طولك على أهل
بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم في الله فهذه الأحاديث تدل على أن الفرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم عليه وسيأتي
سر ذلك في كتاب التوكل فهذه أقسام الأسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى مذموم وإلى محمود وإلى مباح والمذموم ينقسم إلى
حرام كسفر العاق وإباق العبد وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم إلى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة
على كل مسلم وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الأسباب تتبين النية في السفر فإن معنى النية الانبعاث
للسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية ولتكن نية الآخرة في جميع أسفاره وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في المكروه و
المحظور وأما المباح فمهما كان قصده بطلب المال التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروءة على الأهل والعيال والتصدق بما
يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج إلى الحج وباعثه الرياء والسمعة لخرج عن كونه من أعمال
الآخرة فقوله عليه السلام الأعمال بالنيات عام في الواجبات والمباحات دون المحظورات فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن كونها محظورة
وقد قال عليه السلام إن الله تعالى وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطي كل واحد على نحو نيته فمن كانت نيته الدنيا
أعطي منها ونقص منه في الآخرة أضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته الآخرة أعطي من البصيرة
والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت وأما النظر في أن السفر نوع مخالطة
مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الأكثرين والأفضل هو الأعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل
معرفة الله وتحصيل الأنس بذكر الله والأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر
لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والإقامة هي المعينة على العمل بالعلم في الانتهاء وأما السياحة في الأرض على الدوام
فمن المشوشات للقلب إلا في حق الأقوياء فإن المسافر وماله لعلى قلت إلا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على
نفسه وماله وتارة بمفارقة ما ألفه واعتاده في إقامته وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق فتارة
يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع ثم شغل الحط والترحال مشوش لجميع الأحوال فلا ينبغي أن يسافر
المريد إلا في طلب علم أو مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته ويستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فإن اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح

طريق السالك اما العمل فالسكون اولى به الا ان يكون مستعصيا فيه من الاعمال لما احتاج اليهم عن الطوائف كالكتاب ودقائق الاعمال ولم (حصل)
ايم الى الله تعالى ويذكرهم في الخلوة وكانوا بطالين عن محن الدين والاستقلال بسد الفقر بطالة ولا استقلوا العمل والسعي
طرق الكسب واستدلوا بحاجب السؤال الى الحجة واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستخرجوا الخدم المتشبهين بالقيام
بخدمة القوم واستخفوا عقولهم واديانهم من حيث لم يكن مقصدهم من الخدمة الا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الاموال
بطريق السؤال تعللا بكثرة الاتباع فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ ولا تأديب للمريدين نافع ولا حجر عليهم نافذ فلبسوا المرقعات
واتخذوا من الخانقاهات منتزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة من اهل الطامات فينظرون الى انفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم
وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون انهم يحسنون صنعا ويعتقدون
ان كل سوداء تمرة ويتوهمون ان المشاركة في الظاهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات فما اغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فان الله
يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج او عمرة في غير رياء وسمعة او سافر لمشاهدة
شيخ يقتدي به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا التصوف فانه قد امحق
بالكلية وبطل لان العلوم لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل
غير العلم واما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع الى عمل القلب والجوارح ومهما
فسد العمل فات الاصل وفي اسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب للنفس بلا فائدة وقد يقال ان ذلك ممنوع ولكن الصواب
عندنا ان نحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس
المتحركين بهذه الحظوظ ايضا خسيسة ولا بأس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود اليه فهو المتأذي وهو المتلذذ
والفتوى تتسع لسلوك العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسائحون من غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج في
البلاد كالبهائم المترددة في الصحاري فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وانما عصيانهم
في التلبيس والسؤال على اسم التصوف والاكل من الاوقاف التي وقفت على الصوفية لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل
في دينه مع صفات اخر وراء الصلاح ومن اقل احوالهم انهم لا ياكلون اموال السلاطين واكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة
والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي وكما ان الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي
عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة وكذلك من نظر الى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم
واعطاهم من ماله على سبيل التقرب الى الله تعالى حرم عليهم الاخذ وكان ما اكلوه سحتا اعني اذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن احوالهم
لما اعطاهم فالتصوف من غير الصوفي بخصلته كالسيد باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل الدعوى ومن زعم
انه علوي وهو كاذب لم يعط فاعطي عليه حرام فكذلك الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن الاكل بالدين فان المبالغ في الاحتياط
لا ينفك باطنه عن عيب لو كشف للراغب في مواساته لفترت رغبته عن المواساة فلاجرم كانوا لا يشترون بانفسهم مخافة
ان يتسامحوا لاجل دينهم فيكونوا آكلين بالدين وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل ان لا يظهر انه لمن يشترى ثم لما كان
احدهم يعطي ولا ياخذ الا اذا كان الاخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله لم ينقبض عن مواساته والعاقل المنصف
يعلم من نفسه انه لو كشف عن عيوبه والخروج في حال سفره لغضب ان يكون جاهلا بارعية فان اقرب الاشياء الى قلبه قلبه فكيف
ينكشف غيره ومن عرف من الحيمية انه لا محالة ان لا ياكل الا من كسبه ليامن هذه الغائلة او لا ياكل الا من مال من يعلم قطعا انه
لو كشف له عورات باطنه لم يقعد ذلك عن مواساته فان اضطر طالب الحلال الى مريد طريق لا لحرث الى الحد فلا عرف نفسه صحيح
وليقل انك ان كنت تعطيني لما تعتقده في من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله ستري لم تر الا ما يسوءك بل اعتقدت
اني شر الخلق او من شرارهم فان اعطاه مع ذلك فليأخذ فانه ربما يرضى منه هذا الصدق ويعترف على نفسه بكراهة الدين وعدم
استحقاقه لما يعطيه ولكن ههنا مكيدة للنفس ومخادعة فلينتبه لها وهي انه يقول ذلك مظهرا انه متشبه بالصالحين في ذمهم

نشويهم باستحبابهم اياه ونظرهم بهم الى البواطن المتصوفة وان يكون صورة الكلام صورة الفتح ولا فتح باطنا وبرهم المدح
والطمع بحكم جوده ان بنيته ريبة لما اوضح بين ذمه ذم النفس الخلوق مع النفس هو المحمود فما الذم في الملا هو عين الرياء الا اذا
اوجده وارادة تحصيل المستمع بيتا بانه معترف بالذنوب ومعترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه ويمكن تلبيسه بقرائن الاحوال فالصادق
يحترز عن الناس في مخادعته بنية او مخادعة لنفسه فلا يستعد بعليه الا حرام عن امثال ذلك فهذا ما اردنا ان في اقسام السفر ونيته
السابق وفضيلته

الفصل الثاني

في آداب المسافر من اول نهوضه الى آخر رجوعه وهي احد عشر ادبا الاول
ان يبدأ برد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته وبرد الودائع ان كانت عنده ولا ياخذ لزاده الا الطيب الحلال
وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره ولا بد في السفر من طيب الكلام واطعام الطعام و
اظهار مكارم الاخلاق فان السفر يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبة السفر يصلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر
ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر من اسباب الضجر ومن احسن خلقه
في الضجر فهو الحسن الخلق والا فعند مساعدة الامور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلثة لا يلامون على الضجر الصائم
والمريض والمسافر وتمام حسن خلق المسافر الاحسان الى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بان لا يجاوزه الا
باعانة بمركوب او زاد او توقف لاجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الاوقات من غير فحش ومعصية ليكون ذلك
شفاء لضجر السفر ومشاقه **الثانية** ان يختار رفيقا فلا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين
فيذكره اذا نسي ويعينه ويساعده اذا ذكر فان المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل الا برفيقه وقد نهى عليه السلام ان يسافر الرجل
وحده وقال الثلثة نفر وقال اذا كنتم ثلثة في سفر فامروا احدكم وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا اميرنا امره عليه السلام وليؤمروا احسنهم
اخلاقا وارفقهم بالاصحاب واسرعهم الى الايثار وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الامير لان الاراء تختلف في تعيين المنازل والطرق
ومصالح السفر ولا نظام الا في الوحدة ولا فساد الا في الكثرة وانما انتظم امر العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا انتظم التدبير واذا كثر المدبرون فسدت الامور في الحضر والسفر الا ان مواطن الاقامة لا تخلو
عن امير عام كامير البلد وعن امير خاص كرب الدار واما السفر فلا يتعين له امير الا بالتامير فلهذا وجب التامير ليجتمع شتات
الاراء ثم على الامير ان لا ينظر الا لمصلحة القوم وان يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي انه صحبه ابو علي الرباطي
فقال على ان تكون انت الامير او انا فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره وامطرت السماء ليلة فقام عبد الله طول
الليل على راس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه المطر فكلما قال له ابو علي لا تفعل يقول الم تقل ان الامارة مسلمة لك فلا تتحكم علي ولا ترجع
عن قولك حتى قال ابو علي وددت اني مت ولم اقل له انت الامير فهكذا ينبغي ان يكون الامير وقد قال عليه السلام خير الاصحاب اربعة
وتخصيص الاربعة من بين سائر الاعداد لا بد وان يكون له فائدة والذي ينقدح فيه ان المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج الى
حفظه وعن حاجة يحتاج الى التردد فيها ولو كانوا ثلثة لكان المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر
وعن ضيق قلب لفقد انس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل وحده فلا يخلو عن الخطر وعن ضيق الصدر
فما دون الاربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الاربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس زيادة
بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف الهمة اليه فلا تتم الموافقة معه نعم في كثرة الرفاق فائدة للامن من المخاوف ولكن الاربعة
خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط الى آخر الطريق للاستغناء عنه
الثالث ان يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بعضهم
صحبت عبد الله بن عمر من مكة الى المدينة فلما اردت ان افارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يقول قال لقمان ان الله عز وجل اذا استودع شيئا حفظه واني استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وروى زيد
بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا اراد احدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له في

دعائهم البركة وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك
للخير حيث توجهت فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان أتيت أبا هريرة أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمك يا ابن أخي
شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الوداع فقلت بلى قال قل أستودعك الله الذي لا يضيع ودائعه وعن أنس رضي
الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال إني أريد سفرا فأوصني فقال له في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى
وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت شك الراوي وينبغي إذا استودع الله ما يخلفه أن يستودع الجميع ولا
يخصص فقد روي أن عمر كان يعطي الناس عطاياهم إذ جاءه رجل معه ابن له فقال عمر ما رأيت أحدا أشبه بأحد منه بك فقال
الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة فقلت أستودع
الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذه من قبر فلانة
نراها كل ليلة فقلت والله إنها كانت لصوامة قوامة فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب
فقيل إن هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه لهو أشبه بك من الغراب بالغراب. السابع أن يصلي قبل
السفر صلاة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلي لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك أن رجلا أتى
النبي عليه السلام فقال إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أدفعها إلى ابني أم أخي أم أبي فقال النبي عليه السلام
ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن في بيته إذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة
الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أتقرب بهن إليك فاخلفني بهن في أهلي ومالي فهي خليفته في أهله وماله وحرز حوله حتى
يرجع إلى أهله. الثامن إذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن
أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك
اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل
ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل
عنه فإذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان
وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة تحته فليقل الحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور. التاسع أن
يرحل من المنزل بكرة روى جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال اللهم
بارك لأمتي في بكورها ويستحب أن يبتدئ بالخروج يوم الخميس فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قل ما كان رسول الله عليه السلام
يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس وروى أنس أنه عليه السلام قال اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم السبت وكان عليه السلام إذا بعث سرية
بعثها أول النهار وروى أبو هريرة أنه قال عليه السلام اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها وقال عبد الله بن عباس إذا كان
لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فإني سمعت النبي عليه السلام اللهم بارك لأمتي في بكورها
ولا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها
والتشييع للوداع سنة قال النبي عليه السلام لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكفه على رحله غدوة أو روحة أحب إلي
من الدنيا وما فيها. العاشر أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهي السنة ويكون أكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وآله وسلم
عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السماوات السبع وما
أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك
خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين
ثم ليقل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فإذا جن عليه الليل فليقل يا أرض ربي

وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد
ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا شرفا من الأرض في وقت السير فينبغي أن يقول اللهم لك
الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة
والروح جللت السماوات بالعزة والجبروت. الحادي عشر أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو
ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان عليه السلام إذا نام في ابتداء الليل في السفر افترش ذراعه وإن نام في آخر الليل
نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه والغرض من ذلك أن لا يستثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة
أفضل مما يطلبه بسفره والمستحب بالليل أن يتناوب الرفقاء في الحراسة فإذا نام واحد حرس آخر فهذه السنة ومهما قصده عدو
أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والإخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت
على الله ما شاء الله لا يأتي بالخيرات إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى
ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت
اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة
إنك أنت أرحم الراحمين. الثاني عشر أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب في وجهها فإنه منهي عنه ولا ينام
عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على الدابة إلا غفوة وقال عليه السلام لا تتخذوا ظهور دوابكم
كراسي ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط
أن لا ينزل ويوفي الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان المكاري ومن آذى
البهيمة بضرب أو حمل ما لا تطيق طولب به يوم القيامة إذ في كل كبد حرى أجر وقال أبو الدرداء لبعير له عند الموت أيها
البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان إحداهما ترويح الدابة والأخرى إدخال
السرور على قلب المكاري وفيه فائدة أخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الأعصاب بطول الركوب
وينبغي أن يقرر مع المكاري ما يحمله شيئا شيئا ويعرضه عليه ويستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذي القلب ويحمل على الزيادة
في الكلام فما يلفظ العبد من قول إلا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري ولا ينبغي أن يحمل فوق
المشروط وإن خف فإن القليل يجر إلى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه قال رجل لابن المبارك وهو على دابته
احمل لي هذه الرقعة إلى فلان فقال حتى أستأمر المكاري فإني لم أشارطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء أن هذا
مما يتسامح به ولكن سلك طريق الورع. الثالث عشر ينبغي أن يستصحب ستة أشياء قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
إذا سافر حمل معه خمسة أشياء المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفي رواية أخرى عنها ستة المرآة والقارورة
والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت أم سعد الأنصارية كان عليه السلام لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة وقال
صهيب قال النبي عليه السلام عليكم بالإثمد عند مضجعكم فإنه مما يزيد في البصر وينبت الشعر وروي أنه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا
وفي رواية أنه اكتحل اليمنى ثلاثا واليسرى ثنتين وقد زادت الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير
ركوة وحبل دل على نقصان دينه وإنما زادوا هذا لما رأوا من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر
والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزح الماء وكان الأولون يكتفون بالتيمم ويغنون أنفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء
من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض عن الحبل
فيفرشون الثياب المغسولة عليها فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة وإنما البدعة المذمومة ما يضاد السنن الثابتة
أما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن وقد ذكرنا أحكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وإنما المتجرد لأمر الدين لا
ينبغي أن يترك طريق الحضر اختيارا في الطهارة تمام مبلغه ذلك عن عمل أفضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان

لاما يقاربه في السفر والحضر المذكورة الركوع والحمل ولا يضطجع عليها والتراخي وكان سهل بن عبد الله من الدنيا الحادي
عشر في اداب الرجوع من السفر كان عليه السلم اذا قفل من غزو او حج او عمرة كبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات
ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون
صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده واذا اشرف على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى
اهله من يبشرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي ان يطرقهم ليلا فقد ورد النهي عنه وكان عليه السلم اذا
قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت واذا دخل البيت قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغي ان يحمل
لاهل بيته واقاربه تحفة من مطعوم او غيره على قدر امكانه فهو سنة وقد روي انه اذا لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكان
هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتاكد الاستحباب في تاكيد فرحهم
واظهار التفات القلب في السفر الى ذكرهم بما يستصحب في الطريق لهم فهذه جملة من الاداب الظاهرة فاما الاداب الباطنة ففي الفصل الاول
بيانها وجملتها ان لا يسافر الا اذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه يتغير الى نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي ان
يجاوز همته منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة ان يرى شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد ادبا او كلمة
لينتفع بها لا ليحكي ويظهر انه لقي المشايخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يامره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس
في مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين فان كان قصده زيارة اخ فلا يزيد على ثلثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا
قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكلما دخل البلد لا يشتغل بشيء
سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فان كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستاذن الى ان يخرج فاذا خرج تقدم بادب ولا يتكلم بين يديه
الا ان يساله وان ساله اجاب بقدر السؤال ولا يسال عن مسئلة ما لم يستاذن اولا واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلدان
واسخيائهم ولا اصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل بلدة وقرية ولا يظهر
حاجته الا بقدر الضرورة ومع من يقدر على ازالتها ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك
الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع الى ما كان عليه فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فان البركة في مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة
قوم صالحين فلا ينبغي ان يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان في الحضر فليعلم ان سفره معلول
وليرجع اذ لو كان لحق لظهر اثره وقال رجل لابي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن
ان يذل نفسه واشار به الى من ليس له في السفر زيادة دين والا فعز الدين لا ينال الا بذل الغربة فليكن سفر المريد من هواه
ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما آجلا

الباب الثاني

فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود
لدنياه ولآخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من نفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا باس به اذا
كان سفره في قافلة او بين قرى متصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على
الجوع اسبوعا او عشرا او يقدر على ان يجتزي بالحشيش فله ذلك وان لم تكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش
فخروجه من غير زاد معصية فانه القى نفسه بيده الى التهلكة ولهذا سر سياتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب
بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو ونزع الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله له ملكا او شخصا آخر حتى يصب
الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب فحمل عين المشروب والمطعوم حيث لا
ينتظر له وجود اولى بان لا يقدح فيه وسياتي تحقيق التوكل في موضعه فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين واما زاد الآخرة
فهو العلم الذي يحتاج اليه في طهارته وصلوته وعبادته فلا بد ان يتزود منه فان السفر كما يقصر الصلوة تارة ويجمع والفطر تارة
يشدد عليه امورا كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلوة فانه في البلد يكفيه غيره من محاريب المساجد واذان

المؤذنين وفي السفر قد يحتاج الى ان يعرف بنفسه فاذن ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين القسم الاول العلم برخص السفر والسفر
يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخف والتيمم وفي صلوة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل رخصتين اداؤه على الراحلة
واداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع رخص الرخصة الاولى المسح على الخفين قال صفوان بن عسال
امرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كنا مسافرين ان لا ننزع خفافنا ثلثة ايام ولياليهن فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة
للصلوة ثم احدث فله ان يمسح على خفيه من وقت حدثه ثلثة ايام ولياليهن ان كان مسافرا او يوما وليلة ان كان مقيما ولكن بخمسة
شروط الاول ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها الخف ثم غسل اليسرى لم يجز المسح عند الشافعي
حتى ينزع خفه اليمنى ويعيد لبسه الثاني ان يكون الخف قويا يمكن المشي عليه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلا اذ العادة جارية
بالتردد عليه في المنازل لان فيه رفقا على الجملة بخلاف جورب الصوفية الثالث ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان
تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح والشافعي رحمه الله في القديم انه يجوز ما دام مستمسكا على الرجل وهو مذهب مالك
رحمه الله ولا باس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر الخرز في السفر كل وقت والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساتر الاقدام ويمنع
نفوذ الماء من شقوقه وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشرج لان الحاجة تمس الى جميع ذلك ولا معتبر الا ان يكون ساترا
الى ما فوق الكعبين كيف كان فاما اذا استتر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز المسح الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه
فان نزع فالاولى استئناف الوضوء وان اقتصر على غسل القدمين جاز الخامس ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل فرض الغسل لا على
الساق واقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف واذا مسح بثلث اصابع خرج عن شبهة الخلاف والافضل ان يمسح اعلاه واسفله
دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجهه ان يبل اليدين ويضع رؤوس اصابع اليمنى
من يده على رؤوس اصابع اليمنى من رجله ويمسح بان يجر الى جهة نفسه ويضع رؤوس اصابع من يده اليسرى على العقب من اسفل
الخف ويمرها الى راس القدم ومهما مسح مقيما ثم سافر او مسافرا ثم اقام غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلثة يحسب
من وقت حدثه بعد لبس الخف فلو لبس الخف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح
ثلثة ايام ولياليهن من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل
الرجل فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث ويستانف الحساب من وقت الحدث فلو احدث بعد لبس الخف في
الحضر ثم خرج بعد الحدث فله ان يمسح ثلثا لان العادة قد تقتضي اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز عن الحدث فاما اذا مسح
في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيم ويستحب لكل من يريد لبس خف في حضر او سفر ان ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من
عقرب او حية او شوكة فقد روي عن ابي امامة انه قال دعا رسول الله بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر فرمى به فخرجت
منه حية فقال النبي عليه السلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما الرخصة الثانية التيمم والتراب بدل
عن الماء عند العذر وانما يتعذر الماء بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة لو صاح واستغاث
وهو البعد الذي لا يعتاده اهل المنزل في ترددهم لقضاء الحاجة والتردد اليه وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع فيجوز التيمم
وان كان الماء قريبا وكذا ان كان احتاج اليه لعطشه في يومه او بعده لتوقع الماء بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج اليه لعطش
احد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه التسليم اما بثمن او بغير ثمن ولو كان يحتاج اليه لطبخ مرقة او لحم او لبل الكعك
به الكعك فلا يطبخ به اللحم ويجوز له التيمم فعليه ان يجتزي بالكعك اليابس ويترك تناول المرقة ومهما وهب منه الماء وجب قبوله
وان وهب منه ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشراء وان بيع بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء واراد ان يتيمم
فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب وذلك بالتردد حوالي المنزل والتردد في الرحل وطلب البقايا في الاواني وفي
المطاهر فان نسي الماء في رحله او نسي بئرا بقرب منه لزمه اعادة الصلوة لتقصيره في الطلب وان علم انه سيجد الماء في آخر
الوقت فالاولى ان يصلي بالتيمم في اول الوقت فان العمر لا يوثق به واول الوقت رضوان الله تيمم ابن عمر فقيل له اتتيمم وجدران المدينة

تطرايك مثالا يانى الى ان ادخلها بيها وجد الماء بعد الشروع فى صلوته لم يبطل صلوته ولم يلزمه الوضوء واذا وجد قبل الشروع
فى الصلوة لزمه الوضوء بها طلب ثم لم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب كفيه عليه بعد ضم اصابعه
منه فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم ويفرج الاصابع ويمسح بهما يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربتين
ولعله جمع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفية التلطف فيه ذكرناه فى كتاب الطهارة فالمعتد بتيمم اذا صلى به فريضة واحدة فله
ان يتنفل ما شاء بذلك التيمم وان اراد الجمع بين صلوتين فريضتين فعليه ان يعيد التيمم للصلوة الثانية فلا يصلى فريضتين الا
بتيممين ولا ينبغى ان يتيمم للصلوة قبل دخول وقتها فان فعل فعليه اعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلوة ولو وجد
من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما الرخصة الثالثة فى الصلوة الفريضة المقصورة له ان يقتصر
فى كل واحد من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلثة الاول ان يؤديها فى اوقاتها فلو صارت قضاء فالاظهر لزوم
الاتمام الثانى ان ينوى القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام ولو شك فى انه نوى القصر او الاتمام لزمه الاتمام الثالث ان لا يقتدى
بمقيم ولا بمسافر متم فان فعل لزمه الاتمام بل ان شك فى ان امامه مقيم او مسافر لزمه الاتمام وان تيقن بعد انه مسافر لان شعار
المسافر لا يخفى فليكن متحققا عند النية وان شك ان امامه هل نوى القصر ام لا بعد ان عرف انه مسافر لم يضره ذلك لان النيات
لا يطلع عليها وهذا كله اذا كان فى سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه اشكال ولا بد من معرفته فالسفر
هو الانتقال من موضع الاقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذى لا يقصد
موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خرابها وبساتينها التى يخرج اهل البلد اليها للتنزه
واما القرية فالمسافر منها ينبغى ان يجاوز البساتين المحوطة دون التى ليست بمحوطة ولو رجع المسافر الى البلد لاخذ شىء نسيه
لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وان لم يكن هو الوطن فله الترخص اذ صار مسافرا بالانزعاج من الخروج
منه ولها نهاية السفر فاحد امور ثلثة الاول الوصول الى عمران البلد الذى عزم على الاقامة بها الثانى العزم على الاقامة
ثلثة ايام فصاعدا اما فى بلد او صحرا الثالث صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام على موضع واحد ثلثة ايام سوى يوم الدخول
لم يكن له الترخص بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان لشغل وهو يتوقع كل يوم ان يتنجز ولكنه كان يتعوق ويتأخر فله ان
يترخص وان طالت المدة على احد القولين لانه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت
على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين ان يكون هذا الشغل قتالا او غيره ولا بين ان تطول المدة او تقصر ولا بين
ان يتاهب للخروج لتعذر الاصحاب بعد ثلثة ايام او لغيره اذ ترخص رسول الله صلعم فى بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على
موضع واحد وظاهر الغزاة انه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر ان قصره
كان لكونه مسافرا ثم لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خرابها وبساتينها التى يخرج اهل البلد اليها للتنزه واما
القرية فالمسافر منها ينبغى ان يجاوز البساتين المحوطة دون التى ليست بمحوطة ولو رجع المسافر الى البلد لاخذ شىء نسيه
لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران وان لم يكن هو الوطن فله الترخص لانه صار مسافرا بانزعاجه عن السفر
واما معنى الطويل فهو ان يكون مرحلتين كل واحدة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلثة اميال وكل ميل اربعة الاف خطوة ومعنى
المباح ان لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ولا تكون المراة هاربة من زوجها ولا يكون من عليه الدين هاربا
من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها فى قطع طريق او قتل انسان او طلب ادرار حرام من سلطان ظالم او سعى بالفساد
بين المسلمين وبالجملة فلا يسافر الا فى غرض والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك
الغرض لكان لا ينبعث لسفر فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص واما الفسق فى السفر بشرب الخمر او غيره فلا يمنع الرخص
بل كل سفر نهى الشرع عنه فلا يستعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما مباح والاخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث
المحظور لكان المباح مستقلا بالتحريك ولكان لا محالة يسافر فله الترخص والمتصوفة الطوافون فى البلاد

من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة فى ترخصهم خلاف والمختار ان لهم الترخص الرخصة الرابعة الجمع
بين الظهر والعصر فى وقتيهما او بين المغرب والعشاء فى وقتيهما فذلك جائز فى كل سفر مباح طويل وفى جوازه فى السفر
القصير قولان ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وبعد الفراغ يقيم للعصر ويجدد
التيمم ان كان متيمما ولا يفرق بينهما باكثر من تيمم واقامة فان قدم العصر واخر فان نوى الجمع عند التحرم بصلاة العصر جاز
عند المزنى رحمه الله وله وجه فى القياس اذ لا مستند لايجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وانما الرخصة فى العصر
فتكفى النية فيها واما الظهر فجار على القانون ثم اذا فرغ من الصلوتين فينبغى ان يجمع بين سنن الصلوتين اما العصر فلا
سنة بعدها ولكن السنة التى بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر اما راكبا او ماشيا لانه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر
انقطعت الموالاة وهى واجبة على وجه وان اراد ان يقيم الاربعة المسنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلى سنة الظهر
اولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم يصلى الركعتين اللتين بعد الفرض ولا ينبغى ان يهمل النوافل فى
السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله من الربح لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له ادائها على الراحلة كيلا يتعوق عن
القافلة بسببه وان اخر الظهر الى العصر فيجرى على هذا الترتيب ولا يبالى بوقوع راتبة الظهر بعد العصر فى الوقت المكروه لان
ما له سبب لا يكره فى هذا الوقت وكذلك يفعل فى المغرب والعشاء والوتر واذا قدم او اخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع
الرواتب ويختم الجميع بالوتر وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على اداء الظهر مع العصر جمعا فهو نية الجمع لانه انما
يخلو عن عزم النية اما بنية الترك او بنية التاخير عن وقت العصر وذلك حرام فالعزم عليه حرام وان لم يتذكر الظهر حتى خرج
وقته اما لنوم او لشغل فله ان يؤدى مع العصر ولا يكون عاصيا لان السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن
ذكرها ويحتمل ان يقال ان الظهر انما تنصرف الى العصر اذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها لكن الظاهر ان وقت الظهر والعصر صار مشتركا
فى السفر بين الصلوتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر اذا طهرت قبل الغروب ولذلك يتجه ان لا يشترط الموالاة
ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تاخير الظهر اما اذا قدم العصر الى الظهر لم يجز الا بعد الفراغ من الظهر وهو الذى جعل
وقتا للعصر اذ بعد ان يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر او تاخيره وعند العذر يجوز الجمع بعذر السفر وترك الجمعة
ايضا من رخص السفر وهى متعلقة بفرائض الصلوة ولو نوى الاقامة بعدما صلى العصر فادرك وقت العصر فى الحضر فعليه
اداء العصر وما كان مجزيا بشرط ان يبقى السفر الى خروج وقت العصر الرخصة الخامسة فى التنفل راكبا كان رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم يتنفل على الراحلة اينما توجهت به دابته واوتر صلى الله عليه واله وسلم على الراحلة وليس على
المتنفل الراكب فى الركوع والسجود الا الايماء وينبغى ان يجعل سجوده اخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء الى حد يتعرض لخطر بسبب
الدابة فان كان فى مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه واما استقبال القبلة فلا يجب لا فى ابتداء الصلوة ولا فى
دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن فى جميع صلوته اما مستقبلا للقبلة او متوجها فى صوب الطريق لتكون له جهة
يستقبلها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته الا اذا حرفها الى القبلة ولو حرفت ناسيا وقصر الزمان لم يبطل وان
طال ففيه خلاف واذا جمحت الدابة فانحرفت لم يبطل لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح غير منسوب اليه
بخلاف الحرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايماء الرخصة السادسة التنفل للماشى جائز فى السفر ويومى بالركوع والسجود ولا
يقعد للتشهد لان ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب لكن ينبغى ان يتحرم بالصلاة مستقبلا لان الانحراف فى لحظة
لا يعسر فيه بخلاف الدابة فان فى تحريفها وان كان العنان بيده نوع عسر وربما كثرت الصلوة فيطول عليه ذلك ولا ينبغى ان
يمشى فى نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب نجاسة وليس عليه ان يشوش المشى على
نفسه بالاحتراز من النجاسات التى لا تخلو الطريق عنها غالبا وكل هارب من عدو او سيل او سبع فله ان يصلى الفريضة راكبا
او ماشيا كما ذكرناه فى التنفل الرخصة السابعة الفطر وهى الصوم فللمسافر ان يفطر الا اذا اصبح مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم

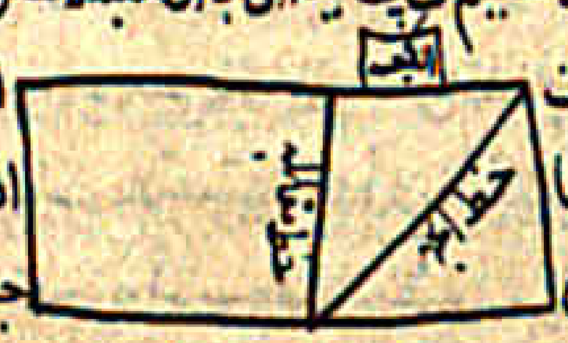
وان اصبح مسافرا وصاما ثم اقام فعليه الاتمام وان اقام مفطرا فعليه الامساك بقية نهاره وان اصبح مسافرا على عزم الصوم ثم
بدا له ان يفطر له ذلك واذا صام فالصوم افضل من الفطر والقصر افضل من الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولانه لا يبقى عهدة القضا
بخلاف المفطر فانه في عهدة القضاء وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته الا اذا كان يتضرر به فالافطار افضل فهذه سبع
رخص يتعلق ثلث منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والمسح ثلثة ايام ويتعلق اثنان بالسفر طويلا كان او قصيرا وهما
سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند اداء الصلوة بالتيمم واما الصلوة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والصحيح جوازه في
القصير والجمع بين الصلوتين فيه خلاف والاظهر اختصاصه بالطويل واما صلوة الفرض راكبا وماشيا للخوف فلا تتعلق بالسفر
وكذا اكل الميتة وكذا اداء الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت اسبابها فان قلت فالعلم
بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر ام يستحب له ذلك فاعلم انه ان كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر
وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الرخص لان الترخص ليس بواجب واما علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الماء ليس اليه
الا ان يسافر على شط نهر يوثق ببقاء مائه او يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله ان يؤخر الى
الحاجة اما اذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة فان قلت التيمم يحتاج اليه لصلوة لم يدخل بعد وقتها فكيف
يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب فربما لا تجب فاقول من بينه وبين الكعبة مسافة لا يقطع الا في سنة فيلزمه قبل اشهر الحج
ابتداء السفر ويلزمه تعلم المناسك لا محالة اذا كان يظن انه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لان الاصل الحياة واستمرارها وما لا
يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب وكل ما سيوجد وجوده مرتقبا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل اليه الا بتقديم ذلك
الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم الشرط لا محالة كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل اذن للمسافر ان ينشئ
السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وان كان عازما على سائر الرخص فعليه ان يتعلم ايضا القدر الذي ذكرناه من سائر
الرخص فانه اذا لم يعلم القدر الجائز بحسب السفر لم يمكنه الاقتصار عليه فان قلت ان لم يتعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا ماذا
يضره فيه وغايته ان يصلي ان تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون علمها واجبا فاقول من الواجب ان لا يصلي النفل
على نعت الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة والى غير القبلة من غير اتمام شروط الصلاة واركانها حرام فعليه ان يتعلم ما
يحترز به عن هذا الحرام فهذا بيان علم ما يختص على المسافر في سفره

النوع الثاني

ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو علم القبلة والاوقات وذلك ايضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق
عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه
الوقت فلا بد له من العلم بادلة القبلة والمواقيت اما ادلة القبلة فهي ثلثة اقسام ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار
وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها وسماوية وهي النجوم واما الارضية والهوائية فتختلف
باختلاف البلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او ورائه او قدامه فليتعلم ذلك وليفهمه وكذلك الرياح
قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك اذ لكل بلد واقليم حكم آخر واما السماوية فادلتها تنقسم
الى نهارية والى ليلية اما النهارية فالشمس فلا بد ان يراعي قبل الخروج من البلد ان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهي بين
الحاجبين او على العين اليمنى او اليسرى او تميل الى الجبين ميلا اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه
المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعي موقع الشمس منه وقت العصر فانه
في هذين الوقتين يحتاج الى القبلة بالضرورة وهذا ايضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه واما القبلة وقت المغرب
فانها تدرك بموضع الغروب وذلك بان يحفظ ان الشمس تغرب عن يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او قفاه وبالشفق يعرف
القبلة للعشاء الاخرة وبمشرق الشمس يعرف القبلة لصلوة الصبح فكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف
ذلك بالشتاء والصيف فان المشارق والمغارب كثيرة وان كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك ايضا ولكن قد يصلي المغرب

190

والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه ان يستدل على القبلة به فعليه ان يراعي موضع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فانه
كوكب كالثابت لا يظهر حركته عن موضعه وذلك اما ان يكون على قفا المستقبل او على منكبه الايمن من ظهره او منكبه الايسر في الطريق
او على منكبه الايسر من قفاه او منكبه الايمن في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فليتعلم
ذلك وما عرفه في بلده فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع
المشارق والمغارب الا انه ينتهي في اثناء سفره الى بلاد فينبغي ان يسال اهل البصيرة او يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد
حتى يتضح له ذلك فمهما تعلم هذه الادلة فله ان يعول عليها فان بان له انه اخطا من جهة القبلة الى جهة اخرى من الجهات الاربع فينبغي ان
يقضي وان انحرف من حقيقة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد اورد الفقهاء خلافا في ان المطلوب جهة الكعبة او عينها واشكل
على قوم اذ قالوا ان قلنا المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد الديار وان قلنا المطلوب الجهة فالواقف في المسجد ان استقبل جهة الكعبة
وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في انه لا تصح صلوته وقد طولوا في تاويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد اولا من فهم معنى
مقابلة العين ومقابلة الجهة فمعنى مقابلة العين ان يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل به وحصل
من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف المصلي يقدر



انه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين واما مقابلة الجهة فيجوز فيها ان يتصل طرف
الخط الخارج من بين العينين الى الكعبة من غير ان يتساوى الزاويتان عن جنبتي الخط
بل لا يتساوى الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة الى سائر النقط من يمينها او شمالها
كانت احدى الزاويتين اضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدرت
الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمان خارجين من العينين
فيلتقي طرفاهما في داخل الراس بين العينين على زاوية قائمة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل الجهة وسعة ما بين الخطين
تتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته فاذا فهم معنى الجهة والعين فاقول الذي



يصح عندنا في الفتوى ان المطلوب العين ان كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها وان كان يحتاج الى
الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفي استقبال الجهة فاما طلب العين عند المشاهدة
فمجمع عليه واما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة والقياس
اما الكتاب فقوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره اي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها واما السنة فما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لاهل المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة والمغرب يقع على يمين اهل المدينة والمشرق على يسارهم
فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لا تفي بما بين المشرق والمغرب وانما تفي بذلك جهتها وروي هذا
اللفظ ايضا عن عمر وابن عمر رضي الله عنهما واما فعل الصحابة فما روي ان اهل مسجد قبا كانوا في صلوة الصبح بالمدينة مستقبلين بيت المقدس
مستدبرين الكعبة لان المدينة بينهما فقيل لهم قد حولت القبلة الى الكعبة فاستداروا في اثناء الصلوة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم
وسمي مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا تعرف الا بادلة هندسية يطول النظر فيها فكيف ادركوا ذلك على البديهة
في اثناء الصلوة وفي ظلمة الليل ويدل ايضا من فعلهم انهم بنوا المساجد حوالي مكة وفي سائر بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا
عند تسوية المحاريب ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق النظر الهندسي واما القياس فهو ان الحاجات تمس الى الاستقبال وبناء المساجد في
جميع اقطار الارض ولا يمكن مقابلة العين الا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها فكيف ينبني امر الشرع
عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة واما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في اربعة قوله صلى الله عليه وآله وسلم
في ادب قضاء الحاجة لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا وقال هذا بالمدينة والمشرق على يسار المستقبل بها و
المغرب على يمينه فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك اربع جهات ولم يخطر ببال احد ان جهات العالم يمكن ان تفرض في ستة

او سهلا او غيره كيفما كان فالحكم الثابت في الجهات ثبت في الاعتقادات بناء على حاجة الانسان فلو لم يخلق الا الشمس وخلق ويعني كونه
في الاربعة وكانت الجهات بالاضافة الى الانسان في ظاهر النظر اربعة والشرع لا يبنى الا على مثل هذه الاعتقادات فظهر ان المطلوب
الجهة وذلك يسهل امر الاجتهاد فيها وتعلم ادلة القبلة فاما مقابلة العين فانما تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار
درجات طولها وهو بعدها عن اول عمارة في المشرق ثم يعرف ذلك ايضا في موقف المصلي ثم تقابل احدهما بالآخر ويحتاج فيه الى آلات
واسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذن القدر الذي لا بد من تعلمه من ادلة القبلة موقع المشرق والمغرب في الزوال وموقع
الشمس وقت العصر فبهذا يسقط الوجوب فان قلت فان خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصي فاقول ان كان طريقه على قرى متصلة
فيها محاريب او كان معه في الطريق بصير بادلة القبلة موثوق بعدالته وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يعصي وان لم يكن شيء من ذلك
عصى لانه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الادلة واستبهم عليه الامر بغيم مظلم
او ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فعليه ان يصلي في الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء اصاب او اخطا والاعمى ليس له الا
التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته ان كان مقلده مجتهدا في القبلة وان كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبر اليه
في حضر او سفر وليس للاعمى ولا للجاهل ان يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف ادلة القبلة حيث يحتاج الى الاستدلال كما ليس للعامي ان يقيم
ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة الى حيث يجد من يعلمه دينه وكذا ان لم يكن في البلد الا فقيه فاسق فعليه الهجرة
اذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وان كان معروفا بالفقه مستور الحال فيما في العدالة
والفسق فله القبول اذا لم يجد من هو اظهر عدالة منه لان المسافر في البلاد لا يقدر على ان يبحث عن عدالة المفتي فان راه لابسا للحرير
او راكبا على فرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله وكذلك اذا راه ياكل على مائدة
سلطان اغلب ماله حرام او ياخذ منه ادرارا او صلة من غير ان يعلم ان الذي اخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة
ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة واما معرفة اوقات الصلوات الخمس فلا بد منها ووقت الظهر يدخل بالزوال فلا بد ان يتعلم المسافر
ان الشخص عند الاستواء يقع له ظل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص الى وقت الزوال ثم ياخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يتزايد
الى الغروب فليقم المسافر في موضع او لينصب خشبة مستقيمة وليعلم على راس الظل ثم لينظر بعده ساعة فان راه في النقصان علم انه
بعد لم يدخل وقت الصلاة وطريقه ان ينظر في البلد فاذا ان الوقت المعتدل قامته فان كانت ثلاثة اقدام سبعة او ستة ونصف كذلك
في السفر ولياخذ في الزيادة ويصلي واذا اراد ان يعرف قامته اقدام ونصف بالتقريب فظل الزوال يختلف كل يوم ان كان من اول الشتاء
وان كان من اول الصيف فينقص كل يوم واحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت
فان عرف موضع الشمس في مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع طرقت القبلة فيها بدليل اخر امكنه ان يعرف الوقت
بالشمس بان يضعها على عينه مثلا ان كان كذلك في البلد واما وقت المغرب فيدخل بالغروب ولكن قد يحجب الجبال المغرب عنه فينبغي
ان ينظر الى جانب المشرق فمهما ظهر سواد في الافق مرتفع من الارض قيد رمح فقد دخل وقت المغرب واما العشاء فيعرف بغيبوبة
الشفق وهو الحمرة فان كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها فان ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة واما الصبح
فيبدو في الاول مستطيلا كذنب السرحان فلا يحكم به الى ان ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين لظهوره
فهذا اول الوقت قال صلى الله عليه وآله وسلم ليس الصبح هكذا وجمع كفيه وانما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه على الاخرى وفتحهما
واشار به الى انه معترض وقد يستدل عليه بالمنازل وذلك تقريب وتحقيقه لا يمكن بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضا لان
من الناس من ظن ان الصبح يطلع قبل الشمس باربعة منازل وهو خطا فان ذلك هو الصبح الكاذب والذي ذكره المحققون انه يتقدم على الشمس
بمنزلتين وهذا تقريب ولكن لا اعتماد عليه فان بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبعضها منتصبا فيطول زمان
طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافا يطول ذكره نعم تصلح المنازل لان يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فاما حقيقة الصبح
فلا يمكن ضبطه بمنزلين للصلاة على الجملة فاذا بقيت اربعة منازل الى الطلوع فيتعلى الشمس بمقدار منزل يتيقن انه الصبح الكاذب

واذا بقي قريب من منزلين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزل بالتقريب يشك فيه انه من وقت
الصبح الصادق او الكاذب وهو مبدأ طلوع الصادق وانتشاره وقبل انتشاره عرضه ففي وقت الشك ينبغي ان يترك الصائم
السحور ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى ينقضي وقت الشك فاذا تحقق صلى ولو اراد ان يؤثر جانبا على التحقيق
وجعل معيارا لكثرة فيه يبحث او يقوم عقيبه ويصلي الصبح متصلا به فليس معرفة ذلك في حق البصير اصلا الا ان يتعلم
التمييز عن الشك ولا اعتماد الا على العيان ولا اعتماد في العيان الا على ان يصير الضوء منتشرا في العرض حتى يبدو مبادي
الصفرة وقد غلط في هذا جمع كثير من الناس يصلون قبل الوقت ويدل عليه ما رواه ابو عيسى الترمذي في جامعه عن طلق
بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض
لكم الاحمر وهذا صريح برعاية الحمرة قال ابو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وابي ذر وسمرة وهو حديث حسن غريب والعمل
على هذا عند اهل العلم وقال ابن عباس رضي الله عنه كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين اي مستطيلا فاذا لا ينبغي
ان يعول الا على ظهور الصفرة وكانها مبادي الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل
حتى لا يشق عليه النزول او قبل النوم حتى يستريح فان وطن نفسه على تاخير الصلاة الى ان يتيقن فيصبر بفوات فضيلة اول
الوقت ويتجشم كلفة النزول وكلفة تاخير النوم الى اليقين استغنى عن تعلم علم الاوقات فان المشكل اوائل الاوقات لا اواسطها

كتاب السماع والوجد وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احرق قلوب اوليائه بنار محبته واسترق هممهم وارواحهم بالشوق الى لقائه
ومشاهدته ووقف ابصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى اصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى واصبحت قلوبهم
من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى فلم يروا في الكونين شيئا سواه ولم يذكروا في الدارين الا اياه ان سنحت لابصارهم
صورة عبرت الى المصور بصائرهم وان قرعت اسماعهم نغمة سبقت الى المحبوب سرائرهم وان ورد عليهم صوت مزعج او
مقلق او مطرب او محزن او مبهج او مشوق لم يكن انزعاجهم الا اليه ولا شوقهم الا الى ما لديه ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم
الا حواليه فمنه سماعهم وعليه استماعهم فقد اقفل عن غيره ابصارهم واسماعهم اولئك الذين اصطفاهم الله لولايته واستخلصهم
من بين اصفيائه وخاصته والصلاة على محمد المبعوث برسالته وعلى آله واصحابه ائمة الحق وقادته وسلم كثيرا اما بعد
فان القلوب والسرائر خزائن الاسرار ومعادن الجواهر وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر واخفيت
كما اخفي الماء في التراب والمدر ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقوادح السماع ولا منفذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع
فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها او مساويها فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه كما لا يرشح
الاناء الا بما فيه فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق فلا يصل نفس السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا
كانت القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت بوادرها ما فيها وكشفت بها عن مساويها ومحاسنها وجب شرح القول
في السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات وما يتطرق اليهما
من خلاف العلماء في انهما من المحظورات او المباحات ونحن نوضح ذلك في بابين والله اعلم

الباب الاول في اباحة السماع

الباب الثاني في آداب السماع وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة وتمزيق الثياب

الباب الاول في ذكر اختلاف العلماء في اباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان اقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع حالة في
القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة فتسمى التصفيق والرقص

فبدا بحكم السماع ونورد منقول الاقاويل فيه عن المذاهب فيه ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه
فاما نقل المذاهب فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء رحمهم الله الفاظا
يستدل بها على انهم رحمهم الله راوا تحريمها وقال قال الشافعي رحمه الله في كتاب ادب القضاء ان الغنا لهو مكروه يشبه الباطل
ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب استماعه عن المراة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند اصحاب الشافعي
بحال سواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة وقال قال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها
فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكي عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا
الناس به عن القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشي من الملاهي ولا احب
اللعب بالشطرنج واكره كل ما يلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة اهل الدين ولا المروة واما مالك رحمه الله فقد نهى عن
الغنا وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابرهيم بن سعد وحده واما ابو حنيفة
رحمه الله فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغنا من الذنوب وكذلك سائر اهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وابرهيم والشعبي
وغيرهم فهذا كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري ونقل ابو طالب المكي عن جماعة وقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وابن
الزبير والمغيرة بن شعبة ومعوية وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي باحسان
وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات التي امر الله تعالى عباده فيها
بذكره كايام التشريق ولم يزل اهل المدينة مواظبين كاهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا مروان القاضي وله جوار
يسمعن الناس التلحين قد اعدهن للصوفية وقال وكان لعطا جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما وقال وقيل
لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يستمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازه
وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع وروي عن يحيى بن معاذ انه
قال فقدنا ثلثة اشيا فما نراها ولا اراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء
ورايت في بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن الحارث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين
وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها سماع وحكي غير واحد انه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القسم بن
بنت منيع وابو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في ان
يسمع فقال ابن داود حدثني ابي عن احمد بن حنبل انه كره السماع وكان ابي يكرهه وانا على مذهب ابي فقال ابو القسم بن
بنت منيع اما جدي احمد بن بنت منيع فحدثني عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن داود
دعني انت من ابيك وقال لابن بنت منيع دعني انت من جدك اي شي تقول يا ابا بكر فيمن انشد بيت شعر اهو حرام قال لا قال
فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان انشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور ايحرم
عليه قال انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين قال وكان ابو الحسن العسقلاني الاسود من الاوليا يسمع ويوله
عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه ويحكى عن بعض الشيوخ انه قال
رايت ابا العباس الخضر عليه السلام فقلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال الذي لا يثبت
عليه الا اقدام العلما وحكي عن ممشاذ الدينوري قال رايت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقلت يا رسول الله هل تنكر
من هذا السماع شيا فقال ما انكر منه شيا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن وحكي عن طاهر بن بلال
الهمداني الوراق وكان من اهل العلم انه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرايت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا
ويستمعون فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرايت النبي صلعم في النوم تلك الليلة
وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه ابو بكر الصديق رضه واذا ابو بكر يقول شيا من القول والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يستمع

السماع ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فخطر في نفسي ما كان ينبغي ان انكر على اولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وابو بكر رضه يقول فالتفت الي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال هذا حق بحق او قال الحق من حق انا اشك
فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلثة مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون
في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له ايوتى
به يوم القيمة في جملة حسناتك او سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لانه شبيه باللغو قال الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو
في ايمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق من التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده الاقاويل فيبقى متحيرا او مائلا الى بعض
الاقاويل بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي ان يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره بيان
الدليل على اباحة السماع اعلم ان قول القائل السماع حرام معناه ان الله تعالى يعاقب عليه وهذا امر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة
الشرعيات محصورة في النص او القياس على المنصوص واعني بالنص ما اظهره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله او فعله
وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه وافعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا
حرج فيه كسائر المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن ادلة المائلين الى التحريم ومهما تم
الجواب عن ادلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في اثبات هذا الغرض لكن نستفتح ونقول قد دل القياس والنص جميعا على اباحته
اما القياس فهو ان الغنا اجتمع فيه معان ينبغي ان يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم
المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى
غير المفهوم كاصوات الجمادات وسائر الحيوانات اما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان يحرم بل هو حلال بالنص
والقياس اما القياس فهو انه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللانسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة ادراك
وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة النظر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الالوان الجميلة
وهي في مقابلة ما يكره من الالوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الانتان المستكرهة وللذوق
الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة
وهي في مقابلة الخشونة والضراسة وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم
الى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها فما اظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس
ولذاتها واما النص فيدل على اباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله عز وجل على عباده به اذ قال يزيد في الخلق ما يشاء فقيل هو الصوت
الحسن وفي الحديث ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت وقال صلى الله عليه وآله وسلم لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت
بالقرآن من صاحب القينة الى قينته وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي
تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والطير والوحش لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة وما يقرب منها في الاوقات
وقال صلى الله عليه وآله وسلم في مدح ابي موسى لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود وقال الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت
الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون في القرآن للزمه ان يحرم سماع صوت
العندليب لانه ليس من القرآن واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وان من
الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن **الدرجة الثانية** النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن
وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب والاصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلثة فانها اما ان تخرج من جماد
كصوت المزامير والاوتار وضرب القضيب والطبل وغيره واما ان تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان اما الانسان او غيره
كاصوات العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور فهي مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ
سماعها والاصل في الاصوات حناجر الحيوانات وانما وضعت المزامير على صور الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شي

مطلب في اباحة السماع

فكم من صوت حسن

ترقص اهل الصناعات بصناعتهم الى التصويرات التي لها مثال في الخلقة التي استاثر الله تعالى وتفرد باختراعها ومنه تعلم الصناع وبه قصدوا
الاقتداء ومن ذلك يبطل تحريم سماع هذه الاصوات يستحيل ان يحرم لكونها طيبة او موزونة فلا ذاهب الى تحريم سماع صوت العندليب
وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا فرق بين الحيوان والجماد فينبغي ان يقاس على صوت العندليب الاصوات الخارجة
من سائر الاجسام باختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه او من القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى من هذه الا الملاهي
والاوتار والمزامير التي ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها اذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الانسان ولكن حرمت الخمور و
اقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الامر في الابتداء الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل الشرب
وهي الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمها من قبيل الاتباع كما حرمت الخلوة لانها مقدمة الجماع وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله
بالسوأتين وحرم قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه
ليكون حمى للحرام ووقاية له وحصارا مانعا حوله كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فهي
محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلاث علل احداها انها تدعو الى شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل
الخمر الثانية انها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب فهي سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق اذا
قوي فهو سبب الاقدام وبهذه العلة نهي عن الانتباذ في المزفت والحنتم وهي الاواني التي كانت مخصوصة بها فمعنى
مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الاولى اذ ليس فيها اعتبار لذة في الذكر اذ لا لذة في رؤية القنينة واواني الشرب
لكن من حيث التذكر بها فان كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق الى الخمر عند من الف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع
لخصوص هذه العلة فيه الثالثة الاجتماع عليها لما ان صار من عادة اهل الفسق فيمنع من التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو
منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لاهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهي
طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو وبهذه العلة
نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا واحضروا آلات الشرب واقداحها وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم
ويسقيهم فياخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك وان كان المشروب مباحا
في نفسه لان فيه تشبها باهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الراس قزعا في بلاد صار القباء من لباس اهل
الفساد فيها ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها
كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب
وكل آلة يستخرج منه صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكرها ولا يشوق اليها
ولا يوجب التشبه باربابها فلم يكن في معناها فبقي على اصل الاباحة قياسا على اصوات الطيور وغيرها بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها
على غير وزن متناسب مستلذ حرام ايضا وبهذا يتبين انه ليس العلة في تحريمها مجرد اللذة والطيب بل القياس تحليل الطيبات كلها
الا ما في تحليلها فساد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية فهذه الاصوات لا تحرم
من حيث انها اصوات موزونة وانما تحرم بعارض آخر كما سياتي في العوارض المحرمة **الدرجة الثالثة** الموزون
المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك لانه ما زاد الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت
الطيب الموزون غير حرام واذا لم يحرم الآحاد فمن اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محظور حرم نثره ونظمه
وحرم التصويت به سواء كان بلحن او لم يكن والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح
ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت والحان جاز انشاده مع الالحان وان افراد المباحات اذا اجتمعت كانت مباحة ومهما انضم مباح الى
مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الآحاد ولا محظور ههنا وكيف ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر لحكمة وانشدت عائشة رضي الله عنها البيت شعر

ذهب الذين يعاش في اكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الاجرب وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابه كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك وكان ابو بكر اذا اخذته
الحمى يتمثل بهذا البيت شعر كل امرئ مصبح في اهله ... والموت ادنى من شراك نعله وكان بلال اذا اقلع عنه الحمى يرفع عقيرته
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ... بواد وحولي اذخر وجليل ... وهل اردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل شعر
والحديث في الصحيحين قالت عائشة رضي الله عنها فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا
مكة وكان صلى الله عليه وآله وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول هذا الحمال لا حمال خيبر شعر هذا ابر ربنا واطهر
وقال ايضا اللهم ان الامر امر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة والبيتان في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضع لحسان
منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولما انشده النابغة شعره قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم لا يفضض الله فاك وقالت عائشة رضي الله عنها كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتناشدون
الاشعار وهو يبتسم وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة قافية من قول امية بن ابي الصلت
كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال ان كاد في شعره ليسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدى له في السفر وان انجشة
كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير
ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزمان الصحابة وما هو الا اشعار تؤدى باصوات
طيبة والحان موزونة ولم ينقل عن احد من الصحابة انكاره بل ربما كانوا يلتمسون تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يكون
ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ يؤدى باصوات طيبة والحان موزونة **الدرجة الرابعة** النظر فيه من حيث
انه محرك للقلب ومهيج لما هو غالب عليه فاقول لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا
فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها باليد
والرجل والراس ولا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هي جارية في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود
واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في الصبي وهو في مهده فانه يسكته الصوت الطيب
عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء تاثيرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه
في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها اذا طالت عليها البوادي واعتراها الاعياء والكلال تحت المحامل
اذا سمعت منادي الحداء تمد اعناقها وتصغي الى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها محاملها واحمالها وربما تتلف نفسها
من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى ابو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي قال كنت في البادية
فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافني رجل منهم وادخلني خباءه فرايت في الخباء عبدا اسود مقيدا بقيد ورايت جمالا قد
ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كانه ينزع روحه فقال لي الغلام انت ضيف ولك حق فتشفع في
فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد عني فلما احضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم اشفع في هذا العبد
فقال ان هذا الغلام قد افقرني واهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا وكنت اعيش من ظهور هذه الجمال فحملها احمالا
ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاث ليال في ليلة من طيب نغمته فلما حطت احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل الواحد ولكن
انت ضيفي ولكرامتك قد وهبته لك قال فاحببت ان اسمع صوته فلما اصبحنا امره ان يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك
فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت انا على وجهي فما اظن اني قد سمعت صوتا اطيب منه فاذا تاثير السماع في
القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال
والطيور بل على سائر البهائم فان جميعها تتاثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت تقف الطيور على راس داود صلوات الله عليه

لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاحوال
والاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال ابو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه لكن يحرك ما هو فيه
فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لاغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع
الاول غناء الحجيج فانهم يدورون اولا في البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لانها اشعار نظمت في وصف
الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها وتاثيرها يهيج الشوق الى حج بيت الله تعالى واشتعال
نيرانه ان كان ثم شوق حاصل او استثارة الشوق واجتلابه ان لم يكن حاصلا واذا كان الحج قربة والشوق اليه محمودا
كان التشويق اليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ ان ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس الى الحج
بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فان الوزن اذا انضاف الى السجع صار الكلام
اوقع في القلب فاذا اضيف اليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فاذا اضيف اليه الطبل والشاهين وحركات الايقاع
زاد التاثير وكل ذلك جائز ما لم يدخل فيه المزامير والاوتار التي هي شعار الاشرار نعم ان قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج
الى الحج كالذي اسقط الفرض عن نفسه ولم ياذن له ابواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه الى الخروج بالسماع
وبكل كلام يشوق فان التشويق الى الحرام حرام وكذا اذا كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب
ومعالجتها بالتشويق الثاني ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك ايضا مباح كما للحاج ولكن ينبغي ان تخالف
اشعارهم وطرق الحانهم اشعار الحاج وطرق الحانهم لان استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على
الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالاضافة اليه بالاشعار المشجعة مثل قول المتنبي شعر فان لا تمت تحت
السيوف مكرما ¤ تمت وتقاسي الذل غير مكرم ¤ يرى الجبناء ان الجبن حزم ¤ وتلك خديعة الطبع اللئيم ¤ وامثال ذلك وطرق الاوزان
المشجعة تخالف الطرق المشوقة وهذا ايضا مباح في وقت يباح فيه الغزو ومندوب اليه في وقت يستحب فيه الغزو ولكن في
حق من يجوز له الخروج الى الغزو الثالث الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والغرض منها التشجيع للنفس
وللانصار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك اذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان اوقع
في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين واهل الذمة وكل قتال محظور
لان تحريك الدواعي الى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة كعلي وخالد رضي الله عنهما وغيرهم ولذلك نقول ينبغي
ان يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فان صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف ضراوة النفس
ويشوق الى الاهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الاصوات والالحان المرققة للقلب فالالحان المرققة المحزنة
تباين الالحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآراء عن القتال المندوب فهو عاص ومن فعله على قصد
التفتير عن القتال المحظور فهو به مطيع الرابع اصوات النياحة ونغماتها وتاثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن
وهو قسمان محمود ومذموم اما المذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم والحزن على الاموات من هذا
القبيل فانه تسخط لقضاء الله تعالى وتاسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما فلذلك ورد
النهي الصريح في النياحة فاما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره في امر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكي والحزن
والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمودة لانه يبعث على التشمير للتدارك ولذلك كانت
نياحة داود عليه السلام محمودة اذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان يحزن ويحزن ويبكي
ويبكي حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه والحانه وذلك محمود لان المفضي الى المحمود محمود وعلى
هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت ان ينشد على المنبر بالحانه الاشعار المحزنة المرققة للقلب ولا ان يبكي ويتباكى ليتوصل به الى
تبكية غيره واثارة حزنه الخامس السماع في اوقات السرور تاكيدا للسرور وتهييجا له وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغنا

في ايام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وكذلك عند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه
القرآن فكل ذلك معتاد لاجل اظهار السرور ووجه جوازه ان من الالحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز
اثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شعر
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ¤ وجب الشكر علينا ما دعا لله داع ¤ فهذا اظهار للسرور بقدومه وهو سرور محمود فاظهاره بالشعر
والنغمات والرقص والحركات ايضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا في سرور اصابهم كما سيأتي في احكام الرقص وهو جائز
في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من اسباب السرور ويدل على هذا ما روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت رايت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا الذي اسامه
فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو اشارة الى طول مدة وقوفها وروى مسلم والبخاري في حديث عقيل عن الزهري
عن عروة عن عائشة ان ابا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في ايام منى تدففان وتضربان والنبي صلى الله عليه وآله وسلم
متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر رضوان الله عليه فكشف النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن وجهه فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد
وقالت عائشة رضي الله عنها رايت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسترني وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر فقال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم امنا يا بني ارفدة يعني من الامن وفي حديث ابي طاهر عن ابن وهب والله لقد رايت رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يسترني بردائه لكي انظر الى
لعبهم ثم يقوم من اجلي حتى اكون انا الذي انصرف وروي عن عائشة قالت كنت العب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وكن ياتيني صواحب لي فكن ينقمعن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وكان يسربهن الي فيلعبن معي وفي
رواية فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما هذا قالت بناتي قال فما هذا الذي ارى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي
عليه قالت جناحان فقال فرس له جناحان قالت اوما سمعت ان لسليمان بن داود خيلا لها اجنحة قالت فضحك النبي صلى الله عليه وآله
وسلم حتى بدت نواجذه والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصورة من الخزف والرقاع من غير تكميل صورة بدليل ما
روي في بعض الروايات ان الفرس كان من رقاع وقالت عائشة رضي الله عنها دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعندي
جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمار الشيطان عند النبي فاقبل عليه
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما
سالت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واما قال تشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامني وراءه وخدي على خده ويقول دونكم يا بني
ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم فوضعت راسي على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت
انا التي انصرفت فهذه الاحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في ان الغناء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على انواع من الرخص
الاول اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب والثاني فعل ذلك في المسجد والثالث قوله صلى الله عليه وآله وسلم دونكم يا بني
ارفدة وهو امر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراما والرابع منعه لابي بكر وعمر عن الانكار والتغيير وتعليله بانه يوم عيد اي
هو وقت سرور وهذا من اسباب السرور والخامس وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضي الله عنها وفيه دليل
على ان حسن الخلق في تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب احسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع
منه والسادس قوله صلى الله عليه وآله وسلم ابتداء لعائشة رضي الله عنها اتشتهين ان تنظري ولم يكن ذلك عن اضطرار الى المساعدة
خوفا من غضب او وحشة فان الالتماس اذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فاما
ابتداء السؤال فلا حاجة فيه والسابع الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع انه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه
بيان ان المزمار المحرم غير ذلك والثامن ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع
ولو كان يضرب بالاوتار في موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الاوتار سمعه فيدل ان صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير

إلا أنه يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق
والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج في أوقات السرور كلها قياساً على يوم العيد فإنه وقت سرور وفي معناه يوم العرس
والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز الفرح به شرعاً ويجوز الفرح بزيارة
الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضاً مظنة السماع السادس سماع العشاق تحريكاً للشوق وتهييجاً
للعشق وتسلية للنفس فإن كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق والشوق
وإن كان مؤلماً ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق
والحب للشيء المرجو ففي هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع الإطناب في وصف
حسن المحبوب وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سريته فيصغي إلى غنائها لتتضاعف لذته
في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الأذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فتترادف أسباب اللذة فهذه
نوع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وهذا منه وكذلك إن غضبت منه جارية أو حيل
بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع شوقه وأن يستثير به لذة رجاء الوصال فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك
بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء وأما من يتمثل في نفسه صورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها
وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل في نفسه فهذا حرام لأنه محرك للفكر في الأفعال المحظورة ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه
وأكثر العشاق والسفهاء من الشبان في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شيء من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لما فيهم من
الداء الدفين لا لأمر يرجع إلى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيجه
السماع السابع سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه
فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالاً من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف
بها ويعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداً مأخوذاً من الوجود والمصادفة أي صادف
من نفسه أحوالاً لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات
كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى
ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضي إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع
سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثرها بها شوقاً وفرحاً وحزناً وانبساطاً وانقباضاً
ومعرفة السبب في تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع
يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاه وتعجب الجاهل
من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والإدراك يستدعي
مدركاً ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك
لذة الألحان من فقد السمع ولذة المعقولات من فقد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك
بحاسة باطنة في القلب فمن فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محركاً له
فاعلم أن من عرف الله سبحانه أحبه لا محالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته والمحبة إذا تأكدت سميت عشقاً
فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب إن محمداً قد عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء واعلم أن كل
جمال محبوب عند مدرك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال إن كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر وإن
كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام
إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار أيضاً لها فيقال إن فلاناً جميل وحسن ولا يراد

صورته وإنما يعني أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحساناً لها كما تحب الصورة
الظاهرة وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقاً وكم من الغلاة في حب أرباب المذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة رحمهم الله حتى
يبذلون أموالهم وأرواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدون على كل عاشق في الغلو والمبالغة ومن العجائب أن يعقل عشق شخص لم
تشاهد قط صورته أجميل أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من علمه لأهل الدين
وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من الخير والجمال والمحبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه
وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم أدرك
بالعقول والأبصار والأسماع إلى منقرضه ومن ذروة الثريا إلى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته
فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حداً يكون إطلاق اسم
العشق عليه ظلماً في حقه لقصوره عن الإنباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار
بشدة إشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجاباً من نور لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا أن ظهوره سبب
خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتهافتت الأعضاء ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت
مبادي أنوار تجليه دكاً دكاً فأنى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش وسيأتي تحقيق هذه الإشارة في كتاب المحبة ويتضح أن
محبة غير الله قصور وجهل بل المحقق المعرفة لا يعرف غير الله إذ ليس في الوجود تحقيقاً إلا الله تعالى وأفعاله ومن عرف الأفعال
من حيث إنها أفعاله لم يجاوز معرفته إلى غيره فمن عرف الشافعي وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه لا من حيث إنه بياض
وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فقد عرفه ولم يجاوز معرفته الشافعي إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره فكل موجود سوى
الله تعالى هو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله تعالى ورأى من الصنع صفات الصانع كما يرى
من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله عز وجل لم يجاوزه إلى سواه ومن حد العشق
أن لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة إذ كل محبوب سواه فيتصور له نظير إما في الوجود أو في الإمكان فأما هذا
الجمال فلا يتصور له ثان لا في الإمكان ولا في الوجود فكان اسم العشق على غيره مجازاً محضاً لا حقيقة نعم الناقص القريب في نقصانه
من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الوقاع
فمثل هذا الحمار ينبغي أن لا يستعمل معه لفظ العشق والشوق والوصال والأنس بل يجنب هذه الألفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة
النرجس والريحان ويخصص بالتبن والحشيش وأوراق القضبان فإن الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله عز وجل إذا لم
تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه والأفهام تختلف باختلاف الأفهام فليتنبه لهذه الدقيقة في أمثال هذه الألفاظ بل لا يبعد
أن ينشأ من مجرد سماع صفات الله تعالى وجد غالب فيتشقق بسببه نياط القلب فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه ذكر غلاماً في بني إسرائيل كان على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله عز وجل قال فمن خلق الأرض قالت الله تعالى
قال فمن خلق الجبال قالت الله تعالى قال فمن خلق الغيم قالت الله تعالى قال إني لأسمع لله تعالى شأناً ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع
وكأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى بنفسه من الوجد فما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى
قال بعضهم رأيت مكتوباً في الإنجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا أي شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا فهذا ما أردنا أن نذكره من
أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع إباحته في بعض المواضع والندب إليه في بعض المواضع فإن قلت
فهل له حالة يحرم فيها فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض عارض في المسمع وعارض في آلة الإسماع وعارض في نظم الصوت وعارض
في نفس المستمع أو في مواظبته لأن أركان السماع هو المسمع والمستمع وآلة الإسماع العارض الأول أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر
إليها ويخشى الفتنة في سماعها وفي معناها الصبي الذي تخشى فتنته وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الغناء بل لو
كانت المرأة بحيث يفتتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محادثتها ومحاورتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضاً وكذلك الصبي الذي

يخاف فتنته فان قلت فهل تقول ان ذلك حرام بكل حال حسماً للباب او لا يحرم الا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة قلت هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها اصلان احدهما ان الخلوة بالاجنبية والنظر الى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة او لم تخف لانها مظنة الفتنة على الجملة فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات الى الصور والثاني ان النظر الى الصبيان مباح الا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة داير بين هذين الاصلين فان قسناه على النظر اليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق اذ الشهوة تدعو الى النظر في اول هيجانها ولا تدعو الى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو اشد وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضي الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك ولكن للغناء مزيد اثر في تحريك الشهوة فقياس هذا على النظر الى الصبيان اولى لانهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الاصوات فينبغي ان يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الاقيس ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة اذ يعلم انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يسمع صوتهما ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذاً يختلف هذا باحوال المرأة واحوال الرجل في كونه شاباً او شيخاً ولا يبعد ان يختلف الامر في مثل هذا بالاحوال فانا نقول للشيخ ان يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك لان القبلة تدعو الى الوقاع وهو في الصوم محظور والسماع يدعو الى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك ايضاً بالاشخاص العارض الثاني في الآلة بان تكون من شعار اهل الشرب او المخنثين وهي المزامير والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة انواع ممنوعة وما عدا ذلك يبقى على اصل الاباحة كالدف وان كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وساير الآلات العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو او ما هو كذب على الله سبحانه وتعالى او على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم او على الصحابة كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالحان وغير الحان والمستمع شريك القائل وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها فانه لا يجوز وصف المرأة بين يدي الرجال فاما هجاء الكفار واهل البدعة فذلك جائز فقد كان حسان بن ثابت ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويهاجي الكفار وامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فاما النسيب وهو الذي فيه التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وساير اوصاف النساء فهذا فيه نظر والصحيح انه لا يحرم نظمه وانشاده بصوت وغير صوت وعلى المستمع ان لا ينزله على امرأة معينة وان نزله فلينزل على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزله على اجنبية فهو العاصي بالتنزيل واجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغي ان يجتنب السماع رأساً فان من غلب عليه عشق نزل كل ما سمعه عليه سواء كان اللفظ مناسباً له او لم يكن اذ ما من لفظ الا ويمكن تنزيله على المعاني بطريق الاستعارة فالذي يغلب على قلبه حب الله جل جلاله يتذكر بظلمة الصدغ سواد الكفر وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال لقاء الله عز وجل وبذكر الفراق الحجاب عن الله في زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الانس بالله تعالى ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه الى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعاني الغالبة على القلب الى فهمه مع اللفظ كما روي عن بعض الشيوخ انه مر في السوق فسمع واحداً يقول الخيار عشرة بحبة فغلبه الوجد فسئل فقال اذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الاشرار وكان واحد يجتاز في السوق فسمع انساناً يقول يا سعتر بري فغلب عليه الوجد فقيل له على ماذا كان وجدك فقال سمعته كانه يقول اسع تر بري حتى ان العجمي قد يغلب عليه الوجد على الابيات المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها يوافق الحروف العجمية فيفهم منه معنى آخر انشد واحد وما زارني في الليل الا خياله فتواجد عليه عجمي فسئل عنه فقال انه يقول ما زاريم وهو كما يقول فان لفظ زار يدل في العجمية على المشرف على الهلاك فتوهم انه يقول كلنا مشرفون على الهلاك واستشعر عنده خطر هلاك الآخرة والمحترق في حب الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدير بان يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه اعضاؤه فاذاً ليس في تغيير الالفاظ كثير فائدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي ان يحترز من السماع باي لفظ كان والذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الالفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة العارض الرابع في المستمع وهو ان تكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرة

الشباب وكانت هذه الصفة اغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب فانه كيف ما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والوصال والفراق الا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فيشتعل فيه نار الشهوة ويحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله تعالى والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل الا في قلب قد فتحه احد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فيحتاج ان يستأنف اسباب القتال لازعاجها فكيف يجوز تكثير اسلحتها وتشحيذ سيوفها واسنتها والسماع مشحذ لاسلحة جنود الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستضر به العارض الخامس ان يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوباً ولا غلبت عليه الشهوة فيكون في حقه محظوراً ولكنه ابيح في حقه كساير انواع اللذات المباحة الا انه اذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فان المواظبة على اللهو جناية وكما ان الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فبعض المباحات بالمداومة تصير صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر الى لعبهم على الدوام فانه ممنوع وان لم يكن اصله ممنوعاً اذ فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فانه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك انما يباح لما فيه من ترويح القلب اذ راحة القلب معالجة له في بعض الاوقات لتنبعث دواعيه فتشتغل في ساير الاوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة او في الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الوجه ولو استوعب الخيلان الوجه فما اقبحه فيعود ذلك الحسن قبحاً بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام فهذا المباح كساير المباحات فان قلت فقد ادى مساق هذا الكلام الى انه مباح في بعض الاوقات دون بعض فلم اطلقت القول اولاً بالاباحة اذ اطلاق القول في المفصل بلا او بنعم خلف وخطأ فاعلم ان هذا غلط لان الاطلاق انما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فاما ما ينشأ من الاحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الاطلاق الا ترى انا اذا سئلنا عن العسل اهو حلال ام لا قلنا انه حلال مع انه حرام على المحرور الذي يستضر به واذا سئلنا عن الخمر قلنا انه حرام مع انه يحل لمن غص بلقمة ان يشربها مهما لم يجد غيرها ولكن هي من حيث انها خمر حرام وانما ابيحت بعارض الحاجة والعسل من حيث انه حلال وانما حرم بعارض الضرر وما يكون بعارض فلا يلتفت اليه فان البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة وامثاله من العوارض فالسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت موزون طيب مفهوم وانما تحريمه بعارض خارج عن حقيقة ذاته واذا انكشف الغطاء عن دليل الاباحة فلا نبالي بمن يخالف بعد ظهور الدليل واما الشافعي فليس تحريم الغناء من مذهبه اصلاً وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذه صناعة لم تجز شهادته وذلك لانه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن اتخذه صنعة كان منسوباً الى السفاهة وسقوط المروءة وان لم يكن محرماً بين التحريم وان كان لا ينسب نفسه الى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي لاجله وانما يعرف بانه قد يطرب في الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروءته ولم يبطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان عند عائشة وقال يونس بن عبد الاعلى سألت الشافعي عن اباحة اهل المدينة للسماع فقال الشافعي لا اعلم احداً من علماء الحجاز كره السماع الا ما كان منه في الاوصاف فاما الحداء وذكر الاطلال والمرابع وتحسين الصوت بالحان الاشعار فمباح وحيث قال انه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح ولكن اللهو من حيث انه لهو ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر اليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله به ان عني به انه فعل ما لا فائدة فيه فان الانسان لو وظف على نفسه ان يضع اليد على راسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم بل قال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم فاذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء والمخالفة فيه مع انه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص واما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد التحريم بل لو قال هو باطل صريحاً لما دل على التحريم بل يدل على خلوه

عن الفائدة فالباطل لا فائدة له فقول الرجل لزوجته مثلا اشتريت نفسي منك وقولها اشتريت عمك باطل مهما كان القصد
والمطايبة وليس بحرام الا اذا قصد به التمليك المحقق الذي منع الشرع منه واما قوله مكروه فمن لعل بعض المواضع التي
ذكرناها ويدل على التنزيه فانه نص على اباحة لعب الشطرنج وذكر انه اكره كل لعب وتعليله يدل عليه فانه قال ليس ذلك من
عادة ذوي الدين والمروة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه ايضا بل قد ترد الشهادة
بالاكل في السوق والمحرم للمروة بل الحياكة مباحة وليست من صنعة ذوي المروة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة
فتعليله يدل على انه اراد بالكراهة التنزيه وهذا هو الظن بغيره من كبار الائمة فان ارادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم بيان
حجة القائلين بتحريم السماع والجواب عنه واحتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود والحسن البصري
والنخعي ان لهو الحديث هو الغناء وروت عائشة ان الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها فنقول اما القينة فالمراد بها الجارية
التي تغني للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا ان غناء الاجنبية للفساق ومن يخاف منه الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالفتنة
الا ما هو محظور فاما غناء الجارية لمالكها فلا تفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها عند عدم الفتنة بدليل ما روي في الصحيح
من غناء الجاريتين في بيت عائشة فاما شرى لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع
فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله وهو المراد في الآية ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله
كان حراما حكي عن واحد من المنافقين انه كان يؤم الناس ولا يقرأ الا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فهم عمر بقتله فالاضلال بالشعر والغناء اولى بالتحريم واحتجوا بقوله تعالى أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون
ولا تبكون وانتم سامدون قال ابن عباس السمود هو الغناء بلغة حمير فنقول ينبغي ان يحرم الضحك وعدم البكاء ايضا لان الآية
تشتمل عليه فان قيل ان ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهذا ايضا مخصوص باشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء
بالمسلمين كما قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون اراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه واحتجوا بما روي
عن جابر انه صلى الله عليه وآله وسلم قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنى فقد جمع بين النياحة والغناء قلنا لا جرم كما استثني
عنه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق
حيث يباح تحريكه بل كما استثني غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغناؤهم عند قدومه صلى الله
عليه وآله وسلم بقولهم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع واحتجوا بما روى ابو امامة عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما رفع
احد صوته بغناء الا بعث الله تعالى شيطانين على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمسك قلنا هو منزل على بعض انواع
الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوق فاما ما يحرك الشوق الى الله
او السرور بالعيد او حدوث الولد او قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والاخبار
التي نقلناها من الصحاح فالتجويز في موضع واحد نص في الاباحة والمنع في الف موضع محتمل للتاويل ومحتمل للتنزيل
فاما الفعل فلا تاويل له اذ ما حرم فعله انما يحل بعارض الاكراه فقط وما ابيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود
واحتجوا بما روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل الا تاديبه فرسه ورميه
بقوسه وملاعبته امرأته قلنا فقوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد سلم ذلك على ان التلهي بالنظر الى الحبشة
خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل دم امرئ مسلم
الا باحدى ثلاث فانه يلحق به رابع وخامس فكذلك ملاعبة امرأته لا فائدة له الا التلذذ وفي هذا دليل على ان التفرج في البساتين
وسماع اصوات الطيور وانواع المداعبات مما يلهو به الرجل لا يحرم شيء منها وان جاز وصفه بانه باطل واحتجوا بقول عثمان
رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنقول فليكن التمني ومس
الذكر باليمين حراما ان كان هذا دليل تحريم الغناء فمن اين ثبت ان عثمان كان لا يترك الا الحرام واحتجوا بقول ابن مسعود

الغناء ينبت النفاق في القلب وزاد بعضهم كما ينبت الماء البقل ورفعه بعضهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو غير صحيح وعن
ابن عمر انه مر عليه قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال الا لا اسمع الله لكم الا لا اسمع الله لكم وعن نافع انه قال كنت مع ابن عمر في طريق
فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه وقال
هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صنع وقال الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا وقال بعضهم الغناء رائد من رواد
الفجور وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله
السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا وقول ابن مسعود ينبت النفاق اراد به في حق المغني
فانه في حقه ينبت النفاق اذ غرضه كله ان يعرض نفسه على غيره ويروج صوته ولا يزال ينافق ويتودد الى الناس ليرغبوا في
غنائه وذلك ايضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجميلة وركوب الخيول المهملجة وسائر انواع الزينة والتفاخر بالحرث والانعام
والزرع ينبت الرياء والنفاق في القلب ولا يطلق القول بتحريم ذلك فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات
التي هي مواقع نظر الخلق اكثر تاثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لانه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن
مشيته فهذا النفاق من المباحات وقول ابن عمر الا لا اسمع الله لكم لا يدل على التحريم من حيث انه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم
الرفث وظهر له من مخايلهم ان سماعهم لم يكن لوجد وشوق الى زيارة بيت الله بل لمجرد اللهو فانكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالاضافة
الى حالهم وحال الاحرام وحكايات الاحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال واما وضعه اصبعيه في اذنيه فيعارضه انه لم يامر نافعا بوضع
الاصبع ولا انكر عليه سماعه وانما وضع هو اصبعه لانه رأى ان ينزه في الحال سمعه وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن
فكر كان فيه او ذكر هو اولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع انه لم يمنع ابن عمر لا يدل على التحريم بل يدل على ان
الاولى تركه ونحن نرى ان الاولى تركه في اكثر الاحوال بل اكثر مباحات الدنيا الاولى تركها اذا علم ان ذلك يؤثر في القلب فقد
خلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب ابي جهم اذ كانت عليه اعلام شغلت قلبه افترى ان ذلك
يدل على تحريم الاعلام على الثوب فلعله صلى الله عليه وآله وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة
كما شغله العلم عن الصلاة بل الحاجة الى استثارة الاحوال الشريفة من القلوب بحيلة السماع قصور بالاضافة الى من
هو دائم الشهود للحق وان كان كمالا بالاضافة الى غيره ولذلك قال الحصري ماذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله هو الدائم فالانبياء على الدوام
في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الى التحريك بالحيلة واما قول الفضيل هو رقية الزنا وكذا ما عداه من الاقاويل القريبة منه فهو
منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم واما القياس فغاية ما ذكر فيه ان يقاس على الاوتار وقد سبق الفرق او يقال هو لهو ولعب وهو كذلك لكن الدنيا كلها
لهو ولعب وقال عمر رضي الله عنه لزوجته انما انت لعبة في زاوية البيت وجميع الملاعبة مع النساء لهو الا الحراثة التي هي سبب لوجود
الولد وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن الصحابة كما سيأتي تفصيله
في كتاب آفات اللسان واي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنج في لعبهم وقد ثبت بالنص اباحته على اني اقول اللهو مروح للقلب
ومخفف عنه اعباء الفكر والقلب اذا اكره عمي وترويحه اعانة له على الجد فالمواظب على التفقه مثلا ينبغي ان يتعطل يوم
الجمعة لان عطلة يوم تبعث النشاط في سائر الايام والمواظب على الصلوات في سائر الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات
ولاجله كرهت الصلاة في بعض الاوقات فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد والصبر على الجد المحض والحق المر
الا نفوس الانبياء فاللهو دواء القلب من داء الاعياء والملال فينبغي ان يكون مباحا ولكن لا ينبغي ان يستكثر منه كما لا يستكثر من
الدواء فاذن اللهو على هذه النية يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة
والاستراحة المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك ليتوصل به الى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال
فان الكامل هو الذي لا يحتاج ان يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب

وعجز اللغتين بها الشنامة الى الحق علم قطعا ان ترعيها باشال بين لا وتحوا ناظر للاعنا عنه **الباب الثاني** في آداب السماع وادابه اعلم ان اول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد
الحركة بالجوارح فلننظر في المقامات الثلث المقام الاول في الفهم وهو يختلف باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال
احدها ان يكون سماعه بمجرد الطبع اى لا حظ له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو اخس رتب السماع
اذ الابل شريكة فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعي هذا الذوق الا الحياة ولكل حيوان نوع تلذذ بالاصوات الطيبة الحالة الثانية
ان يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق اما معينا او غير معين وهو سماع الشبان وارباب الشهوة ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب
شهواتهم ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس من ان نتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها الحالة الثالثة ان ينزل على احوال نفسه في معاملته
لله تعالى وتقلب احواله في التمكن مرة والتعذر اخرى وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين فان للمريد لا محالة مرادا هو
مقصده ومقصده معرفة الله ولقاؤه والوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه
ومعاملات هو مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب او قبول او رد او وصل او هجر او
قرب او بعد او تلهف على فائت او تعطش الى منتظر او شوق الى وارد او طمع او يأس او وحشة او استئناس او وفاء بالوعد
او نقض للعهد او خوف فراق او فرح بوصال او ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او همول العبرات او ترادف الحسرات
او طول الفراق او عدة الوصال او غير ذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلا بد وان يوافق بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك
مجرى القداح الذي يوري زناد قلبه فيشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم بسببه عليه احوال مخالفة
للعادة ويكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ على احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه
ولكل ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظ ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم امثلة لئلا يظن الجاهل ان المستمع لابيات فيها ذكر الفم
والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا الى ذكر كيفية فهم المعاني من الابيات ففي حكايات اهل السماع ما يكشف عن ذلك
فقد حكي انه سمع بعضهم قول القائل يقول شعرا **شعر** قال الرسول غدا تزور • فقلت تدري ما تقول • فاستفزه القول
وتواجد وجعل يكرره ويجعل مكان التاء نونا فيقول قال الرسول غدا نزور حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور
فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة يزورون ربهم في كل اسبوع
مرة وحكى الرقي عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن الفوطي مارين على الدجلة بين البصرة والابلة فاذا بقصر حسن
له منظرة عليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل واذا شاب تحت المنظرة بيده ركوة وعليه
مرقعة يستمع فقال يا جارية بالله وبحياة مولاك الا اعدت علي هذا البيت فاعادت فكان الشاب يقول هذا والله تلوني مع الحق
في حالي فشهق شهقة ومات قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله تعالى قال
ثم خرج اهل البصرة فصلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر اشهدكم ان كل شيء لي في سبيل الله تعالى وكل جواري
احرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رمى بثيابه واتزر بازار وارتدى بالآخر ومر على وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن
اعينهم وهم يبكون ولم يسمع له بعد خبر والمقصود انه كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفته عجزه عن الثبات على
حسن الادب في المعاملة وتأسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كانه يخاطب ويقال له كل
يوم تتلون غير هذا بك اجمل ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه فينبغي ان يكون قد احكم قانون العلم في معرفة الله تعالى
ومعرفة صفاته والا خطر له في السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به ففي سماع المريد المبتدئ خطر الا اذا لم ينزل الا على
حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى ومثال الخطأ فيه هذا البيت بعينه لو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه فيضيف التلون الى
الله تعالى فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون على جهل ساقه اليه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب
قلبه بل تقلب سائر احوال العالم من الله تعالى وهو حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يقسيه

وتارة يثبته على الطاعة ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه احوال
مختلفة في اوقات متقاربة فقد يقال له في العادة انه ذو بدوات وانه متلون والشاعر لم يرد الا نسبة محبوبه الى التلون
في قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهذا هو المعنى وسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض بل ينبغي ان يعلم انه يلون ولا
يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي ايماني ويحصل للعارف البصير بيقين كشفي
حقيقي وذلك من اعاجيب اوصاف الربوبية وهو التغيير من غير تغير ولا يتصور ذلك الا في حق الله تعالى بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم
يتغير ومن ارباب الوجد من تغلب عليه حالة تشبه السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر قهره للقلوب
وقسمته للاحوال الشريفة على تفاوت فانه المستصفي لقلوب الصديقين المبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين فلا مانع لما
اعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا امد الانبياء بحق سبق ونعوذ بالله ان نوسله سابقة ولكنه
قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فان خطر ببالك انه لم اختلفت السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون فيحصل من ورائه ما
الخلائق الجاهين نحو الادب فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولعمري التأدب باللسان والظاهر مما يقدر عليه الاكثرون
فاما تأدب السر عن اضمار الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد والاشقاء والاسعاد مع تأبد السعادة والشقاوة
ابد الآباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام انه الصفا الزلال الذي
لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه محرك لاسرار القلوب ومكامنها ومشوش لها بسبب السكر المدهش الذي يحل عقدة
الادب عن السر الا ممن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا تخلصنا من هذا السماع راسا براس وفي هذا
النمط خطر يزيد على خطر السماع على مخلوق بالشوق فان غاية ذلك معصية وغاية الخطا هاهنا الكفر واعلم ان الفهم قد يختلف
باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد واحدهما مصيب في الفهم والآخر مخطئ او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين
متضادين ولكنه بالاضافة الى اختلاف احوالهما لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول سبحان جبار السماء ان
المحب لفي عنا فقال صدقت وسمعه رجل آخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصائر اصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام
محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصد والهجر والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر
او كلام محب غير مصدود من مراده في الحال ولا مستشعر لخطر الصد في المآل وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه
فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم وحكي عن ابي القاسم بن مروان وكان قد صحب ابا سعيد الخراز وترك حضور السماع سنين كثيرة
فحضر في دعوة فسمع انسانا يقول واقف في الماء عطشان ولكن ليس يسقى فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سألهم عن معنى
ما وقع لهم من معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان عنها مع حضور اسبابها فلم يقنعه ذلك فقالوا له
فما عندك فيه فقال ان يكون في وسط الاحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذه اشارة الى اثبات حقيقة وراء
الاحوال والكرامات وان الاحوال سوابقها والكرامات تسنح في مباديها وان الحقيقة بعد لم يقع الوصول اليها ولا فرق بين المعنى الذي
فهموه وبين ما ذكره الا في تفاوت رتبة المتعطش اليه فان المحروم عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش اليها فان مكن منها تعطش
الى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف في الرتبتين وكان الشبلي كثيرا ما يتواجد على هذا البيت **شعر**
ودادكم هجر وحبكم قلى • ووصلكم صرم وسلمكم حرب • وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل واظهرها ان
يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا باسرها بل في كل ما سوى الله فان الدنيا مكارة خداعة قتالة لاربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة
صورة الود فما استمتع احد الا استمتعت عبرة كما ورد في الخبر وكما قال الشاعر في وصف الدنيا **شعر** تنح عن الدنيا فلا
تخطبنها • ولا تخطبن قتالة من تناكح • فليس يفي مرجوها بمخوفها • ومكروهها اما تأملت راجح • لقد قال فيها الواصفون فاكثروا • وعندي لها
وصف لعمري صالح • سلاف قصاراها ذعاف ومركب • شهي اذا استلذذته فهو جامح • وشخص جميل يؤنس الناس حسنه •

ولكن له اسرار سنية فتابع المعنى الثاني ان ينزل على نفسه في حق الله تعالى فانه اذا تنكر بعض نعمه جملة اذا امده بروح الله حتى تدوم ظلما
رياه لا يبقى الا حق تمامه وحبه فعلو لعادة لبدع شهوة من شهوته فحبه ومن الله له بخير ابصر اسيوب بنعمه عليه
مصداقه هذا البيت في نفسه وان كان على الرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وقال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما استغفر عن احوال هي درجات قرب
بالاضافة الى ما قبلها ولكنها بعد بالاضافة الى ما بعدها فللقرب الادنى وراءه بعد لا نهاية له اذ لا سبيل للسلوك الى القرب
تناه والوصول الى اقصى درجات القرب محال المعنى الثالث ان ينظر فيه مبادي احواله في تصفيته ثم ينظر في عواقبه فيه ربه
لا اطلاعه على خفايا الغيب وعيه مدى ذلك من انه فيحمل البيت في حق الله شكاية من القضاء والقدر ومنه كفر كما سبق بيانه
واما البيت الاول فيمكن تنزيله على معان وذلك بعد تعرفه على المستمع صفاته الحالة الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقامات
فعزب عن فهم ما سوى الله حتى عزب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي
حاله حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف حتى بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية
بانه فني عن نفسه ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره افنى فكانه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود فان
القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حال استغراقه
الى رؤيته والى عينه التي بها رؤيته والى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والملتذ لا خبر له من التذاذه وانما
خبره من الملتذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان
معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة قد تطرا في حق المخلوق وتطرا ايضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق
الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فان دام لم تطقه القوة البشرية فربما اضطرب تحت اعبائه اضطرابا يهلك فيه نفسه كما روي
عن ابي الحسين النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت شعر ما زلت انزل من ودادك منزلا ... تتحير الالباب عند نزوله فقام
وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب قد قطعت وبقي اصولها مثل السيوف فصار يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة والدم يخرج
من رجليه حتى تورمت قدماه وساقاه وعاش بعده اياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات
لان السماع على الاحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور وانما الكمال ان يفنى بالكلية عن نفسه واحواله اعني انه ينساها
فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات الى الايدي والسكاكين فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض
لجة الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء اصلا بل خمدت
بالكلية بشريته وفني التفاته الى الصفة البشرية راسا ولست اعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست اعني بالقلب اللحم والدم بل سر
لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من امر الله عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر
وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكانه لا وجود الا للحاضر ومثاله المراة المجلوة اذ ليس لها لون
في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها ومثاله الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل
صورتها قبول الصور ولونها هيئة الاستعداد لقبول الالوان ويضرب هذا المثل عن سر القلب بالاضافة الى ما يحضر فيه
قول الشاعر شعر رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح ... وكانما قدح ولا خمر وهذا مقام
من مقامات علوم المكاشفة منه نشا خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى
اتحاد اللاهوت بالناسوت او تدرعها بها او حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على
المراة بصورة الحمرة اذ ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها واذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا
تفاوت الدرجات في فهم المسموعات المقام الثاني بعد الفهم والتنزيل الوجد وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد اعني
الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلنتقل من اقوالهم الفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه اما الصوفية فقد

قال ذو النون المصري في السماع انه وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق ... الذي يجده عند وارد وروح السماع اذ يحيي
السماع واريحق وقال ابو الحسين الدراج مخبرا عما وجده في السماع الوجد عبارة عما يوجد عند الحق عند كشف الغطا
كاس الصفا فادركت به منازل الرضا واخرجني الى رياض التنزه والفضا وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن
عرف الاشارة حل له استماع العبرة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الارواح لاهل المعرفة
لانه وصف دقيق لا يدرك الا برقة الطبع لرقته وصفاء السر لصفائه ولطفه عند اهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا
يقع على كيفية الوجد عبارة لانه سر الله عند المؤمنين الموقنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال ابو سعيد
ابن الاعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وايناس المفقود وهو فناؤك
من حيث انت وقال ايضا الوجد اول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره
زال عنهم كل شك وريب وقال ايضا الذي يحجب عن الوجد رؤية اثار النفس والتعلق بالعلائق والاسباب لان النفس محجوبة
باسبابها فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه وحل من المناجاة في محل قريب
وخوطب وسمع الخطاب باذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك الوجد لانه قد وجد ما كان
معدوما عنده وقال الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق او توبيخ على زلة او محادثة بلطيفة او اشارة الى فائدة
او شوق الى غائب او اسف على فائت او ندم على ماض او استجلاب الى حال او داع الى واجب او مناجاة بسر وهو مقابلة
الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك
لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدئ بالنعم والمتولي واليه يرجع الامر كله فهذا ظاهر
علم الوجد واقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة واما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على
اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة
الظواهر وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض العاجز من الراي واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال من الافهام
والاراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل راي ونية فيصيب ولا يخطئ وياتي ولا يبطئ وقال اخر
كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الاطراف
بالطبع على وزن الالحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج الى ان يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي
بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارات وهذه نواطق الا انها روحانية واما العاشق
البهيمي فانه يستعمل النطق الجرمي ليعبر به عن ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائل وقال اخر من حزن فليسمع الالحان فان
النفس اذا دخلها الحزن خمد نورها واذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه
ونقائه من الغش والدنس والاقاويل المدونة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار منه فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد
عبارة عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن
قسمين فانها اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى تغيرات واحوال
ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط والقبض
وهذه الاحوال يهيجها السماع ويقويها فان ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف
عادته او يطرق او يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمي وجدا اما ضعيفا
او قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط
جوارحه وقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد
التماسك والى المعنى الاول اشار ابو سعيد بن الاعرابي حيث قال في الوجد انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب

يبعد ان يكون السماع سبب الكشف لما لم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع منبه ومنها تغير
الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود ومنها صفاء القلب والسماع
يؤثر في تصفية القلب والصفاء سبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان يقصر
عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان عمل
البعير الحمل فبواسطة هذه الاسباب يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما تمثل له الحق في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم
يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة وبالرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج
عن علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي انه قال خرجت ليلة في ايام جاهليتي وانا نشوان وكنت اغني بهذا
البيت شعر بطيزناباذ كرم ما مررت به * الا تعجبت ممن يشرب الماء * فسمعت قائلا يقول * وفي جهنم ماء ما تجرعه * خلق فابقى له في الجوف
امعاء * فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف اثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم
في لفظ موزون منظوم وقرع ذلك سمعه الظاهر وعن مسلم العباداني قال قدم علينا صالح المري وعتبة الغلام وعبد
الواحد بن زيد ومسلم الاسواري فنزلوا على الساحل قال فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه فجاؤا فلما وضعت الطعام بين
ايديهم اذا انا بقائل يقول رافعا صوته شعر وتلهيك عن دار الخلود مطاعم * ولذة نفس غيها غير نافع * قال فصاح عتبة
الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعنا الطعام وما ذاقوا والله منه لقمة وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد
ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للانبياء اما على حقيقة
صورتها واما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل صلوات الله عليه مرتين
في صورته واخبر عنه بانه كان قد سد الافق وهو المراد بقوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى الى آخر هذه
الآيات وفي مثل هذه الاحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب وقد يعبر عن ذلك بالتفرس ولذلك قال صلى الله
عليه وآله وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقد حكي ان واحدا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول ما معنى
قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا فراسة المؤمن فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه حتى انتهى الى بعض مشايخ الصوفية فسأله
فقال معناه ان تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه واسلم وقال الآن عرفت انكم مؤمنون وان ايمانكم
حق وكما حكي عن ابراهيم الخواص قال كنت ببغداد في جماعة من الفقراء في الجامع فاقبل شاب طيب الريح حسن الوجه فقلت لاصحابنا
يقع لي انه يهودي فكلهم كره ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم وقال ايش قال الشيخ في فاحتشموه فالح عليهم فقالوا له
قال انك يهودي قال فجاءني فاكب على يدي واسلم وقال نجد في كتبنا ان الصديق لا تخطئ فراسته فقلت امتحن المسلمين فتأملتهم
فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لانهم يقولون حديثه سبحانه فلبست عليكم فلما اطلع علي الشيخ وتفرس بي علمت
انه صديق قال ابراهيم فصار الشاب من كبار الصوفية والى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان الشياطين
يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء وانما تحوم الشياطين على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فانها
مرعى الشياطين ومن تخلص قلبه من تلك الصفات وصفاها لم يطف الشيطان حول قلبه واليه الاشارة بقوله تعالى الا عبادك منهم
المخلصين وبقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل
ما روي ان ذا النون المصري دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه في ان يقول لهم شيئا فاذن له في ذلك
فانشأ يقول شعر صغير هواك عذبني فكيف به اذا احتنكا * وانت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا * فقام ذو النون
وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال له ذو النون الذي يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون
على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذا قد رجع
حاصل الوجد الى مكاشفات والى حالات واعلم ان كل واحد منهما ينقسم الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن

العبارة عنه اصلا ولعلك تستبعد حالة او علما لا يعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد فانك تجد في احوالك القريبة ما
تشهد له اما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسألتان متشابهتان في الصورة فيدرك الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم واذا كلف
ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير عنه وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وادراكه
الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا شك في ان لوقوعه سببا وله حقيقة عند الله ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور في لسانه بل لدقة المعنى
عن ان تناله العبارة وهذا مما تفطن له المواظبون على النظر في المشكلات واما الحال فكم من انسان يدرك في قلبه في الوقت الذي
يصبح فيه قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر الانسان في شيء فيؤثر في نفسه اثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر في نفسه وهو يحس به
وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور او حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالاثر عقيبه وقد تكون
تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر
الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها اعني
التفرقة بين الموزون والمزحف ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له وفي النفس احوال غريبة هذا وصفها بل المعاني
المشهورة من الخوف والحزن والسرور انما تحصل في السماع عن غناء مفهوم فاما الاوتار وسائر النغمات التي ليست مفهومة فانها تؤثر
في النفس تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه
فهو عجب والذي اضطرب قلبه بسماع الاوتار والشاهين وما اشبهه ليس يدري الى ماذا يشتاق ويجد في نفسه حالة كأنها تتقاضى
امرا ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله وهذا له سر وهو ان كل شوق فله ركنان احدهما
صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه والثاني معرفة المشتاق اليه ومعرفة صورة الوصول اليه فان وجدت الصفة التي بها
الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه والثاني معرفة المشتاق اليه ومعرفة صورة الوصول اليه فان وجدت الصفة التي بها
كان الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق اليه ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة واشتعلت نارها اورث ذلك دهشة وحيرة
لا محالة ولو نشأ آدمي وحده حيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه
بنار الشهوة ولكن لا يدري انه يشتاق الى الوقاع لانه ليس يدري صورة الوقاع ولا صورة النساء فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع
العالم الاعلى واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس العلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسماء كالذي
سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرآة ليعرف بالمقايسة والسماع يحرك منه
الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه مستقره الذي اليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه
قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا واشباهه من الاحوال التي
لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن اظهاره والى ما لا يمكن واعلم ايضا ان الوجد
ينقسم الى هاجم والى متكلف ويسمى التواجد والتواجد المتكلف منه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس
عنها ومنه ما هو محمود وهو التوصل الى استدعاء الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب الاحوال
ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن ان يتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال قد تتكلف
مباديها ثم تتحقق اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في ان يصير المتكلف في الآخر طبعا وكل من يتعلم القرآن اولا يحفظه تكلفا
ويقرأه تكلفا مع تمام التأمل واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل
فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه اليه بعد انتهائه الى آخرها ويعلم انه قرأها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب بجهد شديد في الابتداء
ثم تتمرن عليه يده فيصير الكتابة له طبعا فيكتب اوراقا وهو مستغرق القلب بفكر آخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات
لا سبيل الى اكتسابها الا بالتكلف والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة فكذلك
الاحوال الشريفة لا ينبغي ان ييأس الانسان عنها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهد في العادات من

اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعرفه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر اليه ويقرر على نفسه الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة
فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره واشتهى بعد ذلك الخلاص منه ولم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق
الى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان فينبغي ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها
ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم في النفس وبالجلوس معهم في السماع وبالدعاء والتضرع الى الله تعالى في ان يرزقه تلك الحالة بان
ييسر له اسبابها ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين المشتاقين والخاشعين فمن جالس شخصا سرت اليه
صفاته من حيث لا يدري ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره من الاحوال بالاسباب قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه
اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك ففزع الى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد الى مكاشفات
والى احوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف والمطبوع فان قلت فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند
سماع القرآن وهو كلام الله تعالى ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا من لطف الله ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان
القرآن اولى به من الغناء فنقول الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله وصدق ارادته والشوق الى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن
ايضا وانما الذي لا يهيج بالقرآن حب الخلق وعشق المخلوق ويدل على ذلك قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى مثاني تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله وكلما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس
فهو وجد فالطمأنينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا فالوجل والخشوع وجد من قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل المكاشفات لكن
قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقال لابي موسى لقد اوتي
مزمارا من مزامير آل داود واما الحكايات الدالة على ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه
وآله وسلم شيبتني هود واخواتها خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد وروي ان ابن مسعود قرأ على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك
وكانت عيناه تذرفان بالدمع وفي رواية انه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى وقرئ عنده عليه السلم
ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة الآية فصعق وكان صلى الله عليه وآله وسلم اذا مر بآية رحمة دعا واستبشر والاستبشار
وجد وقد اثنى الله تعالى على اصحاب الوجد بالقرآن فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من
الحق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل واما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة
والتابعين فكثير فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات في غشيته وسمع عمر رجلا يقرأ ان عذاب ربك لواقع ما له
من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وروي ان زرارة بن ابي اوفى وكان من التابعين
كان يؤم الناس بالرقة فقرأ الآية فصعق ومات في محرابه وكان ابو جرير من التابعين فقرأ عليه صالح المري فشهق ومات وسمع الشافعي
قارئا يقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فغشي عليه وكذلك جماعة منهم وكذلك الصوفية فقد كان الشبلي رضي الله عنه في
مسجده وهو يصلي خلف امام فقرأ الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه قد طارت روحه
واحمر وجهه وارتعدت فرائصه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب يردد ذلك مرارا وقال الجنيد دخلت على سري السقطي فرأيت بين
يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي ان هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشي عليه فقلت اقرؤوا عليه تلك الآية بعينها فقرئت فافاق فقال من
اين قلت هذا فقلت ان يعقوب كان عماه من اجل مخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من اجل الحق ما ابصر بمخلوق فاستحسن ذلك
ويشير الى ما قاله الجنيد قول الشاعر شعر وكاس شربت على لذة ۔ واخرى تداويت منها بها ۔ وقال بعض الصوفية كنت اقرأ ليلة هذه
الآية كل نفس ذائقة الموت فجعلت ارددها فاذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الآية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤوسهم الى
السماء منذ خلقوا وقال ابو علي المغازلي للشبلي ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتجذبني الى الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس

فلا ابقى على ذلك فقال ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك فهو
شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك الا التبري من الحول والقوة في التوجه اليه وسمع رجل من اهل التصوف قارئا يقرأ يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فاستعادها من القارئ وقال كم اقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت
روحه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ وانذرهم يوم الآزفة الآية فاضطرب ثم صاح ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بعد الانذار بطاعتك
ثم غشي عليه وكان ابراهيم بن ادهم اذا سمع احدا يقرأ اذا السماء انشقت اضطربت اوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال
كان رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وذكر ان
سلمان الفارسي رأى شابا يقرأ فاتى على آية فاقشعر جلده فاحبه سلمان وفقده فسأل عنه فقيل له انه مريض فاتاه يعوده فاذا هو
في الموت فقال يا عبد الله ارأيت تلك القشعريرة التي كانت بي فانها اتتني في احسن صورة فاخبرتني ان الله تعالى قد غفر لي
كل ذنب وبالجملة فلا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فان كان القرآن لا يؤثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها قال جعفر الخلدي دخل رجل من اهل خراسان
على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ اذا دخل المارستان وقيد بقيدين فقال
الجنيد ليس هذا من شأنك ثم اقبل على الرجل فقال اذا تحقق انه مخلوق فشهق الرجل شهقة ومات فان قلت فان كان في سماع القرآن
مفيد للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئين فكان ينبغي ان يكون اجتماعهم وتواجدهم على حلق القراء
لا حلق المغنين وكان ينبغي ان يطلب عند كل اجتماع وفي كل دعوة قارئ لا قوال فان كلام الله سبحانه وتعالى افضل من الغناء
لا محالة فاعلم ان الغناء اشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة اوجه الاول ان جميع آيات القرآن لا يناسب حال المستمع ولا يصلح لفهمه وتنزيله
على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن او شوق او ندم فمن اين يناسب حاله قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين وقوله والذين يرمون المحصنات وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان احكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وانما
المحرك لما في القلب ما يناسبه والابيات انما يضعها الشعراء اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منه الى تكلف نعم من يستولي
عليه حال غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيره ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يفطن به للمعاني البعيدة من الالفاظ فقد يخرج وجده
على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت المحوج الى الوصية وان كل انسان لا بد وان يخلف
ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك احد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع او يسمع ذكر الله في
قوله يوصيكم الله في اولادكم فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده او يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته ان تولى قسمة مواريثهم بنفسه
نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول اذا نظر لاولادنا بعد موتنا فلا نشك في انه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا
او سرورا او يخطر له من قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفضيل الذكر لكونه رجلا على الانثى وان الفضل في الآخرة لرجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله وان من الهاه غير الله عن الله فهو من الاناث لا من الرجال تحقيقا فيخشى ان يحجب او يؤخر في نعيم الآخرة كما
اخرت في اموال الدنيا فامثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان احدهما حالة غالبة مستغرقة قاهرة والآخر تفطن بليغ وتيقظ
كامل للتنبيه بالامور القريبة على المعاني البعيدة وذلك مما يعز فلاجل ذلك يفزع الى الغناء الذي هو الفاظ مناسبة للاحوال حتى يتسارع
هيجانها وروي انه كان ابو الحسين النوري مع جماعة في دعوة فجرى بينهم مسألة في العلم وابو الحسين ساكت ثم رفع راسه وانشدهم
شعر رب ورقاء هتوف في الضحى ۔ ذات شجو صدحت في فنن ۔ ذكرت الفا ودهرا صالحا ۔ وبكت حزنا فهاجت حزني ۔
فبكائي ربما ارقها ۔ وبكاها ربما ارقني ۔ ولقد تشكو فما افهمها ۔ ولقد اشكو فما تفهمني ۔ غير اني بالجوى اعرفها ۔ وهي ايضا بالجوى تعرفني
فما بقي احد من القوم الا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وان كان العلم جدا وحقا الوجه الثاني
ان القرآن محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع والقلوب وكلما سمع اولا عظم اثره وفي الكرة الثانية يضعف اثره وفي الثالثة
يكاد يسقط اثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب ان يحضر الوجد على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم او اسبوع

لم يمكنه ذلك وان ادرجت اخرى جديدة اثر وان كان مرادها عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالاضافة الى الاول يحرك النفس
وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القارى على ان يقرا قرانا غريبا في كل وقت ودعوة لان القران محصور لا تمكن الزيادة عليه وكله
محفوظ متكرر والى ما ذكرناه اشار الصديق رضي الله عنه حيث راى الاعراب يقدمون فيسمعون القران ويبكون فقال كنا كما كنتم ثم
قست قلوبنا ولا تظنن ان قلب الصديق كان اقسى من قلب الاجلاف من العرب وانه كان اخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم
ولكن التكرير على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التاثر به اذ كان قد الفه فمحال في العادة ان يسمع السامع اية لم يسمعها فيبكي ثم يدوم على بكائه
عشرين سنة ثم يرددها ويبكي ويكون الاول كالاخر الا ان يكون غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ومع كل مالوف
انس يناقض الصدمة ولهذا هم عمر رضي الله عنه ان يمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يتهاون الناس بهذا البيت اي يانسوا به ومن قدم
حاجا فراى البيت اولا بكى وزعق وربما غشي عليه اذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه اثرا فاذا المغني يقدر على
الابيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر كل وقت على اية غريبة الوجه الثالث ان لوزن الكلام بذوق الشعر تاثيرا في النفس فليس الصوت
الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن في الشعر دون الايات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده او
لحن فيه او مال عن حد تلك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة واذا نفر الطبع
اضطرب القلب وتشوش فالوزن اذا موثر فلذلك طاب الشعر الوجه الرابع ان الشعر الموزون يختلف تاثيره في النفس بالالحان
التي تسمى الطرق والدستانات وانما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في اثناء الكلمات والقطع والوصل
في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القران الا التلاوة كما انزل فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف
ما تقتضيه التلاوة حرام او مكروه واذا رتل القران كما انزل سقط عنه الاثر الذي سببه وزن الالحان وهو سبب مستقل بالتاثير
وان لم يكن مفهوما كما في الاوتار والشاهين والمزامير وسائر الاصوات التي لا تفهم الوجه الخامس ان الالحان الموزونة تعضد وتؤكد
بايقاعات واصوات اخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لان الوجد الضعيف لا يستثار الا بسبب قوي وانما
يقوى بمجموع هذه الاسباب ولكل واحد منها حظ في التاثير وواجب ان يصان القران عن مثل هذه القرائن لان صورتها عند عامة الخلق
صورة اللهو واللعب والقران جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز ان يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة وان
كانوا لا ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر القران فلا يقرا على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال الجنابة ولا على غير طهارة
ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القران في كل حال الا المراقبون لاحوالهم فيعدل الى الغناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف
مع قراءة القران ليلة العرس وقد امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بضرب الدف في العرس وقال اظهروا النكاح ولو بضرب الدف
وفي رواية اظهروا النكاح ولو بضرب الغربال او بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر دون القران ولذلك لما دخل رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فلما رات النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت وفينا نبي يعلم ما في
غد على وجه الغناء فقال صلى الله عليه وآله وسلم دعي هذا وقولي ما كنت تقولينه وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها الى الغناء الذي
هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فيتعذر بسببه تقوية الاسباب التي بها يصير السماع محركا للقلوب فواجب
في الاحترام العدول الى الغناء عن القران كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة الى الغناء الوجه السادس ان المغني قد
يغني ببيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على
القارئ فربما يقرا اية لا توافق حالهم اذ القران شفاء للناس كلهم على اختلاف الاحوال فايات الرحمة شفاء الخائف وايات العذاب
شفاء المغرور الامن وتفصيل ذلك مما يطول فلا يؤمن ان لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله
من حيث لا يجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب اذ لا يجد الخلاص منه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز
تنزيل كلام الله الا على ما اراده الله وقول الشاعر يجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة او خطر التاويل الخطا لموافقة الحال
فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك هذا ما ينقدح لي في علة انصراف الشيوخ الى سماع الغناء عن القران وههنا وجه سابع ذكره

ابو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عنه فقال القران كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لانه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات
المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها
نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات من اللطائف والاشارات
شاكل بعضها بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا
وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ الى القصائد اولى من انبساطنا الى كلام الله تعالى
الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدا واليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره ويحكى عن ابي الحسن الدراج رحمه الله انه
قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام فلما دخلت الري كنت اسال عنه فكل من سالته قال ايش
تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا اقل من ان اراه فلم ازل
اسال عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المحراب وبين يديه رجل بيده مصحف وهو يقرا واذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية
فسلمت عليه فاقبل علي وقال من اين اقبلت من بغداد فقال وما الذي جاء بك فقلت قصدتك للسلام فقال لو ان في بعض هذه البلدان
قال لك انسان اقم عندنا حتى نشتري لك دارا او جارية اكان يقعدك عني فقلت ما امتحنني الله بشيء من ذلك ولو امتحنني ما كنت ادري
كيف اكون ثم قال لي اتحسن ان تقول شيئا قلت نعم فقال هات فانشات اقول شعر رايتك تبني دائبا في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت
ما تبني كاني بكم والليت افضل قولكم الا ليتنا كنا اذ الليت لا يغني قال فاطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته
من كثرة بكائه ثم قال يا بني تلوم اهل الري يقولون يوسف زنديق ومن صلاة الغداة اقرا في المصحف لم تقطر من عيني قطرة وقد
قامت القيامة علي بهذا البيت فاذا القلوب وان كانت محترقة في حب الله فان البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القران وذلك لوزن الشعر
ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر واما القران فنظمه خارج عن اساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك
معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه وروي ان اسرافيل استاذ ذي النون المصري دخل عليه رجل فراه ينكت في الارض
باصبعه ويترنم ببيت فقال هل تحسن شيئا فقال لا فقال فانت بلا قلب اشارة الى ان من له قلب وعرف طباعه علم انه تحركه الابيات
والنغمات تحريكا لا يصادف في غيرهما فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه او بغيره وقد ذكرنا حكم المقام الاول في فهم المسموع وتنزيله
وحكم المقام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب فلنذكر اثر الوجد اعني الذي يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة
وتمزيق ثوب وغيره المقام الثالث من السماع نذكر فيه اداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من اثار الوجد وما يذم فاما الاداب
فهي خمس جمل الاول مراعاة الزمان والمكان والاخوان قال الجنيد السماع يحتاج الى ثلاثة اشياء والا فلا تسمع الزمان والمكان والاخوان
ومعناه ان الاشتغال به في وقت حضور طعام او خصام او صلاة او صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى مراعاة
الزمان فيراعى حالة فراغ القلب والمكان فقد يكون شارعا مطروقا او موضعا كريه الصورة او فيه سبب يشغل القلب فيجتنب والاخوان
سببه انه اذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس عن لطائف القلوب كان مستثقلا في المجلس واشتغل القلب به وكذلك
اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مراقبته ومراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف يرائي بالوجد والرقص وتمزيق الثوب
وكل ذلك مشوشات فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى ففي هذه الشروط نظر للمستمع الثاني وهو نظر الحاضرين ان الشيخ
اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي ان يسمع في حضورهم فان سمع فليشغلهم بشغل والمريد الذي يستضر بالسماع احد ثلاثة اقلهم
درجة هو الذي لم يدرك من الطريق الا الاعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فانه ليس من اهل
اللهو فيلهو ولا من اهل الذوق فيتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر او خدمة والا فهو تضييع لزمانه الثاني هو الذي له ذوق السماع
ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائله فربما يهيج السماع منه
داعية اللهو والشهوة فينقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال الثالث ان يكون قد انكسرت شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى
على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف اسماء الله وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله

على ما يجده وعلى ما يجري ويكون متحرزا من تلك الخواطر القوية فهي اعظم من نفع السماع قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل
فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء ولا لمن يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير
ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عباداته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه قال الجنيد
رأيت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشيء قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر فاني ادخل عليهم بهما فقال بعض الشيوخ
لو رأيته انا لقلت له ما احمقك من سمع منه اذا سمع ونظر عنه اذا نظر كيف تظفر به قال الجنيد صدقت الادب الثاني ان يكون مصغيا
الى ما يقوله القائل حاضر القلب قليل الالتفات الى الجوانب متحرزا عن النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا
بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادي
الاطراف متحفظا عن التنحنح والتثاؤب ويجلس مطرقا راسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات
على وجه التصنع والتكلف والمراياة ساكتا عن النطق في اثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير
ملوم ومهما رجع اليه الاختيار فليعد الى هدوه وسكونه ولا ينبغي ان يستديمه حياء من ان يقال انقطع على القرب وجده ولا ان يتواجد
خوفا من ان يقال هو قاسي القلب عديم الصفاء والرقة حكي ان شابا كان يصحب الجنيد فكان اذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له الجنيد
يوما ان فعلت ذلك مرة اخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق فحكي انه
اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه وروي ان موسى صلوات الله عليه قص في بني اسرائيل فمزق
واحد منهم ثوبه او قميصه فاوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله عليه قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك وقال ابو القسم النصراباذي
لابي عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو الرياء في السماع وهو ان ترى
من نفسك حالا ليست فيك شر من ان تغتاب ثلاثين سنة او نحو ذلك فان قلت فالافضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره او الذي
يظهر عليه فاعلم ان عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن
لكمال القوة على ضبط الجوارح وهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الاحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير
وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود
فهذا لا تغيره طوارق الاحوال ولا يبعد ان يكون الاشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا و
اشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال فنحن في سماع معاني القران على الدوام فلا يكون القران جديدا في حقنا
طاريا علينا حتى نتاثر به فاذا قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر وقد يغلب احدهما الاخر اما لشدة قوته
واما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن ان الذي يضطرب بنفسه على الارض اتم وجدا من الساكن باضطرابه
بل رب ساكن اتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء اشارة الى ان القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متادبة في
الظاهر ساكنة وقال ابو الحسن محمد بن احمد بالبصرة صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رايته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر او
القران فلما كان في اخر عمره قرا رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الاية فرايته ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سالته
عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فساله ابن سالم وكان صاحبه فقال
قد ضعفت فقيل له فان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال ان لا يرد عليه وارد الا وهو يلتقيه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وان
كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الاحوال بملازمة الشهود كما حكي عن سهل انه قال حالي قبل الصلاة
وبعدها واحدة لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله في كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دائما وعطشه
متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كما روي ان ممشاد الدينوري اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه
فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفى بعض ما بي وقال الجنيد رحمه الله لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم

اتم من فضل الوجد فان قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم ان من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا لمساعدة اخ
من الاخوان وادخالا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلموا انه ليس الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر
عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعا لهم وان اتفق حضورهم مع غير ابناء جنسهم فيكونون معهم بابدانهم نائين
عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم باسباب عارضة تقتضي الجلوس معهم وبعضهم نقل عنه ترك السماع فيظن
انه كان سبب تركه استغناؤه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم
كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من اهل اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد
الاخوان حتى قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من الادب الثالث ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص
او تباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المراياة لان التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز
تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها الى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يزفنون هذا لفظ عائشة في بعض
الروايات وقد روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انهم حجلوا لما اصابهم سرور وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها
علي بن ابي طالب رضي الله عنه واخوه جعفر وزيد بن حارثة فتشاحوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي انت مني وانا منك
فحجل علي وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل وراء حجل جعفر ثم قال صلى الله عليه
وآله وسلم هي لجعفر لان خالتها تحته والخالة والدة وفي بعض الروايات انه قال لعائشة اتحبين ان تنظري الى زفن الحبشة والزفن
والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح او شوق فحكمه حكم مهيجه ان كان فرحه محمودا والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود وان كان مباحا
فهو مباح وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الاكابر واهل القدوة لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب
وما له صورة اللعب في اعين الناس ينبغي ان يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر في اعين الناس فيترك الاقتداء به واما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه
الا عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه او يدري ولكن يكون
كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة المكره اذ يكون له في الحركة والتمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض
الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل
يحصل بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه الى ان يختار التنفس فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب
قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السري رحمه الله حديث الوجد الحاد الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف
وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد ان ينتهي الى هذا الحد فاصر عليه اي قد ينتهي الى هذا الحد فان قلت فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب
الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعا صغارا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة فاعلم ان ذلك مباح
اذا قطع مربعات تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعا لانه تمزيق
لغرض وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن الا بالقطع الصغار وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود مباح ولكل
مالك ان يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ولكن ينبغي ان تكون القطع بحيث يمكن ان ينتفع بها في الرقاع وانما منعنا في
السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار الادب الخامس موافقة
القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف او قام باختيار من غير اظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد
من الموافقة فذلك من اداب الصحبة وكذلك ان جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع
الثياب اذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من
مخالقة الناس باخلاقهم كما ورد في الخبر لا سيما اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة وقول القائل
ان ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم باباحته منقولا عن الصحابة وانما المحذور بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل النهي عن
شيء من هذا والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

في بعض الأحوال كما رواه أنس رضي الله عنه ولكن إذا لم يرد فيه نهي عام فلا نرى به بأسا في البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل فيه فإن المقصود منه الاحترام والإكرام وتطييب القلب به وكذلك سائر أنواع المساعدات إذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التأويل ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إذا كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق والتكلف سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد فإن قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدين إلا وينكره فاعلم أن الجد لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد رأى الحبشة يزفنون في المسجد وما أنكره لما كان في وقت لائق به وهو العيد ومن شخص لائق به وهم الحبشة نعم نفرة الطباع عنه لأنه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه لذوي المناصب لأنه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم فمن سأل فقيرا شيئا فأعطاه رغيفا أو رغيفين من الخبز كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكا فأعطاه رغيفا أو رغيفين من الخبز كان ذلك منكرا عند الناس كافة ومكتوبا في تواريخ الأخبار من جملة مساويه ويعير به أعقابه وأشياعه ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى الخبز للفقير حسن ومن حيث إنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب فأما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه في نفسه لا تحريم فيه فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مكروها وقد يكون مندوبا أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة وأما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذه عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو وأما المباح فهو لمن لا حظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما المندوب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة والله أعلم بالصواب ه

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وهو الكتاب التاسع من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه ومجده والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده أما بعد فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد وإن لم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذي خفنا أن يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه واستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا بأعبائها ومتشمرا في إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها وها نحن نشرح علمه في أربعة أبواب

الباب الأول: في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أركانه وشروطه

الباب الثاني: في أركانه وشروطه

الباب الثالث: في المنكرات المألوفة في العادات

الباب الأول
في وجوب الأمر بالمعروف وفضيلته والمذمة في إهماله وتضييعه

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار أما الآيات فقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ففي الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى ولتكن أمر وظاهر الأمر الإيجاب وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ حصر وقال وأولئك هم المفلحون وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم أمة فإذن مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الأمر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد إذ علق استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا وقال تعالى الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت المؤمنين والصالحين وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الإمكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين أنهم أثموا بترك النهي وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد الآية فبين أنه أهلك جميعهم إلا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما وقال تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما الآية والإصلاح نهي عن البغي وإعادة إلى الطاعة فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله وذلك هو النهي عن المنكر وأما الأخبار فمنها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده وروي عن أبي ثعلبة الخشني أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تفسير قوله تعالى لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فقال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا وسئل ابن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وقال صلى الله عليه وآله وسلم

لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم عن
اعين الاشرار فلا يخافونهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا ايها الناس ان الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل
ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال
البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف الا كنفثة في بحر لجي وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله ليسأل العبد ما منعك
اذ رأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والجلوس
على الطرقات قالوا ما لنا بد انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقها قالوا وما حق
الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وآله وسلم كلام ابن آدم
كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة
حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه وعن ابي امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده
واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك
يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف انتم اذا رأيتم المعروف منكرا
ورأيتم المنكر معروفا قالوا وكائن ذلك قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم
اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون يقول الله تعالى
حلفت بي لاتيحن لهم فتنة تصير الحليم فيها حيران وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة
تنزل على من حضره قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن
يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دار الظلمة والفسقة حيث تشاهد المنكر ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة
تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات
في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجرة ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما ساح السواح
وخلوا دورهم واولادهم الا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ورأوا انه لا يقبل ممن تكلم ورأوا الفتنة
ولم يأمنوا ان تعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلموا منه فرأوا ان مجاورة السباع واكل البقول خير من مجاورة
هؤلاء في نعيمهم ثم قرأ ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين قال ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة من السر لقلنا ما هم بافضل
من هؤلاء فيما بلغنا ان الملائكة لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها اين امرت فتخبره وليس
بنبي وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها
فكأنه حضرها ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة او يتفق جريان ذلك بين يديه فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال
ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بعث الله عز وجل نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله
يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وبسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان
من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان
لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام وقال ابن مسعود كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم
اربعة نفر ينكرون ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه
ولا يرعوون عن اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم
فغلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني

وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو
قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم عصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب
قال ابن مسعود رضي الله عنه كان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال ابن عباس قيل يا رسول الله اتهلك القرية وفيها الصالحون
قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله عز وجل وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم اوحى الله تبارك وتعالى الى ملك من الملائكة ان اقلب مدينة كذا وكذا على اهلها فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك
طرفة عين فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله عز وجل ولا يأمرون
بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وعن عروة عن ابيه قال قال موسى صلوات الله عليه اي عبادك احب اليك قال الذي يسرع
الى هواي كما يسرع النسر الى هواه والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالناس والذي يغضب اذا انتهكت محارمي
كما يغضب النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس او كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال
ابو ذر الغفاري رضي الله عنه قال ابو بكر يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم نعم يا ابا بكر ان لله مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احياء مرزوقين يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين
لهم الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله ومن هم قال هم الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات
فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلاثمائة الف باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج بثلاثمائة
الف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له اتذكر يوم كذا وكذا امرت بالمعروف ونهيت
عن المنكر كلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر وقال ابو عبيدة بن الجراح
رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله
فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
افضل شهداء امتي رجل قام الى امام جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة
وجعفر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم
قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر واما الآثار فقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر
او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون
وتستغفرون فلا يغفر لكم وسئل حذيفة عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار
كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بايام الله فرأى بعض بنيه يوما غمز النساء فقال مهلا
يا بني مهلا قال وسقط من سريره فانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان اخبر
فلانا الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقا ابدا ما كان من غضبك لي الا ان قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة رضي الله عنه يأتي على الناس
زمان لان تكون فيهم جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم واوحى الله عز وجل الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك
اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي
وآكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت ولم تغير اضرت بالعامة
وقال كعب الاحبار رضي الله عنه لابي مسلم الخولاني رضي الله عنه كيف منزلتك من قومك قال حسنة قال كعب ان التوراة لتقول غير ذلك قال
وما تقول قال تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب ابو مسلم
وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ياتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له لو اتيتهم فلعلهم يجدون في انفسهم فقال ارهب ان تكلمت ان يروا

ان الذي يجب عن الذي بي وان سكت رهبت ان آثم فمدا اجل على انه عجز عن الامر بالمعروف فعليه ان يحدد عن ذلك الموضع
عنه حتى لا يجري بمشهد منه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد
بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله وقال سهل بن عبد الله ايما عبد عمل في شيء من دينه بما امر به
او نهي عنه وتعلق عند فساد الامور وتنكرها وتشويش الزمان فهو ممن قد قام لله في زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام بها وانكر احوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه وقيل للفضيل الا تامر وتنهى فقال ان
قوما امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على ما اصيبوا وقيل للثوري الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق
البحر فمن يقدر ان يسكره فقد ظهر بهذه الادلة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وان فرضه لا يسقط [illegible]
واحد به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه والله اعلم

الباب الثاني في اركان الامر بالمعروف وشروطه

اعلم ان الاركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة المحتسب والمحتسب عليه
والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه اربعة اركان ولكل واحد منها شروط الركن الاول المحتسب وله شروط وهو ان يكون
مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والكافر والصبي ويدخل فيه آحاد الرعايا وان لم يكونوا ماذونين ويدخل فيه الفاسق
والرقيق والمراة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما اطرحناه اما الشرط الاول وهو التكليف فلا يخفى وجه
اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه اردنا به انه شرط الوجوب فاما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا العقل حتى ان
الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم
يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلاة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات
حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد
بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به والمنع عن الفسق كالمنع
عن الكفر واما الشرط الثاني وهو كونه مؤمنا فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذا نصرة للدين فكيف يكون من اهله من هو جاحد لاصل الدين
وعدو له واما الشرط الثالث وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد
على من يامر بما لا يفعله مثل قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وبما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال مررت ليلة اسري بي بقوم كان تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا
نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر وناتيه وبما روي ان الله تعالى اوحى الى عيسى صلوات الله عليه وآله وسلم يا ابن مريم عظ نفسك
فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وربما استدلوا من طريق القياس بان هداية الغير فرع للاهتداء وكذلك تقويم
الغير فرع للاستقامة والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح في نفسه كيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود
اعوج وكل ذلك هوسات وانما الحق ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط في الاحتساب ان يكون متعاطيه
معصوما عن المعاصي كلها فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب اذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم
والانبياء قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم صلوات الله عليه الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء صلوات
الله عليهم ولهذا قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ان لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يامر احد بشيء فاعجب مالكا
ذلك من سعيد بن جبير وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير ان يمنع من الزنا وشرب الخمر
فنقول وهل لشارب الخمر ان يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل
مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا بعده
فان قالوا نعم فنقول لشارب الخمر المنع من القتل ام لا فان قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر
والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق وان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان كل مقدم على شيء

فلا يمنع عن مثله وعما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنا والقتل فلا يبعد ان يمنع
الزاني من الشرب بل لا يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول يجب علي الانتهاء والنهي فمن اين يلزم من العصيان
باحدهما ان اعصي الله بالثاني واذا كان النهي واجبا علي فمن اين يسقط وجوبه باقدامي فيستحيل ان يقال يجب النهي
على الغير فيسقط وجوبه باقدامه اذ يستحيل ان يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهي فان
قيل فيلزم على هذا ان يقول القائل الواجب علي الوضوء والصلاة فانا اتوضأ وان لم اصل واتسحر وان لم اصم لان المستحب
لي السحور والصوم جميعا ولكن يقال احدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويم النفس فليبدأ بنفسه ثم بمن
يعول قلنا الجواب ان التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير واصلاح
الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فالقول بترتب احدهما على الآخر تحكم واما الوضوء والصلاة
فهو لازم فلا جرم من توضأ ولم يصل كان مؤديا لامر الوضوء وكان عقابه اقل من عقاب من ترك الوضوء والصلاة جميعا فليكن
تارك النهي والانتهاء اكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون ذلك واما الحسبة
فليست شرطا في الانتهاء والائتمار فلا تشبههما فان قيل فيلزم على هذا ان يقال اذا زنى الرجل بامراة وهي مكرهة
مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فاخذ الرجل يحتسب في اثناء الزنا ويقول انت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه
لغير محرم وها انا غير محرم لك فاستري وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره كل عاقل ويستبشعه كل طبع سليم فالجواب
ان الحق قد يكون شنيعا وان الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام والخيالات فانا نقول
قوله لها في تلك الحالة لا تكشفي وجهك واجب او مباح او حرام فان قلتم انه واجب فهو الغرض لان الكشف معصية والنهي
عن المعصية حق وان قلتم مباح فاذن له ان يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وان قلتم انه حرام فنقول
كان هذا واجبا فمن اين يحرم باقدامه على الزنا ومن الغريب ان يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام واما نفرة الطباع عنه واستنكارها
له فهو لشيئين احدهما انه ترك الاهم واشتغل بما هو مهم وكما ان الطباع تنفر عن ترك الاهم الى ما لا يعني تنفر عن ترك الاهم والاشتغال
بما هو مهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور
لان شهادة الزور افحش واشد من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على
ان ترك الغيبة ليس بواجب وانه لو اغتاب او اكل لقمة من حرام لم يزد بذلك عقوبته فكذلك حسبته في [illegible] من معصية اكثر
من زنى من معصية غيره فاشتغاله بالاقل عن الاكثر مستنكر في الطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه اتى بالاقل فمن
غصب فرس غيره ولجامه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت منه الطباع ورات مسيئا وقد يصدر منه طلب اللجام
من حيث انه حق ولكن ترك طلب الفرس وهو منكر وانصرافه من الفرس الى اللجام اشد نكيرا ولا نكارة في هذا الطلب فبعد
ذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على ان الحسبة من حيث انها حسبة مستنكرة الثاني ان الحسبة تارة تكون
بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر والمنع ووعظ من لا يتعظ اولا لا يجدي نفعا ان علم ان قوله لا يسمع فالحسبة لعلم الناس بفسقه فليس
عليه الحسبة بالوعظ اذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط فائدة كلامه ثم اذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام
واما اذا كانت الحسبة المنع فالمراد منه القهر وتمام القهر ان يكون بالفعل والحجة جميعا واذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد
قهر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فانت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل
عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معه تنفر الطبع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم
عن كونه حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ واذا لم يكن عليه ذلك وعلم
انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب وهو الوعظ
قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في اراقة الخمور وكسر

الملاهي عنه اذا اصر عليه ومعاقبة للانصاف والكشف في المسألة ان الآيات التي استدلوا بها انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث امرهم ولكن امرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب وقوله وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيدا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ الفاسق يسقط عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ اباك ثم جارك والا فاستحي فان قيل فليجز للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم اذا رآه يزني لان قوله لا تزن حق في نفسه فينبغي ان يكون جائزا او واجبا قلنا الكافر ان منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث انه نهي عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه اذلال المحتكم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث انه نهي بل نقول اذا لم نقل لا تخاطب الكفار بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في المستصفى وليس يليق بغرضنا الآن الشرط الرابع كونه مأذونا من جهة الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار التي اوردناها تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اذ يجب نهيه اينما رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاءوا الى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من ايدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل في الامر بالمعروف اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا يثبت لآحاد الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق ان ينال عز التحكم على المسلم واما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة واما ما فيه من عز السلطنة والاحتكام فلا يحوج الى تفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج الى اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي وشرح القول في هذا ان الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي اولها التعريف والثاني الوعظ بالكلام اللطيف والثالث السب والتعنيف ولست اعني بالسب الفحش بل ان يقول يا جاهل يا احمق الا تخاف الله وما يجري هذا المجرى والرابع المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه والخامس التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر ذلك الى القتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتي اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام واما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل افضل الدرجات كلمة حق عند امام جائر كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهي وشرب الخمر فاراقتها تعاطي ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام واما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك وان كان ساخطا فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه وقد روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة في العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلاة فقال مروان ترك ذلك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحته فكيف يحتاج الى اذنهم وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبينه من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال اعبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله له الفرس قال ثم صيروه الى بيت واغلق عليه واخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان يأكل البقل فأتي به المهدي فقال له من اخرجك قال الذي حبسني فضج المهدي وصاح وقال ما تخاف ان اقتلك فرفع عبد الله رأسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة او موتا فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها وعن حبان بن عبد الله قال تنزه هارون الرشيد بالدوار ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن ابي جعفر فقال له هارون قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها فقال لها ما شأنك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فاخذه فضرب به الارض فأخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة امير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبة امير المؤمنين فقال له اسمع ما اقول لك ثم دخل على هارون فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فاخذه فضرب به الارض فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في الدجلة فقال لا ولكن نبعث اليه ونناظره اولا فجاء الرسول فقال اجب امير المؤمنين قال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر اصلح فقاموا الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا من كمك وادخل على امير المؤمنين فقال من هذا عشائي الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائكم فقال هارون للخادم اي شيء تريد منه قال في كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لا تطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هارون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال واي شيء صنعت وجعل هارون يستحي ان يقول كسرت عودي فلما اكثر عليه قال اني سمعت آباءك واجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وانا رأيت منكرا فغيرته قال فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى الخليفة رجلا بدرة وقال اتبع الشيخ فان رأيته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رأيته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين يردها من حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول

شعر

ارى الدنيا لمن هي في يديه ... هموما كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليه

اذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما انت محتاج اليه

وعن سفيان الثوري قال حج المهدي في سنة ست وستين ومائة فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا ايمن عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك وها انت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفيان الثوري فقال يا سفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا فقال لو اخبرك المنصور بما لقي لقصرت عما انت فيه قال فقيل له انه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا امير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفيان فاختفى وقد روي عن المأمون انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فامر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه

قال له انه بلغنى انك رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف من غير ان نامرك وكان المامون جالسا على كرسى ينظر فى كتاب او قصة فاغفله
فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر فقال له المحتسب ارفع قدميك عن اسماء الله ثم قل ما شئت فلم يفهم المامون مراده فقال
ماذا تقول حتى اعاد ثلاثا فلم يفهم فقال اما ان ترفع واما ان تاذن لى حتى ارفع فنظر المامون تحت قدمه فراى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تامر بالمعروف وقد
جعل الله ذلك الينا اهل البيت ونحن الذين قال الله عز وجل فيهم الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا امير المؤمنين انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين غير انا اعوانك واولياؤك
فيه ولا ينكر ذلك الا من جهل كتاب الله وسنة نبيه قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت فى الارض وهذا كتاب الله وسنة
رسوله فان انقدت لهما شكرت لمن اعانك بحرمتهما وان استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فان الذى اليه امرك وبيده
عزك وذلك قد شرط انه لا يضيع اجر من احسن عملا فالان قل ما شئت فاعجب المامون بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له ان يامر
بالمعروف فامض على ما كنت عليه بامرنا وعن راينا فاستمر على ذلك ففى سياق هذه الحكاية بيان الدليل على الاستغناء عن الاذن فان
قيل فليثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة على الزوج والتلميذ على الاستاذ والرعية على الوالى مطلقا
كما ثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والاستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية او بينهما فرق
قلنا الذى نراه انه يثبت اصل الولاية ولكن بينهما فرق فى التفصيل ولنفرض ذلك فى الولد مع الوالد فنقول قد رتبنا الحسبة خمس مراتب
وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا
بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الاخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدى الى اذى الوالد وسخطه هذا فيه نظر وهو بان
يكسر عوده ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد الى الملاك ما يجده فى بيته من المال الحرام الذى غصبه او
سرقه او اخذه عن ادرار رزق من ضريبة المسلمين ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة فى خشب بيته
ويكسر اوانى الذهب والفضة فان فعله فى هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتاذى به
ويسخط بسببه الا ان فعل الولد حق وسخط الاب منشؤه حبه للباطل وللحرام والاظهر فى القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه ان
يفعل ذلك ولا يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا
كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور او زجاج على صورة حيوان وفى
كسرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجرى هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر فان قيل ومن
اين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف فى الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص
واما النهى عن التافيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات قلنا قد ورد فى حق الاب على الخصوص ما
يوجب الاستثناء من العموم اذ لا خلاف فى ان الجلاد ليس له ان يقتل اباه فى الزنا حدا ولا له ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل
ابيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له ان يؤذيه فى مقابلته وقد ورد فى ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا
لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هى حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاؤه بعقوبة هى منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل اولى
وهذا الترتيب ايضا ينبغى ان يجرى فى العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الوالد فى لزوم الحق وان كان ملك اليمين
آكد من ملك النكاح ولكن فى الخبر لو جاز السجود لمخلوق لامرت المرأة بالسجود لبعلها وهذا يدل على تاكيد الحق ايضا واما الرعية
مع السلطان فالامر فيها اشد من الولد فليس لها معه الا التعريف والنصح واما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث ان الهجوم على
اخذ الاموال من خزانته وردها الى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه وكسر اوانى الخمور فى بيته يكاد يفضى الى خرق هيبته واسقاط
حشمته وذلك محذور ورد النهى عنه كما ورد النهى عن السكوت على المنكر فقد تعارض فيه ايضا محذوران والامر فيه موكول
الى اجتهاد منشؤه النظر فى تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه واما التلميذ والاستاذ

فالامر فيما بينهما اخف لان المحترم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه
الذى تعلمه منه وروى انه سئل الحسن البصرى رضى الله عنه عن الولد كيف يحتسب على والده فقال يعظه ما لم يغضب فان غضب سكت
عنه الشرط الخامس كونه قادرا ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها وقال
ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا فى وجوههم فافعلوا واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز
الحسى بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك فى معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى
معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا والاخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين اربعة احوال احدها ان يجتمع
المعنيان بان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب ان تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم فى بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع
المنكر ويعتزل فى بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى
الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين فى الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا فى حق من يقدر على
الهرب من الاكراه الثانية ان ينتفى المعنيان بان يعلم ان المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الانكار وهذه القدرة المطلقة الثالثة
ان يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بامر الدين
الرابعة عكس هذه وهو ان يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على ان يرمى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق
الخمر او يضرب العود الذى فى يده ضربة مختطفة فيكسره فى الحال ويتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا
ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذى اوردناه فى فضل كلمة حق عند امام جائر ولا شك فى ان ذلك مظنة الخوف
ويدل عليه ما روى عن ابى سليمان الدارانى انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر وعلمت انى اقتل ولم يمنعنى القتل
ولكن كان فى ملأ من الناس فخشيت ان يعترينى التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص فى الفعل فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة قلنا لا خلاف فى ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب
الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة فى طاعة الله عز وجل اى من لم يفعل ذلك فقد اهلك
نفسه وقال البراء بن عازب التهلكة هو ان يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب على وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا
حتى يهلك واذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا ذلك فى الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه
على الصف او العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وانما جاز له الاقدام اذا علم انه يقاتل الى ان يقتل او علم انه يكسر قلب الكفار
بمشاهدتهم جراءته واعتقادهم فى سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة فى سبيل الله فتنكسر به شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل
يستحب له ان يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لحسبته تاثير فى رفع المنكر او فى كسر جاه الفاسق او فى تقوية قلوب اهل الدين فاما
ان راى فاسقا متغلبا وحده وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا ارى للحسبة فيه
وجها وهو عين الهلاك فان المطلوب ان يؤثر فى الدين اثرا ويفديه بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له
بل ينبغى ان يكون حراما وانما يستحب له الانكار اذا قدر على ابطال المنكر او ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط ان يقتصر المكروه عليه فان علم انه
يضرب معه غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لانه عجز عن دفع المنكر الا بان يفضى ذلك الى منكر آخر
وليس ذلك من القدرة فى شىء بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل
له الانكار على الاظهر لان المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو وذلك بان يكون مثلا مع الانسان شراب حلال نجس
بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه لشرب صاحبه الخمر او شرب اولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لاراقة ذلك
ويحتمل ان يقال انه يريقه فيكون هو مبطلا للمنكر واما شربه الخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب
الى هذا ذاهبون وليس ببعيد فان هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد ان يفرق بين درجات المنكر المنهى والمنكر
الذى يفضى اليه الحسبة والتعطيل فانه اذا كان يذبح شاة لغيره حتى ياكله وعلم انه لو منعه من الذبح لذبح انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة

نعم لو كان يقدر على دفع انسان عن قطع طرفه بحمله على الضرب الا بعد ذلك فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق نقول للعامي ينبغي ان لا يحتسب الا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فاما ما يعلم كونه معصية بالاضافة الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى اجتهاد فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وعن هذا يتاكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة الا بتعيين الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس اهلا لها لقصور معرفته او قصور ديانته فيؤدي ذلك الى وجوه من الخلل وسياتي كشف الغطاء عن ذلك فان قيل وحيث اطلقتم العلم بانه يصيبه مكروه او انه لا يفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه قلنا الظن الغالب في هذه الابواب في معنى العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم اذ يترجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في موضع اخر وهو انه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل ان يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعمومات الامر تقتضي الوجوب بكل حال ونحن انما نستثني عنه بطريق التخصيص اذا علم انه لا فائدة فيه اما بالاجماع او بقياس ظاهر وهو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمامور فاذا علم الياس عنه فلا فائدة فيه فاما اذا لم يكن ايس فينبغي ان لا يسقط الوجوب فان قيل فالمكروه الذي يتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا او معلوما بغالب الظن ولكن مشكوكا فيه او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل انه يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند التيقن بانه لا يصيبه مكروه او انه يجب في كل حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه قلنا ان غلب على الظن انه يصاب لم يجب وان غلب انه لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة وان شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات وانما يسقط بمكروه والمكروه هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان يقال انه انما يجب عليه اذا علم انه لا ضرر عليه او ظن انه لا ضرر عليه والاول اصح نظرا الى قضية العمومات الامرة بالمعروف فان قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الامل حتى لا يصدق الا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في المزاج بتفريط او افراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراءة فقد لا يستفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراءته جهله وقد لا يستفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بالحكم بالتجربة والممارسة بمداخل الشر ومدافعها ولكن يعمل الشر البعيد في تخييله وتحليل قوته في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يعمله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات الى الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل او ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ المبتدئ في المناظرة والوعظ مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد يميل على راي الى انه لا يجب ركوب البحر لطلب حجة الاسلام على من غلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك لا يجب الحسبة فان قيل فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة وما من شخص يامر بالمعروف الا ويتوقع منه نوع من الاذى وقد يكون منه ان يسعى به الى سلطان او يقدح فيه في مجلس يتضرر بقدحه فيه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب به قلنا هذا ايضا نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر اقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الى اربعة اما في النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة واما في المال فالثروة واما في قلوب الناس فقيام الجاه فاذن المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كما ان معنى الثروة ملك

الدراهم لان قلوب الناس وسيلة الى الاغراض كما ان ملك الدراهم وسيلة الى الاغراض وسياتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع في كتاب المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه ولاقاربه والمختصين به ويكره في هذه الاربعة امران احدهما زوال الحاصل الموجود والاخر امتناع المنتظر المفقود اعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر الا في فوات حاصل وزواله او تعوق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كانه حاصل وفوات امكانه كانه فوات حصوله فرجع المكروه الى قسمين احدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي ان يكون مرخصا في ترك الامر بالمعروف اصلا ولنذكر مثاله في المطالب الاربعة اما العلم فمثاله ترك الحسبة على من يختص باستاذه خوفا من ان يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه واما الصحة فمثاله ترك الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لابس حريرا خوفا من ان يتاخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة واما المال فترك الحسبة على السلطان واصحابه وعلى من يواسيه خيفة من ان يقطع ادراره في المستقبل ويترك مواساته واما الجاه فترك الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من ان لا يحصل له الجاه او خيفة من ان يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادة ضررا مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شيء الا ما تدعو اليه الحاجة ويكون في فواتها محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان في تاخره شدة الضنى وطول المرض وقد يفضي الى الموت واعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد فلا يبعد ان يرخص في ترك الحسبة واما في العلم فمثل ان يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما واحدا وعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له او مستمعا لقوله فاذا الصبر على الجهل بمهمات دينه محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد ان يترجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين واما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر في تحصيله الى طلب ادرار حرام او مات جوعا فهذا ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص في السكوت واما الجاه فهو ان يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا الى دفع شره الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة شخص يلبس الحرير او يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد المحذورين بالاخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فان رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة وان رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة وهو امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق كل متدين فيه ان يراقب قلبه ويعلم ان الله مطلع على باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سوء او خير محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر او لفتة ناظر من غير ظلم وجور فما الله بظلام للعبيد واما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه معتبر في جواز السكوت في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا احد اسباب شرف العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له ابد الآباد واما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب وكل من علم انه يضرب ضربا مؤلما يتاذى به في الحسبة فانه يسقط عنه الحسبة وان كان يستحب له ذلك كما سبق واذا فهم هذا في الايلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل اظهر واما الثروة فهو بان يعلم انه ينهب داره ويخرب بيته ويسلب ثيابه فهذا ايضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا باس بان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيفة المؤلمة في الضرب وحد في الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما امكن واما الجاه ففواته بان يضرب ضربا غير مؤلم او يسب على ملا او يطرح منديله في رقبته ويدار في البلد او يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب ان يقسم الى ما يعبر

عنه بسقوط المروءة كالطواف في البلد حاسراً حافياً فهذا يرخص في السكوت لأن المروءة مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب
الألم يزيد على ألم ضربات معدودة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجتان الثالثة ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فإن
التخنج في ثياب فاخرة تجمل وكذا الركوب للخيل فلو علم أنه لو احتسب كلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها أو كلف
المشي راجلاً وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليس المواظبة على حفظها محموداً وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي أن يسقط وجوب
الحسبة بمثل هذا القدر ومن هذا القبيل الخوف من تعرض اللسان إما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة إلى الرياء والنفاق
وإما في غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التي ليس إليها كثير حاجة ولو ترك الحسبة
بلوم اللائم أو باغتياب فاسق أو شتمه وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلاً إذ لا تنفك الحسبة
عنه إلا إذا كان المنكر هو الغيبة وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنه
سبب زيادة المعصية وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه لأن غيبته أيضاً معصية في حق المغتاب ولكن يستحب
ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت
عنه فلا يقابله إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات
التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له وأما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن
تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق
غيره فإذن ينبغي أن يمتنع فإنه إن كان ما يفوت من حقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لأنه
دفع منكر يفضي إلى منكر وإن كان يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء للمسلم أيضاً وليس له ذلك إلا برضاهم فإن كان يؤدي ذلك إلى
أذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاماً
منه بواسطتهم فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور
نعم إن كان لا ينالهم أذى في مال ونفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في
تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض فإن قيل فلو قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمنع
إلا بقتال يؤدي إلى قتله فهل يقاتل عليه فإن قلتم يقاتل فهو محال لأنه إهلاك نفس خوفاً من إهلاك طرف وفي إهلاك النفس
هلاك الطرف أيضاً قلنا نمنعه عنه ونقاتله إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله في الحسبة
ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فإنه جائز لا على معنى أنا نفدي درهماً
بروح مسلم فإن ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وإنما المقصود دفع المعاصي
فإن قيل فإن علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن نقتله في الحال حسماً لباب المعصية قلنا ذلك لا نعلم قطعاً ولا يجوز سفك
دمه بتوهم معصية ولكنا إذا رأيناه في مباشرة القطع دفعناه فإن قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه فإذن المعصية لها ثلاثة
أحوال إحداها أن تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير وهو إلى الولاة لا إلى الآحاد الثانية أن تكون المعصية راهنة وصاحبها
مباشر لها كلبسه الحرير وإمساكه العود والخمر فإبطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد إلى معصية أفحش منها أو مثلها وذلك
يثبت للآحاد والرعية الثالثة أن يكون المنكر متوقعاً كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر
الخمر فهذا مشكوك فيه إذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب إلا بطريق الوعظ والنصح فأما
بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد أقدم على السبب
المؤدي إليها ولم يبق لحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمام النساء للنظر إليهن
عند الدخول والخروج فإنهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بإقامتهم من الموضع ومنعهم من الوقوف بالتعنيف
والضرب وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية وإن كان مقصد العاصي وراءه كما أن الخلوة

في نفسها معصية إنما هي مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الإنسان به لوقوع
المعصية غالباً بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فإذن هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة الركن الثاني
للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير اجتهاد فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها الأول كونه
منكراً ونعني به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى
صبياً أو مجنوناً يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه وكذا إن رأى مجنوناً يزني بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه
وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية
في حق المجنون إذ معصية لا عاصي بها محال ولفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة
والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية وإتباع النظر للنسوة الأجنبيات كل ذلك
من الصغائر ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتي في كتاب التوبة الشرط الثاني أن يكون موجوداً
في الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فإن ذلك ليس إلى الآحاد وقد انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد
في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه
أيضاً فإن فيه إساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية
معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه الشرط الثالث أن يكون ظاهراً للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر
معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما
فيه مشهورة وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك ما روي أن عمر تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال
يا أمير المؤمنين إن كنت قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه فقال وما هي فقد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد
تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وقد تسورت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها
وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكراً فهل له إقامة
الحد فأشار علي بأن ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة
فلا نعيدها فإن قلت فما حد الظهور والاستتار فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف
المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان
الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذلك إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها
أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة فإذن إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتمل
أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالإراقة وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة
وقد يستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فإذا رأى فاسقاً وتحت ذيله شيء لم يجز أن يكشف عنه ما لم يظهر
بعلامة خاصة فإن فسقه لا يدل على أن الذي معه خمر إذ الفاسق محتاج أيضاً إلى الخل وغيره فلا يجوز أن يستدل بإخفائه
وأنه لو كان حلالاً لما أخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما يكثر وإن كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر أن له
الاحتساب لأن هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور وكذلك العود ربما يعرف بشكله إذا كان الثوب
الساتر له رقيقاً فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن
نستر ما ستر الله وننكر على من أبدى لنا صفحته وللإبداء درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة
بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن أن يخص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس أيضاً تفيد العلم فإذن
إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول أرني لأعلم ما فيه فإن هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الأمارات
المعرفة فالأمارة المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الأمارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلاً

الشرط الرابع أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي
أكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الأرحام
كالاجتهاد نعم لو رأى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر والأظهر أن له الحسبة
والإنكار إذ لم يذهب أحد من المحصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا أن الذي أدى اجتهاده في
التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع
مقلده في كل تفصيل فإذًا مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض
منه وهو أنه يجوز للحنفي أن يعترض على الشافعي إذا نكح بغير ولي بأن يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل
بالإقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وإن كانت صوابا عند
الله وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له إما أن تعتقد أن الشافعي أولى
بالاتباع ثم تقدم أو لا تقدم عليه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا إلى أمر آخر في المحسوسات وهو أن يجامع الأصم امرأة على قصد الزنا
وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجها أبوه في صغره ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عالم بلغته فهو في
الإقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي أن يمنعه منها مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث
إنه حلال في علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب
من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في
الباطن فإذا رآه يجامعها فعليه المنع أعني باللسان لأن ذلك زنا إلا أن الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بأنها طلقت منه ثلاثا
وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا إذ لا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا أنه يمنع
منه فإذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا أن يقال ما ليس
بمنكر عند الله وإنما هو منكر عند الفاعل الجاهل لا يمنع منه وهذا هو الأظهر والعلم عند الله فتحصل من هذا أن الحنفي لا يعترض على
الشافعي في النكاح بلا ولي وأن الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه
وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وإنما أفتينا فيه بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطأ المخالف
فيها إن رأى رأيا آخر أنه لا يجري الاحتساب إلا في معلوم على القطع وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا لا حسبة إلا في مثل الخمر والخنزير
وما يقطع بكونه حراما ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد إذ يبعد غاية البعد أن يجتهد في القبلة ويعترف
بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لأجل ظن غيره إذ ربما يظن غيره أن الاستدبار هو
الصواب ورأي من يرى أنه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلا
فهذا مذهب لا يثبت وإن ثبت فلا يعتد به فإن قلت إذا كان لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لأنه يرى أنه حق فينبغي
أن لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لأنه يرى أنه حق فينبغي أن لا يعترض على المعتزلي في قوله إن الله لا يرى وقوله إن
الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوي في قوله إن الله جسم وله صورة وإنه مستقر على العرش بل لا على
الفلسفي في قوله الأجساد لا تبعث وإنما تبعث النفوس لأن هؤلاء أيضا أدى اجتهادهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك
هو الحق فإن قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضا ظاهر وكما ثبت بظواهر
النصوص أن الله يرى والمعتزلي ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسألة النكاح بلا ولي
ومسألة شفعة الجوار ونظائرها فاعلم أن المسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يقال فيه كل مجتهد مصيب وهي أحكام الأفعال في الحل
والحرمة وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لا يعلم خطؤهم قطعا بل ظنا وإلى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه
إلا واحدا كمسألة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا

ولا يبقى خطأ إلا الذي هو جهل محض عن اعتقادات البدع كلها فينبغي أن تحسم أبوابها وينكر على المبتدعين بدعتهم وإن اعتقدوا أنها الحق
كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد
فإن قلت مهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدري أيضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك
إن الله يرى وفي سائر المسائل إذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي أنه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم
الاحتساب فاعلم أنا لأجل هذا التعارض نقول ينظر إلى البلدة التي فيها أظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة
غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة وكان في
الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة في المذاهب إلا بنصب السلطان فإذا رأى السلطان الرأي الحق
ونصره وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فإن ما يكون بإذن السلطان لا يتقابل وما يكون
من جهة الآحاد فيتقابل الأمر فيه وعلى الجملة فالحسبة في البدع أهم من الحسبة في كل المنكرات ولكن ينبغي أن يراعى فيه هذا التفصيل
الذي ذكرناه كيلا يتقابل الأمر ولا ينجر إلى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا في منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق أو
أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مماس له أو غير ذلك من البدع تسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الأمر فيه وإنما يتقابل
عند عدم إذن السلطان فقط الركن الثالث المحتسب عليه وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا
وأقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنسانا ولا يشترط كونه مكلفا إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإن كان قبل
البلوغ ولا يشترط كونه مميزا إذ بينا أن المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتي بهيمة وجب منعه منه نعم من الأفعال ما لا يكون منكرا
في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره ولكنا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضا مما يختلف فيه المقيم
والمسافر والمريض والصحيح وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها يتهيأ توجه أصل الإنكار عليه لا بما به يتهيأ للتفاصيل فإن
قلت فاكتف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه إنسانا فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعا لإنسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا
وإتيانه البهيمة فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لا وجه له إذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة
المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه
لحقين أحدهما حق الله تعالى فإن فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل إحداهما عن الأخرى فلو قطع طرف غيره بإذنه
فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه بإذنه فتثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين والبهيمة إذا أتلفت فقد عدمت المعصية
ولكن تثبت المنع بإحدى العلتين ولكن فيه دقيقة وهي أنا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم إذ البهيمة لو أكلت
ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم إذا تعرض
للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لإنسان من علو وتحتها قارورة لغيره فندفع
الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة فإنا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا وإتيان
البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية أو الخمر المشروبة بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث
إنه إنسان محترم فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها إلا المحققون ولا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب منع الصبي والمجنون
عنه نظر إذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغيره وذلك سنتعرض لما نشير إليه في الباب الثالث فإن قلت فكل من رأى
بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مالا لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه فإن
قلتم إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخرا للغير طول عمره وإن قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على
من يغصب مال الغير وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير فنقول هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على
حفظه عن الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقص في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق
المسلم بل هو أقل درجات الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أولى رتبة وهو أولى بالإيجاب من رد السلام فإن الأذى

فى هذا الكون كالذى فى رد السلام بالجواب فى ان مال الانسان اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففى معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه فاما ان كان عليه تعب او ضرر فى مال او جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعى فى منفعة بدنه وفى ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه ان يفدى غيره بنفسه نعم الايثار مستحب وتجشم المصاعب لاجل المسلمين قربة واما ايجابها فلا فاذن ان كان يتعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه ولكن اذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع من نومه او باعلامه لزمه ذلك فاهمال التعريف والتنبيه كاهمال التعريف للقاضى بالشهادة وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن ان يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال اذا كان لا يضيع من منفعته فى مدة اشتغاله باخراج البهائم الا قدر درهم وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجح جانبه لان الدرهم الذى له هو يستحق حفظه كالالف لصاحب الالف فاما اذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب او قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع فيه وان كان فيه تعب ما لان المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه فى دفع المعاصى كما عليه ان يتعب نفسه فى ترك المعاصى والمعاصى كلها فى تركها تعب وانما الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس وهى غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال الكل بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المحذورات التى يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء فى مسئلتين تقربان من غرضنا احديهما ان الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة والملتقط مانع من الضياع وساع فى الحفظ والحق فيه عندنا ان يفصل ويقال ان كانت اللقطة فى موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها او تترك كما لو كان فى مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا يلزمه الالتقاط وان كان فى مضيعة نظر فان كان عليه تعب فى حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا محترما والملتقط ايضا انسان وله حق فى ان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب عن الجرح وان كان ذهبا او ثوبا او شيئا لا ضرر عليه الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغى ان يكون فى محل الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرط اللقطة تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا ان يتبرع فيلتزم طالبا للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلمين فينزل هذا منزلة تعب الشاهد فى حضوره مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى بلد آخر الا ان يتبرع به واذا كان مجلس القاضى فى جواره لزمه وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا فى غرض اقامة الشهادة واداء الامانة وان كان فى الطرف الآخر من البلد واحوج الى الخروج فى الهاجرة وعند شدة الحر فهذا قد يقع فى محل الاجتهاد والنظر فان الضرر الذى ينال الساعى فى حفظ حق الغير له طرف فى القلة لا يشك فى انه لا يبالى به وطرف فى الكثرة لا يشك فى انه لا يلزمه احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون ابدا فى محل الشبهة والنظر وهى من الشبهات المزمنة التى ليس فى معرفتها مطمع فانه لا علة تفرق بين اجزائها المتقاربة لكن المتقى ينظر فيه لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذه نهاية الكشف عن هذا الاصل الركن الرابع نفس الاحتساب وله درجات وآداب اما الدرجات فاولها التعرف ثم التعريف ثم النهى بالوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود اما الدرجة الاولى وهى التعرف ونعنى به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهى عنه وهو التجسس الذى ذكرناه فلا ينبغى ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا ان يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا ان يمس ما فى ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجرى فى داره نعم لو اخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر فى داره او بان فى داره خمرا اعده للشرب فله اذ ذاك ان يدخل داره ولا يلزمه الاستيذان ويكون تخطى ملكه بالدخول للتوصل الى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج اليه وان اخبره عدلان او عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته لا شهادته ففى جواز الهجوم على داره بقوله فيه نظر واحتمال والاولى ان يمتنع لان له حقا فى ان لا يتخطى داره بغير اذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه الا بشاهدين فهذا اولى ما يجعل مردا فيه وقد كان نقش خاتم لقمان الستر لما عاينت احسن من اذاعة ما ظننت الدرجة الثانية التعريف فان المنكر

قد يقدم عليه المقدم لجهله واذا عرف انه منكر تركه كالسوادى يصلى ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذا ليس بصلاة ولو رضى بان لا يكون مصليا لترك اصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك لان فى ضمن التعريف نسبة الى الجهل والحمق والتجهيل والتحميق ايذاء وقلما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل بالامور لا سيما بالشرع ولذلك ترى الذى يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطأ والجهل وكيف يجتهد فى مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من ان تنكشف عورة جهله والطباع احرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح فى صورة النفس وسواد فى وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع الى صورة البدن والنفس اشرف من البدن وقبحها اشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لانه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا فى اختياره ازالته وتحسينه والجهل قبح يمكن ازالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تألم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه فى نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلا بد وان يعالج دفع اذاه بلطف الرفق فنقول له ان الانسان لا يولد عالما ولقد كنا ايضا جاهلين بامور الصلاة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية من اهل العلم او عالمها مقصر فى شرح الصلاة وايضاحها انما شرط الصلاة الطمأنينة فى الركوع والسجود وهكذا يتلطف ليحصل التعريف من غير ايذاء فان ايذاء المسلم حرام محذور كما ان تقريره على المنكر محذور فمن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق واما اذا وقفت على خطأ فى غير امر الدين فلا ينبغى ان ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا الا اذا علمت انه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا الدرجة الثالثة النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او فيمن اصر عليه بعد ان عرف كونه منكرا كالذى يواظب على الشرب او على الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجرى مجراه فينبغى ان يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد فيها ويحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس واحدة وههنا آفة عظيمة ينبغى ان يتوقاها فانها مهلكة وهى ان العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التميز بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر اقبح فى نفسه من المنكر الذى يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل انسان الا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان فى الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين احدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية الى الشرك الخفى وله محك ومعيار ينبغى ان يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود ان يكفى بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان اتعاظ ذلك العاصى بوعظه وانزجاره بزجره احب اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه وليحتسب اولا على نفسه وعند هذا يقال ما قيل لعيسى صلوات الله عليه يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وقيل لداود الطائى ارأيت رجلا دخل على هؤلاء الامراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر قال اخاف عليه السوط قال انه يقوى قال اخاف عليه السيف قال انه يقوى قال اخاف عليه السوط قال انه يقوى قال اخاف عليه السيف قال انه يقوى قال اخاف عليه الداء الدفين العجب الدرجة الرابعة السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل اليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادى الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ولسنا نعنى بالسب الفحش بما فيه نسبة الى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا احمق يا جاهل الا تخاف الله وكقوله يا سوادى يا غبى وما يجرى هذا المجرى فان كل فاسق فهو احمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع

نفسه جهرياً وتقياً على الله ولهذه الرتبة أدبان أحدهما أن لا يقدم عليه إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف والثاني أن لا ينطق إلا
بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة
ليس يزجره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والازدراء بمحله لأجل معصيته وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولو
اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الإنكار له الدرجة الخامسة
التغيير باليد ككسر الملاهي وإراقة الخمر وخلع الحرير من رأسه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر
برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالساً وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض فأما معاصي اللسان
والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة أدبان
أحدهما أن لا يباشر بيده ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فإذا أمكنه أن يكلفه المشي في الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد
فلا ينبغي أن يدفعه ويجره وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز الحرير فلا ينبغي أن يباشر بنفسه فإن في الوقوف
على حد الكسر نوع عسر فإذا لم يتعاط بنفسه كفي الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله الثاني أن يقتصر في طريق التغيير
على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بلحيته في الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده فإن زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن
لا يمزق الثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد
الكسر أن يصير إلى حالة يحتاج في استئناف إصلاحه إلى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء وفي إراقة الخمور يتوقى كسر
الأواني إن وجد إليه سبيلاً فإن لم يقدر عليها إلا بأن يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر إذ صار
حائلاً بينه وبين الوصول إلى الخمر ولو ستر الخمر إذا صار حائلاً بيننا وبين الوصول إلى الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب
والجرح ليتوصل إلى إراقة الخمر فإذاً لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس ولو اشتغل
بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع
زمانه ويتعطل أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لأجل ظروف الخمر وحيث كانت الإراقة
متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان فإن قلت فهلا جاز الكسر لأجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل في الإخراج عن الغصب ليكون أبلغ
في الزجر فاعلم أن الزجر إنما يكون في المستقبل والعقوبة تكون على الماضي والدفع عن الحاضر الراهن وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع
وهو إعدام المنكر فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة على جريمة سابقة أو زجر عن لاحق وذلك إلى الولاة لا إلى الرعية نعم الوالي
له أن يفعل ذلك إذا رأى المصلحة فيه وأقول له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجراً وقد فعل ذلك في زمان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم تأكيداً للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والفطام شديدة فإذا رأى الوالي باجتهاده مثل
تلك الحاجة جاز له مثل ذلك وإذا كان هذا منوطاً بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية فإن قلت فليجز للسلطان زجر الناس
عن المعاصي بإتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصي فاعلم أن ذلك
لو ورد الشرع به لم يكن خارجاً عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه
بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخاً بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها وإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد
الرعية لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل نقول لو أريقت الخمور أولاً فلا يجوز كسر الأواني بعدها وإنما جاز كسرها تبعاً للخمر فإذا خلت عنها فهو
إتلاف مال إلا أن تكون ضارية بالخمر لا تصلح إلا لها فكأن الفعل المنقول عن العصر الأول كان مقروناً بمعنيين أحدهما شدة الحاجة
والآخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل إلى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأي صاحب الأمر
لعلمه بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضاً مؤثر فلا سبيل إلى إلغائه فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة إلى معرفتها

الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا أو لأكسرن رأسك أو لأضربن عنقك أو لآمرن بك وما أشبهه وهذا ينبغي أن
يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأنهبن دارك أو لأضربن

ولدك أو لأسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام وإن قاله من غير عزم فهو كذب نعم إذا تعرض لوعيده
بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه إلى الحد الذي يقتضيه الحال وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن إذا علم أن ذلك
يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة في مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل في إصلاحه بين الشخصين
وتأليفه بين الضرتين وذلك مما رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فإن القصد به إصلاح ذلك الشخص وإلى هذا المعنى أشار بعض
الناس أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل لأن الخلف في الوعيد كرم وإنما يقبح أن يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فإن
الكلام القديم لا يتطرق إليه الخلف وعداً كان أو وعيداً وإنما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك إذ الخلف في الوعيد ليس
بحرام الدرجة السابعة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة و
الاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فإذا اندفع المنكر فينبغي أن يكف والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحبس فإن أصر المحبوس
وعلم القاضي قدرته على أداء الحق وكونه معانداً فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدريج كما يحتاج إليه وكذلك المحتسب يراعي التدريج فإن
احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك ما لم تثر فتنة كما لو قبض فاسق مثلاً على امرأة أو على
مزمار وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له خل عنها أو لأرمينك فإن لم يخل عنها فله أن
يرمي وينبغي أن لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما أشبهه ويراعي فيه التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر أو لأضربنك
فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين وقالت المعتزلة
ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للإمام لا للآحاد الدرجة الثامنة أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج
فيه إلى أعوان يشهرون السلاح فربما يستمد الفاسق أيضاً بأعوانه ويؤدي ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف
في احتياجه إلى إذن الإمام فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد
وقال آخرون لا يحتاج إلى الإذن وهو الأقيس لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تجر إلى ثوان ومنها تنتهي لا محالة
إلى التضارب والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغي أن يبالي بلوازم الأمر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله ودفع
معاصيه ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعاً لأهل الكفر فكذلك قمع أهل الفساد
جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والمسلم إن قتل فهو شهيد وكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله والمحتسب إن
قتل مظلوماً فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع
منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه فالمسألة إذن محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها

بيان آداب المحتسب قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب
مصدرها ثلاث صفات في المحتسب العلم والورع وحسن الخلق أما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على
حد الشرع فيه والورع ليزعه عن مخالفة معلومه فلا كل من علم عمل بل ربما يحمله عليه غرض من الأغراض وليكون كلامه ووعظه مقبولاً
فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جرأة عليه وأما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأساسه والعلم
والورع لا يكفيان فيه فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم
الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله وإلا فإذا أصيب عرضه
أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات
الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات وإن فقدت لم يندفع المنكر بل ربما كانت الحسبة أيضاً منكرة لمجاوزة حد
الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله عليه السلام لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر
به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيهاً مطلقاً بل فيما يأمر به وكذا الحلم وقال الحسن
البصري إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلا هلكت وقد قيل لا تلم المرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله

من ذم شيئاً وأتى مثله ❊ فإنما يزري على عقله ❊ ولأبي العتاهية **شعر** تدل على التقوى وأنت مقصر ❊ فيا من يداوي الناس وهو سقيم ❊
وإن امر المصطفى البر كله ❊ ولكن آية الدنيا لعديم ❊ ولسنا نعني به أن الآمر بالمعروف يصير ممنوعاً بالفسق ولكن يسقط أثره
عن القلوب بظهوره للناس وقد روي عن أنس قال قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله وأوصى بعض
السلف بنيه فقال إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب لم يجد مس
الأذى فإذاً من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف فقال حاكياً عن لقمان عليه
السلام يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع
الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد روي عن بعض المشايخ أنه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئاً
من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكراً فدخل الدار أولاً وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا أعطيك
بعد هذا شيئاً لسنورك فقال ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق
لم يقدر على الحسبة ومن طمع في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة قال كعب لأبي مسلم
الخولاني كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال إن التوراة تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه
فقال أبو مسلم صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون رحمه الله إذ وعظه واعظ وعنف له في القول
فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى فليكن
اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم فقد روي عن أبي أمامة الباهلي أن غلاماً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال
يا نبي الله أتأذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قربوه ادن مني فدنا حتى جلس بين يديه
فقال عليه السلام أتحبه لأمك فقال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم أتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال
كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أتحبه لأختك وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد لا جعلني الله فداك والنبي
صلى الله عليه وآله وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعاً في حديثهما أعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء أبغض إليه منه يعني من الزنا
وقيل للفضيل بن عياض إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه
فقال له قال لكم معشر العلماء كنتم سرج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة وكنتم نجوماً يهتدى بكم فصرتم حيرة ثم لا يستحيي أحدكم أن يأخذ مال
هؤلاء وقد علم من أين هو ثم يسند ظهره ويقول حدثني فلان عن فلان فرفع سفيان رأسه وقال والله
يا أبا علي إن لم نكن من الصالحين فإنا لنحب الصالحين وقال حماد بن سلمة إن صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه
أن يأخذوه بشدة فقال دعوني أنا أكفيكم فقال يا ابن أخي إن لي إليك حاجة قال وما حاجتك يا عم قال أحب أن ترفع من إزارك
فقال نعم وكرامة فرفع إزاره فقال لأصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم وقال محمد بن زكريا الغلابي شهدت عبد الله
بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة
فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر إليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن أخي ثم قال إلي يا ابن أخي
فاستحيى الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه
بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيى منه وبكى وهم
بالانصراف فقال الغلام قد أمر أن تأتيه فأدخله عليه فقال له أما استحييت لنفسك أما استحييت لشرفك أما ترى من ولدك فاتق
الله وانزع عما أنت فيه فبكى الغلام منكساً رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عهداً يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود لشرب
النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وأنا تائب فقال ادن مني فقبل رأسه وقال أحسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب الحديث

وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال إن الناس يأمرون بالمعروف ويكون معروفهم منكراً فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ما تطلبون
وعن الفتح بن شخرف قال تعلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره وكان الرجل شديد البدن فبينما
الناس كذلك والمرأة تصيح في يده إذ مر بشر بن الحارث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل إلى الأرض
ومضى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقاً كثيراً ومضت المرأة لحالها فسألوه ما حالك فقال ما أدري ولكن حاكني
شيخ وقال لي إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل فضعفت لقوله قدماي وهبته هيبة شديدة ولا أدري من ذلك الرجل
فقالوا له ذلك بشر بن الحارث فقال وا سوأتاه كيف ينظر إلي بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع
فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيه آثاراً وأخباراً في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب
آداب الصحبة فلا نطول بالإعادة فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب وآدابها والله أعلم بالصواب

الباب الثالث في المنكرات المألوفة على العادات تشير إلى جمل منها ليستدل
بها على أمثالها إذ لا مطمع في حصرها واستقصائها فمنها **منكرات المساجد** اعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى
محظورة فإذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه
فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه إلى من ليس يعرفه وإذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر مطلقاً فنريد به
المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظوراً فمما يشاهد كثيراً في المساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في
الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنه إلا عند الحنفي الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة
الصلاة إذ لا ينفع النهي معه ومن رأى مسيئاً في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الأثر وفي الخبر ما يدل
عليه إذ ورد في الغيبة أن المستمع شريك القائل وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها أو انحراف
عن القبلة بسبب ظلام أو عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح
فإن كان المعتكف في المسجد يضيع أكثر أوقاته في أمثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل فإن هذا أفضل
من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض وهي قربة تتعدى فائدتها فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وإن كان ذلك يمنعه عن الوراقة
أو الكسب الذي هو طعمته فإن كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وإن
احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادراً على التعلم فليمتنع
عن القراءة قبل التعلم فإنه عاص به وإن كان لا يطاوعه اللسان فإن كان أكثر ما يقرؤه لحناً فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها
وإن كان الأكثر صحيحاً وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنعه سراً
منه أيضاً وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى به بأساً والله أعلم ومنها تراسل المؤذنين
في الأذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين أو انفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف
إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها
فإن صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي
أن يمنع من الأذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على أذانه في صلاة
وترك سحور أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح ومن المكروهات أيضاً تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد
الصبح في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة إما من واحد أو جماعة فإنه لا فائدة فيه إذ لم يبق في المسجد نائم ولم يكن
الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف ومنها أن يكون الخطيب
لابساً لثوب أسود يغلب عليه الإبريسم أو ممسكاً لسيف مذهب فهو فاسق والإنكار عليه واجب وأما مجرد السواد فليس بمكروه
ولكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهوداً في العصر الأول ولكن إذا

لم يرد فيه نهي فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك الأحب ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة
فالقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والإنكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على
قصد إظهار الرد عليه إما للكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة قال الله تعالى لنبيه
فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومهما كان كلامه مائلا إلى الرجاء وتجرئة الناس على المعاصي وكان الناس يزدادون
بكلامه جراءة وبعفو الله ورحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم بل لو رجح
خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فإنهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه
لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نادى مناد يوم القيامة ليدخل
الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الأشعار
والإشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه
بقرائن أحواله بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين وإلا فلا يزداد
الناس به إلا تماديا في الضلال ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضا مظنة الفساد والعادات
تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوات ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عائشة رضي الله عنها
فقيل لها إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أحدثن
بعده لمنعهن وأما اجتياز المرأة في المسجد مستترة فلا تمنع منه إلا أن الأولى أن لا تتخذ المسجد مجازا أصلا وقراءة القراء بين
يدي الوعاظ مع التمديد والألحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد الترتيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف
ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما يجري مجراه فهذه منها ما هو
حرام لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الأطباء وكأهل الشعوذة والتلبيسات وكذا أرباب التعويذات في الأغلب
يتوصلون إلى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب
وتلبيس وإخفاء على المشتري فهو حرام ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة فهذا في المسجد أيضا
لا يحرم إلا بعارض وهو أن يضيق المكان على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم فإن لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والأولى تركه
ولكن شرط إباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة فإن اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات
ما يباح بشرط القلة فإن كثر صار صغيرة كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا لو فتح
بابه خيف أن ينجر إلى الكثير فليمنع منه وليكن هذا المنع إلى الوالي أو إلى القيم لمصالح المسجد من جهة الوالي لأنه لا يدرك ذلك
بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه خوفا من أن ذلك يكثر ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد
ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل
قليله ما روي في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف لأجل عائشة حتى نظرت إلى الحبشة يزفنون ويلعبون
بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد ولا شك في أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم يره على الندرة والقلة
منكرا حتى نظر إليه بل أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتستحسنهم عائشة تطييبا لقلبها إذ قال دونكم يا بني أرفدة كما
نقلنا في كتاب السماع وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يخشى تلويثهم أو شتمهم أو نطقهم بما هو فحش أو تعاطيهم
لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيره فأما المجنون الهادئ الساكن الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه
عن المسجد والسكران في معنى المجنون فإن خيف منه القذف أعني القيء أو الإيذاء باللسان وجب إخراجه وكذا إن كان مختلط
العقل فإنه يخاف ذلك منه وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة تفوح منه فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا ومن أكل
الثوم فقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حضور المساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والأمر في الخمر أشد فإن قال

قائل ينبغي أن يضرب السكران ويخرج عن المسجد زجرا قلنا لا بل ينبغي أن يلزم القعود في المساجد ويدعى إليه ويؤمر بترك
الشرب مهما كان في الحال عاقلا فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الآحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادة شاهدين
فأما لمجرد الرائحة فلا نعم إذا كان يمشي بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز أن يضرب في المسجد وغير المسجد منعا له عن
إظهار أثر السكر فإن إظهار الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستترا
مخفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الخمر وبوصوله إلى الفم دون الابتلاع فلا
ينبغي أن يعول عليه **منكرات الأسواق** من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في المرابحة وإخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه
بعشرة وقيمته بعشرة وربح درهم وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشتري بكذبه وإن سكت مراعاة لقلب البائع كان
شريكا له في الخيانة وعصى بسكوته وكذا إذا علم به عيبا فيلزمه أن ينبه المشتري عليه وإلا كان راضيا بضياع مال أخيه وهو حرام وكذلك
التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه إلى الوالي حتى يغيره ومنها ترك الإيجاب والقبول
والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط المعتادة بين الناس يجب
الإنكار فيها فإنها مفسدة للعقود وكذا في الربويات كلها وهي غالبة وكذا سائر التصرفات الفاسدة ومنها بيع الملاهي وبيع أشكال
الحيوانات المصورة في أيام العيد لأجل الصبيان فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي وكذلك بيع الأواني المتخذة من
الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير أعني التي لا تصلح إلا للرجال ويعلم بعادة البلد أنه لا يلبسه
إلا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها
ويزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو وما يؤدي إلى الالتباس وكذلك
جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبيسات وذلك يطول إحصاؤه فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره **منكرات الشوارع**
فمن المعتادات فيها وضع الأسطوانات وبناء الدكات متصلة بالأبنية المملوكة وغرس الأشجار وإخراج الرواشن والأجنحة
ووضع الخشب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضييق الطرق واستضرار المارة
وإن لم يؤد إلى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل إلى
البيوت فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكافة ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق
وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لأن الشوارع مشتركة وليس لأحد أن يختص بها
إلا بقدر الحاجة والمرعي هو الحاجة التي ترد الشوارع لأجلها في العادة دون سائر الحاجات ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث
يمزق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدها وضمها بحيث لا تمزق أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع وإلا فلا منع إذ حاجة
أهل البلد تمس إليه نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب
منع الملاك منه وكذلك القصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم فإنه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ
في دكانه مذبحا فإن في ذلك تضييقا وإضرارا بسبب ترشيش النجاسة وإضرارا بسبب استقذار الطباع للقاذورات وكذلك طرح
القمامة على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال
الماء من الميازيب المخرجة من الحائط في الطرق الضيقة فإن ذلك ينجس الثياب أو يضيق الطريق ولا يمنع منه في الطرق الواسعة
إذ العدول عنه ممكن فأما ترك مياه المطر والأوحال والثلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين
إلا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح
الطريق وإن كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيه إلا الوعظ فقط وكذلك
إذا كان له كلب عقور على بابه يؤذي الناس فيجب منعه منه وإن كان لا يؤذي إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته
لم يمنع منه وإن كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق

منكرات الحمامات منها الصور التي على باب الحمام او داخل الحمام يجب ازالتها على كل من يدخلها ان قدر فان كان الموضع مرتفعا لا تصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه ان يشوه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الاشجار وسائر النقوش سوى صور الحيوان ومنها كشف العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتغميز الافخاذ والاعجاز فهذا مكروه وان كان مع حائل ولا يكون محظورا اذا لم يخش حركة الشهوة ومنها غمس اليد والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء الا على مذهب مالك فلا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع المالكي والشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان يقول له انا نحتاج الى ان نغسل اليد اولا ثم نغمسها في الماء واما انت فمستغن عن ايذائي وتفويت الطهارة علي وما يجري مجراه فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر ومنها ان يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وازالته وينكر على الحمامي اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد تؤدي السقطة الى انكسار عضو او انخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على ارض الحمام منكر فمن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به انسان وانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي اذ حقه تنظيف الحمام والوجه ايجاب الضمان على تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم الثاني اذ عادة التنظيف كل يوم معتادة والرجوع في مواقيت اعادة التنظيف الى العادات وفي الحمام امور اخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك

منكرات الضيافة فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة او ذهب او الشرب او استعمال ماء الورد في اواني الفضة او ما رؤوسها من فضة ومنها اسدال الستور وعليها الصور ومنها سماع الاوتار او سماع القينات ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر الى الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات واما الصور التي على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكرا وكذا على الاطباق والقصاع لا الاواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤوس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر المقدار الذي يظهر به الصورة وفي المكحلة الصغيرة من الفضة تردد وقد خرج احمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا او كانت الثياب المفروشة حراما فهو من اشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا يحل حضور مجالس الشرب وان كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وانما النظر في مجالسته بعده وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير وخاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح ان ذلك منكر ويجب نزعه عنه ان كان مميزا لعموم قوله عليه السلام هذان حرام على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لانه يانس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتاده فيكون ذلك بذرا للفساد يبذر في صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ اما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزيين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف ولا ارى رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فان هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه على الاذن وفي المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاستئجار عليه غير صحيح والاجرة المأخوذة عليه حرام الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا الى الآن فيه رخصة ومنها ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد وان كان لا يقدر

عليه لم يجز وان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهية عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وان كان فيها مضحك بالحكايات وانواع النوادر فان كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار وان كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح اعني ما يقل منه فاما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد منه التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان طلبتك اليوم مائة مرة واعدت الكلام عليك الف مرة وما يجري مجراه مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتي حد المزح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات ومنها الاسراف في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران احدهما الاضاعة والآخر الاسراف فالاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال الى النائحة والمطرب وفي انواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة واما الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الا مائة دينار مثلا ومعه عياله واولاده ولا معيشة لهم سواه فانفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه منه قال تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك قال عز وجل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر ومن له عيال او كان عاجزا عن التوكل فليس له ان يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو ايضا اسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها مع ان نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة فكذا الدور وكذلك التجمل بالثياب والاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وامثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه المنكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او محذور واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع اصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها

المنكرات العامة اعلم ان كل قاعد في بيته اينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم الاعراب والاكراد والتركمانية وسائر اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل السواد ومن العرب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من اطعمتهم فان اكثرها مغصوب فان قام به واحد سقط الحرج عن الآخرين والا عم الحرج الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه ان يعرف غيره والا فهو شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ على اهل العلم فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمري الاثم على الفقهاء اشد لان قدرتهم فيه اظهر وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا امرا لا بد منه في صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان العلماء هم ورثة الانبياء وليس للانسان ان يقعد في بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذا كل من تيقن ان في السوق منكرا يجري على الدوام او في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لانه اذا كان خروجه لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه وانما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم ان يبدأ بنفسه

فيشتغل بالمواظبة على الرياض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهل بيته ثم يتعدى عنهم الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى
بلده ثم الى السواد المكتنف ببلده ثم الى اهل البوادي من الاكراد والعرب وغيرهم وهكذا الى اقصى العالم فان قام به الادنى
سقط عن الابعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض
دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه او بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله عن تجزئة الاوقات
في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض عين او فرض كفاية
هو اهم منه

الباب الرابع

في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر قد
ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق
بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ واما المنع بالقهر فليس ذلك
لآحاد الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور اكثر واما التخشين في القول كقوله
يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل
مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع
العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام
الى امام فامره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر
ووصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم افضل الجهاد عمر بن الخطاب فقال قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله
الحق ما له من صديق ولما علم المتصلبون في الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك اذا قتل فهو
شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين انواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله و
محتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف
وقد اوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات نعرف وجه الوعظ
وكيفية الانكار عليهم فمنها ما روي من انكار ابي بكر الصديق رضي الله عنه على اكابر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بالسوء وذلك ما روي عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو ما اكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم
يوما في الحجر فذكروا رسول الله فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه احلامنا وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق
جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على امر عظيم او كما قالوا فبينما هم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاقبل
يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال الا تسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد بيده لقد
جئتكم بالذبح فاطرق القوم حتى ما منهم رجل الا كانما على رأسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه باحسن
ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله حتى اذا كان من الغد
اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم
في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون انت الذي تقول كذا لما كان
بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله نعم انا الذي اقول ذلك قال فلقد رأيت منهم رجلا اخذ بمجامع ردائه قال
وقام ابو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ثم قال ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما
رأيت قريشا بلغت منه قط وفي رواية اخرى عن عبد الله بن عمرو قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بفناء الكعبة اذ
اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر فاخذ

بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وروي ان
معاوية حبس العطاء فقام اليه ابو مسلم الخولاني فقال له يا معاوية انه ليس من كدك ولا من كد ابيك ولا من كد امك قال فغضب
معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ثم خرج عليهم فقال ان ابا مسلم كلمني بكلام اغضبني واني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليغتسل واني دخلت
فاغتسلت وصدق ابو مسلم انه ليس من كدي ولا من كد ابي فهلموا الى عطاياكم وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال كان علينا
ابو موسى الاشعري اميرا بالبصرة فكان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي عليه السلام وانشأ يدعو لعمر رضي الله عنه قال فغاظني ذلك منه
فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض
لي في خطبتي فكتب اليه عمر ان اشخصه الي قال فاشخصني اليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج الي فقال من انت فقلت انا ضبة بن محصن العنزي فقال
لي لا مرحبا ولا اهلا قلت اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ولا مال فبماذا استحللت يا عمر اشخاصي من مصري بلا ذنب اذنبته ولا
شيء اتيته فقال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن اخبرك انه كان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي عليه السلام
انشأ يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكوني قال
فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل انت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قلت غفر الله لك يا امير
المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من ابي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك ان احدثك بليلته ويومه قلت نعم
قال اما الليلة فان رسول الله لما اراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه ابو بكر فجعل يمشي مرة امامه ومرة يمشي
خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هذا يا ابا بكر ما اعرف هذا من افعالك فقال يا
رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى
رسول الله صلعم ليلته على اطراف اصابعه حتى حفيت فلما رآها ابو بكر انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار
فانزله ثم قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيئا فحمله فادخله وكان
في الغار خرق فيه حيات وافاعي فالقمه ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منهن شيء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيؤذيه
وجعلت دموع ابي بكر تتحدر على خديه من الم ما يجده ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يا ابا بكر لا تحزن ان الله
معنا فانزل الله سكينته الطمأنينة لابي بكر فهذه ليلته واما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتدت العرب
فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فاتيته لا آلوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية
خوار في الاسلام فبماذا اتألفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا مما كانوا
يعطونه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه ثم كتب الى ابي
موسى الاشعري يلومه وعن الاصمعي قال دخل عطاء بن ابي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف
من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام اليه واجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا ابا محمد
حاجتك فقال يا امير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار
فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم واتق
الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له افعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا ابا محمد انما سألتنا
حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك قال ما لي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف وروي ان الوليد بن
عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا مر بك رجل فادخله علي ليحدثني فخرج الحاجب فوقف على الباب مدة فمر به عطاء بن
ابي رباح وهو لا يعرفه فقال يا شيخ ادخل على امير المؤمنين فانه امر بذلك فدخل عطاء على الوليد فقال السلام عليك يا وليد قال فغضب
الوليد على حاجبه فقال ويلك امرتك ان تدخل الي رجلا يحدثني ويسامرني فادخلت الي رجلا لم يرض ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي

عن حاجته فقال لحاجة امر بها عمر ثم قال لعطا اجلس ثم اقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه عطا ان قال له بلغنا في ان نحتهم
تقال له سبحت اعتق الله لكل انسان حاجته فضحك ضحك الوليد من قوله وكان نجالسا بين يدي عتبة باب المجلس فرفع على فقار
الحرون المجلس يعثبا عليه فقال عمر لعطا قمت امير المؤمنين فنبض عطا على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال
يا عمران لا تريد تجد ثم قام عطا فانصرف فحدثنا عن عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة اجد الم غمزته في ذراعي وكان
يا عمران لا تريد تجد ثم قام عطا فانصرف بلغنا ان ابن ابي شيبة يوصف بالعقل والادب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال
له عبد الملك تكلم قال بم اتكلم وقد علمت ان كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال الا ما كان لله قال فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك الله
لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون فقال يا امير المؤمنين ان الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى
فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت ابدا وروي عن
ابن ابي عائشة ان الحجاج دعا بفقها البصرة وفقها الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري اخر من دخل فقال الحجاج مرحبا
بابي سعيد الي الي ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسالنا اذ ذكر علي بن ابي طالب
عليه السلام فنال منه ونلنا مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد ما لي اراك ساكتا قال ما
عسيت ان اقول قال اخبرني برايك في ابي تراب قال سمعت الله عز وجل يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله فعلي ممن هدى الله من اهل الايمان فاقول
ابن عم النبي وختنه على ابنته واحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع انت ولا احد من الناس
ان يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها فاقول انه ان كانت لعلي هنات فالله حسيبه والله ما اصيب فيه قولا اعدل من هذا فبسر
وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد
اغضبت الامير واوغرت صدره فقال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة اتيت شيطانا من شياطين
الانس تكلمه بهواه وتقاربه في رايه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان سئلت فصدقت او سكت فسلمت قال عامر يا ابا سعيد قد
قلتها وانا اعلم ما فيها قال الحسن فذاك اعظم في الحجة عليك واشد في التبعة قال وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال
انت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما اخذ الله على العلماء من المواثيق
ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال يا حسن امسك عليك لسانك واياك ان يبلغني عنك ما اكره فافرق بين راسك وجسدك وحكي ان حطيط
الزيات جيء به الى الحجاج فلما دخل عليه قال انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال
ان سئلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن وان عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال اقول انك من اعداء الله في الارض
تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال اقول انه اعظم جرما منك وانما انت
خطية من خطاياه قال فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب فانتهى به العذاب الى ان شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه
بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا قال فقيل للحجاج انه في اخر رمق قال اخرجوه
وارموا به في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب له فقلنا حطيط الك حاجة قال شربة ماء فاتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثماني
عشرة سنة رحمه الله وروي ان عمر بن هبيرة دعا بفقها اهل البصرة واهل الكوفة واهل المدينة واهل الشام وقرائها
فجعل يسالهم وجعل يكلم عامر الشعبي فجعل لا يساله عن شي الا وجد عنده فيه علما ثم اقبل على الحسن البصري فساله ثم قال هما هذان
هذا رجل اهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن فامر الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فاقبل
على الشعبي فقال يا ابا عمرو اني امين امير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني
حقهم فانا احب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يبلغني عن العصابة من اهل الديار الامر اجد عليهم فيه فاقبض
طائفة من عطائهم فاضعه في بيت المال ومن نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المؤمنين اني قبضته على ذلك النحو فيكتب الي ان لا

ترده فلا استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مامور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور تبعة والنية
فيها على ما ذكرت قال الشعبي فقلت اصلح الله الامير انما السلطان والد يخطئ ويصيب قال فسر بقولي واعجب به ورايت
البشر في وجهه وقال فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال ما تقول يا ابا سعيد قال قد سمعت قول الامير يقول انه امين امير
المؤمنين على العراق وعامله عليه ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق
الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة ويقول اني ربما قبضت
من عطائهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ امير المؤمنين اني قبضتها على ذلك النحو فيكتب
الي ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله الزم من حق امير المؤمنين والله احق ان تطيع
ولا طاعة في معصية الله فاعرض كتاب امير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وان
وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان ياتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك
ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة وان
كان لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل واني احذرك باسه الذي لا يرد باسه عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة
اربع على ظلعك ايها الشيخ واعرض عن ذكر امير المؤمنين فان امير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل
وانما ولاه الله ما ولاه من امر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط
وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على امر اخرتك خير من ان تلقى رجلا
يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا
معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا وكان
اهلا لما ادي اليه وكنا اهلا ان يفعل ذلك بنا فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلماء الا مثل الفرس العربي بين المقاريف
وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وانا اعاهد الله ان لا اشهد سلطانا بعد
هذا المجلس فاحابيه ودخل محمد بن واسع على بلال بن ابي بردة فقال له ما تقول في القدر قال جيرانك اهل القبور فتفكر فيهم فان
فيهم شغلا عن القدر عن الشافعي قال حدثنا عمي محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس امير المؤمنين الرشيد خرج الى الحج فلما
كان بظهر الكوفة اذا ابو بهلول المجنون على قصبة وخلفه صبيان وهو يعدو فقال من ذا قالوا بهلول المجنون قال كنت
اشتهي ان اراه فادعوه من غير ترويع فقالوا له اجب امير المؤمنين فعدا على قصبته فقال الرشيد السلام عليك يا بهلول فقال
وعليك السلام يا امير المؤمنين من رزقه الله مالا وجمالا فعف في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الابرار وظن الرشيد
انه يريد شيئا فقال قد امرنا ان نقضي دينك فقال لا لا يقضى دين بدين اردد الحق على اهله واقض دين نفسك من نفسك
من نفسك واحدة انا نهلكها اذ عنت فقال الرشيد فانا قد امرنا ان نجري عليك فقال يا امير المؤمنين ان الله لا يعطيك وينساني
ثم ولى هاربا وفي بعض الروايات ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا امير المؤمنين رجل اتاه الله مالا وجمالا فانفق
ماله وعف في جماله كتب خالصا ويلك الله من الابرار فقال الخليفة يا بهلول مع الجائزة قال اردد الجائزة على من اخذتها منه فلا
حاجة لي فيها قال يا بهلول فان يكن عليك دين قضيناه فقال يا امير المؤمنين هؤلاء اهل العلم بالكوفة متوافرون اجمعت ارائهم
ان قضاء الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك او يقيمك قال فرفع راسه الى السما ثم قال يا امير المؤمنين انا وانت
من عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني قال فاسبل عونه السجف ومضى وعن ابي العباس الهاشمي عن صالح بن المنتصر
قال دخلت على حارث المحاسبي رحمه الله فقلت له يا ابا عبد الله حاسبت نفسك فقال هذا كان مرة قلت له فاليوم قال اكاتم
حالي لا تراني اقرا اية من كتاب الله عز وجل فاضن بها ان تسمعها نفسي ولولا ان يغلبني فيها فرح ما اعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا

في محراب وقد أنا أمير المؤمنين حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له من أنت قال أنا واحد من السائحين أقصد
المتعبدين في خلواتهم ولا أرى لك اجتهاداً فأي شيء عملك قال قلت كتمان المصائب واستجلاب الفوائد قال الصلاح وقال
ما علمت أن لله عباداً يحبون الشرف والقرب من صفته وقال الحارث ما زدت أنا أن زيد عليه قلت أما علمت أن أهل القلوب
يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشي عليه فمكث عندي يومين
لا يعقل ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه فعلمت أنه زال عقله فأخرجت له ثوباً جديداً وقلت له هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل وأعد
صلاتك قال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له أين تريد فقال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على
المأمون أمير المؤمنين فسلم عليه ثم قال يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم أستغفر الله من تقصيري فيك أما تتقي الله عز وجل
فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه المأمون وقال من أنت قال أنا رجل من السائحين
فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجد لنفسي فيه حظاً فتعلقت بموعظتك لعلي ألحقهم قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد
على الباب ملفوفاً في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فليأخذه قال الحارث فاختفيت عنه فأخذه أقوام غرباء فكنت
معهم أعلمهم بحاله فدفنت في مسجد في المقابر محزوناً على الفتى فغلبتني عيناي فإذا هو بين وصائف لم أر أحسن منهن وهو يقول
يا حارث أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت إلى جماعة
ركبان فقلت من أنتم قالوا الواعظين كنحو فعل هذا الذي لم يكن في قلبه ما وصفت فشأخرج للأمر والنهي وإن الله عز وجل أنزلهم معنا
وغضب لعبده وعن أحمد بن إبراهيم المقري قال كان أبو الحسين النوري رجلاً قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش
عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة
إذ رأى زورقاً فيه ثلاثون دناً مكتوب عليها بالقار لطف فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه بلطف
فقال للملاح إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشاً إلى معرفته
فقال له أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان فقال الملاح أنت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد أن يتم به مجلسه فقال
النوري وهذا خمر قال نعم قال أحب أن تعطيني ذلك المردي فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه المردي حتى ننظر إيش يصنع
فلما صار المردي في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دناً دناً حتى أتى على آخرها إلا دناً واحداً والملاح يستغيث إلى أن ركب
صاحب الجسر وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم
يشك الناس في أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من أنت
قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الإمامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق إلى الأرض ساعة
ثم رفع رأسه إلي وقال ما الذي حملك على ما صنعت فقلت شفقة مني عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت
قال فأطرق مفكراً في كلامي ثم رفع رأسه إلي وقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة أخبر بها أمير
المؤمنين إن أذن فقال هات خبرني فقلت يا أمير المؤمنين إني أقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه وتعالى لي بذلك وغمر
قلبي شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن
فحدثت نفسي كبراً على أني أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال
المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسن فقلت يا أمير المؤمنين بغض إلي التغيير لأني كنت
أغير عن الله عز وجل وأنا الآن أغير عن شرطي فقال المعتضد ما حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تأمر بإخراجي سالماً فأمر
له بذلك وخرج إلى البصرة وكان أكثر أيامه بها خوفاً من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة إلى أن توفي المعتضد ثم
رجع إلى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا
على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية

فليتهما إذ لم يتكلما سكتا وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو
صدقوا الله وقصدوا حق العلم لأفلحوا ففساد الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء
حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر والله المستعان
على كل حال آخر كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه وأدب نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فأحسن تأديبه
وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه وصلى الله
على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين أما بعد فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح
ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب هي مغارس الأفعال ومنابعها وأنوار السرائر هي التي
تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره
مشكاة الأنوار الإلهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب
جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات
قد أتى على جمل من الآداب فاستثقلت تكريرها وإعادتها فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرأيت
أن أقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخلاقه المأثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلاً
فصلاً محذوفة الإسناد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع
بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة وأجلهم قدراً فكيف مجموعها ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي
صحت بها الأخبار ليكون ذلك معرباً عن مكارم الأخلاق والشيم ومنتزعاً عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى ولي
التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين
ولنذكر فيه أولاً بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن ثم بيان جوامع محاسن أخلاقه ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ثم بيان ضحكه وكلامه
ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان آدابه وأخلاقه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان إغضائه عما كان يكره ثم
بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وآله

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً عليه السلام بالقرآن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير الضراعة
والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي
ويقول اللهم جنبني منكرات الأخلاق فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل ادعوني أستجب لكم فأنزل عليه القرآن وأدبه
به فكان خلقه القرآن قال سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت أما
تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلين وقوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله تعالى واصبر
على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور وقوله تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور وقوله تعالى فاعف عنهم واصفح إن الله
يحب المحسنين وقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم وقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة
كأنه ولي حميم وقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقوله تعالى اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا
تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ولما كسرت رباعيته يوم أحد جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا
وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء تأديباً له على ذلك وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر

ومن المقصود للاطلاع بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فإنه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ولذلك قال صلى الله
عليه وآله وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق
فلا نعيده مما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال وإنك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما
أعظم شأنه وما أتم امتنانه ثم انظر إلى عميم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم أثنى فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال وإنك لعلى
خلق عظيم ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها قال علي عليه السلام يا عجبا لرجل
مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغي له أن يسارع في مكارم
الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما أتي بسبايا
طيء وقعت جارية في السبي فقالت يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي وإن أبي
كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم طيء فقال
النبي عليه السلام يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق
وإن الله تبارك وتعالى يحب مكارم الأخلاق فقام أبو بردة بن نيار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق فقال والذي نفسي
بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق وعن معاذ بن جبل عن النبي عليه السلام قال إن الله تعالى حف الإسلام بمكارم الأخلاق
ومحاسن الأعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف وإطعام الطعام وإفشاء السلام وعيادة
المريض برا كان أو فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم وإجابة
الطعام والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين الناس والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب
ما حرمه الإسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة
والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد
والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم قال أنس رضي الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو قال
عيبا أو قال شينا إلا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الآية إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى الآية وقال معاذ
رضي الله عنه أوصاني رسول الله صلعم قال يا معاذ أوصيك باتقاء الله وحسن الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة ولين الكلام ولزوم الإيمان
والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكيما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما
أو تعصي إماما عادلا أو تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية
بالعلانية فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب **بيان** جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها
بعض العلماء والتقطها من الأخبار فقال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس
لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا
درهم وإن فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه
فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسأل شيئا إلا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى
ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن وكان أشد
الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ويجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها
ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين يغضب لربه عز وجل ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر
عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى
وقال إنا لا ننتصر بمشرك ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة
وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم

حلال إن وجد تمرا دون خبز أكله وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد
لبنا دون خبز اكتفى به وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله لا يأكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدمه لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية
حتى لقي الله تعالى إيثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس أشد
الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر وأبلغهم في غير تطويل وأحسنهم بشرا لا يهوله شيء من أمور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة
ومرة حبرة ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الأيمن والأيسر يردف خلفه عبده أو غيره يركب ما أمكنه
مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في أقصى المدينة
يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم يصل
ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يجفو على أحد يقبل معذرة المعتذر إليه يمزح ولا يقول إلا حقا يضحك من غير قهقهة
يرى اللعب المباح فلا ينكره يسابق أهله وترفع الأصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها وكان
له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه يخرج إلى بساتين أصحابه
لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة
التامة وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع
محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم
الواجب وترك الفضول وفقنا الله تعالى لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين رب العالمين **بيان** جملة أخرى من أخلاقه
وآدابه مما رواه أبو البختري قال ما شتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدا من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة وما لعن
امرأة قط ولا خادما بلعنة وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا وكان إذا سئل أن
يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له وما ضرب بيده أحدا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله وما
انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم
فيكون أبعد الناس من ذلك وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته وقال أنس والذي بعثه بالحق ما قال
لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لامني أحد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر وما عاب رسول الله صلعم مضجعا
إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض وقد وصفه الله في التوراة قبل أن يبعثه في السطر الأول فقال محمد رسول
الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابة
وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاة للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه وكذلك نعته في الإنجيل وكان من خلقه أن يبدأ
من لقيه بالسلام ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر وكان إذا
لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله تعالى وكان لا يجلس
إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته وكان أكثر جلوسه أن ينصب
ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه لأنه كان حيثما انتهى به المجلس جلس وما رؤي
قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان
يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة
التي تكون تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس
إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة
وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراما
لهم واستمالة لقلوبهم ويكني من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به وكان يكني أيضا النساء اللاتي لهن الأولاد واللاتي لم يلدن

مندیل ابن الكبى ويكفى المتيا نعيسلينه تلويهم وكان ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا وكان ارأف الناس بالناس
وخير الناس للناس وانفع الناس للناس ولم يكن تمنع في مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك
اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيه جبريل عليه السلم **بيان** كلامه وضحكه صلى الله عليه وآله
وسلم وكان عليه السلم افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما ويقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد عليه السلم
وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام سردكم
هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون الكلام نثرا قالوا وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل عليه السلم وكان مع الايجاز يجمع كل
ما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلامه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير
الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب الا الحق ويعرض
عمن تكلم بغير جميل ويكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه واذا تكلم سكت جلساؤه ولا يتنازع عنده
في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه وكان اكثر الناس تبسما
وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم
اقتداء به وتوقيرا له قالوا ولقد جاءه اعرابي يوما وهو عليه السلم متغير ينكره اصحابه فاراد ان يسأله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا
ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال يأتي الناس
بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى لي بابي انت وامي ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى اهلك هزلا ام اضرب في ثريده حتى اذا
تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين
قالوا وكان من اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يذكر الساعة او يخطب بخطبة عظة وكان اذا سر ورضي
فهو احسن الناس رضا فان وعظ وعظ بجد وان غضب ولم يكن يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في اموره كلها وكان
اذا نزل به الامر فوض الامر الى الله وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم ارني الحق حقا فاتبعه وارني المنكر منكرا
وارزقني اجتنابه واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي
في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم **بيان** اخلاقه وآدابه في الطعام كان صلى
الله عليه وآله وسلم يأكل ما وجد وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة
قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي
الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم كثيرا ما يجلس كذا ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وكان لا يأكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله لم يطعمنا نارا فابردوه وكان يأكل مما يليه ويأكل باصابعه الثلاث وربما استعان
بالرابعة ولم يأكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان وجاءه عثمان بن عفان رضي الله عنه بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله
قال بابي انت وامي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم ناخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل
ثم نسوطه حتى ينضج فياتي كما ترى فقال عليه السلم ان هذا الطعام طيب وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب وبالملح
وكان احب الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما اكله بالرطب ويستعين باليدين
جميعا واكل يوما رطبا كان في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فاشار اليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى
وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وكان ربما اكل العنب خرطا يرى زؤانه على لحيته كخرز اللؤلؤ وهو الماء الذي يتحدر منه
وكان اكثر طعامه الماء والتمر وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع
وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يأكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع
ويقول انها شجرة اخي يونس صلوات الله عليه قالت عائشة كان يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانه يشد

قلب الحزين وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويؤتى به فيأكله وكان اذا اكل اللحم لم
يطأطئ رأسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينتهسه انتهاسا وكان يأكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن
القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب
من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول وكان لا يأكل من الشاة سبعا
الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحياء والدم ويكره ذلك وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما
قط لكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان يلعق الصحفة
باصابعه ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة
ويقول انه لا يدري في اي الطعام البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت فاشبعت وسقيت فارويت لك الحمد غير مكفور ولا
مودع ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في
ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي اواخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعب عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ
وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان يدفع فضل سؤره الى من على يمينه فان كان من على يساره اجل رتبة قال للذي على يمينه
السنة ان تعطي فان احببت آثرتهم واتي باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال
عليه السلم لا احرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فانه من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته
اشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما يأكل
او يشرب بنفسه **بيان** آدابه واخلاقه في اللباس كان النبي عليه السلم يلبس من الثياب ما وجد من ازار او رداء او قميص او جبة
او غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض ويقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو
للحرب وغير المحشو وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار
فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران
وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد
وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام به الناس
على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما
صلى بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء اسود
فوهبه فقالت له ام سلمة بابي انت وامي ما فعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت ما رأيت شيئا قط كان احسن من بياضك على سواده
وقال انس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يستذكر به الشيء
وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته
من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب
فوهبها من علي رضي الله عنه فربما طلع علي فيها فيقول عليه السلم اتاكم علي في السحاب وكان اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول
الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه خرج من مياسره وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه
مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه ذراع وشبرا
ونحوه وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقتين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره وكان من خلقه تسمية دوابه
وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذا الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر
يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكانت قبيعة سيفه محلاة بالفضة وكان لقوسه الكتوم وجعبته الكافور وكان اسم
ناقته القصواء وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة وكان له

مطرح من مغافر متوضأ فيما رش به ماء فيه سل الناس أو لأدمم الصغار الذين قد عقلوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فلا يدعون عنه وإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم يبتغون بذلك البركة
عفوه مع القدرة كان النبي عليه السلم أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع القدرة حتى أتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها
بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل فقال ويحك فمن يعدل عليك بعدي
فلما ولى قال ردوه علي رويدا وكان عليه السلم يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا
نبي الله اعدل فقال عليه السلم ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذا وخسرت إن كنت لا أعدل فقام عمر رضي فقال ألا أضرب
عنقه فإنه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي وكان عليه السلم في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء
رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني فقال عليه السلم الله عز وجل قال فسقط
السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ قال قل أشهد أن لا إله إلا
الله فقال الأعرابي لا إلا أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس
وروى أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها إلى النبي فسألها عن ذلك فقالت
أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا ألا نقتلها فقال لا وسحره رجل من اليهود فأخبره جبرئيل بذلك حتى استخرج
وحل عقده فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط وقال علي بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والزبير
والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا
أخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي فإذا فيه من
حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا حاطب ما حملك على
هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهليهم فأحببت
إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادا
عن ديني فقال رسول الله صدقكم فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال عليه السلم إنه شهد بدرا وما يدريك
لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقسم صلى الله عليه وآله وسلم فقال رجل من الأنصار
إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي فاحمر وجهه وقال رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر وكان عليه السلم
يقول لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر **بيان** إغضائه عما كان
يكرهه كان النبي عليه السلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان إذا اشتد وجده أكثر
من مس لحيته وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم
لو قلتم لهذا أن يدع هذه الصفرة وبال أعرابي في المسجد بحضرته فهم به الأصحاب فقال لا تزرموه أي لا تقطعوا عليه البول ثم
قال إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء وفي رواية قربوا ولا تعسروا وجاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا
فأعطاه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال أحسنت إليك فقال الأعرابي لا ولا أجملت قال فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار
إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل
وعشيرة خيرا فقال له النبي عليه السلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت
بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغداة أو العشي جاء فقال النبي عليه السلم إن هذا الأعرابي قال
ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال عليه السلم إن مثلي ومثل هذا
الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحب الناقة أن خلوا بيني وبين
ناقتي فإني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا هونا حتى

جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار **بيان**
سخائه وجوده كان عليه السلم أجود الناس بالخير وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا وكان علي رضي الله عنه
إذا وصف النبي عليه السلم قال كان أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم
عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله وسلم وما سئل شيئا قط
على الإسلام إلا أعطاه وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا
يخشى الفاقة وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى
فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر رضي يا رسول الله ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه فكره ذلك صلى الله عليه وآله وسلم فقال الرجل أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا فتبسم النبي عليه السلم وعرف السرور
في وجهه ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف عليه السلم وقال أعطوني
ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا **بيان** شجاعته صلى الله عليه
وآله وسلم كان صلى الله عليه وآله وسلم أنجد الناس وأشجعهم قال علي رضي الله عنه لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي عليه السلم
وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وقال أيضا كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه وقيل كان عليه السلم قليل الحديث قليل الكلام فإذا أمر الناس بالقتال
تشمر وكان من أشد الناس بأسا وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن الحصين ما لقي رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب قالوا وكان قوي البطش ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته وهو يقول أنا
النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فما رئي يومئذ أحد أشد منه **بيان** تواضعه عليه السلم كان عليه السلم أشد الناس تواضعا
في علو منصبه قال ابن عامر رأيته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة
وكان مع ذلك يستردف وكان يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في
بيته مع أهله في حاجتهم وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم وأتي صلى الله
عليه وآله وسلم برجل فأرعد من هيبته فقال هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وكان
يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب
فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت عائشة رضي كل جعلني الله فداك متكئا فإنه أهون عليك قال فأصغى برأسه حتى
كاد أن يصيب جبهته الأرض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق
بالله عز وجل وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال لبيك وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ
معهم وإن تحدثوا في طعام وشراب تحدث معهم وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم وكانوا يتناشدون
الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية فيضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام **بيان**
صورته وخلقته صلى الله عليه وآله وسلم كان من صفته صلى الله عليه وآله وسلم في قامته أنه لم يكن بالطويل البائن ولا القصير المتردد
بل كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ومع ذلك لم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو صلى الله عليه وآله وسلم إلى الربعة
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل الخير كله في الربعة وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا الشديد البياض والأزهر
هو الأبيض الناصع الذي لا يشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان ونعته عمه أبو طالب فقال **شعر** وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل ونعته بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا إنما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة
والأزهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه وكان عرقه عليه السلم في وجهه كاللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر وأما شعره فقد كان رجل

الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط كان اذا امشط بالمشط اي كانه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه واكثر
الرواية انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنيه فيبدو سوالفه
يتلألأ وكان شيبه في الراس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك وكان صلى الله عليه وآله وسلم احسن الناس وجها وانورهم
لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون فيه كما وصفه صاحبه
ابو بكر الصديق حين يقول شعر امين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام • وكان عليه السلام واسع الجبهة ازج الحاجبين
سابغهما وكان ابلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجهما وكان في عينيه نجل من حمرة
وكان اهدب الاشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان اقنى العرنين اي مستوي الانف وكان مفلج الاسنان اي متفرقها وكان اذا
افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلألأ وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم وكان سهل الخدين صلتهما
ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفي لحيته ويأخذ شاربه وكان من احسن الناس عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى
القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكانه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان عليه
السلام عريض الصدر لا يعدو لحم بعضه بعضا كالمرآة في استوائها وكالقمر في بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد
كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الازار منها واحدة ويظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين
اشعرهما ضخم الكراديس اي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه
الايمن فيه شامة سوداء الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين
رحب الراحتين سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب او لم يمسها
يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار
من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره السن واما
مشيه عليه السلام فكان يمشي كانما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطى وكان عليه
السلام يقول انا اشبه الناس بآدم عليه السلام وكان ابي ابراهيم اشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان يقول ان لي عند ربي عشرة اسماء
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا العاقب الذي ليس بعده احد وانا الحاشر يحشر العباد على قدمي وانا رسول
الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعا وانا قثم قال ابو البختري القثم الكامل الجامع **بيان** معجزاته
وآياته الدالة على صدقه اعلم ان من شاهد احواله صلى الله عليه وآله وسلم او اصغى الى سماع اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله واحواله
وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتاليفه اصناف الخلق وقوده اياهم الى الطاعة مع ما يحكى من عجائب
اجوبته في مضايق الاسولة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن
ادراك اوائله مدة اعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك
الا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور للكذاب والملبس بل كانت شمائله واحواله شواهد قاطعة بصدقه
حتى ان العربي القح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب وكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد اخلاقه ومارس احواله
في جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه لتعرف محاسن الاخلاق ولتتنبه لصدقه صلى الله عليه وآله وسلم وعلو
منصبه ومكانه العظيم عند الله اذ اتاه الله جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم
ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين حصل له من محاسن الاخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه
مثلا فقط دون غيرها من العلوم فضلا عن معرفة الله وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن اين
للبشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر
من جملتها ما استفاضت به الاخبار واشتملت عليه الكتب الصحاح اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله

العادة الباهرة على يده غير مرة اذ شق له القمر بمكة لما سالته قريش آية واطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل ابي طلحة يوم الخندق ومرة
اطعم ثمانين من اربعة امداد شعير وعناق وهو من اولاد المعز فوق العتود ومرة اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها
انس في يده ومرة اهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ونبع الماء من بين اصابعه
عليه السلام فشرب اهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضأوا من قدح صغير ضاق عن ان يبسط عليه السلام يده فيه واهراق عليه السلام
وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة اخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا
وشرب من بئر الحديبية الف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء وامر عليه السلام عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من تمر كان في
اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وابطل الله تعالى الكهانة بمبعثه صلى الله عليه وآله وسلم فعدمت وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع
الذي كان يخطب اليه لما عمل له عليه السلام المنبر حتى سمع منه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني الموت
واخبرهم بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذه الآية مذكورة في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الاسلام
شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التي فيها واخبر عليه السلام بالغيوب وانذر بان عثمان رضي تصيبه بلوى بعدها
الجنة وبان عمارا تقتله الفئة الباغية وان الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين واخبر عليه السلام عن رجل قاتل في
سبيل الله انه من اهل النار فظهر ذلك بان ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها اشياء لا تعرف البتة بشيء من وجوه تقدمة المعرفة لا بتنجيم
ولا بكتب ولا بخط ولا بزجر لكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه واتبعه سراقة بن جعشم فساخت قدما فرسه في الارض واتبعه
دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وانذره بان سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى فكان كذلك واخبر بقتل الاسود العنسي
الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن واخبر بمن قتله وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه وشكا اليه
البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال لنفر من اصحابه مجتمعين احدكم في النار ضرسه مثل احد فماتوا كلهم على استقامة وارتد واحد منهم
فقتل مرتدا وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في نار فاحترق فيها فمات ودعا شجرتين فاتتاه فاجتمعتا
ثم امرهما فافترقتا ودعا عليه السلام النصارى الى المباهلة فامتنعوا فاخبرهم انهم ان فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا
واتاه عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحيل بينهما وبينه ودعا عليهما فهلك
عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة احرقته واخبر عليه السلام انه سيقتل ابي
بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا لطيفا فكانت منيته منه واطعم عليه السلام السم فمات الذي اكله معه وعاش هو صلى الله عليه وآله
وسلم بعده اربع سنين وكلمه الذراع المسموم واخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا
رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع وانذر عليه السلام بان طوائف من امته يغزون في البحر فكان كذلك وزويت له الارض
فاري مشارقها ومغاربها واخبر بان ملك امته سيبلغ ما زوي له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من اول المشرق من بلاد
الترك الى آخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما اخبر صلى الله عليه وآله وسلم سواء واخبر
فاطمة ابنته رضي الله عنها بانها اول اهله لحاقا به فكان كذلك واخبر نساءه بان اطولهن يدا اسرعهن لحوقا به فكانت اطولهن يدا بالصدقة اولهن لحوقا به ومسح ضرع
شاة حائل لا لبن لها فدرت فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود رضي الله عنه وفعل ذلك مرة اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية
وندرت عين بعض اصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت اصح عينيه واحسنهما وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو ارمد يوم
خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم واصيبت رجل بعض اصحابه فمسحها
بيده فبرئت من حينها وقل زاد جيش كانوا معه عليه السلام فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في العسكر
الا ملئ من ذلك وحكى الحكم بن ابي العاص مشيته مستهزئا فقال عليه السلام كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات وخطب عليه السلام امرأة
فقال له ابوها ان بها برصا فقال عليه السلام فلتكن كذلك فبرصت وهي ام شبيب بن البرصاء الشاعر الى غير ذلك من آياته ومعجزاته وانما اقتصرنا

على المستيقن ومن يستريب في الخوارق العادة على يديه ويزعم ان احاد هذه الوقائع لم يتصل بل ما بلغ التواتر القرآن فقط لكمن
يستريب في شجاعة علي وسخاوة حاتم ومعلوم ان احاد هذه الوقائع غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم
لا تمارى في تواتر القرآن وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وآله وسلم اذ تحدى
بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب
حينئذ مملوءة بالالاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي بين اظهرهم ان يأتوا بمثله او بعشر سور
مثله او بسورة من مثله ان شكوا فيه وقال لهم لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا
انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته
وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد
عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر احد على معارضته فاعظم بغباوة
من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته
ثم في استمرار شرعه الى الآن ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان
ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم
يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من آمن به وصدقه
واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى ان يوفقنا
للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاقوال والاحوال
بلا حول ولا قوة الا بالله وسعة جوده انه سميع
مجيب وصلى الله على محمد وآله اجمعين
وقد فرغت من تحريره في رابع عشرين من
شهر جمادى الثاني سنة سبع
وتسعين وثمانمائة
الهجرية المصطفوية
والحمد لله اولا وآخرا
وصلى على محمد وآله
وصحبه
اجمعين
تم

يا ناظرا فيه سل الله مرحمة ... على المصنف واستغفر لصاحبه
واطلب لنفسك من خير تريد بها ... من بعد ذلك غفرانا لكاتبه

كتاب شرح عجائب القلب وهو الكتاب الأول من ربع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تتحير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلاة على سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين أما بعد فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو المعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل وأكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوي مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين وإذ فرغنا في الشطر الأول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد أن نقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الأسامي

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بهذه الأسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معاني هذه الأسامي ما يتعلق بغرضنا

اللفظ الأول لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمطالب والمعاتب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته وإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين أحدهما أنه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره أن يتكلم فيه والمقصود أنا إذا أطلقنا القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها

اللفظ الثاني الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي شرحناه في أحد معاني القلب وهو الذي أراده الله تعالى بقوله قل الروح من أمر ربي وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته

اللفظ الثالث النفس وهو أيضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل الصوفية لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فإنها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء وقد يجوز أن يقال المراد بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فإذا النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات

اللفظ الرابع العقل وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق

العقل

ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعنى المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم اول ما خلق الله تعالى
فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفى الخبر انه قال
له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر الحديث فاذن قد انكشف لك ان معانى هذه الاسامى موجودة وهى القلب الجسمانى والنفس الشهوانية
والعلوم فهذه اربعة معان قد يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهى اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها
تتوارد عليه فالمعانى خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها
فتراهم يتكلمون فى الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدرى الناظر
اختلاف معانى هذه الاسماء ولاجل كشف الغطاء عنه قدمنا شرح هذه الاسامى وحيث ورد فى القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى
الذى يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذى فى الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة
فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها
ولذلك شبه سهل التسترى القلب بالعرش والصدر بالكرسى فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسى ولا يظن به انه يرى انه عرش الله
تعالى وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسى بالنسبة الى الله
ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه **بيان** جنود القلب قال الله تعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه وتعالى فى القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها
الا هو ونحن الان نشير الى بعض جنود القلب فهو الذى يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر
وهو فى حكم الملك والجنود فى حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن
واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت
مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان
بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة
لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان فى شىء وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها
والاجفان تطيع القلب فى الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود
من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذى لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه وتعالى وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب
قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وزاده العلم والاسباب التى توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل
الصالح وليس يمكن العبد ان يصل الى الله تعالى ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل
الاقصى فالدنيا مزرعة الآخرة وهى منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم
فالبدن مركبه الذى يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء
وغيره وان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد
والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق فى القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التى هى آلات الشهوات وافتقر لاجل دفع المهلكات
الى جندين باطن وهو الغضب الذى به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذى بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل
ذلك بامور خارجة عن البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لم ينفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى
جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة
اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منه فى كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها
ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب النافع الموافق كالشهوة واما الى دفع الضار المنافى كالغضب وقد يعبر عن هذا
الباعث بالارادة والثانى هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثانى بالقدرة وهى جنود مبثوثة فى سائر

الغضب

الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهى قوة البصر والسمع والشم والذوق
واللمس وغيرها وهى مبثوثة فى اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة
وهى الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التى اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما هى بالاصابع
وقوة البصر انما تدرك بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم فى الجنود الظاهرة اعنى الاعضاء فانها من عالم
الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما ايد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى
ما اسكن المنازل الظاهرة وهى الحواس الخمس اعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهى تجاويف
الدماغ وهى ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشىء يغمض عينيه فيدرك صورته فى نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه
بسبب شىء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معانى
المحسوسات فى خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففى الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة
الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة
فهذه هى اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول
من العلماء ولكنا نجتهد فى تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم **بيان** امثلة القلب مع جنوده الباطنة اعلم ان
جندى الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذى يسلكه وتحسن مرافقتهما فى السفر الذى هو
بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغى وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذى به وصوله
الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتى شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله
على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا
وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم فى استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغى ان
تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب ذلك الى فهمك بثلثة امثلة المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان
فى بدنه اعنى بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك فى مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمه ومستقره ومدينته وجوارحه وقواه
بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى
المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر
الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح فى آرائه وتدبيراته حتى انه لا يخلو عن منازعته ومعارضته فى آرائه ساعة
وكما ان الوالى فى مملكته متى استشار فى تدبيراته وزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث مستدلا باشارته فى ان الصواب فى نقيض
رأيه وادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون
العبد مسوسا لا سائسا ومأمورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل
وادبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة
واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن
عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال
لمن نهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وسيأتى كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض فى كتاب رياضة النفس
المثال الثانى ان البدن كالمدينة والعقل اعنى المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة
كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التى هى الشهوة والغضب كعدو ينازعه فى مملكته ويسعى فى اهلاك رعيته
فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى فضل
الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيمة

القوى

يا أمي اشتقنا اللحم وشرب اللبن ولم نرح الصالة ولم نحبس الكل اليوم استغفر منك كما ورد في الحديث ولما رجع المجاهدون قال رسول
صلى الله عليه وآله وسلم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر المثال الثالث مثل العقل مثل فارس متصيد ومعه
فرسه ومعه كلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان
الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعا فهو خليق بأن يعطب فضلا
عن أن ينال ما طلب وإنما خرق الفارس مثل جهل الإنسان وقلة الحكمة وكلال البصيرة وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة
البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه **بيان** خاصية قلب الإنسان اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله
على سائر الحيوانات سوى الآدمي إذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى أن الشاة ترى الذئب بعينها
وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الإنسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله سبحانه
وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فإن هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشاركه
فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة
واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا
فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر وأما الإرادة فإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق
الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات
بل يكون على ضد الشهوة فإن الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها والشهوة تميل إلى لذيذ الأطعمة
في وقت المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك
للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فإذن قلب الإنسان اختص بعلم وإرادة ينفك عنها سائر الحيوانات
بل ينفك عنها الصبي في أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فإنها موجودة في
حق الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان إحداهما أن يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة
المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قريبة الإمكان والحصول ويكون
حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها
بعد الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة
إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الإنسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت
الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي على سبيل
المبادأة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء
والحكماء والأولياء والأنبياء ودرجات الترقي فيه غير محصورة إذ معلومات الله لا نهاية لها وأقصى الرتب رتبة النبي الذي تنكشف له كل
الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة
والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف
كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانا
بالغيب كما أنا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا
الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على
أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله
سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات الله كما قال عليه السلام إن لربكم في أيام دهركم نفحات
ألا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة كما سيأتي وإلى هذا الجود

أشار بقوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له وبقوله لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم
لأشد شوقا وبقوله من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم
تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فإن القلوب كالأواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب
المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني
آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ومن هذه الجملة تبين أن خاصية الإنسان العلم والحكمة وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله
فيه كمال الإنسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال فالبدن مركب النفس والنفس محل العلم والعلم هو مقصود
الإنسان وخاصيته التي لأجلها خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون
الفرس مخلوقا لأجل تلك الخاصية فإن تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار فكذلك
الإنسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من الله والإنسان
على رتبة بين البهائم والملائكة فإن الإنسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته
وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها
على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى ملكا وربانيا كما قال الله تعالى إن هذا إلا ملك كريم ومن صرف
همته إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط إلى حضيض أفق البهائم فيصير إما غمرا كثور وإما شرها كخنزير وإما
ضريا ككلب أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو ذا روغان كثعلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الأعضاء ولا حاسة من الحواس
إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن أعرض عنه
فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والأعضاء
خدمه فيستقر هو أعني المدرك من الإنسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ
مجرى صاحب بريده إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى
ترجمانه ويجري الأعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه ويوكل كل واحد منها بأخبار صقع من الأصقاع فيوكل
العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم و
يؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس
منها ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك
كان موفقا سعيدا شاكرا لنعمة الله عليه وإذا عطل هذه الجملة أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ
العاجلة أو في عمارة طريقه دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله
مضيعا لجنود الله ناصرا لأعداء الله مخذلا لحزب الله فاستحق المقت والإبعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله منه وإلى المثال الذي ضربناه
أشار كعب الأحبار قال دخلت على عائشة فقلت الإنسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب
ملك فإذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب إن لله تعالى
في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها إليه أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها
على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم
في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه أمثلة القلب **بيان** مجامع أوصاف
القلب وأمثلته اعلم أن الإنسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته أربع شوائب ولذلك اجتمعت عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي
الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء
والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث إنه

فيه امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها
والتفرد بالرياسة والانسلاخ من ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة
بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحرص على جمع الحقائق
والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من صفات الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته
لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة
والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية
والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه
لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس
كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة
السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه والخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث
تسلطت عليه الشهوة تعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح
من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلاخ
من ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا
نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير
وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بان يدفع كيد الشيطان ومكره
بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة
الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر
العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق
الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة
الاعداء والعجب انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين
اما في النوم او في اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء
من شهواته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته او لرأى نفسه جاثيا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يلتمسه ويقتضيه مدققا للفكر
في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من
هذا الوجه يعبد الشيطان وجنوده فليراقب كل عبد حركاته وسكناته ونطقه وسكوته وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى
ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذه غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا
اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم
عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير
والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها واما طاعة الكلب فينتشر منه الى القلب صفة
التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة
الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منه صفة المكر والحيلة والخداع والدهاء والجربزة والتلبيس
والتضريب والغش والخب والخنا وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية
العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليها والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم
على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال

صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها
ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى الحد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم
والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار
على التواصل واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب اشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق
الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد الله بعبد
خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال
الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى
الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال
الله تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى
فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق
وصلاح الدين ويستهين بامر الآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل
من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار
من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا
نكت في قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعصيته
مسودة له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي
يتنفس فيها ثم يمسح ويتنفس ثم يمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم القلوب اربعة قلب اجرد فيه
سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق
وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد
فاي المدتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر
باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى **بيان** مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة اعلم ان
محل العلم هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات
كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم
حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة
غير فهي ثلاثة امور فكذلك ههنا ثلاثة امور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضوره فيه فالعالم عبارة
عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في
القلب كحصول المثال في المرآة من المتلونات وكما ان القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين
السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة
والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما كان السيف موجودا واليد موجودة
ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم
بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة
اولى لان عين الانسان لا يحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له وكذلك الحصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب

يسمى عملاً كما أن المرآة لا ينكشف فيها الصور لخمسة أمور أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل والثاني لخبثه
وصدئه وكدورته وإن كان تام الشكل والثالث لكونه معدولاً به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة
والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي بها شطر
الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيه حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت
عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها النقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا تنجلي له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث
الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه وإليه
الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنباً فارقه عقل لا يعود إليه أبداً أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثرها إذ غايته
أن يتبعه بحسنة يمحوه بها فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة لازداد لا محالة إشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد
القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نوراً فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح
بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والإقبال على طاعة الله تعالى والإعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب
ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم والثالث أن
يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن قلب المطيع الصالح وإن كان صافياً فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب
الحق وليس محاذياً بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف
فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب
النفس إن كان متفكراً فيها أو مصالح المعيشة إن كان متفكراً فيها وإذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعاً عن انكشاف
جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم إلى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي والرابع الحجاب فإن المطيع
القاهر لشهوته المتجرد لفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل
التقليد والقبول بحسن الظن فإنه يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضاً
حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات
تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين درك الحقائق والخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب
فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيباً مخصوصاً
يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فإن العلوم المطلوبة التي
ليست فطرية لا تقتنص إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا يحصل إلا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص
فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والأنثى ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك
من حمار وبعير وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والأنثى وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان
مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو
المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان مثلاً أن يرى قفاه في المرآة فإنه إن رفع
المرآة بإزاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وإن رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا
يرى المرآة ولا صورة القفا فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع
المرآتين حتى ينطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم ينطبع صورة هذه المرآة في المرآة الأخرى التي في مقابلة العين
ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على
بسيط الأرض من يهتدي إلى الكيفية في تلك الازورارات فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور وإلا فكل
قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف وإليه الإشارة بقوله

إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن
السموات والأرض والجبال بها صار مطيقاً لحمل أمانة الله وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق
لها في الأصل ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم كل
مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لولا أن الشياطين يحومون على
قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الإشارة
بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يا رسول الله أين الله في الأرض قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني أرضي
ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر أنه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم
القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبي ربي إذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى
ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والأرض أما جملتها فأكثر سعة من السموات
والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه
على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بإدراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب
منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة
الربوبية لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود سوى الله وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب
هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله
وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه قد أفلح من زكاها ومراد تزكيته
حصول أنوار الإيمان فيه أعني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وبقوله أفمن
شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب الأولى إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض
والثانية إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال والثالثة إيمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب
بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات الأولى أن يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته
في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فإنهم لما بلغوا سن
التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله سبحانه وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاؤوا به
وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم وهذا الإيمان سبب النجاة
في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من المقربين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ
ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقاد فقلوب اليهود والنصارى أيضاً مطمئنة بما سمعوه من آبائهم إلا أنهم
اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنه ألقي إليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقي إليهم كلمة الحق

الدرجة الثانية أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك
ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فإنك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقيناً لأن الأصوات
تدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان ممزوج
بدليل والخطأ أيضاً ممكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر
ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعاً ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضاً الثالثة أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك
وتشاهده فهذا هو المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهو يشبه معرفة المقربين والصديقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي
في إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ نعم وهم أيضاً يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات
الكشف أما الدرجات فمثاله أن يبصر زيداً في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه في

بيتا من مبادي وقت عشية فيتمثل له صورة وربما يستوحش منه اذ هو لكن لا يتمثل فيه المعاني الخفية الا في صورة وتمثيل
بها يستفتح تفاوت المشاهد للانبياء والاولياء وما تعادي في العلوم فهذا ان يرى في الدارين [illegible] لا يجوز ذكره فلنرجع الى ما نريد
من هذا ذكره من كثرة المعلومات لا نهاية لها **بيان** حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية
والدينية والدنيوية والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية
وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا توجد
بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدرى من اين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء
الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصل العلم
ولا من اين حصل اعني انه لا يدري له سببا قريبا والا فليس يخفى عليه ان الله هو الذي خلقه وهداه والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال
وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء
العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله لعلي كرم الله وجهه
اذا تقرب الناس الى الله بابواب البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة
ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى
العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد بالعمى وتوجد في البصر وان كان قد غمض العين
او جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى ادراك البصر ورؤيته اعيان الاشياء وتأخر العلوم عن عين العقل مدة الصبي الى اوان
التمييز او البلوغ يضاهي تأخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي به سطر الله العلوم
على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم
والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله
لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه ليس تعالى من جوهر ولا عرض فالموازنة بين
البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي
اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر
ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم صلوات الله عليه حتى يذكر في معرض
الامتنان ولذلك سمي ضد ادراكه عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال الله تعالى ومن كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي **اما** العلوم الدينية فهي المأخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات
الله عليهم وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته
من الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب
صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه
الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن
انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية
والشخص المريض يستضر بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك امراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف
العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية
واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان
الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز

عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير به وينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل
اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل دار قوم فيتعثر فيها باواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على الطريق
لم لا ترد الى مواضعها فقالوا له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على
عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية
كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم
بالله وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق
فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق
والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احداهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة
والحساب والفلسفة جهالا في امور الآخرة والاكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا في اكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي
بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكثر اهل الجنة
البله في امور الدنيا وقال الحسن ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا
من امور الدين جحده اهل الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق
بما يوجد في المغرب فكذلك يجري امر الدنيا والآخرة ولذلك قال الله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا
بها الآية وقال الله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال الله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رشحه الله
لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق
عنها فاما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيه **بيان** الفرق بين الالهام
والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في
القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق
الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا
واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل له ومن اين حصل والى
ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني
يسمى وحيا ويختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة
القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق
ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة
في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب الريح تحركه فكذلك قد تهب رياح الالطاف فتكشف
الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل
وتمام ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطاء وفي اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء
ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام
الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي
الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية
دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة

ثم قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان
الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور وانشرح
الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقايق الامور الالهية فليس على العبد
الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من
الرحمة اذ الانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري عن
علايقها وتفريغ القلب عن شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان تقطع
علايق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة
يستوي فيه وجود كل شي وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرايض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق
فكره بقراءة قرآن ولا بالتامل في تفسير ولا بكتبة حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شي سوى ذكر الله ولا يزال بعد جلوسه
في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية
على اللسان ثم يصبر عليه الى انه يمحى الحالة يترك تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره
عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة
مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوساوس
وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من رحمة كما فتحها
على الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله
حديث النفس بعلائق الدنيا فيلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد
فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل
اولياء الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم
استعداد وانتظار فقط واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى المقصد على الندور فانه
اكثر احوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤوا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه وزعموا ان محو العلائق
الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حالة فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانها وقال قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثناء هذه المجاهدة
قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات
فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي
في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق التعلم
اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتعلم ذلك
وصار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرير وتعليق وانا ايضا ربما انتهى بي الرياضة والمواظبة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو
كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من
تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لساير العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس اعلم ان عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن
ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى الافهام الضعيفة بمثالين الاول
انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق اليه الماء من فوقه بانهار تتفتح فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب
الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي فيتفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك

القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمس مثل الانهار ويمكن ان يساق العلم بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلي
علما ويمكن ان يسد عنه هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى يتفجر
ينبوع العلم من داخله فان قلت وكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجائب اسرار القلب ولا يسمح
بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين فكما
ان المهندس يصور ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض
كتب نسخة العالم من اوله الى آخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته
تتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغمض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه
ينظر اليه ولو انعدم السماء والارض وبقي هو بنفسه لوجد صورة السماء والارض في نفسه كانه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتادى من خياله اثر الى
القلب فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال الموافق للعالم الموجود
في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في
الوجود وجود في اللوح وهو سابق على وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحسي ووجوده الخيالي اعني
وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانيات بعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف
من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها ثم يسري من وجوده
في الحس وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله في ذاتك مثالا
لما كان لك خبر بما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب اكثر
الخلق جاهلة بالنفس وعجائبه ولنرجع الى المقصود فنقول القلب قد يتصور ان يحصل فيه حقيقة العلم وصورته تارة من الحواس وتارة من
اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي
صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس
فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اشتغل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له من مطالعة اللوح المحفوظ
كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك عن التفجر من الارض وكما ان من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا
الى نفس الشمس فاذن للقلب بابان باب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم
الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت
ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتامل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي
من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى قال عليه السلام سبق المفردون قيل ومن هم يا رسول الله قال المستهترون
بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيمة خفافا ثم قال في وصفهم نقل عنهم ثم اقبل بوجهي عليهم اترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي
شي اريد اعطيه ثم قال اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن
فاذن الفرق بين علوم الاولياء والانبياء وبين علوم الحكماء والعلماء هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح
الى عالم الملكوت وعلم الحكمة ياتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الغيب والشهادة
لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العالمين المثال الثاني يعرفك الفرق بين العملين اعني عمل
العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب واولياء الصوفية يعملون في
جلاء القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط فقد حكي ان اهل الصين والروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش
والصور فاستقر راي الملك على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع الاطلاع
كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من غير صبغ واقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه

فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضاً فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل
وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا وما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا فإذا بجانبهم قد تلألأ منه عجائب صنائع الروم مع زيادة
إشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفاء فكذلك عناية الأولياء بتطهير
القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق كفعل الصين وعناية العلماء والحكماء بالاكتساب ونقش العلوم
وتحصيل نقشها في القلب وكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمة
الله عليه بقوله التراب لا يأكل محل الإيمان بل يكون وسيلة وقربة إلى الله تعالى وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء
والاستعداد لقبول نفس العلم ولا سعادة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى إلا بالمال فصاحب
الدرهم غني وصاحب الخزائن المترعة غني وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تتفاوت درجات الأغنياء
بحسب قلة المال وكثرته والمعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله إلا بأنوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقد
ورد في الخبر أن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل وبعضهم يعطى أصغر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إبهام قدمه فيضيء مرة وينطفئ
مرة فإذا أضاء قدم قدمه فمشى وإذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم كالبرق ومنهم
من يمر كالسحاب ومنهم كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي أعطي نوراً على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه
يجر يداً ويعلق أخرى ويجر رجلاً ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت
الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح فهذا يضاهي قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها
لرجح فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وإيمان
الأنبياء كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة
من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر أنه يقال يوم
القيامة أخرجوا من النار من في قلبه مثقال من الإيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات
الإيمان وأن هذه المقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقال فإنه لا يدخل النار إذ لو دخل
لأمر بإخراجه وأن من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس شيء خير
من ألف مثله إلا الإنسان إشارة إلى تفضيل قلب العارف المؤمن وأنه خير من ألف قلب من عوام الناس وقال الله تعالى
وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين فضل المؤمن على المسلم والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال الله تعالى يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم
ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله والذين أوتوا
العلم درجات قال يرفع العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي
وفي رواية كفضل القمر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات أهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم
ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن إذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة
فيكون نظره إليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم إلى الغني الذي يملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكل واحد منهما
غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخط حظه منه وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً

بيان شواهد الشرع على صحة

طريق أهل التصوف
في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد اعلم أن من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب
من حيث لا يدري فقد صار عارفاً بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فإن درجة المعرفة فيه عزيزة
جداً ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات أما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر من

القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار
وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً من الإشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علماً من غير تعلم ويفطنه من غير
تجربة وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً قيل نوراً يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من
الشبهات ولذلك أكثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه سؤال النور اللهم أعطني نوراً وزدني نوراً واجعل لي في قلبي
نوراً وفي سمعي نوراً حتى قال في شعري وبشري ولحمي ودمي وسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله فمن شرح الله صدره للإسلام
فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم لابن عباس رضي الله عنه اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه
وآله وسلم إلينا إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء إنه الفهم في كتاب الله
وقال الله تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف باسم الفهم وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق
والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وإليه يشير قوله تعالى إن في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله قد بينا لكم الآيات لقوم يوقنون وروى
الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن
العلم الباطن ما هو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
إن من أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم وقرأ ابن عباس وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين
والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح
بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم قال الله تعالى وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون
خصصها بهم وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب
فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العلم اللدني وإليه
الإشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علماً مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنياً بل العلم
اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار
لخرج عن الحصر وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضاً خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم
قال أبو بكر رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها إنما هما أختاك وكانت زوجته حاملاً فولدت بنتاً فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت وقال
عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته يا سارية الجبل إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته إليه من جملة
الكرامات العظيمة وعن أنس بن مالك قال دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه وكنت لقيت امرأة في الطريق فنظرت إليها شزراً
وتأملت محاسنها فلما دخلت عليه قال يدخل علي أحدكم وآثار الزنا ظاهرة في عينيه أما علمت أن زنا العينين النظر لتتوبن
أو لأعزرنك فقلت أوحي بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة وعن أبي سعيد
الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في سري هذا وأشباهه كل على الناس فناداني وقال واعلموا
أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه فاستغفرت الله تعالى في سري فناداني فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني
فلم أره وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب
قال فلما قمت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فإن لله تعالى ألطافاً خفية وعن
أحمد النقيب قال دخلت على الشبلي فقال مفتوناً يا أحمد فقلت ما الخبر فقال لي كنت جالساً فجرى بخاطري أنك بخيل فقلت ما أنا بخيل
فعاد مني خاطري وقال بل أنت بخيل فقلت ما فتح اليوم علي بشيء إلا دفعته إلى أول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل

على صاحب لمن من الخادم ومحمد حسن بن دينار فقال اجعلها في صالحك قال فاحدثنا وقت خرجت فاذا انا بسبعين يمكنوني بين يدي
من بين يحلق راسه فعمدت اليه وناولته الصرة فقال اعطها الذين دخلت اهبا دنانير فحال لا ينبغي فقلنا الك اتكل علينا وليها الذي
فقال عندنا المطلي العنبر بين ايدينا ان لا نعلم عليه اجرا وبيت الدنانير في دجلة وقال ما اعز الا اذل الله عز وجل وقال الحسن
بن عبد الله العلوي دخلت على ابي الخير التيناتي فاعتقدت في نفسي ان اسلم عليه ولا آكل عنده طعاما فلما خرجت من عنده فاذا هو
يا تبعني وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات وقال
ابراهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلاة المغرب ولم يقرأ الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلمت خرجت
للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني
فتنحى فتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد وما حكي من تفرس
المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه
ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر
الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب
واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات
وكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الغيب وامور في
المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح
الخلق وغير النبي يسمى وليا فمن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى خارج
وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي فاذا اقر بهما جميعا لم يمكنه
ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل يجوز ان تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذه آيات تنبهك على حقيقة ما ذكرناه
من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فاما السبب في انكشاف الامر في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك
تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما
ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني ان املي
عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله
تعالى فقلت الستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب
انما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت
الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم
اجاب باغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن في المسألة عندي علم عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا ادري
فسألت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسألته فحدثني بما اجبتك فاذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى
قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب
فيه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال ابو سليمان الداراني القلب بمنزلة القبة المضروبة
حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملأ الاعلى وينفتح ذلك
الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون
من المطيعين فانهم تنجلي لهم امور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال
آخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة
وسبب غلبتها اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة لها ابواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه
السهام من كل جانب او هو مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها
او مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر
فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منها
اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بسبب قوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف
عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال
والمقصود ان القلب في التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض
فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد
ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال فلا
محالة مبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى
ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين
مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث
فلا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب
فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار
القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي
يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة
تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف
وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير
بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء
خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب
متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق
بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله وهم من
العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه يتعالى عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم
وعظم ودم منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصه بل لفعله
في التقليب والترديد كما انك تتعاطى الافعال باصابعك والله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران
بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول
آثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض
عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه
لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر
الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المنشعبة عن الهوى
لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان
قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يأمر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة
الشهوة فمن اعانه الله تعالى على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع

بالإلهام الخفي ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله
ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن ينفتح القلب
لأحدهما فيتمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وملكتها فامتلأت بالوساوس
الداعية إلى إيثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت
الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح آثار الملائكة قال جابر بن عبيد العدوي شكوت إلى العلاء
بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا
وتركوه يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى
فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك سلط عليه الشيطان وقد قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه إشارة إلى أن الهوى إلهه
ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقال عثمان بن العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي
فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني
وفي الخبر إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر الله شيء
ما سوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله وسوى ما يتعلق به
فيجوز أن يكون أيضا مجالا للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء
إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وإنما الشيطان يطوف بهم
في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون
وقال مجاهد في معنى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الإنسان فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل
انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما
قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الشيطان واضع خطمه
على قلب ابن آدم فإن ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم
يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بأبي وجه لا يفلح وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية
في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال عليه السلام إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا
مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى
حكاية عن إبليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الإسلام فقال له أتسلم وتترك دينك ودين آبائك
فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق
الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن قتل أو غرق أو حرق أو أكله السبع فقد ذكر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وينكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه
الخواطر معلومة فإذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور أن
ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال ما من أحد إلا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار
معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وأنه جسم لطيف
أم ليس بجسم وإن كان جسما فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا

كمثال من دخل في ثوبه حية وهو محتاج إلى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادمة
الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو
فينبغي أن يشتغل بالمجاهدة وقد عرف الله سبحانه وتعالى عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز منه فقال إن الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه وقال ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع
العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات
وذلك كاف للعاملين فأما معرفة صفة ذاته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات
ولا يحتاج في علم المعاملة إلى معرفته نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما
يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان فإن من مكائد الشيطان
أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح
فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على
النار أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة
مقبولة فكيف تكفر نعمة الله وتتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره
بلطائف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول إن لم
تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق
ولذة الجاه والتعزز بكثرة الأتباع والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه
وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق
لهم وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وروي أن إبليس تمثل لعيسى صلوات الله عليه فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق
ولا أقولها بقولك لأن له أيضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبه يهلك العلماء والعباد والزهاد
والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من
مكائد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان نصنف فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس إبليس
فإنه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتلبيسات الشيطان
ومكايده فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من
الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال الله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا أي
رجعوا إلى نور العلم فإذا هم مبصرون أي ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان لتلبيسه
بمتابعة الهوى ويكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي أعمال
ظنوها حسنات فإذا هي سيئات وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين
على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز
منه ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر وأبوابها من خارج الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا
والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة
في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفعه إلا شغل القلب بذكر الله ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله فلا بد
من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع
عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فإنه ما دام حيا فأبواب الشياطين مفتوحة
إلى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحدة والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير

عما لم يمنع الا بالحراسة والمجاهدة وقال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا الراحة فلا خلاص للمؤمن
عنه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم
بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور
وانا الان مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني بكتاب الله عز وجل واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشياطين
وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة
فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة
وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الواحد بهذه الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة
المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هو القلب المصفى بالتقوى
والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله فيهما يهتدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة
قال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط
وعن شماله فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك
الخطوط فبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء
والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا للطريق الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الادمي
الى سلوكه وذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في
قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتي بها الى الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها وكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان
فوسوس له وزين له مقاربتها ولم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس اليه وقال الان تفتضح يأتيك اهلها فاقتلها فان اتوك
فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسألوه عنها فقال
ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج اسجد لي سجدتين فسجد له
سجدتين فهو الذي قال الله عز وجل كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الان الى حيله و
اضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة
فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث
لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب اعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن فيملكه
ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة
ابوابه من لا يعرف ابوابه فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به
فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وابوابه
صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه
العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على شيء اعماه حرصه واصمه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبك الشيء
يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند
الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين
اثنين كما امر فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس
وساحدثك منهن بثلاث ولا احدثك باثنتين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا حاجة لك الى الثلاث مره يحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان
فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما اهلك الناس الحسد والحرص فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص ابيح لآدم عليه السلم

الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب هو غول العقل واذا ضعف جند العقل
هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى صلوات الله
عليه فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا خلق من خلق الله اذنبت ذنبا واريد ان اتوب فاشفع
لي الى ربي ان يتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل فقال يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى ابليس وقال
امرت ان تسجد لقبر آدم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا
بما شفعت لي الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان وحيي في قلبك وعيني في عينك واجري منك
مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان
تجالس امرأة ليست بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فعدد اشارة بهذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من
الزحف حرص على الدنيا وامتناعه عن السجود لآدم عليه السلم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله وقال بعض الاولياء لابليس ارني شيء
تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس لراهب فقال له اي اخلاق بني آدم اعون لك قال الحدة ان العبد
اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون في
قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه ومن ابوابه العظيمة حب التزين في الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك
غالبا على قلب انسان باض فيه الشيطان وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع
ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه فيها فقد استغنى عن معاودته فان ذلك
يجر بعضه الى البعض فلا يزال يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك
سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات
والشهوات اسلحة الشيطان روي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق
قال هذه الشهوات التي اصيب بهن بني آدم فقال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال فهل
غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا ومن ابوابه العظيمة الطمع في
الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب اليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه
كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة
معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال يا ابن حنظلة احفظ
عني شيئا اعلمكه قال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا اخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل احدا غير الله سؤال
رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العجلة وترك التثبت في الامور وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العجلة
من الشيطان والتأني من الله وقال الله تعالى وكان الانسان عجولا وقال الله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب
زدني علما وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تأمل ومهلة والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال
يروج الشيطان شره من حيث لا يدري روي انه لما ولد عيسى عليه السلم اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت الاصنام قد نكست
رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلم قد ولد واذا الملائكة
حافة حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام
بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال
من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو
وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه شهوات تحتاج كل واحدة منها الى مائة دينار اخرى فلا يكفيه ما وجده بل يحتاج الى تسعمائة
اخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالان لما وجد مائة ظن انه صار بها غنيا وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشتري بها دارا

وعمرها ويشتهى ثيابا فاخرة ويشترى آلات البيت ويشترى الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعى شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له
فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم ولا آخر لها سواه قال ثابت لما بعث النبي عليه السلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا
ما هو فانطلقوا ثم جاؤوا وقالوا ما ندري قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال فجعل
يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم
ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهنالك تصيبون حاجتكم منهم وروى ان عيسى
عليه السلم توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت رأسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة
من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة الشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان
بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده لا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته في النوم
هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمنتزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان
ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم هو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن قال
خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم فلن يغلبني على ثلث ان آمره ان ياخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه
من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه
ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشيطان روى عن ابي امامة عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل
لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي
حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء ومن ابوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء
والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في طبع الانسان
من الصفات السبعية فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك
فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان ترى الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان
بالفضول والكذب ومتعاطي لانواع الفساد ولو رآه ابو بكر لكان اول عدو له اذ موالي ابي بكر رضي الله عنه من اخذ سبيله وسار بسيرته
وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته ان يضع حجرا في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فانى لهذا الفضولي ان يدعي ولاءه وحبه
وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي رضي الله عنه وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلثة دراهم
وقطع راس الكمين الى الرسغ وترى الفاسق لابسا لثياب الحرير ومتجملا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدعيه وهو اول
خصمائه يوم القيمة وليت شعري من اخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وثمرة قلبه واخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه
بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي بكر وعلي وسائر
الصحابة رضي الله عنهم من الاهل والولد بل من انفسهم والمتجرئون على معاصي الشرع وهم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات
ويتوددون به الى ابليس عدو الله وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيمة عند الصحابة وعند اولياء الله لا بل لو كشف الغطا
وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في امة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاستحيوا ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح افعالهم ثم
الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر انه اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لولده فاطمة وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا وهذا مثال اوردناه
من جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين لابي حنيفة والشافعي واحمد وغيرهم من الائمة رحمهم الله فكل من ادعى مذهب امام
وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ كان مذهبه العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا
للهذيان فما بال الفقيه المتقلد لمذهب امام الذي هو مسلكه ومذهبه الذي سلكه وذهب فيه الى الله تعالى ثم ادعى مذهبه كله بانه

محل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك بها اكثر العالم وقد تسلطت الفتنة على اقوام قد كفى الله عنهم وضعف في الدين بصيرتهم وقويت
في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم
ينبهوهم على مكيدة الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا و
اهلكوا والله يتوب علينا وعليهم قال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم المعاصي فقصموا
ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله جل وعز منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك
من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون عنها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات
الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم
ويفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون فليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله
واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ومن ابوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم
يتبحروا فيها على التفكر في ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في اصل الدين او يخيل اليهم في الله
تعالى خيالات يتعالى الله عنها فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه
انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه
وظنونه واحرصهم على السؤال من العلماء قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان يأتي احدكم فيقول من
خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله تعالى فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه والنبي صلى الله
عليه وآله وسلم لم يأمر في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام ان يؤمنوا و
يسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم الى العلماء والعامي لو يزني او يسرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم فان من تكلم
من غير اتقان العلم فسد عليه دينه ووقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق
بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما قصدنا بما اوردناه المثال ومن ابوابه سوء الظن بالمسلمين وفي ذلك قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من
الظن ومن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في
اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احترز منه روي عن علي بن حسين رضي الله عنهما
ان صفية بنت حيي رضي الله عنها اخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان معتكفا فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت
فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم انصرفا فناداهما فقال انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا
قال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على
امته فعلمهم طريق الاحتراز عن التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا منه
بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم شعر
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا
يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح
منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه
بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة
مذمومة الا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله وقول الانسان لا حول
ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا
الربع من المهلكات ان نعلم علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سيأتي شرحه نعم اذا قطعت من القلب اصول

من الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن
من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا
يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا خصص ذلك بالمتقين ومثال
الشيطان كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز فانه ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك
لحم وهو جائع يهجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه الشيطان بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا
غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية
من الهوى والصفات المذمومة فيطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل
ذلك قوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الايات والاخبار الواردة في الذكر وقال ابو هريرة التقى شيطان المؤمن و
شيطان الكافر فاذا شيطان الكافر دهين سمين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان
المؤمن ما لك انت مهزول قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جائعا واذا شرب سمى فاظل عطشان واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى
فاظل عريانا فقال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع
يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا
كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك انك على كل شيء قدير فتمثل له ابليس
يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال انا ابليس فقال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة
فاني لا اتعرض لك قال والله لا امنعها من اراد فاصنع ما شئت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وآله
وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل عليه السلام فقال له قل اعوذ بكلمات الله التامات
التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن النهار وطوارق الليل الا
طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه وقال الحسن نبئت ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد اتاني الشيطان
فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة اخي سليمان صلوات الله عليه
لاصبح طريحا في المسجد وقال عليه السلام ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غيره وهذا لان القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي
الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دواء قبل
الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع في ان ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء
وهي تخلي القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية
عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير
ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم
تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل ان منتهى ذكرك وعبادتك
صلاتك وراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في
اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت
فالصلاة محك القلوب فيها تظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لا تقبلها القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان
بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان اردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى
ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية
وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه

كما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعو ولا يستجاب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء
قيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال
عرفتم حق الله فلم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا
له وقال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة
ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت
فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع
العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل ولا تسأل عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وتشهد له الاخبار انهم جنود مجندة
وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان
اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة
من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي
يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يأمر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب
واما داسم فانه يدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين و
شيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة
وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل
الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته
الشياطين وقال ايوب بن يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤون معهم وقال جابر بن عبد الله ان آدم صلوات الله عليه
لما اهبط قال رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة ان لم تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب
زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال ابليس يا رب
هذا العبد الذي كرمته علي ان لم تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم
وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم خلق الله عز وجل الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم
الحساب والعقاب وخلق الله عز وجل الانس ثلاثة اصناف صنف كالبهائم قال الله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها الآية وصنف اجسادهم اجساد بني آدم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد
بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا صلوات الله عليهما وقال له اني اريد ان انصحك فقال لا اريد ولكن اخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة
اصناف اما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل على احدهم حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا
كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء واما الصنف الآخر فهم في ايدينا
بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء فان
قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا رأى صورته فهي صورته الحقيقية او هو مثال له يتمثل به وان كان
صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين
فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة فما رأى النبي
جبريل صلى الله عليهما في صورته الا مرتين وذلك انه صلى الله عليه وآله وسلم سأله ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بالبقيع فطلع له
جبريل فسد الافق من المشرق الى المغرب ورآه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الآدمي غالبا وكان

يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه ولا يكاشف بمثله الا المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه ويقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة لا يشغله اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما روي عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سأل ربه عز وجل ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعدا على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل بالآخر وقد بينا ان للقلب وجهين وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كله متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الصدر وهكذا جميع ابواب التعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذا الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه اخبار وآيات متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله تعالى عفا عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ آخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه وتعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقال سبحانه وتعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في هذه المسألة عندنا لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدأ ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لرآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف وهو حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته

للنفس تأكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان تحت الاختيار وهما المرادان بقوله عليه السلام عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سألت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا تردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يعمل نظر فان تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق او تركه بعذر لا خوفا من الله كتبت له سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراي وحيث قال فان لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال النبي عليه السلام انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ليقتل مسلما او يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت حسنة فاما فوت المراد بعائق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلوب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لانه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب ثم قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال عليه السلام الاثم حواز القلوب وقال البر ما اطمأن اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن انه تطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له ثواب بفعله وان تركه

ثم ذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية وإن ظن أنها أجنبية عصى بوطئها
وإن كانت امرأته كل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح **بيان** أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا اعلم أن
العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في عجائبها وصفاتها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق فقالت فرقة إن الوسوسة تنقطع بذكر الله
تعالى لأنه صلى الله عليه وآله وسلم قال فإذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت فكأنه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري
في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فإنه قد يتكلم ولا يفهم
وإن كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى
ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوقة
وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فإنك إذا أدرتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس
قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا وقالت فرقة إن الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام
لا ينقطع وكما أن الإنسان قد يرى في حالة واحدة بعينيه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ما من عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه وإلى هذا
ذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر
كل واحد إلى صنف واحد من الوسواس وأخبر عنه والوسواس أصناف الأول أن يكون من جهة التلبيس بالحق فإن الشيطان
قد يلبس بالحق فيقول للإنسان لا تترك التنعم باللذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا إذا
ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما
فإذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر عن
المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه
بالعجب بعمله ويقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد أن معرفته وقدرته وقلبه
وأعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله لأن
المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين بنور الإيمان والمعرفة الصنف الثاني أن يكون وسواسه
بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقينا أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن فإن علمه يقينا خنس الشيطان عن
تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وإن كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج إلى المجاهدة في دفعه فيكون الوسوسة موجودة
ولكنها مدفوعة غير غالبة الصنف الثالث أن يكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغائبة والتفكر في غير الصلاة مثلا
فإذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساوقا جميعا حتى
يكون الفهم مشتملا على معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب وبعيد جدا أن يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا
يخطر ولكنه ليس محالا إذ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم
من ذنبه فلولا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فإنا نرى المستوعب
القلب بعدو قد تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا المستغرق بالحب قد
يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز أحد بين يديه
لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على
الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله واليوم الآخر فإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب
من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد من وساوس الشيطان
بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد روي أنه نظر إلى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب

وقال شغلني عن الصلاة وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه على المنبر فرماه وقال نظرة إليه ونظرة إليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان
بتحريك لذة النظر إلى الخاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب ولذلك لبسه ثم رماه فلا يستطيع وسوسة عروض الدنيا
ونقد الأموال إلا بالخروج والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا لا يدعه الشيطان في صلاته عن الفكر في ديناره أنه
كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به وكيف يظهره حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب مخالبه في الدنيا
وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن الذباب لا يقع عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان
وليس له باب واحد بل أبواب قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه
في بدعة فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فإن أبى خفف
عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده تشتد الحاجة فإنه آخر درجة ويعلم أنه لو
جاوزها أفلت منه إلى الجنة **بيان** سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات
التي ذكرناها وتنصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء يتأثر به
أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فإن نزل الشيطان به فدعاه إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وإن جذبه
شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى الخير جذبه ملك آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين
شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا وإليه الإشارة بقوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ولاطلاع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم على عظيم صنع الله في عجائب القلوب وتقلبها كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفي
لفظ آخر إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أمثلة فقال مثل القلب
مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة
تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله في تقليبها من حيث لا تهتدي إليه المعرفة لا يعرفها إلا المراقبون والمراعون
أحوالهم مع الله والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق
تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار
فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه إلى العمل به فينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا
في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده
بجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب في الخير وتيسير الأمر
عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة
الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه
شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات
يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل
والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب
والمراد بقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة القلب الثاني المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالأخلاق الذميمة المفتوح
فيه أبواب الشياطين المسدود عنه أبواب الملائكة ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل
ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة
الهوى فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان
لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والأماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان

بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة إذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل
كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار
ولو بصّره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصمّ عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى
فظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى أرأيت من اتخذ إلهه
هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا وبقوله لقد حق القول على أكثرهم
فهم لا يؤمنون وبقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى جميع الشهوات ورب قلب
حاله بالإضافة إلى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط
مسالك قلبه أو كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه أو كالذي لا يملك نفسه
عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه أو كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله
المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم وينطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء والمروءة
والإيمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان القلب الثالث قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه
إلى الخير فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في
وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس إلى نصح
العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى
أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أفتترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا
يضحك عليك أهل الزمان أتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا أما ترى العالم الفلاني
ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل
هلك إلا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد أم تستثقل ألم الصبر عن شهوتك ولا
تستثقل ألم النار أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك
أرأيت لو كنت في يوم صائف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس
خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تميل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين
إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان
ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدا لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه
بسابق القضاء ما هو سبب بعده عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان وتحريضه إياه
على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه وقلب المؤمن بين
إصبعين من أصابع الرحمن أي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعني التقلب والانتقال من حزب إلى حزب أما الثبات على
الدوام مع حزب الملائكة أو حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشهادة
بواسطة خزانة القلب فإنه من خزائن الملكوت وهي أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له
الطاعة وأسبابها ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعصية وسلط عليه أقران السوء وألقي في قلبه حكم الشيطان فإنه بأنواع الحكم يغر
الحمقى كقوله إن الله رحيم فلا تبال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم
وما يعدهم الشيطان إلا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم بإذن الله بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور
ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل

يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم
بالمعاصي وعرّف الخلق علامة أهل النار وأهل الجنة فقال إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ثم قال هؤلاء في النار ولا أبالي
وهؤلاء في الجنة ولا أبالي فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب
فإن استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع به من لا يقنع بالظواهر
ولا يجتزئ بالقشر عن اللباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع إن شاء الله تعالى والله أعلم

كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الإنسان بحسن تقويمه
وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها
بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عبيده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلاة على محمد عبد الله ونبيه
وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوة من أساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى
آله وأصحابه الذين طهروا وجه الإسلام عن ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره أما بعد فالخلق الحسن
صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والأخلاق
السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين
المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة كما أن الأخلاق الجميلة
هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت
حياة الأبد وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها
إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه
على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة
عللها وأسبابها ثم إلى التشمير في علاجها وإصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد أفلح من زكاها وإهمالها هو المراد بقوله تعالى وقد خاب من دساها
ونحن في هذا الكتاب نشير إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الأمراض فإن ذلك يأتي
في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج الأبدان مثالا له ليقرب
من الأفهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب
الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الخلق ثم بيان تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق
ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطريق الذي بها يعرف الإنسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد
النقل على أن طريق المعالجة للقلوب ترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في
أول النشوء ثم بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها الكتاب إن شاء الله تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه وحبيبه ممتنا عليه ومظهرا نعمته لديه وإنك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلقه القرآن وسأله رجل عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه
وآله وسلم هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وآله وسلم بعثت لأتمم محاسن الأخلاق
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين يديه
فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من قبل يمينه فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين
فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت إليه فقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم قال

سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني
قال خالق الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الأعمال أفضل فقال حسن الخلق وقال عليه السلام ما حسّن الله خَلق
امرئ وخُلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق
تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار وقال أبو الدرداء رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أول ما يوضع
في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله عز وجل الإيمان قال اللهم قوّني فقوّاه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله عز وجل الكفر
قال اللهم قوّني فقوّاه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء
وحسن الخلق ألا فزيّنوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسن الخلق خلق الله الأعظم وقيل يا رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم أي المؤمنين أفضلهم إيمانا قال أحسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وآله وسلم إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن
الخلق وقال أيضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنك
امرؤ قد حسّن الله خلقك فحسّن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم
خلقا وعن أبي مسعود البدري قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم حسّنت خلقي فحسّن خلقي وعن عبد الله بن عمر قال
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر الدعاء يقول اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروته عقله وعن أسامة بن شريك قال شهدت الأعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يقولون ما خير ما أعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وعن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدّوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله
عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لأحسن
الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت وقال أنس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما إذ قال
إن حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام من سعادة المرء حسن الخلق وقال عليه السلام اليمن حسن الخلق
وقال عليه السلام لأبي ذر يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن أنس قال قالت أم حبيبة يا رسول الله أرأيت المرأة يكون لها
زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لأيهما هي قال لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا
والآخرة وقال عليه السلام إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية درجة الظمآن في الهواجر
وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه
وبين الله عز وجل حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله وقال أنس قال عليه السلام إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف
المنازل وإنه لضعيف العبادة وروي أن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه
عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضحك فقال عمر أضحك الله سنك بأبي
وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عجبت لهؤلاء اللاتي كنّ عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر
أنت كنت أحق أن يهبنك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قلن نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عليه السلام إيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان
قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك وقال عليه السلام الشؤم سوء الخلق وقال عليه السلام سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال
عليه السلام إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم **الآثار** قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا أبت أي الخصال من الإنسان
خير قال الدين قال فإذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فإذا كانت أربعا قال الدين
والمال والحياء وحسن الخلق قال فإذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فإذا كانت ستا قال يا بني إذا اجتمعت
فيه الخمس الخصال فهو تقي نقي ولله ولي ومن الشيطان بريء وقال الحسن من ساء خلقه عذّب نفسه وقال أنس بن مالك إن العبد ليبلغ

بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق
وقال وهب بن منبه مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي
من أن يصحبني عابد سيئ الخلق وصحب ابن المبارك رجلا سيئ الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك
فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه الحلم والتواضع
والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا
الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة
السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بيّن الله في كتابه إن أكرمكم عند الله أتقاكم قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا
وقال لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا
المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فأقرب الخلق إلى الله السالكون آثاره بحسن الخلق

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل
واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب
وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى وقال الواسطي هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله
وقال شاه الكرماني كف الأذى واحتمال المؤن وقال بعضهم أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو إرضاء الخلق
في السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل عن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم
والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة أن لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن ويطيعه ولا يعصيه في
جميع الأمور فيما بينه وبين الله تعالى وفيما بينه وبين الخلق وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلاث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع
على العيال وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال الحارث أن لا يكون لك همة غير الله فهذا
وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل
المختلفة فنقول الخَلق والخُلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخَلق والخُلق أي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخَلق
الصورة الظاهرة ويراد بالخُلق الصورة الباطنة وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة
ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله
تعالى أمرها بإضافتها إليه إذ قال إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين
والروح منسوب إلى الله تعالى والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة عنها تصدر الأفعال
بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا
حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه
بذل المال على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإنما شرطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة
من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا أربعة أمور أحدها
فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين وتتيسر عليها أحد
الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل
وهو يبذل لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالفطرة
قادرا على الإعطاء والإمساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على
وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن
هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم

حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت
حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث أما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن
تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال فإذا
انصلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون
تحت إشارة الحكمة أعني إشارة الدين والعقل وأما قوة العدل فهو في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع فالعقل
منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لإشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة
ومثاله مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس
الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق
مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن
القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنها بالعفة فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال
إلى طرف الزيادة تسمى تهورا وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن
مالت إلى النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا
زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها
بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فإذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني بالحكمة حالة للنفس
بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى
الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها
ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها إذ من اعتدال
قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن
إفراطها يصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون وأعني بالغمارة قلة التجربة في الأمور مع
سلامة التخيل وقد يكون الإنسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق والجنون أن الأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد
فلا يكون له روية صحيحة في طريق الوصول إلى الغرض وأما المجنون فإنه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإيثاره فاسدا
وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد
وأمثالها وهي أخلاق محمودة وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب وأما تفريطها فيصدر منه
المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب وأما خلق العفة فيصدر منه الحياء والسخاء والصبر
والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع وأما ميلها إلى الإفراط والتفريط فيحصل منه الحرص والشره
والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء
وغير ذلك فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال
في هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق
فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله وكل
من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال ومن انفك عن هذه
الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين العباد والبلاد فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي
أن يبعد كما أن الأول قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدى به ويتقرب إليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا ليتمم مكارم

الأخلاق كما قال ولقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون فالإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين
وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي
ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله الصحابة فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم إشارة
إلى أن للشدة موضعا وللرحمة موضعا فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه
وبيان أركانه وثمراته وفروعه

بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة

اعلم أن بعض من غلب البطالة عليه استثقل
المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق ولم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته
زعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فإن الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق
صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يمكنه أن يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر على أن يجعل نفسه
طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة
وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع وأنه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان
بلا فائدة فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير
لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسنوا أخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق
الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل الصيد من التوحش إلى الأنس والكلب من الأكل إلى التأديب والفرس من الجماح إلى
السلاسة وكل ذلك تغيير الأخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للآدمي واختياره
في أصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع
الفراغ من وجوده وكماله وإلى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار
العبد فإن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلا إذا انضاف إليها التربية ولا تصير تفاحا أصلا
ولا بالتربية فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا
قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد
أمرنا بها وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها
سببان أحدهما قوة الغريزة في أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فإن قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان ولكن
أصعبها أمرا وأعصاها على التغيير قوة الشهوة فإنها أقدم وجودا إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين
ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد
كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على أربع مراتب الأولى هو الإنسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه
خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى
باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان الثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له
سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته وإعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول
إذ تضاعفت الوظيفة عليه إذ عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد والآخر أن يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح
ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن انتهض لها بجد وتشمير وحزم الثالثة أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة
وأنها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على الندور وذلك لتضاعف أسباب الضلال
والرابعة أن يكون مع نشوئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي
به ويظن أن ذلك يرفع من قدره وهذا هو أصعب المراتب وفي مثله قيل ومن التعذيب تهذيب الذيب والأول من هؤلاء جاهل فقط

والثاني جاهل وضال لا فاسق والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الآخر وهو ان الآدمي
ما دام حيا فلا ينقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة
قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان
ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل الشهوة
فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب
ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن
الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة
وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء لم
ينفكوا عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب
حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا وكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ
فرد الغضب والشهوة الى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد
بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى
حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على ان المطلوب هو الوسط في الاخلاق
دون الطرفين ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب
في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال في الغضب اشداء على الكفار رحماء
بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الامور اوساطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب
عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والتبذير ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب
ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على انفاقه ولا على امساكه فان الحريص على الانفاق مصروف
القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه وكان كمال القلب ان يتصفى عن الوصفين جميعا واذا لم
يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط
بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك
سائر الاخلاق فكلا طرفي الامور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب
راسا وامساك المال راسا ولا يرخص له في شيء منه لانه لو رخص في ادنى شيء اتخذه عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر
المرخص فيه فاذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يقصد قلع الاصل حتى
يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق
الباب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب
والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان و
يولد كامل الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب
ادبا كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب
صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل فيه ذلك بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل
بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق
الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه

بكلفة مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب
عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا
فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الذي
يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ بالتواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود
جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع العادات السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال
القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة
واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها
عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعبد الله في الرضا فان لم تستطع
ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون
زمان بل ينبغي ان يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما
كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها
في القلب وانما يتأكد اثرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله فلا
يكون شيء احب اليه من لقاء الله فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله الى الله وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل
ثم ان يكون بعد ذلك فرحا به ومستلذا له ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلاة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي
في النفس عجائب اعجب من ذلك فانا نرى الملوك والمتنعمين في احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح
واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار مع ان القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو يحبه
ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا
يحس بالمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر
على السياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يقطع الواحد منهم
اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية
فقد صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف
الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين
والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين العلماء والملوك وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة
ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى هذه الامور الشنيعة خارج عن
الطباع وهو يضاهي الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته
فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على
طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام
والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال الى حب شيء سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه
معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها
بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن
فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب
والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة صفة نفسية له حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا

يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي به الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن
فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر منه بالآخرة الخط الحسن طبعا كما كان
يصدر منه في الابتداء تكلفا فان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انخفض
من النفس اثر الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء
وهو التكرار للفقه حتى ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه
ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك بالعادة طبعا فلا علاج له الا ذلك وكما ان الطالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه
الرتبة بتعطيل ليلة لا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة
يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد
تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا فيفوتها فضيلة الفقه فكذلك صغائر المعاصي
يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تأثيره في تفقيه النفس
بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس
وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعات فان الجملة الكثيرة انما اجتمعت من الآحاد فلكل واحد تأثير فما من طاعة
الا ولها اثر وان خفي فلها لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذا المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا
على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على
التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير فيصير القلب مقيدا
بسلاسل الشهوات اذ لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا
ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان يبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض
فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد
فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذن قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تحصل بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم
وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا
فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر
حتى تعود فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه
صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان

تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم
ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها
بمحو الرذائل والاخلاق الردية عنها وكسب الفضائل والاخلاق الجميلة لها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وكما ان
الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة المضرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا
صحيحا على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي بالتعويد والتعليم تكتسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا
وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية
بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشأنه جلب الصحة اليه فكذا
النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة
صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج
الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذا الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج

مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالسخاء ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة
الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فلا بد من احتمال المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل اولى فان
مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله عذاب يدوم بعد الموت ابد الآباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة
الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع
منه فانه لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي يعالج بها الاخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدواء مأخوذ من عيار
العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة وان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة او قوية
فاذا عرف ذلك التفت بعده الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وساير احواله ويعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع
الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص
ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط
واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه
رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال
حرام او مقارفا لمعصية فيأمره اولا بتركها فاذا تزين بالعبادات ظواهره وطهرت عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن
الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ
قلبه منه حتى لا يلتفت اليه فان راى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره ان يخرج الى السوق للكدية والسؤال فان
عزة الرياسة والكبر لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه فان الكبر من الامراض
المهلكة وكذا الرعونة وان راى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب وراى قلبه مائلا اليه فرحا به ملتفتا اليه فيستخدمه في تعهد
بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة او ملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين
ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النفيسة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها
طول النهار فلا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا غير كونه
حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليه قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة ان المريد اذا كان لا يسخو بترك الرعونة رأسا او
بترك صفة اخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقل من الخلق المذموم الى خلق مذموم اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل
البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم ولذلك يرغب الصبي في المكتب باللعب والصولجان ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب
ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل عن ذلك بالترغيب في الآخرة وكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فليستعمل
الجاه فيما هو يسير وكذلك سائر الصفات وكذلك ان راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام او الزمه كلفه
ان يهيء الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره ولا ياكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فتتعود الصبر وتنكسر شرهه وكذلك اذا راى شابا
متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن النكاح فيأمره بالصوم وربما لا يسكن بذلك شهوته فيأمره بان يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة
على الخبز دون الماء ولا يطعمه اللحم والادم اصلا حتى تتذلل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبادي الارادة انفع من الجوع وان راى
الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه ويراعيه حتى يمرن
نفسه على احتمال العنف كما ان بعضهم يعود نفسه بالحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب وكان يستاجر من يشتمه على ملأ من الناس
ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب
واراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة وكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة
بالقيام طول الليل على منتصب واحد وبعض الشيوخ في ابتداء الارادة كان يكسل نفسه عن القيام فالزم نفسه القيام على راسه طول
الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع امواله ورماه في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس

المحذور بالبذل فهذه لا شدة فهي تلك طريق معالجة القلوب فليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سياتي في بقية الكتب
وانما الغرض الآن التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله تعالى
جميع ذلك في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك
شهوة فقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم الفت ذلك
ففسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبة واذا لم يخوف
النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وفسدت به الرياضة بالكلية **بيان** علامات المرض وعلامات عودها
الى الصحة اعلم ان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا
او يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار فكذلك مرض القلب
ان يتعذر عليه فعله الخاص الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثار ذلك
على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو
فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز به عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع
والابصار او غيرها بل بمعرفة الاشياء على ما هي عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شيء ولم
يعرف الله فكأنه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه وعلامة المحبة ان لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات
كما قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فمن
عنده شيء احب اليه من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء او سقطت شهوتها عن الخبز
والماء فهي مريضة فهذه علامة المرض وبهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفه صاحبها
ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهي
نزع الروح وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض والطبيب
المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل
الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءاة فهذه علامة اصل المرض واما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة
فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله تعالى وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد
يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو ايضا داء بل المطلوب
الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط في غاية البعد عن الطرفين
فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب
عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق
البخل فزد في المواظبة على البذل فاذا صار البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير
فارجع الى المواظبة ويسرتها حتى تنقطع علاقتك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه
الا امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد اتى الله سليما عن هذا
المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا
منقطعة العلائق منها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في
زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في
غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا
الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا

بالجانب الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها
كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب
على كل عبد ان يدعو الله في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة وروي ان بعضهم
رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك فقال لقوله تعالى فاستقم
كما امرت فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر
على حقيقتها فكل من اراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد
كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب **بيان** الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب
نفسه اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج
ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرون القذى في عين غيرهم ولا يرون الجذع في عين انفسهم فمن اراد ان يقف على عيوب
نفسه فله اربعة طرق الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته
في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه واستاذه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد
عز في هذا الزمان الثاني ان يطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما
كره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم
الله امرأ اهدى الي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فالح عليه فقال
سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان
يسأل حذيفة ويقول له انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على
جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان
هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقائك
عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس
فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وما اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد
آل الامر في امثالنا الى ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة
حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وقتلها
وانما نكايتها على البدن ويدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الردية على صميم القلب ويخشى ان يدوم بعد الموت ابدا او آلافا
من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله فنقول له وانت ايضا تصنع كيت وكيت
وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان
فنسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه
وفضله الطريق الثالث ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو
مشاحن يذكر عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو
وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم الطريق الرابع
ان يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبه اليها فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب
نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرين الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن
شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن
المؤدب قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم من ادبك قال ما ادبني احد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا

تصير اسيرا للنفس مشغولا بحاجاتها فكان فراغه عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله فحكمه حكم من وجد ذلك فقد وجد الطبيب
وهو الذي خلص من مرضه يخاف من الهلاك الذي هو بصدده

بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات

اعلم ان ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين وان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هي الطريق الى الله ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال الله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويحكى ان الله عز وجل اوحى الى داود يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل وما الجهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس وقال عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل وقال صلى الله عليه وآله وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله اذن تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا اشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأني بك بين الجنة والنار تحبسين الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه في يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهب ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من احب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويحكى ان امرأة العزيز قالت ليوسف صلوات الله عليه بعدما ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سألت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواءها فقال اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها فاقبل على نفسه وقال اسمعي فقد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه

من الجنيد فالآن قد سمعتيه وانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي اليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذا قد اتفق العلماء والحكماء على ان لا طريق الى سعادة الآخرة الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فلا يدرك الا بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به وألفه فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الآخرة بحال والخلاص عنه الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه ويستعين من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه فالناس فيه اربعة رجل مستغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني رجل استغرقت الدنيا قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكنه يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب على قلبه وربما تقول ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله تعالى وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة والمباح الخارج عن قدر الحاجة من الدنيا ايضا وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني قال من عرف الله لم يخف عليه شيء فقلت ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك ويقيك من هذه الزنابير فقال وانا ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فاذن لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الله ما لم تمنع النفس عن التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذي يشتهى به الحلال هو بعينه يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى آفات المباحات ووراءها آفة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الآية وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وذمها ولذلك الحزمة من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من التأثر بذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حال الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد عن اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص عن اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله والاشتغال بطاعته

ومثاله ما سبيل البازي اذا قصد تأديبه ونقله عن توحشه الى الاستيناس والتأدب فانه يحبس اولا في بيت ويخاط عيناه حتى
يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما كان قد الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا
دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة اولا
ليحفظ السمع والبصر عن المالوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليه الانس بذكر الله عوضا
عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل عليه في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ لا يصبر
عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عن الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم عليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن
راسا يوما فيوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف
اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السرح الذي الفته
بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب
وتأديبها بان تمنع عن النظر والانس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت اذ قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم انه
من احب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر
اياما قلائل فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها
شهرا ليتنعم به سنة وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح
يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه
من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس
والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن
فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى
لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا
يزول الا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت والله اعلم بالصواب

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه انه قد هذب نفسه
وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد
ذكر الله سبحانه صفات المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق
قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون وقال التائبون العابدون الى قوله
وبشر المؤمنين وقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود
جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض
فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده ووصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى
محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليكرم جاره وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات الايمان هي حسن الخلق فقال
اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال
من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما
وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال ان يكون
كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا

صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا
هشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة
وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله والمنافق
راج كل احد الا الله والمؤمن آمن من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق
يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملا
والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة
فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفاء ومن شكى من سوء خلق غيره دل على سوء خلقه فان حسن الخلق
احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه
برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه
ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضحك ثم امر باعطائه ولما اكثرت قريش
ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ويحكى عن ابرهيم بن ادهم رحمه الله انه خرج
الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد قال نعم قال اين العمران فاشار الى المقبرة فقال الرجل انما اردت
العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه بالسوط فشجه ورده الى البلد فاستقبله
اصحابه فقالوا ما الخبر فاخبرهم الجندي فقالوا هذا ابرهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له
لم قلت انا عبد فقال انه لم يسالني انت عبد من بل قال انت عبد فقلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي سالت الله له الجنة فقيل له
انه ظلمك فكيف سالت الله تعالى له الجنة فقال علمت اني اوجر على ما نالني منه فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ودعي ابو
عثمان الحيري الى دعوة وكان الداعي قد اراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا
فقال ارجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه الثالثة والرابعة وهو يرده حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان
لا يتغير فقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمان ان الذي رأيت مني هو خلق الكلب الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر
انزجر وروي ان ابا عثمان اجتاز في سكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل الا زجرتهم
فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له ان يغضب وروي ان علي بن موسى الرضا رحمه الله كان يميل لونه الى السواد اذ كانت امه
سوداء وكان بنيسابور على باب داره حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له الحمام فدخل ذات يوم فاطبق باب الحمام ومر الحمامي الى بعض حوائجه
فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه ودخل الحمام فرأى علي بن موسى رحمه الله فظن انه بعض خدم الحمام فقال
له قم فاحمل الي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يامره فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف
وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى وسال عن الحمامي قيل انه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي ان يهرب انما الذنب لمن وضع
ماءه عند امة سوداء وروي ان ابا عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط له شيئا
حمل اليه دراهم زيوفا وكان ابو عبد الله ياخذها ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق ان ابا عبد الله قام من الحانوت
لبعض حاجته فتقدم المجوسي الى التلميذ واسترجع منه ما خاطه ودفع اليه درهما زائفا فلما نظر فيه التلميذ رده عليه فلما عاد ابو عبد الله اخبره
بذلك فقال بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة وانا اصبر عليه فآخذ الدراهم والقيها في البئر لئلا يغر بها مسلما
وقال يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق عشرة اشياء قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات
والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير
والكبير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم

ولا استغفاره والسفه عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال
بينا هو جالس في داره اذ جاءت خادمة له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روع
عليك انت حرة لوجه الله وقيل كان اويس القرني اذا راه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول ان كان ولا بد فارموني بالصغار
كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب الحي وقف وقال ان بقي شيء
فقله كيلا يسمع بعض سفهاء الحي فيجيبوك وروي ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه
فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر
لوجه الله وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وقيل ليحيى بن زياد الحارثي
وكان له غلام سوء لم تمسكه فقال لاتعلم عليه الحلم فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقي من الغش والغل
باطنها فاثمر الرضا بكل ما قدره الله وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت
العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي
ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان

الطريق في رياضة الصبيان في اول نشوئهم ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة
نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في
الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة
القيم به والوالي عليه وقد قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه عن نار الاخرة اولى
وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من
اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع
عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول
ذلك ظهور اوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء
قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب
وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه
من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا يأخذ الطعام الا بيمينه وان يقول بسم الله عند اخذه وان يأكل مما يليه وان لا يبادر
الى الطعام قبل غيره وان لا يحدق الى الطعام والى من ياكل وان لا يسرع في الاكل وان يمضغ الطعام مضغا جيدا وان لا يوالي بين اللقم ولا
يلطخ ثوبه ولا يده ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من
يكثر الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي المتادب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام
وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده
ان ذلك شأن النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون
فينبغي ان يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة
كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاكثر رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا
فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التاديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن واحاديث الاخيار
وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ من مخالطة
الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي
خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال

مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد
في اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك ان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه
ويقال له اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب
القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح
وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب اعضاؤه ولا يستخف بدنه
فلا يصبر عن التنعم في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة و
الرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على
اقرانه بشيء مما يملكه والده او بشيء من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام
معهم ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وانه لؤم
وخسة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الطمع والاخذ مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه يتبصبص في انتظار لقمة
وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب
والفضة والطمع فيهما اكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان لا يبزق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة
غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية
الجلوس ويمنع من كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه عادة ابناء اللئام ويمنع اليمين راسا صادقا كان او كاذبا حتى
لا يعتاده في الصغر ويمنع ان يبتدئ بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر
منه سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من
يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء واصل تاديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي اذا
ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر له ان ذلك دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب
المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في
اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص
منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة
والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض
الايام من شهر رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن
الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوؤه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور
فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان بها على طاعة الله وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان
الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة
حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا
يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس
والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي
بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود
يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال سهل التستري كنت ابن ثلاث سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلوة
خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوما الا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث
مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات

فقلت ذلك ثم اعلمه تعالى قل كل ليلة احدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو فبعثوني الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب وحفظت القرآن وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسئلة وانا ابن ثلث عشرة سنة فسالت ان يبعثوا بي الى البصرة لاسال عنها فجئت البصرة وسالت علماءها فلم يشف عني احد شيئا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة ابن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتادب بادبه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة

اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان معه مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس بمريد حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة فقد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعثت له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليامن من الاعداء القطاع لطريقه وله وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب المال بان يزيله ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق وانما يرفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق قول لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في قلبه متسع لغيره صار ذلك له قيدا وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم

وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منها الى اسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا وآخرا ثم الترقي الى اسرارها واغوارها فاذا قدم من الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضا ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الى طرقه فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شط البحر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورده وصدره ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطا شيخه لو اخطا اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والسهر والجوع فهذا التحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات قال عيسى صلوات الله عليه يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال باخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب ظاهر تشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج في كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره ويضاف الى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فيتم به رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص اجمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب وتدبير امر فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اسفل الحوض فيخرج منه الماء اللطيف الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حال اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في بيت مظلم فان لم يكن مظلم فليلف راسه في جيب او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن يدفع عنه القواطع ويمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي تلك الصفات اعني اسرار العلائق التي قطعها في اول الارادة وآثارها اعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد وان يخلي الباطن عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص قد كفي اكثر الصفات فلا يطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك

ذكر لزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر بقلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتيني غير الله تعالى فحرام عليك ان تاتيني وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله او سبحان الله سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى يسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كانها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشيء خلا عن غيره اي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك ايضا نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله تعالى ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات الى علقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه وان يستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتامل ذكاءه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع اخطاره وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه واشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم على راس ماله وهو الانقطاع عن الخلق الى الحق والخلوة وقال بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق فقال ... لي على عمل اعمله اجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه العلة قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام

الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذن منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله تعالى ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط به الوصف اصلا واذا انكشف للمريد شيء من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا او يتصدى للتذكير فيجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع وربما يخيل اليه الشيطان ان هذا احياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق تدعو عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما واجزل لفظا واقدر على جلب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان تحركه بلذة القبول وان كان تحركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله الى الصراط المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن وازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون قلوبهم موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له اوائل الطريق فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في التدريج الى لقاء الله تعالى فاما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بهما احب الدنيا ولم يمكنه ذلك الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا راسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب

كتاب في كسر شهوة البطن والفرج
وكتاب في كسر الغضب والحسد والحقد
وكتاب في كسر شره الكلام
وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها
وكتاب في كسر حب المال وذم البخل
وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه
وكتاب في الكبر والعجب
وكتاب في مواقع الغرور

وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب فاما تفصيلها فانها تاتي في هذه الكتب ان شاء الله عز وجل

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج
وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم

ويقيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذه ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ودواعيه كل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ أوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه أما بعد فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة إلى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضي بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لأذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فإنها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائد الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياء في ترك أكل الشهوات ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله عليه السلام البسوا واشربوا وكلوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن قال النبي عليه السلام الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن قال النبي عليه السلام أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعا وتفكرا وأبغضكم إلى الله كل نؤوم وأكول وشروب وفي الخبر أن النبي عليه السلام كان يجوع من غير عوز أي مختارا لذلك وقال النبي عليه السلام إن الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات في الجنة وقال النبي عليه السلام لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء وقال عليه السلام ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضل الجوع إذ فيه إن أقرب الناس من الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخفياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لتلك البلدة لا يعذب الله تعالى

قوما هم فيهم الأرض بهم رحيمة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك أخوانا عسى أن تنجو بهم وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فإنك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال عيسى صلوات الله عليه أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أيضا رواه طاوس وفي التوراة مكتوب أن الله تعالى ليبغض الحبر السمين لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولأجله قال ابن مسعود إن الله يبغض القارئ السمين وفي خبر مرسل إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر أن الأكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن يأكل في معى واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء أي يأكل سبعة أضعاف المؤمن أو تكون شهوته سبعة أمثال شهوته ويكون المعى كناية عن الشهوة لأنها هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذ المعى وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن وروى الحسن عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ وروي أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة تقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي دونهم فالصبر أياما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله وعن أنس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام وقال أبو هريرة ما أشبع النبي عليه السلام أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال عليه السلام إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة وأما **الآثار** فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إياك والبطنة فإنها ثقل في الحياة ونتن في الممات وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال الفضيل بن عياض لنفسه أي شيء تخافين أتخافين أن تجوعي لا تخافي أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وكان كهمس يقول إلهي أجعتني وأعريتني وفي ظلم الليالي أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا أبا يحيى طوبى لمن أصبح جائعا وأمسى جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل يقول إلهي أجعتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وإنما تفعل هذا بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله وإذا شبعت فاذكر الجياع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشائي أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح وقال الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلا من أحبه وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أكله وقال لم ير الأكياس شيئا أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا أعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضع الحكمة والعلم في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال في الحديث

ث الطعام فهذا عليه فانما يأكل ضرورة وسئل عن الزيادة فقال لا تجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليك من الاخذ ويكون اذا جاع
ليلة سأل الله ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة
وقال راس كل بر نزل من السماء الى الارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبل الله
على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر
والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية وان شكر فكيف الشبع من الطعام وسئل
حكيم باي قيد اقيد النفس قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابناء الآخرة
واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد
يقسم بالله ان الله تعالى ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا والاهم الله تعالى الا بالجوع
وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ
وكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال ابو بكر بن عبد الله المزني ثلاثة يحبهم الله عز وجل رجل قليل
الاكل قليل النوم قليل الراحة **بيان** فوايد الجوع وآفات الشبع لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين هو وما سببه
وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتأذى به الانسان من ضربه نفسه
وقطعه لحمه وتناوله للاشياء الكريهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة
الدواء وكراهته فاخذ يتناول كل ما هو مكروه من المذاق وهو غلط بل نفعه بخاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك
الخاصية الاطباء وكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع
انتفع وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من
درجة الايمان الى درجة العلم ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوايد **الفايدة الاولى**
صفاء القلب وايقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه
السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه
وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك قال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة
كالسحاب والحكمة كالمطر وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال صلى الله
عليه وآله وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شيء زكاة وان زكاة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله تعالى يوما
الا رأيت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة و
الاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان يكون ملازمة الجوع قرعا
لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد
الجوع سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع
والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فيطفى نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام باتت الحور
حوله حتى يصبح **الفايدة الثانية** رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر
يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض
الاحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى ما تكون العبادة الي اذا
لصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدكم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان ان القلب
اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وبلد فاذن تأثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة فهي فايدة

ثانية **الفايدة الثالثة** الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر
النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام
فاتتها واظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد ذل نفسه وعجزها لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سعادته في ان يكون دائما
مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار
بالذوق ولذلك لما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا وخزائنها قال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاني اذا جعت صبرت
وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصلها الشبع والذل والانكسار باب من ابواب
الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب
فالقرب من احدهما بعد من الآخر **الفايدة الرابعة** انه لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجايع
وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع اهل
النار حين يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل فلا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الآخرة والامها
فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا قلة ولا علة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون
ان يكون العبد في بلاء او مشاهدة للبلاء واولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوايد جمة سوى ذكر عذاب الآخرة وهذا احد الاسباب
الذي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يديك خزاين الارض فقال
اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايعين والمحتاجين احدى فوايد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله
تعالى والشبعان في غفلة عن الم الجايع **الفايدة الخامسة** وهي من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على
النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات الاطعمة لا محالة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة
وانما السعادة في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت
وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف
ان يجمح بي فيورطني فلأن احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او
هممت بمعصية وقالت عايشة رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم
جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فايدة واحدة بل هي خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزاين الله وادنى ما يندفع
بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والنميمة
والكذب وغيرها فيمنعه الجوع عن كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس وما اكب الناس على مناخرهم الا حصايد
السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى غايلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه والعين
تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الرديئة وحديث النفس باسباب الشهوة ما
يتشوش به مناجاته وربما عرض في اثناء الصلاة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها القوة
الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط معه شيا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه
رفع الله عنه مؤنة النساء **الفايدة السادسة** دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولاجل ذلك
كان يقول بعض الشيوخ عند حضور الطعام معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع راي سبعين
صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر
وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه
ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان
قد اخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل ذلك اثر الشبع

وعند قال ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له **الفائدة السابعة** تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذا لو صرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه وقال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا قال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفى منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملة الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الداراني الى ست آفات وقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل **الفائدة الثامنة** من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع من ذلك كله حكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي عندي هو الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال تاكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما **الفائدة التاسعة** خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه في كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون اروح لقلبي وقال آخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان ابراهيم بن ادهم يسال اصحابه عن السعر من المأكولات فيقال انها غالية فيقول ارخصوها بالترك وقال سهل الاكول مذموم في ثلاثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الاحوال كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم اديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله وتجارة الآخرة فيكون من

الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه انما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة **الفائدة العاشرة** ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد في الخبر فما ياكله كان خزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام من التخمة والشبع اولى وكان الحسن رحمه الله اذا قرأ هذه الآية انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق اللاتي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت قالت لا ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ البواذخ الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة قالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه عز وجل فقد رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا آلافا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول احدهم تبيعني ارض كذا وكذا وازيدك كذا وكذا يتكي احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام اذا اخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء اهضم طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقراء اين الارامل اين اليتيم اين المسكين الذي امرك الله بهم فهذه اشارة الى ما في صرف فاضل الطعام الى الفقير الذي [illegible] ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا اقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائده فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولاجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح باب الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح باب الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك رتبة المقلدين في الايمان

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن اعلم ان على المريد في بطنه ومأكوله اربع وظائف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فان العبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول في تناول المشتهيات وتركها **اما الوظيفة الاولى** في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الاكل الكثير وانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرد الى واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يستضر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهي عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منهما وهي الحياة والعقل اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلوته قائما مع كثرة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز فاسويه مخلطا ثلاثمائة وستين اكرة آخذ كل ليلة اكرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف تاكل قال بلا حد ولا توقيت ويحكى عن الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام **الدرجة الثانية** ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه

الصفة في الجمع لله وهو زاد من العشر وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم **الدرجة الثالثة** أن يرد
إلى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى
شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس **الدرجة الرابعة** أن يزيد على المد إلى المن ويشبه أن يكون ما وراء
المن إسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا أعني في حق الأكثر فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به
وهاهنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب
أن من لم يقدر لنفسه رغيفا أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق
علامات أحدها أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان فمهما طلبت خبزا بعينه أو طلبت أدما فليس ذلك بالجوع
وقيل أن يبزق فلا يقع الذباب عليه أي لم يبق فيه دهنية ودسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد
أن يقدر لنفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير
الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص نعم كان قوت جماعة من الصحابة رضي الله عنهم صاعا من حنطة في كل جمعة فإذا أكلوا
التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون لكل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج إلى
زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والله لا أزيد عليه شيئا حتى ألقاه فإني سمعته يقول أقربكم مني مجلسا يوم القيامة وأحبكم إلي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في
إنكاره على بعض الصحابة قد غيرتم تنخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين إدامين واختلف عليكم ألوان الطعام وغدا
أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين
اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث وتسقط منه النوى وكان الحسن يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة
من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله وجهوا
هذه الفضول أمامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط

الوظيفة الثانية في وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أيضا أربع درجات الدرجة العليا أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها وفي
المريدين من رد الرياضة إلى الطي لا إلى المقدار حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم
منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم وإبراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد
وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وإبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة أيام وكان عبد الله
بن الزبير يطوي سبعة أيام وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي أن الثوري وإبراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا
ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت أي
كوشف ببعض الأسرار الإلهية وقد حكي أن بعض هذه الطائفة مر براهب فذاكره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور
فكلمه في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب إن المسيح كان يطوي أربعين يوما وإن ذلك معجزة لا تكون إلا لنبي أو صديق فقال له الصوفي فإن
طويت خمسين يوما تترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنك على باطل قال نعم فقعد لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى
خمسين يوما ثم قال وأزيدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب إسلامه
وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها إلا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعه
وحاجته الدرجة الثانية أن يطوي يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة الدرجة
الثالثة وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا تكون له حالة
جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا تغدى لم يتعش وإذا
تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة رضي الله عنها إياك والسرف فإن أكلتين في يوم من السرف

فكان أكلتين في يوم سرف وأكلة واحدة في يومين إقتار وأكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله ومن اقتصر في
اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار
للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى المعلوم فلا تنازعه قبل
وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيامكم هذا قط وإن كان
ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم قط غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر وفي حديث عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يواصل إلى السحر فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب إلى الطعام وكان يشغله عن حضور القلب في التهجد فالأولى
أن يقسم طعامه بنصفين فإن كان رغيفين مثلا أكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد
على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الأكل
وتباعده وتقاربه **الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام وترك الإدام وأعلى الطعام مخ البر فإن نخل فهو غاية الترفه
وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة وأدناه الملح والخل وأوسطه المزورات بالأدهان من غير لحم
وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فإن كل لذيذ يشتهيه الإنسان فأكله اقتضى ذلك
بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأنسا بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنا
وإذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقة فاشتهت نفسه الانفلات منها فيكون الموت إطلاقها
وإليه الإشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال يا معشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس
وكل ما ذكرناه من آفات الشبع فإنها تجري في أكل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول بإعادته ولذلك يعظم الثواب في ترك
الشهوات وتناول اللذات فلا نطول بإعادته ولذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة
لم يعص ومن داوم عليه أيضا فلا يعصي بتناوله ولكن يتربى نفسه بالنعيم فيأنس بالدنيا ويألف اللذات ويسعى في طلبها فيجره ذلك إلى المعاصي
فهم شرار الأمة لأن مخ الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور تلك الأمور معاص وقال صلى الله عليه وآله وسلم شرار أمتي الذين غذوا
بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم وإنما همتهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في الكلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر
أنك ساكن القبر فإن ذلك يمنعك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا
أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روي أن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال
أحدهما للآخر من أين قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر أمرت بإهراق زيت اشتهاه
فلان العابد فهذا تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه من شربة ماء بارد بعسل وقال
اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله أعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن
ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف وشويت
وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها إليه فقال له الغلام أصلحك الله قد اشتهيتها
منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها إليه فقال الغلام للسائل هل لك
أن تأخذ درهما وتتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضعها بين يديه فقال لفها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فإني سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وآله وسلم
إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار أشار إلى أن المقصود رد ألم الجوع ودفع ضرره دون
التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني فأعلمه
فدخل عليه فقرب عشاؤه فأتوه بثريد لحم فأكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن أبي سفيان

الطعام بعد طعام والذي نفسي بيده لو ان خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن نمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاص وروى ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ في الدار الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف به من حب كان في الشمس نهاره فيقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد شردت عني كلب الجوع وروى عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم ياكله واهدي اليه يوما رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف واقبل يبكي وقال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق البصرة فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني من هذا الليلة فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة فما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زادكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم وقال مالك بن دينار طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى الحق بالله وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فاليت الا تاكله ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر يوما في السوق فراى بحانوت الفاكهة فاشتهاها فقال للابنة اشتري لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال للنفس قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقتيه فبعث به الى يتامى من الفقراء وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن احمد بن خليفة قال نفسي منذ عشرين سنة ما تطلب مني الا الماء حتى تروى مما اروتها وروى ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي ان ادفعها منذ سبع سنين فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها فلقيت صبيا فقال الست انت ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله اياه واقبل يبكي ويتلو ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ثم لم يذقه بعد ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين فلما كان ذات ليلة اشترى بقيراط تمرا ورفعه حتى يفطر عليه قال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع الناس فقال عتبة هذا لجراتي عليك وشرائي التمر بالقيراط وقال لنفسه ما اظن اخذ الناس الا بذنبك علي ان لا تذوقيه وترك التمر واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فقال فاقبل ليلته يقول ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ثم لم ياكل الا قفارا وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من نفسه منزلة ما اعرفها من نفسي فقال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال انا ان تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينك على التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذا ترك شيئا لم يعاوده ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشتري له التين الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة فوضعها في فمه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي اما تستحيي تركته من اجلي ثم تعود اليه وقال صالح المري قلت لعطاء السليمي اني متكلف لك شيئا فلا ترد علي كرامتي قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي بشربة من سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت له لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوه فردها ولم يشربها فاتيته فلمته وقلت سبحان الله رددت علي كرامتي فلما راى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت في نفسي اراني في واد وانت في واد وقال السري نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اتركي هذه الشهوة وروي ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغيفا فجعل اخوه يقلب بعضها ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبني آدم

ميكائيل

حتى صار اليك ثم انت تقلبه هذا التقليب لا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اولهم الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخرهم الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسم الجوعي فسالته عن الزهد اي شيء هو فقال اي شيء سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت وانت اي شيء تقول فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحارث ربما اعتل فقال لعبد الرحمن المتطبب عن شيء يوافقه من الماكولات فقال تسالني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال بشر صف لي حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيدباجا فقال له بشر تعلم شيئا اقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال اتعرف شيئا اقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الخرنوب الشامي قال اتعرف اقل من الاسفيدباج شيئا يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال عبد الرحمن انت اعلم مني بالطب فلم تسالني فقد عرفت ان هؤلاء كلهم امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم لفوائد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانه كان لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كلما يشتهيه ويفعل كلما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل لينشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او ليجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا من القرآن عقيب اكله كان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيئا من الطعام والفواكه الطيبة فينبغي ان يترك الخبز وياكلها بدلا منه لتكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدا بالتمر فان قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال ابن عمر ما تاتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له يوم القيامة اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتد مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك فقال لا احسن اصف لك ما لقيني ربي عز وجل به من النعيم والكرامة وكان اول شيء استقبلني به خبز ارز وسمك وقال كل اليوم شهوتك هنيئا بغير حساب وقد قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف احوال الناس فيه

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان اسرف مسرف في مضادة الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الا الى الغاية فان اسرف مسرف في مضادة الطبع

في الشرع أيضاً ما يدل على خساسته كان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه أصلاً فإن المقصود من الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل أكلاً لا يبقى للأكل فيه أثر ليكون متشبهاً بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن ألم الجوع وغاية الإنسان الاقتداء بهم وإذ لم يكن للإنسان خلاص عن الجوع والشبع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال الطالب لأن يبعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال نملة ألقيت في وسط حلقة محماة على النار مطروحة على الأرض فإن النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للإنسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة في الخلاص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوباً في جميع هذه الأحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وآله وسلم خير الأمور أوساطها وإليه الإشارة بقوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحاً متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في إيلامها بالجوع كما يبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها وعن هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه فإنه يأمره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لأنه قد فرغ من تهذيب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الأصلح لها الجوع الذي يحس بألمه في أكثر الأحوال لتنكسر والمقصود أن تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضاً إلى الاعتدال وإنما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحمق أما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما المغرور فلظنه بنفسه أنه الصديق المستغني عن تأديب نفسه الظان بنفسه خيراً وهذا غرور عظيم وهو الغالب فإن النفس قلما تتأدب تأدباً كاملاً وكثيراً ما تغتر فتنظر إلى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر إلى الصحيح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصوداً في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء فإن قالوا نعم أكل فإن قالوا لا قال إني إذن صائم وقد كان يقدم إليه الشيء فيقول أما إني كنت أردت الصوم ثم يأكل وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً وقال إني صائم فقالت عائشة قد أهدي إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي أن سهلاً قيل له كيف كنت في بدايتك فأخذ يصف ضروب الرياضات منها أنه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها أنه أكل دقاق التبن ثلاث سنين ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت في وقتك قال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت أني آكل كثيراً أي لا أقدر ما آكله أصلاً وقد كان معروف الكرخي يهدى إليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له إن أخاك بشراً لا يأكل من هذا فقال إن أخي بشراً قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي إذا أطعمني أكلت وإذا جوعني صبرت ما لي والاعتراض والتمييز ودخل إبراهيم بن أدهم على بعض إخوانه فقال قدم لنا ما عندك فقدم زبداً وعسلاً وخبز حوارى فقال يا أبا إسحاق هذا كله فقال الرجل إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاماً فأكثر منه ودعا إليه نفراً يسيراً فيهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري أما تخاف أن يكون هذا إسرافاً فقال ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث والذي أخذ العلم من السماع والنقل تقليداً يرى هذا من إبراهيم بن أدهم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل اللحم بيتي منذ

عشرين سنة ويسمع عن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة أشتهي أن أغمس جزرة في دبس فما فعلت فيراه متناقضاً فيتحير أو يقطع بأن أحدهما مخطئ والبصير بأسرار العلم يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها الفطن المحتاط أو المغرور فيقول المحتاط إنما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسي فليس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول ليس نفسي بأعصى علي من نفس معروف الكرخي وإبراهيم بن أدهم فأقتدي بهم وأرفع التقدير عن أكلي وأنا أيضاً ضيف في دار مولاي فما لي والاعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقه وفي توقيره أو في ماله وجاهه حبة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل ترك التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون إمساكه بنية فيكون عاملاً لله في أكله وإفطاره وينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب العسل ويأكله ثم لم يقس عليه نفسه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل جعل يدير الإناء في كفه ويقول أشربها فتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذا السر لا ينبغي أن يكاشف الشيخ به مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه إلى الاعتدال فإنه يقصر لا محالة عما يدعوه إليه فينبغي أن يدعوه إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغني عن الرياضة فإن الشيطان يجد متعلقاً من قلبه فيلقي إليه كل ساعة أنك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع المريدين في كل رياضة كان يأمرهم بها كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لا يفعله فينفره ذلك عن رياضته والقوي إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبهاً بهم وتلطفاً في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء وإذا كان حد الاعتدال خفياً في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحماً مأدوماً بسمن فعلاه بالدرة وقال لا أم لك كل يوماً خبزاً ولحماً ويوماً خبزاً قفاراً وهذا هو الاعتدال فأما المواظبة على اللحم والشهوات فإفراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكلية تقتير وهذا قوام بين ذلك

بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات إحداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فيشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به بأساً قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلي بالشهوات وحبها أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدة بالأعمال فإن إخفاء النقص وإظهار ضده من الكمال هو نقصان متضاعف والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقاً لمقتين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر المنافقين فقال إن المنافقين في الدرك الأسفل لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفراً آخر لأنه استخف بنظر الله إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والإخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لمنزلته عن قلوب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبيس حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد بإظهار ضده وهذا عمل الصديقين فإنه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذبين وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يأخذ الشيء جهراً ويرده سراً ليكسر نفسه بالذل جهراً وبالفقر سراً فمن فاته هذا فلا ينبغي أن تفوته إظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يغره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستر إصلاحاً للغير لأنه لو قصد إصلاح الغير لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره وإنما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان في معرض إصلاح غيره ولذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل أو لا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات **الآفة الثانية** أن يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح بأن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر

الشهوة اعم من كسرة شهوة الطعام طيا كل هو ان يحلي له قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيا يسيرا
ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق
اذا قدمت الى شهوتى نظرت الى نفسى فان اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة
من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الريا كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الريا امر كثير من شهوة الطعام

القول في شهوة الفرج

اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين احديهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الاخرة فان
لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والامها اعظم الآم الجسد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى
سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق **الفايدة الثانية** بقا النسل
ودوام الوجود فهذه فايدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان النبي
عليه وآله وسلم يقول اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النسا حبايل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنسا
سلطنة على الرجال وروي ان موسى صلوات الله عليه كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما
دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك فقال موسى من انت قال انا ابليس قال فلا حياك الله ما جا بك قال جيت لاسلم عليك
بمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال به اختطف قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت
عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت
صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها وافتنها به ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم
يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفا بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم وعن سعيد
بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم يياس ابليس ان يهلكه بالنسا ولا شي اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي
وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان قال للمراة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا
اخطي وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب واعظم الشهوات شهوة النسا وهذه الشهوة
ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنسا والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة
او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطايفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم
للاستكثار من الوقاع وقد يتناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن بلي بسباع ضارية لا تنام
عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل باصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على
التحقيق الام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص والامر الثاني انه قد ينتهي بعض الشهوة بعض الضلال الى
العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهايم لان المتعشق ليس يقنع بارادة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات
واجدرها ان يستحيي منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تقتضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي
الا بشخص معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون
خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا سبعة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز منه في اوايله بترك معاودة
النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق المال والجاه والعقار والاولاد وحب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج
فان هذه الامور قد تستولي على طايفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق اول انبعاثه
مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى

تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها الى ورا وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور
فاما في اواخرها فلا يقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح فاذن افراط الشهوة ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا
وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انقباضها
وانبساطها ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح قال صلى الله عليه وآله وسلم معاشر الشباب عليكم بالباة فمن لم يستطع فعليه بالصوم
فان الصوم له وجا

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله اعلم ان المريد في ابتدا امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك
شغل يمنعه من السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا تغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله فلا تقاس الملايكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن
الى الدنيا وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على ما كان عليه وقيل له مرة ما احوجك الى امراة تستانس بها فقال لا آنسني الله بها اي ان الانس بها
يمنع الانس بالله وقال ايضا كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به وقد كان يستغرقه الحب في الله بحيث كان يجد احتراقه فيه الى حد كان يخشى منه سريانه الى قالبه فكان يضرب بيده على فخذ عايشة احيانا ويقول كلميني يا عايشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فكان طبعه الانس بالله عز وجل وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم انه كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذه الامور فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله صلى الله عليه وآله وسلم
فشرط المريد العزوبة في الابتدا الى ان يقوى في المعرفة
وهذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدايم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر
على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره ويتفرق عليه همه
وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغاير وهي تؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على
غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى صلوات الله عليه اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن
جبير انما جات الفتنة لداود عليه السلام من اجل النظرة ولذلك قال لابنه عليهما السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة
وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بدو الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هو قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطي به يعني
النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته
في قلبه وقال عليه السلام ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النسا وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النسا فان اول فتنة بني اسرايل
كانت من النسا وقال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الآية وقال عليه السلام لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان و
زناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم او يتمنى
ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال صلى الله عليه وآله
وسلم احتجبا فقلنا اليس اعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنسا مجالسة العميان كما جرت العادة في الماتم
والوليمة فيحرم على الاعمى الخلوة بالنسا ويحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانما جوز للنسا محادثة الرجال
والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النسا ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان
اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من تاثر قلبه بجمال
صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة
فلا ينبغي ان يخلو ادراك التفرقة كادراك التفرقة بين شجرة خضرا ويابسة وبين ما صاف وما كدر وبين شجرة عليها انوارها وانوارها وشجرة
تساقطت اوراقها فانه يميل اليها بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولكن لا يشتهي ملامسة الانوار والازهار وتقبيلها
ولا تقبيل الما الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها ويدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها
ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن
والثياب المنقشة والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا
يشعرون قال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من غلام امرد يجلس اليه وكان سفيان لو ان
رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلثة اصناف
لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون وآفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره

فالصواب لمن لم يكسر شهوة النكاح بترك شهوة تسكن بها بالجوع قال الجنيد غلبت على شهوتي في بدء ارادتي بما لم اطق فأكثرت
الضجيج الى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال لي ما لك فشكوت اليه فقال تقدم فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي
وجميع جسدي فأصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فأكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال أتحب ان يذهب
ما تجد واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة
ثم عاودني ذلك واشتد فرأيت شخصا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى دفع ما لا يحب دفعه قال فتزوجت
فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدائه فبالنية
الحسنة وفي دوامه فبحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في آداب النكاح فلا نطول باعادته
وآية صدق الارادة ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق
وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقد قال
بعضهم ينبغي ان تكون المرأة دون الرجل بأربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه بأربع بالجمال والادب
والخلق والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين امرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت
ذلك الى ابيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم
امرأة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصابت المرأة الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فأراهم الرجل انه قد
أصابه رمد ثم اظهر ان بصره قد ذهب حتى زفت المرأة اليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه
فقيل له في ذلك فقال تعمدته لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية
امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان نكح المريد
فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو اولى له اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله
عن حاله كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم فكتب الى اهل البصرة وعلمائهم في امرأة يتزوجها
فأجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله عز وجل قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم
ثمانين الف درهم وليس يمضي الايام والليالي حتى اتمها مائة الف وانا اصيرك مثلها ومثلها فأجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن
الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم
لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله
عز وجل خولني امثال الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل ما شغل عن الله فهو
نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب فان عجز فالنكاح اولى به ودواء هذه الشهوة ثلثة
الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم تنفع هذه الثلثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط ولهذا
كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من شيء الا اتاه من قبل النساء
وقال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء
وعن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها
فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين
او ثلاثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم تحمد وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزوجني على درهمين او قال ثلاثة قال فقمت
وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت اتفكر ممن آخذ واستدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسرجت
وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي افطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فأفكرت في كل
انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت فخرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت انه

قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فآتيك قال لا انت احق ان تؤتى قلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت
فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب
فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج
لكي لا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤوني فقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته
اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا سعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ امي
فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلاثة ايام فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي
من اجمل الناس واذا هي من احفظ الناس لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعرفهم بحق الزوج
قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان قرب الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام
ولم يكلمني حتى تفرق اهل المسجد فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك
شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها
عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد فأبى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال
على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف
تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح فضيلة من يخالف شهوة
الفرج والعين اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها
يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على جسمه وليس في
شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي
دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة
وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال عليه السلام من عشق فعف
فكتم فمات فهو شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امرأة
ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه عن زليخا مع القدرة
ومع رغبتها معروف وقد اثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة
وروي ان سليمان بن يسار رحمة الله عليه كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج
هاربا عن منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت في المنام يوسف عليه السلام وكأني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي
هممت وانت سليمان الذي لم تهم اشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وعن سليمان ايضا ما هو اعجب
منه وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيئا
وقعد سليمان في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورع الناس فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رأت جماله وحسنه
انحدرت وعليها البرقع والقفازان فوقفت بين يديه فسفرت عن وجه لها كأنه فلقة قمر فقالت اهنئني فظن انها
تريد طعاما فقام الى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس
ثم وضع رأسه بين كميه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رأت ذلك سدلت البرقع على وجهها ورجعت راجعة حتى جاءت الى
خيمتها فجاء رفيقه وقد ابتاع ما يرتفقون به فلما رآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه قال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا الا ان لك
قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاثة ايام او نحوها فلم يزل به حتى اخبره بشأن الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء
شديدا فقال له سليمان وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا
يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى واتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس فاذا رجل وسيم جميل طوال له شارة

حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان من انت رحمك الله قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وشان امراة العزيز لشانا عجيبا فقال له يوسف شانك وشان صاحبة الابواء اعجب وروي عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او مالا فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منها وقال الآخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت احب الناس الي فاردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم استاجرت اجراء فاعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله ادّ الي اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدأ الزنا فحفظه مهم وهو عسر من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها منشاها منه والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما تخايل اليه الحسن فينبغي ان يقطع المعاودة وعنده ينبغي ان يشدد على نفسه ان بدأ المعاودة فيعني بالجملة ان حقق النظر واستحسن ثم ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استمتع لم يتلذذ به ودام ثم لانه قصد اللذة فقد فعل ما يلتذ به فلا يخلو كل حال عن معصية وعن تالم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق وروي عن ابي بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها في حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد يتقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فسأله فقال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعو حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب عند الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بهن ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بهن قال فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس

كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله فاراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستر فاذا لبس لها ملابسها غضب الله عز وجل لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا الذي يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوما تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصدي اليه على صدق المسألة فاني مشتغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا الا بين يدي الله عز وجل وبكت بكاء كثيرا وقالت اسأل الله بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها عنك واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء اشد من بكائها الاول ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايستها من نفسك فيقول اني ذبحت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله عز وجل وانا استحيي من الله عز وجل ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده والله اعلم بالصواب

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذي ارسله فاطلق بالحق مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وآي فضله ودين سهله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبر عبد وهلله اما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله او آجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت

وبعده ذكر آفة الكلام فيما لا يعنيك ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن إما لحيوان أو جماد أو إنسان ثم آفة الغناء بالشعر ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة إفشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة السؤال أعني سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة وهي تمام الآفات وهي العشرون منها

عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صمت نجا وقال النبي عليه السلام الصمت حكم وقليل فاعله أي حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما أتقي فأومى بيده إلى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل النار قال الأجوفان الفم والفرج فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفة اللسان لأنه محله ويحتمل أن يكون المراد البطن لأنه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أخوف ما تخاف علي فأخذ بلسانه ثم قال هذا وروي أن معاذا قال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الأعمال أفضل فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه وقال أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه وقال أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سره أن يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا وروي أن عمر رضي الله عنه اطلع على أبي بكر رضي الله عنه وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن هذا أوردني الموارد إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم أو اصمت تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أبا عبد الرحمن هذا شيء تقوله أو شيء سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه وقال ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلعم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره وروي أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصني قال اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده إلى لسانه وعن صفوان بن سليم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلعم قال رحم الله عبدا تكلم خيرا فغنم أو سكت فسلم وقالوا لعيسى صلوات الله عليه دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا إلا بخير وقال سليمان بن داود صلوات الله عليهما إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البراء قال جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع

واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله عند لسان كل قائل وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى صلوات الله عليه العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا عليه السلام من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنع به نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا أوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا إله إلا هو ما من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع إن أطلقته أكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شأنه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية والأحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا أبا بحر قال أخشى الله إن كذبت وأخشاكم إن صدقت وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل وقال الآخر إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقيل إن المنصور بن المعتمر لم يتكلم بعد العشاء الآخرة أربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع قرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فإن قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات فهي آفات كثيرة وهي سباقة إلى اللسان لا تثقل على اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فإن ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضيله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة وقد قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي منفعته بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى إلا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا أن ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد أوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله ونحن نعد الآن آفات اللسان ونبتدئ بأخفها ونترقى إلى الأغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فإن النظر فيها أطول وهي عشرون آفة

الكلام فيما لا يعنيك اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ أحوالك عن جميع الآفات التي ذكرناها

من الغيبة والكذب والمراء والنفاق وغيره وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم أصلا إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه
ولا حاجة بك إليه فإنك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير لأنك لو صرفت الكلام
إلى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى
بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله
واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظره إلا عبرة
ونطقه إلا ذكرا هكذا قال النبي عليه السلام بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع
رأس ماله ولهذا قال النبي عليه السلام من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس استشهد غلام منا يوم
أحد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا
مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتألية على الله عز وجل
قالت هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه ومعناه أنه إنما تتهنأ الجنة مع المناقشة
في الحساب فإنه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن أول من يطلع عليكم من هذا الباب رجل
من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا
بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال إني لضعيف وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وتركي ما لا يعنيني وقال أبو ذر قال لي رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن أحسن من الدهم
الموقفة لا تكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في
غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فإن الحليم يقليك وإن السفيه يؤذيك واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به
واعفه مما تحب أن يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإجرام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا أسأل عما كفيت ولا
أتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي أمر أنا في طلبه منذ عشر سنين لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني
وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله ولا تصحب الفاجر
فتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى وحده أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر في حال
أو مآل مثاله أن تجلس مع قوم فتحكي معهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الأطعمة والثياب
وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر وإذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك
زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله فأنت
مع ذلك كله مضيع زمانك وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك
وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع وهذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات
فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فإن قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل سقطت عبادته
من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا وإن سكت كان مستحقرا إياك وتأذيت به وإن
احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو الكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك
سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم
أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فربما يمنعه مانع من ذكره فإن ذكره تأذى به واستحيى وإن لم يصدق وقع في
الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسؤول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لا أدري فيجيب عن غير
بصيرة ولست أعني بالتكلم بما لا يعني هذه الأجناس فإن هذا يتطرق إليها إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا يعني ما روي أن لقمان الحكيم دخل على داود

صلوات الله عليه وهو يسرد الدرع فجعل يتعجب مما يرى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود
ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل كان يتردد
إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك ولم يسأل فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما
لا يعني وتركه من حسن الإسلام فهذا حده وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو المباسطة بالكلام على سبيل
التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسؤول عن كل كلمة وأن أنفاسه رأس ماله
وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فإهماله ذلك وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل
فالعزلة أو أن يضع حجرا في فيه وأن يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا
على غير المعتزل شديد جدا   فضول الكلام وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة
فيما يعني على قدر الحاجة فإن من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة
فذكر كلمتين فالثانية فضول أي فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر وقال عطاء بن أبي رباح إن من كان
قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو أن ينطق بحاجتك
في معيشتك التي لا بد لك منها أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب
عتيد أما يستحيي أحدكم أن لو نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة
قال إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إلي من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال
الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وأمثاله واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى
قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن أمسك
الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله
عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رهط من بني عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا
فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان إشارة إلى أن اللسان
إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود أنذركم فضول الكلام
حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته وعن مجاهد قال إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب له
كذبة وعن مجاهد قال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروي
أن سليمان بن داود عليهما السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه أنه مر في السوق فرفع
رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذي
يستملي منهم ما أسرع ما يملون وقال إبراهيم التيمي المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا
وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي
صلى الله عليه وآله وسلم فأكثر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسناني قال أفما كان في ذلك
ما يرد كلامك وفي رواية أخرى أنه قال في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما أوتي رجل شرا من فضل في لسانه وقال
عمر بن عبد العزيز إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال بعض الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان
ساكتا فأعجبه السكوت فليتحدث وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وإن وجد من يكفيه
فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر إن أحق ما طهر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة
فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال إبراهيم يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام
وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني . الثالثة الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي

لحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان
كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما
لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض او الخوض في الباطل
وانواع الباطل لا يمكن ان تحصى لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع
من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها وقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من
رضوان الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيمة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ
ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة قال وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا يهوي بها في نار جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في الجنة
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض
مع الخائضين وبقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية
الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض
في الباطل وهو وراء ما سياتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في التوصل
اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة
على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل **الآفة** الرابعة المراء والمجادلة وذلك منهي
عنه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذروا المراء
فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء
وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني
عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان
حتى يدع المراء وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل
الصلوة في اليوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل
الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضا للخصومات اكثر التنقل وقال
مسلم بن يسار اياكم والمراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدال
وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من الدين في شيء وقال ايضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمن لابنه يا بني
لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت
اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال سفيان صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية
تمنعك العيش وقال ابن ابي ليلى لا امارى صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال مماريا
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه لا تعلم العلم لثلث ولا تتركه لثلث لا تتعلمه لتماري به ولا تباهي
به ولا ترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى صلوات الله عليه من كثر كذبه ذهب جماله
ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تترك اخاك
عن قلى قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ
واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا
ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو او من جهة اللغة العربية
او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا

لاظهار خلله واما في المعنى فبان يقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه لكذا وكذا واما في قصده فمثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس
قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا
مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن واما
المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه
للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل يحب ان يكون هو المظهر لخطائه ليتبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا
الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان
باطنتان للنفس قويتان لها اما اظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان اما اظهار الفضل
فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الاخر فهو
من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما
المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء
الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في
قائله بكل ما يقدر عليه فيثور الشجار بين المتمارين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم
نكاية واقوى في افحامه والجامه واما علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما
سياتي ذلك في كتاب الكبر والعجب وكتاب الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة و
طبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر عليه الصبر عنه روي ان ابا حنيفة رحمه الله قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي
بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد علي منها وهو كما قال لان من يسمع
من غيره الخطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال عليه السلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة
لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون
الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا
بطريق المجادلة فان المجادلة تخيل اليه انها حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها ان
لو ارادوا فيستمر البدعة منه في قلبه بالجدل ويتأكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات وكل
من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا اذا
اجتمع عليه سلطان الكبر والعجب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها
الآفة الخامسة الخصومة وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان
يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج
في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا اعتراضا على كلام سبق
فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياكم والخصومة
فانها تمحق الدين وقال ما خاصم ورع قط وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك قلت خصومة
بيني وبين ابن عم لي قال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رأيت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروة
ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لانصرف فقال لي الخصم ما لك قلت لا اخاصمك قال عرفت اني على حق قلت
لا ولكن اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئا هو لك فان قلت اذا كان للانسان حق فلا بد من الخصومة في طلبه

او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يتعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل في الخصومة في اي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميته في بئر ولا ابالي وهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا فاما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات واقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا الجدال والمراء فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته فيسلم عن الاثم ولا اثم على الخصومة الا انه ان كان مستغنيا فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون آثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس رضي الله عنه من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا لان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي ان عيسى صلوات الله عليه مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا لخنزير فقال اني اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الكلمة الطيبة صدقة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح وهذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر

الآفة السادسة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرى به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا هلك المتنطعون ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد الى ابيه يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بالسنتها وكأنه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك تكلف السجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به فاما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق فالاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه

الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والفحش فان الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ان تسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وآله وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه وآله وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى ويسعون ما بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وآله وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابي امامي فقال ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوأ الداء اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط اولى من لفظ التغوط والخراءة وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيا منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة او من وراء الستر او قالت ام الاولاد كذا فالتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هارون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه خراج فاتيناه نسأله لنرى ما يقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيّرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيّره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبّنّ شيئا قال فما سببت شيئا بعد وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبّني وهو دوني هل عليّ باس ان انتصر منه فقال المستبّان شيطانان يتعاويان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وآله وسلم المستبّان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وآله وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وآله وسلم ملعون من يسبّ والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسبّ الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسبّ والديه قال يسبّ الرجل يسبّ اباه فيسبّ الرجل اباه

الآفة الثامنة اللعن اما لحيوان او جماد او انسان وذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن ليس بلعّان وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض اسفاره اذ امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وآله وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني انظر الى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعّانين وصدّيقين كلا ورب الكعبة اللعّانين وصدّيقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال لا اعود وقال عليه السلام ان اللعّانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وقال انس كان رجل مع النبي على بعير فلعن بعيره فقال النبي يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثانية اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض او على الزناة والظلمة وآكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة فلم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا والثالثة اللعن على الشخص وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبت لعنه شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبّته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبّت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال الكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاعيان تتقلب في الاحوال الا من اعلم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك كان يقول اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم ربما يسلمون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جازت لعنته وجاز ذمه اذا لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم

الكفار فعمّوا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكفّ الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحدّ مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك فهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة في لعن الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعن يزيد لكونه قاتل الحسين او آمرا به قلنا هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق او كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدّت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفّره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عائشة فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال ايضا لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء وقال ايضا ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان به والمؤمن ليس بلعّان فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابرهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انما هي كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلأن يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان يخرج لعن الله وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعّانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله كل طعّان لعّان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى هذا لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان لا صحّح الله جسمه ولا سلّمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيمة

الآفة التاسعة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن يمتلئ بطن احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه [illegible] فقيل له في ذلك فقال اني اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مكروه قال صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخلها الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسانا بهجاء الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر شعر

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشد

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشعاراً لم يتبع لحجرته شاؤه تكلم بحسن. قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يخصف نعله وكنت أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً
قالت فبهت فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك
يتولد نوراً ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي فقلت يقول شعر ومبرأ من كل غبر حيضة
وفساد مرضعة وداء مغيل وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل. قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ما كان في يده وقام إلي فقبل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عائشة خيراً ما سررت مني كسروري منك. ولما قسم الغنائم أمر للعباس
بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره شعر وما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت دون
امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به أبو بكر رضي الله عنه حتى اختار
مائة من الإبل ثم رجع وهو من أرضى الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتقول الشعر فجعل يعتذر إليه ويقول بأبي أنت
وأمي إني لأجد للشعر دبيباً على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا أجد بداً من قول الشعر فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين.

الآفة العاشرة

المزاح وأصله مذموم منهي عنه
إلا قدراً يسيراً يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه فإن قلت المماراة فيها إيذاء لأن فيه تكذيباً للأخ
والصديق أو تجهيلاً له أما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم نهي عنه فاعلم أن المنهي عنه الإفراط فيه أو المداومة عليه أما
المداومة فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم وأما الإفراط فيه فإنه يورث كثرة الضحك وكثرة
الضحك تميت القلب ويورث الضغينة في بعض الأحوال ويسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم كما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إني لأمزح ولا أقول إلا الحق إلا أن مثله يقدر على أن يمازح ولا يقول إلا حقاً وأما غيره فإذا فتح باب
المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيف كان وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي
بها أبعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه
ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً وقال رجل لأخيه يا أخي هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج
منها فقال لا قال ففيم الضحك قال فما رئي ضاحكاً حتى مات وقال يوسف بن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء
السلمي لم يضحك أربعين سنة ونظر وهيب بن الورد إلى قوم يضحكون في يوم فطر فقال إن كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين
وإن لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن أبي يعلى يقول أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن
عباس من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلاً يبكي ألست تعجب من بكائه قيل
بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ما يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكاً والمحمود منه التبسم
الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي
إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قلوص له صعب فسلم عليه فجعل كلما دنا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليسأله نفر به فجعل أصحاب
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوصه
فهلك قال نعم وأفواهكم ملأى من دمه وأما أداء المزاح إلى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر
قالت لي أمي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد
لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترئ عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنها تورث الضغينة
وتجر إلى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتدرون
لم سمي المزاح مزاحاً قالوا لا قال لأنه زاح عن الحق وقال لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى ومقطعة للأصدقاء

فإن قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه فيقول إن قدرت على ما قدر عليه رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أن تمزح ولا تقول إلا الحق ولا تؤذي قلباً ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحياناً على الندور فلا حرج عليك فيه
ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وهو كمن يدور مع الزنج أبداً لينظر إلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزنج
في يوم عيد وهو خطأ إذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالإصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالإصرار فلا ينبغي أن يغفل عن هذا
نعم روى أبو هريرة أنهم قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا فقال إني وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقاً قال عطاء أن رجلاً سأل ابن عباس
أكان رسول الله يمزح فقال نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال لها
البسيه واحمدي وجري منه ذيلاً كذيل العروس وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان من أفكه الناس وروي أنه كان كثير
التبسم وعن الحسن قال أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال إنك لست يومئذ بعجوز
قال الله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً وروى زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت
إن زوجي يدعوك فقال ومن هو أهو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى إن بعينه بياضاً فقالت لا والله فقال صلى الله
عليه وآله وسلم ما من أحد إلا وبعينه بياض أراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءت امرأة أخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال
عليه السلام بل نحملك على ابن البعير فقالت ما أصنع به إنه لا يحملني فقال عليه السلام وهل من بعير إلا وهو ابن بعير وكان يمزح به وقال أنس كان لأبي
طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي ويقول يا أبا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو ولد
العصفور وقالت عائشة خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعالي
حتى أسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطاً فقمنا عليه فاستبقنا فسبقني وقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوماً ونحن
بذي المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال أعطينيه فأبيت وسعيت وسعى على أثري فلم يدركني فسبقته فلما حملت اللحم سابقني
فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عائشة رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسودة فصنعت حريرة وجئت به فقلت
لسودة كلي فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلين أو لألطخن وجهك فقالت ما أنا بذائقته فأخذت من الصحفة شيئاً فلطخت به وجهها
ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركبتيه لتستقيد مني فتناولت
من الصحفة شيئاً فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضحك وروي أن الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلاً
دميماً قبيحاً فلما بايعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها
وعائشة جالسة تسمع قبل أن يضرب الحجاب فقالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من مسألة عائشة لأنه كان دميماً وروى علقمة عن أبي سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علي
رضي الله عنهما فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن رجلاً قد تزوج وبقل وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله
عليه وآله وسلم من لا يرحم لا يرحم فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وآله وسلم لصهيب وبه رمد وهو يأكل التمر أتأكل التمر وأنت رمد
فقال إنما آكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه وروي أن خوات
بن جبير كان جالساً إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا أبا عبد الله ما لك مع النسوة
قال يفتلن ضفيراً لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحاجته ثم رجع فقال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد
بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعدما قدمت المدينة حتى طلع علي
وأنا أصلي في المسجد فجلس إلي فطولت فقال لا تطول فإني أنتظرك فلما سلمت قال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت
فقام فكنت أتفرر منه حتى لحقني يوماً وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فقلت

والذي بعثك بالحق ما شربتها منذ اسلمت أتراني تخدعك قال الله اكبر اللهم اهد العبد الله قال الحسن اسلامه ويروى انه كان نعيمان
الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبي صلعم فيضربه بنعله ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل
من الاصحاب لعنك الله فقال له النبي صلعم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها
ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقول هذا هدية لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وقال يا رسول الله اعط هذا ثمن متاعه فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اولم تهده فيقول يا رسول الله انه لم يكن والله عندي
ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على
الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب **الآفة الحادية عشرة** السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما
كان مؤذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص
على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك
غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضها حكيت انسانا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما احب اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال
ابن عباس في قوله يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة
بذلك وهذا اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم خطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان المستهزئين
بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب
فيقال هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت
حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم
اي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتاذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت
السخرية من جملة المزح وقد سبق ما يذم منه ويمدح وانما المحرم استصغار يتاذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون
وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط فيه ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على
صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها **الآفة الثانية
عشرة** افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا
حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك ويروى
ان معوية رضه اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابه ان امير المؤمنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه
الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا ابه وان هذا ليدخل بين الرجل
وابنه قال لا والله يا بني ولكني احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فاتيت معوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي
من رق الخطا فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في
كتاب اداب الصحبة فلا نعيده **الآفة الثالثة عشرة** الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح
بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه
وآله وسلم العدة عطية وقال الوأي مثل الدين او افضل والوأي الوعد وقد اثنى الله على نبيه اسمعيل عليه السلم فقال انه كان
صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقال انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضر
عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق
اشهدكم اني قد زوجتها ابنتي وعن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها
في مكانه فنسيت يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك وقيل

لابراهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلاة التي تجيء وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم
مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا اؤتمن خان وقال عبد الله بن عمرو رضه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن
كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد
وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو
صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة
حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتى بثلثة من السبي فاعطى اثنين
وبقي واحد فاتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تطلب منه خادما وتقول الا ترى اثر الرحا بيدي فذكر
موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بوعدي لابي الهيثم فآثره به على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما كان وعده
لما سبق من موعده مع انها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن
بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة
وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي لك وقال احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت
احزم واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان ترد في شابة وادخل معك الجنة قال فكان الناس يضعفون ما احتكم به
حتى جعل مثلا فقيل اشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل وفي
نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه **الآفة الرابعة عشرة** الكذب في القول
واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن واسط سمعت ابا بكر رضه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فقال قام فينا رسول الله مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر
والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال صلى الله عليه وآله وسلم كبرت خيانة
ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق وانت له به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال العبد يكذب
ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما
والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما
بالاثم والكفارة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكذب ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكذب ينقص الرزق
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكذب ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله
اليس الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فياثمون ويحدثون فيكذبون وقال النبي صلعم ثلثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر
اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقد قال النبي صلعم ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح
بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلثة يحبهم الله رجل كان في فئة
فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه وعلى اصحابه ورجل له جار سوء يؤذيه فصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان
مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة يشنؤهم الله
التاجر والبياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وآله وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل
له ويل له وقال صلى الله عليه وآله وسلم رايت كان رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والآخر جالس بيد

القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان
فقلت للذي اقامني ما هذا قال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن فقال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ويقول اللهم طهر
قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال النبي عليه السلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت
لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك
لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو افاء الله علي نعما عدد هذه الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني
بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم وكان متكيا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين
ثم قعد فقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه
مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي
قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم
وخطب عمر رضي بالجابية فقال قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم
يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حدث بحديث
وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وآله وسلم من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي
الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وآله
وسلم كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقالت عائشة ما كان من خلق اشد عند اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينجلي
من صدره حتى يعلم انه قد احدث لله عز وجل فيها توبة وقال موسى صلوات الله عليه يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب
لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمن يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال صلى الله
عليه وآله وسلم في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة
طعمة وقال ابو بكر رضي في خطبته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام اول
اوصيكم بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء بالعهد وبذل السلام وحفظ الجناح واما الآثار فقال علي رضي
اعظم الخطايا عند الله عز وجل اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال عمر بن عبد العزيز رضي ما كذبت كذبة
منذ شددت على ازاري وقال عمر رضي احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رأيناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم
فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال جلست اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت الكتاب
وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فناداني مناد من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي
الآخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني
انما ادعه انفة وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ان ما من خطيب الا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان
كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك الصدق والكذب يعتركان في القلب
حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له كذبت فقال والله ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه
بيان ما رخص من الكذب اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته

ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك
الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير من الصدق ارأيت لو ان رجلا سعى في اثر رجل
بالسيف ليقتله فدخل دارا فانتهى اليك فقال رأيت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق به وهذا الكذب واجب فنقول
الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل
بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة
دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب او
اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح باب الكذب
فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الضرورة وكان الكذب حراما في الاصل الا لضرورة والذي يدل على
ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول
يريد به الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين الرجلين يصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب النبي
صلعم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ولقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى
اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو بالكذب
وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك
ويروى ان ابن ابي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في النساء من ذلك احدوثة يكرهها
فلما علم بذلك قام بعبد الله بن الارقم حتى ادخله بيته فقال لامرأته انشدك الله هل تبغضينني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك
بالله قالت نعم فقال لابن الارقم اتسمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم لتحدثون اني اظلم النساء واخلعهن فسل ابن الارقم فسأله فاخبره
فارسل الى امرأة ابن ابي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال انت التي تحدثين زوجك وذكرت انك تبغضينه فقالت اني اول من
تاب وراجع امر الله انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المؤمنين قال نعم فاكذبي فان كانت احديكن لا تحب
احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت التي تبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس
ابن سمعان الكلابي قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما لي اريكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب
مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته
يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فلان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلث ورد فيها
صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره اما ما له فمثل ان يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله ان
ينكره او يأخذه السلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله ارتكبها فله ان ينكر ويقول ما زنيت وما شربت قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى
فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسأل عن سر اخيه فله ان
ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه او كانت امرأته لا تطيعه
الا بوعد ما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد
فلا بأس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالآخر ويزن
بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك

المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق اولى وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل الى الصدق
اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب
المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما
اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادة المال والجاه
ولامور ليس فواتها محظورا حتى ان المراة لتحكي عن زوجها ما تفاخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء
سمعت امراة تسال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لم يفعل اضارها بذلك فهل
لي فيه شيء قال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال النبي صلعم من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط
كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يحققه ورواية الحديث الذي ليس يثبت فيه اذ غرضه
ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري وهو حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان
لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد او تخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب
المباح ايضا يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور
كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة
فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب لاجله هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم
في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو ادى الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز
وضع الاحاديث في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض اذ قال صلى الله عليه
وآله وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة عن
الكذب ففيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط وقعها وما هو جديد
فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الله تعالى
ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
الكبائر التي لا يقاومها

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

وقد نقل عن السلف ان في المعاريض لمندوحة عن
الكذب قال عمر رضي الله عنه ان في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا بذلك اذا
اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض اهون و
مثال المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي مذ فارقت الامير الا ما رفعني
الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب فقل ان الله ليعلم ما قلت من ذلك فيكون قوله ما حرف النفي
عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ عامل عمر فلما رجع قالت امرأته ما جئت به مما ياتي به العمال الى اهلهم وما
كان قد جاءها بشيء فقال كان عندي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابي بكر فبعث عمر معك
ضاغطا فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما سمع عمر دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به
اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا وقال ارضها به ومعنى قوله ضاغطا يعني ربه وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك
سكرا بل يقول ارأيت لو اشتريت لك فانه ربما لا يتفق وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي اطلبه
في المسجد وكان لا يقول ليس ههنا كيلا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا طلبه وهو يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعي الاصبع
فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لانه تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا
فهو مكروه على الجملة كما روي عن ابن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل
الناس يقولون هذا كساك امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب اياك والكذب

وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل ولا فائدة فيه نعم المعاريض
تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل العجوز الجنة وفي عين زوجك بياض
ونحملك على ولد البعير فاما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصاري مع عثمان في قصة الضرير اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس
من ملاعبة الحمقى بتغريرهم بان امرأة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا لمطايبة
فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يستكمل المرء الايمان حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوي بها ابعد
من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت العادة به في المبالغة كقوله
قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة فانه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلب الا مرة واحدة كان
كاذبا وان كان طلب مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر
الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح
قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة رضي الله عنها في الليلة التي هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة رضي الله عنها قالت فاستحيت الجارية فقلت
لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خذي منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن
لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا قال
ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد
كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين قول الطبيب
وهو يقول لي لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن
خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة الى بني له فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بني فجلس الربيع فقال ارضعتيه
قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى صلوات الله عليه
ان من اعظم الذنوب عند الله عز وجل ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم تريا او يقول علي
ما لم اقل وقال عليه السلام من كذب في حلمه كلف يوم القيمة ان يعقد بين شعيرتين

الآفة الخامسة عشرة

والنظر فيه طويل فلنذكر
اولا مذمة الغيبة وما ورد فيه من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال
ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه
وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال وقال ابو برزة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل يزني فيتوب الله عليه وان صاحب
الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون
وجوههم باظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليمان بن جابر
اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك
في اناء المستقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابنه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اسمع
العواتق في بيوتها فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة
اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته واوحى الله تعالى الى موسى من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من
يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس بصوم يوم

وقال لا يفطرن أحدكم حتى آذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فأذن لي لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وإنهما يستحيان أن تأتياك فأذن لهما فليفطرا فأعرض عنه ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار وفي رواية لما أعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله إنهما والله لقد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس أو قدح فقال لإحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى قيئي فقاءت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال أما إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يتأذى من بوله ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر فقال صلى الله عليه وآله وسلم أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم معهما بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه وكانت الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال أبو هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويكلح ويضج ويروى مرفوعا كذلك وروي أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء فأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وإن كانا صائمين أمرهما أن يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقال الحسن والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى بن مريم والحواريون معه على جيفة كلب فقال الحواريون ما أنتن ريح هذا فقال عيسى ما أشد بياض أسنانه كأنه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء

بيان معنى الغيبة وحدها

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه أو في نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته أما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه وأما النسب فأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كيف كان وأما الخلق فأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه وأما في أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة والزكاة أو لا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز من النجاسات أو ليس بارا بوالديه أو لا يضع الزكاة مواضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه من الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى

لأحد حقا على نفسه ويرى على الناس وأنه كثير الكلام كثير الأكل وأنه نؤوم وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه وأما في ثوبه فكقولك إنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقد قال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال فما خيرها إذن وهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج إليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حد الغيبة وكل هذا وإن كان صادقا فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وآله وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والإفك وكل في كتاب الله الغيبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الأسود ثم قال أستغفر الله إني أراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور وقالت عائشة لا يغتابن أحدكم أحدا فإني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قول عائشة دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدي أي قصيرة فقال عليه السلام قد اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بأن يمشي متعارجا أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصوير والتفهيم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عائشة حكت امرأة قال ما يسرني أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقترن به شيء من الأعذار المحوجة إلى ذكره كمسائل الاجتهاد وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما الغيبة التعرض لشخص معين إما حي أو ميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لأن المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فأما إذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كره من إنسان شيئا قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم إذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فإنهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره وأن يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم أنفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يظن بجهله أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فإنه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغي إلى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وباطله وهو يمن على الله بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح سره ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي إظهار الدعاء بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوة عقيب صلواته ولو كان يغتم به لاغتم أيضا بإظهار ما يكرهه

وكذلك يقول لذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبت مما ذكرته ما كنت أعرفه إلى الآن إلا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المستمع أحد المغتابين وقد روي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلاناً لنؤوم ثم طلبا إداماً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليأكلا مع الخبز فقال عليه السلام قد ائتدمتما فقالا ما نعلم فقال بلى إنكما أكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال أحدهما أقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه فإن خاف فبقلبه وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه عن الإثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فإن ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي أن يذب عنه صريحاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق وقال أبو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من رد عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله عز وجل أن يرد عن عرضه يوم القيامة وقال أيضاً من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله عز وجل أن يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم بالغيبة وفضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالإعادة

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سبباً ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة أما الثمانية فالأول أن يشفي الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقداً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة الثاني موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي الثالث أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه فيه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقاً ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فإني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله وكان كما قلت الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله الخامس إرادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم أنه أفضل منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن إكرامه والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع ثناء الناس عليه وإكرامهم وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب الثامن السخرية والاستهزاء استحقاراً له فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضاً في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أغمضها وأدقها لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر الأول أن تنبعث من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون صادقاً ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتاباً من حيث لا يدري وأثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقاً في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتاباً فيكون غمه ورحمته خيراً وكذا تعجبه ولكنه ساقه إلى الشر من حيث لا يدري والترحم والتغمم ممكن دون ذكر اسمه فهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه الثالث الغضب لله فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلاً عن العوام فإنهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله كان عذراً في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي روي عن عامر بن واثلة أن رجلاً مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلم عليهم فردوا السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله فقال أهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأدركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال رسول الله لم تبغضه قال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة قال فسله يا رسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع والسجود فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهراً قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل رآني أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يعطي سائلاً ولا مسكيناً قط ولا رأيته ينفق من ماله شيئاً في سبيل الخير إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله هل رآني نقصت منها أو ماكست فيها طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة

اعلم أن مساوي الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فلنبحث عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله بغيبته بهذه الأخبار التي رويناها وأن يعلم أنها تحبط حسناته فإنها تنقل في القيامة حسناته إلى من اغتابه بدلاً عما استباح من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل الرجحان ويدخل بها النار وأنا أقل الدرجات أن ينقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي أن رجلاً قال للحسن بلغني أنك تغتابني قال ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي فمهما آمن العبد بما ورد من الأخبار لم يطلق لسانه بالغيبة خوفاً من ذلك وينفعه أيضاً أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيباً فينبغي أن يستحيي من أن يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يعلم أن عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه إن كان ذلك عيباً يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمراً خلقياً فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي إلي فأحسنه وإن لم يجد العبد عيباً في نفسه فليشكر الله ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث على الغيبة فإن علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات

الغضب فبأن يقول إن أمضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة إذ نهاني عنه فاستجرأت على نهيه واستخففت
بزجره وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم إن لجهنم بابا لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم
من اتقى ربه كلّ لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظا وهو يقدر أن يمضيه دعاه الله يوم القيمة
على رؤوس الخلائق حتى يخيّره في أي الحور شاء وفي بعض كتب الله يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك
فيمن أمحق وأما الموافقة فبأن تعلم أن الله يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقّر غيرك
وتحقّر مولاك فتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله
أيضا على رفقائك إذ ذكروه بالسوء فإنهم عصوا ربهم بأخبث الذنوب وهو الغيبة وأما تنزيه النفس بنسبة الجناية إلى الغير حيث
يستغنى عن ذكر الغير فعلاجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت الخلق وأنت بالغيبة متعرض
لسخط الله يقينا ولا تدري أنك تتخلص من سخط الله أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة أو تخسر حسناتك
بالحقيقة ويحصل لك ذم الله نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان وأما عذرك كقولك إن أكلت
الحرام ففلان يأكل وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فإن من خالف
أمر الله لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك ففيما ذكرته
غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة
تنظر إلى المعزى تردّي نفسه من قلة الجبل فهي أيضا تردّي نفسها ولو كان لها لسان نطقت بالعذر وقالت المعزى أكيس مني وقد
أهلك نفسه فكذلك أنا أفعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك وأما قصدك المباهاة وتزكية
النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرته أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس
فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق
وهما ولو حصل لك من المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا وأما الغيبة للحسد فهو جمع بين العذابين لأنك
حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك
خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذن أنت صديقه
وعدو نفسك إذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك وتنقل إليك سيئاته ولا تنفعك وقد جمعت إلى خبث
الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح
لها لسان حسود ولو لا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند
الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحيائك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات
من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فإنك سخرت
به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ بيدك في القيامة على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار إلى
النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله إياه وتسليطه على الانتقام منك وأما الرحمة على إثمه فهو حسن ولكن
حسدك إبليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبرا لإثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب
أنت مستحقا لأن تكون مرحوما إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة فإنما حبب الشيطان إليك
الغيبة ليحبط أجر غضبك ويصير معرضا لمقت الله بالغيبة وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك كيف
أهلكت دينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لا تأمن فعلاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الأمور التي هي من
أبواب الإيمان فمن قوي إيمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة **بيان** تحريم الغيبة بالقلب اعلم أن سوء الظن حرام مثل
سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك ولست

أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن المنهي عنه
أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب وقد قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم
وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك بعيان
لا يحتمل التأويل فعند ذلك لا يمكنك أن لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فإنما
الشيطان يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا
أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه
لم يجز أن تصدقه لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استنكه فوجد منه
رائحة الخمر لا يجوز أن يحد إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وما شربها أو حمل عليه قهرا فكل ذلك دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها
بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء فلا
يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدة أو بينة عادلة فإذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي أن
تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان فإن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر فإن قلت فبماذا يعرف عقد
الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فنقول أمارة عقد الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر
عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث في
المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح أما في القلب
فبتغيره إلى النفرة والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقي إليه
أن هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته فأما إذا
أخبرك به عدل فمال ظنك إلى تصديقه كنت معذورا لأنك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا
من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بالواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فيتطرق التهمة
بسببه وقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلا فلا
تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله عندي وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون
الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن أنه
عدل وليس بعدل فإن المغتاب فاسق وإذا كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر
الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فإن
ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة
مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على
نقصه لينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستصغار وترتفع عليه بدالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الإثم وأنت
حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصيحتك أحب إليك من تركه بالنصيحة
فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الإعانة على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس
فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن
والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف
لك ما لو كان مستورا عنك كان أسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته **بيان** الأعذار
المرخصة في الغيبة اعلم أن المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة
وهي ستة أمور الأول التظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا أما المظلوم من جهة القاضي

ظلم ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لصاحب الحق مقال
وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى نهج الصلاح
كما روي ان عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنهما وسلم عليه فلم يرد فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فجاء ابو بكر
ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه بسم الله الرحمن
الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الآية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن قاله غيبة اذ كان قصده
ان ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما الثالث
الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجتي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في
رجل ظلمه ابوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن هند انها قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان ابا
سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي افآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح
والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر
فاذا رايت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى اليه البدعة فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث
لك الخوف على سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار
الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب آخر فلك ان تذكر ذلك فان
سكوتك ضرر للمشتري وفي ذكرك ضرر للعبد فالمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك المستشار
في التزويج وايداع الامانة ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك
فهو الواجب فان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اترعوون عن ذكر
الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس
ان يكون الانسان معروفا باسم يعرب عن عيبه كالاعمش والاعرج فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج وسليمان
عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان
صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص
السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر
بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر به ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكرت منه ما يتظاهر به فلا اثم قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر
اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال
لا ولا كرامة وقال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام الجائر فهؤلاء الثلثة يجمعهم انهم
يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت
على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت
الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج **بيان** كفارة الغيبة اعلم ان الواجب على
المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله
وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية
اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما احتج في ذلك بما روى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء
ابن رباح عن التوبة من الغيبة فقال ان تمشي الى صاحبك وتقول له كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت

عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف
وثبتت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها
منه من قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيد على سيئاته
وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فاذا لا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان
غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل
وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه
كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل
من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرمه الله ابدا فان قلت فما معنى
قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرمه الله غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب
الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني تصدقت بعرضي على عبادك فكيف يتصدق
بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا ينفذ تصدقه فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلمتي في القيمة ولا
اخاصم والا فلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم وان
رجع وخاصم كان قياسه قياس سائر الحقوق اذ له ذلك بل صرح الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة
الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدي الله يوم القيمة نودوا ليقم من كان له اجر على الله
فلا يقوم الا العافون في الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو الآية فقال عليه السلام يا جبريل ما هذا فقال ان الله يامرك ان تعفو عمن
ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب
وقال قد بلغني انك قد اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافئك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافيك على التمام **الآفة**
السادسة عشر النميمة وقد قال الله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا
لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم والزنيم
هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال حمالة الحطب كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت تخبر انه مجنون وقد قال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم احبكم الى الله احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة
المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون بالنميمة المفسدون بين
الاحبة الباغون للبرآء العنت وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اشاد على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه
الله في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا
كان حقا على الله عز وجل ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شهد على
مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار وقيل ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن
فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا
قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف به وروى كعب الاحبار انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى صلوات
الله عليه مرات فما اجيب فاوحى الله اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه

من بيننا فقال موسى انهاكم عن النميمة ولا تكونوا نماما فابوا باجمعهم فسقوا وقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم
عليه قال اني جئتك للذي آتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن
النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه قال الحكيم البهتان على البريء اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر
والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل
من اليتيم

بيان حد النميمة والحث في ردها اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان
كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مخصوصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث
وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا
ونقصا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الناس
فينبغي ان يسكت عنه الا ما كان في حكايته فائدة لمسلم او دفع معصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة
لحق المشهود عليه فاما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصا او عيبا في المحكي عنه كان قد جمع
بين النميمة والغيبة والباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول
وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا او فعل فيك كذا او هو يدبر في افساد امرك او في ممالاة عدوك او تقبيح حالك
او ما يجري مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبا
فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة والثاني ان ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح له فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر والثالث
ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله والرابع ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا
كثيرا من الظن والخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتحقق لقوله تعالى ولا تجسسوا والسادس ان لا ترضى لنفسك
ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه نهيت وقد روي عن
عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال له عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه
الآية ان جاءكم فاسق بنبا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين
لا اعود اليه ابدا وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن بعض اصدقائه فقال له الحكيم قد ابطات في الزيارة واتيتني بثلاث
جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان الخليفة سليمان بن عبد الملك كان جالسا
وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال له سليمان
ان الذي اخبرني صادق فقال له الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال اذهب بسلام وقال الحسن من نم
اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر
والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعى في قطع ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار الناس
من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع قيل وما القاطع قال قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي
رضي الله عنه ان رجلا سعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان
شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المؤمن اوضع له قال كثرة الكلام وافشاء
السر وقبول قول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني
بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا اقطع عنك الوصال وذكرت
السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى

ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان
في قوله صادقا لكان في صدقه لئيما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف
جانبه سميت سعاية وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد الحلال ودخل رجل
على سليمان بن عبد الملك فاستاذنه في الكلام وقال اني مكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله ان كرهته فان وراءه ما تحب
ان قبلته قال قل فقال يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم
يخافوا الله فيك فلا تامنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يالوا الامة خسفا والامانة
تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤول عما اجترموا وليسوا
بمسؤولين عما اجترمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى
سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل يقول شعر
فانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا فخنت واما قلت قولا بلا علم
فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم
وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له
عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين اعلمتني عن اخي ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقيامة
تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته
فكتب على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان الحكيم
لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ
اخوانك وصل اقاربك وآمنهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد افسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك
لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك
لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى قال حماد بن
سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك
وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه شعرات حتى اسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت
خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فجاءت المراة بالموسى فظن انها تريد قتله فقام اليها فقتلها فجاء اهل المراة وقتلوا
الزوج ووقع القتال بين القبيلتين وطال الامر

الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم
كل واحد بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجدون
من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وفي لفظ ياتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث
هؤلاء وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله وقال مالك بن دينار قرات في التوراة بطلت الامانة والرجل
مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم ابغض خليقة الله اليه يوم القيامة الكذابون
والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله عز وجل ورسوله
كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل
ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم قال انشدك الله انا منهم ام لا قال
اللهم لا ولا آمن منها احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل
واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي
الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد الى

لا تخبره وهذا ذو لسانين وهذا شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط وان لم ينقل كلاما ولكن يحسن لكل واحد منهما
ما هو عليه من المعاداة وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو
لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل لابن عمر
انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا
نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه
الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق
وهذا معنى قوله عليه السلام حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراءاتهم فاما
اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا
لتلعنهم وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بئس رجل العشيرة فلما دخل عليه اقبل عليه فلما
خرج قال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال والكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب
صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرنا في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض
التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه **الآفة** الثامنة عشر
المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح
واثنتان في الممدوح فاما المادح فالاولى انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او احدا بما ليس فيه على
رؤوس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا
لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل الى الاطلاع عليه وروي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال ان كان احدكم لا بد مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه
ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد
وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضا فان ذلك
خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنة سمع عمر رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته قال لا قال
والله الذي لا اله الا هو لا اراك تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا للظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فالظالم الفاسق
ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح فيفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن
كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود
فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المؤمنين قال اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت
ان اطاطئ منك الثاني هو انه اذا اثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه
مقصرا فاذا انطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعه
ما افلح وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى وميضا وقال ايضا لمن مدح
رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء
عليه او مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال
ابن المبارك لقد صدقا كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال عليه السلام لو مشى
رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر
عن العمل والمدح يوجب الفتور ولان المدح يورث الكبر والعجب وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الآفات

في حق المادح والممدوح لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصحابة فقال لو وزن
ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل
رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انا سيد
ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبالقرب من الله لا بولد
آدم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه
الآفات يقدر على الجمع بين ذم المدح والحث عليه اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان
لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم
المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك **بيان** ما على الممدوح اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز
عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه الا بان يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال فانه
يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة
المدح باذلال المادح واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين قال سفيان بن عيينة
لا يضر المدح من عرف نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر لما اثني عليه
اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني
بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي في وجهه وكان قد
بلغه انه يقع فيه فقال علي رضي الله عنه انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك **الآفة** التاسعة عشرة الغفلة عن دقائق الخطأ
في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء
فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف
الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله عدلا بل
ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل
ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره صلى الله عليه وسلم ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك
ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقال اللهم اعتقنا
من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن
تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال حذيفة ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتني خلقته خنزيرا
رأيتني خلقته وعن ابن عباس ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم قال عمر والله ما حلفت بها منذ سمعته وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم
الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي ولا امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله وليقل غلامي
وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي كلكم عبيد والرب الله وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا
للفاسق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان
كاذبا فهو كما قال وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تأمل جميع
ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وآله وسلم من صمت نجا لان
هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير

وورع حافظ ومراقبة لازمة ويتساهل في الكلام تعسفا يسلم عند ذلك من جميع ذلك إلا أن يشغله عن الحفظ فإن كنت لا تقدر على أن
يكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم لأن السلامة إحدى الغنيمتين والله أعلم بالصواب **الآفة** العشرون سؤال العوام
عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو حادثة وحقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك ثقيل على النفوس
والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بأن يخوض في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب إليه ذلك
حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما
شأن العوام الاشتغال بالعبادات والإيمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق
بالعبادة سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو
موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فإنه بالإضافة إليه عامي ولذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم
فأتوا منه ما استطعتم وقال أنس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال
سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبونا فقال أبوكما الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل
يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله أمسكوا فقام إليه عمر فقال رضينا
بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولا فقال اجلس يرحمك الله إنك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم عن القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال وقال صلعم يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا
قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله أحد حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثم ليستعذ
بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر صلوات الله عليهما تنبيه
على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فلما سأل عن السفينة
أنكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فلم يصبر حتى سأل ثلاثا قال هذا فراق بيني وبينك
وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهي من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم من الخوض في حروف القرآن
يضاهي اشتغال من كتب إليه الملك كتابا يرسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشيء منه وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم
حديث فاستحق به العقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أم حادثة وكذلك سائر الصفات والله أعلم

كتاب آفة الغضب والحقد والحسد

وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته الراجون ولا يأمن سوء غضبه وسطوته الخائفون الذي استدرج عباده
من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم
بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن بهم حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون
وما يعلنون وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا إلى أهلهم يرجعون والصلاة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون وعلى آله وأصحابه الذين هم الأئمة المهديون
والسادة المرضيون صلاة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ويحظى ببركتها الأولون والآخرون أما بعد فإن الغضب
شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة وإنها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت
الرماد ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين
أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني
من نار وخلقته من طين فإن شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب ومن نتائج

الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد
والغضب مما يسوق العبد إلى مواطن العطب فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب إن كان
ويبقيه ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه فإن من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع
الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم بيان
الأسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر
الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وحقيقته
وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العم والأقارب
وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن
القلب **بيان** ذم الغضب قال الله تعالى إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله
الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنعم عليهم من السكينة وروى أبو هريرة
أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلعم قل
لي قولا وأقلل لعلي أعقله فقال لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى لا تغضب وعن عبد الله بن عمرو أنه سأل رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ماذا يبعدني من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال أبو هريرة قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود صلوات الله عليهما يا بني إياك وكثرة الغضب
فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال
أبو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى صلوات الله عليهما لا تغضب قال لا
أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وآله وسلم الغضب يفسد الإيمان كما يفسد
الصبر العسل وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما غضب أحد إلا أشفى على جهنم وقال له رجل أي شيء أشد قال غضب الله قال
فما يبعدني عن غضب الله قال لا تغضب **الآثار** قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك أن تثب وثبة
فتقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا تغضب فإن الشيطان
أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك
وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومعته فأراد الشيطان أن
يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال افتح فلم يجبه فقال افتح فإني إن ذهبت ندمت فلم يلتفت إليه وقال إني أنا المسيح
قال الراهب وإن كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره
لم نقبله منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجئتك لتسألني عما شئت فأخبرك قال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولى مدبرا
قال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم
قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم
وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض
الأنصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة
والسكوت عن جواب الأحمق جوابه وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته
فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه

وقيل للحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه
يصيرك الى ذلة الاعتذار وقال اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا
الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى
عامله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به
خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني
الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت
الروح في التنور المسجور فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان علما وحلما
وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر اذا خطب قال في خطبته افلح منكم من حفظ من الهوى والطمع
والغضب وقال بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين
وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه
الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل
ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل
لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن تبعه من يتكفل لي ان لا يغضب يكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي
فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه
تكفل بترك الغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

بيان حقيقة الغضب

اعلم ان الله تعالى خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة منه انعم عليه بما يحميه من الفساد ويدفع
عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة
عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة
مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه
على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب
واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان كالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية
تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينته فمهما صد عن غرض من اغراضه
ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما
ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه والعين والبشرة فتحمر بها لصفاء البشرة تحكي لون ما وراءها من حمرة
الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب ممن فوقه
وكان معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان
كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين الانقباض والانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها
غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع الموذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام
بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلث
في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه
انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص جدا
وقد وصف الله الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه واله وسلم جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة

حتى يخرج من سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى معه للمرء بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته
امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان
ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال الرسول عليه السلام وبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته واما
من الاسباب الاعتيادية فهو انه يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم
انا الذي لا اصبر على المكر والمحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر لجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب
وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة فاذا وعظ
لم يسمع بل زاده غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر
الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن
الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره
وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفى او انمحى نوره ولا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على
اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما
تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وتنهد اعاليه على
اسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة
في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال
لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسعى بها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن آثار هذا
الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام
حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته
لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة
الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان
فانطلاقه بالشتم والفحش وقبائح الكلام الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط
النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب
منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده
على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب
ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى
افعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويعود الى رفسها ويقول الى متى منك يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس
الدابة ويقابلها به واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم
على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة
مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من
ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه واله وسلم ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني وانما خلقت
الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة
في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه واله وسلم خير امتي احداؤها
يعني في الدين وقال الله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب
على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل

وفي الدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده
وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال خير الأمور أوساطها فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس
من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس واحتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه
إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين
فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعر وأحد من السيف فإن عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا
بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ولكن بعض
الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاتها

بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد وظن آخرون
أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه
ما بقي الإنسان يحب شيئاً ويكره شيئاً فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد أن يحب ما يوافقه ويكره
ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا قصد بمكروه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم
إلى ثلاثة أقسام الأول هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح
فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر به عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي
هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضرورياً لأحد من
الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور حتى
صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنياً عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور
أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون
بصيراً بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة
بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب
عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن يحب ذلك ولا يبالي أن يجلس في صف النعال فلا يغضب إذا جلس
غيره فوقه ومن العادات الردية ما يكثر محاب الإنسان ومكارهه فيكثر غضبه وكلما كانت الإرادات والشهوات
أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص لأن الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل أبداً جهده في أن يزيد في حاجاته
وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الردية ومخالطة قرناء السوء إلى أن
يغضب لو قيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه
من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري القسم الثالث ما يكون ضرورياً في حق بعض الناس
دون البعض كالكتاب مثلاً للعالم فإنه مضطر إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب
الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فإن ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضرورياً ومحبوباً وهذا يختلف بالأشخاص
وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما
حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيراً بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاث يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام
فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها أما القسم الأول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا
يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال
مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقاً راسخاً فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته
وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جداً وهذا حكم

القسم الثالث أيضاً لأن ما صار ضرورياً في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه
في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه وأما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج
حبه من القلب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة
وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن القلب ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لم يغضب إذا ضربه غيره
فالغضب تبع الحب فالرياضة في هذا قد تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جداً وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب والعمل
بموجبه وهو أهون فإن قلت الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب فمن له شاة مثلاً وهي قوته
فماتت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فإن الإنسان يتألم بالفصد والحجامة
ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يراهم مسخرين
في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما
لا يغضب على موتها إذ يرى الموت والذبح من الله فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضاً بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن
الكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد
لأنه يرى أن الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف تغلب في حال مختطفة
ولا يدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعاً طبيعياً لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لتصور لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وإنه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته
أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا
فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا الحق وأشار إلى لسانه فلم يقل إني لا أغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق
أي لا أعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة مرة فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما لك يا عائشة جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان
فقال بلى ولكني دعوت الله فأعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بالخير فلم يقل لا شيطان لي وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على
الشر وقال علي عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يغضب للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى
ينتصر له فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة
قوته وحاجته التي لا بد له في دينه فإنما غضب لله ولا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد أصل الغيظ فيما هو ضروري إذا كان القلب
مشغولاً بضروري أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس
بما عداه وهذا كما أن سلمان لما شتم قال إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفاً
إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خيثم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها
لم يضرني ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولاً بالنظر في تقصير
نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى النقصان إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان
وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولاً بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء
وينكر على نفسه ما يلقيه الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه وسب رجل الشعبي فقال إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً
فغفر الله لك فهذه الأقاويل ظاهرها يدل على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم
لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الغالب على قلوبهم فإذن اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب
عند فوات بعض المحاب فإذن يتصور فقد الغيظ إما باشتغال القلب بمهم أو بغلبة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن
الله يحب منه أن لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن طريق الخلاص من
نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن أخرج حب الدنيا

عن القلب لخلوه من أكثر أسباب الغضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الأسباب المهيجة للغضب قد عرفت أن علاج كل علة بحسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسبابها وقد قال يحيى لعيسى صلوات الله عليهما أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والأسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بالمعرفة بنفسك كما سيأتي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد وإنما اختلفوا بالفضل أشتاتاً فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك سعادة الآخرة وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك وأما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلباً لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضاً عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلاً حتى تميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضباً من الصحيح والمرأة أسرع من الرجل والصبي أسرع غضباً من الرجل والشيخ الضعيف أسرع غضباً من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضباً من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة ولبخله إذا فاتته الحبة حتى يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن يتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الأتراك والأكراد والجهلة والأغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل

بيان علاج الغضب بعد هيجانه ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فإذا جرى سبب يهيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل أما العلم فهو ستة أمور الأول أن يتفكر في الأخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وأمر بالعرف وكان يتأمل الآية وكان وقافاً عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه الثاني أن يخوف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله علي أعظم من قدرتي على هذا الإنسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه علي يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيفاً إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لأوجعتك أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه

وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثاباً عليه الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند غضبه بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالأنبياء والعلماء في عادتهم لتميل إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد أن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيراً في أعين الناس فليقل لنفسه ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبغي أن يكرره على قلبه السادس أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه وأما العمل فأن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقال عند الغيظ وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقال عند الغيظ وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن فيستحب أن تقول ذلك وإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فلينم فإن لم يزل فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء وإنما الغضب من النار وفي رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا غضبت فاسكت إذا غضبت فاسكت وقال أبو هريرة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليلصق خده بالأرض وكأن هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروي أن عمر غضب يوماً فدعا بماء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغيظ وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي أوليت قلت نعم قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالقهما وروي أن أبا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا أبا ذر بلغني أنك اليوم عيرت رجلاً بأمه فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاتكئ وإن كنت متكئاً فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فأعطى كل صحيفة رجلاً وقال للأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال للثالث إذا ذ

عضبى فاعطى منها فاشتد غضبه يوما فاعطى الصحيفة الاولى فاذا فيه ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر اوشك ان
ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطى الثانية فاذا فيه ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فاعطى الثالثة فاذا فيه
خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذاك اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال له شبيب لا تغضبن لله باشد من
غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله فضيلة كظم الغيظ قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله معذرته ومن خزن
لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وآله وسلم اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بعد القدرة وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة رضا وفي رواية ملأ الله قلبه امنا وايمانا
وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى
وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وقال عليه السلام
ما من جرعة احب الى الله من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كظم
غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره اي الحور شاء الآثار قال عمر رضي الله عنه من
اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة
ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري
وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع
وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع
الله يقول خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفئت وقال
محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا
قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك
لسانك ويدك فضيلة الحلم اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج
الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ
وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل
ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه
ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا
من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم اشار بهذا الى ان التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من
دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك
قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا ولا يملك الا اهل بيته وقال ابو
هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم قال لئن
كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة
اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني قد غفرت له وقال
عليه السلام ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا ومن ابو ضمضم قال رجل كان فيمن قبلكم اذا اصبح يقول اللهم اني قد تصدقت اليوم
بعرضي على من ظلمني وقيل في قوله تعالى ربانيين اي حلماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل

عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي حلما قال ابن ابي حبيب في قوله وكهلا قال الكهولة منتهى الحلم
وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم
والسنتهم السنة العرب وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلني منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا
فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه وفد الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه
ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى ما يصنع ثم اقبل يمشي
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بابي
انت وامي قال الحلم والاناة فقال خلقان تخلقتهما او خلقا جبلت عليهما قال بل جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي
جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض
الفاحش البذي السائل الملحف وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا
يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم اذا جمع الله الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتلقاهم
الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء
الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين الآثار قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم
السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس
بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسأت استغفرت الله وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال
اكثم دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم
نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال اقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه ان اول عوض الحليم
من حلمه ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل وقال معاوية لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة
العلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه
وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت
كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وعن بعضهم قال شتمني رجل من اهل البصرة فحلمت عنه فاستعبدني بها زمانا
وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل رأسه واستحيى وقال رجل لعمر بن عبد
العزيز اشهد انك من الفاسقين قال ليس تقبل شهادتك وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم انه سبه رجل فرمى اليه
خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله
وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال معاوية لعرابة بن اوس بم سدت
قومك يا عرابة قال يا امير المؤمنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو
افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال
لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال من اساء فاحسن اليه فقد جعل له حاجز من قلبه
يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل
يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع
وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يامن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن لا يأمن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر

وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء قال انت اذن اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت اليك حسناتي وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك سبا يدخل معك قبرك قال معك يدخل لا معي ومر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند حاجتك اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة وافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا قال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عن الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق **شعر**

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب * وان كثرت منه علي الجرائم * وما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم * فاما الذي فوقي فاعرف قدره * واتبع فيه الحق والحق لازم * واما الذي دوني فان قال صنت * عن اجابته عرضي وان لام لائم * واما الذي مثلي فان زل او هفا * تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم *

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وانما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر رضي وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابو بكر انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه وانما نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي به والذي يرخص فيه ان تقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل وقال ابن مسعود وهل انت الا من بني امية ومثل قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلاب للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت واخزاك الله وانتقم منك واما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان ياثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما روت عائشة رضي الله عنها ان ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورضي عنهن ارسلن اليه فاطمة رضي الله عنها فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلني ازواجك يسألنك العدل في ابنة ابي قحافة رضي الله عنهما والنبي صلى الله عليه وآله وسلم نائم فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن واخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر ان ياذن لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجواب فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلا انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق والاسعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام

فالناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ومنهم بطيء الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال الغضب عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه ورأى عمر رضي سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له لما شتمك يا امير المؤمنين تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسيأتي ذمه الثاني ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء الثالث ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه السابع ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من قضاء دين او صلة رحم او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الآفات الثمان المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له او بترك الدعاء له والثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب الله تعالى ولما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل اولو الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان يبقى على ما كان وان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهي من فضائل اعمال المقربين فللمحقود ثلاثة احوال عند القدرة احدها ان تستوفي حقك الذي تستحقه من غير زيادة ولا نقصان وهو العدل الثانية ان تحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالثة ان تظلمه بما لا تستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان

فضيلة العفو اعلم ان معنى العفو ان يستحق حقا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه قال الله تعالى خذ العفو الآية وقد قال الله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وآله وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء فاذا انتهك من محارم الله تعالى شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال موسى

صلى الله عليه وآله وسلم قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أعز عليك قال الذي إذا قدر عفا وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز
الناس فقال الذي يعفو إذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشكو مظلمة فأمره النبي عليه السلام أن يجلس
وأراد أن يأخذ بمظلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن المظلومين هم المفلحون يوم القيمة فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث
وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم إذا بعث الله الخلائق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلثة أصوات يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف
بعضكم عن بعض وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي
الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال النبي عليه السلام أقول كما قال يوسف لا
تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام وعن سهيل بن عمرو
قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده
ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقول
خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وعن أنس قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة
قيل من ذا الذي أجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا ألفا فدخلوها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي لوالي أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلث من جاء بهن مع إيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وتزوج من الحور العين حيث شاء
من أدى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلوة قل هو الله أحد عشر مرات وعفا عن قاتله قال أبو بكر أو إحديهن يا رسول الله قال
أو إحديهن **الآثار** قال إبراهيم التيمي إن الرجل ليظلمني فأرحمه وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله
بالظلم وأنه يطالب يوم القيمة فلا يكون له جواب وقال بعضهم إذا أراد الله أن يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر
بن عبد العزيز فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر إنك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها
وقال يزيد بن ميسرة إن ظللت تدعو على من ظلمك فإن الله يقول إن آخر يدعو عليك أنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك واستجبنا
عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيمة فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع إليه
من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل وقمن أن لا يفعل وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال بلغنا أن الله عز وجل يأمر مناديا يوم القيمة
فينادي من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بعث إلى النعمان
بن المنذر برجلين أحدهما قد أذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر أذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب
لفضلها وقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلهم إلا ليعرف حلمها ويخاف شدة نكالها وعن المبارك بن فضالة قال وفد
سوار بن عبد الله في وفد أهل البصرة إلى أبي جعفر قال فكنت عنده إذ أتي برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر
فقلت يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول إذا كان يوم القيمة جمع الله الناس في صعيد
واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فيقول من له عند الله يد فليقم فلا يقوم إلا من عفا فقال والله
لسمعته من الحسن فقلت والله لسمعته منه فقال خليا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فإذا أمكنتكم فعليكم
بالصفح والإفضال وروي أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب أرأيت ذا القرنين أكان نبيا فقال لا ولكنه إنما
أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم
من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال زياد الدنيا تذهب بالحفيظة يعني الحقد والغضب وأتي هشام
برجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم أيضا فقال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل

يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها أفنجادل الله ولا نتكلم بين يديك كلاما قال هشام بلى ويحك تكلم وروي أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر
بصفين فقيل له اقطعه فإنه من أعدائنا فقال استر عليه لعل الله أن يستر علي يوم القيمة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما
فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وإنها لمعي فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذي
أخذها فقال عبد الله اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وقال الفضيل
ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إلي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت أعلى
الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله فأشرف عقلي على إدحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل
الحكم بن أيوب ليلا على البصرة وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة
يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من بيعهم إياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس
ثم قال أيها الأمير ماذا صنع الله به أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الأرض فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله
قال لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبي لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوانه
فلان هارب من زلته إلى عفوك لائذ منك بك واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما إلا ازداد العفو فضلا وأتي عبد الملك بن مروان
بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى قال إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروي أن زيادا أخذ رجلا
من الخوارج فأفلت منه فأخذ أخا له فقال له إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين
تخلي سبيلي قال نعم قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي
وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب في الإنجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم
الشيطان **فضيلة الرفق** اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق
واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر
ويمنع من التثبت فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على
حد الاعتدال ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة إنه من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه
من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وآله وسلم إذا أحب الله
أهل بيت أدخل عليهم الرفق وقال عليه السلام إن الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق وما من
أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا وقال عليه السلام إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وآله
وسلم يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال عليه السلام من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى
الله عليه وآله وسلم أيما وال ولي فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيمة وقال عليه السلام تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب
وقال صلى الله عليه وآله وسلم الرفق يمن والخرق شؤم وقال صلى الله عليه وآله وسلم التأني من الله والعجلة من الشيطان وروي
أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير
فقال الحمد لله الحمد لله مرتين أو ثلثا ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستوص مرتين أو ثلثا قال نعم قال إذا أردت
أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان سوى ذلك فانته وعن عائشة أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل
في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه **الآثار** بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه
فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير أيها الرعاة إن للرعية
عليكم حقا فاعلموا أنه لا حلم أحب إلى الله ولا أعم نفعا من حلم إمام ورفقه وليس جهل أبغض إلى الله ولا أعم من جهل إمام وخرقه واعلموا
أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا

العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيّمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده. وقال بعضهم ما أحسن
الإيمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم. وقال عمرو بن العاص
لابنه عبد الله ما الرفق قال أن تكون ذا أناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة إمامك ومناواة من يقدر على ضررك. وقال سفيان
لأصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الأمور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه
والسوط في موضعه. وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل: شعر

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى الحدة والعنف
أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في محله
حسنا كما أن الرفق في محله حسن فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد
وهكذا قال عمر بن عبد العزيز. وروي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني فكتب إليه معاوية أما بعد فإن التفهم
في الخير زيادة ورشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن المتثبت مصيب أو كاد أن يكون
مصيبا وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئا وإن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي.
وعن أبي عون الأنصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها. وقال أبو حمزة الكوفي لا تتخذ من
الخدم إلا ما لا بد منه فإن مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن
المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل. فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة
إلى العنف قد تقع ولكن على الندور وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة
أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجح معه في الأكثر.

القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته

بيان ذم الحسد

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب
فهو فرع فرع الغضب والغضب أصل أصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. وقال صلى الله عليه وآله وسلم
في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا. وقال أنس كنا يوما جلوسا عند
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار
ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال النبي عليه السلام مثل ذلك فطلع الرجل وقاله في اليوم
الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فإن
رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا انقلب على فراشه
ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا فلما مرت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن
بيني وبين والدي غضب ولا هجر ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك
تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك قال ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين
في نفسي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق. وقال صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث
لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض وإذا حسدت
فلا تبغ. وفي رواية ثلاث لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة. وقال عليه السلام دب إليكم
داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا
تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم. وقال صلى الله عليه
وآله وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر. وقال صلى الله عليه وآله وسلم إنه سيصيب أمتي داء الأمم قالوا
وما داء الأمم قال الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج. وقال عليه السلام
لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك. وروي أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال
أحدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة. وقال زكريا صلوات الله
عليه قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي. وقال صلى الله عليه وآله وسلم
أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون. وقال عليه السلام استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي
نعمة محسود. وقال عليه السلام إن لنعم الله أعداء قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. وقال
صلى الله عليه وآله وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الأمراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين
بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرساتيق بالجهالة والعلماء بالحسد. الآثار: قال بعض السلف أول خطيئة كانت هي
الحسد حسد إبليس آدم أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية. وحكي أن عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ
على واسط فقال إني أريد أن أعظك بشيء فقال وما هو قال إياك والكبر فإنه أول ذنب عصي الله به ثم قرأ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم الآية وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله من جنة عرضها السماوات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه
الله عنها فأكل منها فأخرجه الله منها ثم قرأ اهبطوا منها إلى آخر الآية وإياك والحسد فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ واتل
عليهم نبأ ابني آدم بالحق الآية. وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمسك وإذا ذكر القدر فاسكت وإذا ذكرت
النجوم فاسكت. وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء
سيكفيكه مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم
أن الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعو به إليك فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر فقال له
انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك وقال
أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه مساويه فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه
مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة
فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به إلي فأخذ الكتاب
وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى
العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب
الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعل
الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال له الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على
فيك قال لأنه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه. وقال ابن سيرين ما حسدت
أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده
على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار. وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فإنه
لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا. وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده. وقال معاوية كل الناس أقدر على
رضاه إلا الحاسد لنعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل: شعر

كل العداوات قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى. وقال أعرابي ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة
عليك نقمة عليه. وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن
كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار. وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة إلا لعنة
وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا

بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان المؤمن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك منه مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال الله تعالى لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيهم له وساءهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال الله تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله تعالى العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وامرهم ان يتآلفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم بالرياسة وقبول القول ورد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي عليه السلام من ولد اسماعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة او مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان يأتيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه اياك فاطمة فالمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانماري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مالا مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما له من غير ان يحب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان لكنت اعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهة تمنيه المعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له فاذن لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها

ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه ان لم يحب ذلك فيكون راضيا فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثله او بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك اشفى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان تدعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عما يجده في طبعه من الارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعني بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه واقرانه يحب ان يساويهم ويكاد ينجر ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه اما مراتبه فاربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل اليه وهذا غاية الخبث الثانية ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امرأة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها الثالثة ان لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم اما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال النعمة لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب السبب الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان من آذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه

غرض بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما اصاب عدوه بلية فرح بها وظنها مكافاة له من جهة الله على بغضه وانه لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وكذلك قال الله تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم فالحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه السبب الثاني التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه السبب الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان يتكبر عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ له رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم السبب الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر ورياسة وتقدم عداوة او سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة وقال الله تعالى اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى الاغراض السبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى المقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم السبب السابع خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به عليه شق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل

بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا الخبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابها عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فيعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقوى معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع فيهم جملة من هذه الاسباب اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع من قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه عنه وابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة من الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه يثور بقية اسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهي بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق ايضا فيما عند الله لان اجل ما عند الله من النعيم لذة اللقاء وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر ونقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره بها وان يفرح بها والفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه وان المال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لانه لو عرف غيره ايضا مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى

أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فإن نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبداً يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبداً ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فإذاً لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة فيها ولا تنال إلا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضاً فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعاً بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين إلى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم على ما خص به من الاجتباء ولما دعي إلى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى فقد عرفت أنه لا منشأ للحسد إلا التوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لسعة أقطارها تفي بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً فعليك إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعيماً لا زحمة فيه ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً فإن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله ولم تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت معذور فيه إذ العنين لا يشتاق إلى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق إلى لذة الملك فإن هذه لذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص بإدراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل سافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين

بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف إليه أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار وأما كونه ضرراً في الدنيا عليك فهو أنك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً متشعب القلب ضيق الصدر كما تشتهيه الأعداء لك وكما تشتهي لأعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك نقداً ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما أعجب من العاقل أن يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من إقبال ونعمة فلا بد وأن يدوم إلى أجل قدره الله فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكا نبي من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله إليه فر من قدامها حتى تنقضي أيامها أي ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فإنه بلاء تشتهيه أولاً لنفسك فإنك أيضاً لا تخلو عن عدو

يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق نعمة ولا نعمة الإيمان لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان قال الله تعالى ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم إذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بإرادته الضلال لغيره فإن إرادة الكفر كفر فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنه يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فإن كل واحد من حمقى الحساد أيضاً يشتهي أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهي هدايا تهديها إليه أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة وأما منفعته في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أعظم مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فيتقطع قلبك حسداً ولذلك قيل لا مات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد لا زلت محسوداً على نعمة فإنما الكامل من يحسد ففرح عدوك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان أعظم مصيبة وبلية عنده فما أنت فيه من غم الحسد إلا كما يشتهيه عدوك فإذاً إذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموماً عند الخالق والخلائق شقياً في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رآك محروماً عن نعمة العلم والورع والجاه والمال التي اختص بها عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك فخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه إليك حتى لا تلحقه بمحبتك كما لم تلحقه بعملك وقد قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي عليه السلام المرء مع من أحب وقام أعرابي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فقال متى الساعة فقال ما أعددت لها فقال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ إشارة إلى أن أكثر بغيتهم حب الله ورسوله قال أنس فنحن نحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم وقال أبو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو مع من أحب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالماً فكن عالماً فإن لم تستطع أن تكون عالماً فكن متعلماً فإن لم تستطع أن تكون متعلماً فأحبهم فإن لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجاً فانظر الآن كيف حسدك إبليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهية حتى أثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلاً من أهل العلم وتحب أن يخطئ في دين الله وينكشف خطؤه ليفتضح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي إثم يزيد على ذلك فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الإثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث أهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه أي من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها ألبتة فقد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت حالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي سهماً إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانياً فيرميه أشد من الأول فيرجع على عينه الأخرى فيعميها

فيزيد غيظه ويعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليها راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه هذا حالك في الحسد بل حالك اقبح من هذا لان الرمية العائدة لم تفوت الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من ان تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم ازالها عن الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلك الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عليه الزم نفسه الزيادة في الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فاحبه وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت عليه حملك العدو على العجز او على النفاق او الخوف وان ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كانت او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبه تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله وحب ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد ما لا يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسيأتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال ودوا لو تكفرون وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت

نفسك على ما في طبعك فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما يتيسر لهما من نعمة او ينصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهة الزم قلبه فقد ادى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث لا يخلو منهن المؤمن وله منهن مخرج ومخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي والايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب مساءة المسلمين فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته مساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلاثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة وهي بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكارك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها اسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها لا يسوق الا الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كان لم يغن بالامس تمني اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من آله واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا اما بعد فان الدنيا عدوة لله عدوة لاولياء الله عدوة لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما

عن أوقاتها إلا على الله إنما استدرجتهم بكرمها وكيدتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فأخذتهم أحوج ما كانوا إليها
فاجتنوا منها حسرة ينقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم عن السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون ولا
يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا ما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مداخل غرورها وشرورها
فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال
المتعلقة بها وجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها **بيان** ذم الدنيا الآيات الواردة
في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء ولم يبعثوا
إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روي أن رسول الله صلعم مر على
شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها قالوا نعم قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها
ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها وقال أبو موسى الأشعري قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحب
دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال
زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى وبكى حتى أبكى أصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا
أنهم لم يقدروا على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي
فقلت لها إليك عني ثم رجعت فقالت إنك إن أفلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال عليه السلام يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود
وهو يسعى لدار الغرور وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عجبا كل العجب وقف على مزبلة فقال هلموا إلى الدنيا
وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذا إشارة إلى أن زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وأن
الأجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال عليه السلام إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون
إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى صلوات الله عليه لا
تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله
لا يخاف عليه الآفة وقال أيضا يا معشر الحواريين إني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فإن من خبث الدنيا أن
عصي الله فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا
ورب شهوة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فأما الملوك فلا
تنازعوهم الدنيا فإنهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة
فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن
يسار قال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها وروي أن
سليمان بن داود صلوات الله عليهما مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وعن يساره قال فمر بعابد من عباد
بني إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن
داود فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك
من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت أو أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا دار من لا دار له
ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال عليه
السلام من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا

لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلعم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها قلت
بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رؤوس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال
يا أبا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات ألوان
أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم
فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك
قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود
بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم إني قذفت في قلوبهم بغضك
والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون علي منك كل شأنك صغير وإلى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي
لأحد ولا يدوم لك أحد وإن بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على
الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلي من قبورهم النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم
ما يرجون من رحمتي وقال صلعم الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني
لأدنى أوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم وروي في أخبار آدم صلوات الله عليه
أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها
قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله ملكا يخاطبه فقال قل له أي شيء تريد قال آدم أريد أن أضع ما في بطني من الأذى فقيل للملك قل له
في أي مكان تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط إلى
الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار قالوا يا رسول الله أمصلون قال
نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم في بعض
خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه
لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت
من مستعتب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء
والنار في إناء واحد ويروى أن جبرئيل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من
أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم
احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلعم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب
الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله
علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر ولا الغنى إلا بالفخر والبخل ولا المحبة
إلا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر
على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله أعطاه الله عز وجل ثواب خمسين صديقا ويروى أن عيسى صلوات الله عليه اشتد به المطر والرعد
والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد
فوضع يده عليه وقال إلهي لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله إليه مأواك في مستقر رحمتي لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء
خلقتها بيدي ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد
عيسى بن مريم وقال عيسى صلوات الله عليه ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف أرتهم
ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل أوحى الله إلى موسى صلوات الله
عليه يا موسى ما لك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار

من ابويه ان يتصدق للظالم حتى تحسنه للظالم وروى ان رسول الله صلعم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار
بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما صلى رسول الله انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله حين
رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني
اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال
عليه السلام لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا اهلها موتى
في الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا
علمنا خبرهم فسأل ربه فاوحى الله اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك
يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قال بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك قال بحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي
قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال
قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب
اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح عليه السلام للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش
ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العضباء لا
تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه السلام انه حق على الله ان لا يرفع شيئا في الدنيا الا وضعه وقال عيسى
صلوات الله عليه من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى صلوات الله عليه علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه
قال ابغضوا الدنيا يحببكم الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت
عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تجأرون وتبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم
لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم
كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين الله ما فرق
بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في امر الدنيا ولا تناصحون في امر الآخرة ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر آخرته
ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها املك لاموركم فان قلتم
حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبئس
القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه
قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير
من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون
فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم اني لارى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور
وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض
الاجل ولوددت ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا
ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله استعين على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين
كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل شعر ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا • ولا اراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما • استغنى الملوك بدنياهم عن الدين • وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا ابر وقال
نبينا عليه السلام لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله عليه يا موسى لا تركن
الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك

فقال يا رب عبدي هذا ان نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا • آثار • وقال علي رضي الله عنه
من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه
وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحم الله اقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها
الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياه فالقها في نحره وقال لقمان عليه السلام
يا بني الدنيا بحر عميق غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله عز وجل وشراعها التوكل على الله لعلك
ناج وما اراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك وسيكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة
وغداء يوم فلا تهلك في اكلة وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر
قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قيل فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفي ذلك قيل شعر
ومن يحمد الدنيا لعيش يسره • فسوف لعمري عن قليل يلومها • اذا ادبرت كانت على المرء حسرة • وان اقبلت كانت كثيرا همومها • وقال بعض
الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة
زائلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما ان تنقص وقال سفيان
رحمه الله اما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا
الا اراد اكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا
وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو واخذ
نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجيء
في طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف
وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا
عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفي ذلك قيل شعر
وما المال والاهلون الا ودائع • ولا بد يوما ان ترد الودائع • وزار رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها
فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر ذكره وقيل لابراهيم بن ادهم كيف انت فقال شعر نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع • فطوبى لعبد آثر الله ربه • وجاد بدنياه لما يتوقع • وقيل ايضا ارى طالب الدنيا وان طال عمره • ونال من الدنيا سرورا
وانعما • كبان بنى بنيانه فاقامه • فلما استوى ما قد بناه تهدما • وقيل شعر هب الدنيا تساق اليك عفوا • اليس مصير ذلك الى انتقال
وما دنياك الا مثل فيء • اظلك ثم آذن بالزوال • وقال لقمان لابنه بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال
مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل
الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن
اراد منها فليصبر على معاشرة الكلاب وقيل شعر يا خاطب الدنيا الى نفسها • تنح عن خطبتها تسلم • ان التي تخطب غدارة • قريبة العرس من المأتم
وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل شعر اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت • له عن
عدو في ثياب صديق • وقال شعر اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت • له عن عدو في ثياب صديق • وقال شعر يا راقد الليل مسرورا باوله
ان الحوادث قد يطرقن اسحارا • افنى القرون التي كانت منعمة • كر الجديدين اقبالا وادبارا • يا من يعانق دنيا لا بقاء لها • يمسي ويصبح في دنياه
سفارا • هلا تركت من الدنيا معانقة • حتى تعانق في الفردوس ابكارا • ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها • فينبغي لك ان لا تأمن النارا • وقال
ابو امامة الباهلي لما بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن
كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلاث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه

والشرك له انقباع وقال رجل لعلي يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما اصف لك من دار من صح فيها امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر
فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب وقيل له ذلك مرة اخرى فقال اطول ام اقصر فقيل اقصر فقال حلالها
حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال ابو سليمان اذا كانت
الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها واذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم
ونرجو ان يكون ما ذكره سيار بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فايهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار
بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي عليه السلام
الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احداهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب
الذي يمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت اذهبت الى ذا ام ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو
يتصدق منه ويصل منه ايحسن له ان يتعيش فيه يعني يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم
فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها في الآخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها
ان تصيب ثوبه وقيل لما قدم عمر الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وساءله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه
وترسه ورحله فقال له عمر لو اتخذت متاعا فقال يا امير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة
لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة
الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها
واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رأيت العبد يزداد دنيا وينقص آخرة
وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رأيت قوما ارغب فيما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذي عليه اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله فلا تغرنكم
الحياة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها وهو اعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل
الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حله حوسب
به وان اخذه من حرامه عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن
الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل
وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن الخلوص منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان
النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رجل
من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا
المولود لباد الخلق ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة
لي اليك وقال داود الطائي يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سأل الله
الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق الله اليه شيئا يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم
من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى
من عتق من رق الدنيا وقال ابو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا
على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل وقال ابو حازم يسير الدنيا
يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنأ منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من الدنيا
عطية ثم يمسك فاذا نفد اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول في دعائه يا ممسك السماء ان تقع على الارض امسك الدنيا
عني وقال محمد بن المنكدر ارأيت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله

غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا
عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فاما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما
مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن
البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شيء وقال عبد الله بن المبارك
حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد اخطأ الحكمة ومن
جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة
ضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن
نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها
قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله عليه من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا
وعظ اخا له في الله وخوفه بالله فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها
على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله لا تتسلف
من دار بقائك في دار فنائك فان عيشك فيء زائل وجدار مائل اكثر من عملك وقصر من املك وقال ابراهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام
احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لا تحبه في
الآخرة كانك لا تحبه في اليقظة وعن اسماعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا
لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى بن معاذ العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل
ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا بلغ من شؤمها ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف
الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن وقال بندار اذا رأيت ابناء الدنيا يتكلمون
في الزهد فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الآخرة
صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي رضي الله عنه
انما الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف
المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال
واشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال والله ان المرأة لتزين احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها واشرف المشمومات المسك وهو دم

بيان

المواعظ في ذم الدنيا وصفتها قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله عز وجل على وجل ولا تغتروا
بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت
كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت
فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثيرة بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها
يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل
او الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى ولماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه
ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك
وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من
الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك
اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض
الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تأتي

سلطانه ينصدع من التواضع أو يثب على جسمه فيشينه أو تفجعه بشيء هو ضنين به من أحبته فالدنيا أحق بالذم هي الآخذة ما تعطي المرتجعة
لما تهب بينا هي تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له إذ أبكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالعطاء إذ بسطتها بالاسترداد
فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى
بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم
عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها والغنى فيها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها
هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول
البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وختلت بآمالها وتشوفت لخطابها فأصبحت
كالعروس المجلوة فالعيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا
الآخر على الأول منه مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل
فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب
فيها لم ينل منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون
فيها أحذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه السار فيها لأهلها غار والنافع منها غدا ضار وقد
وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء فسرورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر أمانيها كاذبة
وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر وهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق
لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ
فما لها عند الله جل ثناؤه قدر ولا وزن ولا نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وآله وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه عند الله جناح
بعوضة فأبى أن يقبلها إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختبارا وبسطها
لأعدائه اغترارا أفيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد
جاءت الرواية عنه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال لموسى عليه السلام إذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وإذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا
بشعار الصالحين وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليهما السلام فإنه كان يقول إدامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي
الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الأرض أبيت وليس لي شيء
وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض أحد أغنى مني وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قال لا يروعكما
لباسه الذي لبس من الدنيا فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني ولا يعجبكما ما متع به منها فإنما هي زهرة الحياة الدنيا
وزينة المترفين ولو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكني أرغب بكما
عن ذلك وأزويه عنكما وكذلك أفعل بأوليائي إني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وإني لأجنبهم
سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك العرة وما ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا إنما يتزين
لي أوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى تنبت في قلوبهم فتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون
وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي إياه يأملون ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون
فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم أن من أخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة
وخطب علي كرم الله وجهه خطبة فقال فيها اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة
الدنيا فإنها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولن
يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء
فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد

الله أنكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم
هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق
الممهدة الصخور والأحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين
لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم
بكلكله البلى وأكلتهم الجنادل والثرى فأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الأحباب وسكنوا التراب وظعنوا
فليس لهم إياب هيهات هيهات كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار
المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو تناهت الأمور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور وأوقفتم
للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب
والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وقال ووضع
الكتاب فترى المجرمين مشفقين الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه ومتبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه
حميد مجيد وقال بعض الحكماء الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك
فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم
يأتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن آفات الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من العلقم
إذا عجمها الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ فنسأل الله الإرشاد إلى الصواب
وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه
وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغير والنقصان والدهر موكل
بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور وخطب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
فقال يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فإنكم حمقى وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون
عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا
لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل وقال علي رضي الله عنه في خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم
وإن كنتم لا تحبون تركها المبلية لأجسامكم وإن كنتم تحبون تجديدها فإنما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا
إلى علم فكأنهم قد بلغوه وكم عسى أن يجري المجري حتى ينتهي إلى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا
تجزعوا لبؤسها وضرائها فإنه إلى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فإنه إلى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه
وقال محمد بن الحسين لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لأوليائه وأنها عنده
حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي
وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه ما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة بعين
أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها
بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب
لهم وكرهوا ما كره لهم

بيان صفة الدنيا بالأمثلة اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء
تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس
عند انقضائها ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما
ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمة الله عليه أنشد **شعر** أحلام نوم أو كظل زائل ... إن اللبيب بمثلها لا يخدع وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما
يتمثل كثيرا ويقول **شعر** يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ... إن اغترارا بظل زائل حمق وكان يقال إنه من قوله ونزل أعرابي بقوم فقدموا إليه الطعام

فالعاقل تمام العقل من تمتع بها كما يتمتع بالخيمة فلما صبت الشمس خائبة وقام من بين ليس الا انما الدنيا كظل غمامة ولا بد يوما
ان ظلك زائل ولذلك قيل شعر وان امرأ دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها
ثم الافلاس عنها بعد افلاتها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا حلم واهلها عليها
مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه
فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لحكيم اي شيء اشبه بالدنيا قال احلام النائم
مثال آخر للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها لبنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك
آخرا وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى صلوات الله عليه كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها
من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك
الباقين كيف لا يعتبرون باخوانك الماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر مثال آخر للدنيا في مخالفة باطنها
لظاهرها اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن
وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رأيت في النوم عجوزا كبيرة
متغضنة الجلد عليها من كل زينة والناس عكوف عليها معجبين ينظرون اليها فجئت فنظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها
فقلت لها ويلك من انت قالت اوما تعرفني قلت لا ادري من انت قالت انا الدنيا قلت اعوذ بالله من شرك قالت فان احببت
ان تعاذ من شري فابغض الدرهم وقال ابو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق
يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي اقبلت علي فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك ما صنعت بهؤلاء ثم بكى ابو بكر وقال
رأيت هذا قبل ان اقدم الى بغداد وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء
انيابها بادية مشوهة خلقتها فتشرف على الخلائق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم
عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل
الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب
واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شيء رآه الناس واذا اقبلت كانت اقبح شيء رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء
قال قلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال قلت من انت قالت انا الدنيا مثال آخر للدنيا
وعبور الانسان بها اعلم ان الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهي ما بعد موتك
الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل
من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت
له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذا العين لم يركن الى الدنيا ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في
سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة
ورأى بعض الصحابة يبني بيتا من جص فقال ارى الامر اعجل من هذا وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها
ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الآخرة والمهد هو الميل الاول على رأس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما
مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها
وكيفما كان فلا بد من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان مثال آخر
للدنيا في لين ماخذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل الدنيا تبدو رقيقة لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة خوضها كحلاوة الخوض
فيها وهيهات فالخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي بمثالها فقال
مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر

ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنها مكروه والله اعلم مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص
من تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء الا تبتل
قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك
مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا من اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك
ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم كما
ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول
لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ اقول
لكم ان الزق ما لم يتخرق او يتحل يوشك ان يكون وعاء العسل كذلك القلب ما لم تخرقه الشهوات او يدنسه الطمع او يقسه النعيم فسوف
يكون وعاء للحكمة وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب
اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق قال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي معلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع مثال آخر في تأدية علائق الدنيا
بعضها الى بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله مثال
آخر لمخالفة آخر الدنيا اولها ولنضارة اوائلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة اللذيذة
في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت
المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الطف واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب
هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتأذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره واخذ اهله وولده
وماله يكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقده بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو
عند الفقد ادهى وامر ولا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي
الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان
الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن
آدم فانظر الى ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه الى ما يصير وقال عليه السلام ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم
ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه قال الحسن قد رأيتهم يطيبونه بالافاوية والطيب ثم يرمونه حيث رأيتم وقد قال الله تعالى
فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر رضي الله عنهما اني اريد ان اسألك واستحيي قال فلا تستحيي
وسل قال اذا قضى احدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر الى ما بخلت به انظر الى ما ذا صار وكان بشر
بن كعب يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم مثال آخر
في نسبة الدنيا الى الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه
مثال آخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم
مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها
فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده
وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى انوارها وازهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة
وصار يلحظ من تربتها احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين
بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب
على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة

شيئاً وصار حجراً ثقلاً عليه ووبالاً فندم على أخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكاناً لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذه وليس ينفعه التأسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك تشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراده فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلاً بما معه ولم يجد في المركب موضعاً فبقي على الشط حتى مات جوعاً وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت ألوان الأحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هرباً منها وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيماً مدبراً ومن رجع قريباً ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولاً وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالماً فهذا مثال أصناف أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمرهم وما أقبح بمن يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلاً ووبالاً عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى **مثال آخر** لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم قال الحسن رحمه الله تعالى بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي أنفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر رأسه فقالوا إن هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى إليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال علام أنتم قالوا على ما ترى قال أرأيتكم إن هديتكم إلى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئاً قال عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئاً قال فأوردهم ماء رواء ورياضاً خضراً فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا إلى أين قال إلى ماء ليس كمائكم وإلى رياض ليست كرياضكم فقال أكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أنا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا قال وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيئاً وقد صدقكم في أول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فنذر بهم عدو فأصبحوا من بين أسير وقتيل **مثال آخر** لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ داراً وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوماً واحداً بعد واحد فدخل واحد فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه وظن أنه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالماً برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي أن يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلابد وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع ما لك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلاثة أقسام **القسم الأول** ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط

وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لأنه أشهى عنده من جميعها فقد صار حظاً عاجلاً في الدنيا ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلاً بل قلنا إنه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع منها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا المذمومة وذلك وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لأن كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا إلا أنا في هذا الكتاب لسنا نتعرض إلا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا

(في الهامش: يطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا)

القسم الثاني وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث والغلمان والجواري والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الأطعمة فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولاً أو في محل الحاجة نظر طويل إذ روي عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفاً أنفق عليه درهمين فكتب إليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمارة الدنيا حين أراد الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا فقد سيرتك وأهلك إلى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولاً من الدنيا فتأمل فيه

القسم الثالث وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولاً للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أعني طهارته عن أدناس الدنيا وأنسه بذكر الله وحبه لله وصفاء القلب وطهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار إن أعمال العبد تناضل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث وأما الأنس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل وقت الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسروراً سليماً من الموانع آمناً من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذباً ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينها وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليها فانظر إلى حال من كان له واحد يحبه فحسد منه ذلك الواحد وليس الموت عدماً إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فإذن سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض إليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال إلا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاث إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا والراغبين في

حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تستتبع الى ما يعرض صاحبه للعذاب في الآخرة ويسمى ذلك حراما والى طول الحساب ويسمى ذلك
حلالا ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن
نوقش الحساب عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب بل قال ايضا حلالها عذاب
الا انه اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على
فوتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات
دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرة مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوت
سعادة لا يحيط الوصف بعظمها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر
الى خضرة او شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة اضعافه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر رضي هذا من
النعيم الذي تسألون عنه اشار الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان
الحظ ولذلك قال عمر رضي اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فادار الكأس في كفه ثم امتنع عن شربه.
فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته
اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى صلوات الله عليه وضع راسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس
وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه
بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا روي ان الله زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم
فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك
نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه
وحبا له لا بخلا عليه فقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فاقول الاشياء
ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض المذموم
فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن ان يجعل لغير الله وهي ثلثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلث
اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف
وطلب القبول عند الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد
صار من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله وذلك كالاكل والنكاح
وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله
بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال عليه السلام من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن
طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذن
الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي المأوى ومجامع الهوى خمسة امور يجمعها الله تعالى في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله ليس من الدنيا وقدر
ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة
درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف
يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر منه وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر
والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويس القرني

كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلث لا يرون له وجها
وكان يخرج اول الاذان ويأتي الى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه ان يلتقط النوى فكلما اصاب حشفة خباها لافطاره وان
لم يصب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى وان ما يصيب من النوى واشترى به ما يقوته وكان لباسه ما يلتقط من المزابل فيلتقط
قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها وكان ذلك لباسه فكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه
مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم لا بد ان ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان تدموا عقبي فيحضر الصلوة ولا اصيب الماء
فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه
ولما ولي عمر بن الخطاب رضي قال ايها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا قال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا
فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا فقال له عمر اقرني انت
فقال نعم قال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه فقال نعم وما تسأل عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن
منه ولا اوحش منه ولا ادنى منه فبكى عمر رضي ثم قال ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلعم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة
ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويس القرني واسأل
عنه حتى سقطت عليه جالسا وحده على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا
رجل لحيم آدم شديد الادمة محلوق الرأس كث اللحية عليه ازار من صوف ورداء من صوف شنيع المنظر جدا كريه الوجه مهيب
المنظر قال فسلمت عليه فرد علي ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك
الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رأيت من حاله ما رأيت حتى
بكيت وبكى قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان
ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي
وما رأيتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير عرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان للارواح انفسا كانفس الاجساد وان
المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل
قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحديث اسمعه منك فقال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن رأيت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو ما بلغك ولست
احب ان افتح هذا الباب على نفسي لا احب ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي
اقرأ علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ
بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى وقال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديث ربي
واحسن الكلام كلامه ثم قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى
الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان واوشك ان تموت فاما الى
جنة واما الى نار ومات ابوك آدم وماتت امك حواء ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن يا ابن حيان ومات داود خليفة
الرحمن ومات محمد رسول رب العالمين صلوات الله عليه وعليهم اجمعين ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر اخي وصفيي
ثم قال واعمراه واعمراه رحم الله عمر وعمر يومئذ حي قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت بعد قال فقد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي
ثم قال انا وانت في الموتى كان قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم دعا بدعوات خفيفات ثم قال هذه وصيتي اليك
يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت لك نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارقن قلبك طرفة عين
ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل
النار يوم القيمة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في

دار كدار السلام ولحفظ ادام في الدنيا حياته ان كان ومن عليه صنيعتموا رضوا من الدنيا باليسير واعطيته من الدنيا يسيرا
يسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واخرج عن خبر الخاتم قال الاسود مكانه ياهرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله
لا اراك بعد اليوم رحمك الله ان تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس حيا فلا تسأل
عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك وتراني فاذكرني وادع لي فاني ساذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق انت هاهنا
حتى انطلق انا هاهنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته يبكي وابكي وجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم
طلبته بعد ذلك وسألت عنه فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن
الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سير الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل
من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل القوة على طاعة الله عز وجل ليس من
الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل
وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشتغلا بغير الحج وكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد
البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن او تنعمه بشيء من هذه
الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت
الليلة الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا
في حقك

بيان حقيقة الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم

اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها
وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم
احسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام
المعادن والنبات والحيوانات اما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي واما المعادن فيطلبها الآدمي للآلات والاواني
كالنحاس والرصاص او للنقد كالذهب والفضة او لغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما
البهائم فيطلب لحومها للمآكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم
كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ
معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من
النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلي
واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان
لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا
ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب
الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهو
اشتغاله باصلاح هذه الاعيان التي ذكرناها لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها
والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه
وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة
البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده
مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها الوان
الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع

هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة
بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا لضرورة ولا فرق بين
ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج من
بطنه واكثر ما شغل الناس عن الله هو البطن فان القوت ضروري وامر المسكن والملبس اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور
واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال
الدنيا واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل
اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي
ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلاثة القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس
لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع اسباب الهلاك عن المال والاهل ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا
بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثران في بدنه فيستغني
عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات
هي اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما
يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله
من صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج
بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات
واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات انما تؤخذ اما من النبات
وهو الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة انواع اخر من الصناعات النجارة
والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيفما كان وبالحداد كل من يعالج جواهر المعادن حتى
النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما آحاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات واجزائها
فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما
حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس
ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع
الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة
وحده وهو يحتاج الى الآلات ويحتاج الآلة الى الحداد والنجار ويحتاج الطعام الى الطحان والخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو
يفتقر الى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماعات ثم
لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الآلات
والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد وتدفع اذى الجيران عن اللصوصية ولكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل
فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس
في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه
ضعيف يحتاج الى القوام ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان
ظلمت واما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها
ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم
فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بمرض او عمى او هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل

تتعدى الى الجمع لحاجة ولو وحش واحد من سبب بحصة لكان الابنعى ان تحدث بالضرورة من بعض العوارض الحاصلة بالاجتماع
صناعات اخرى فمنها صناعة المساحة التى بها يعرف مقادير الارض ليمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف
ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوسط بينهم لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذى ينبغى ان يضبط
به الخلق ويلزم الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله فى المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها
ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون
الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح
بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم الاموال الضائعة التى لا
مالك لها ان كانت او تصرف اليهم الغنائم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال
المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة لا محالة الى الخراج
ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى الصناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال
وهم العمال والى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان
والى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة
الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعى النصفة فى اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند
فى الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث
من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الكتاب والخزان والحساب والجباة
والعمال ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فيحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج
وعند هذا يكون الناس فى الصناعات ثلاث طوائف الاولى الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانية الجندية الحماة لهم بالسيوف
والثالثة المترددون بين الطائفتين فى الاخذ والعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتدأ الامر من حاجة القوت والمسكن
والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخرى وهكذا تتناهى الى غير حد محصور كانها
هاوية لا نهاية لعمقها من وقع فى مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالى فهذه الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال
والآلات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاغذية ثم الامكنة التى ياوى الانسان اليها وهى الدور
ثم الامكنة التى يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت وآلاته ثم آلات الآلات وقد يكون فى الآلات
ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الحرب ثم يحدث من بعد ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن
قرية ليس بها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن بها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح
فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده للآخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء
بآلته ربما لا يحتاج الفلاح فى ذلك الوقت الى الآلة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار بطعام ربما كان عنده طعام فى ذلك الوقت
فلا يحتاج اليه فيتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والى ابيات يجمع اليها ما
يحمله الفلاحون فيشتريها منهم صاحب الابيات ليترصد به ارباب الحاجة فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم
يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها انتظارا لارباب الحاجات طمعا فى الربح وكذلك فى جميع الامتعة والاموال
ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ويتعيشون به
لتنتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا يوجد فيها كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل
فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال فيتعبون طول الليل والنهار فى الاسفار لغرض غيرهم ونصيبهم
منها جمع المال الذى ياكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله فى غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة

العباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس لارتفعت هممهم ولزهدوا فى الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت
المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التى تنقل لا يستقل الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب
المال قد لا يملك الدابة فيحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات
الحاجة الى النقدين فان من يريد ان يشترى طعاما بثوب فمن اين يدرى المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجرى
فى اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام ودابة وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عادل يتوسط بين المتبايعين
يعدل احدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن
فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى
الصيارفة وهكذا تداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهى معايشهم وشىء من هذه
الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب فى الابتداء وفى الناس من يغفل عن ذلك فى الصبى فلا يشتغل به او يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا
عن الاكتساب بالعجز عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما
انهما ياكلان من سعى غيرهما ثم ان الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم
الى استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون فى يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطرق
كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا او
سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدى فانه اذا طلب ما سعى فيه
غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى فافتقروا الى الحيلة فى استخراج المال وتمهيد العذر لانفسهم فى البطالة
فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيل ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامى والتفالج والتجانن
والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون
افعالا واقوالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال فى حال التعجب ثم قد
يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار
الغريبة او الكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا فى النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب
كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت او الذى يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين فى الاسواق او تسليم
ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذى يخيل انها ادوية فيخدع بها الصبيان وكاصحاب القرعة والفال من
المنجمين ويدخل فى هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤوس المنابر اذ لم يكن وراءهم طائل علمى وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ
اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هى اشغال الخلق واعمالهم التى
اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا فى اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فضلوا
وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرتها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم
على عدة اوجه فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما فى الدنيا فنجتهد
حتى نكسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى ناكل فياكلون ليكسبوا ويكسبون لياكلوا وهذا مذهب الفلاحين
والمحترفين ومن ليس له تنعم فى الدنيا ولا قدم فى الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السوانى
فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم فى الدنيا
بل السعادة فى ان يقضى وطره من شهوة الدنيا وهى شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان و
جمع لذائذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله وعن اليوم
الآخر وطائفة ظنوا ان السعادة فى كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم فى الجمع فهم يتعبون فى الاسفار

طول الليل والنهار يترددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر القوت حرصاً وبخلاً عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللآكل لذتها ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهم لا يتعبون في كسب المعايش ويضيقون على أنفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال إنه غني وإنه ذو ثروة ويظنون أن ذلك هو السعادة فهمتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم إلى استجرار الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ويرون أنهم إذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنما جرهم إلى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها وتداعى بهم إلى مهاوٍ لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وأن غايته تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له وإن تعدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فلا يبالي الله في أي وادٍ أهلكه فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم في الإعراض أيضاً حتى انقسموا إلى طوائف فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة وأن الآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد ورأوا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا وإليه ذهب طوائف من الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أولاً من إماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله مستغنٍ عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة عابد فعادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الإباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغنٍ عن عبادة العباد وظنت طائفة أخرى أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارتفع محلهم في معرفة الله عن أن يمتهنوا بالتكاليف وإنما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى أن يبلغ نيفاً وسبعين فرقة وإنما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازماً لسياسة الشهوات ومراقباً لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فإنه لما قال الناجي منها

واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال أهل السنة والجماعة فقيل ومن أهل السنة والجماعة قال ما أنا عليه وأصحابي وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواماً وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع وبالله التوفيق ومنه العصمة

كتاب ذم المال والبخل وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق وأفاض على العالمين أصناف الأموال وابتلاهم فيها بتقلب الأحوال وردّدهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والأسف على المفقود والإيثار والإنفاق والتوسع والإملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملاً وينظر أيهم آثر الدنيا على الآخرة بدلاً وابتغى عن الآخرة عدولاً وحولاً واتخذ الدنيا ذخيرة وخولاً والصلاة على محمد الذي نسخ بملته مللاً وطوى بشريعته أدياناً ونحلاً وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللاً وسلم كثيراً أما بعد فإن فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنها وأطم محنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ثم إذا وجدت فلا سلامة منها وإن فقدت حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً وإن وجدت حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبته إلا خسراناً وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فإن ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظراً في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللإنسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في أيدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان إمساك بحكم البخل والشح وإنفاق وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرحه في فصول وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الإيثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر

بيان ذم المال وكراهة حبه

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال الله تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم وقال تعالى من كان يريد حياة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى ألهاكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال عليه السلام هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء وقال عليه السلام سيأتي بعدي قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون ألين الثياب وألوانها ويركبون أفره الخيل وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون إليها اتخذوها آلهة من دون إلههم وربا دون ربهم إلى أمرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام وقال صلى الله عليه وآله وسلم دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وآله وسلم

يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا أ
حب الموت فقال الك مال قال نعم يا رسول الله قال فقدمه قال لا اطيق ذلك فقال ان المرء مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف
معه وقال عليه السلام اخلاء ابن آدم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه
فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم
ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندي سواء وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا
ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به
الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له
ماله ويلك الا اديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل وكلما اوردناه في كتاب الحسد والحرص من ذم الغنى ومدح الفقر
يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كلما ذكرناه في ذم الدنيا يتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان
الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس
ما خلف وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا وروي ان رجلا نال من ابي الدرداء واراه
سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر
لانه لابد وان يفضي الى الطغيان ووضع علي رضي الله عنه درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان عمر رضي الله عنه ارسل
الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب فقالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وصيرته صررا
وقسمته في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما
على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدراهم والدنانير ازمة المنافقين يقادون بها
الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال اخذه من
حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك فقالت ان احببت ان يعيذك الله مني فابغض الدرهم
والدينار وذلك لان الدينار والدرهم هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل شعر

اني وجدت فلا تظنوا غيره ان التورع عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى المسلم وقيل شعر

لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه ويروى عن مسلمة بن عبد الملك
انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس لهم
دينار ولا درهم وعنده ثلاثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم
حقا هو لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه وهو يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالي على
ما وقع وروي ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر
ربي لولدي وروي ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فاخرج ابو عبد ربه من ماله مائة الف درهم وقال
يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الآية وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكلما جاء في ثواب الصدقة والحج مع توقفهما على المال ادل دليل على مدح
المال وقال ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون
كفرا ومن تأمل ما ذكر في ذم المال ومدحه علم وجه الجمع بين المدح والذم فان المال ان عرفت حكمته ومقصوده وآفاته وغوائله تحقق لك انه
الخير من وجه والشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا شر محض بل هو سبب للامرين

جميعا وانما وصفه بمدح المال مرة وبذمه اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد بما ذكرناه
في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الآخرة
التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم
للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق
والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة
فالخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ويرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما
اذ النفس هي الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم
النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح
ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه
من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورية في بقاء البدن الذي هو ضرورة في كمال النفس ومن عرف فائدة الشيء وغايته
ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل به الغرض محمودا في حقه فاذن المال
آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة
والسادة سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم
فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل
الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء صلوات الله عليهم من شره حتى قال نبينا
صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
واستعاذ ابراهيم عليه السلام فقال اجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من
ان يخشى عليها ان تعتقد الالهية في شيء من هذه الحجارة وانما عنى بعبادتها حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم
تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم وكل
من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى
من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار

بيان تفصيل آفات المال وفوائده اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق
ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شرها ويستدر من خيرها اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية
ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فانها معروفة مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فينحصر جميعها
في ثلثة انواع النوع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على عبادة اما في العبادة فكالاستعانة به على الحج والجهاد فانه
لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم من فضلهما واما فيما يقويه على العبادة فهو المطعم والملبس والمسكن
والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة
الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة
فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط النوع الثاني ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام
اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في
ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب
العبد الاخوان والاصدقاء ويكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل
المروة والفتوة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافة واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة
في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا مع تنجز فائدة

في العاجلة من الحظوظ الدنيوية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن
معصية الغيبة واحتراز عما يتولد من كلامه من العداوة التي تحمل على المكافاة والانتقام ومجاوزة حدود الشريعة وأما الاستخدام فلأن
الأعمال والاستخدام فلأن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك
سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له افتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام
وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به إذ
عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران النوع الثالث ما لا يصرفه إلى
إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الأوقاف
المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية وناهيك بها خيرا هذه
جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص عن ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى العز والمجد بين الخلق
وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال في الحظوظ الدنيوية وأما الآفات فدنيوية
ودينية أما الدينية فثلث الأولى أنه يجر إلى المعاصي فإن الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء والمعصية ومن العصمة أن لا يجد
ومهما كان الإنسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فإذا استشعر القدرة عليه انبعثت والمال نوع من القدرة يحرك داعية
فإذا استشعر القدرة عليها انبعثت والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فإن اقتحم اشتهاه هلك وإن صبر وقع
في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء الثانية أنه يجر إلى التنعم في المباحات وهذا أول الدرجات
فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام
في ملكه فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض وإذا
اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراياة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر
الأخلاق الردية لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فإن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن ينافقهم
ويعصي الله في طلب رضاهم فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق تثور
العداوة والصداقة وينشأ عليه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو
أيضا عن التعدي إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه الثالثة وهي التي لا ينفك عنها أحد وهي أنه يلهيه إصلاح
ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله فقيل إن أخذه
من حله قال يضعه في غير حقه فقيل إن وضعه في حقه قال يشغله إصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فإن أصل العبادات
ومخها وسرها ذكر الله والفكر في جلاله ويستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وفي خصومة
الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وأعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء في التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في
خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه المال وكذا صاحب
المواشي وهكذا سائر أصناف الأموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الأرض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف إليه وفي
كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار أهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة
عن جميع ذلك هذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والهم والغم والتعب في دفع
الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الأموال وكسبها فإذن ترياق المال أخذ القوت وصرف الباقي إلى الخيرات وما عداه سموم وآفات

بيان
ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون
الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة
من المطعم والملبس ويقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا ويرد أمله إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوف إلى الكثير أو

طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات
وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما
ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وعن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أوحي إليه
أتيناه فعلمنا مما أوحي إليه فجئته ذات يوم فقال إن الله عز وجل يقول إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو أن لابن آدم
واديا من ذهب لأحب أن يكون إليه الثاني ولو كان له الثاني لأحب أن يكون إليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب
الله على من تاب وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم
ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال
وقال صلى الله عليه وآله وسلم يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان الأمل وحب المال أو كما قال ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة ومغوية
مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من
أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة
الحرص والمبالغة في الطلب فقال ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه
ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي أن موسى صلوات الله عليه سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال
فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا
لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز
من الماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب
لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري أن أعرابيا أتى النبي عليه السلام فقال
يا رسول الله عظني وأوجز فقال إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع الإياس مما في أيدي الناس
وقال عوف بن مالك الأشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم قلنا أوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك
فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس
شيئا قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا يناوله إياه آثار وقال عمر رضه إن الطمع فقر وإن
اليأس غنى وإنه من ييأس عما عند الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل العيش ساعات
تمر وخطوب أيام تكر اقنع بعيشك ترضه واترك هواك تعش حرا فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر وكان محمد بن واسع يبل الخبز
اليابس بالماء ويأكل ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا بها وخير ما ابتليتم بها ما خرج من أيديكم وقال
ابن مسعود ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر
فلم يدخلك النار وقيل للحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس ويروى أن الله تعالى قال يا ابن آدم
لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن وقال ابن مسعود
إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فإنما يأتيه ما قسم له أو ما رزق وكتب بعض بني
أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع حوائجه إليه فكتب إليه قد رفعت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت
وقيل لبعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع وأخفضهم عيشا
أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وقيل

شعر
أرفه ببال فتى أمسى على ثقة ... أن الذي قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق في ظلها هما يؤرقه

وقيل

شعر

حتى متى أنت في حل وترحال • وطول سعي وإدبار وإقبال • ونازح الدار لا تنفك مغتربا • عن الأحبة لا يدرون بالحال • بمشرق الأرض طورا ثم مغربها • لا يخطر الموت من حرص على بال • ولو قنعت أتاك الرزق في دعة • إن القنوع الغنى لا كثرة المال • وقال عمر رضي الله عنه ألا أخبركم بما أستحل من مال الله عز وجل حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله ما أدري أيحل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها • وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال يا أخي أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقيل شعر أراك يزيدك الإثراء حرصا • على الدنيا كأنك لا تموت • فهل لك غاية إن صرت يوما • إليها قلت حسبي قد رضيت • وقال الشعبي حكي أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفي من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي أما الواحدة فأعلمك وأنا في يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلى عنها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنه يكون أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فإنه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون وقال ابن السماك إن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال أبو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثا وأنشدني شعر إذا سد باب عنك من دون حاجة • فدعه لأخرى ينفتح لك بابها • فإن قراب البطن يكفيك ملؤه • ويكفيك سوآت الأمور اجتنابها • ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب • ركوب المعاصي يجتنبك عقابها • وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد أن وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به وعدته إذا مرض ولم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله عز وجل فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان وقال بعض الحكماء من عجيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت من أين تأكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا يأتيها بالطحين وأومأ بيده إلى رحا أضراسه

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور الأول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإنفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخرج ما أمكنه ويرد نفسه إلى ما لا بد منه فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقلل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الإجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الخرق فيه قال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يحب الرفق في الأمر كله وقال عليه السلام ما عال من اقتصد وقال صلعم ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروي أن رجلا أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول إن من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضعة وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال صلعم من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله وقال صلعم إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة

حتى يجعل الله فرجا ومخرجا والتؤدة في الإنفاق من أتم الأمور الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه وإن شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعد الله تعالى إذ قال تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل شعر ومن ينفق الساعات في جمع ماله • مخافة فقر فالذي فعل الفقر • وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك وقال عليه السلام ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لا محالة مع الإجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله قال صلى الله عليه وآله وسلم أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أي لا يترك التقي فاقدا للضرورة بل يلقي الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فإذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش إلا من حيث ندري لم نعش وقال أبو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منها هو لي فلن أعجله قبل أجله ولو طلبته بقوة السموات والأرض وشيئا منها هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى ولا أرجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي أي هذين أفني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر الثالث أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل فإذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة لأنه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فأنت نظيره واحتج إلى من شئت فأنت أسيره وأحسن إلى من شئت فأنت أميره الرابع أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد والأعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الخلق أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فإنه إن تنعم في البطن فالحمار أكثر أكلا منه وإن تنعم في الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه وإن تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو أعلى زينة منه وإن قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته إلا الأولياء والأنبياء الخامس أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا من آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الأمن والفراغ ويتأمل ما ذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فإن الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم قال أبو ذر أوصاني خليلي أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي في الدنيا قال أبو هريرة قال صلى الله عليه وآله وسلم إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو

اسهل من فضل عليه بهذه الامور ... بحلى القناعة وعاد الامر القصير وقصر الامل ولذا نعلم ان غاية عمره في الدنيا
ايام قلائل للتمتع وهو لطولها فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في استكمال الشفا **بيان فضيلة**
السخا اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار
والسخا واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخا من اخلاق الانبيا وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي صلعم
حيث قال السخا شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قال جبرئيل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخا وحسن الخلق فاكرموه بهما
ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جبل الله تعالى وليا له
الا على السخا وحسن الخلق وعن جابر قيل يا رسول الله اي الايمان افضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخا واما اللذان يبغضهما
فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا
رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السخا شجرة في الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في
النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني
جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى آخذ بيده كلما
عثر وقال ابن مسعود رضه قال عليه السلام الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم
الطعام الملائكة وقال عليه السلام ان الله جواد يحب الجود ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله صلعم لم يسأل
على الاسلام شيئا الا اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر له بشاء كثيرة بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا
فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد
فمن بخل بتلك المنافع نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي قال اتي رسول الله صلعم باسرى من بني العنبر فامر بقتلهم فافرد
منهم رجلا فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم نزل علي جبرئيل عليه السلام فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل شيء
ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طعام الجواد دواء
وطعام البخيل داء وقال عليه السلام من عظمت نعمة الله تعالى عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة
للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شيء لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عائشة رضها قال عليه السلام
الجنة دار الاسخيا وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة
بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوى الداء
البخل وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب
اهله فانت اهله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلاتهم ولا بصيامهم ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور
والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب
اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها
اهلها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل
به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال عليه السلام كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة

اللهفان وقال عليه السلام كل معروف فعلته الى غني او فقير صدقة وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى صلوات الله عليه لا تقتل السامري
فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب
فحدثوا رسول الله صلعم بذلك فقال ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت **الآثار** قال علي رضه اذا اقبلت الدنيا اليك فانفق
منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد **شعر** فلا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف وسأل معاوية الحسن بن علي رضهما عن المروة والنجدة والكرم فقال
اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب
عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل ورفع رجل
الى الحسين بن علي عليهما السلام رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو نظرت في رقعته ثم رددت
الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك
بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا
وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدئ بحقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا
ينازعه نفسه الى حب الشكر اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصري رضه ما السخا قال ان تجود بمالك في الله عز وجل قيل
فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق رضه ما من شيء اعون من العقل ولا مصيبة
اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار
والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته ورأى الاحنف
بن قيس رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل انت للمال اذا
امسكته فاذا انفقته فالمال لك وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة اعطاها شيئا
وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي رضي الله عنهم يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى العرض وقيل
لسفيان بن عيينة ما السخا فقال السخا البر بالاخوان والجود بالمال وورث ابي حسين المنذر ... فبعث بها الى اخوانه صررا وقال
كنت اسأل الله لهم الجنة في صلاتي افابخل عليهم بالدنيا وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء
من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده وقال عبد العزيز بن مروان
ان الرجل اذا امكنني من نفسه حتى اضع معروفي فيه فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رأيت
الناس في داري فقال يا امير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر **شعر**
ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها لله او لذي القرابة او دع فقال
عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت
انت له اهلا **حكايات الاسخيا** عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عائشة رضها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال
في غرارتين ثمانين ومائة الف فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت
لها ام درة اما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لفعلت وعن ابان بن عثمان قال
اراد رجل ان يضار عبيد الله بن عباس رضهما فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملأوا
عليه الدار فقال ما هذا فاخبر بالخبر فامر عبيد الله بشراء فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى
وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلائه اوموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء في كل يوم وقال
مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لاخيه الحسن رضي الله عنهم لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية
قال الحسن ان علينا دينا فلا بد لنا من اتيانه فركب في اثره ولحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا وتخلف

وتخلف من ابل دوم بسوقه فقال الحسين ما عندك فقال الاصمعي ما عليه الا ابن محمد عن واقد بن محمد الواقدي قال حدثنا
ابي انه دفع رقعة الى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء
والحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يدك واما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت
فازدد في بسط يدك وان لم تكن قد اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحاق عن الزهري
عن انس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل
الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المأمون اياي الحديث احب الي
من الجائزة وهي مائة الف وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر
علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة
الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقبل واشكر العطية واعذر على المنع
فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعل
الخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهما
الحسن رضي الله عنه رداءه لكراء الحمالين فقال مواليه والله ما عندنا درهم فقال لكني ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم واجتمع قراء البصرة
الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنته من ابن اخيه
وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا واخرج منه ست بدر
فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا
من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم اولياء الله تعالى ففعل وفعلوا وحكي انه لما اجدب الناس بمصر وعبد
الحميد بن سعد اميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار
عليه الف الف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة الف الف درهم فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل
منها عن حقوقهم الى من لم تنله صلاته وكان ابو طالب بن كثير شيعيا فقال في مدح علي بن ابي طالب عليه السلام ابياتا وبلغ
ذلك يوم غدا [illegible] قد فعلت جعلة لاعطيتك بها وكان ذلك اصحابنا فطلبه الرجل وكان ابن [illegible] الكرام فقصده
بعض الشعراء فقال الشاعر شعر والله ما عندي ما اعطيك ولكن امض الى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني
فان اهلي لم يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفعت اليه عشرة آلاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس وكان معن بن زائدة
عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل
الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل بستان معن وكان معن على راس الماء
فلما بصر بالخشبة اخذها وقرأها فاذا هو مكتوب شعر ايا جود معن ناج معنا بحاجتي * فما لي الى معن سواك شفيع * قال فقال من صاحب
هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها
من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان يأخذ ما اعطاه فخرج فلما
كان في اليوم الرابع قرأها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وقال
ابو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم حجاجا ففاتتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء
لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها واشربوا لبنها ففعلوا ذلك ثم
قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت
لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون
بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين

نفر من قريش ثم مالت بهما مدة الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت
العجوز في بعض سكك المدينة فاذا الحسن رضي الله عنه على باب داره جالس فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه
ودعا العجوز فقال لها يا امة الله اتعرفينني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال ثم
امر الحسن رضي الله عنه فاشتري لها من شاء الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين رضي الله عنه
فقال لها الحسين رضي الله عنه بكم وصلك اخي قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين رضي الله عنه بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه
الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين رضي الله عنهما قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها عبد الله رضي الله عنه
بالفي شاة والفي دينار وقال لها لو بدأت بي لاتعبتهما ورجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة آلاف دينار وخرج
عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا
غلام قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان طار بجناحك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى
معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب جاؤا الى قبر
بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا به وقد جاؤا من سفر بعيد فلما كان عند مرة رأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول
له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبي وكان نجيب الميت معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال في النوم نعم فباع في النوم
ناقته بالنجيب فوثب نجيب الميت فنحر بعير الرجل من النوم فجزره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا
فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك النائم الرجل فقال انا
فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعته بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو ابي
وقد رأيته في النوم وهو يقول ان كنت ابني فادفع نجيبي لفلان وسماه وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب
على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه
فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت
ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فبكيت واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي
في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء اهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم فقال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان
الدار والمال لهم جميعا وقال انفذ هارون الرشيد الى مالك بن انس رضي الله عنه خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ
اليه الف دينار فغضب هارون وقال اعطيته خمسمائة وتعطيه الف دينار وانت من رعيتي فقال يا امير المؤمنين ان لي كل يوم من غلتي
الف دينار فاستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي انه لم تجب عليه الزكاة مع ان دخله كل يوم الف دينار وجاءت امرأة
سألت الليث بن سعد شيئا من عسل فامر لها بزق فقالت انما سألت على قدري فقال اعطيناها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد
رحمه الله لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها
بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما
تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار ونضرني حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ وقال عبد الملك بن مروان لاسماء
بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري احسن منها مني فقال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال يا امير المؤمنين
ما مددت رجلي بين يدي جليس قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما الا كانوا امن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسالني
فاستكثرت شيئا اعطيته اياه ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب
لسائله الصكاك على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت اني سمعت مع الصباح مناديا يا من يعين على الفتى
المعوان ثم قال ما حاجتك قال ديني قال وكم هو قال ثلاثون الف دينار قال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة
فاستبطأ اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان

عليه لبس جبة من صوف في حر قال فذكرت درجته بالعشي تكرمًا عن عائذ عن ابي اسحق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة
اطلب غريمًا لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث ابن قيس الكندي قدم
البارحة من مكة فامر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين وقال الشيخ ابو سعد الخركوشي انبأنا ابو زيد قال سمعت محمد بن ابراهيم الخطيب يقول
سمعت الشافعي رضي الله عنه ورحمه الله عليهما الحمادي بمكة قال كان بمصر رجل عرف ان يجمع للفقراء فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه فقلت
ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء الى قبر رجل وجلس وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني قد
اليوم وكلمت جماعة في دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء قال ثم قام فاخرج دينارًا فكسره بنصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك
الى ان يفتح لك شيء قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت
جميع ما قلت وليس لنا اذن بالجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفرون مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها
الى هذا الرجل قال فلما كان الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا
بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتًا ونحن لا نتسخى احياء فلما الحوا عليه حمل الدنانير الى
الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ منها دينارًا وكسره بنصفين فاعطاه نصف الذي اقرضه وحمل النصف الآخر
وقال يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء فقال ابو سعد فلا ادري اي هؤلاء اسخى وروي ان الشافعي لما مرض مرض موته قال مروا
فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر فقال ائتوني بتذكرته قال فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي رضي سبعون الف
درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه اي اراد بهذا قال ابو سعد الواعظ الخركوشي رحمه الله لما قدمت مصر طلبت
منزل ذلك الرجل فدللت عليه ورأيت جماعة من احفاده وزرتهم ورأيت فيهم سيما الخير واثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم
وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان ابوهما صالحًا وقال الشافعي رضي الله عنه لا ازال احب ابا سليمان لشيء بلغني عنه انه كان راكبًا
حمارًا فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام اليه الخياط فسوى زره
فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط ما خرج اليه واعتذر اليه في قلتها وانشد الشافعي رضي لنفسه شعر
يا لهف نفسي على مال افرقه، على المقلين من اهل المروآت، ان اعتذاري الى من جاء يسألني، ما ليس عندي من احدى المصيبات، وعن الربيع
بن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي رضي فقال للربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول
قدم الشافعي صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارجًا من مكة فنثرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه
يقبض قبضة فاعطاه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان
قلما يمسك شيئًا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال
فقال ما وجدت بها ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكني بنيت بمنى مضربًا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا
بها وانشد الشافعي رضي شعر ارى نفسي تتوق الى امور، ويقصر دون مبلغهن مالي، فنفسي لا تطاوعني ببخل، ومالي لا
يبلغني فعالي، وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على المأمون فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق به فاخبر المأمون
فلما عاد اليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا امير المؤمنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بمائة الف اخرى وقام رجل الى
سعيد بن العاص رحمه الله فسأله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض ان تأكل مثلك فامر له بمائة الف
درهم اخرى ودخل ابو تمام على ابراهيم بن شكلة بابيات استحسنها ووجده عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال حتى
اندم من مرضي فما كافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه شعر ان حرامًا قبول مدحتنا، وترك ما نرتجي من الصفد،
كما الدنانير والدراهم في البيع حرام الا يدًا بيد، فلما وصل الى ابراهيم البيتان قال للحاجب كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين الفا
وجئني بدواة فكتب اليه شعر اعجلتنا فاتاك عاجل برنا، قلا ولو امهلتنا لم نقلل، فخذ القليل وكن كانك لم تسل، ونكون نحن كاننا لم نفعل
ويحكى انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمان يومًا الى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك

يا ابا محمد معونة لك على مروءتك وقال السعدي بن عوف دخلت على طلحة فرأيت منه سوء فقلت ما لك فقال اجتمع عندي مال قد غمني
فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان قال اربعمائة الف وجاء اعرابي الى طلحة فسأله
وتقرب اليه برحم فقال ان هذه الرحم ما سألني بها احد قبلك ان لي ارضًا قد اعطاني بها عثمان رضي ثلاثمائة الف فان شئت فاقبضها
وان شئت بعتها من عثمان رضي ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن وسأل رجل علي عليه السلام الله
يا ابن رسول الله فقال لم ابي حيث منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد امتحنني حتى رجاك صدقني ودق عليه الباب فقال
لم حتى قال الا اربعمائة درهم دين فرد اربعمائة واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امرأته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما
ابكي لاني لم استقص حاله حتى احتاج الى مسئلتي بيان ذم البخل قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى
ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم
على ان يسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة بخيل
ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلعم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى
الله عليه وآله وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما واما المنفق فلا ينفق شيئا
الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت
بتراقيه فهو يوسعها وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان اردّ الى ارذل
العمر وقال صلى الله عليه وآله وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والظلم
فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك الشح من كان قبلكم امرهم
بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه وآله وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع
وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكته باكية وقالت واشهيداه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يدريك انه
شهيد فلعله قد كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ومعه الناس مقفله من حنين علقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه
فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا
كذوبًا ولا جبانًا وقال عمر قسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قسمًا فقلت غير هؤلاء كانوا احق به منهم فقال انهم خيروني بين ان يسألوني بالفحش
او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألاه ثمن بعير فاعطاهما
دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضي فاثنيا وقالا معروفًا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فاخبره بما قالا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكن فلان اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسألني
فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر رضي فلم تعطيهم ما هو نار فقال يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل وعن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة
رجل وجعل راسه راسخًا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق
بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل راسه راسخًا في اصل شجرة الزقوم
ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم
السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال صلعم واي داء ادوى من البخل لكن

سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنزنه بالبخل فقال صلى الله عليه وآله وسلم واي داء ادوى من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل ويحكى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي يا رسول الله اعظم قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك صف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الفي الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون

باطل لا اصل له

الآثار قال ابن عباس رضي الله عنه لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله عز وجل وعزتي لا اسكنك بخيلا وقالت ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما اف للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله انا لنجد باموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي رضي الله عنه في خطبته انه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى ياخذه ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في نار جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقرا ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفا وعجل لمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى السائل ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا ارى ان اعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة وقال علي رضي الله عنه والله ما استقصى كريم قط حقه قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انك لبخيل ومدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذن وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلم

ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المؤمن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك

حكايات البخلاء قال كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منها فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك تقيأ ما اكلت فقال هاه اتقيأ طباهجة ببيض الموت ولا ذلك وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال واين التين فقال التين تحت كسائك ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه فحبسه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال لحق بحياتك اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه فقيل له صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقال سوأة لك انت خاص به وثوبك مخرق فقال انا والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوءا ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل عليهما السلم ومعهما يعقوب النبي عليه السلم يطلبون منه ابرة ويسالونه اعارتها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل ويقال كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله فقيل له نراك لا تاكل الا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم الراس اعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك وآكل منه الوانا عينه لونا واذنيه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانيق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فسأل سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يعدني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

بيان الايثار وفضله اعلم ان السخاء والبخل كل منهما ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان تجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذاك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم فقال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالى والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى صلوات الله عليه يا رب ارني بعض درجات محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وأمته قال يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكني أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن
ملكوت السماء فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله عز وجل قال يا رب بماذا بلغت تتلف نفسه من أنوارها وقربها
من الله عز وجل قال يا رب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الإيثار يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل
به وقتا من عمره إلا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم
وفيها غلام أسود يعمل فيها إذ أتى الغلام بقوته ودخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثاني
والثالث فأكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة
بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء إن هذا الأسخى مني فاشترى
الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه وقال عمر رضي الله عنه أهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
رأس شاة فقال إن أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه فلم يزل يبعث به الواحد إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات حتى رجع إلى الأول
وبات علي بن أبي طالب رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام إني آخيت
بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة وأحباها فأوحى الله تعالى إليهما أفلا
كنتما مثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى
الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عليه السلام عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن
أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد وعن أبي
الحسن الأنطاكي أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان
وأطفئوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل واحد منهم شيئا إيثارا لصاحبه على نفسه ويروى أن شعبة جاءه
سائل ولم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن
عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فإذا أنا به فقلت أسقيك فأشار إلي أن نعم فإذا رجل
يقول آه فأشار ابن عمي أن انطلق به إليه فإذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام أن انطلق
به إليه فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما
خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحارث فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه فأعطاه واستعار ثوبا فمات
فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد
إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم رجع بعد ساعة ومعه مقدار عشرين
كلبا فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في تلك الميتة فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة
وبقي العظام ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل ما بقي على العظم قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا
جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر فلا حاجة إلى الإعادة ههنا **بيان** حد السخاء والبخل وحقيقتهما لعلك تقول عرف
بشواهد الشرع أن البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الإنسان بخيلا وما من إنسان إلا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره
بخيلا وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من إنسان إلا ويجد في
نفسه حبا للمال ولأجله يحفظ المال ويمسكه فإن كان يصير بإمساك المال بخيلا فإذا لا ينفك أحد عن البخل وإذا كان الإمساك مطلقا
لا يوجب البخل ولا معنى للبخل إلا الإمساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق العبد به صفة السخاء وثوابها فنقول
قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فإن من يرد اللحم مثلا إلى القصاب والخبز
إلى الخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فإنه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم
في لقمة ازدادوها عليه أو تمرة أكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من ظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عد بخيلا

وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضا قاصر فإنه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية
القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض
العطايا وهو ما يستغرق جميع المال أو المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من وإسعاف
على غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء بما أمكن وقيل الجود
عطاء على رؤية أن المال لله والعبد لله فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب
سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئا
فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق
ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ
حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالإمساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الإمساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود
وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة إلى
عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود وسط بين الإقتار والإسراف وبين البسط
والقبض وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فإن بذل
في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد
المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه فإن قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فأقول إن الواجب قسمان
واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع لا واجب الشرع ولا واجب المروءة فإن منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن
الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله أو يؤديها ولكن يشق عليه فإنه بخيل بالطبع وإنما يتسخى
بالتكلف أو الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له أن يعطي من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل فأما واجب المروءة فهو ترك
المضايقة والاستقصاء في المحقرات فإن ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استقبح منه ما لا
يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل من المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه ما لا يستقبح من الأجانب ويستقبح مع الجار
ما لا يستقبح من البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح أكثر منه في المبايعة والمعاملة ويختلف ذلك بما فيه المضايقة
من ضيافة أو معاملة وبما به المضايقة من طعام أو ثوب إذ يستقبح في الأطعمة ما لا يستقبح في غيره ويستقبح في غيره من المضايقة
وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي وبمن منه المضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب
أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث لا ينبغي أن يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة ولكن لا يمكن التنصيص على مقداره
ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فإن صيانة الدين أهم من حفظ المال فمانع الزكاة
والنفقة بخيل وصيانة المروءة أهم من حفظ المال فالمضايق في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال
فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى
المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الآخرة فإمساك
المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه
لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد أديت الزكاة الواجبة
وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن أدى
واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة
ونيل الدرجات فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه
من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصى وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود

ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فإنه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لغرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل يسمى جوادا فإن كان الباعث عليه الخوف من الهجاء أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع ينال من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعواض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلي عما شئت فأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والإيثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك أجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لأن الله سبحانه وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرا فبأي شيء تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشيء إن هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات أتحسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط قالوا فمه قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء في الدين أن تسخو نفسك بتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله عز وجل بسماحة من غير إكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختار لنفسك

بيان علاج البخل اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سببان أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قليل وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم الولد مبخلة مجبنة مجهلة فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة

السبب الثاني أن يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته ويفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فإن الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الموصل إلى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل إلا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب إلى الولد بأن الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شر وأن ولده إن كان تقيا صالحا فالله يكفيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته إليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال وأنه لماذا خلق فلا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه أدوية

من جهة المعرفة والعلم فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فإذا تحركت الداعية فينبغي أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف فإن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه كان أبو الحسن البوشنجي في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لو رماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب به خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يتسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن ليشتغل عن الثدي اليوم ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كما يسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فإن كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فإنه يقلع من علة ويزيد في أخرى مثلها إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه فإن كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فإن ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه الصفات ببعض ما يقال من أن الميت يستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضا حتى ترجع إلى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان يتقاتلان إلى أن يغلب أحدهما الآخر فيأكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى جائعا إلى أن يموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يجعل الأضعف قوتا للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة ثم تقع العناية بمحوها وإذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها فإنها تقتضي لا محالة أعمالا فإذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فإنه يقتضي إمساك المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فإذن علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع إلى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بآفته وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فيبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله فإنه لا حيلة فيه إلا الصبر إلى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين أن يمنعهم من الاختصاص بزواياهم فكان إذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله إلى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع ما ملكه وإذا رآه يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها أمره بتسليمها إلى غيره وألبسه ثوبا خلقا لا يميل إليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فإن كان له ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألمت به مصيبة بقدر حبه له فإذا مات نزلت به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على وشك المصيبة بالفقد والهلاك حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا فقال أراه مصيبة أو فقرا قال كيف قال إن انكسر كان مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيرا إليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما أن انكسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك فيه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا وهكذا شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار وعدوة لأولياء الله إذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله إذ تقطع طريقه على عباده وعدوة لنفسها فإنها تأكل نفسها فإن المال لا يحفظ إلا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يأخذ منه إلا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس ببخيل فيه وما لا يحتاج إليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط

الذلة إذ لا يخل بالحد لقناعة الناس بها بسد الحاجة **بيان** مجموع الوظائف التي على العبد في ماله اعلم أن المال كما وصفناه
خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقي فيستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا
يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على خمس وظائف الأولى أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق وأنه لم يحتاج إليه حتى يكتسب
ولا يحفظ إلا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه الثانية أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه
الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذلة
وهتك المروءة وما يجري مجراه الثالثة في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة
ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى وما دام مائلا إلى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا
ويجيء في جملة المحقين وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد الرابعة أن
يراعي جهة الخرج ويقتصد في الإنفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرنا فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فإن الإثم
في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء الخامسة أن يصلح نيته في الأخذ والترك والإنفاق والإمساك فيأخذ ما يأخذ
ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه
لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك
وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو ما يعين على عبادة فإن أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة
فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وإزار وفراش وآنية لأن
كل ذلك مما قد يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته
فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رسخ في الدين
قدمه وعظم فيه علمه والعامي إذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة رضي الله عنهم شابه الصبي
الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن أنه أخذها مستحسنا صورتها وشكلها
ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به فتقتله في الحال إلا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت
الدنيا بالحية وقيل فيه ... ومحال أن يتشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال وأطراف
البحار والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال **بيان** ذم الغنى ومدح الفقر اعلم أن الناس قد
اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب
نبين أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسبي
رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه
بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات
وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء بلغنا أن عيسى صلوات الله عليه قال يا علماء السوء
تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأماني وتعملون
بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك
أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها
رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم بصلاح الدنيا
فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأي الناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في
محل المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه
وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام

توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم
من خلفكم حتى يسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم ثم قال الحارث إخواني فهؤلاء علماء
السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل
عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله وبعد فإني رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص
فيتفجر عنه أنواع الهموم وفنون المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره فرح الهالك برجائه فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا
والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما أفظعها ورزية ما أجلها ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه
من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم كانت لهم أموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان
وما يشعرون ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك لأنك متى
زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن
جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا صلى الله عليه وآله وسلم والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا
الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال
أعلى من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير للأمة
فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشفقا
وبهم رءوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال
خير لهم أو زعمت أن الله لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار
كأنك أعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة
ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغني أنه لما توفي عبد
الرحمن بن عوف رحمه الله قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب
سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر
بلحي عظم بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضي الله عنه يستغيث به وأخبره الخبر
وأقبل أبو ذر يقتص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبي ذر فقال له أبو ذر
هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما نحو أحد وأنا معه
فقال يا أبا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه
وقليل ما هم ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال ما يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت
وأترك منه قيراطين ثم قال يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد هذا وأنت تقول يا ابن
اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف
قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا قيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله
فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إني رأيت الجنة ورأيت فقراء المهاجرين والمسلمين
يدخلون سعيا ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن إن العير وما
عليها في سبيل الله وإن أرقاءها أحرار لعلي أدخلها معهم سعيا وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعبد الرحمن أما إنك أول من
يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا ويحك أيها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه
المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبشراه بالجنة يوقف في عرصة القيامة وأهوالها بسبب

كسب من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأنفق منه قصدا وأعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوا فما ظنكم بأمثالنا الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتكالب على أوساخ الناس وتتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف وتزعم أنك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن فتياه لأوليائه وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا وأكلوا طيبا وأنفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبالله أكذلك أنت والله إنك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فإن أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله في أرزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا إلا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها فبالله أكذلك أنت ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كئيبا حزينا وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحا مسرورا فسئل إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت لست كذلك قال إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بنا فكأنهم على جناح خوف وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله أكذلك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف أحوالك أيها المفتون ضدا لأحوالهم وذلك أنك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجيئن يوم القيامة أقوام يطلبون حسنات لهم فيقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا أن من طلب الدنيا للتكاثر بها أو ليتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب الله حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله تعالى وأنت تكره لقاء الله والله للقائك أكره وأنت في غفلة نعم وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك أحيانا لتوفير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تعنى بأمور دنياك أضعاف ما تعنى بأمور آخرتك وعساك مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين مساخطا لله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكأن احتقار الله لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك وعساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكأن العبيد أعلى عندك قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الألباب وهذه المساوي فيك أف لك

متلوثا بالأقذار وتحتج بمال الأبرار هيهات هيهات ما أبعدك عن السلف والله لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم إن الذي لا بأس به عندكم كانوا يعدونه من الموبقات وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إفطارهم وليت اجتهادك في العبادة مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق أمثالكم في السفالة أو يعفو الله الكريم بفضله وبعد فإنك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام أفتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا عن رسول الله صلعم أنه قال من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام أيها المغرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تتصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا فإن زعمت أنك أتقى من أن تتلبس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فإن خيار الصحابة رضي الله عنهم خافوا المسألة بلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لأني غني عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي من أين اكتسبت وفي أي شيء أنفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الإسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره وأنت بغاية الأمن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الأوساخ ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال ويحك وأين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة أن يفسد قلبه أفتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الحق في أمرك وأحوالك لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمارة بالسوء ويحك إني لك ناصح أرى لك أن تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر ولا تتعرض للحساب فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من نوقش الحساب عذب وقال صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت ولم أختل ولم أباه في شيء فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب باهيت به فيقول لا يا رب لم أختل ولم أباه في شيء فيقال لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت علي ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتني أن أعطيه قال فيجيء أولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا فإن كان أعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذة فلا يزال يسأل ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسألة التي كانت لهذا الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشهواتها وشبهاتها وزينتها ويحك لأجل هذه المسائل يخاف المتقون أن يتلبسوا بها ورضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع البر من كسب الحلال المال فلك ويحك لأجل هذه المسائل خاف المتقون أن يتلبسوا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال فلك بهؤلاء الأخيار أسوة فإن أبيت ذلك وزعمت أنك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال إلا من حلال

بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئاً من الحلال إلا بحق علم سعي بسبب المال تملكه لحب الله ولم تسخط الله في شيء
من سرائرك ولا علانيتك ويحك فإن كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك أن ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الأموال إذا وقفوا للسؤال
وتستبق مع الرعيل الأول في زمرة المصطفى لا حبس عليك للمسألة والحساب فإما سلامة وإما عطب فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال صلى الله عليه وآله وسلم يدخل فقراء المؤمنين
الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ويأكلون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي أنتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتم
فيما أعطيتكم وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرني أن لي حمر النعم ولا أكون في الرعيل الأول مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحزبه
يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كما وجل المتقون ولقد بلغني أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح
الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فما زال يبكي حتى مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما أكثر البكاء
قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما معه في البيت أحد غيري فجعل يدفع
عن نفسه ويقول إليك عني فقلت له فداك أبي وأمي ما أرى بين يديك أحداً فمن تخاطب قال هذه الدنيا تطاولت إلي بعنقها ورأسها
فقالت لي يا محمد خذني فقلت إليك عني فقالت إن تنج مني يا محمد فإنه لا ينجو مني من بعدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يا قوم فهؤلاء الأخيار بكوا وجلاً أن تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شربة من حلال ويحك
أنت في أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع أف لكم ما أعظم جهلك ويحك فإن تخلفت في القيامة
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتنظرن إلى أهوال جزعت منها الملائكة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق
ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت بأحوال المتخلفين
لتقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتقين ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين
في أهوال يوم الدين تدبر ويحك ما سمعت وبعد فإن زعمت أنك في مثل أخيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لمالك مؤثر
على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئاً لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل
والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رضوان أسوة فلن توقف في المسائلة والحساب مثلك من المتقين وإنما جمع المال الحلال للبذل
في سبيل الله ويحك أيها المغرور فتدبر الأمر وأحسن النظر أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتفكر والتذكر
والتذكر ولا عتبا بأسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسائلة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك
عند الله أضعافاً بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكر أفضل وسئل بعض
أهل العلم عن الرجل يجمع المال للأعمال البر قال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالاً
فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فإنه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فأيهما أفضل فقال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها
أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال
أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنعم لعيشك وأرضى لبالك وأقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب
المال لأعمال البر ونعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل بعد
ولو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبيك إذ هداك الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا
ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين أن السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم سابقاً إلى جنة
المأوى فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سادات المؤمنين في الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم
يجد قرضاً وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه ولم يقدر على أن يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضياً عن ربه فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ألا يا أخي متى جمعت المال بعد هذا البيان فإنك مبطل فيما
ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه ولكنك خوفاً من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم
والتكرمة تجمعه ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي من دعواك أيها المغرور ويحك إن كنت مفتونا بحب
الدنيا فكن مقرا أن الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا بإساءتك وجلا من
الحساب فذلك أنجى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجج لجمع المال إخواني اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك
من أورع الناس وأزهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فأما جمع المال
في دهرنا فأعاذنا الله وإياكم من ذلك وبعد فأين لنا مثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن
نياتهم دنسنا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود فطوبى للمخفين يوم النشور وحزن طويل
لأهل التكاثر والتخليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين هذا آخر كلامه وفيه
كفاية في إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد
ويشهد له أيضا ما روي عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي
شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي
نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين
كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت
عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة
وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة قال وأنزل
الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا
الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة
وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا
نحو السلمي فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا ما هذا عليك قال خذاه فإن نفسي
بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه إلا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا
للسلمي بخير فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فأنزل الله في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين إلى قوله بما كانوا يكذبون وعند رسول الله رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة
قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله
منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله وقبض رسول الله ثم أتى أبا بكر الصديق
رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان فهذا طغيان
المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفقر لنفسه ولأهل بيته
حتى روي عن عمران بن الحصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران إن لك عندنا
منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقفت
بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله

والذي بعثك بالحق نبيا المصطفى على العباد قال لا الا شيئا بها يكفيها وانا بيده فقالت يا جدي قد رابني فكيف بابي الى التي ايها الملائكة كانت عليه خلقة فقال شيئا بها على المسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابتاه كيف اصبحت قال اصبحت والله وجعا وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية امراة فرعون ومريم بنت عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة فانظر الآن الى حال فاطمة وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال ومن راقب احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وما روي من اخبارهم وآثارهم لم يشك في ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليهما السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانطلق ومعه صاحبه فراى ظبية ومعها خشفان لها قال فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسالك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لا ادري ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال اسالك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لا ادري فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلثة اثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف فقال انا اخذت الرغيف قال فكله لك قال وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فاراداه ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري لنا طعاما ناكله قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شيء اقاسم هؤلاء هذا المال لكني اضع في هذا الطعام سما فاقتلهما قال ففعل وقال ذانك الرجلان لاي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة واولئك الثلثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها وحكي ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس بايديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فان كان له حاجة فلياتني فقال ذو القرنين صدق فاقبل اليه ذو القرنين وقال له ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا ذا قد جئت فقال لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم على الحال التي لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناها لان احدا لم يعط منها شيئا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها فقالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن آدم ادنى العيش من الطعام وانما ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما راى الله ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم

والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة كان قد كان كهذين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل

كتاب ذم الجاه والريا وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا الغيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الريا والشرك وصفى فانه المتفرد بالملكوت والملك فهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلوة على محمد وآله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الريا والشهوة الخفية والريا والشهوة الخفية التي تعجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من آفات النفوس وبواطن مكائدها وانما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فتسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا بالتقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رايه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حياته بالله وبعبادته المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول الناقدة فهو يرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبتت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واذا كان الريا هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض في ترتيب الكتاب على شطرين الشطر الاول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم حب الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهية الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وكراهية الذم وبيان اختلاف احوال الناس في الذم والمدح فهي اثنا عشر فصلا ومنها تنشأ معاني الريا فلا بد من تقديمها

بيان ذم الشهرة اعلم ان الاصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله

من السوء أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه. وقال جابر بن عبد الله قال عليه السلام: حسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه، إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. ولقد ذكر الحسن للحديث تأويلاً لا بأس به إذ روى هذا الحديث فقيل له: يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع، فقال: إنه لم يعن هذا إنما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه. وقال علي رضي الله عنه: تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجار. وقال إبراهيم بن أدهم: ما صدق الله من أحب الشهرة. وقال أيوب: والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه. وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة. وعن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام. ورأى طلحة قوماً يمشون معه نحواً من عشرة فقال: ذباب طمع وفراش النار. وقال سليمان بن حنظلة: بينا نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر رضي الله عنه فعلاه بالدرة فقال: انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع، فقال: إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع. وعن الحسن قال: خرج ابن مسعود يوماً من منزله فاتبعه ناس فالتفت إليهم فقال: علام تتبعوني؟ فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان. وقال الحسن: إن خفق النعال حول الرجال قلما تثبت معه قلوب الحمقى. وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال: هل لكم من حاجة وإلا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن. وروي أن رجلاً صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال: أوصني، قال: إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى إليك وتسأل ولا تسأل فافعل. وخرج أيوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال: لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لخشيت المقت من الله. وقال معمر: عاتبت أيوب على طول قميصه فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره. وقال بعضهم: كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال: إياكم وهذا الحمار النهاق، يشير به إلى طلب الشهرة. قال الثوري: كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليهما جميعاً. وقال رجل لبشر بن الحارث: أوصني، فقال: أخمل ذكرك وطيب مطعمك. وكان حوشب يبكي ويقول: بلغ اسمي مسجد الجامع. وقال بشر: ما أعرف رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح. وقال أيضاً: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس.

بيان فضيلة الخمول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك. وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئاً. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أدلكم على أهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره، وأهل النار كل مستكبر جواظ. وقال أبو هريرة: الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لهم، حوائج أحدهم تتجلجل في صدره، لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله ديناراً لم يعطه إياه ولو سأله درهماً لم يعطه إياه ولو سأله فلساً لم يعطه إياه ولو سأل الله تبارك وتعالى الجنة أعطاها إياه ولو سأله الدنيا لم يعطها إياه وما منعها إياه إلا لهوانه عليه، ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره. وروي أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فإذا بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما يبكيك؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن اليسير من الرياء شرك، وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة. وقال محمد بن سويد: قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبينما هم في دعائهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أوجز فيهما ثم بسط يديه فقال: يا رب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة، فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغيم وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق، فقال: يا رب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم، فسكن. وتبع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال: إني أتيتك في حاجة، قال: ما هي؟ قال: تخصني بدعوة، قال: سبحان الله أنت أنت وتسألني أن أخصك بدعوة؟ قال: ما الذي بلغك ما رأيت؟ قال: أطعت الله فيما أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني. وقال ابن مسعود: كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض. وقال أبو أمامة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن أغبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع فصبر على ذلك، قال: ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده فقال: عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه. وقال عبد الله بن عمر: أحب عباد الله إلى الله الغرباء، قيل: ومن الغرباء؟ قال: الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى عيسى بن مريم صلوات الله عليه. وقال الفضيل: بلغني أن الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده: ألم أنعم عليك، ألم أسترك، ألم أخمل ذكرك. وكان الخليل بن أحمد يقول: اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني في نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك. وقال الثوري: وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعباء. وقال إبراهيم بن أدهم: ما قرت عيني يوماً في الدنيا قط إلا مرة، بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن فجرني المؤذن برجلي حتى أخرجني من المسجد. وقال الفضيل: إن قدرت على أن لا تعرف فافعل، وما عليك أن لا تعرف، وما عليك أن لا يثنى عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله تعالى. فهذه الأخبار والآثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول، وإنما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب، وحب الجاه منشأ كل فساد. فإن قلت: فأي شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول؟ فاعلم أن المذموم طلب الشهرة، فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم، نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء، وهم كالغريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الغرقى فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فإنهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم، وأما القوي فالأولى به أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليهم.

بيان ذم حب الجاه: قال الله تعالى: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين، جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للخالي عن الإرادتين جميعاً. وقال عز وجل: من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون، وهذا أيضاً متناول بعمومه لحب الجاه فإنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: حب الجاه والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم. وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي رضي الله عنه: إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء.

بيان معنى الجاه وحقيقته: اعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا، ومعنى المال ملك الأعيان المنتفع بها، ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها، وكما أن الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير أي يقدر عليهما ليتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس، فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس أي يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه، وكما أنه يكتسب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات، ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات، فكل من اعتقد القلب فيه وصفاً من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده، وليس يشترط أن يكون الوصف كمالاً في نفسه بل يكفي أن يكون كمالاً عنده وفي اعتقاده، وقد يعتقد ما ليس كمالاً كمالاً ويذعن قلبه للموصوف به انقياداً ضرورياً بحسب اعتقاده، فإن انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها، وكما أن محب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم، بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد قهراً والعبد متأب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة، وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعاً ويبغي أن تكون له الأحرار عبيداً بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له، فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير. فإذن معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه، فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم، وبقدر إذعان القلب يكون قدرته على القلوب، وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه، فهذا هو معنى الجاه وحقيقته. وله ثمرات كالمدح والإطراء، فإن المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه، وكالخدمة والإعانة فإنه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد في أغراضه، وكالإيثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد، فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب، ومعنى قيام الجاه في القلب اشتمال القلب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يعتقده

الناس كالانفكاك عن الأوصاف كلها فيعظم محله في القلوب فيكون سببا لقيام الجاه

بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة

اعلم أن السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي أن يكون أحب من المال كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض في أعيانهما إذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وإنما هي والحصباء بمثابة ولكنهما محبوبان لأنهما وسيلة إلى المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الإنسان بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يستفاد بها قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال من ثلاثة أوجه الأول أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فالجاه آلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال أيضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي النهاب والغصاب وأثبت الأموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأنفسها والجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها نعم إنما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله الثالث أن ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة فإن القلوب إذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيرهما أفصحت الألسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطار في الأقطار اقتنص القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه إلا بتعب ومقاساة والجاه أبدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحقرت الأموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فإن قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج إلى الملبس والمسكن والمطعم أو كالمبتلى بمرض أو بعقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاه فحبه للمال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الإنسان اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقاصي البلاد التي يعلم قطعا أنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها ليعظموه أو ليبروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه ومع اليأس عن ذلك فإنه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فإنه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان أحدهما جلي تدركه الكافة والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن أفهام الأذكياء فضلا عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الغواصون أما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفيق بسوء الظن مولع والإنسان وإن كان مكفيا في الحال فإنه طويل الأمل ويخطر بباله أن المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره وإذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفزع إليه إن أصاب هذا المال جائحة فهو أبدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر

الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الأباعد عن وطنه وبلده فإنه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف وأما السبب الثاني وهو الأقوى أن الروح أمر رباني به وصفه الله تعالى إذ قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ومعنى كونه ربانيا أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا إلى صفات بهيمية كالأكل والوقاع وإلى صفات سبعية كالقتل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والإغواء وإلى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الأمر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبا بالطبع للإنسان والكمال في التفرد بالوجود فإن المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله إذ ليس معه موجود سواه فإن ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبوعا فإذن معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فإنه بطبعه محب لأن يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله أنا ربكم الأعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فإن العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي أومأ إليها قوله تعالى قل الروح من أمر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بعد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فإن أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فإن لم يكن منك فأن تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فإنه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الإرادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء الموجودة معه إلا أن الموجودات منقسمة إلى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله وصفاته وإلى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالأفلاك والكواكب وملكوت السماوات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار وإلى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالأرض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فإنها قابلة للتأثر والتغير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فإذا انقسمت الموجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه كالأرضيات وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله والملائكة والسماوات أحب الإنسان أن يستولي على السماوات بالعلم والإحاطة والاطلاع على أسرارها فإن ذلك نوع استيلاء إذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك أحب أن يعرف الله والملائكة والأفلاك والكواكب وجميع عجائب السماوات وعجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فإنه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشعبذة أو جر الثقيل أو غيره فهو يتشوق في نفسه إلى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص الجهل ومتلذذ بكمال العلم إن علمه وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي يقدر الإنسان عليها فإنه يحب بالطبع أن يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان

أن يصلح ما أجساد لأجساد الدراهم والدنانير لا يستقيم أن يكون قادراً عليها فيتصرف فيها بما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فإن ذلك حد الملك والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك كان حب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد أشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فإنها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوباً ويقوم منزله فيها فإن الحشمة القهرية لقد تعتقد كمالية أن تكون القدرة والقسم الثالث نفوس الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ما على وجه الأرض فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب إنما تتسخر بالحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال فإن كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الإنسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فإنه محل الإيمان والمعرفة وهو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي إليه فإذن معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء كالأوصاف الربوبية فإذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات فما دام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول فلذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان فإذن مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور وسرور كل إنسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوباً وهو أمر وراء كونه محبوباً لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل إلى الأغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لأن في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات الربوبية فكان محبوباً بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لا بد من بيانها

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فإنه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفاً به كشفاً تاماً فإن المعلومات مكشوفة لله سبحانه بأتم أنواع الكشف على ما هي عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأتقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب إلى الله تعالى والثالث من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فإن علم الله باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وأزليات أما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فإنه علم له معلوم ولكن يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلاً فيكون نقصاناً لا كمالاً فكلما اعتقدت اعتقاداً موافقاً ويتصور أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصاً ويعود علمك جهلاً ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلاً بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعدد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأمم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالاً في القلب والقسم الثاني هي المعلومات الأزلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فإن هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزاً ولا الجائز محالاً ولا المحال واجباً فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في ذاته وصفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السماوات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالاً للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نوراً للعارفين بعد الموت يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا أي تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل إلى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فإنه يجوز أن يصير ذلك سبباً لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فإذن لا سعادة إلا في معرفة الله تعالى وأما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة لها أصلاً كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرهما ومنها ما له منفعة في الإعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار فإن معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد في استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله تعالى كما قال تعالى قد أفلح من زكاها وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إذ الموجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والإرادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وإن لم يكن لائقاً بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكلام وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادته وقدرته وحركته فهي حادثة بإحداث الله تعالى كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله فأما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة إلى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للإدراك فإن هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل إلى المطعم والملبس والمسكن وذلك إلى حد معلوم فإن لم يستعمله للوصول به إلى معرفة الله فلا خير فيه البتة إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالاً فقد جهل والخلق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فإنهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبهاً بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فإن دفع آثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورده في أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم ونقصان فإن التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فإذن الكمالات ثلاثة إن عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالاً كمال العلم وكمال الحرية وأعني به عدم العبودية للشهوات وإرادات الأسباب الدنيوية والقدرة وللعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة إلا ما هو بعد بعيد إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استسخار القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالاً فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فلا بقاء له وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبدياً لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالاً في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض الآية فكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصوداً فهو جاهل إلا قدر البلغة منهما إلى الكمال الحقيقي

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم منهما

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت

كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا يمكن أن يتزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والإنسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه إلى الخدمة ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المحل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لأن يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فإن الجاه وسيلة إلى الأغراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يفضي إلى أن لا يكون المال والجاه في أعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك منزلة حب الإنسان أن يكون في داره بيت ماء لأنه يضطر إليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس بحب فكل ما يراد للتوصل به إلى المحبوب فالمحبوب المقصود المتوصل إليه وتدرك التفرقة بمثال وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها محبة العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الأول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوسل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لأعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل إلى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فإن التوصل إلى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي فإن قلت فطلب الجاه والمنزلة في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان أو مباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص فأقول يطلب ذلك على ثلاثة أوجه وجهان منها مباحان ووجه محظور أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوي أو عالم أو ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لأنه تلبيس وكذب إما بالقول وإما بالمعاملة وأما المباح فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلوات الله عليه فيما أخبر عنه اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم فإنه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه والثاني أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر وإظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقي إليه أنه ورع فإن قوله إني ورع تلبيس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فإن ذلك رياء وهو تلبيس إذ يخيل إليه أنه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع فإن ملك القلوب أعظم من ملك الأموال

بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطباع إليه وبغضها للذم ونفرتها منه

اعلم أن لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب الأول وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فإنا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب فإدراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فإن الوصف الذي به مدح لا يخلو إما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فإن كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بأنه طويل القامة أبيض اللون فإن هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فإذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن المطلق فإن الإنسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه فإذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فيعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فإنه في غاية اللذة وإن صدر ممن يجازف في الكلام أو لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم أيضا ويكرهه لأنه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح السبب الثاني أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وأنه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر ويضعف مهما كان المثني ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فإن القدرة عليه بملك قلبه قدر يسير فلا يدل المدح إلا على قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضا يكره الذم ويتألم به القلب وإذا كان من الأكابر كانت نكايته أعظم لأن الفائت به أعظم السبب الثالث أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملأ فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثني أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس السبب الرابع أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء عليه إما عن طوع وإما عن قهر فإن الحشمة أيضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وإن كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فيكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الأسباب الأربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد يفترق فتنقص اللذة بها أما العلة الأولى وهي استشعار الكمال فتندفع بأن يعلم الممدوح أنه غير صادق في مدحه كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فإن كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهي استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فإن لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه لذة أصلا لفوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وإنما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فإن ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض

علاج حب الجاه اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد إليهم والمراءاة لأجلهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتا إلى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ويجر ذلك لا محالة إلى التساهل في العبادات والمراءاة بها وإلى اقتحام المحظورات للتوصل إلى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه إذن من المهلكات فتجب معالجته وإزالته عن القلب فإنه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الأرض من المشرق إلى المغرب فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد والمسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه من المتواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري رحمة الله عليه حيث كتب إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره إلى المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها إلى مشاهدة العواقب ولذلك

قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي أن يعالج
قلبه من حب الجاه بالعلم بآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الأخطار التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فإن كل ذي جاه محسود
ومقصود بالإيذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن يتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيرا من القدر في غليانها وهي
مترددة بين الإقبال والإعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على أمواج البحر فإنه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ
الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت
في الآخرة فبهذا ينبغي أن يعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوي إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم
وأما من حيث العمل فإسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس
بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية إذا اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس
فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فإنه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على
محظور لأجل ذلك بل له أن يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه
منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك
عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط عن الأعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه
إلا أن أرباب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير
كما فعل بعضهم فإنه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه
واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجروه وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة إلى موضع الخمول فإن
المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته وربما يظن أنه ليس محبا لذلك
الجاه وهو مغرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه أو نسبوه إلى أمر غير لائق
جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى الكذب
والتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين أنه بعد محب للجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فإن فتنة الجاه أعظم ولا
يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فإذا أحرز قوته من كسب أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا
أصبح الناس كلهم عنده كالأرذال فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه
لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا ينقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن
لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في ذم الجاه ومدح
الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة أو علة وينظر في أحوال السلف وإيثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم اعلم أن أكثر الخلق إنما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها
موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء المدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها
يحب المدح ويكره الذم أما السبب الأول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه
الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم الصفة لا تستحق كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية
فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول **شعر**
أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا
فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعروض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح
المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن
الخاتمة غير معلومة وهذا إنما يقتضي الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا
بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم إنك إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم

والتقوى لا بمدح المادح فإن اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح
بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به
إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه وما أطيب الروائح التي تفوح منه إذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه
من الأقذار والأنتان ثم يفرح به فكذلك إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك و
أقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فإذن المادح إن صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك وإن كذب فينبغي
أن يغمك ذلك ولا تفرح به وأما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه
والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله وبأن تعلم أن طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك
به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به وأما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة
لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة
كما ذكرنا في كتاب آفة اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد أمكن الشيطان من أن يدخل في بطنه وقال بعضهم إذا قيل لك
نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وروي في بعض الأخبار فإن صح فهو قاصم الظهور
أن رجلا أثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار
وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قصمت ظهره ولو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة وقال ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المادحين
فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به حتى إن بعض
الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم فغضب وقال إني لم آمرك أن تزكيني وقيل لبعض الصحابة
لن يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال إني لأحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم إن عبدك تقرب إلي بمقتك فأشهدك
على مقته وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغالهم بحالهم عند الله يبغض إليهم
مدح الخلق لأن الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الأشرار فهذا الممدوح إن كان عند الله
من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق
ومهما علم أن الآجال والأرزاق بيد الله تعالى قل التفاته إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه

بيان علاج كراهة الذم قد سبق أن العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه أيضا يفهم منه والقول الوجيز
فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة وإما أن يكون صادقا ولكن قصده
الإيذاء والتعنت أو يكون كاذبا فإن كان صادقا فلا ينبغي أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتقلد منته فإن من أهدى
إليك عيوبك فقد أرشدك إلى المهلك حتى تتقيه فينبغي أن تفرح به وتشتغل بإزالة الصفة المذمومة عن نفسك إن قدرت عليها
فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فإنه غاية الجهل وإن كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن
كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبحه في عينك لينبعث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك
أسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول
على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت أن تحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال
لك قائل أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الأخلاق مهلكة في الآخرة و
الإنسان إنما يعرفها من قول أعدائه فينبغي أن يغتنمه فأما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهي نعمة منه عليك فلم تغضب
بقول انتفعت أنت به وتضرر هو به الحالة الثالثة أن يفتري عليك بما أنت بريء منه عند الله فينبغي أن لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر
في ثلاثة أمور أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فاشكر الله إذ لم يطلعه على
عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت بريء عنه والثاني أن ذلك كفارات لسيئاتك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت بريء منه وطهرك

عنده نيل استلذت بها وكل ما اعطاك سلطاني الى الحسنات وكل من يعطيك عند قطع طمعك فما بالك تفرح بسقط الطمع وتحزن بفوات الحسنات

التي تقربك الى الله وانت تعلم انه لا يحب الفرح بغير الله واما الثالث فهو ان المسكين يخدع نفسه حتى يسقط من عين الله ولا يمكنه تداركه

ويتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان يغضب عليه مع غضب الله فيشمت الشيطان به ويقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان يقول اللهم اصلحه اللهم

تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما انصرف ودعا ابرهيم بن ادهم لمن شج

راسه بالمغفرة وقال اللهم اعلم اني اوجر بسببه ولا ارضى ان يكون معاقبا بسببي ومما يهون عليك ذم المذمة قطع الطمع فان من

استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثره في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان

حب الجاه والمدح في قلبك غالبا ودنياك كانت تمنعك التحصيل النية في قلبك مصروفة نحو تحصيله فلا ينبغي ان يهدم الدين ولا ينبغي ان

يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا **بيان** اختلاف احوال الناس في المدح

والذم اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد

على الذام ويكافئه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب الثانية ان يمتعظ في الباطن على

الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهو من النقصان

الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال الحالة الثالثة وهي اول درجات الكمال ان يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة

وهذا قد يظنه بعض العباد بوجوده او يكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلامته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله

الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام

وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري له اشد نكاية في قلبه

من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما ينالها من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفي

عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك واشده على

القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد

بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف

تسوي بينهما فانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من

كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا

يجد في نفسه نفرة عنه لمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذن

العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يتغيظ والشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله بطاعته مع ذلك يتعرض لمقت الله ومن

لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى

قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الحالة الرابعة وهي الصدق في

العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه

ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقال صلى الله عليه وآله وسلم راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد ورد

في بعض الاخبار ما هو قاصم للظهر لامثالنا انه اذ روي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف

الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا

الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهي التسوية بين

المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية لم نوف بها فانه لا بد وان يتسارع الى اكرام المادح وقضاء

حاجته ويتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر في الباطن

ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة فان وجد في هذا الزمان فانه الكبريت الاحمر يذكر

به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحد من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى

المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس

واستطلاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات

وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل

الحمد وهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك

بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبله وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض

السرور عليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة يكون اليد له وتارة يكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به واذا سمع الذم

لم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي الى ان يغضب

على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق لا ان يظهر الغضب وقلبه يحبه فان ذلك

عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام

واول درجاته اظهار الغضب وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة

عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح

اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة اذ صار

بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم يتعب فيها فعسى ان يكون جبرا لعيوبه التي هو عاجز

عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ

معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شيئا منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

الشطر الثاني

في طلب الجاه والمنزلة بالعبادة المسمى بالرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما به يراءى وبيان

درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات

وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب

رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي اثنا عشر فصلا **بيان** ذم الرياء اعلم ان الرياء حرام

والمرائي عند الله ممقوت وقد شهد لذلك الآيات والاخبار والآثار اما الآيات فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم

ساهون الذين هم يراؤن وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد وقال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى انما

نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله وهو ضد الرياء وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه

فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل ذلك فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته واعماله واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه

وآله وسلم فيما اخبر فقال ان الله لا يقبل العبد بطاعة يريد بها الناس ويروى ايضا في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق

بماله والقارئ لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص وان الله عز وجل يقول لكل منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت

كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ فاخبر صلى الله عليه وآله وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم

الذي احبط اعمالهم وقال ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من رايا رايا الله به ومن سمع سمع الله به وفي حديث آخر طويل

ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا

وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم في الدنيا

فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد

في جهنم اعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وآله وسلم من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك

وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف

عن شماله فاذا صلى فليصل ستر بابه فان الله يقسم الثنا كما يقسم الرزق وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة
وقال عمر رضه لمعاذ بن جبل حيث رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان
ادنى الريا شرك وقال صلى الله عليه وآله وسلم اخوف ما اخاف عليكم الريا والشهوة الخفية وهو ايضا يرجع الى خفايا الريا ودقائقه
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل
عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل
عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبكي فقلت ما يبكيك
قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم
لما خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله
الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الما باطفا النار وامر الريح فكدرت الما فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله
فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله لم اخلق شيا هو اشد من ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله فهذا
اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنهم حدثني حديثا سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لي يا معاذ قلت
لبيك بابي انت وامي قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيمة
يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سما من السبعة ملكا بوابا عليها
قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت به الى السما الدنيا زكته وكثرته
فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى
غيري قال ثم ياتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السما الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسما
الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه
كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة فيجاوزون
به الى السما الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني
انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلوة وحج
وعمرة حتى يجاوزوا به الى السما الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجهه وظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان
لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السما الخامسة
كانه العروس المزفوفة الى بعلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد
انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني
الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السما السادسة فيقول لهم الملك الموكل
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه بلا او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني
ربي ان لا ادع عمله يجاوز الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السما السابعة من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع
له دوي كدوي الرعد وضو كضو الشمس معها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السما السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا جوارحه واقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد به
رفعة عند الفقها وذكرا عند العلما وصيتا في المداين امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو
ريا ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله و
تشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال

فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك
ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي
وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك
نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا
وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيمة في النار قال الله تعالى والناشطات
نشطا اتدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بابي انت وامي قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي فمن يطيق هذه
الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله قال فما رايت اكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في الحديث واما
الآثار فروي ان عمر رضه راى رجلا يطأطئ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في
القلوب وراى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي رضي الله عنه للمرائي ثلث علامات
يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل
بسيفي في سبيل الله اريد به وجه الله ومحمدة الناس قال لا شي لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شي لك ثم قال في الثالثة ان الله
يقول انا اغنى الاغنيا عن الشرك وسال رجل سعيد بن المسيب فقال ان احدنا يصطنع المعروف يحب ان يحمد ويوجر فقال له اتحب ان
تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فان
الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رضه رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيا اما ان تدعها
لي فاعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ادعها لله وحده قال فنعم اذن وقال الحسن رضه لقد صحبت اقواما ان كان احدهم ليعرض
له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان
ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيمة باربعة اسما يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت
له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي العبد على نيته
ما لا يعطيه على عمله لان النية لا ريا فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح فكيف
يقولون وقد حل من ربه محل الارديا فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال دينار القرا ثلثة قرا الدنيا وقرا الملوك وقرا
الرحمن وان محمد بن واسع من قرا الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري
اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي على
العمل اشد من العمل وقال ابن المبارك رحمة الله عليه ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقيل كيف ذاك قال يحب ان يذكر انه مجاور
بمكة وقال ابراهيم بن ادهم رحمة الله ما صدق الله من اراد ان يشتهر

بيان حقيقة الريا وما يراءى به اعلم ان الريا مشتق من الرؤية
والسمعة مشتقة من السماع وانما الريا اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائتهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب باعمال سوى
العبادات وتطلب بالعبادات واسم الريا مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الريا هو ارادة العباد
بطاعة الله عز وجل فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد
المرائي اظهارها والريا هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة اقسام هي مجامع ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي
والقول والعمل والاتباع والاشيا الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الريا باعمال ليست من
جملة الطاعات اهون من الريا بالطاعات القسم الاول الريا في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد
وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن في الدين وكذلك يرائي
بتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الاسباب مهما ظهر استدل الناس بها على هذه الامور فارتاح
النفس لمعرفتهم فلذلك تنبعث النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت وغور العينين وذبول الشفتين ليستدل

على أنه مواظب على الصوم وأن وقار الشرع هو الذي خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذي أضعف قوته وعن هذا قال عيسى صلوات الله
عليه إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روي عن أبي هريرة رضي الله عنه وذلك كله لما خاف عليه من نزغ الشيطان
بالريا ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه أصبحوا صياماً مدهنين فهذه مراياة أهل الدين بالبدن فأما أهل الدنيا فيراؤون بإظهار السمن وصفاء
اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسبها الثاني الريا بالزي والهيئة أما الهيئة فتشعيث شعر الرأس
وحلق الشارب وإطراق الرأس في المشي والهدو في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من
الساق وقصر الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقاً كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين
ومنه لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبهاً بالصوفية مع الإفلاس عن حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع
بالإزار فوق العمامة ليرى به أنه انتهى تقشفه إلى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه
الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم أنه من أهل العلم والمراؤون بالزي على طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح
بإظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها وقصرها ووسخها وتخرقها ولو كلف أن يلبس ثوباً وسطاً
نظيفاً مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب
في الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء
ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون
الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والمرقعات المصبغة والفوط الرفيعة فيلبسونها وقيمة ثوبهم قيمة ثوب الأغنياء ولونه وهيئته
لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفاً من السقوط
من أعين الملوك والأغنياء ولو كلفوا لبس الديبقي والكتان الأبيض الدقيق والمقصب المعلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم
خوفاً من أن يقول أهل الصلاح قد رغب في زي أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال إلى ما
دونه أو ما فوقه وإن كان مباحاً خيفة من المذمة وأما أهل الدنيا فمراياتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في
الملبس والمسكن وأثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فإنهم يلبسون في بيوتهم
الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة الثالث الريا بالقول ورياء أهل الدين بالوعظ
والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لأجل الاستعمال في المحاورة وإظهار الغزارة في العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف
الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق وإظهار الغضب للمنكرات وإظهار
الأسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعاء
حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من روى الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف أنه بصير بالأحاديث والمبادرة إلى أن الحديث صحيح
أو غير صحيح لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إفحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والريا بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر
وأما أهل الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار
التودد إلى الناس لاستمالة القلوب الرابع الريا بالعمل كمراياة المصلي بطول القيام ومده وتطويل السجود والركوع وإطراق الرأس
وترك الالتفات وإظهار الهدو والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وبإطعام الطعام
وبالإخبات في المشي عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام حتى إن المرائي قد يسرع في المشي إلى حاجته فإذا
اطلع عليه واحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفاً من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار فإن غاب الرجل عاد
إلى عجلته فإذا رآه عاد إلى الخشوع ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه
أنه من العباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية
الحسنة في الخلوة حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير ويظن أنه تخلص به عن الريا وقد تضاعف به رياؤه فإنه صار في خلوته أيضاً

مرائياً فإنه إنما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لخوف من الله وحياء منه وأما أهل الدنيا فمراياتهم بالتبختر والاختيال وتحريك
اليدين وتقريب الخطا والأخذ بأطراف الذيل وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة الخامس المراياة بالأصحاب و
الزائرين والمخالطين كالذي يتكلف أن يستزير عالماً من العلماء ليقال إن فلاناً قد زار فلاناً أو عابداً من العباد ليقال إن أهل
الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه أو ملكاً من الملوك أو عاملاً من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين
وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخاً كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراياته تترشح منه عند مخاصمته فيقول
لغيره ومن لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلاناً وفلاناً ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به
المراؤون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى إلى ديره
سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل إلى قلة جبل مدة مديدة وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف أنهم نسبوه
إلى جريمة في ديره أو صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم
مع أنه قد قطع طمعه عن أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فإنه لذيذ كما ذكرناه في أسبابه فإنه نوع قدرة وكمال في الحال وإن كان سريع الزوال
لا يغتر به إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك إطلاق اللسان [illegible]
الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له به جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع
حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤون بالأسباب التي
ذكرناها فهذه حقيقة الريا وما به يقع الريا فإن قلت فالريا حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل فأقول فيه تفصيل فإن الريا
هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب
منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورة فكذلك الجاه وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه
الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف صلوات الله عليه حيث قال اجعلني على خزائن
الأرض إني حفيظ عليم وكما أن المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما أن كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار
الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضاً تملك القلوب الكثيرة
حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم إلى حب المال
ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرهما وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن
زال فلا ضرر فيه فلا جاه أوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف
الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مراياة
وهو ليس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها
أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يخرج على أصحابه فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا
رسول الله قال نعم إن الله يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبادة لأنه كان
مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن
أحواله لئلا تزدريه أعينهم فإن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه في أعينهم حذراً من ذمهم ولومهم واسترواحاً إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمراً مباحاً
إذ للإنسان أن يحذر من ألم المذمة ويطلب راحة الأنس بالإخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فإذن المراياة بما
ليس من العبادات قد تكون مباحاً وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل إذا أنفق ماله
على جماعة من الأغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مراياة وليس بحرام وكذلك أمثاله أما العبادات
كالصدقة والصلاة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الريا المحض دون الأجر وهذا يبطل عبادته

لان الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم
لما دل عليه الاخبار والآيات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من
اهل الدين وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم لما
فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثاني يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال
قتادة رحمه الله اذا راءى العبد قال الله لملائكته انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله ان يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة
الخدمة وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته
بل قصد بذلك عبدا من عباده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل
ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود
عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشرك
الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سيأتي في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن
في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله تعالى فقد قصد غير الله ولعمري لو عظم غير الله بالسجود
لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون
من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظمه
باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فهذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم
عنده ان العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه واجله ومصالح حاله ومآله اكثر مما يملكه الله فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم فاقبل بقلبه
عليهم يستميل به قلوبهم ولو وكله الله اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن
انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسي
نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان يشك في ان المرائي
بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته وصلوته
فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما نقلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت
رضي الله عنهما انه لا اجر فيه اصلا

بيان درجات الرياء

اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف
اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلثة المرائي به والمرائي لاجله ونفس قصد الرياء الركن الاول نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو
اما ان يكون مجردا دون ارادة عبادة الله والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان تكون ارادة الثواب اقوى
واغلب او اضعف او مساوية لارادة العبادة فتكون الدرجات اربعا الدرجة الاولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي
بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله وكذلك من
يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداه فهذه الدرجة العليا من الرياء الثانية ان يكون له
قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان
الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم الثالثة ان يكون له
قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة او كان كل واحد
منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجو ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من
العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه
ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او
يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان

او كان قصد الرياء ارجح الركن الثاني المرائى به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها القسم الاول
وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهو على ثلث درجات الدرجة الاولى الرياء باصل الايمان وهذا اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار
وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله في كتابه في مواضع شتى كقوله
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي في دلالة قولهم على ضمائرهم
وقال الله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد
فيها الآية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا
والآيات فيها كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق
من ينسلخ عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طي بساط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة
او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهولاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد
من حال الكفار المجاهرين فانهم جمعوا بين الكفر الباطن والنفاق الظاهر الثانية الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين
وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو
كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك يصوم شهر رمضان وهو يشتهي
خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة لكن خوفا من الناس
او يغزو او يحج كذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغيره لم يفعل ولكنه
يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة
الناس اعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان
كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد الثالثة ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالسنن والنوافل التي لو
تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها
وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم
الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء
الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك ولكن الذي قبله فعل
ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق وكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك
النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء باصول العبادات القسم الثاني الرياء باوصاف العبادات
لا باصولها وهي ايضا على ثلث درجات الدرجة الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود
ولا يطول القراءة واذا رآه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه من فعل
ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع عليه آدمي احسن الصلاة ومن جلس بين
يدي انسان متربعا او متكئا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة
وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الردية او من الحب الرديء
فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل الخلق لا اكمالا لعبادة
الصوم فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائي انما
فعلت ذلك صيانة لألسنتهم عن الغيبة فانهم اذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة فانما
قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة الشيطان وتلبيس وليس كذلك فان ضررك بنقصان صلاتك وهي
خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي

وصيفة الى ملك ليستفيد منه فضلا وولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي ان تكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان احديهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان اترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراءاة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق الدرجة الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكاة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه الثالثة ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الريا بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم الركن الثالث المراءى لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة وانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلث درجات الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكاة او الصدقات ليستاثر بما قدر عليه او يودع الودائع فياخذها ويجحدها او تسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امرأة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى فجور بامرأة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى الدرجة الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امرأة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد اما امرأة بعينها لينكحها او امرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه الدرجة الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك ان سبق الى الضحك او بدا منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون الخميس والاثنين او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا من ذلك وكالذي يعطش يوم عرفة او عاشوراء او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح باني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى انه صائم ثم يرى انه مخلص

وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن به انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب شفيقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني اصوم فهذا وما يجري مجراه من علامات الريا فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الريا في الباطن اما المخلص فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسياتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الريا ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلة بآفات النفوس وغوائل القلوب

بيان الريا الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل

اعلم ان الريا خفي وجلي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي اريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عليه الضيفان تنشط له وخف على قلبه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد ريا الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الريا بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على ريا خفي منه يرشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الريا مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الريا حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا راى الناس احب ان يبدؤه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشرا وان يوسعوا له في المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام مع الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الريا اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدؤن بالسلام الم تكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله روي عن وهب بن منبه انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الريا الخفي يجتهدون

لتشتغل بمخادعة الناس عن اعمال الناس يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم
ليجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملاء من الخلق اذ علموا انه لا يقبل في القيامة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم
في القيمة وانه يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا
عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي
لا يروج عندهم الزيف والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا يشاهد ارباب
ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزودونه من التقوى فاذن شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين
ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم والصبيان الرضع او غابوا عنهم
وكانوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان
العقلاء لا يقدرون على رزق ولا اجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك
ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت
طاعته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة
الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم واظهر الجميل من احواله
فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره اليه والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف
اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا فكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به الثاني ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعله
في الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستر عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال
من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل والثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف
بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر آخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل اجر اعمال المقتدين من غير ان ينقص
من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة الرابع ان يحمده
المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة
فيمقته ويحسده او يذمه ويهزأ به او ينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع
ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى
يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط

فنقول اذا عقد العبادة على الاخلاص ثم ورد وارد الرياء فلا يخلو اما ان ورد عليه بعد فراغه من العمل او
قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن
الرياء فما يطرأ بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق
ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده
رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه يحبط فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه سمع رجلا
يقول قرأت البارحة البقرة قال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله
فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهية صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك
من رسول الله وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان
يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ
بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل واما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة

مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون رياء
باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت نظارة او حضر ملك من الملوك
وهو يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس
فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقال صلى الله عليه وآله وسلم العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب اوله اي النظر الى
خاتمته وروي من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهو منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على
القراءة فان كل جزء من ذلك منفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلاة واما اذا كان وارد الرياء بحيث
لا يمنعه من قصد الاتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلاته ففرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة
لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه
الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها
على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا تفسد العبادة نظرا الى حالة
العقد والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي الى الاحباط في امر
اهون منه فقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا
فصارت فرقة الى انه محبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته
ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء
ثم قال فان قيل قد قال الحسن رحمه الله انهما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روي ان رجلا قال لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الاثر
والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا تضره يعني لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره
واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه اراد قبل
الفراغ والثاني انه اراد ان يسر به للاقتداء الناس به او لسرور آخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب حب محمدة الناس
بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان في السرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي
اجران والثالث انه قال اكثر من روى الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة واكثرهم يوقفه على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم
بالعمومات الواردة في الرياء اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل اظهر الميل الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل
بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة
على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما
اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر
الاعمال ولا ينبغي ان يفسد الصلاة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي اوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون
مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء
الطارئ بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعد الفراغ القسم الثالث الذي يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلاة على قصد الرياء
فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يقضي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه
قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون
تحريمة الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه
ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب
ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله ولو سجد

ولو تجرد لله لكان كافياً ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الحامل الأول إلى أن يجد الناس وقد هم بفتح صلاة
ومذهب الزهريين الآخرين أن يخرج من نية الفرض حاله صلى فأتى بإعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود
إنما يصح صلاته أعمال البدنية في الصلاة فسقط الصلاة وكذلك قول من قال بلزوم الإخلاص مضطرب إلى آخر ومن ابنه ضعيف
لأنه لم يسبح في النية وأدخل الأوقات مراعاة أحكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إذا كان
مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الأمر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما
رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان وحده لما صلى لأجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها إذ النية عبارة عن
إجابة باعث الدين وهنا لا باعث ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لولا الناس أيضاً لكان يصلي إلا أنه ظهرت له الرغبة في المحمدة أيضاً
فاجتمع الباعثان فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة وحج فإن كان في صدقة فقد عصى
بإجابة باعث الرياء وأطاع بإجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره فله ثواب بقدر قصده
الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وإن كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو
إما أن يكون نفلاً أو فرضاً فإن كان نفلاً فحكمها أيضاً حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذا اجتمع في قلبه الباعثان ولا
يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله أن قصده الرياء بإظهار حسن
القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا في بيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فإن المصير إلى هذا بعيد جداً بل يظن بالمسلم
أنه يقصد الثواب أيضاً بتطوعه فلا تفسد باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وإن اقترن به قصد آخر وهو به عاص فأما إذا كان
في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن الإيجاب لم ينتهض
باعثاً في حقه بمجرده واستقلاله وإن كان كل باعث مستقلاً حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لأنشأ
صلاة تطوعاً لأجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جداً فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص
ويحتمل أن يقال الواجب امتثال الأمر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة
فإنه وإن كان عاصياً بإيقاع الصلاة في الدار المغصوبة فإنه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الأعمال
في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في المبادرة مثلاً دون أصل الصلاة مثل من بادر بالصلاة في أول الوقت
لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط
الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن القدح في النية
هذا في رياء يكون باعثاً على العمل وحاملاً عليه فأما مجرد السرور باطلاع الناس إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعيد أن يفسد الصلاة
فهذا ما نراه لائقاً بقانون الفقه والمسألة غامضة من حيث إن الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيه وتصرفوا
لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلب وطلب الإخلاص
على إفساد العبادات بأدنى الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيما نراه والعلم عند الله

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

قد عرفت بما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله وأنه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق
الجد في إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء إلا في شرب الأدوية المرة البشعة وهي مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذ
الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع
بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وإنما يشعر بكونه مهلكاً بعد كمال العقل وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على
قمعه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولاً وتخف آخراً وفي
علاجه مقامان أحدهما قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال المقام الأول في قلع عروقه واستئصال
أصوله وأصله حب المنزلة والجاه وإذا فصل رجع إلى ثلاثة أصول وهي لذة المحمدة والفرار من ألم الذم والطمع فيما في أيدي الناس ويشهد

للرياء بهذه الأسباب وأنها باعثة للمرائي ما روى أبو موسى أن أعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية
ومعناه أنه يأنف أن يقهر ويذم بأنه مقهور مغلوب وقال الرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب
والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وآله وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال
ابن مسعود رضي الله عنه إذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال
للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقاً وقال صلى الله عليه
وآله وسلم من غزا لا يبغي إلا عقالاً فله ما نوى فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل
بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فإنه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان
لا يفر من الزحف خوفاً من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أيس من الحمد كره الذم وكالرجل
بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الإنسان على الصبر عن
لذة الحمد ولا يقدر على الصبر عن ألم الذم ولذلك يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل ويفتي بغير علم
ويدعي العلم بالحديث وهو جاهل كل ذلك حذراً من الذم فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك المرائي إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر
الأول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى أن الإنسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع
لذيذ إما في الحال وإما في المآل فإن علم أنه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيذ
ولكن إذا بان له أن فيه سماً أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما
يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت
الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رءوس العباد يا فاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت إذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا
وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت إلى العباد بالتبغض إلى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت إليهم بالبعد
من الله وتحمدت إليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا
الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الأعمال مع أن العمل الواحد ربما كان
يترجح به ميزان حسناته لو خلص فإذا فسد بالرياء حول إلى كفة السيئات فترجح به ويهوي إلى النار فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة
واحدة لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة
النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم
بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضي به فريقاً يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن
طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضاً عليه ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله لأجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقاً
ولا أجلاً ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة وأما الطمع لما في أيديهم فبأن يعلم أن الله هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء وأن
الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف
يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ وإذا أصاب فلا تفي لذته بألم منته ومذلته وأما ذمهم فلم يحذر منه
ولا يزيده ذمهم شيئاً ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا يبغضه إلى الله
إن كان محموداً عند الله ولا يزيده مقتاً إن كان ممقوتاً عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً
ولا حياة ولا نشوراً فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على الله قلبه فإن العاقل لا يرغب فيما
يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الإخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه
إلى الناس ويعرفهم أنه مراء ممقوت عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بحمده
والثناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم إن مدحي زين وإن ذمي شين فقال رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم كذب ذاك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في حمد الله ولا شين الا في ذمه فاي خير لك
في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن احضر
في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات
واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح
بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط
محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس
الرياء واما الدواء العملي فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى تقنع قلبه
بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها
فقال اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا الذم لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا علاج
للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله وما
يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن
العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما المقام الثاني
في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط
نفسه عن اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثناء العبادات بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه
نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة وقد تحصل دفعة واحدة كالحال
الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة
عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل
يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء
اطلاعهم دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك فاي فائدة في علم غيرك فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد ذكر
ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير
شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى
القبول والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقواهما واغلبهما فاذن لا بد في رد الرياء من ثلاثة امور المعرفة والكراهة
والاباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان
المضمر منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيعزب
عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق متسع في القلب خال عن شهوة الحمد او خوف الذم وهو كالذي يحدث
نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلئ قلبه غيظا
يمنع من تذكره آفة الغضب ويشغله عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا
وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجاءة هكذا تكون اذ تنسي معرفة مضرتها
الداخلة تحت عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر الرياء
الذي يعرضه لمقت الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال ويسوف بالتوبة او يتشاغل عن
التفكر فيه لشدة الشهوة فكم من عالم يتكلم بكلام لا يريد به الا الرياء للخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فيكون الحجة عليه
اوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحصل المعرفة والكراهة

ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة
ان تصرف عن الفعل فاذن لا فائدة الا في اجتماع الثلاث وهو المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة
وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة
التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات وهو راس كل
خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة
بنور الكتاب والسنة وانوار العلماء فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحمله الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه
وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه ولميله اليه وغير مجيب اليه فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم ان الله لم يكلف العبد الا ما يطيق
وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته
بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلفه ويدل على
ذلك من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء
فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم بها قال او قد وجدتم قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا
الا الوسواس والكراهة له ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء
وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع الضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع الضرر الاصغر اولى ويدل عليه ايضا
ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من
نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذن وسوسة الشيطان
ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء
هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر هي من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا ان للشيطان ههنا مكيدة وهي
انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب
الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله وهو يوجب نقصانا في منزلته
عند الله والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع مراتب الاولى ان يرد على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته
ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده
وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك الثانية ان يعرف ان الجدال والقتال
نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته الثالثة ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل
يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا
بالمخاصمة والرابعة ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسده عند جريان اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان
زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه
ويوجب يأسه وقنوطه فلا يعاود روي عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لاغيظن من امره قيل من امره
قال الشيطان اللهم اغفر له اي لاغيظنه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من ان يزيد
في حسناته وقال ابراهيم التيمي ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه
وقال ايضا اذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك واذا رآك مداوما ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الاربعة مثالا احسن
فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية فحسدهم على ذلك مبتدع وخاف
ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد منهم فمنعه وصرفه عنه ودعاه الى مجلس ضلال فابى فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد
ضلالته وهو يظن ان ذلك مصلحة وهو غرض الضال ليفوته ما فاته بسبب التأخر ثم مر الثاني عليه فنهاه واستوقفه فوقف فدفعه في

عن الفضل ولم يشتغل الشيطان واستعجل فرجع من الفضل بسبب توقفه للدفع فيه ومرتبة الثالث ان لم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولم
استمر على ما كان متحدا من رجاء الفضل بالكلية ومرتبة الرابع ولم يتوقف له والدان نشط وازداد في عجلته وترك التلفت الى ما يبتغيه ان يعاود
ومن علم من احواله ان يعاود الجميع الفضل الاخر فانه لا يعود حينئذ مخافة ان يزداد فايدة باستعجاله فان قلت فالشيطان اذا كان
لا ييأس من اغوائه فهل يجب الترصد له بالحصون والحذر منه انتظارا لوروده ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال
بالعبادة والغفلة عنه فاعلم ان الناس اختلفوا فيه على ثلاثة اوجه فذهب فرقة من اهل البصيرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان
لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه واعتزلهم الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما يخنس ضعفاء العباد الى الخمر والزنا وصار ملاذ الدنيا
عندهم وان كانت مباحة كالخمر والزنا فعدموا واذا اطلوا منها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة
من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم
ان الشيطان ذليل مخلوق ليس له امر ولا يكون الا ما اراد الله فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية
يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره اهل البصيرة من ان الاقوياء استغنوا عن الحذر وخلا
قلوبهم من حب الدنيا فهو وسيلة للشيطان ونهاية تمكنه تخلص قلوبهم منه بكل وسائل الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل
في صفات الله واسمائه وفي تحسين البدع والضلالة وغير ذلك لا يخلو احد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي الاية وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ليغان على قلبي وان شيطانه قد اسلم ولا يامر الا بخير فمن ظن ان اشتغاله بحب الله
اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الانبياء فهو مغرور ولم يامنوا ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه
آدم وحواء في الجنة التي هي دار الامن والسرور وقد قال الله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان
لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى مع انها ليست الا محل الخيرة وحضرة دار الامن والسعادة فمن كيد الشيطان فكيف يجوز
لغيره ان يامن في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن ومعدن اللذات والشهوات المنهي عنها وقال موسى صلوات الله عليه هذا من عمل
الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وقال انه يراكم هو وقبيله من
حيث لا ترونهم والقرآن من اوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه والحذر حيث امر الله به لا ينافي الاشتغال
بحب الله فان من حبه امتثال امره وقد امر بالحذر من العدو كما امر بالحذر من الكفار فقال وليأخذوا حذرهم وقال واعدوا لهم ما
استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذا لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى
ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك واشار الى الشيطان فكيف
وليس في الغفلة من عداوة الكافر الا القتل وهو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعذاب الاليم فليس من الاشتغال
بالله الاعراض عما حذر الله به وبطل مذهب الفرقة الثانية اذ في ظنهم ان ذلك قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود
وحفر الخندق لم يقدح في توكل فان اخذ الترس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر
مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل ليس يناقض التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله فكذلك يحذر الشيطان
ويعتقد ان الضال والهادي هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح
الذي يشهد له نور العلم وما ذكره يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم في بعض الاوقات من الاستغراق
بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة اوجه فقالت فرقة لما حذرنا الله عز وجل العدو فلا ينبغي
ان يكون شيء اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة يوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يوجب
خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهمم بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته
والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسب وان تجردنا لذكره كنا مهملين ذكر الله فالجمع اولى وقال

العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجردوا لذكر الشيطان ونسوا ذكر الله فلا يخفى غلطهم وانما امرنا بالحذر من الشيطان
كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلبنا وهو منتهى غرض العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله
فاذا قصده الشيطان مثل هذا القلب ولم يكن فيه نور ذكر الله يقوى على الاشتغال به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يؤمر بانتظار
الشيطان ولا بالاذكار مما نذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب
بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد امر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان
ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر في قلبه من الشيطان يشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله
امر الشيطان فاذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله
لا يمنع من التنبه عند نزغ الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من ان تفوته مهمة عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان ينتبه
في ذلك الوقت فينتبه في الليل مرات قبل اوانه لما استكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع
تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله وقلما يسلم من الهوى واحيا فيه نور العقل
وازال عنه ظلمات الشهوات فاهل البصيرة اشغلوا قلوبهم عن مراقبة الشيطان وقد صدقوا الا في الحذر فانهم لم يشتغلوا الا بذكر الله
ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤوا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو فان مثل القلب مثال حوض يراد تطهيره من الماء القذر لينفجر
فيه الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيه الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر
من جانب ولكن تركه جاريا اليه من جانب آخر فيطول تعبه ولا يجف اسفله من الماء القذر والبصير هو الذي جعل لمجرى الماء القذر
سدا وملأه بالماء الصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب بيان الرخصة في قصد اظهار
الطاعات اعلم ان في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير
ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية
فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والاخر بالتحدث
بما عمل القسم الاول اظهار نفس العمل كالصدقة في الملا لترغيب الناس فيه كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس
بالعطية لما رأوه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه وتجري سائر الاعمال هذا
المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيرها ولكن الاقتداء في الطباع في الصدقة اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل
قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان
بل هو تحريض وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلاة الليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد
والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوائب الرياء واما ما يمكن اسراره كالصدقة
والصلوة فان كان اظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام وان لم يكن
فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وقال قوم العلانية للقدوة هي افضل من السر ويدل على ذلك ان الله امر
الانبياء باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله له اجرها واجر من
عمل بها ويقتدى في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية
اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد
في الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما الخوف من ظهور الرياء ومهما حصل شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف
في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احداهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدي
به اهله دون جيرانه وربما يقتدي به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدي به اهل محلته فاما العالم المعروف فهو الذي يقتدي به الناس
كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة فانما يصح

كالاظهار بنية الاقتدا على من هو في محل الاقتدا به والثاني ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الريا الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتدا
وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقويا المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه
بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم
حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالما في الدنيا الم ساعة وليت كان الهلاك بالريا مثله بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة
قدم العباد والعلما فانهم يتشبهون بالاقويا في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم بالريا والتفطن لذلك غامض
ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان مال
قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الريا دون طلب الاجر واقتدا الناس به ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير
بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظة لاعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع
النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما يسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي ان يعدل
بالسلامة شيا والسلامة في الاخفا وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليها امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفا القسم
الثاني ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد لان مونة النطق خفيفة على اللسان وقد
تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوي عظيمة الا انه لو تطرق اليه الريا لم يوثر في افساد العبادة الماضية
بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم
وذكر ذلك عند من يرجو الاقتدا والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب اليه ان صفت النية وسلمت من جميع الآفات لانه ترغيب
في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقويا قال سعيد بن معاذ ما صليت صلاة منذ اسلمت
فحدثت نفسي بغيرها ولا اتبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول قولا
قط الا علمت انه حق وقال عمر رضي الله عنه ما ابالي اصبحت على يسر او على عسر لاني لا ادري ايهما خير لي وقال ابن مسعود ما اصبحت على
حال فتمنيت اني على غيرها وقال عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وقال شداد بن اوس رضي الله عنه ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت الا ازمها واخطمها الا كلمتي هذه وقد قال لغلامه ايتنا بالسفرة نعبث بها حتى ندرك الغدا
وقال ابو سفيان رحمه الله لاهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما
ما قضى الله في بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله فهذه كلها اظهار لاحوال شريفة وفيها
غاية المراءاة اذا صدرت ممن يرائي بها وفيها غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتدا جائز للاقويا بالشروط
التي ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب الاظهار للاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتدا بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس
انه ريا فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتدا بمن هو مراء عند الله وقد روي انه كان
يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الريا
فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف
رياؤه وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى بهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له

اعلم ان الاصل في الاخلاص استوا السريرة والعلانية كما
قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا امير المومنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني
ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان
عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على
جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن انه ريا محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع
وانه خائف من الله تعالى مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي واما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح

اغتمامه باطلاع الناس من ثمانية اوجه الاول ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره في القيامة
اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر عليه في الآخرة وهذا غم ينشا من قوة الايمان والثاني انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي
ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم من ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل
قلبه عن محبة ما احبه الله وهذا ينشا من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا
ويغتم بسببه الثالث ان يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله فان الطبع يتاذى بالذم
وينازع العقل ويشغل عن الطاعة ومن هذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن
الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهة
ذم الناس من حيث يتاذى طبعه فان الذم مولم للقلب كما ان الضرب مولم للبدن وتالم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص
وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتالم
به نعم كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون
وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تالم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في
الدين فانهم شهدا الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم بفوات الحمد
بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يحب ان يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك
في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك
ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد
لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يولم واما الذم فانه مولم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة
في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله
فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله ومقته له اكثر وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله
به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق فيه بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع السادس
ان يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مولم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان
ممن يومن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك حذرا منه السابع مجرد الحيا فانه نوع الم
وراء الم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في اول الصبى مهما اشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح اذا شوهدت منه
وهو وصف محمود قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحيا خير كله وقال الحيا شعبة من الايمان وقال الحيا لا ياتي الا بخير
وقال ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي ان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحيا فهو
اشد حالا ممن يستتر ويستحيي الا ان الحيا ممتزج بالريا ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه مستحي وان
سبب تحسينه العبادات هو الحيا من الناس وذلك كذب بل الحيا خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الريا وداعية
الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه
يستحيي من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض ريا ولا لطلب الثواب فله عند ذلك احوال احدها ان
يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحيا وهذا فعل من لا حيا له فان المستحيي اما ان يتعلل او يعرض فان اعطى فيتصور له
ثلاثة احوال احدها ان يمزج الريا بالحيا بان يهيج الحيا فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الريا ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني عليك ويحمدك
وينشر اسمك بالسخا او ينبغي ان تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالريا وان كان المحرك للريا هو هيجان
الحيا الثاني ان يتعذر عليه الرد بالحيا ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطا فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة
بواحدة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله فتسخو النفس بالاعطا لذلك فهذا

مخلص يتيح الحيا اخلاصا والثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمة ولا حب لمحمدة الا انه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه
فاعطاه بمحض الحيا وهو يجده من نفسه من الم الحيا ولولا الحيا لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب او الاراذل لكان يرده وان
كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحيا ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات ايضا حتى انه يرى
مستعجلا فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حيا وهو عين الريا وقد قيل ان بعض الحيا ضعيف وهو صحيح
والمراد به الحيا مما ليس بقبيح كالحيا من وعظ الناس وامامة الصلوة وهو في الصبيان والنسا محمود وفي العقلا غير محمود وقد تشاهد
معصية من شيخ فتستحيي من شيبته ان تنكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحيا حسن واحسن منه ان تستحيي
من الله فلا تضيع الامر بالمعروف والموفق يؤثر الحيا من الله على الحيا من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي تجوز
لاجلها ستر القبائح والذنوب الثاني ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجرئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية
في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده
لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية
ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح
وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك
الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب
ذلك لتعرف به حب الله لك فانه اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم ان تحبهم بحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك
وعلى الطاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات
المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك للمال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال والامر فيهما واحد

بيان ترك الطاعات خوفا من الريا ودخول الآفات

اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل
الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم
والحج والغزو فانها مقاسات ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع
الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضا والولايات والحسبة وامامة الصلوة
والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة القسم الاول
الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الريا فيها ثلثة احدها ما يدخل قبل
العمل فيبعث على الابتدا لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فانه تدرع بصورة الطاعة
الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الريا ويقول لها الا تستحيين من مولاك لا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل
لاجل عباده حتى اندفع باعث الريا وسخت النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الريا وكفارة له فليشتغل بالعمل الثانية ان
ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الريا مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه
اليه حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الريا فاذا لم تجب ودفعت
بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضائع فاي فائدة في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا
تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها زوان وقال خلصها من التراب
ونقها تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اصله هو ترك
للاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مرائي فيعصون الله به فهذا من
مكايد الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك
العمل خوفا من قولهم انه مرائي هو عين الريا فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من مذمتهم فما له ولقولهم قالوا انه مرائي او قالوا انه مخلص

ثاني وقع فيما انت ترك العمل خوفا من ان يقال انه مرائي ومن ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد
ان يقال انه مرائي ويحب ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على
العباد الجهال ثم كيف يطمع في ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الان يقول الناس انك تركت
العمل ليقال انه مخلص لا يشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة
معرفة الناس بتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل النجاة منه ان تلزم قلبك معرفة آفة الريا
وهو انه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والابا قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو نازغ
الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد
خاطر الريا والزم قلبك الحيا من الله اذا دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق
على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حيا من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان
انت مرائي فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة الريا وابائه وخوفك منه وحيائك من الله وان لم تجد في قلبك له كراهة ولا منه
خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الريا فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد وان يبقى
معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابراهيم النخعي دخل عليه انسان وهو يقرأ فاطبق المصحف
وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم وقال
الحسن كان احدهم يمر بالاذى ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم ياتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد
ورد فيه آثار كثيرة قلنا يعارض هذا ما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري رحمه الله هذا الكلام في معرض
الوعظ اولى من خوف الشهرة من البكا واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل
والافضل لا يقدر عليه الا الاقويا دون الضعفا فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف
الافضل لشدة الخوف فالاقتدا ينبغي ان يكون بالاقويا واما اطباق ابراهيم النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه يحتاج
الى ترك القراءة عند دخوله واستئنافها بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فرأى ان الاخفا في القراءة ابعد عن الريا وهو عازم على
الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك دفع الاذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه
وشغلهم اياه عن عبادات هي اكبر من رفع خشبة عن الطريق فيكون تركه ذلك للمحافظة على عبادات اكبر منها لا لمجرد خوف
الريا واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت فيجوز ان يكون قد اراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان
ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام بالحق المندوب
اليه فلم يبعث عليه على ان الآفة اعظم في الكلام فهو داخل في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا
يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن رحمه الله في ترك البكا واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية احوال
الضعفا الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها القسم الثاني
ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضا ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال اما
الخلافة والامارة فهي من افضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ليوم من امام عادل
خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اول
من يدخل الجنة ثلثة الامام المقسط وقال ابو هريرة رضي قال صلى الله عليه وآله وسلم ثلث لا ترد دعوتهم احدهم الامام العادل
وقال صلى الله عليه وآله وسلم اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل رواه ابو سعيد الخدري رضي فالامارة والخلافة
من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ تتحرك بها
الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلا ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبا

كان الوالي باغيا في حضانته ويوشك ان يخرج هواه ويمتنع من ان لا يستريح في جانبه وولايته وان كان نحلو ومقدم على ما يزيد في مكانته
وان كان البطالة عنده ذلك يبدله ويوم من سلطان جائر شر من فسق ستين سنة بقوله الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر
العظيم كان سهل عمر رضي الله عنه يقول من اخذها بما فيه وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من والٍ عشرة الا جاء يوم القيامة مغلولة
يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر رضي الله عنه ولاية فقال اشر علي يا امير المؤمنين قال اجلس
اكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خر لي فقال اجلس وكذلك حديث
عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسألة اعنت
عليها وان اوتيتها بمسألة وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع
الم تقل لي لا تأمر على اثنين ثم وليت انت الخلافة فقام بها فقال بلى ولئن توليت امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الحسن
وانا اقول ذلك من لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الامارة مع ما ورد من النهي
عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفاء لا ينبغي
ان يدوروا بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط
الخلق من اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس
منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيه ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس
بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولاية ولكن خاف
عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف
العلماء في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا
قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت
جزما بالخير لكان يخاف عليها ان تتغير عند الولاية فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل
بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كما قيل طلاق الرجال فاذا شرع لم تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي
به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مال النفس الى
طلب الولاية وحملها على السؤال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم انا لا نولي امرنا من سألنا فاذا فهمت
اختلاف حكم القوي والضعيف عرفت ان نهي ابي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده اياها ليس بمتناقض واما القضاء فهو وان كان
دون الخلافة والامارة فهو في معناهما فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم
مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم القضاة ثلاثة واحد في الجنة
واثنان في النار وقال من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة ينبغي ان يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن
في عينه وليتقلده الاقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم
واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء
وان تقلد فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة
عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب
عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار واما الوعظ والتدريس والفتوى ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية
وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف رضوان الله عليهم
يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي وعن
بشر انه قطع من الحديث وقال انما منعني من الحديث اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وقبول

الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج
عند العوام وان كان باطلا وفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب
العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكر على رأس المنبر وكان ينبغي ان يكون
فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل بها اولا ثم يقول اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني
بهذه الحكمة فاقصها ليشاركني في نفعها اخواني المسلمون فهذا ايضا مما يعظم فيه
الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي ان يتركه
ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما
حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طلب
الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيامة وندامة الا من اخذها بحقها وقال نعمت المرضعة
وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن
وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر ابي بن كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول ابي سيد
المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من ان يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ
ولا يمنع منه واستأذن رجل عمر ان يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال اتمنعني من نصح الناس فقال اخشى ان تنتفخ
حتى تبلغ الثريا اذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ
والتدريس والفتوى وفي كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينهما واما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم
فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن القضاء لم يؤد الى تعطيل القضاء بل الرئاسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك
حب الرئاسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرئاسة
لافلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله ان يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشتغل بذلك بامر الناس
فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني اقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ فليس في النهي عنه الا
امتناع بعضهم والا فيعلم ان كلهم لا يتركون لذة الرئاسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس
من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه
منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست اقدر على نفسي فنقول اشتغل وجاهد فانا نعلم انه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم اذ لا باعث
عليهم ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجمع احب الينا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم
ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد
في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة
بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلد منهم
فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره
وفيما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولذلك قال المسيح
صلوات الله عليه يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما
تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل
يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك
الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم
والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم

حتى يوقعكم في الطريق المدلهم وتسعون في خطة المتحيرين كأنكم لم تعرفوا أهل الدنيا الذين كانوا قبلكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن
الظلام أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة
معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام يوشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على
مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم
ثم يجزيكم بسوء أعمالكم فقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على
الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم
الخاسرون فإن قلت فهذه الآفات ظاهرة ويكثر وجودها في العلم والوعظ فباب كثير قلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره
وأجر من اتبعه إلى يوم القيامة لكن من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في
الصلاة لا تترك العمل ولكن أتمم العمل واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء وجاهد نفسك فاعلم أن فضل العلم كثير وخطره عظيم
كفضل الخلافة والإمارة ولا نقول لأحد من عباد الله اترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة إنما الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ
والتدريس ورواية الأحاديث ولا نقول له أيضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فأما إذا لم يحركه إلا الرياء
فترك الإظهار أنفع له وأسلم وكذلك نوافل الصلاة إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وساوس الرياء في أثناء
الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب
الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلاث الأولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة الثانية
الصلاة والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات
الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة الرتبة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهي التصدي لمنصب
الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلوات فالصلاة ينبغي أن لا يتركها
الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب
آفات منصب العلم علم أنها بالولايات أشبه وأن الحذر منها في حق الضعيف أسلم والله أعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال وأخذه
للتفرقة على المستحقين فإن في الإنفاق وإظهار السخاء استجلابا للثناء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات
فيها أيضا كثيرة ولذلك سئل الحسن رضي الله عنه عن رجل طلب القوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما
تعرفون من قلة السلامة في الدنيا كما فيه من الآفة وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ما يسرني أني أقمت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين
دينارا أتصدق بها أما إني لا أحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف
العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل لأنه يكون خيرا
متعديا كالنكاح وقال قوم الجلوس بدوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله وقال عيسى صلوات الله عليه يا
طالب الدنيا لتبر بها تركك لها أبر وقال أقل ما فيها أنه يشغله إصلاحها عن ذكر الله وذكر الله أفضل وأكبر وهذا فيمن سلم من الآفات
فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركها له أبدا والاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو
مثار الآفات والأحب أن يعمل ويدفع الآفة فإن عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل
ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تشير إلا بالشر وقلما
تستلذ الخير وتميل إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي وإثبات فهو موكول
إلى اجتهاد القلب لينظر لدينه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو
عين البخل ولا خلاف في أن تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب

أن الأفضل ترك الكسب والإنفاق أو التجرد للذكر لما في الكسب من الآفات فأما المال الحاصل من الحلال فتفرقته أفضل بكل حال من إمساكه
فإن قلت فبأي علامة يعرف العالم والواعظ أنه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم أن لذلك علامات إحداها
أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو أن يتمنى
لنفسه مثل علمه والأخرى أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى كما كان عليه فينظر إلى الخلق بعين واحدة والأخرى
أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الأسواق ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها وقد روي عن سعيد بن أبي مروان
أنه قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل المسجد
على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن رضي الله عنه فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى
نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها إليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين
الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن رضي الله عنه يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال
سعيد فقلت في نفسي لأبلون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزيد في كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن
هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من
كلامه وهو غير ملتفت إليه رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس وأشباهها
فاتخذوها حلقا وعادة فإنه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من
أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ
طفق فقام فجاء رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون أني رجل شيخ كبير وأني
أغزو فأكلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وإن لي ثلاثمائة درهم من العطاء وإن لي سبع بنات من العيال فشكا من حاله
حتى رق الحسن رضي الله عنه وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا
ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فإذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهابة وعلى البغال السباقة وإذا
أغزى أخاه أغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده فقام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن
رضي الله عنه فسعى به إلى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير فقام الحسن وأشفقنا عليه
من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغرا فاه يضحك إنما كان يتبسم فأقبل
حتى قعد في مجلسه فعظم الأمانة وقال إنما تجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الخيانة ليست إلا في الدينار والدرهم إن
الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن إلى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا إلى شرارة من نار إني أتيت هذا فقال أقصر
عليك من لسانك وقولك إذا غزا عدو الله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أغزاه كذا لا أبا لك تحرض علينا الناس أما إنا على ذلك
لا نتهم نصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني وركب الحسن رضي الله عنه حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير إذ التفت
فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء وإلا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات
وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا
الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح اعلم أن الرجل
قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة
فإذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده أو يصلي مع أنه كان لا يعتاد الصلاة بالليل أصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم
فيه أهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن أنه رياء وأن الواجب ترك الموافقة وليس
كذلك على الإطلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق
ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو يستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تندفع العوائق

والاشتغال في بعض المواضع فينبعث النشاط إذ قد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على وطاء
وثير أو تمكنه من التمتع بزوجته أو المحادثة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فإذا وقع في
منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته في الخير وحصلت أسباب باعثة على الخير كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا
عن الدنيا فإنه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فيتحرك داعية الدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره
الموضع أو بسبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد
دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه
أطايب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فإن الشهوات الحاضرة
عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوي الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة
الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فإنك تكون مرائيا إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على
صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لا سيما إذا كانوا يظنون به أنه
يقوم الليل فإن نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فإنك مخلص ولست
تصلي لأجلهم بل لله وإنما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه إلا على ذوي
البصائر فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لأنه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة
الله وإن كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى
هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلاة وهم لا يرونه فإن سخت نفسه
فليصل فإن باعثه الحق وإن كان يثقل ذلك على نفسه إن غاب عن أعينهم فليترك فإن باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة
في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم
وزوال غفلتهم بسبب إقبالهم على الله وقد يتحرك بذلك باعث الدين وتارة تنزع النفس إلى حب الحمد فمهما علم أن الغالب على قلبه
إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل لما يجده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك الكلام
وحده لما بكى وبكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه قساوة
القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه
هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا فإن لم يجد عند ذلك تقدير الاختفاء عن أعينهم فإنما خوفه من أن يقال إنه قاسي القلب فينبغي
أن يترك التباكي قال لقمان لابنه لا تُرِ الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن
أو الذكر أو بعض مجاري الأحوال تارة تكون من الصدق والخوف والحزن والندم والتأسف وتارة تكون بمشاهدة
حزن غيره وقساوة نفسه فيتكلف التنفس والأنين ويتحازن فذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك
فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرهها سلم له أجر بكائه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن
إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك
الزيادة رياء وهو محظور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله
فيدعو إلى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ
أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيي أن يقال إنه سقط من غير زوال
عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول
عقله فيسقط ولكن يسرع رجوعه فيجزع نفسه أن يقال إن حالته غير ثابتة وإنما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى
دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه

فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكئ على غيره يري أنه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطا ليظهر أنه ضعيف عن سرعة
المشي فهذه كلها مكائد الشيطان ونزغات النفس فإذا خطرت فعلاجها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا
على ضميره لمقتوه وأن الله مطلع على ضميره وهو له أشد مقتا كما روي عن ذي النون رضي الله عنه أنه قام وزعق فقام معه شيخ رأى فيه أثر
التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع
النفاق وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه
فإن ذلك قد يكون بخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة
وهي مع تقاربها مشتبهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فإن كان لله فامضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي
عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا لخوفك على الإخلاص فيها وأن
يتجدد لك خاطر فإن لحظ لك فيكفيك اطلاع الله عليك ومقته لك وكن كما قاله أحد الثلاثة النفر الذين حاجوا أيوب إذ قالوا يا
أيوب أما علمت أن العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس أني
أخشاك وأنت لي ماقت وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح
لك فيما أخلو سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي ومضيعا لما أنت مطلع عليه مني أبدي للناس أحسن أمري وأفضي إليك بأسوأ عملي
تقربا إلى الناس بحسناتي وفرارا منهم إليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك أعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال أحد
الثلاثة النفر لأيوب يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم
ولو عرفت مجمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليه ففي الخبر أن للرياء سبعين بابا وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض
حتى إن بعضه مثل دبيب النمل وبعضه أخفى من دبيب النمل السوداء وكيف يدرك ما هو أخفى من دبيب النمل إلا بشدة التفقد للقلب
والامتحان للنفس والتفتيش عن خدعها

بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه

اعلم أن أولى ما يلزم المريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى
اطلاعه على محاسن أحواله فإن كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للمقت
وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الإفشاء وتقول مثل
هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى بإخفائه
فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففي مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك
الآخرة ونعيم الجنة ودوامها أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم أن إظهاره لغيره
محبب إليهم وسقوط عند الله وإحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق ولا أجل
فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن ييأس عنه فيقول إنما يقدر على الإخلاص الأقوياء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة
في الإخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوج من المتقي لأن المتقي إن فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن
النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تسلم صار مؤاخذا بالفرائض وهلك به فالمخلط إلى الإخلاص أحوج وقد روى تميم
الداري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال يحاسب العبد يوم القيامة فإن نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له
تطوع أكمل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطرفيه فألقي في النار فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة
فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلوص النوافل وأما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فإن حبط
تطوعه بقيت حسناته فاضلة ترجح على السيئات فيدخل الجنة فإذا ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله
عليه ليصح نافلته ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله خائفا
أنه ربما داخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها

ورد عليه بسببها ويكون بهذا الشكر والخوف في دوام عمله وصدقه الا في ابتدا العقد فينبغي ان يكون متيقنا في ابتدائه انه مخلص ما يريد
بعمله الا الله حتى يصح عمله واذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية احبطت عمله
من ريا او عجب اولى به ولكن يكون رجاوه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل باخلاص وشك في انه هل افسده بريا فيكون رجا
القبول اغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والريا شك وخوفه لذلك الشك جدير بان يكفر خاطر
الريا ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله تعالى بالسعي في حوائج الناس وافادة العلم ينبغي ان يلزم نفسه رجا الثواب
على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجا الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافاة وحمد وثنا من المتعلم
والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة او مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه
او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن
خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع
هذا فقد تحذر العلما منه حتى ان بعضهم وقع في بير فجا قوم وادلوا الحبل ليرفعوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرا عليه
آية من القرآن او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي اهديت لسفيان الثوري ثوبا فرده علي
فقلت له يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي قال علمت ذلك ولكن اخوك يسمع مني الحديث فاخاف ان يلين
قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجا رجل الى سفيان ببدرة او بدرتين وكان ابوه صديقا لسفيان وكان سفيان ياتيه
كثيرا فقال له يا ابا عبد الله في نفسك من ابي شي فقال رحم الله اباك كان وكان فاثنى عليه فقال يا ابا عبد الله قد عرفت كيف
صار الي هذا المال فاحب ان تاخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده
علي فرجع فقال احب ان تاخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكانه كانت اخوته مع ابيه في الله فكره ان ياخذ ذلك قال
ولده فلما خرج لم املك نفسي ان جئت اليه فقلت ويلك اي شي قلبك هذا حجارة عدانه ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما
ترحم عيالنا فاكثرت عليه فقال لي يا مبارك تاكلها انت هنيا مريا واسال عنها انا فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الحمد لله
وثوابه ويتقي الثنا عنده لا عند العلم وعند الخلق ويتيقن ان له ان يرائي بطاعته لينال عند العلم رتبة فيتعلم منه
ويحفظ لان الدنيا عند الله بطاعة حسبه ان في اكل العلم رياسة ودنيا الا بعيد فكيف عنه احال ... على عمله
علم وذلك حبط بل ينبغي ان يتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه
طاعة فان العباد امروا ان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدمهما لطلب
لينال به منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلب الوالدين ايضا
واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلم الله ولا يخطر بقلبه معرفة الناس بزهده و
استعظامهم لمحله فان ذلك يغرس الريا في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته وانما سكونه معرفة الناس باعتزاله و
استعظامهم لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابراهيم بن ادهم رضه تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت
عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم انت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك الى
هذا قلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي بحذائك
قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة
ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك
او ازيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى لي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الدير فقد راوا ما ادليت
اليك فلما دخلت الدير اجتمع النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به نحن احق به
فقالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطوني عشرين دينارا قال اخطات لو ساومتهم بعشرين الفا لاعطوك هذا عز من

لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب والمجي والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في
القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة
واحدة فلو تغيروا عن اعتقاده لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهية ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه
وانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير
فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهية العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون اليه يرجى ان لا يخيب سعيه
الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كيلا ينبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون
شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها في دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو انه لو علم
ان انقباضهم عنه انما حصل بان يعدو سريعا او ياكل كثيرا او يضحك فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح به وسمحت بالعبادة فسببه ان
مراده الثنا عندهم ... ولا ينجو من ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله ثم يعمل عمل من لو كان على وجه الارض
وحده لكان يعمله ولا يلتفت قلبه الى الخلق الا التفاتا ضعيفا يسهل عليه ازالته فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق و
علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والآخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا
كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنيا اكثر فهو مراي
او طامع والا فالنظر الى الفقرا يزيد في رغبة الآخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنيا بخلافه فكيف استروح الى النظر الى الغني اكثر
مما يستروح الى الفقير وقد حكي انه ما رئي الاغنيا في مجلس اذل منهم في مجلس الثوري كان يجلسهم ورا الصف ويقدم الفقرا حتى كانوا
يتمنون انهم فقرا في مجلسه نعم لك زيادة اكرام للغني اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون
بحيث لو وجدت تلك العلاقة مع فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني فايثارك له
لا يكون الا طمعا في غناه وريا له ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهر للفقير وانما ذلك
ريا خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة قالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان
اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها في هذا
الفن لا تحصى ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات
منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه
سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك
جالس الاطبا وحالف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه
كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الآلام والاوجاع
عليه وادا ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دوا تفكر فيما يستفيده منه من
الشفا الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هني وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فيخف عليه هجر اللذات ومصابرة
المكروهات فكذلك المومن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل ما يهلكه في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزا منها بالقليل
واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب الله فيهلك ورجا ان
ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله ابد الآباد ثم علم
ان الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤوفا وعليهم عطوفا ولو شا لاغناهم عن التعب ولكن
اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا احتمل التعب في بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعبا
وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات
ويتولى سياسته وتقويته ويمده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت

اليه ودنا ما هو سبيل لنيل الشوق الى لقائي وانا الى لقائهم لاشد شوقا فليطهر العبد في الدنيا قلبه بصدقه واخلاصه فلا يعود منه الا على الترتيب بما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته والله اعلم واحكم

كتاب ذم الكبر والعجب

وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع القادر الذي بهر ابصار الخلق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستيلاؤه واستعلاؤه واستعلاؤه وحصر السن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست اسماؤه والصلاة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى آله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه وسلم كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المهلكات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب الشطر الاول من الكتاب في الكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ماهية الكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم

بيان ذم الكبر قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من ايمان وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما القيته في جهنم وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله في النار على وجهه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود صلوات الله عليهما يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة وقال صلى الله عليه وآله وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن

ثابت انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان نوحا صلوات الله عليه لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى لكانت ارجح منهما ولو ان السموات والارضين وما فيهما كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لفصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان احبكم الينا واقربكم منا في الآخرة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وآله وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة اهل النار وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول

الآثار قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد قيل في قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن علي رضي الله عنهما ما دخل قلب امرئ من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سلمان رضي الله عنه عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالي وفخوخا وان من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله

بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينظر الله الى رجل جر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وآله وسلم بينما رجل يتبختر في بردته اذ اعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال عليه السلام من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وآله وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان

الآثار عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق انت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بامر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله ان يمشي

احدهم طبعه ان يتبختر يخلج الجنون في كل عضو منها عضاية لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم ذلك فرجع يعتذر اليه فقال لا
تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله تبارك وتعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر
بالحسن رضي الله عنه شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله كان القبر قد وارى بدنك وكانك قد لاقيت
عملك ويحك داو قلبك فان مراد الله الى العباد صلاح قلوبهم وروي ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حج قبل ان يستخلف
فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم
لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه فقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها
بمائتي درهم واما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشياطين اخوانا كررها مرتين او ثلاثا
ويروى ان مطرف بن عبد الله الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال
له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال
مجاهد رضي الله عنه ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضل التواضع

بيان فضيلة التواضع

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما زاد عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من
احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وآله وسلم
طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة
المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندنا بقبا وكان صائما فأتيناه عند افطاره بقدح من لبن
وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال
اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله
وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما
دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فخذه ثم قال اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل
حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وآله وسلم خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي
من الملائكة جبرئيل فرفعت رأسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله عليه انما اقبل صلوة من
تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال صلى الله عليه
وآله وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب
المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين
ينظرون الى الله عز وجل يوم القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن
صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم اربع لا يعطيهن
الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى جنبه وقال
اني ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنأة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه ما لي لا ارى عليكم
حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا
لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار الآثار قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله
حكمته وقال انتعش نعشك الله واذا تكبر وعدا طوره رهصه الله الى الارض وقال اخسأ اخساك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس
حقير حتى لهو احقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت

الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي رضي الله عنه فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في
الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة يا جرير اتدري ما ظلمة النار يوم القيمة قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم
بعضا في الدنيا وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون افضل العبادة التواضع وقال يوسف بن اسباط رضي الله عنه يجزي قليل الورع من
كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته
من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك رضي الله عنه راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك
في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك
فضل وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيمة وقيل اوحى الله الى عيسى
صلوات الله عليه اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها
لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله
ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان
اي الرجال افضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هارون فقال يا امير المؤمنين
ان تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المؤمنين ان امرأ آتاه الله جمالا في خلقته وموضعا
في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص اولياء الله فدعا هارون بدواة
وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود صلوات الله عليهما اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى
المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك
الفقراء في الثياب المرتفعة ويروى انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال الحسن اتدرون ما التواضع التواضع
ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رأيت له عليك فضلا وقال مجاهد رضي الله عنه ان الله لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت
وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال ابو سليمان ان الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم
يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام وقال يونس بن عبيد رحمه الله عليه وقد انصرف من عرفات لم
اشك في الرحمة لولا اني كنت معهم اني اخشى انهم حرموا بسببي وقال اعلى ما يكون المؤمن عند الله اوضع ما يكون عند نفسه وادنى
ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميري رحمه الله الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار
لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان احد يسبقني الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ ابن المبارك
قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال موسى بن القاسم رحمه الله عليه كانت عندنا زلزلة
وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل رحمه الله فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم
قال فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي رضي الله عنه
فقال له ما انت وكان هذا دابه وعادته فقال انا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي اباداك الله او تجعل لنفسك مكانا وقال
الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود ويقال من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن ابي الفتح بن شخرف قال رأيت
علي بن ابي طالب عليه سلام الله في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم
في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمان رحمه الله لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه
وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل له فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا
وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي
ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد رحمه الله التواضع احد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى
بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذي الكبر عليك بماله تواضع وقيل

التواضع في الخلق كلام حسن وفي الاغنياء احسن والكبر في الخلق كلام قبيح وفي الفقراء اقبح وقال لا عز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا امن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال ابو علي الجوزجاني النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت نار الحسد في نفسه ادركتها النصيحة مع توفيق الله تعالى واذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركتها القناعة مع عون الله عز وجل وعن الجنيد انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يكون في آخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتأمله فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذه بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافي يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك رضي الله عنه فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان رضي الله عنه فقال سلمان لكنني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم آتي الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال ابو بكر رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع

بيان حقيقة الكبر وآفته

اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه ولا يستحقر غيره ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه احقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاث يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء ولذلك قال عمر اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استأذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح فكأن الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف من مساواته ويتقدم عليه في مضايق الطرق ويرتفع عليه في المحافل وينتظر ان يبدأه بالسلام ويستبعد تقصيره في قضاء حوائجه ويتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كأنه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا

والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى احصائها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم المتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج سأصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال عيسى صلوات الله عليه ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الا ترون ان من شمخ براسه الى السقف شجه ومن طأطأ اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس

بيان المتكبر عليه ودرجاته واقسامه وثمرات الكبر فيه

اعلم ان المتكبر عليه هو الله او رسله او سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة اقسام القسم الاول التكبر على الله وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمروذ فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسول كما حكى الله عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وقالوا لولا انزل عليه ملك وقال فرعون فيما اخبر الله عنه او جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا قال وهب قال له موسى صلوات الله عليه آمن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله تعالى وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما اخبر الله عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ قالوا غلام يتيم فكيف بعثه الله الينا فقال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا وقال تعالى

ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا
الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة
الحياة الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من
الاشرار قيل يعني عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله
عليه وآله وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله والتواضع لرسوله القسم الثالث
التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم
ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلا لا يليق
الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق بحاله الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله في
صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما
اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري و
الكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر
على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر
بما حق الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم يبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد
بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله نعم الفرق بين هذه المنازعة
وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك
الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف
من قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد
المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك
من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون
وكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ
كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رحمه الله انه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل
يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي امره كبرا وقال ابن
مسعود رضي الله عنه كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وآله وسلم لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذن تكبره على الخلق عظيم لانه
سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكى من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه
قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به وكان مبداه الكبر على آدم صلوات الله عليه
والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله وكان ذلك سبب هلاكه ابد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ ساله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر هو قال صلى الله عليه وآله وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق
وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله وغمص الناس اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه
الآفة الاولى وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية وهذه الآفة الاولى وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية وسفه الحق هو رده وهي
الثانية فكل من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن

انف ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله ورسله

بيان ما به التكبر

اعلم انه لا يتكبر الا متى استعظم
نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي فالديني هو العلم والعمل
والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك
قال صلى الله عليه وآله وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه
ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدءوه بالسلام فان بدأ احدا منهم بالسلام او رد عليه ببشر
او قام له او اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه
ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم
من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كانهم عبيده او اجراؤه وكان تعليمه العلم صنيعة منه اليهم ومعروف
لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا اما في امر الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف
عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف
الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلم
يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ويقتضي ان يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله تعالى عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة
العلم ولهذا قال ابو الدرداء رضي الله عنه من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا
فاعلم ان لذلك سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا وانما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد نفسه وربه وخطر امره في
لقاء الله تعالى والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك
كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها امتلأ كبرا
ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع
غالبا السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيء الاخلاق فانه لم يشتغل اولا بتهذيب نفسه و
تزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه
منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه
الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدرها وهممها واهوائها
فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع
جهله فازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولذلك
قال الله تعالى لنبيه واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه
فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه العباس يكون قوم يقرءون
القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك
هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استأذن تميم الداري عمر في القصص فأبى
ان يأذن له وقال انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم ان اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ
الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا فاني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا
كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال له عالم ثم انه لا يحركه
عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه
واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح آخر
الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف

والحزن على ما فات من الفضل فهكذا كانت هيئة المقدمين والاعزين ولذلك بشّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله سيأتي على
الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا لكان معذورا بان ضعفتم والعبادة بالله وبطل البأس والتوظ معا لحر عليه من سوء
اعمالنا وعن لنا انه بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشيره فنسأل الله ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا
قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله الثاني العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد
ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس
بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسيع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في
حق العلماء وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين فهو انه يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما
رأى ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه
مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا
يرجو لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم
كأنه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم بعينه ان
ينقله الله الى حد الاهمال كما روي ان رجلا في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني
اسرائيل وكانت على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو
جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عني
فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة
الى رأس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا منه
فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ
على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتألي علي بل انت لا يغفر الله لك واذ كان كذلك
ربما حتى ان صاحب الصوف ويرى صاحب الصوف الفضل لنفسه عليه ويخرج لآفة انهم فما ينفك عنه العابد وهو انه لو
استخف به مستخف او آذاه مؤذ استبعد ان يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر
ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر واغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم
الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه ولا يقام منه نعم اذا رئيت نكبات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرفت جماعة
آذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم ان الله امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل اسلم بعضهم
فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه في
سنة الله ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء
السلمي حين كان تهب ريح او تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه
من عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه
مزدر لعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشياطين ثم انه يمتن على الله بعمله ومن
اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد العبد عن الله حكمه
لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان رجلا ذكر بخير
للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه سفعة من الشيطان
فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس

في القوم افضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا
ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر
مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه
شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار
على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه
كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في
الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى يطأطأ ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلب قال صلى الله عليه وآله وسلم التقوى ههنا وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحارث بن
جزء الزبيدي رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعجبني من القراء كل طلق ضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك
بعبوس يمن عليك بعلمه فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى بذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم واخفض جناحك
الآية وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم واحوالهم اخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى
والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول في معرض
التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا وكذا
ولا انام الليل واختم القرآن كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسوء فهلك ولده
او اخذ ماله او مرض او ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان
يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف النفس الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال
غيره اجهد منه او اقوى منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ
فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو انه يجتهد
في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة
وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتقدم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على
من اخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه
فهذه اخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف هذه
الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم
نفسه ويتكبر على غيره وهو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر
فالعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم
يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل الثالث التكبر بالحسب
والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موال
وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك
وانا فلان ابن فلان واين لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وان
كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي
ذر فقال يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ
على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل وانظر كيف
تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا

عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم افتخر رجلان
عند موسى صلوات الله عليه فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل كل
التسعة التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحماً في جهنم
أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدوف بآنافها القذر الرابع التفاخر بالجمال وذلك أكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى
التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وآله
وسلم فقلت بيدي هكذا أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اغتبتها وهذا منشأه خفي الكبر لأنها لو كانت أيضاً قصيرة
لما ذكرتها بالقصر فكأنها أعجبت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت الخامس الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في
خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول
له أنت مكدي ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك ولاستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع
مالك وأنا أنفق في اليوم ما تأكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك لجهله بآفة الغنى و
فضيلة الفقر وإليه الإشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً حتى أجابه وقال إن ترن أنا أقل منك مالاً
وولداً فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً
وكان ذلك منه تكبراً بالمال والولد ثم بين الله عاقبته بقوله يا ليتني لم أشرك بربي أحداً ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى فخرج على قومه
في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون الآية السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف السابع
الكبر بالأتباع والأنصار والتلامذة والغلمان والعشيرة والأقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في
المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمالاً وإن لم يكن في نفسه كمالاً أمكن أن يتكبر به حتى إن المخنث ليتكبر على
أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين لأنه يرى ذلك كمالاً فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلا نكالاً وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب
وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئاً فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر
من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به أو على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله كالعالم الذي يتكبر بعلمه
على من هو أعلم منه لظنه أنه الأعلم ولحسن اعتقاده في نفسه **بيان** البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له اعلم أن الكبر خلق باطن وأما
ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرتها ونتيجتها وينبغي أن تسمى تكبراً ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية
قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سيأتي معناه فإنه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه
استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما أما السبب الذي في المتكبر
فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فيصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد
والحسد والرياء أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال وأما الحقد فإنه
قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقداً ورسخ
في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقاً للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من
الأكابر لحقده عليه أو بغضه له ويحمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأنفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن
علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه ولا يعتذر إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فإنه أيضاً يوجب البغض
للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضاً إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكم من
جاهل يشتاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسداً وبغياً عليه فهو يعرض عنه
ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه
فوقه وأما الرياء فهو أيضاً يدعو إلى أخلاق المتكبرين حتى إن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد

ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء
ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضاً عند الخلوة مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك
قد ينتمي إلى نسب شريف كاذباً وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه
في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطناً بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب
ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين وكأن اسم المتكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب و
النظر إلى الغير بعين الاستحقار وهو إن لم يسم إلا متكبراً فلأجل التشبه بأفعال الكبر **بيان** أخلاق المتواضعين و
مجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزراً وإطراقه رأسه وجلوسه متربعاً ومتكئاً
وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الإيراد ويظهر في مشيه وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي تعاطيه لأفعاله
وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها أن يحب
قيام الناس له أو بين يديه وقد قال علي رضي الله عنه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه
قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون
من كراهيته لذلك ومنها أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه قال أبو الدرداء رضي الله عنه لا يزال العبد يزداد من الله بعداً ما مشي خلفه
وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يعرف من عبيده إذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري
رحمه الله فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم
بالتقدم ويمشي في غمارهم إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله
بالخلق لمعنى في الخميصة ومنها أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روي أن سفيان
الثوري قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن أدهم رحمه الله أن تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا أبا إسحاق تبعث إليه بمثل هذا فقال
أردت أن أنظر كيف تواضعه ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست
إلى عبد العزيز بن أبي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فأخذ بثيابي فجرني إلى نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة
وإني لا أعرف منكم رجلاً شراً مني وقال أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا ينزع يده
منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها أن يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أصحابه يأكلون فما جلس عند أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
جنبه وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوماً ولا أبرص ولا مبتلى إلا أقعدهم على مائدته ومنها أن لا يتعاطى بيده
شغلاً في بيته والتواضع خلافه روي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم
إلى المصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأنبه الغلام قال هي أول نومة نامها فقام وأخذ البطة وملأ
المصباح زيتاً فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر وخير الناس من كان عند الله
متواضعاً ومنها أن لا يأخذ متاعه ويحمله إلى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك
وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلاً له من خشب إلى الحمام وقال
ثابت بن أبي مالك رأيت أبا هريرة رضي الله عنه أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسعوا الطريق للأمير يا ابن
أبي مالك وعن الأصبغ بن نباتة قال كأني أنظر إلى عمر معلقاً لحماً في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله
وقال بعضهم رأيت علياً اشترى لحماً بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين قال لا أبو العيال أحق أن يحمل ومنها اللباس
إذ يظهر به التكبر والتواضع وقال صلى الله عليه وآله وسلم البذاذة من الإيمان قال هارون رحمه الله سألت معناً عن البذاذة فقال
هي الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رضي الله عنهما رأيت عمر بن الخطاب خرج إلى السوق وبيده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة

بعضهم ان ادم ويعقوب على بعضهم في الارض تواضع فقال يبتدئه الموت اي لا اغسل ثوبي جديدا والكفن لي اذا ما مت ويروى
ان عمر بن عبد العزيز رضه كان قبل ان يستخلف يشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان
يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا ذواقة تواقة
وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله عز وجل
وقال سعيد بن سويد رضه صلى بنا عمر بن عبد العزيز رضه الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له
رجل يا امير المؤمنين ان الله قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع راسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وان افضل العفو
عند القدرة وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لوجهه كان حقا
على الله ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى صلوات الله عليه جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه
واله وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب
الجديد ليس من ضرورته ان يكون من الكبر في حق كل واحد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهو الذي
عرفه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي الجمال فعرف ان ميله الى النظافة وجودة
الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون
من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا رآه الناس ولم يبال اذا انفرد بنفسه كيف يكون وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال
في كل شيء ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال انزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال
على ان قوله هو خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه واله وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر
لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون موروثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي
لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال صلى الله عليه واله وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف
ولا مخيلة ان الله تعالى يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك وامتوا قلوبكم بالخشية
وانما خاطب بهذا قوما يطلبون الكبر بثياب اهل الصلاح وتقويهم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك وامتوا قلوبكم
بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل عن السلف من
احتمال الاذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
فيه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابو سلمة قلت لابي سعيد الخدري رضه ما ترى فيما احدث الناس من
الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة
فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل
البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيى ويشتري الشيء من السوق
ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله ويسلم مبتدئا على كل من استقبله صغيرا وكبيرا اسود واحمر حرا وعبدا من اهل الصلاة ليس
له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل
لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك محزون
من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم
الاطراق لم يبشم قط من شبع ولم يمد يده الى طمع وقال ابو سلمة فدخلت على عائشة رضوان الله عليها ام المؤمنين فحدثتها
بما قال ابو سعيد رضه فقالت ما اخطأ حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم يمتلئ قط شبعا
ولم يبث الى احد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه
ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت

رحمة له مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع
فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم
واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا
في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة رضوان الله عليها فما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله
فما نقل من احواله صلى الله عليه واله وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله
صلى الله عليه واله وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين ولا عز ولا
رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضه انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند
دخول الشام وقال ابو الدرداء رضه اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم
قوما من امة محمد صلى الله عليه واله وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية
وسلامة الصدور لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر بحلم ولب وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم
لنفسه وهم اربعون صديقا منهم ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى
قد انشأ من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على
الدنيا هم اطيب الناس خيرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية
وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد
ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدرداء
ما سمعت بصفة اشد علي من تلك الصفة وكيف لي ان ابلغها قال ما بينك وبين ان تكون في اوسطها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا
ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله تعالى من عبد حسن
الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
قال يحيى بن ابي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله تعالى وطلب مرضاته والله اعلم **بيان** الطريق في معالجة الكبر
واكتساب التواضع اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة
واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما استئصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسه في القلب والثاني دفع
العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره **المقام الاول** في استئصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم
الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل
من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله
تعالى اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه فهو ايضا يطول ولكنا نذكر منه
ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة من كتاب الله تعالى فان في القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت
بصيرته وقد قال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا
شاء انشره فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان والى آخر امره والى وسطه فلينظر الانسان الى ذلك ليفهم معنى هذه الآية
اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول واي شيء اخس واقل من المحو
والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله تعالى من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
ثم جعله عظاما ثم كسا العظام لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف
والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم
فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه

وبين قد اغناه ويجوع قد قدرة بهذا معنى قوله من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره ومعنى اماته الى
تيسيره في مدة حياته الى الموت ولذلك قال من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد
ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل
وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد
الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم
ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله
كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا
بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان
من ذاته لا شيء واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة
القذرة بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف به ربه ويعلم به عظمته وجلاله وانه لا يليق
الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك
نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل
كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخس
الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه
سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والبلغم والريح
والدم يهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه
نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى الشيء فيغفل عنه فلا يغفل
ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشتهي الشيء
وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه ولا يأمن في
لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر
ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا
جهله فهذا وسط احواله فليتأمله واما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب
روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس
فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر
عظامه فيصير رميما ورفاتا ويأكل الدود اجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر اجزائه فيصير روثا في
اجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما
كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كان لم يغن بالامس حصيدا
كما كان في اول امره امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء فيخرج
من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وارض مبدلة وجبال
مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف
منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها
ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به او تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك

واحصاه الله عليك فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل ان تنتشر
الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا آخر امره
وهو معنى قوله ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله والتكبر والتعظم بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والاشر فقد ظهر له اول حاله
ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا او يلقى
عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن
الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو رأى اهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته
ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا
حاله في العاقبة الا ان يعفى عنه وهو على شك من العفو فكيف يبطر وكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا واي عبد لم يذنب
ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله ارأيت من جنى على بعض الملوك بما استحق به الف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر
الى ان يخرج الى العرض ويقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر
على من في السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه ذلك حزنا
وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القامع لاصل الكبر واما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله ولسائر
الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
حتى انه كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا
عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشارة الى العتق في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله
ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع
بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأنفون من الانحناء وكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لاخذه
وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة امروا به لينكسر بذلك
خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه
التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب
لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفاء العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك
وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت **المقام الثاني** فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا
في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر
ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة
امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل **شعر** لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا
فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل
لي ومن انت وانما انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي من بول انسان اشرف من الدودة التي من بول فرس هيهات
بل هما متساويان والشرف للانسان لا للدودة الثاني هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة
وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه
انتسابه اذ يقال يا اذل من التراب ويا انتن من الحمأة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فيقول
افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب

فمن أين رفعته وإذا لم يكن له رفعة فمن أين جاءت الرفعة لولده فإذا أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذا
غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والفصل يغسل منه الأبدان فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب
ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل
فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قولهم أنه ابن هندي حجام يتعاطى القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه
فلم يبق له شك في صدقهم أفترى أن ذلك يبقي شيئا من كبره بل يصير عنده أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعاره الخزي لخسته
في شغل عن أن يتكبر على غيره فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب إذ لو كان أبوه ممن
يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم فكيف إذا عرف
أنه في نفسه من التراب والدم والأشياء القذرة التي يتنزه عنها هو في نفسه السبب الثاني التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر
إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فإنه وكل
به الأقذار في جميع أجزائه الرجيع في أمعائه والبول في مثانته والمخاط في أنفه والبزاق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في
مثانته والمخاط في أنفه والبزاق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت إبطه يغسل
الغائط كل يوم دفعة أو دفعتين بيده ويتردد كل يوم مرة أو مرتين إلى الخلاء ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن أن يمسه أو يشمه كل
ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الأقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى
الأقذار إذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال أنس رضي الله عنه كان أبو بكر
الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر إلينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين وكذلك قال طاوس رضي الله عنه لعمر بن عبد العزيز
رحمهما الله ما هذه مشية من في بطنه خرء إذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلافته هذا أوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف
والغسل لثارت منه الأنتان والأقذار وصار أنتن وأقذر من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط فإذا نظر أنه خلق من أقذار
وسكن في أقذار وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الأقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الأزهار في البوادي
فبينما هو كذلك إذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح
إذ لم يكن قبح القبيح إليه فينفيه ولا كان جمال الجميل إليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال بصدد أن يزول بمرض أو جدري
أو قرحة أو سبب من الأسباب فكم من وجوه جميلة قد امتحنت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر
بالجمال لمن أكثر تأملها السبب الثالث التكبر بالقوة والأيدي ويمنعه من ذلك أن يعلم ما سلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو وجع عرق
واحد على بدنه لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو توجع عرق واحد على بدنه لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل
وأنه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وأن بقة لو دخلت أنفه أو نملة لو دخلت أذنه لقتلته وأن شوكة لو دخلت رجله لأعجزته
وأن حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يفتخر
به ثم إن قوي الإنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقر أو فيل أو جمل وأي افتخار في صفة يسبقك فيها البهائم السبب الرابع الغنى
وكثرة المال وفي معناه السبب الخامس وهو كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك
تكبر بمعنى خارج عن ذات الإنسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا أقبح أنواع الكبر فإن المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات
فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فإن
تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في
الغنى والثروة والتجملات فأف لشرف يسبقك به اليهودي وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب
ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس إليك فليس لك
وشيء من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهب إن أبقاه بقي وإن استرجعه زال وما أنت إلا عبد مملوك لا يقدر على شيء ومن عرف ذلك

لا بد وأن يزول كبره ومثاله أن يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه إذ شهد عليه
شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاءه مالكه فأخذه وأخذ
جميع ما في يديه وهو مع ذلك يخشى أن يعاقبه وينكل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف أن له مالكا ثم نظر العبد
فرأى نفسه محبوسا في منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحد منها وقد بقي لا يملك
نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أفترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكماله أم يذل في نفسه ويخضع
وهذا حال كل عاقل بصير فإنه يرى نفسه كذلك فإنه لا يملك رقبته وماله وبدنه وأعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات و
أمراض وأسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة
فهذا طريق علاج الكبر بالأسباب وهو أهون من علاج الكبر بالعلم والعمل فإنهما كمالان في النفس جديران بأن يفرح بهما ولكن
في التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره السبب السادس التكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الأدواء وأبعدها عن قبول
العلاج إلا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال
وغيرهما بل لا قدر لهما أصلا إلا إذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب إن للعلم طغيانا كطغيان المال ولذلك قال عمر رضي
الله عنه العالم إذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة ما نطق به الشرع من فضائل العلم ولن
يقدر العالم على دفع الكبر إلا بمعرفة أمرين أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من
العالم وأن من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته أفحش إذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون ما لك فيقول
كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا
التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا أراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس رضي الله عنه أوتي بلعم كتابا فأخلد إلى شهوات الأرض أي سكن حبه إليها فمثله بالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي سواء
آتيته الحكمة أو لم أوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فأي عالم لم يتبع شهوته وأي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فمهما
خطر للعالم عظم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فإن خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره
أعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فإنه إذا أخذ وقهر اشتهى أن يكون قد كان فقيرا
فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فإنه إن كان من أهل النار فالخنزير أفضل
منه فكيف يتكبر فلا ينبغي أن يكون العالم أكبر عند نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني أمي ويأخذ الآخر
تبنة من الأرض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر يا ليتني كنت طيرا أؤكل وكل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون
أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما أطال الفكر في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كأنه شر
الخلق ومثاله العبد أمره سيده بأمور فشرع فيها فترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها كما
يرتضيه مولاه أم لا فأخبره مخبر أن مولاه أرسل إليه رسولا يخرجه عن كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا
طويلا حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وفتش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم
لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري أنه من أي الفريقين يكون
فإذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون من شفعائه
عند نزول العذاب به فكذلك العالم إذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحقد
والحسد والنفاق والعجب وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة الأمر الثاني أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق
إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له إن لك عندي

فقد ظلم نفسه فقد اذا رايت لنفسك فتنة لا خلاص لك الا بان يخلف نفسه لمحب مولاه ويذيل الكبر عن قلبه
والعاقل يستيقن انه لا ذنب له سواه ان تصور ذلك ويتحقق ان الكبر عن ذلك الدنيا اذ على ان من نازع الله في رداء الكبر قصمه
وقد اقسم الله بان يستصغروا انفسهم حتى تعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع للحالة فان قلت فكيف يتواضع
للفاسق الظاهر الفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم وعابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله وكيف
يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم انك انما يمكنك ذلك بان تتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر
الى الكافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله
في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه
فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر رضي الله عنه فالعواقب مطوية عن العباد
ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة فاذن من حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال
انه عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم قال هذا قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير
هو اكبر منه قال هذا قد اطاع الله قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى
مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه فليس دوام الهداية اليّ كما لم يكن ابتداؤها اليّ فملاحظة
الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم بان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له
نعم هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغولا بخوف عاقبته
لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشغل كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة في جناية واوعدوا بان
يضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد منهم هم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان
كل واحد وحده في مصيبته وخطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك
اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق
بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن
في نفسه وهو ظان انه قد غضب لله كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر عنه
ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب
واحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك من هذا ان يكون الحاضر على قلبك
عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او امرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك و
خطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني ان تكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح
من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة
ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع
هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك ان تغضب له لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك
هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس
من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو في رعايته
وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره ان يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا
محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما رأى ولده قد اساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه لانه امره ولانه يريد التقرب بامتثال
امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيغضب لاجله ويغضب من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه
فوق قدر نفسه لان الولد اعز من الغلام لا محالة فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان

تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدره عند الله في الآخرة اعظم من قدرك لما سبق له من الحسنى في الازل ولما سبق لك من
سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك تغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون
اقرب منك في الآخرة وهكذا يكون بعض العلماء الاكياس فيضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما
يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته
بحكم الامر السبب السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله في ان يلزم قلبه التواضع لسائر
العباد هو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي
الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له أما عرفت ان الحسنات يذهبن
السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار
بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل وجب عليه ان يتواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي ان يكون
للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى الله عليه وآله وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك
كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيه فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق
ولعل ما يحسبه هينا وهو عند الله عظيم معصيته واذا كان هذا ممكنا فله ان يكون على نفسه خائفا فاذن لكل واحد من العالم والعابد
خائف على نفسه وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من
الكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم ينقسمون في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على
المستورين فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله تعالى واما المكشوف حاله فان لم يظهر لك من الذنوب الا ما يزيد على
ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان يتكبر عليه ولا يمكن ان يقول هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك في طول العمر لا يهتدي
الى احصائه حتى يعلم الكثرة ثم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد كالزنا والسرقة والقتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي ان يتكبر اذ ذنوب
القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله عز وجل وتخيل الخطأ فيه كل ذلك شديد عند الله
فلعله جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى على الفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب
من حب الله والاخلاص والخوف وتعظيم ما استخار عنه وقد كفر ذلك سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيامة وتراه فوقك بدرجات
فهذا ممكن ولا كان البعيد فيما عليك ينبغي ان تكون بل تعاقد كان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف
في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل
عن الكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه رضي الله عنه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعا
حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان
فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى ان
يلحق به وان رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه الا خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا
ادري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال وبري ظاهر فذلك شر لي فلا يأمن فيما
اظهر من الطاعة ان يكون دخلها الآفات فاحبطها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوّز ان يكون
عند الله شقيا وقد سبق القضاء بالازل بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلبه الخوف رأى كل احد خيرا من نفسه
وذلك هو الفضيلة كما روي ان عابدا آوى الى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فسأله عن عمله
فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله بعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله
فاتي في النوم ثانيا وقيل له ائت الاسكاف فقل له ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فسأله فقال له ما رأيت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو

والملك انما كان العابد منه والمزيد له على فضيلته من فضله وكرمه في تعظيمنا اولى وعليهم ودخله اى يؤتون الطاعات وهم على عظيم من سوءها وقال الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله الملائكة مع تنزههم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدوام بالاشفاق فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشية ربهم مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر بما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعند هذا لا ينبغي ان يكتفى في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل بالعمل ويجرب بافعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة **الامتحان الاول** ان يناظر في مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما العمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وليطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها واذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملا فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب بان منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان **الامتحان الثاني** ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين التكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن **الامتحان الثالث** ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر **الامتحان الرابع** ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعللها المهلكة له ان لم تتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك من يكفيك ذلك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة او الشيء فقد برئ من الكبر **الامتحان الخامس** ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملا رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه واله وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال صلى

الله عليه واله وسلم انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني ويروى ان ابا موسى الاشعري رضي الله عنه قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة وصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملا فهو رياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن يتاخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لاقرانه ولمن قرب منه درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره فاذن سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية وان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التخاسس والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان اخلاق الكبر والتواضع

الشطر الثاني من الكتاب في العجب

وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب وآفاته اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه واله وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ذكر ذلك في معرض الانكار وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك في اثنتين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فمن ههنا جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم قال ابن جريج رضي الله عنه معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ورمى طلحة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوم احد بنفسه فاكب عليه حتى اصيبت كفه فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك فيه عمر رضي الله عنه فقال ما زال يعرف في طلحة نأو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والنأو هو الكبر في اللغة الا انه لم ينقل فيه انه اظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس رضي الله عنه اين انت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان مثلهم لا يتخلص عن العجب فكيف يتخلص الضعفاء ان لم ياخذوا حذرهم وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما

احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب
فجعل العجب اكبر من الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا رأوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فاطال
الصلوة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلوة قال لا يعجبك ما رأيت مني فان ابليس قد عبد الله مع الملائكة مدة
طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة رضوان الله عليها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال الله لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا

بيان آفة العجب اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر
ومن الكبر آفات كثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعضها لا يذكره
ولا يتفقده لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يذكره منها فيستصغرها ولا يستعظمها ولا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن
انها تغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم
اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية
عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر
الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب
الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برأيه وعلمه وعقله منع ذلك عن الاستفادة وعن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه
وبرأيه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالرأي والخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر
غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رأيه في امر دنيوي
فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن
واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من
آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وقد استغنى وهو الهلاك الصريح
الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما اعلم ان العجب انما يكون بوصف كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه
في علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما ان يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى
ان لا يكون خائفا من زواله ولكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب
وله حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة ورفعة
وخير لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله
بانه منه فمهما غلب على نفسه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها زال العجب بذلك عن نفسه فاذن العجب هو استعظام النعمة والركون اليها
مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في
الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه
على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات او استبعد
تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلوة المدل لا ترتفع
فوق رأسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب
ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة
دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو
العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه

بيان علاج العجب على الجملة اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها
بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فنقول لفظ ان المعجب به ان كان داخلا تحت اختيار العبد كالعبادة
والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره
ولا يراه من نفسه فلا يخلو اما ان يكون مثل الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه ومن حيث
انه سببه وبه وبقدرته وقوته فان كان يعجب من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل
مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل
وبقدرته وقوته تم فينبغي ان يتأمل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان
كل ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله
اذ افاض عليه ما لا يستحقه وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم
لا لصفة فيه ولا وسيلة ولا جمال ولا خدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق واعجابه
بنفسه اي ما سببه ولم ينبغي ان يعجب بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد ويقول الملك حكيم عليم عادل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر
الا لسبب فلولا انه تفطن في الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الايثار بالخلعة كما آثرني فيقال له وتلك الصفة هي ايضا
من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غير ان خص بها غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن
لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس
والعبيد فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطي احدهما بعد الآخر
واذا كان الكل منه فينبغي ان تعجب بجوده وفضله لا بنفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا
يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المتفرد باختراع الجميع المتفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان
اعجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فسيقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما
نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك
وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسبابها فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان
كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي
واني انا عملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن
اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب منه فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والآخر
فيه مسامحة اما الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق
اعضائك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من هذا عن نفسك
لم تقدر ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق
الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق الارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم
فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من
خلق الله سيأتي تحقيقه في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة وهو
انك تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود علمك وارادتك وقدرتك وسائر
اسباب عملك وكل ذلك من الله لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحها وهذا المفتاح بيد الله تعالى وما لم يعطك المفتاح
فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله لا محالة ارأيت
لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحولها الوف سنين لم يمكنك ان
تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك

عليها وبكيك بهما فقدت اليد واخذ منها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح او بما اليك من مد اليد واخذه فلا تشك في انك ترى
ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد باخذ المال قريب انما الشان كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت
الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل
بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجايب ان تعجب بنفسك
ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق
وصرفها عنك وسلط اخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف
عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة
سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك
اذ عرفت ذلك فاذن لا ينصرف الى المعقول الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى
الفعل ان كنت فاعلا فاعجب به لا بك والمنة له لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما
يستبين لك انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول
كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض على هذا نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المغرور
انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الغني يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى
وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني احدهما والى هذا اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل
الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه
عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذن ذلك يدل على ان نعمة الله تعالى عليه اكبر فلم يتعجب منه والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي
والحلل على الذميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح ولا تدري المغرورة ان الجمال
محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها اكبر وقول الحكيم العاقل
الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيت الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول ايها الملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب
فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك فصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه
اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة
ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور
ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يا رب ما تأتي ليلة الا وانسان من آل داود قائم
ولا يأتي يوم الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية ما تمر ساعة من ليل ونهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلي
واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وساكلك
الى نفسك قال ابن عباس رضي الله عنهما انما اصاب داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضافه الى آل داود مدلا به
حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود عليه السلام يا رب ان بني اسرائيل يسالونك بابراهيم واسحق ويعقوب
فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى اما اني لم اخبرهم باي شيء
ابتليتهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك في سنتك وشهرك ابتليك غدا بامراة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه
وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله عليهم وقالوا لا
نغلب اليوم عن قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما
رحبت ثم وليتم مدبرين وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا آثرت
على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت لك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى وقال لولا فضل الله

عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا
ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا وطيرا مع صفاء
اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب
من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا
نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير
وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه
بالراي الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام **الاول** ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله
وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه
ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره وآخره وفي الوجوه الجميلة والابدان **الثاني** القوة والبطش
كما حكي عن قوم عاد حين قالوا من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام
فثقبه الله تعالى حتى صار في عنقه وقد يتكل المؤمن ايضا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام
انه قال لاطوفن الليلة بمائة امراة ولم يقل ان شاء الله تعالى فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول
داود عليه السلام ان ابتليتني صبرت وكان عجبا منه بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة
الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله
بادنى آفة يسلطها عليه **الثالث** العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته
الاستبداد بالراي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرايه ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم بالا
ستغناء بالرأي والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله على ما رزق من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف
يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي
من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله
وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان قاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله
فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن
بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا **الرابع** العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف
نسبه ونجاة آبائه وانهم مغفور لهم ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه
في افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام
الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب و
شاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله وكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال الله تعالى يا ايها الناس انا
خلقناكم من ذكر وانثى اي لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم في اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من اكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الآية حين
اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان
اكرمكم عند الله اتقاكم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى قد اذهب عنكم عبية الجاهلية اي كبرها كلكم بنو آدم وآدم
من تراب وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر قريش لا ياتي الناس بالاعمال يوم القيامة وتاتون بالدنيا تحملونها

على رقابكم وتقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم بين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان
من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم
في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية اني لا اغني عنكما
من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال صلى الله عليه وآله وسلم اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب
فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنسيب
ايضا جدير بان يرجوها ولكن بشرط ان يتقي الله ان يغضب عليه فانه ان يغضب فلا يأذن لاحد في شفاعته لان الذنب منقسمة الى ما يوجب المقت
فلا يؤذن في الشفاعة والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة
فيمن اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا واذا انقسمت الذنوب الى ما
يشفع فيها والى ما لا يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان لكل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما
نهى فاطمة رضي الله عنها عن المعصية ولكان اذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها
في الآخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اعتمادا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب
حاذق قريب مشفق من اب او اخ او غيره وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها
فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج
فهكذا ينبغي ان تفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر
وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه وقد كانوا يتمنون انهم بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم
وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم ومع ما سمعوا من وعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين
بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلوبهم فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له صحبتهم
وسابقتهم الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان
يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله ولو نظر الى صورهم في النار
وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف
له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذين بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم
ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله
تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض السادس العجب بكثرة العدد
من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا واولادا وكما
قال المؤمنون يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيتفرقون عنه اذا مات فيدفن
في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه اهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشيرة فيسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان
ولا يغنون عنه شيئا وهو احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
الآية فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط الا عملك وفضل
الله فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن

صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا وراى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض
منه وجمع ثيابه فقال عليه السلام أخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة
حقوقه وعظيم غوائله وينظر الى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيامة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان في اليهود
من يزيد عليه في المال والى قوله صلى الله عليه وآله وسلم بينما رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال ابو ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا
رجل عليه خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا
وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن
عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزي والبوار
فكيف يعجب بماله الثامن العجب بالراي الخطأ قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم اذ افترقت فرقا فكل
معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان
ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من علاج غيره لان صاحب الراي الخطأ جاهل بخطئه ولو
عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فيعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله
ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف
يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان
يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها
ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر
ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض
في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله
صادق فيما اخبر به ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول
آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض في
المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل في عمره بشيء غير العلم فاما الذي
عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر
المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال

كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبيده مفاتيح الخيرات والشرور مخرج اوليائه من الظلمات الى النور
ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا
ولم يغرهم بالله الغرور صلاة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة
الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم
من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح
في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور

والمغرورون مثلهم كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور وكلا القسمين هم الذين أراد الله أن يهديهم فيشرح صدورهم للإسلام والهدى والمغرورون هم
الذين أراد الله أن يضلهم فيجعل صدورهم ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية
نفسه كفيلا وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وإذا عرف
أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد
معرفته فيتقيه فالموفق من العباد البصير بأمره ونحن نشرح أجناس مجاري الغرور وأصناف المغترين من القضاة والعلماء
والصالحين الذين اغتروا بمبادي الأمور الجميلة ظواهرها المستقبحة سرائرها ونشير إلى وجه اغترارهم وغفلتهم عنها فإن ذلك وإن كان
أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف **الصنف الأول**
من العلماء **الصنف الثاني** من العباد **الصنف الثالث** من المتصوفة **الصنف الرابع** من أرباب الأموال
والمغتر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام
ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشتغل بغيره
ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج
الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا تتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان
حقيقته وحده **بيان** ذم الغرور وحقيقته وأمثلته اعلم أن قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى
ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني كاف في ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبذا نوم
الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين
وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ما ورد في فضل
العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذ الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف
ما هو به والغرور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يغره فمهما كان
المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلا سمي الجهل الحاصل
به غرورا فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على
خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه فأكثر
الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها
وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما أمثلة لحقيقة الغرور **المثال الأول** غرور الكفار
فمنهم من غرتهم الحياة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا
نقد والآخرة نسيئة فإذن هي خير فلا بد من إيثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك
اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى
الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان
وأما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقوله والآخرة خير وأبقى وقوله وما الحياة الدنيا إلا متاع
الغرور وقوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا
ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله أبعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا إيمان العوام وهو يخرج من الغرور
وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في أن حضور المكتب خير من حضور الملعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان
والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فإن كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل

وكل دليل فهو قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس
الذي نظمه الشيطان فيه أصلان أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله إن النقد خير من النسيئة
وهذا محل التلبيس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وإن كان أقل منها فالنسيئة
خير فإن هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا أتركه وإذا حذره
الطبيب الفواكه ولذائذ الأطعمة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم
يركبون البحار ويتعبون في الأسفار نقدا لأجل الراحة والربح نسيئة فإن كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال
فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة ولذة الدنيا من حيث وليس هو عشر عشير
جزء من ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحدا ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع
رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بالمنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فإذن قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة
فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق وأريد به خاص فغفل به المغرور عن خصوص معناه فإن من قال النقد خير من
النسيئة أراد به خيرا من نسيئة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك
والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله وإلا فالتاجر
في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في
المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكذلك كل من ترك اليقين بالشك وكل التاجر
يقول إن لم أتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وإن اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه
وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالإضافة إلى ما أخافه من طول المرض
والموت فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر قريب بالإضافة إلى ما يقال
من أمر الآخرة فإن كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني إلا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن لا أتنعم فأحسب
أني بقيت في العدم وإن كان ما قيل صدقا فأبقى في النار أبد الآباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي عليه السلام لبعض الملحدين
إن كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وإن كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن
كلم الملحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور وأما الأصل الثاني من كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا
خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان أحدهما الإيمان والتصديق تقليدا للأنبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو
مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن
دواءه النبت الفلاني فإنه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو
بقي سوادي أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم بالطب
منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في عمله بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان
معتوها مغرورا فكذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى
سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق
على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم
عليهم التصديق بأنهم من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الأنبياء فكما أن قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب
إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء وهذا القدر من الإيمان
كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي
للأنبياء والإلهام للأولياء ولا تظنن أن معرفة النبي لأمر الآخرة ولأمور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه كما

ان سعيك تقليد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى يكون سعيك كمن [illegible] وانما الخلف المقلد فقط هيهات فان التقليد [illegible]
بل هو استدلال صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما
تشاهد المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح
وانه من امر الله وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر
الشان حتى يكون المراد انه من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق والامر
فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار
فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن
عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم
الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب وقع على آدم
صلوات الله عليه وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وانه امر رباني
وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك عهده وربه
ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى
طبعهم ومظنة استحقاقهم من الله تعالى يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة الى اسرار يهتز لا
[illegible] العارفون ويشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما
تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا
وهي مبادي مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء اول مقامات الانبياء ولنرجع الى الغرض والمقصود ان غرور الشيطان بان
الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا
اوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم آثروا الحياة
الدنيا على الآخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين
فانهم اعترفوا بان الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى واني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمت الله قريب من المحسنين ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه وقال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان
والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده وهؤلاء ايضا مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين
لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين
جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم ان
كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا واسعد حالا كما اخبر الله تعالى من قول الرجلين المتحاورين اذ قال
وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر منهما بنى قصرا بالف
دينار واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج امرأة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول ابتنيت
قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يموتون
وزوجا من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو اكاذيب ولئن
كان فيكون لي في الآخرة خير من هذا وكذلك وصفه الله تعالى من قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا قال الله تعالى
ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت
اتقاضاه فلم يقض لي فقلت اني آخذه في الآخرة فقال لي اذا صرت الى الآخرة فان لي هناك مالا وولدا اقضيك منه فانزل الله

تعالى افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي
وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى الآية وهذا من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك انهم
مرة ينظرون الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليه نعم الآخرة كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم
جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من
الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا
بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن في المستقبل ايضا كما قال الشاعر **شعر** لقد احسن الله فيما مضى كذلك
يحسن فيما بقي ۝ وانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن الي
والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله تعالى اذ ظن انه كريم عنده
بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان وشاهده ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الآخر
فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية
التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده
محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا
فانها مهلكات ومبعدات من الله تعالى وان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه كذا ورد
في الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك امارة المقت والاهمال واذا
اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا ظن انه كرامة من الله تعالى واذا صرفت عنه ظن انه هوان
كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما
اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا ابى ان ذلك عز وقال الحسن رضي الله عنه كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا
باكرامي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا
الغرور علاجه معرفة دليل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما البصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات
الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه من
جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله
وقد قال الله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال
فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله سنستدرجهم كلما احدثوا
ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور
الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وهامان وقارون والى ملوك الارض كيف
احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وقال واملي لهم ان كيدي متين وقال انهم
يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي
ان يحذر ان يكون ذلك كيدا منه ومكرا مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله مع تحذيره واستدراجه اولى فاذن من امن
مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعيم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن
ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا
هو حد الغرور **المثال الثالث** هو غرور العصاة من المؤمنين بالله سبحانه بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم

على انكم اعمالهم الا عمال الحسنين فذلك بتميمة تبينهم واعترافهم رجا وطمعهم ان الرجا مقام محمود في الدين وان نعمة الله والسعود رحمة
شاملة وكرمه عميم وانه يعاصي العباد في بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فيه فنجو بوسيلة الايمان وربما كان مستندرجا
بهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كما عن العلوية فيهم وبحال النفتم سيرا آبائهم في الخوف والتقوى والورع وطمعهم انهم اكرم على
الله من آبائهم اذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق آمنون وذلك نهاية الاغترار
بالله فقياس الشيطان للعلوية ان من احب انسانا احب اولاده وان الله قد احب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة ونسي
المغرور ان نوحا صلوات الله عليه اراد ان يستصحب ولده في السفينة قال ان ابني من اهلي فقال انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
وان ابرهيم صلوات الله عليه استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم استاذن في ان يزور قبر امه ويستغفر
لها فاذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر امه لرقة لها بسبب القرابة فهذا ايضا اغترار بالله وهو ان الله
انه يحب المطيع ويبغض العاصي وكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للاب
المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لاوشك ان يسري البغض ايضا بل الحق انه لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو
بتقوى ابيه كان كمن يظن انه يشبع باكل ابيه ويروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوى
فرض عين ولا يجزي فيه والد عن ولده شيئا وعند جزاء التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد
غضب الله عليه فاذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم
وانا نرجو عفوه ورحمته فهذا الكلام صحيح مقبول في القلب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر
مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع
به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان
الرجاء بهم اليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الآخرة اجر وجزاء على الاعمال قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال وانما توفون اجوركم
يوم القيمة افترى ان من استؤجر على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف
بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستاجر كريم افتراه العقلاء في انتظاره متمنيا
مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرة قيل للحسن رضي الله عنه قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل
فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة
حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا نرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان
الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن
او آمن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما انه اذا نكح ووطي وانزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل
الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم عن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي
مترددا بين الخوف والرجاء يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى ان يثبته بالقول
الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى
المعاصي فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نبأه
بعد حين وعندها يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي علمنا انه كما لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت
زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدق قولك
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير الم يأتكم سنة الله
في عباده وانه يوفي كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل

لكنا في اصحاب السعير فما ميزوا من ابذتهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود
في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان واني تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عنده
ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال تعالى يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم امرهم بالانابة وقال
واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور
كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك
فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلوة لاجله الى
وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو مغرور والثاني ان يفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على
الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى
قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول
يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة وعلى التشمر في العبادة فهو
رجاء وكل رجاء اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان
ما لك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو الغرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل
الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار
ابد الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على
ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه وكيف اغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان على العمل
فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعي
للآخرة فذلك غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على آخر هذه الامة وقد كان ما وعد صلى الله عليه
وآله وسلم فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون يخافون على انفسهم
وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات
واما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين
انهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون عفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف
الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلام اذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور
في كتاب الرجاء والخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن
في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر
لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه ومثله اخبر عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب اي هم علماء ويأخذون عرض هذا الادنى
اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا
يتفكر متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون
على رفعها وخفضها ونصبها وكانهم يقرؤون شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيها والعمل بما فيها وهل في العالم
غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله تعالى وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص
الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه ترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية الجهل فترى
الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناوله من اموال المسلمين والشبهات اضعافه اضعافه ولعل

ما تصدق به من مال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان كل الف درهم حرام لا يقاومه التصدق بعشرة من الحلال او الحرام وما هو الا
كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الف واراد ان يشيل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم
ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي
يستغفر الله بلسانه او يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر
وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة
او الف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد اوعده الله العقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ابدا يتامل
في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين وذوي الوجهين الى غير ذلك من
آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد
على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل
عليها اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوات الفردوس الاعلى
ونعيمها ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من
الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله تعالى ان نكون من اهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه
واليقين مع هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على
اباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى

بيان اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف من اصناف الاربعة

الصنف الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد
الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله
مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله تعالى وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين
البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة
الحرام والحلال ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة
الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة
لا يعرفها الا حذاق الاطباء فسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط و
انواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة
بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات
هيهات لو كتب منه الف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب
ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك
فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات
ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو
مغرور اذ قال الله تعالى قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك
هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة
في فضل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان اتذكرني
فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها
كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم
يزدد من الله الا بعدا وقال يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى وكقوله شر الناس العلماء السوء وقول

ابي الدرداء ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات وان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما
علمت وكيف قضيت شكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه
في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة اكثر من ان يحصى الا ان هذا لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان
قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي
اخبره بذم العلماء السوء وان حالهم اشد عند الله من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكد حجة الله عليه غاية الغرور واما
الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله تعالى واسمائه وصفاته وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله
من اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما
يغضب عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام
وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا
اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما
عرفه واشتغل بمعرفته فقط وبمعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه
للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد
عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الاسد لونه
وشكله واسمه ثم لا يخافه فكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرة من
لو اهلك مثله آلافا مؤلفة وابد عليهم العذاب ابد الآباد لم يؤثر ذلك فيه اثرا ولم ياخذه عليهم رقة ولا اعتراه عليهم جزع ولهذا قال الله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ففاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بخشية الله علما وكفى
بالاغترار بالله جهلا واستفتي الحسن رحمه الله عن مسالة فاجاب فقيل ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رايت فقيها قط الفقيه
القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا الذي لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله تعالى فان قبلت منه حمد الله وان ردت
حمد الله فاذن الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه
في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي
الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء
للاقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت الى
قوله صلى الله عليه وآله وسلم ادنى الرياء شرك والى قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر والى قوله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل
النار الحطب والى قوله حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار والآثار الواردة في جميع
الاخلاق المذمومة المهلكات فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولا الى
اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم
ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على
ظهره فاستنار ظاهره وباطنه مظلم او كرجل قصد الملك ضيافته الى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور
بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز رؤوسه
واطرافه فلا تزال تقوى اصوله وتنبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لم تتم له الطاعات
الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع
مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم يتفجر من المادة التي في
الباطن وفرقة اخرى علموا ان هذه الاخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون

مهما لم تدع عنه الله تعالى ان يسلبهم ذلك وانما يليق بالعوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هو فاعظم عند الله تعالى من ان يخليه ثم اذا
ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله تعالى وارغام
انف المخالفين من المبتدعين واني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجلس لشمت بي اعداء الدين وفرحوا به وكان ذلك
ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره منه مولاه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى ان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين وينسى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بماذا انصر الكفار اي من الصحابة من التواضع
والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة هيئته عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله تعالى بالاسلام
فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والدبيقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب
ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن
بنفسه الحسد حتى سقط اذا لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسة وزحمه فيها لم يكن غضبه وعداوته مثل غضبه
الآن فيكون غضبه لله لم يتعصب مهما طعن في عالم آخر ومنع او ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه
وكذلك قد يرائي باعماله وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله
فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق
الخلق لفرح بصلاحهم على يدي من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يديه او على يد طبيب آخر وربما
ذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر لي والثواب لي وانما فرحي بثواب الله تعالى لا بقبول
الخلق قولي فيظن بنفسه ذلك والله يطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك
في السجن وقيده بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به يظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره
وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان
هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فاما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله يعلم
من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفع في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين لثقل ذلك
عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من
مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام
دين الله افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة امور احدها في انه مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج
من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء قيام واولادهم وورثتهم احياء وغايته الا يعرف الخلط فاموالهم وكمن غصب
مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه الحرام ولا يقال هو مال لا مالك له بل يجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى
كل واحد عشرة وان كان كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد
دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه اكثر من الذين
زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله تعالى فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ
الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله تعالى كالانبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي
يقتدى به في الاعراض عن الله تعالى والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله
كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع
واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة اخرى
احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب
من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية

ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زواياها ما لم يطلعوا عليها وانما مثالهم مثل من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش
فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه بعد من تحت الارض فظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش
شعب لطاف فانبسطت تحت التراب واهملها وهو يظن انه قد بقي من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب
فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل
عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها
وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله تعالى ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف
وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وايثاره في
الاغراض واجتماع العوام حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤوس على كلامه والبكاء
عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصيص والتمكن به من اطلاق لسان الطعن في الكافة
المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال التمييز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور حياته
في الباطن بما انتظم له من امر الامارة والعز والانقياد وتوقير وحسن ثنا فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من
اعماله لتشوش عليه قلبه وتشعب اوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب في تغطيته
وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان فاسقا عمن اعتقد فيه ضد ذلك وسبقه عليه عن معرفة
حق فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثر لسبقه في الفضل والورع
وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويحبون في العلم
وهو يظن ان قبولهم له لخالصه وصدقه وبيانه حتى كله مجاسرة على ما يجري على لسانه من منثور خطبه ويعدها ذلك مكفرا
لذنوبه ولم يستعد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم رغب فيه
لشدته في العزلة والخفاء لذة السؤدد وعز الرياسة ولعله سئل عن علمه هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني آدم انه بعلمه امتنع مني
فبجهله وقع في حبالي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو
ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف
والله اعلم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوي الطويلة العريضة واما ضمنا
بالطعن في غيره ليستبان من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي
من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزوه الى قائله وما يستحسنه لعله لا يعزوه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق
له او يغير ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء كي لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الالفاظ وتسجيعه وتحسين
نظمه كيلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وترويجها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روي
ان بعض الحكماء وضع ثلاثمائة مصحف في الحكمة فاوحى الله تبارك وتعالى الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا واني لا
اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد منهم السلامة عن عيوب القلب وخفاياه
اذن فلو رفع كل واحد منهم وفرقه من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه الكثير اتباعا فيفرح ان كان اتباعه اكثر
وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغاروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم
اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز عند باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان
يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما يحرص مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في
دينه لآفة من الآفات كانت تخصه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك فلا يزول النزغ عن قلبه ولعل واحدا
منهم اذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت

لديه الله تعالى الا النبي ومهما ذكر عيبه بين يديه فرح به واثنى عليه بانه ساء وكيف يسر بان يقبح وجهه اذ ذكر عيبه بنظر انه
كان الغيبة المسلمين ومن قلبه واصحبه ومن يدله والله تعالى مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن لها الا الاكياس
ولا ينتفع منها الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيب نفسه ويسوء ذلك ويكره
ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب
من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله تعالى بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا
العيوب مع الاهمال فهذه عيوب الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولذكر الان عيوب الذين شغلوا من العلوم
بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم
الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعاش وخصصوا اسم الفقه وسموه
الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن
عن الحرام والرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات
فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وانما مثالهم مثال
المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ويحتاج الى
تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض ولكن يقول
ربما يقع علة الاستحاضة لامرأة ويسألني عنه وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع
الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يخطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله تعالى وهو عليه غضبان
فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض ولا
يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه
والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال
بفرض الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله فانه وان
قصد وجه الله تعالى فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل فاما غروره من حيث
العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله تعالى وسنة رسوله وربما طعن على المحدثين وقال انهم
نقلة وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث
الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم
يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسببه ما سمع في الشرع
من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى
اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي به يحصل الانذار غير هذا
العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في
طريق الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات كانت حجابا عن
الله تعالى فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في انه لو لم يكن
لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء ولا سبيل وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه
على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لطلب الغلبة والمباهاة فهو طول الليل و
النهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التسبيبات المؤذية وهؤلاء هم
سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه

في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق
وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين
تقدموا في علم الفتاوى ولكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها
السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيه واما حيل الجدل من الكسر والقلب
وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما ابدعت لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل به فغرور هؤلاء اشد كثيرا واقبح من
غرور من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا
من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا
انه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته
منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى
غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق
كثيرة يكفر بعضها بعضا وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رأيها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرأت الشبهة دليلا والدليل
شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله تعالى وزعمت انه
لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل الايمان ولا
مقرب عند الله تعالى فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملت
نفوسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وهي تظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله تعالى
وافضل ولكنه لالتذاذها بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرتها فلم تلتفت الى
القرن الاول فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والهوى فما جعلوا اعمارهم
ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث رأوا حاجة وتوسموا
مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا رأوا مصرا على ضلالة هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله
تعالى ولم يلزموا الملاحة مع طول العمر وقالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روى
ابو امامة رضي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما ضل قوم قط الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال ابهذا بعثت
ابهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله تعالى بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا
اولى خلق الله تعالى بالحجاج والجدل ثم انهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم
في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في
المجادلة عليه لانه يشوش القلب ويستخرج منه الاشكالات والشبه ثم لا يقدرون على محوها من قلوبهم وما كان يعجز
عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا
لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو هلكوا ونجونا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع
اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا اعمارهم بتحرير مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا و
فاقتنا ولم نخوض فيما لا نأمن على انفسنا الخطأ في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدلنا بل يزيده التعصب والخصومة
تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة اولى فهذا لو كنت لونه عن الكلام والحق
تكلف وقد نهيت عنه فكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى بي ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى
ويحبه الله تعالى عما يبغضه واتمسك بما يحبه وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ والاعلام ورتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب

من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون با
نفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله
الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء اشد الغرور لانهم معجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما
تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب
النفس الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقرب عند الله لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل
في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخائفين وهو آمن من الله ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين
ويرى انه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه
والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره
ويرائي بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته
فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه آمن ويذكر بالله وهو له ناس ويقرب الى الله وهو منه متباعد
ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق اشدهم حرصا
لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه
من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه
فهؤلاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوائلها
وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وانما
المخوف ما يتلوه على عباده فيخافون وهو يرى نفسه خارجا عنهم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل عن
طريق الامتحان والتجربة ويطالب بها وهو مثل مدعي حب الله فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه للخوف
ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله ويدعي الانس بالله فمتى طاب له الخلوة ومتى استوحش عن مشاهدة الخلق
لا بل يرى قلبه مملوءا بالحلاوة اذا احدق به المريدون وفيه يستوحش اذا خلا بالله تبارك وتعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه
ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتمويه بل
بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون اذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة افتضحوا بل يطرحون في النار
فيذوبون كما يذوب الحمار بالرحا كما ورد به الخبر الا انهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء
من حيث انهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من اصول هذه المعاني من حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قد وضح لهم
وما رزقهم الله علمه وانتفع الناس بكلامهم فيها الا اتصافهم بها وغفلوا عن انه ان القوة للكلام والكلام للمعرفة وجريان
اللسان والمعرفة بالعلم وان كان ذلك كله غير الاتصاف بالصفة فلم يفارقوا احاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل
في القدرة على الوصف الزائد عليه وكلهم يتخيلون ان طريق الخلق يسلكه ويصف به في قلبه حب الله تعالى وامثاله مثال مريض
يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء واسبابه
ودرجاته واصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض ولا اتصافه به انما يفارقهم في الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بصفة
الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها فان من
التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور وفرقة اخرى منهم عدلوا عنها وهم الوعاظ الذين لا لب في كلامهم بل
منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصري رحمه الله وامثاله وفرقة اخرى منهم عدلوا عن المنهاج
فنظم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصري رحمه الله وامثاله وفرقة اخرى تركوا الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل
الزمان كافة الا من عصمه الله على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح

وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ و
تلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان تكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد
ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا
غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم
كلامهم جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فيشهد من اوله الى آخره
بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلحه بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا وفرقة اخرى
منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم
يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقية
والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن عقاب الله من غير ان يحفظ
ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم وفرقة اخرى
استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم
ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الاسناد ما ليس مع غيري وغرورهم
من وجوه منها انهم كحملة الاسفار لانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون
ان ذلك يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم
الذي هو فرض عين وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الاسنادات وطلب الاسانيد العالية ولا حاجة بهم الى شيء
من ذلك ومنها وهو الذي اكب عليه اهل الزمان انهم ايضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم تكن له فائدة
ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع ثم التفهم ثم
الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم لم يحكموا حقيقة السماع فترى الصبيان يحضرون في مجالس الشيخ والحديث
يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا
يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث او ينسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه
وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتحفظه كما سمعته وترويه كما حفظته
فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمعته من الصحابة
او التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ان تصغي لتحفظ وتروي كما
حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا واخطأ علمت خطأه وللحفظ طريقان احدهما ان
تحفظ بالقلب وتستديمه بالتذكار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه
حتى لا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب بعد ودفعك اياه فانه لو امتدت اليه يد غيرك فربما غيره واذا حفظته لم يتغير
يتغير فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف فاذن الحفظ اما بالقلب واما
بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك وجوزت ان يكون فيما فيه تغيير او يفارق حرف من النسخة
التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن سمعك
حفظ تلك النسخة صحيحا استوثقت عليها المقابلة بها فاني اي تعلم انك سمعت ذلك ويقول الله تبارك وتعالى ولا تقف ما ليس لك
به علم وقول الشيخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واقل شروط السماع ان
يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع
الصبي في المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون يسمع منه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع

الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المبدأ لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي يلعب وغافل ومشغول عن السماع
ليس يفهم ولا يحفظ وان اجروا اجابوا هنا لم يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما ان
الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فماذا ينفع هذا وهو انما يسمع الحديث دون الصوت فليقتصر اذ صار شيخا على ان
يقول سمعت بعد موتي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف
في ان الرواية كذلك لا تصح فما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا لجاز
اثبات سماع الصبي الذي لا يفهم الحروف في المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يوجد هذا لاهل السماع مستند من قول رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يؤدي كما سمعها من لا يدري ما سمعه فهذا اقوى
انواع الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوا في الصبى على هذا الوجه مع الغفلة
الا ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقتهم فينقص جاههم ويقل ايضا احاديثهم
التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك واستحيوا فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدري
ما يجري وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل هو من علم علماء الاصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين
اصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو جمعوا على الشرط لكانوا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي افنائهم اعمارهم في جمع الروايات
والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة وربما يكفيه الحديث
الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع وكان اول الحديث الذي روي قوله صلى الله عليه وآله وسلم من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون
الغرور وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم وانهم من علماء الامة
اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم النحو واللغة فافنى هؤلاء اعمارهم في دقائق النحو وفي
صناعة الشعر وفي غرائب اللغة ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينه ويزعم ان العلوم لا
يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيفما كان
والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في لغة العرب كالمضيع
في لغة الترك والهند وانما فارقها لاجل ورود الشريعة فيكفي من اللغة علم الغريب في الاحاديث ومن النحو ما يتعلق بالحديث و
الكتاب فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بما فيها فهو
مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني
والحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء فضيع اوقاته في تحسين القدح
الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من جهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقراءات والتدقيق في
مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب
الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الحديث والذي فوقه هو علم اللغة و
النحو وفوق ذلك وهو القشرة العليا العلم بمخارج الحروف فالقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من اتخذ هذه الدرجات
منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوزها الى ما وراءها حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى
عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع
وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل
القريب او في المنزل البعيد ولما كانت هذه العلوم متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب
والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم وكان الغرور فيها

اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه
لعينه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به وفرقة اخرى
عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واساؤوا
تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطأوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى
مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى امثلة لنوع ذلك فمن ذلك فتواهم بان المرأة مهما ابرأت عن الصداق
برئ الزوج منه بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر
الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لا عن طيبة نفس وقد قال الله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وطيبة النفس
غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه ما لا تطيب به النفس فان الانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وانما طيبة النفس ان
تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضررين اختارت الابراء بمحض قلبها فهذه مصادرة على التحقيق واكراه
بالباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن
ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما انتصب للقاضي الاكبر في صعيد القيامة لم يكن هذا مبرئا ولا مفيدا في تحصيل الابراء
وكذلك لا يحل مال الانسان الا بطيب النفس فلو طلب من انسان مالا على ملأ من الناس فاستحيى من الناس ان لا يعطيه
وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار
اهونهما وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير
ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين
ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله ظاهر وانما الحاكم الدنيوي هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله في
لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا
الوجه فهو حرام الا ان ترضى الى الحاجة في قصة داود عليه السلام حيث قال بعدما غفر له يا رب كيف لي بخصمي فامر بالاستحلال وكان
ميتا فامر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا فاجابه لبيك يا نبي الله اخرجتني من الجنة فماذا تريد قال اني اسأت
اليك في امر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال جبرائيل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت
قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال اذنبت اليك ذنبا قال الم اهبه لك قال اولا تسألني
ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب فقال يا اوريا الا تجيبني قال يا نبي
الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدي الله تعالى فاستقبل داود البكاء والصراخ والبكاء الراسخ ووعده الله تعالى ان يستوهبه
منه في القيامة فهذا ينبهك ان الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة
فكذلك طيبة القلب لا تكون في الابراء والهبة وغيرهما الا اذا خلى الرجل واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا ان يضطر
دواعيه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته واتهابه مالها اسقاطا للزكاة
فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان اراد به ان مطالبة السلطان والساعي قد سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر
الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال او كمن باعه لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم
جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وآله وسلم
ثلث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما ظن ان فيه خلاصه فان الله
مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال انه استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل
بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الاموال في
الفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا يتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد

إليها في العبادة وتوسلوا بطريق الله تعالى فكل ما يتناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة من حاجته وما عدا ذلك فهو فضول وشهوة ولو ذهبنا نصف غرور هذا الصنف في أمثال هذا لأملأنا فيه مجلدات والغرض التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول

الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خالياً عن غرور إلا الأكياس وقليل ما هم فمنهم فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف كالذي يغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة رضي الله عنهم إذ توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبواباً من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الإسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضاً عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لإسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الأشياء فيما له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله تعالى بطريق ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك

وفرقة أخرى غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره يكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون أنهم إذا أتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم

وفرقة أخرى تغلب عليها الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلاً عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل

وفرقة أخرى اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذاً وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأماني إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب إليه ملكه كتاباً وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وإنما هي لذته في صوته ولو ردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته

وفرقة أخرى اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم من الغيبة وخواطرهم من الرياء وبطونهم من الحرام عند الإفطار وألسنتهم من الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور وفرقة أخرى اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم

وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام ويضيعون في الطريق الصلوات والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقة في الطريق طلباً للسمعة والرياء فيعصي الله تعالى في كسب الحرام أولاً وفي إنفاقه بالرياء ثانياً فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور

وفرقة أخرى أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا باشر منكراً ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله تعالى ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم أخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام المسجد فلو تقدم غيره وإن كان أورع وأعلم منه ثقل عليه

وفرقة أخرى جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفهم إن فلاناً مجاور بمكة وتراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا سنة وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدي وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يجاور ويمد عين الطمع إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع منه شيئاً شح عليه وأمسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وأن يقال إنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بتلك الرذائل فهو أيضاً مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من كتاب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب

وفرقة أخرى زهدت في الدنيا وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمرين وباء بأعظم المهلكين فإن الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر أن منتهى لذتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون منافقاً وحسوداً ومتكبراً ومرائياً ومتصفاً بجميع خبائث الأخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطاول بذلك على الأغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفاً من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا فهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل إلى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان

وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلاً ألف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملاً بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فإذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غروراً وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضياً عند الله تعالى ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه

وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثالها من النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها أول الوقت وينسى

قوله صلى الله عليه وآله وسلم ما تقرب المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب من جملة الشرور بل قد
يتعين على الإنسان فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع فإن لم يحفظ الترتيب
فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فإن المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات
على البعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام
به غيره وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب أن يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد
إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل له من أبر قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك قال
ثم من قال أدناك فأدناك فينبغي أن يبتدئ في الصلة بالأقرب فإن استويا فبالأحوج فإن استويا فبالأتقى والأورع وكذلك من لا يفي
ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه وكذلك إذا
كان على العبد ميعاد فدخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت فالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وإن كان هو طاعة في نفسه وكذلك
قد يصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤهما محذور والحذر من الأذى أهم من الحذر
من النجاسة وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تحصى ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض
لأن المغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب
والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل في الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن
مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجهم فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أنه يحب الرياسة والجاه ولذة المباهاة
وقهر الأقران والتقدم عليهم فيعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بمهم دينه

الصنف الثالث المتصوفة

وما أغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة ففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله تعالى اغتروا بالزي والمنطق والهيئة
فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة
في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء
وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية
ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل
التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها
بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق
بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من
المقاتلين تثبت أسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من أقطار المملكة فتاقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت
على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الأبطال أبياتا وتعودت إيراد تلك الأبيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية مشيتهم
في الميدان وكيفية تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى العسكر ليثبت اسمها
في ديوان الشجعان فلما وصلت إلى المعسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته ويمتحن بالمبارزة
مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع
والمغفر فقيل أجئت للاستهزاء بالملك والاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فألقوها قدام الفيل لسخفها فألقيت إلى الفيل
فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزي و
المرقع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى زادت على هؤلاء في الغرور إذ شق عليهم الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون فأرادت
أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزيي بزيهم فتركت الخز والإبريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات
المصبوغة ولبست من الثياب ما هو أرفع قيمة من الخز والإبريسم وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا
ونسي أنهم إنما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ وإنما لبسوا المرقع إذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها
ولا يلبسون الجديد فأما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطتها مرقعات فمن أين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء أظهر حماقة من كافة
المغرورين فإنهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي
الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي
بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسهم فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم
المتشبهين وشرهم. وفرقة أخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال والملازمة في عين الشهود و
الوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ إلا أنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك
أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى إن الفلاح
ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر
عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد إنهم أجراء متعبون ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون
ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم
قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه. وفرقة أخرى وقعت في الإباحة
وطووا بساط الأحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي وبعضهم يقول قد
كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وإنما يغتر به من لم يجرب وأما نحن فقد جربنا
وأدركنا أن ذلك محال ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل تأديبهما بحيث ينقادان لحكم العقل والشرع
وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا
بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا
عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم عن درجة الأنبياء
إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية وأصناف غرور أهل الإباحة من المتشبهين
بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ
متقن في العلم والدين صالح للاقتداء وإحصاء أصنافهم يطول. وفرقة أخرى جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلبت الحلال
واشتغلت بتفقد القلب وصار يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب لله تعالى ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات
هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو عن مفارقة ما يكره الله عن إيثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور
حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض
البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه
ما فهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو
متوكل على سبب من الأسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات
في ربع المنجيات من الكتاب فلا ينبغي أن نعيده. وفرقة أخرى ضيقت على أنفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملت
تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من أهمل الحلال الخالص وأهمل تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة
ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين أن الله لم يرض من عبده بطلب الحلال
فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه
وينجيه فهو مغرور. وفرقة أخرى ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكفلوا
بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإنما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون

ان عرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم ليكثر اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذ لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحلال الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مسجد الله فيطينه بالعذرة ويزعم انه يقصد العمارة وفرقة اخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه وفرقة اخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤوا سلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادئ المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله من قصد ملكا فراى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد راى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك وفرقة اخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا انهم وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله سبعين حجابا من نور لا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابرهيم صلوات الله عليه اذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا والجهال يعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابرهيم صلوات الله عليه لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله تعالى وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم صلوات الله عليه لما اري ملكوت السموات حيث قال الله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور ويتخيل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيرتقي اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الآفلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله اعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة بالمرآة فيظن انه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل شعر

رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر

فكانما خمر ولا قدح * وكانما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فراوا اشراق نور الله قد تلالا فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة او في ماء فيظن ان الكوكب في المرآة او في الماء فيمد يده اليه لياخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى في مجلدات

ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه او ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله تعالى ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الان كما يكذب بما سمعه من قبل والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

الصنف الرابع ارباب الاموال والمغترون منهم فرق فرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشى والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا عصوا الله تعالى بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم عليها لبقاء اسمهم بها لا لبقاء الخير والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب ولولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك وفرقة اخرى ربما اكتسبت المال من الحلال وانفقت على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره او في بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم من الصرف الى بناء المساجد وزينتها وانما يخف عليه الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس والثاني انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهية وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة ابصارهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة الى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله وهو يظن انه مطيع له وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرف من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى وقال مالك بن دينار اتى رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغي ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح صلوات الله عليه انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي بحق اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبا بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء رضه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن رضه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبريل صلوات الله عليه فقال ابنه سبعة اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغروره من حيث انه راى المنكر معروفا واتكل عليه وفرقة اخرى ينفقون الاموال في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود رضه في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه وروى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج فتامرني بشيء فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم قال فاي شيء تبتغي بحجك تزهدا او اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضات الله قال ابتغاء مرضات الله تعالى

قال فإنا أصبنا رضا الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق على يتيم من مرضات الله تعالى أتستعد لذلك قال نعم قال اذهب فأعطها
عشرة أنفس مدين يقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم تفرحه وإن قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فإن إدخالك
السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا
ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر وأقبل عليه وقال له المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت
النفس أن تقضي به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين وفرقة أخرى من أرباب الأموال
يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم
القرآن وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهم يحتاجون إلى قمعه بإخراج المال فقد اشتغلوا بطلب فضائل وهم
مستغنون عنها ومثاله من دخل في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى
يحتاج إلى السكنجبين ولذلك قيل لبشر إن فلانا الغني كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره إنما حال
هذا إطعام الطعام للجياع والإنفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه الدنيا ومنعه الفقراء وفرقة
أخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الذي الردي يرغبون عنه ويطلبون
من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستسخار في خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون
إلى من يعينه واحد من الأكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات
للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله تعالى عوضا من غيره فهذا وأمثاله من غرور أرباب الأموال أيضا
لا يحصى وإنما ذكرنا هذا للتنبيه على أجناس الغرور وفرقة أخرى من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس
الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ أجرا
وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فإن لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تبعث على العمل فإن
ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فإذا قصر عن الأداء إلى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ
من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على أن يصفق بيديه ويقول
يا سلام سلم أو نعوذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وإنما مثاله مثال المريض يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري
أو الجائع يحضر عند من يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع وصف
الطاعات دون العمل بها لا يغني عنك من الله شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى وتعرض عن الدنيا
إقبالا قويا أو ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا فإن قلت فما ذكرته من مداخل الغرور
أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فأقول
الإنسان إذا فترت همته في شيء أظهر العجز واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط
بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى إن الإنسان إن أراد أن يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده استنزله
وإن أراد أن يستخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه أو أراد أن يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال استخرجه أو أراد
أن يقتنص الوحوش المطلقة في البوادي والصحاري اقتنصها أو أراد أن يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها
أو أراد أن يأخذ الأفاعي والحيات ويعبث بها أخذها واستخرج الترياق من أجوافها أو أراد أن يتخذ الديباج الملون المنقش
من ورق التوت اتخذه أو أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرجه بدقيق الهندسة وهو مستقر على الأرض
وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاقتناص
السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه
إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس كذلك بل لو صح منه الهم

بهذا الهم الواحد يهون كما قال لو صح منك الهوى أرشدت للحيل فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم بإحسان فلا يعجز
عنه أيضا من صدق إرادته وقويت همته بل لا يحتاج إلى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها فإن قلت قد قرب
الأمر فيه مما ذكرت وذكرت مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم أنه ينجو منه بثلاثة أمور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه
ثلاثة أمور لا بد منها أما العقل فأعني به الفطرة الغريزية والنور الأصلي الذي به يدرك الإنسان حقائق الأشياء فالفطنة والكيس
فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة وهذا
إن لم يفطر فاكتسابه غير ممكن نعم إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم تبارك الذي قسم العقل بين عباده أشتاتا إن الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما
يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وما قسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال يا رسول
الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله تعالى ويعود المريض ويشيع الجنائز
ويعين الضعيف ما يعلم منزلته عند الله تعالى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما يجزى على قدر عقله وقال أنس
رضي الله عنه أثني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف عقله قالوا
يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقول عن عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فإن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من
فجور الفاجر وإنما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال أبو الدرداء رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا بلغه عن رجل
شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال أرجوه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ وذكر له شدة عبادة رجل فقال
كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكاء وشدة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة
فإن فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك له الثاني المعرفة وأعني بها أن يعرف أربعة أمور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا
ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم وأجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وإنما الموافق له طبعا
هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط ولا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه في
كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله
ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراء ذلك فإن هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب إلا في علوم المعاملة
وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين له أن لا نسبة للدنيا
إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله تعالى حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها
وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير أهم أموره ما يوصله إلى الله تعالى وما ينفعه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته
في الأمور كلها فإن أكل مثلا أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه
كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والنزوع إلى الدنيا والجاه والمال فإن ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا أحب إليه من
الآخرة وهوى نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة
عن كمال العقل فيحتاج إلى المعنى الثالث وهو العلم أعني العلم بكيفية سلوك الطريق إلى الله تعالى والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه
والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها
فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات أسرار المعايش وما هو مضطر إليه فيأخذه بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه
ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فإن المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم
طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فإذا أحاط
بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا
منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها فإن قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي

بحاف عليه فانه لم يخف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى الله عز وجل
والمريد المخلص اذا فرغ من تهذيب الاخلاق ومراقبة القلب حتى صفا عن جميع الكدورات واستوى على الصراط وصغرت الدنيا
في عينه وتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى
لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فياتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة
على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمة الى العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى في دينهم صما
عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وقد فقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان متمكنا من حقيقة
المعرفة بارشادهم وتبيين هلاكهم وضلالهم وارشادهم الى سعادتهم وهو مقتدر عليه من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة وكان مثله
كرجل كان به داء عظيم لا يطاق الم وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره ولا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان
الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح وطاب نومه بالليل بعد طول سهره
وهدا بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين
واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على
شفائهم باسهل ما يكون وفي اقرب زمان فاستقلته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم
فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضلت دواؤهم
وقرب هلاكهم وشقاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه ايضا الشيطان
على ذلك رجاء ان يجد مجال الفتنة فلما اشتغل به وجد الشيطان مجال الفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا
يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع
في الزي والهيئة فاقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا لدائهم بمحض
الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من ابائهم وامهاتهم واقاربهم فاثروه باموالهم وانفسهم وصاروا له خولا كالخدم
والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة
يا لها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان
فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله في كل امر يحافظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو
اخطا فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما ظهر من الغضب بادر الشيطان فخيل اليه ان ذلك غضب لله
لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطع طريقهم الى الله تعالى ووقعوا في الغرور فيخرجه ذلك الى المداهنة ويقع في
الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ويقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من
طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك او فترة عن بعض الاوراد جزع ان يطلعوا عليه فيسقط موقعه فاتبع ذلك
باستغفار وتنفس صعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر رغبتهم
عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل جزعه لما سبق فوت الرياسة ولذلك لا يجزع نفسه
من اطلاع غيره على ذلك بل ربما احب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من كانت القلوب اليه اميل وكان كلامه في
على كلامه مشتد ذلك عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله ان يرى الرجل جماعة من اخوانه
وقد وقعوا في بئر وتغطى راس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الترقي بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من راس البئر فشق
عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه او كفاه ذلك بنفسه فيعظم بذلك فرحه لا محالة اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض
الناصح خلاص اخوانه من المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه او كفاه ذلك لم يثقل عليه ارايت لو اهتدوا جميعهم بانفسهم اكان
ينبغي ان يثقل عليه ذلك ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى

جميع كدورات القلوب وفواحش الجوارح والمهلكات معوذة بالله فمن نفع القلوب سد الهدى وهذا موجاج النفس بعد ان سبق فان قلت
فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فاقول اذا لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه او لو اهتدوا
بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن اموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان
الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن بحمد الله تعالى ونظر اليهم كما ينظر الى البهائم او الى السادات من حيث لا يتكبر عليهم
ويرى كلهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا
يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية
التي لا يلتفت الى نظرها ولا يبالي بهم لم يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء
غيره ويحترق في نفسه فان كانت تدعوك الى الوعظ [illegible] حلت الدنيا عن الوعظ حب اللذة فاعلم
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة ولولا حب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت
القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وآله وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وانه مع كونه مهلكا لا ينقطع الحب من قلوب الاكثرين الا
من قلبين [illegible] الدنيا بينكم فلم يترك النصح وذكر ان في حب الدنيا الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان تترك الشهوات المهلكة
التي سلطها الله تعالى على عباده ليسوقهم بها الى الجحيم تصديقا لقوله لتحق كلمة ربك لاملان جهنم من الناس اجمعين وكذلك
لا يزال الالسنة الوعاظ بطلب الرياسة ولا يدعها لقول من يقول ان الوعظ لطلب الرياسة حرام كما لم يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والربا
والظلم وسائر المعاصي لقول الله تعالى ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب عن حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا
بافات [illegible] ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض فان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق
لهم فاما ان كنت تخشى ان ينسد طريق الاتعاظ او يحرم السنة الوعظ وهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان
قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف
عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار والحبائل قلت بقي عليه اعظم وهو ان الشيطان يقول له قد اعجزتني وافلت
مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك وما اعظم عند الله محلك اذ قواك على
قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية
الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت
في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا باذن الله تعالى
ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فالذي
يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل
ولا يخاف من الفترة والاستدراج فيكون حاله الاتكال على فضل الله تعالى فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن من مكر الله تعالى فهو خاسر
بل سبيله ان يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله تعالى ثم خائفا على نفسه ان يكون قد سلخ عنه من صفات قلبه من حب الدنيا
والرياء وحب الثناء والتفات الى ... فهو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر
الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما تمثل الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع
وكان قد بقي له نفس فقال افلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون
والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق
الخوف والحذر قلوب اولياء الله تعالى ابدا فنسال الله تعالى حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها والسلام تم كتاب الغرور وبه تم ربع المهلكات
ولله الحمد والمنة وقد وقع الفراغ من تحرير هذا الربع المذكور في يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر الله الاصب رجب المرجب سنة سبع وتسعين
وثمانمائة الهجرية الهلالية وصلى الله على خير خلقه ومظهر لطفه محمد وآله وصحبه اجمعين الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين

كتاب التوبة وهو الكتاب الاول من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم اهل النعيم في دار الثواب وباسمه يتسلى الاشقياء وان ارخي دونهم الحجاب وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب ونمزج رجاءنا بالخوف مزج من لا يرتاب انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ونصلي على نبيه محمد وصحبه صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب اما بعد فان التوبة من الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدا طريق السالكين وراس مال الفائزين واول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ولابينا ادم صلى الله عليه واله وسلم وعلى سائر الانبياء اجمعين وما احوج بالاولاد الاقتداء بالاباء والاجداد فلا غرو ان اذنب الادمي واجترم فهي شنشنة اعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر بعدما كسر وعمر بعد ان هدم فليكن النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ولقد قرع ادم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم بل التجرد لمحض الخير داب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين والرجوع الى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الادميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان واصطحب فيه سجيتان وكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك او الى ادم او الى الشيطان فالتائب قد اقام البرهان على صحة نسبه الى ادم بملازمة حد الانسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير الى الملائكة فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون بالخير في طينة ادم عجنا محكما لا يخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار جهنم فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبائث الشيطان واليك الان اختيار اهون النارين والمبادرة الى اخف الشرين قبل ان يطوى بساط الاختيار ويساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة واما الى النار واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والافات المانعة منها والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان الركن الاول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص وفي جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة الركن الثاني فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغائر الركن الثالث في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان اقسام التائبين في دوام التوبة الركن الرابع في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الاركان الاربعة

الركن الاول

في نفس التوبة وبيان حقيقة التوبة وحدها اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة امور مرتبة علم وحال وفعل فالعلم اول والحال ثان والفعل ثالث فالاول موجب للثاني والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله في الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم فان كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى اخر العمر واما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتألم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فسطع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه فتنبعث تلك النيران بارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة في الحصول يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه واله وسلم الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا فان هذا يعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا وقال سهل التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكانه اشار الى المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة

بيان

وجوب التوبة وفضلها اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالاخبار والايات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة فالسالك اما اعمى لا يستغني عن القائد في خطوه واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله او سنة رسوله وربما يعوزه ذلك فيتحير فسير هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بادنى اشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق في قلبه نور القران ونور الايمان وهو لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان فكانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء فهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم ان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى وقول القائل صار واجبا بالايجاب

حديث محض فان ما لا غرض لنا عاجلا وآجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف
معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد وعلم انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة
محول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار الجحيم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات وارتكاب الذنوب التي هي
اعراض عن الله والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة
القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به بدوام ذكره والمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته
وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله تعالى واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن
الله فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم
ان الذنوب اسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك
والعزم فلا يشك في ان المعاني الثلثة ضرورية في الوصول الى المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة واما من لم
يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك
فليلاحظ فيه قول الله عز وجل وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون
لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم الآية
ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة
فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام
حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن
من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ قال من شدة فرحه اذا اراد شكر الله انا عبدك وانت ربي ويروى عن الحسن قال لما تاب الله
على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبرئيل عليه السلام وميكائيل فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عز وجل عليك فقال
آدم عليه السلام يا جبرئيل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فاين مقامي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب
وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك ومن سألني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا آدم واحشر التائبين من القبور
مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والاخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه
العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا
العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق
من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما الندم على ما سبق والتحزن عليه فهو واجب وهو روح التوبة
وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله فان
قلت تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل
الى تحصيل سببه ولمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم
والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر
وما سوى هذا ضلال فان قلت فليس للعبد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار
ايضا من خلق الله والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان الله اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام
في المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن
الشهوة وهل دونه مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة

على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام
اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون
حصول الحركة ضروريا والجزم للارادة وهما من خلق الله وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا
من خلق الله ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله
حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة
ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال
او في المآل ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي ابدا يستتبع الارادة الجازمة
والقدرة ابدا تستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فلذلك
يجب تقدم البعض كما لا يخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا يخلق الحياة الا بعد الجسم ويكون خلق الجسم
شرطا لحدوث الحيوة لا ان الحيوة تتولد من الجسم ويكون خلق الحيوة شرطا لخلق العلم لا ان العلم يتولد
من الحيوة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن
وللامكان ترتيب لا يقبل التغير لان تغيره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود
الالهي والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله
ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها
بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداه وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الازلي العبارة بقوله وما
امرنا الا واحدة كلمح بالبصر واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب
بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك
والمعرفة فاذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق اهل عالم الملك والشهادة
المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت وقالوا يا ايها الرجل قد تحركت ورميت وكتبت ونودي من وراء حجاب الغيب وسرادقات الملكوت
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت اذ قتلت ولكن الله قتلهم قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند
هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط مائل الى انه
كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد صادق من وجه وان القصور شامل لجميعهم
فلم يدرك كل واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تعالى
عالم الغيب والشهادة لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة
الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما
يقينا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب انه صادق
من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال فاعلم ان جماعة من العميان
سمعوا انه حمل الى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته و
معرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفناه
فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه
الين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما تقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الاسطوانة اصلا بل هو
مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق احدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود ولا هو مثل الاسطوانة
وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ اخبر كل واحد عما اصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد

جزء من وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قد قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فانه مثال اكثر
ما اختلف الناس فيه وان كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده
وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وان الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة افعال الله
المحصورة بين علم العبد وارادته وقدرته المتخللة بينهما وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله

بيان ان وجوب التوبة على الفور

اما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتفصي عن وجوبه
الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل هي من علوم المعاملة وكل علم
يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا عليه فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها
فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وما اراد به نفي الايمان الذي يرجع
الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان لكون
الزنا مبعدا عن الله تعالى موجبا للمقت كما اذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن
بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله اصلا فالعاصي
بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى
عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة
الصور بطول مخالبها واظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد
الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة
الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها
فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان تنقلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في
مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم تنتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند
ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بالطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي
للمطيع اني مؤمن كما انك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر انا شجرة وانت شجرة وما احسن جواب شجرة الصنوبر اذ قالت
ستعرفين اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقلع اصولك
وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار وسوف ترى اذا انجلى الغبار افرس
تحتك ام حمار وهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما انقطع نياط العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون
فالعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة اذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته
وان الموت غالبا لا يقع فجاة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت وكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم
اذا ختم بالسوء وجب الخلود والمعاصي المكتسبة للايمان كالماكولات المضرة للابدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الاخلاط
وهو لا يشعر بها الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي فاذا كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا
المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من الماكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك
وان كان متناول السم اذا ندم يجب عليه ان يتقيأ ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافيا
لبدنه المشرف على الهلاك وهو لو لم يرجع لم يفت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب اولى بان
يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات الاخرة الباقية التي فيها
النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي تتصرم اضعاف اعمار الدنيا دون عشر عشير مدته اذ ليس

لمدتها آخر البتة فالبدار البدار الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز امر الاطباء واختيارهم ولا ينجع بعده
الاحتماء فلا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بانه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم اانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولا يغرنك لفظ الايمان فتقول المراد بالاية الكافر اذ بين لك ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزاني لا يزني حين يزني
وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع
الاطراف التي هي اصل ولا بقاء للاصل دون الفرع الا في شيء واحد وهو ان وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الاصل واما وجود
الاصل فلا يستدعي وجود الفرع ولكن بقاؤه يستدعي وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة و
علوم المعاملة مثالهما كذلك الفرع والاصل فلا يستغني احدهما عن الاخر وان كان احدهما في رتبة الاصل والاخر في رتبة التابع
وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فانها اذا لم تعمل عملها الذي يراد العلم له قامت مؤكدة للحجة على صاحبها
ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما اوردناه من الاخبار في كتاب العلم

بيان ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال

فلا ينفك عنه احد البتة اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا وعمم الخطاب
ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا
من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان الى اغواء
الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات
جنود الشيطان والعقل جنود الملائكة فاذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للاخر فانهما ضدان
فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الاخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل في
الصبي والشاب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به انس والف لا محالة بمقتضيات الشهوات
بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه من ايدي اعدائه شيئا
فشيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا
وان كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر الى العبادات
ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي الا وشهوته
سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة
الشهوات ضروريا في حق كل انسان نبيا كان او غبيا فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بادم صلوات الله عليه

شعر:
فلا تحسبن هندا لها الغدر وحدها • سجية نفس كل غانية هند •

بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس الانس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل
السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها فاذا كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من كفره وجهله فاذا بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة
اسلامه فعليه التوبة من غفلته عن الاهتمام بتفهيم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه اسلام ابويه شيئا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك
فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع الى قالب الحدود وحدود الله في المنع والاطلاق والانفكاك
عن الاسترسال وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل ان التوبة فرض عين
في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني عنها احد من البشر كما لم يستغن عنها ادم فخلقة الولد لا تتسع لما لم تتسع له خلقة الوالد اصلا واما

بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال

فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبياء كما ورد في القران والاخبار
من خطايا الانبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان
خلا في بعض الاحوال عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في
العلم بالله وبصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضداده رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتو

الرجوع ولا يتصور خلو في حق الآدمي عن هذا النقص وإنما يتفاوتون في المقادير فأما الأصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه وآله
وسلم إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة الحديث ولذلك أكرمه الله تعالى بأن قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره فإن قلت لا يخفى أن ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص وأن الكمال في الخلو عنه
وأن القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وأن الكمال في الخلو عنه وأن القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وأنه كلما ازدادت
المعرفة زاد الكمال وأن الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد أطلقت
القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة إذ درك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة
واجبة في كل حال فاعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقته عن اتباع الشهوات أصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام
التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الإنسان ارتفعت منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرآة الصقيلة
فإن تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
فإذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة إذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده وصار لا
يقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الآثار التي
انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآة قطع الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما
انطبع فيها من الآثار وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتنمحي ظلمة المعصية
بنور الطاعة وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها فإذن لا يستغني العبد في حال من أحواله عن محو
آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات هذا في قلب حصل أولا صفاؤه وجلاؤه ثم أظلم بأسباب
عارضة فأما التصقيل الأول ففيه يطول الصقل إذ ليس شغل الصيقل في إزالة الصدأ عن المرآة كشغله في عمل أصل
المرآة فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلا وكل ذلك يرجع إلى التوبة فأما قولك إن هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال
فاعلم أن الواجب له معنيان أحدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق به
لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى
بالكلية فإنه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ أحد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق في جمع عمر كل واحد فما يحتاج إليه
فجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول إلى القرب المطلوب من رب العالمين
والمقام المحمود بين الصديقين فالتوبة عن جميع ما ذكرناه واجب في الوصول إليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع أي
لمن يريدها فإنه لا يصل إليه إلا بها فأما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لأجلها وكما
يقال العين والأذن واليد والرجل شرط في وجود الإنسان يعني أنه شرط لمن يريد أن يكون إنسانا كاملا ينتفع بإنسانيته ويتوصل
بها إلى درجات العلا في الدنيا فأما من قنع بأصل الحياة ورضي أن يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط له عين
ويد ورجل فأصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل إلا إلى أصل النجاة وأصل النجاة كأصل الحياة وما وراء أصل النجاة
من السعادات التي بها تنتهي الحياة يجري مجرى الأعضاء والآلات التي بها تتهيأ الحياة يجري مجرى الحياة وفيه سعي الأنبياء والأولياء
والعلماء والأمثل فالأمثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولأجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى صلوات
الله عليه إلى أن توسد حجرا في منامه فجاءه الشيطان وقال أما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك
لهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع رأسك على الأرض فرمى عيسى بالحجر ووضع رأسه على الأرض وكان رميه للحجر توبة عن ذلك التنعم أفترى
أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة أفترى أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لما
شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى أعاد الشراك الخلق لم يعلم أن ذلك ليس
في شرع الذي شرعه لكافة العباد فإن علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك إلا لأنه رآه مؤثرا في قلبه أثرا يمنعه عن بلوغ المقام

المحمود الذي كان قد وعد به أو ترى أن الصديق بعد أن شرب اللبن وعرف أنه على غير وجهه أدخل إصبعه في حلقه ليخرجه
حتى كاد يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه إخراجه
فلم تاب عن أكله بالتدارك على حسب إمكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك إلا لسر وقر في صدره عرفه ذلك السر أن فتوى العامة
حديث آخر وأن خطر طريق الآخرة لا يعرفه إلا الصديقون فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن
الغرور بالله وإياك مرة واحدة أن تغرك الحياة الدنيا وإياك ثم إياك ألف مرة أن يغرك بالله الغرور فهذه أسرار من استنشق مبادئ
روائحها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في كل نفس من أنفاسه ولو عمر عمر نوح وأن ذلك واجب على الفور
من غير مهلة ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على تفويت ما مضى منه في غير الطاعة
لكان خليقا أن يحزنه ذلك إلى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة
نفيسة إذا ضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة وإن ضاعت منه وصار ضياعها سببا لهلاكه كان بكاؤه منه أشد وكل ساعة
من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف عنها ولا بدل لها فإنها صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنقذك من شقاوة الأبد
وأي جوهر أنفس من هذا فإذا أضعته في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وإن صرفته إلى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فإن كنت
لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها أنه صاحب مصيبة
فإن نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته
وقد رفع العلاج عن التدارك قال بعض العارفين إن ملك الموت إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة وأنك لا تستأخر
عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى
ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد إليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون وإليه الإشارة
بقوله تعالى من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا
إذا جاء أجلها فقيل الأجل القريب الذي يطلبه معناه أنه يقول العبد عند كشف الغطاء يا ملك الموت أخرني يوما أعتذر فيه إلى ربي
وأتوب إليه وأتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الأيام فلا يوم فيقول أخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فيغلق عليه
باب التوبة فيتغرغر بروحه ويتردد أنفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب
أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال فإذا زهقت نفسه فإن كانت سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن
الخاتمة وإن سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن وقوله إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على
القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر
التوبة فإن الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه
من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد
في الخبر أن أكثر صياح أهل النار من التسويف فما هلك من هلك إلا بالتسويف فيكون تسويده القلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة
إلى أن تختطفه الأجل فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والعمر أمانة
الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعات فمن خان في الأمانة ولم يتدارك خيانته فأمره مخطر قال بعض العارفين إن لله تعالى
إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإلهام أحدهما إذا خرج من بطن أمه يقول له عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا
واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا
صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فألقاك على الوفاء أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب وإليه الإشارة

بقوله ادعوني استجب لكم وبقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بيان ان التوبة اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار الله ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل وكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون وكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير واما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح من زكاها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يبق من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا اساميه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به فهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والاخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال تعالى غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وآله وسلم ... فهو دليل على القبول والزيادة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال ايضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم كفارة الذنب الندامة وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى ان حبشيا قال يا رسول الله اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله اكان يراني وانا اعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه ويروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله عز وجل وعزتي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا لا تحصى واما الآثار فقد قال سعيد بن المسيب انزل الله قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله عز وجل بشر المذنبين بانهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين اني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن

اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في ام الكتاب ويروى ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى الله اليه وعزتي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه الله وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم اوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول اما اني كنت مشفقا منك فيغفر له ويحكى ان رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب الم به هل من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال له ان للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس وقال عبد الرحمن بن ابي القاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لارجو ان يكون المسلم عند الله احسن حالا ولقد بلغني ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام لا احدثكم الا عن نبي مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال اذا تاب علي وقال آخر انا من ان احرم التوبة اخوف من ان احرم المغفرة اي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة ويروى انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصري ان لله عبادا نصبوا اشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم وانهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت افكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فاورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم في العلا حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة مقبولة لا محالة فان قلت افتقول ما قاله المعتزلة من ان قبول التوبة واجب على الله فاقول لا اعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب الماء وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله تعالى بل اقول خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به الارادة الازلية فواجب كونه لا محالة فان قلت فما من تائب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال العطش فلم يشك فيها فاقول شكه في القبول كشكه في وجود شرائط الصحة فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة كما سيأتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للاسهال في انه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وادويته فهذا وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سيأتي في شروطها

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها

اعلم ان التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذن واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله تعالى في ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات الكليات من اولها الى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها

بيان اقسام الذنوب بالاضافة الى صفات العبد

اعلم ان للانسان اوصافا واخلاقا كثيرة على ما عرف شرحه

في كتاب شرح عجائب القلب وغوائله ولكن يجمعها مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات
بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منه اثرا
من الآثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين آثارا مختلفة فاما ما يقتضي النزوع الى الصفات الربوبية فمثل
الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد ان يقول
انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة كبائر من الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات
لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر
بالفساد والمكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب
والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواطة والسرقة واكل اموال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات
الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال
ويتفرع منها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم تتلوها الصفة السبعية
ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر
والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع
على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على
اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك
فانها واضحة قسمة ثانية اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله تعالى والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة
كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الاموال وشتمه
الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس او طرف او مال او عرض او دين او جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة
والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجراءة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق
بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله اذا لم يكن شركا فالعفو فيه ارجى واقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلاثة
ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك والديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى واما الديوان الذي لا
يغفر فالشرك واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد وان يطالب به حتى يعفى عنه قسمة ثالثة اعلم ان الذنوب
تنقسم الى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيه فقال قائلون لا صغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله
تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال صلى الله عليه وآله وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة يكفرن
ما بينهن ان اجتنبت الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن الا الكبائر وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما
رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكبائر هي الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف
الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هن اربع
وقال ابن عمر هن سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هن الى السبعين
اقرب منها الى السبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما اوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف
كل ما اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل
عنه اقرأوا من اول سورة النساء الى ثلاث وثلاثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة
الى هنا فهو كبيرة وقال ابو طالب المكي الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود
وابن عمر وغيرهم اربعة في القلب وهي الشرك بالله تعالى والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره واربعة في

اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا او يبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها
مال امرئ مسلم باطلا ولو سواكا من اراك ويسمى غموسا لانها تغمس صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام
عن موضوعات الخلقة وثلاثة في البطن وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربا وهو يعلم واثنان
في الفرج وهما الزنا واللواطة واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة وواحد في الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من
اثنين والعشرة من عشرين وواحد في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا
يبر قسمهما وان سألاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما وان يجوعا فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل
به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهو جناية على الاموال ولم
يذكر في كبائر النفوس الا القتل فاما فقء العينين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع العذاب
لم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك في انه اكبر من اكل ماله كيف وفي الخبر من الكبائر السبتان بالسبة
ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصن وقال ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة
انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكبائر وقالت
طائفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في ان السرقة كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم
معنى الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام ام لا ولا مطمع في معرفته الا بعد تقرير معنى الحرام اولا ثم البحث عن وجوده
في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الصغير والكبير من المضافات
وما من ذنب الا وهو كبير بالاضافة الى ما دونه وصغير بالاضافة الى ما فوقه فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى
النظر اليها صغيرة بالاضافة الى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى الضرب صغيرة بالاضافة الى قتله نعم للانسان
ان يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة كبيرة ونعني بوصفه بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله ان يطلق على ما اوجب
الحد عليه كبيرة مصيرا الى ان ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله ان يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه
فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرة لا محالة بالاضافة اذ منصوصات القرآن ايضا تتفاوت
درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات
نعم من المهمات ان تعلم معنى قول الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقول رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الصلوات الخمس
كفارات لما بينهن الا الكبائر فان هذا اثبات حكم للكبائر والحق في ذلك ان الذنوب منقسمة في نظر الشرع الى ما يعلم استعظامه
اياها والى ما يعلم انها معدودة في الصغائر والى ما يشك فيه فلا يدرى حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر او عدد جامع
مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان يقول اني اردت بالكبائر عشرا
او خمسا ويفصلها فاذا لم يرد هذا بل ورد في بعض الالفاظ ثلاث من الكبائر وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد ان السبتين
بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن السبع والثلاث علم انه لم يقصد به العدد بالحصر فكيف يطمع في عد ما لم يعدده
الشرع وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبها نعم لنا سبيل كلي
يمكننا ان نعرف به اجناس الكبائر وانواعها بالتحقيق واما اعيانها فنعرفها بالظن والتقريب ونعرف ايضا اكبر الكبائر فاما
اصغر الصغائر فلا سبيل الى معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وانوار البصائر جميعا ان مقصود الشرائع كلها سياقة
الخلق الى جوار الله وسعادة لقائه وانه لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله ومعرفة صفاته وكتبه ورسله واليه الاشارة بقوله
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية
فلا بد وان يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء ولكن لا يتم هذا الا في الحياة الدنيا وهو المعنى بقوله عليه السلام
الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا ايضا مقصودا تابعا للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان النفوس

والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكباير ويليه ما يسد باب حيوة النفوس ويلي ذلك ما يسد باب المعايش التي
بها حيوة النفوس فهذه ثلث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحيوة على الابدان والاموال على الاشخاص ضروري في
مقصود الشرايع كلها وهذه ثلثة امور لا يتصور ان تختلف فيها الملل فلا يجوز ان يبعث الله نبيا يريد ببعثه اصلاح الخلق
في دينهم ودنياهم ثم يامرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله ويامرهم باهلاك النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا ان
الكباير على ثلث مراتب الاولى ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين العبد وبين
الله هو الجهل والوسيلة المقربة له اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده بقدر جهله ويتلو الجهل الذي يسمى
كفرا الامن من مكر الله والقنوط من رحمته فان هذا ايضا عين الجهل فمن عرف الله لم يتصور ان يكون آمنا ولا ان يكون آيسا ويتلو
هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل
بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وافعاله وشرايعه وباوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم الى ما يعلم انها داخلة تحت
ذكر الكباير المذكورة في القرآن والى ما يعلم انها لا تدخل والى ما يشك فيه وطلب رفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع الرتبة
الثانية النفوس اذ ببقايها وحفظها تدوم الحيوة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس لا محالة من الكباير وان كان دون الكفر
لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ حيوة الدنيا لا تراد الا للآخرة والتوصل اليها بمعرفة الله تعالى
ويتلو هذه الكبيرة قطع الاطراف وكل ما يفضي الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا و
اللواطة لانه لو اجتمع الناس على الاكتفا بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الموجود قريب من قطع الوجود واما
الزنا فانه لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التي لا ينتظم العيش الا
بها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولا ينتظم امور البهايم ما لم يتميز الفحل منها باناث يختص بها عن ساير الفحول ولذلك لا
يتصور ان يكون الزنا مباحا في اصل شرع قصد به الاصلاح وينبغي ان يكون الزنا في الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود
ولا يمنع اصله ولكنه يفوت تمييز الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضي الى التقاتل وينبغي ان يكون اشد من اللواطة لان
الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر بكثرته الرتبة الثالثة الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز
تسليط الناس على تناولها كيف شاوا حتى بالاستيلا والسرقة وغيرهما بل ينبغي ان تحفظ لتبقى ببقايها النفوس الا ان الاموال
اذا اخذت امكن استردادها وان اكلت امكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغي
ان يكون ذلك من الكباير وذلك باربعة طرق احدها الخفية وهي السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا كيف يتدارك الثاني
اكل مال اليتيم وهذا ايضا من الخفية واعني به في حق الولي والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه
فتعظيم الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فان المودع خصم فيها ينتصف لنفسه
الثالث تفويتها بشهادة الزور والرابع اخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا
يجوز ان تختلف الشرايع في تحريمها اصلا وبعضها اشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة
جديرة بان تكون مرادة بالكباير وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تاثيرها
واما اكل الربا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد ان تختلف الشرايع في مثله واذا لم
يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكباير فاكل الربا اكل برضا المالك ولكن دون رضا
الشرع وان عظم الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم ايضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى ان اكل دانق بالخيانة
او الغصب من الكباير فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكباير بل ينبغي ان تختص
الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرايع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما ذكره ابو طالب المكي القذف والشرب والسحر
والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكباير وقد دل عليه تشديدات

الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظة بل لا خير في النفس دون العقل فازالة العقل من الكباير
ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر فلا شك انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة
وحدها في محل الشك وايجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك من الكباير بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف
على جميع اسرار الشرع فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال واما القذف فليس فيه الا تناول
الاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب واعظمها التناول بالاضافة الى الفاحشة الزنا وقد عظم
الشرع امره واظن ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذي
نريده بالكبيرة الان ولكن من حيث انه يجوز ان تختلف فيه الشرايع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز ان يرد
الشرع بان العدل الواحد اذا راى انسانا يزني فله ان يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته فان لم يقبل شهادته فحده
ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذا هذا ايضا يلحق بالكباير
في حق من عرف حكم الشرع فاما من ظن ان له ان يشهد وحده او ظن انه يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي ان يجعل في حقه
من الكباير واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس او مرض او غيره
واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون من حيث القياس في محل التوقف فاذا قطع بان سب الناس
بكل شي سوى الزنا وضربهم والظلم عليهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم وجلائهم من اوطانهم ليس من الكباير اذ لم
ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا ايضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميتها كبيرة فليلحق
بالكباير فاذا رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا يكفر
قطعا والى ما ينبغي ان يكفر والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك
لا يزيله الا نص كتاب او سنة واذا لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال فان قلت فهذا اقامة برهان على استحالة معرفة حده فكيف
يرد الشرع بما يستحيل معرفته فاعلم ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه الابهام لان دار التكليف هي دار
الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل موجبات الحدود معلومة باسمايها كالسرقة والزنا وغيرهما
وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا امر يتعلق بالآخرة والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا
يتجرون على الصغاير اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكباير يكفر الصغاير بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون
عنه ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه
عن الوقاع فيقتصر على نظر او لمس فان مجاهدته نفسه بالكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه
فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا او لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير
اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيحت له لما شربها فاجتنابه لا يكفر عنه الصغاير التي هي من مقدماته كسماع الملاهي
والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما تمحو عن
قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع وكل هذه احكام اخروية ويجوز ان يبقى بعضها في محل الشك ويكون من المتشابهات
فلا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة فقد روى ابو هريرة انه عليه السلام قال
الصلوة الى الصلوة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما ترك السنة
قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله
ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكباير والورع عن الصغاير ليس شرطا في
قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكباير فلا خلاف في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج
ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكباير وقال الشافعي

اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل ان الشهادة نفيا و
اثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري
العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات
وسب الولد والخادم وضربهما بحكم الغضب زائدا على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل
عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها وكثيرها الا
بان يعتزل الناس ويتجرد لامور الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول
مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات ولبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة اهل الشرب في
وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادة
وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها اثر في رد الشهادة كمن اتخذ
الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة
كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب
والملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك واحوالك يسمى القريب
الداني منها دنيا والمتأخر آخرتك صفاتك واحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والمتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم
من الدنيا في الآخرة فانا الآن في الدنيا من عالم الملك ومرمانا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم
الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان
عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون
في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين لك في
نوم الدنيا الا في كسوة الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلاثة امثلة فقد
جاء رجل الى ابن سيرين وقال رأيت كأن في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان
قبل الصبح فقال صدقت وجاء آخر فقال رأيت كأني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن
حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت امه وقد سبيت في صغره وقال آخر
رأيت كأني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما قال والتعبير من اوله الى آخره امثال
تعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجده صادقا وان نظر الى صورته وجده
كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا
اذ صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال
لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم في النوم والنائم لا يكشف له شيء الا بمثل فاذا ماتوا
انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
وهو من المثال الذي لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي يسمى تأويلا
كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا واصبعا تعالى الله عن قوله وكذلك في قوله صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله تعالى خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثله تعالى عن قوله علوا كبيرا
ومن ههنا زل من زل في صفات الالهية حتى في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه مطول
وكذلك قد يرد في امر الآخرة ضرب امثلة يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وآله

وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح فيثور الملحد الاحمق ويكذب به ويستدل به على كذب الانبياء ويقول يا سبحان
الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة اسرار
الله تعالى وقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من قال رأيت في منامي انه جيء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد
وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رأيت وهذا يدل على ان هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع اليأس منه فاذا
المعبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته ويرجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الارواح عند
النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه ما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقا
وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة
حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن ادراكه ونضرب ليصل الحكم الى افهامهم حصول اليأس عن الموت
وقد جبلت القلوب على التأثر بالامثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة
وعبر صلى الله عليه وآله وسلم بقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد اشرنا الى الحكمة في ذلك
في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات فلنرجع الآن الى الغرض فالمقصود انا نعرف انه كيف تتوزع الدركات والدرجات
على الحسنات والسيئات ولا يمكن الا بضرب الامثال فليفهم من المثال الذي نضربه معناه لا صورته فنقول الناس في الآخرة ينقسمون
اصنافا وتتفاوت درجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها
ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى اصلا البتة فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية
مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول الناس في الآخرة
ينقسمون بالضرورة الى اربعة اقسام الهالكين والمعذبين والناجين والفائزين ومثاله في الدنيا ان يستولي ملك من الملوك
على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلي بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعض
فهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا يقتل الا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له
في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي الا معترفا له برتبة الملك لكنه
لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من ابلى عمره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي ان يكون خلع الفائزين متفاوتة
الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب درجاتهم في المعاندة وتعذيب
المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فتنقسم كل رتبة
من هذه الرتب الى درجات لا تنحصر فكذلك فافهم ان الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن
ناج يحل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن او جنات المأوى او جنات الفردوس
والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر
وكذا الهالكون الآيسون عن رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي
فلنذكر كيفية توزعها عليها الرتبة الاولى وهي رتبة الهالكين ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله تعالى اذ الذي قتله الملك
في المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون الا
للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله وبرسله وكتبه فان السعادة الاخروية في القرب من الله والنظر
الى وجهه وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون المكذبون
هم الآيسون من رحمة الله ابد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبانبيائه المرسلين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا نار جهنم بنار الفراق ولهذا قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين انما مطلبنا
اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم اذ يعبده لطلب جنته او لخوف ناره بل العارف

بعد ما لذاته طلب اللذات فقط فاما الجوهر والفواكه فقد شبهناها واما النار فقد شبهناها انها نار الفراق اذا استولت
بما علت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ونار جهنم لا تشتغل الا مع الاجساد
والم الاجساد يستحقر مع الم الفؤاد ولذلك ترى صاحب الوجد والحب ان يهوي احدنا بالجحيم ابدا ولا يستوي ان يتكبر ههنا في
عالم الاخرة اذ لم يظهر مشاهد وفي عالم الدنيا فقد رأى من غلب عليه الوجد صبرا على النار وعلى اصول الضيعة الجارحة
للكلم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فيصيبه جراحات وهو لا يشعر بها
في الحال لان الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغضب قطعة من النار واحتراق الفؤاد
اشد من احتراق الاجساد لا يستطيل لاحساس الاضعف كما ركة فليس الكي من النار والسيف اللذين حيث انه يفرق
بين جزئين يرتبط احدهما بالاخر لبطل التأليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه الذي يرتبط به ارتباطا
التأليف اشد احكاما من تأليف الاجسام هو اشد ايلاما ان كنت من ارباب البصائر وارباب القلوب والبعد ان الاذى يكون
من القلب اشد تمنعا للالم ويستحقر بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين
الم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطنة اصلا لانه لم يعد ذلك الما وقال العدو في الميدان
مع الصولجان احب الي من سرير الف سلطان مع الجلوس عليه بل من غلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين
فعل جميل يقهر به الاعداء ويفرح به الاصدقاء لاثر الهريسة والحلواء وهذا كله لفقد المعنى الذي يوجد به يصيب الجاه ووجود المعنى
المعنى الذي يوجد به يصيب الطعام لذيذ اذ ذلك لمن اسرته صفات البهائم والسباع ولم يظهر فيه الصفات الملكية
التي لا تناسبها ولا تلذها الا القرب من رب العالمين ولا يلذها الا السعداء الحجاب وكما لا يكون الذوق الا في اللسان والسمع
الا في الاذان فلا يكون هذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له لم يحصل هذا الحس كمن لا سمع والبصر له لم يحصل لذة الالحان وحسن
الصور والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن
مفلسا من القلب ولست اعني بالقلب هذا اللحم الذي تكتنفه عظام الصدر بل اعني به السر الذي هو من عالم الامر وهذا
اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وسائر الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا ولكن ذلك
السر الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك والامير لان بين عالم الامر وبين عالم الخلق ترتيبا وعالم
الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد
عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي روائح المعنى المطوي تحت قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق آدم على
صورته وينظر بعين الرحمة الى الحاملين لظاهر لفظه والى المتعسفين في طرق تاويله وان كانت رحمته على الجامد
على اللفظ اكثر من رحمته على المتعسف في التاويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اولئك اكثر وان اشتركوا
في مصيبة الحرمان من خصمه كلام الحكمة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يختص بها من
يريد ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد احتمل الطول ولطول النفس اذ ربوا على من علوم
المعاملة التي نقصده في هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة البله ليس الا للجهال المكذبين وبشهادة ذلك من كتاب الله تعالى وسنة
رسوله المحط تحت الحصر فلذلك لم يوجه الرتبة الثانية رتبة المعذبين وهي رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر
في الوفا بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو
موحد باللسان لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله معنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو ان تذر بالكلية غير الله ومعنى قوله ان
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه ادق من الشعر
واحد من السيف مثل الصراط المستقيم الموصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير اذ لا يخلو عن
اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لا محالة نقصانا

في درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل
مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما
يكون بسبب امرين احدهما قوة الايمان وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد
من هذين الامرين قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ولذلك قال الخائفون
من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا في النجاة ولما روى الحسن الخبر الوارد في انه يخرج من
النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل فاعلم ان في الاخبار ما يدل على ان
اخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وان الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة الاف حتى يتخلص بعضهم على
النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث وبين اللحظة وسبعة الاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وسائر
المدد وان الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاها وادناها التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين
في الاعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف
ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب بالمال والولد والاهل
واستباحة الحريم ويعذب الاقارب في الضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في
عذاب الآخرة دل عليه قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات
وقلتها اما الشدة فالعذاب بحسب شدة قبح السيئات وكثرتها واما كثرتها فظاهر واما اختلاف انواعها فباختلاف انواع السيئات
وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعني بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وبقوله اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك بحكم العدل فنحو
العفو والرحمة ابلغ اذ قال فيما حكى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبقت رحمتي غضبي وقال تعالى وان تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فاذا هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات
معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ويستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من انوار
الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكبائر واحسن جميع الفرائض اعني الاركان
الخمسة ولم يكن منه الا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه بالمناقشة في الحساب فقط فانه اذا حوسب رجحت
حسناته على سيئاته اذ ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك اجتناب الكبائر
بحكم نص القرآن مكفر للصغائر واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه
فينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم التحاقه باصحاب اليمين او بالمقربين
ونزوله في جنات عدن او في الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف الايمان لان الايمان ايمانان تقليدي كايمان العوام
يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو
عليه فيتضح ان الكل الى الله مرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون
في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملأ الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم
وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين في المعرفة بالله لا تحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكنة وبحر
المعرفة ليس له ساحل وعمق وانما يغوص فيها الغواصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله في الازل فالطريق
الى الله لا نهاية لمنازله فالسالكون لسبيل الله لا نهاية لدرجاتهم واما المؤمن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته
دون درجة المقربين وهم ايضا على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين

بل حاله حال من اجتنب كل الكبائر وادى كل الفرائض اعنى الاركان الخمسة التى هى النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلوة
والزكوة والصوم والحج فاما من ارتكب كبيرة او كبائر او اهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل
التحق بمن لم يرتكب لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول كالذى لم يتسخ اصلا وان مات قبل التوبة فهذا
امر مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما اذا كان ايمانه
تقليديا فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شك وخيال والعارف البصير ابعد عن ان يخاف عليه سوء
الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان الا ان يعفو الله وعذابا يزيد على عذاب المناقشة فى الحساب ويكون كثرة العقاب
من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف
السيئات وعند انقضاء العقاب ينزل البله المقلدون فى درجات اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون فى اعلى
عليين وفى الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف فلا تظنن ان المراد به تقديره بالمساحة للاطراف
والاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين او بعشرة فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال بل هو كقول القائل اخذ منه جملا واعطاه
عشرة امثاله وكان الجمل يساوى عشرة دنانير فاعطاه مائة دينار فان لم يفهم من المثل الا المثل فى الوزن والثقل والشكل
ما يساوى دينارا لو وضع فى كفة الميزان والجمل فى الكفة الاخرى عشر عشير الجمل وموازنته معانى الاجسام وارواحها دون اشخاصها
وهياكلها فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروح المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة
امثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صدق عند من يعرف روح المالية من الذهب وكذا لو اعطاه
جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته عشرة امثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهرى فان روح الجوهر
لا يدرك بمجرد البصر بل بفطنة اخرى وراء البصر ولذلك يكذب بها الصبى بل القروى والبدوى ويقول ما هذه الجوهرة الا حجر
وزنه مثقال ووزن الجمل الف مثقال فقد كذب فى قوله انى اعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبى
ولكن لا سبيل الى تصديقه الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل فى قلبه النور الذى يدرك به ارواح الجواهر
وسائر الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فى هذه الموازنة اذ قال للجنة فى السموات كما ورد فى الخبر عرضها عرض السموات من الدنيا فكيف يكون عشرة امثال
الدنيا فى الدنيا وهذا كالجوهرى العاجز عن تفهيم الصبى تلك الموازنة وكذا عن تفهيم البدوى وكما ان الجوهرى مرحوم اذا
بلى بالبدوى والقروى فى تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ارحموا ثلثة عالما بين الجهال وغنى قوم
افتقر وعزيز قوم ذل والانبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الامة عنهم وامتحانهم بالابتلاء
بهم سنة الله تعالى فى كل من سبق فى تكميله القضاء الازلى وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وآله وسلم البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل فلا تظنن ان البلاء بلاء ايوب وهو الذى نزل بالبدن فان بلاء نوح صلوات الله عليه ايضا من البلاء العظيم
اذ ابتلى بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه الا فرارا ولذلك لما تاذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكلام بعض الناس
قال رحم الله اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر فاذا لا يخلو الانبياء عن الابتلاء بالجاحدين ولا يخلو الاولياء والعلماء
عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلما ينفك الاولياء عن ضروب الايذاء وانواع البلاء بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين
والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين فواجب ان يكون اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكافرين كما يجب ان يكون النقد
عند ابن الكبيرة جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المقلدين المضيقين فاذا عرفت هذه الحقايق فآمن بقوله صلى الله عليه
وآله وسلم انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات واياك ان تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس
فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك فى الحواس الخمس فان انت تعاطيت الموازنة بين الجنة وعرضها على السموات
والارض فلا يمكن ان تحملها واشتغلت بها فادركها خرج عن عالم الحواس الخمس الصادقة الا فى عالم فذلك الشيء الذى

الحواس وعالم البهائم ثم نزل من ذلك وعطله واهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذى اهلك نفسه
بتعطيلها ونسيها بالاعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم ومن لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسى
الله اذ ليس ذات الله مدركا فى هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسى الله انساه لا محالة نفسه ونزل الى رتبة البهائم
وترك الترقى الى الافق الاعلى وخان فى الامانة التى اودعه الله وانعم بها عليه فكان كافرا لنعمته ومتعرضا لنقمته الا انه
اسوأ حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذا فعنده امانة سترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة و
مصيرها وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا القالب الفانى وغربت فيه وستطلع من الشرق عند خراب
القالب من مغربها وتعود الى بارئها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن
حضرة الربوبية والمظلمة ايضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة رأسها عن جهة اعلى عليين
الى جهة اسفل السافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فبين انهم عند ربهم الا انهم
منكوسون محجوبون قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله فى
من حرمه توفيقه ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول فى منازل الجهال فهذه احكام اقسام من يخرج من النار
ويعطى مثل عشرة امثال الدنيا او اكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعنى بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله الا الله
فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا فى عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وايدى الغانمين عن ماله
ومدة الرقبة والمال مدة الحياة فحيث لا تبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان بل ينفع الصدق فى التوحيد وكمال
التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله وعلامته ان لا يغضب على احد من الخلق بما يجرى عليه اذ لا يرى الوسائط
وانما يرى مسبب الاسباب كما سيأتى تحقيقه فى التوكل وهذا التوحيد متفاوت ففى الناس من له من التوحيد مثل الجبال
ومنهم من له مثقال ومنهم من له مثقال خردلة وذرة فمن فى قلبه مثقال دينار من ايمان فهو اول من يخرج من النار وفى الخبر يقال
اخرجوا من النار من فى قلبه مثقال دينار من ايمان فآخر من يخرج من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة
على تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما
ذكرناه من الموازنة بين اعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد
هو الديوان الذى لا يترك فاما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها ففى الاخبار ان العبد ليوقف بين يدى الله
تعالى وله حسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم اصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا واخذ مال
هذا وضرب هذا فيقتص من حسناته حتى لا تبقى له حسنة فتقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقى طالبون كثير فيقال
القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم
بحسنة الظالم اذ تنقل اليه عوضا عما ظلم به ويحكى عن ابن الجلاء ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال
لا افعل ان فى صحيفتى حسنة افضل منها فكيف امحوها وقال هو وغيره ذنوب اخوانى من حسناتى اريد ان ازين بها
صحيفتى فهذا ما اردنا ان نذكره من اختلاف العباد فى المعاد فى درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بطريق الاسباب
بما يحكم الطبيب على مريض بانه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بان مرضه خفيف وعلاجه هين فان
ذلك ظن يصيب فى اكثر الاحوال ولكن قد يبرأ المشرف على الهلاك بسبب خفى لا يطلع عليه الطبيب ويتعافى الذى
به المرض الخفيف اجله من حيث لا يطلع عليه وذلك اسرار الله تعالى الخفية فى ارواح الاحياء وغوامض الاسباب التى رتبها مسبب
الاسباب بتقدير معلوم اذ ليس فى قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز فى الآخرة له اسباب خفية ليس فى قوة
البشر الاطلاع عليها ونعبر عن ذلك السبب الخفى المفضى الى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضى الى الهلاك بالغضب والانتقام
ووراء ذلك سر المشيئة الالهية الازلية التى لا يطلع الخلق عليها ولذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصى وان كثرت سيئاته

الطاهر والعصب على المطيع وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو اغمض من ان يطلع
عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب انه لا يظلم عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو والغضب جزاء
على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن ذلك عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة ولما نال عن الاتباع اهوا
قلوبهم وطاعتهم السنتهم غير الله ما بهم بحسب قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب
القلوب انكشافا اوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب
يمكن الغلط فيها وانما الشان في انشراح بصيرة القلب والا فما يرى بها بعد الانشراح فلا يتصور فيه الكذب واليه الاشارة
بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الرتبة الثالثة رتبة الناجين واعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم
لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين
لم تبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية
فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من اهل الجنة ولا من اهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين
عبر الشرع عنه بالاعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا من الآيات والاخبار ومن انوار الاعتبار فاما الحكم على التعيين
كالحكم مثلا بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع عليه تحقيقا في عالم الغيب وسعدان يرتقي اليه رتبة
الاولياء والعلماء والاخبار في حق الصبيان ايضا متعارضة حتى قالت عائشة لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير
الجنة فانكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وقال ما يدريك فالاشكال والاشتباه اغلب في هذا المقام الرتبة
الرابعة الفائزون وهم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فان المقلد وان كان له فوز على الجملة بمقام
في الجنة فهو من اصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون والملتحق بهم يقصر عنه البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن
فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم هو الذي اجمله قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة
التي لا يتصور ان تخطر على قلب بشر في هذا العالم فاما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور
فانهم لا يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم فهي غاية السعادات ونهاية
اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار
عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن انفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى
وجهه والتفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه
ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصار همه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت اليه لا
نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى قرة عين لا يتصور ان تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور
ان تخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه الا ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ويعلم
قطعا انه لم يتصور ان يخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطا فعند ذلك يدرك
حاله ويعلم قطعا انه لم يتصور ان يخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطا فعند ذلك
يدرك ذوقه الحياة الطيبة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات

بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا
صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجى من
صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه

دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشياء تستبان باضدادها
فان كان النافع من العمل هو الدائم وان قل فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات
اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر
فقلما يزني الزاني بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر وقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات
وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة سالفة فكل كبيرة وقعت بغتة ولم يتفق لها عود ربما كان العفو فيها ارجى
من صغيرة واظب الانسان عليها عمره ومنها ان يستصغر الذنب فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله وكلما
استصغره كبر عند الله لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تاثره
به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور
تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة فان القلب لا يتاثر بما يجري في الغفلة وقد جاء في الخبر المؤمن يرى
ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر
قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وانما تعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصى به رأى
الصغير كبيرا وقد اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر
الى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة
انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الموبقات اذ كانت
معرفة الصحابة بجلال الله اتم فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله كبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا
يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة يكبر بقدر المخالف
ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح به واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت
حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه
بمقارفته اياه كما يقول اما رأيتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته اما رأيتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه
حتى خجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول المعامل في التجارة اما رأيت كيف روجت عليه الزيف وكيف خدعته
وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته فهذا وامثاله تكبر به الصغائر فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان
به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة وتاسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله فالمريض الذي يفرح بان
ينكسر اناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من الم شربه لا يرجى شفاؤه ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله
ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لامنه من
مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير
ومنها ان يأتي الذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه او يأتيه في مشهد غيره فان ذلك جناية منه على ستر الله الذي سدله عليه
وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فغلظت به فان انضاف الى ذلك
الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين
يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله ونعمه انه يظهر الجميل
ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب
ذنبين ولذلك قال الله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف
ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصيته ثم يهونها عليه ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا
فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب واخذه مال الشبهة من اموال السلاطين ودخوله

على السلاطين وتودده اليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم واطلاق اللسان في الاعراض وتعقبه باللسان في المناظرة
وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت
العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم آمادا متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة سيئة فعليه
وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء وقال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم والآثار ما يلحق الاعمال بعد انقضاء
العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال
بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق اهلها وفي الاسرائيليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم
ادركته توبة فعمل في اصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف
بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار فبهذا يتضح ان امر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان احدهما ترك الذنب والاخرى اخفاؤه
وكما تتضاعف اوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا
وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام ويكون له مثل ثوابهم
وان مال الى التجمل مالت الطباع ممن دونه الى التشبه به ولا يقدرون على التجمل الا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام
ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها اما بالربح واما بالخسران
وهذا القدر كاف في تفصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها

الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها الى آخر العمر

قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم اورثه العلم بكون المعاصي حائلة بينه
وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شرط فلا بد من بيانها اما العلم فالنظر
فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي واما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن
وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر فمن استشعر عقوبة نازلة بولده او ببعض اعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه واي عزيز اعز
عليه من نفسه واي عقوبة اشد من النار واي شيء ادل على نزول العقوبة من المعاصي واي مخبر اصدق من الله ورسوله
ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا ان مرض ولده لا يبرأ وانه سيموت منه لطال في الحال حزنه فليس ولده اعز عليه من نفسه ولا الطبيب
باعلم ولا اصدق من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض ادل على الموت من المعاصي على سخط الله والتعرض
بها للنار فالم الندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب به ارجى فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر
جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة ومن علامته ان تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل
بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفي الاسرائيليات ان الله سبحانه قال لبعض انبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد
سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتي لو شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك
الذنب الذي تاب منه في قلبه فان قلت فالذنوب هي اعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها فاقول من تناول عسلا كان فيه سم
ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال المه وتناثر شعره وفلجت اعضاؤه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو
في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل ام لا فان قلت لا فهو جحد للمشاهدة بل ربما تنفر عن العسل
الذي ليس فيه سم لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بان كل ذنب فذوقه ذوق
العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق الا بمثل هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتائبون
فلا ترى الا معرضا عن الله متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي ان يدوم الى الموت وينبغي ان يجد
هذه المرارة في جميع الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم ان
فيه مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث انه سرقة وزنا
بل من حيث انه مخالفة امر الله وذلك جار في كل ذنب واما القصد الذي ينبعث منه وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو يوجب ترك

كل محظور هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام
الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن
او الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي قصر فيه منها
والى المعاصي ما الذي قارفها منها فان كان قد ترك صلاة او صلاها في ثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها
عن آخرها فان شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي وله ان ياخذ
فيه بغالب الظن ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد واما الصوم فان كان قد تركه في سفر ولم يقضه او افطر
عمدا او نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائها واما الزكاة فيحسب جميع ماله
وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكاة واجبة على الصبي فيؤدي ما علم بغالب الظن انه في ذمته فان
اداه لا على وجه يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية او اخرج البدل وهو على مذهب الشافعي فيقضي
جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه اصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك مما يطول ويحتاج فيه الى تأمل شاف وعليه ان يسأل كيفيته
اخراجه من العلماء واما الحج فان كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له خروجه والآن قد افلس فعليه الخروج
فان لم يستطع مع الافلاس فعليه ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه ان يسأل الناس
ليصرف اليه من الزكوات والصدقات ما يحج به فانه ان مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها
واما المعاصي فيجب ان يفتش من اول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم
ينظر في جميع ايامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميع صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك
بينه وبين الله من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء
واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبان
يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك
السيئات اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع
الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا
ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو اطيب واحب اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما
المقصود سلوك الطريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع
اليها بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان تمحى كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها
فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه اصدق
والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك ايضا مؤثرا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله
ويدل على ان الشيء يكفر بضده ان حب الدنيا راس كل خطيئة واثر اتباع الدنيا في القلب السرور به والحنين
اليه فلا جرم كان كل اذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم
عن دار الهموم وقال صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ الا الهم بطلب المعيشة
وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال تكفرها ادخل الله تعالى عليه الغموم فيكون كفارة لذنوبه
ويقال ان الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع
فان قلت هم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة فاعلم ان الحب له خطيئة والحرمان

لقاتل ولو شفع بليت الخطيئة فقد روى ان جبرئيل دخل على يوسف في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن
عليه حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال اجر مائة شهيد فاذن الهموم ايضا تكفيرات حقوق واما مظالم العباد ففيها
ايضا معصية وجناية على حق الله فان الله نهى عن ظلم العباد ايضا فما يتعلق منه بحق الله تداركه بالندم والتحسر وترك
مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي اضدادها فيقابل ايذاء الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق
بملكه الحلال ويكفر تناول اعراضهم بالغيبة والقدح بالثناء على اهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير من اقرانه و
امثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده والاعتاق ايجاد
لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد وبهذا تعرف ان ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير
والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد
ومظالمهم اما في النفوس او الاموال او الاعراض او القلوب اعني به الايذاء المحض اما في النفوس فان جرى عليه قتل
خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها الى المستحق اما منه او من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول فان كان عمدا
موجبا للقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه ان يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فان شاء عفا
عنه وان شاء قتله ولا تسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو زنى او شرب او سرق او قطع الطريق
او باشر ما يجب فيه حد من حدود الله فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله
بل عليه ان يستتر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله قريب من التائبين
النادمين فان رفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله بدليل ما روي
ان ماعز بن مالك اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وزنيت واني اريد ان
تطهرني فرده فلما كان من الغد اتاه فقال يا رسول الله اني قد زنيت فرده الثانية فلما كان في الرابعة حفر له حفيرة
ثم امر به فرجم وكان الناس فيه فرقتين فقائل يقول لقد هلك لقد احاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة افضل من
توبة ماعز فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجاءت الغامدية فقالت
يا رسول الله اني قد زنيت فطهرني وانه ردها فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك تريد ان تردني كما
رددت ماعزا فوالله اني لحبلى فقال لها اذهبي حتى تلدي فلما ولدت اتته بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته قال
اذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته اتته بالصبي وفي يده كسرة خبز قالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام
فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم امر بها فحفر لها الى صدرها وامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى
راسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبه اياها فقال مهلا يا خالد فوالذي
نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت واما القصاص وحد القذف فلا بد
من تحليل المستحق فيه وان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او غبن في معاملة بنوع تلبيس كترويج زيف او ستر
عيب من المبيع او نقص اجرة اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من اول مدة وجوده فان ما يجب
في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه فان لم يفعل كان ظالما مطالبا به اذ يستوي
في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والدوانق من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان
يحاسب في القيامة وليناقش قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه فاذا حصل مجموع
ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد يمكنه فليكتبه وليكتب اسامي اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم
وليطلبهم وليستحلهم او ليؤد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين
كلهم وعلى طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات

حتى ينقص منه يوم القيامة فيؤخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه
ان لم تف بها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب
استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الاجل قريبا فينبغي ان
يكون تشمره للحسنات والوقت ضيق اشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة
في ذمته واما امواله الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه ان يتصدق به فان اختلط
الحرام بالحلال فعليه ان يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام واما
الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوؤهم او يعيبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه او آذى قلبه بفعل من
افعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات او غاب فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات لتؤخذ عوضا في القيمة
واما من وجده واحله بطيبة قلبه منه فذلك كفارته وعليه ان يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما
لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك في القيمة ذخيرة ياخذ من حسناته او يحمله من سيئاته
فان كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتاذى بمعرفته كزناه بجاريته او اهله او نسبته باللسان الى عيب من خفايا
عيوبه يعظم اذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا ان يستحل منها ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات
كما يجبر مظلمة الميت والغائب فاما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه
المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاحلال بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر
من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه بكثرة تودده وتلطفه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة
فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان ابى الا الاصرار فيكون لطفه به واعتذاره اليه من
جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر
سعيه في اذاه حتى اذا قاوم احدهما الآخر او زاد عليه اخذ ذلك منه عوضا في القيمة بحكم الله به عليه كمن اتلف
في الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع من له الحق عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء ام ابى فكذلك
يحكم في صعيد القيمة احكم الحاكمين واعدل المقسطين وفي خبر الصحيحين عن ابي سعيد الخدري ان نبي
الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل الارض فدل
على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض
كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف
الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى
الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين
فالى ايتهما كان ادنى فهو لها فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان
الى القرية الصالحة اقرب بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي
وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا تعرف انه لا خلاص الا بالرجحان في ميزان الحسنات ولو
بمثقال حبة فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي فاما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان
يعقد مع الله عقدا مؤكدا ويعاهده بعهد وثيق ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان
الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتاكد في الحال وان كان يتصور
ان تغلبه الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتاكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول الامر
الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال حلال او كانت له حرفة يكتسب بها

دون الكبائر فليستقيم عليه فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا يكفي طيب الحلال وترك الشبهات
من لا يقدر على ترك الشهوات في المأكولات والملبوسات قال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات
لم يبتل بها وقال آخر من تاب من ذنب واستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما
ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب
عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا فليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان
هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا تصح ان عنيت به ان ترك بعض
الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطأك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته
ونقول لمن قال تصح ان عنيت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة او الفوز فهذا ايضا خطأ بل
النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله فان قال من ذهب الى انه لا تصح اني اردت
به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل ان يندم عليها دون الزنا
ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لان
توجعه بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة او بالزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة
يوجبها العلم بكون المعصية مفوتا للمحبوب من حيث انها معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون البعض ولو
جاز هذا لجاز ان يتوب من شرب الخمر من احد الدنين دون الآخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحدة
وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الامر واحدة فاذا معنى عدم الصحة
ان الله وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لا تنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك المرتب
على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول نقول ان العقد لا يصح اي لا يترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق
هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها
ولا يتصور الندم الا لكونه معصية وذلك يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واقع في مستنطق المنصف فيحصل بكشف
الغطا فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو اما ان تكون عن الكبائر دون الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر
او عن كبيرة دون كبيرة اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله واجلب لسخط الله
ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليها فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجني على اهل الملك
وحرمه ويجني على دابته فيكون خائفا من الجناية على الاهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب
واعتقاد كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار ولم يكن احد منهم معصوما
فلا تستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا اخف منه
على وجه يشعره بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده
فان اكلهما جميعا بحكم شهوة ويندم على اكل العسل دون السكر الثاني ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا
ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد
لعلمه بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما في تفاوت الصغائر والكبائر
لان الكبائر ايضا متفاوتة في انفسها وفي اعتقاد مرتكبها ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد
كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي
وهو لا يدري فيتجنب بترجيح شر الخمر عنده فينبعث منه خوف يوجب ذلك تركه في المستقبل وهذا على المعاصي الثالث ان
يتوب عن صغيرة او صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم

وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر وهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف على معاصيه ونادم
على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن تكون لذة نفسه في تلك المعصية اقوى من ألم قلبه في الخوف منه لاسباب
توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة ولاسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك
العزم ولا قويا عليه فان سلم عن شهوة اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف منه قهر الخوف الشهوة وغلبها واوجب ذلك
ترك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر ولا يصبر عنه ويكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر
الى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جنده انبعاث العزم
للترك بل يقول هذا الفاسق في نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي ان اخلع العذار
وارخي العنان بالكلية بل اجاهده في بعض المعاصي فعساي اغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم
يتصور هذا لما تصور من الفاسق ان يصلي ويصوم ولقيل له ان كان صلاتك لغير الله فلا تصح وان كانت لله فاترك الفسق
لله فان امر الله فيه واحد فلا يتصور ان تقصد بصلاتك التقرب الى الله ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بل يقول لله
علي امران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وانا ملي في احدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الآخر فانا اقهره فيما قدرت عليه واجاهد
به فعسى ان يكفر عني بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة الله
ومعصية ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن الوجود والخوف اذا كان
من فعل ماض اورث الندم والندم يورث العزم وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم الندم توبة ولم يشترط الندم من كل ذنب وقال
التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني يتبين ان التوبة عن بعض الدنان غير ممكن
لانها متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله نعم يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء
السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية تاثيرا في كثرة العقوبة فيتباعد الشهوة بالقدر الذي يحجم عنه
ويترك بعض شهوته كالمريض الذي يحذره الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا
انه لا يمكن ان يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه اما في شدة المعصية واما في
غلبة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور ان يختلف حاله في الخوف والندم فيختلف ايضا حاله
في الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع الله في جميع الاوامر و
النواهي فان قلت فهل يصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة فاقول لا لان التوبة عبارة عن ندم
يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكني اقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف
ومعرفة تحقق بها ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع باقية لكانت حرقة الندم تقمع
تلك الشهوة وتغلبها فاني ارجو ان يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة
ومات عقيبه كان من التائبين وان لم تطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر اسباب القضاء للشهوة ولكنه تائب باعتبار
ان ندمه بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذا لا يستحيل ان يبلغ قوة الندم في حق العنين هذا
المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بادنى خوف والله مطلع على ضميره وعلى
مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الحقيقة فيه انه يرجع الى ان ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم
والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث
يقوى على محوه دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك
الشهوة مرات كثيرة وفرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والآخر بقي في نفسه نزوع اليه وهو يجاهد
نفسه فايهما افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي سليمان الداراني ان المجا

افضل لانه لو فتر في توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفترة عن المجاهدة الذي هو في عرضة
الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن الحقيقة والحق فيه ان الذي انقطع
نزوع نفسه له حالتان احديهما ان يكون انقطاع نزوعه اليه لفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد افضل من هذا اذ تركه
بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة النفس وعلى قوة الدين واعني بقوة الدين
قوة الارادة التي تنبعث باشارة اليقين وقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان قوتان يدل المجاهدة عليهما
قطعا وقول القائل ان هذا اسلم لو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطأ وهو كقول القائل
العنين افضل لانه في امن من خطر الشهوة والصبي افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر للاعداء
لان المفلس لا عدو له والملك ربما يغلب مرة وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر جاهل بان
العز في الاخطار وان العلو شرطه اقتحام الاغرار بل هو كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس وكلب افضل في صناعة الاصطياد
واعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه آمن من ان يجمح به فرسه فينكسر اعضاؤه عند السقوط على الارض وآمن من ان
يعضه الكلب ويتعدى عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تاديبهما اعلى رتبة واحرى بدرك
سعادة الصيد الحالة الثانية ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان
الشهوة حتى تادبت بادب الشرع فلا تهيج الا باشارة الدين وقد سكنت باستيلاء الدين عليها فهذا اعلى رتبة من المجاهد
المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل ان الذي لم يصل المجاهد قاصر عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا
لعينه بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين
واذا قهرته وحصل المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب الظفر ومثال الحالة الثانية مع العدو واعلى رتبة
بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد في صفة السالك للطريق كيف يسلم ومثاله ايضا من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما
بالاضافة عنده بعد تركه الكلب الضاري والفرس الجموح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة التاديب بعد ولقد ظن في هذا
قوم فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب للخلاص عن عوائق الطريق وظن آخرون ان قمع
الشهوات واماتتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل
في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في رياضة النفس من ربع المهلكات فان قلت فما قولك في شخصين
احدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه ايهما افضل فاعلم
ان هذا ايضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تجعل ذنبك بين عينيك وقال الآخر حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك
وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام المتصوفة ابدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد
يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف الاجوبة لاختلاف الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلم فان
معرفة الاشيا على ما هي عليها افضل واعلى ولكنه كمال بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصورا بالنظر
على حال نفسه لا يهمه امر غيره اذ طريقه الى الله نفسه ومنازله احواله وقد يكون طريق العبد الى الله العلم والتعلم فالطرق
الى الله كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد والله اعلم بمن هو اهدى سبيلا مع الاشتراك في اصل الهداية فاقول تصور الذنب
وذكره والتفجع عليه كمال في حق المبتدي لانه اذا نسيه لم تكثر احتراقه فلا تقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق لانه
يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى السالك الطريق
نقص اذ لا يرتج عليه عين السلوك فانه اذا تيسرت له مبادي الوصول وانكشف له انوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم
يبق فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو الكمال بل لو عاق عن الطريق الى الله من اللذات نحو حاجز حظ العبد الى اللسان
في عبوره من حيث انه قد حجبه من تذكر الطلب على شاطئ النهر بعد عبوره يبكي متاسفا على تخريبه الجسر كان هذا امانا

اخر اشتغل بعد النزوع عن ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بان كان ليلا لا يتعذر السلوك وكان على طرف
النهر يخاف على نفسه ان عبرها فليطل البكاء والنوح على تخريب الجسر ليتاكد بطول الحزن عزمه على ان لا يعود الى
مثله فان تحصل له من التنبه او ترفع عنه انه لا يعود الى مثله فسلوك الطريق اولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه
فهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد اشرنا الى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربع
المهلكات بل يقول شرط دوام التوبة ان يكون كثير الفكر في نعيم الآخرة لتزيد رغبته ولكن ان كان شابا فلا ينبغي ان يطيل
فكره في كل ما يتفرج الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى الآجلة بل ينبغي ان
يتفكر في لذة النظر الى وجه الله فقط فذلك لا نظير له في الدنيا وكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي ايضا قد
يستضر به فيكون النسيان افضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى عن بكاء داود ونياحته فان
قياسك ذلك على الانبياء قياس في غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللائقة باممهم فانهم ما
بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس بما ينتفع امتهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فقد كان في الشيوخ من لا
يشير على مريده بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتادب النفس ولكن تسهيلا
للامر على المريد ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما اني لا انسى ولكني انسى لاشرع ولا تتعجب من هذا فان الامم في كنف
شفقة الانبيا كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشي في كنف الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي
كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وآله وسلم للحسن كخ كخ لما اخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه وما كانت
فصاحته تقصر عن ان يقول القه من فيك فانه حرام ولكنه اذا علم انه لا يفهم منطقه ترك فصاحته ونزل الى لكنته بل الذي
يعلم شاة او طيرا يصوت به رغاء وصفيرا تشبها بالبهيمة والطير تلطفا في تعليمه فاياك ان تغفل عن امثال هذه الدقائق فانها مزلة
اقدام العارفين فضلا عن الغافلين **بيان** اقسام العباد في دوام التوبة اعلم ان طبقات التائبين اربعة الطبقة
الاولى ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات
التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات
المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها
راضية مرضية وهؤلاء الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى
وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فان فيه اشارة الى انهم كانوا تحت اوزار وضعها الذكر عنهم واهل هذه الطبقة
على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها
والى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه ملي بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة
واختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف يموت قريبا من توبته يغبط على ذلك للسلامة وموته قبل
الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة فانما يمحوها
حسنة حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي عشر مرات ان تمكن منها عشر مرات مع صدق الشهوات
ثم تصبر عنها وتكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم اثره لو وقع ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف
ان يسلك هذا الطريق فيهيج الشهوة ويحضر الاسباب حتى يمكن ثم يطمع في الاكفاف فخائف ان لا يقدر ويخرج عنان الشهوة من
يده وليحذر ان يقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من اسبابها الميسرة لها حتى يسد طريقها في الابتداء الطبقة
الثانية تائب سلك طريق الاستقامة في امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن
عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليه ولكنه كلما اقدم عليه لام نفسه
وندم وتاسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها التي تعرضه لها وهذه النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة

اذ تكون صاحبها على ما يستهدف لها من الاحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتجريد قصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت
نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التائبين لان الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره
شره حتى يثقل ميزانه فيترجح كفة الحسنات فاما ان تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن
الوعد من الله تعالى اذ قال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بصغيرة لا
عن توطين نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم
ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم ولومهم انفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة
بقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه علي رضي الله عنه خياركم كل مفتن تواب وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة تفيء احيانا وتميل
احيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة اي الحين بعد الحين وكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر
لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن
دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه
عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان
الطبيب والفقيه بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة
السيئات المختطفات قال صلى الله عليه وآله وسلم كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون وقال ايضا المؤمن واهي
راقع فخيرهم من مات على رقعه اي واهي الذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا
ويدرؤن بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة اصلا الطبقة الثالثة ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته
في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وصدق شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك
جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود لو اقدره الله على قمعها وكفاه
شرها هذه امنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعله وسأتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها
لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين
قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته لما
تعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشيئة
فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق
عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاشتغال بالتعلم دل تعذره على
انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على
انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم مسبب
الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول الفقه النفسي الذي به يستحق المناصب
العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والقضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت
فقيهة بطول التفقه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم طاهر بطول التزكية والتطهير
هكذا سبق في الازل تدبير رب الارباب ولذلك قال ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب
من دساها فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال صلى الله عليه و
وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه منهم ولا يبقى بينه وبينها الا شبر ثم يسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها فاذا الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس ونفس خاتمة اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به فليراقب
الانفاس والا وقع المحذور ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر الطبقة الرابعة ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم

يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في
اتباع شهوته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة
وامره في مشيئة الله فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص
من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا نطلع عليه كما لا يستحيل ان يدخل انسان خربة ليجد
كنزا فيتفق ان يجده ولا ان يجلس في البيت ليهبه الله علما بالعلوم من غير تعلم كما كان للانبياء صلوات الله عليهم
فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلب بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب
الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليس من اجتهد تعلم وليس من اتجر استغنى وليس من صام وصلى غفر له
فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون على
خطر عظيم وكما ان من خرب بيته وضيع امواله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم انه ينتظر فضل الله بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض
في بيته الخرب يعد عند ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله وفضله فكذلك
من ينتظر المغفرة من فضل الله وهو مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة معدود عند ارباب القلوب من المعتوهين
والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته ليست تضيق على مثلي ومعصيتي
ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاوعار في طلب الدنيا واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن
فقرك وكسلك بترك التجارة ليس تضرك فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام و
يستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب الارباب واجرى
به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور ان رب الآخرة ورب الدنيا واحد وان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر
اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد انه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم
السعي عن كسب المال ومقتضاه السعي عن الملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد ومن هذا
يمنعه مع شدة اجتهاده في غالب الامر فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على ام الرأس وانغماس في ظلمات
الجهل وصاحبه جدير بان يكون داخلا تحت قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن
من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب

بيان ما ينبغي ان يبادر اليه التائب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة او عن المام بحكم الاتفاق

اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها كما ذكرناه فان لم تساعده النفس على العزم على
الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون
ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل
السيئة وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق
ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على سائر العباد
وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات واما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت
نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار واما بالجوارح ف
بالطاعات والصدقات وانواع العبادات وفي الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه
مرجوا اربعة من اعمال القلوب وهو التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع عنه وتخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة
له واربعة من اعمال الجوارح وهو ان تصلي عقيب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدهما سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم

ويعود ما ينزع ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الأخبار يصلي أربع ركعات وفي الخبر إذا عملت سيئة فأتبعها
حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي
الخبر الصحيح أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا المسيس فاقض علي
بحكم الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم أو ما صليت معنا صلاة الغداة قال نعم فقال إن الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل
على أن ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة إذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر
فعلى الأحوال كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات فإن قلت كيف يكون الاستغفار
نافعا من غير حل عقدة الإصرار وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول
استغفر الله من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى
استغفار فاعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الأذكار والدعوات حتى قرن الله
الاستغفار ببقاء الرسول فقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فكان بعض الصحابة يقول
كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الآخر وهو الاستغفار فإن ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي
هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة
استغفر الله وكما يقول الإنسان بحكم العادة إذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه وهذا يرجع إلى مجرد حركة
اللسان ولا جدوى له فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق إرادة وخلوص
رغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح أن تدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى
الله عليه وآله وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة والاستغفار
درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فأحسن أحواله
أن يرجع إليه في كل شيء فإن عصى قال يا رب استر علي فإذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فإذا تاب قال يا رب ارزقني
العصمة فإذا عمل قال يا رب تقبل مني وسئل أيضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة
ثم الإنابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر من
تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل إلى الانفراد ثم الثبات ثم البيان
ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه
والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله تعالى إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل أيضا
عن قوله صلى الله عليه وآله وسلم التائب حبيب الله فقال إنما يكون حبيبا إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون
الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه والمقصود أن للتوبة ثمرتين إحداهما تكفير السيئات حتى يصير كمن
لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير أيضا درجات فبعضها محو لأصل الذنب بالكلية وبعضها تخفيف له
ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من
أوائل الدرجات وليس يخلو عن الفائدة أصلا فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب
معرفة لا ريب فيها أن قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق وأنه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر كما لا تخلو شعيرة
تطرح في الميزان عن أثر ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان بأحمال الذرة وذلك
بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخيرات إلى أن يثقل فيشيل كفة السيئات فإياك وأن تستصغر ذرات
الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على
خيط واحد وتقول أي غنى يحصل بخيط واحد وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطا

خيطا وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة فإذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا يضيع عند الله
أصلا بل أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم
أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصانا بالإضافة إلى عمل القلب
ولذلك قال بعضهم للشيخ أبي عثمان المغربي إن لساني في بعض الأحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل فقال اشكر
الله إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره هو حق
فإن تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره
كذبا سبق لسانه إلى ما تعود فقال أستغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه إلى أن يقول ما أحمقك وما أقبح كذبك ومن
تعود الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله وإذا تعود الفضول قال
لعنه الله فيعصي في إحدى الكلمتين ويسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى إن الله لا
يضيع أجر المحسنين ومعاني قوله تعالى وإن تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان
حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيفه في الدنيا للأدنى من الطاعات وتضعيفه في الآخرة أكبر
لو كانوا يعلمون فإياك أن تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك في العبادات فإن هذه مكيدة روجها الشيطان
بلعنته على المغرورين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل التفطن للخفايا والسرائر فأي خير في ذكرنا باللسان مع غفلة
القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة إلى ثلاثة أقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات أما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن
هي كلمة حق أردت بها باطلا فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم أنفك من وجهين فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي
داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه وأما الظالم المغرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الإخلاص بالقلب
فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فأسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما قيل وافق
شن طبقة وافقه فاعتنقه وأما المقتصد فلم يقدر على إرغامه بإشراك القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالإضافة
إلى القلب ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في
اعتياد الخير فمثال السابق كالحائك ذمت حياكته فأصبح كناسا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال لا أكن ذميما
في حياكتي ولكن الحائك مذموم بالإضافة إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكناس فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة وإذا
قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار فلا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله بل تذم غفلة
القلب فهو محتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فإن سكت عن الاستغفار باللسان أيضا احتاج إلى استغفارين
لا إلى استغفار واحد فهكذا ينبغي أن يفهم ذم ما يذم ومدح ما يمدح وإلا جهل معنى ما قال القائل الصادق حسنات الأبرار
سيئات المقربين فإن هذه أمور تثبت بالإضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة بل لا ينبغي أن تستحقر ذرات الطاعات
والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق إن الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه وغضبه
في معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبأ ولايته في عباده فلا تحقروا منهم أحدا فلعله ولي الله

الركن الرابع

في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار اعلم أن الناس قسمان شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتنب
الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعجب ربك من شاب ليست له صبوة وهو عزيز نادر و
القسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون إلى مصرين وإلى تائبين وغرضنا أن نبين العلاج في حل
عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء إذ لا معنى
للدواء إلا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله ولا يبطل الشيء إلا بضده
ولا سبب للإصرار إلا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة إلا العلم ولا يضاد الشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة

والمنذرين لهم من الخطايا فأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء إذاً للتوبة إلا معجون يعجن
من حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض آخر في العلاج
بمجموعهما فيقمع الأسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي أن يفهم علاج القلب عامة من مرض الإصرار فلهذا الدواء أصلان
أحدهما العلم والآخر الصبر ولا بد من بيانهما فإن قلت أينفع كل علم في حل الإصرار أم لا بد من علم مخصوص فاعلم أن العلوم كلها
أدوية لأمراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما يخص كل علة علم مخصوص ولكن ذكره أن الإصرار له أسباب فلذلك يخص ذلك
العلم على موازنة مرض لا بد أن يكون أقرب إلى الفهم فيعول مثلاً في علاج المريض على التصديق بأمور الأول أن يصدق على الجملة بأن
للمرض والصحة أسباباً يتوسل إليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الأسباب وهذا هو الإيمان بأصل الطب فإن من لا يؤمن به
لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك ووزانه مما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أن للسعادة في الآخرة سبباً هو الطاعة
وللشقاوة سبباً هو المعصية وهو الإيمان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الإيمان
الثاني أنه لا بد وأن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فإن
إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الإيمان ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإيمان
بأن كل ما قاله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف الثالث أنه لا بد من أن يصغي إلى الطبيب فيما يحذره من تناول
المؤكد وأسباب المرض على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء فيكون شدة الخوف باعثة له على الاحتماء ووزانه من الدين
الإصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع
ما يلقى إليه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج الرابع
أن يصغي إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتماء عنه ليعرفه أولاً بتفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ومأكوله
ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه
من الدين أن كل عبد فليس مبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وإنما حاجته
في الحال مصروفة إلى العلم بأنها ذنوب ثم إلى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر
عنها ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء ورثة الأنبياء فالعاصي إن علم عصيانه
فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وإن كان لا يدري أنه ارتكب ذنباً فعلى العالم أن يعرفه وذلك بأن يتكفل كل
عالم بإقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد بتعليم أهله دينهم وتمييز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي أن يصبر إلى
أن يسأل عنه بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه فإنهم ورثة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم
في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحداً واحداً فيرشدونهم فإن مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم
كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين
كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيهاً متديناً يعلم الناس دينهم فإن الخلق لا يولدون إلا جهالاً فلا بد من تبليغ الدعوة
إليهم في الأصل والفرع والدنيا دار المرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا سقيم ومرضى القلوب أكثر من مرضى
الأبدان والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم إلى السلطان لكف شره
كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي أو الذي غلب عليه الجنون إلى القيم ليقيده بالسلاسل والأغلال ويكف شره عن
الناس وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث علل إحداها أن المريض به لا يدري أنه مريض والثانية أن عاقبته
غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فإن عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير مشاهد وعاقبة
الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم فقلت النفرة عن الذنوب وإن علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير
اتكال والثالث وهو الداء العضال فقد الطبيب فإن الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضاً شديداً عجزوا عن
علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا إلى إغواء الخلق والإشارة عليهم بما يزيدهم مرضاً لأن الداء
المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافاً من أن يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج
وتنسون أنفسكم فبهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الأطباء بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء
فليتهم إذ لم ينصحوا لم يغشوا وإذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فإنهم إذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم إلا ما يرغب العوام في استماع
كلامهم ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء وتغليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألذ في الأسماع
وأخف على الطباع فتنصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما
كان الطبيب جاهلاً أو خائناً أهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلة
أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فتكسر سورة إسرافه في
الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود إلى الاعتدال وكذلك المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس
استعظاماً لذنوبه التي سبقت يعالج أيضاً بأسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب وأما معالجة المغرور المسترسل في
المعاصي بذكر أسباب الرجاء فهو كمعالجة المحرور بالعسل طلباً للشفاء وذلك من دأب الجهال والأغبياء فإذن فساد الأطباء
هو الداء العضال الذي لا يقبل الدواء أصلاً فإن قلت فاذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في وعظه مع الخلق فاعلم
أن ذلك يطول ولكنا نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي
أربعة أنواع الأول أن يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الأخبار والآثار كقوله صلى الله
عليه وآله وسلم ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما يا ليت هذا الخلق
لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر يا ليتهم إذ علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي بعضها
يا ليتهم تجالسوا فتذاكروا ما علموا فيقول الآخر يا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال بعض السلف إذا أذنب العبد أمر صاحب
اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فإن تاب واستغفر الله لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها
عليه وقال بعض السلف ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن
يسقط عليه كسفاً فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبدي وأمهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب إلي
فأغفر له لعله يستبدل صالحاً فأبدله حسنات فذلك معنى قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما
من أحد من بعده وفي حديث عمر رضي الله عنه الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله الطابع
فطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب ذنباً انقبضت إصبع حتى تنقبض الأصابع
كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع وقال الحسن إن بين العبد وبين الله حداً من المعاصي معلوماً إذا بلغه العبد طبع الله على
قلبه فلم يوفقه بعدها لخير والأخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي أن يستكثر منها الواعظ إن كان
وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه لم يخلف ديناراً ولا درهماً إنما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه النوع
الثاني حكايات الأنبياء والسلف وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل
أحوال آدم في عصيانه وما لقيه من الإخراج من الجنة حتى روي أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيا
التاج والإكليل من وجهه أن يرتفعا عنه فجاءه جبرئيل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحل الإكليل عن جبينه ونودي من
فوق العرش اهبطا من جواري فإنه لا يجاورني من عصاني فالتفت آدم إلى حواء باكياً وقال هذا أول شؤم المعصية أخرجنا
من جوار الحبيب ويروى أن سليمان صلى الله عليه وآله وسلم لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يوماً
وقيل إن المرأة سألته أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمكانها فسلب ملكه أربعين
يوماً فهرب تائهاً على وجهه وكان يسأل بكفه فلا يطعم فإذا قال أطعموني فإني سليمان بن داود شج وضرب وحكي أنه استطعم من بيت

امراة مطرودة وبرقت في وجهه وفي رواية فاخذت تعجن فجعل ينها يدي ضربت على راسه الى ان اخرج له الخاتم من بطن الحوت
فلبسه سببا لانقضاء ايام العقوبة قال فجاءت الطيور فعكفت على راسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله و
اعتذر اليه بعض من كان يجني عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من جنايتكم قبل ولا احمدكم في عذركم الآن هذا امر كان من السماء ولا بد منه وروي
في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امراة من بلدة وارسل عبده ليحملها اليه فراودته نفسه وطالبته فجاهدها واستعصم قال فنباه الله
ببركة تقواه وكان نبيا في بني اسرائيل وفي قصص موسى عليه السلام انه قال للخضر عليه السلام بم اطلعك الله على علم الغيب قال
بتركي المعاصي لاجل الله تعالى وروي ان سليمان كانت الريح تسير به فنظر الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكانه اعجبه
فوضعته الريح فقال لم فعلت ولم آمرك قالت انما نطيعك اذا اطعت الله وروي ان الله تعالى اوحى الى يعقوب عليه السلام
اتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اخاف ان ياكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجني
ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وكذلك لما قال يوسف اذكرني عند ربك قال تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه
فلبث في السجن بضع سنين وامثال هذه الحكايات لا تحصى ولم يرد بها القرآن والاخبار وروده لا سمارا بل للاعتبار
والاستبصار ليعلم ان الانبياء لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم نعم كان سعادتهم في ان عوجلوا بالعقوبة
ولم يؤخروا الى الآخرة والاشقياء يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب الآخرة اشد واكبر فهذا ايضا مما ينبغي ان يكثر جنسه على
اسماع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة النوع الثالث ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على
الذنب وان كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في امر الآخرة ويخاف من عقوبة الله
في الدنيا اكثر لفرط جهله فينبغي ان يخوف به فان الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها على العبد رزقه بسبب ذنبه وقد يسقط
منزلته من القلوب ويستولي عليه اعداؤه قال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود
اني لاحسب ان العبد ينسى العلم بذنب يصيبه وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا
وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصانا في المال انما اللعنة ان لا تخرج من ذنب الا وقعت في مثله
او شر منه وهو كما قال لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان عن رزق التوفيق
اعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع في مجالسة العلماء المنكرين للذنوب
وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون وحكي عن بعض العارفين انه كان يمشي في الوحل جامعا ثيابه محترزا حتى زلت رجله وسقط
فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين فعندها
يخوض في الذنوب خوضا واشار الى ان الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل ما انكرت من
تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك ورثتك ذلك وقال بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال آخر اعرف
العقوبة حتى في فار بيتي وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي
فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت
للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها بعد حين فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة وقال ابو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال
لا يفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب يذنبه وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم فبما غيرتم من اعمالكم وفي الخبر يقول الله تعالى ان ادنى
ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وحكي عن ابي عمرو بن علوان في قصة يطول قال فيها
كنت قائما ذات يوم اصلي فخامر قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولدت منه شهوة الرجال فوقعت على الارض واسود جسدي كله
فاستترت في البيت فلم اخرج ثلاثة ايام وكنت اعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزداد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلاث فلقيت
الجنيد وكان قد وجه الي فاشخصني من الرقة فلما اتيته قال لي اما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فساررت نفسك
بشهوة حتى استولت عليك واخرجتك من بين يدي الله فلولا اني دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله بذلك اللون قال

فقيل كيف علم ذلك وهو ببغداد واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره
لينزجر وان كان شقيا اخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره
بل من شؤم الذنب في الدنيا على الجملة ان يكتسب العبد صفة فان ابتلي بشيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتقاعد عنه
سعادته ولذا اصابه نعمة كانت استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه واما المطيع فمن بركة طاعته ان تكون كل نعمة
في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته النوع الرابع ذكر ما ورد من العقوبات على
آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله وضع للدواء
في غير موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل
بعلاجها فليستدل بقرائن الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال
لرجل اوصني ولا تكثر علي فقال لا تغضب وقال له آخر اوصني فقال عليك باليأس مما في ايدي الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع
فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال اوصيك ان تكون ملكا في الدنيا
والآخرة فقال كيف لي بذلك قال ازهد في الدنيا فكانه صلى الله عليه وآله وسلم تفرس في السائل الاول مخايل الغضب فنهاه عنه وفي
السائل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول الامل وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ اوصني
فقال كن رحيما اكن لك بالجنة زعيما فكانه تفرس فيه آثار الفظاظة والغلظة وقال رجل لابراهيم بن ادهم اوصني فقال اياك
وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس وما الناس بالناس
بل غمسوا في ماء الياس وكانه تفرس فيه آفة المخالطة اذ اجتمعا كان فيهما الغالب على حاله في وقته وكان الغالب اذاه بالناس الكلام
على قدر حال السائل واولى ان يكون بحسب حال السائل وكتب معاوية الى عائشة رضي الله عنهما ان اكتبي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت
من عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله
الله الى الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت للآفة
التي تكون الولاة بصددها وهو مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس
واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام فاذا على كل ناصح ان يكون عنايته مصروفة الى تعرف الصفات الخفية
والى ما يليق بالاحوال الجلية ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن والاشتغال بوعظه بما هو
مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان فان قلت فان كان الواعظ يتكلم في جماعة او سأله من لا يدري باطن حاله ان يعظه فكيف
سبيله فاعلم ان الطريق في ذلك ان يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان علوم الشرع اغذية
وادوية فالاغذية للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري اوصني فقال عليك بتقوى الله عز وجل
فانه راس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في اهل الارض وذكر لك في اهل السماء وعليك بالصمت
الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال الحسن لرجل يا ابن آدم اعمل بكتبك ولا تكاد اهلهم يمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك
واستر نفسك لا تحزنك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم
صوما يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم ولا تجالس السفهاء ولا تخالط الوجيه وقال لابنه يا بني لا تضحك
من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني
انه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر ياثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصني
فقال كن سالما ولا تكن غضبان ولا تكن فاعلا لشيء اراد ان تنزع عن الحاجة ولا الشرع عن حاجة ولا يضحك من غير عجب ولا تعيب
الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام اوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا
نفسك وقال رجل لحامد اللفاف اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف لئلا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك

طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز
اما بعد فخف ما خوفك الله واحذر ما حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت ياتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر
بن عبد العزيز الى الحسن يساله ان يعظه فكتب اليه اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك
اما بالنجاة واما بالعطب واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم
غنم ومن خاف امن ومن امن اعتبر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا
جهلت فسل واذا غضبت فامسك وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة لها يجمع
من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء
وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة اولياء الله وعدوة اعداء الله اما اولياؤه فغمتهم واما
اعداؤه فغرتهم وكتب ايضا الى بعض عماله اما بعد فقد امكنتك القدرة من ظلم العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك
واعلم انك لا تاتي الى الناس شيئا الا كان زائلا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله عز وجل آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا
ينبغي ان يكون وعظ العامة ووعظ اهل الدين بخصوصهم واعظة هذه الانواع من الوعظ مثل الاغذية التي يشترك الكافة في الانتفاع
بها ولاجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا
وينشدون ابياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا
من القلب ليصل الى القلب بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر متخلف واذ كان طلب الطبيب اول علاج
المريض وطلب العلماء اول علاج العاصين فهذا احد اركان العلاج واصوله الاصل الثاني الصبر ووجه الحاجة اليه ان المريض
انما يطول مرضه لتناوله ما يضره وانما يتناوله اما لغفلة عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته عليه فله سببان فما ذكرناه علاج الغفلة
بقي علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان يستشعر عظم ضررها ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره
ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته وان لم يكن ضررا ثم يصبر بعد ذلك على الالم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر
فكذلك علاج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه وحفظ قلبه او حفظ جوارحه في السعي
في قضاء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان يستقرئ المخوفات الواردة فيه من كتاب الله وسنة رسوله فاذا اشتد خوفه
تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل
تناول اللذائذ من الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم
الا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع عن قلب مجرد عن سائر الشواغل
مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة خوفه واذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت
الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر
الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره للعسرى ثم لا يغني عنه ما
اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبياء الا شرح طرق الهدى وانما لله الآخرة والاولى فان قلت فقد رجع
كل هذا الى ان ترك الذنب لا يمكن الا بالصبر والصبر لا يمكن الا بالخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظم ضرر الذنوب
والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الايمان فكان من اصر على الذنب لم يصر الا لانه غير مؤمن فاعلم
ان هذا لا يكون لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله وسبب العقاب في
الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور احدها ان العقاب الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متاثرة بالحاضر فتاثرها
بالموعود ضعيف بالاضافة الى تاثرها بالحاضر الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة
بالمخنق وقد قوي واستولى بسبب الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس

ولذلك قال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال بل تؤثرون الحياة الدنيا وقد عبر عن شدة الامر قوله
صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق النار فقال لجبريل
عليه السلام اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر
اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها وخلق الجنة فقال لجبريل اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك
لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها
احد فاذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متاخرا الى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول اصل الايمان فليس
كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا باصل الطب ولا مكذبا بان ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنه
ناجز فيهون عليه الالم المنتظر الثالث انه ما من مذنب مؤمن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد
وعد بان ذلك يجبره الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث رجاؤه التوفيق للتوبة ربما
يقدم عليه مع الايمان الرابع انه ما من مؤمن موقن الا وهو معتقد ان الذنوب لا توجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب
وينتظر العفو عنه اتكالا على فضل الله تعالى فهذه اسباب اربعة موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء اصل الايمان نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس
يقدح في اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب من تناول ما يضره في المرض فان كان المحذر
ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب فيكذبه او يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الاسباب الخمسة فاقول هو
الفكر وذلك بان يقرر على نفسه في السبب الاول وهو تاخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غدا للناظر قريب وان الموت اقرب
الى كل احد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب والمتاخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه انه ابدا في دنياه يتعب في الحال
لخوف امر في الاستقبال اذ يركب البحار ويقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض واخبره
طبيب نصراني بان الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد الذ الاشياء عنده تركه مع ان الموت الم لحظة اذا
لم يخف ما بعده ومفارقة الدنيا لا بد منها فكم نسبة وجوده في الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلينظر كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول
ذمي لم يقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلي ان يكون قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة
على طبه وكيف يكون عذاب النار اخف عندي من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين الف سنة
من ايام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت لا اقدر على ترك لذاتي ايام
العمر وهي ايام قلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الآباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر
عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتنغصها وامتزاج صفوها بالكدر فكيف اصبر عن نعيم الآخرة واما تسويف التوبة فيعالجه
بالتفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف لان المسوف يبني الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وان بقي فلا
يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف
اذ تتاكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق
بين المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة في ان ترك الشهوات فيها ابدا شاق وما مثال المسوف الا مثال من احتاج
الى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها
وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة
عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف واما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فعلاجه ما سبق وهو كمن ينفق جميع امواله
ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل الله تعالى ان يرزقه العثور على كنز في ارض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل
هذا الامكان وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة في بلده وترك ذخائر امواله في صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر
من فضل الله ان يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ الى داري او اذا انتهى الى داري علقت على باب الدار فان الموت ممكن

والعقل علمه وتحقق لا محالة أن مثل ذلك وقع فإنا نستغرب فضل الله تعالى فيسقط بها شطر أمر ممكن ولكنه في غاية الحماقة وأما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات صدقه هل هو ممكن أو تقول أعلم أنه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فإن قال أعلم استحالته كذلك فهو أخرق معتوه وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء وإن قال أنا شاك فيه فيقال لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة أنه ولغت فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أو تتركه وإن كان ألذ الأطعمة فيقول أتركه لا محالة لأني أقول إن كذب فلا يفوتني إلا هذا الطعام والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب وإن صدق فتفوتني الحياة والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاعته شديد فيقال له يا سبحان الله كيف أخرت صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر عليهم من المعجزات وصدق كافة العلماء والأولياء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الألباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر وأثبت ثوابا وعقابا وإن اختلفوا في كيفيته فإن صدقوا فقد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له توقف إن كان عاقلا مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبد الآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط في كل ألف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص أبد الآباد شيئا فكيف يفتر رأي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبد الآباد ولذلك قال أبو العلاء المعري رحمة الله عليه

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأموات قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكا إن صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا وإلا فقد تخلصت وهلكت أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال فإن قلت هذه أمور جلية ولكنها ليست تنال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر واستثقلته فما علاج القلوب لردها إلى الفكر لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله فاعلم أن المانع من الفكر أمران أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين في الحرمان من النعيم المقيم وهذا فكر لذاع مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة والثاني أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من إنسان إلا وله في كل حال من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخر الشهوة فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك وأما علاج هذين المانعين أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تألما بذكره مع استحقار ألم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به وأما الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فإنها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر وكيف وفي التوبة عن المعاصي والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الأنس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الأنس بمناجاة الله لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنها بعد الصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها تتعود والخير عادة والشر لجاجة فإذن جميع الأفكار باعثة على تهييج الخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات ويهيج هذه الأفكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تعرض له فيصير الفكر موافقا للطبع ويعبر عن السبب الذي أوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة وقد روي في حديث طويل أنه قام عمار بن ياسر فقال يا أمير المؤمنين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخبرنا عن الكفر على ماذا بني فقال على أربع دعائم على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد

ما حقه الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب فهذا ذكر بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر كاف في التوبة وإذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فنذكره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى

كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أهل الحمد والثناء المتفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات المجد والعلاء المؤيد صفوة الأولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه سادة الأصفياء وعلى آله قادة البررة الأتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء أما بعد فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن فلا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان وكيف يتصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان ومن به الإيمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر فلنذكر الشطر الأول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده

بيان فضيلة الصبر

وقد وصف الله سبحانه الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى الصوم لي وأنا أجزي به فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى واصبروا إن الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصبر نصف الإيمان على ما سيأتي وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إلي من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا الآية وروى جابر أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الإيمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله الحج عرفة وقال أيضا أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله إلى داود عليه السلام تخلق بأخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الأنصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وآله وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين

ولا حاجة بنا مع هذا الى الجمع واما الآثار فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم ان
صبرين احدهما افضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله واعلم ان الصبر ملاك الايمان
وذلك بان التقوى افضل البر والتقوى بالصبر وقال علي رضي الله عنه بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد
والعدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي
يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل بين
العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرا هذه
الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني وقال ابو
الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فاما من جهة النظر بعين الاعتبار
فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر
حقيقته ومعناه

بيان حقيقة الصبر ومعناه اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين
وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلاثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال
تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله
واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقائد
وكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا
الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في الملائكة ولا في البهائم اما
في البهائم فلنقصانها واما في الملائكة فلكمالها وبيانه ان البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها
على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى
الشهوة صبرا واما الملائكة فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليها شهوة
صارفة صادة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه خلق
في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح
على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما
ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله بفضله وسعة جوده اكرم بني آدم ورفع درجتهم عن
درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم
واختص بصفتين احداهما معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك
الذي اليه الهداية والتعريف والبهيمة لا هداية لها الى المصلحة العواقب بل الى مقتضى شهواتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب
الا اللذيذ فاما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تعرفه ولا تطلبه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات
لها مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان
كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى القدرة والقوة التي بها يدفع في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع
عداوتها عن نفسه فوكل الله به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جند الشهوة فتارة
يضعف هذا الجند وتارة يقوى ذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتاييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا
لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعث الدين ولنعلم ان القتال قائم
بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهم سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين
لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث

الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبت
الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين
في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات في الدنيا
والآخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله قوي ثبات باعث الدين
واذا قوي ثباته تمت الافعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة
وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله وتسخيره
اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص من الآدميين واذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من رتبة الملك
المقوي لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو اشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي ان يكون مسلما له فهو اذا صاحب اليمين
والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين
ومسيء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال
هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو مسيء اليه فيكتب له سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيكتب له حسنة
وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة
كلهم كرام بررة واما الكاتبين فلاثباتهما الحسنات والسيئات وانما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب
حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة
وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في
القيامة الكبرى واعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون
العبد وحده وعندها يقال له ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اما في القيامة الكبرى الجامعة
للخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق وفيها يساق المتقون والمجرمون الى الجنة والنار زمرا لا آحادا و
الهول الاول هو هول القيامة الصغرى ولجميع اهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك
الخاصة بك تتزلزل في الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت ارضهم وان لم تتزلزل البلاد المحيطة
بها بل لو تزلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة
مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك
فاما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي انت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخشى من تزلزله ان يتزلزل
بدنك بسببه والا فالهواء ابدا متزلزل ولا تخشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك
فقط فهي ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك وراسك سماء ارضك وقلبك شمس ارضك وسمعك وبصرك وسائر
حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر ارضك وشعرك نبات ارضك واطرافك اشجار ارضك وهكذا الى جميع اجزائك فاذا
انهدم بالموت اركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا
دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا بطل
سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجر
من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار
تعطيلا فاذا فارق الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت حتى القت ما فيها وتخلت ولست اطول بموازنة جميع الاحوال
والاهوال ولكني اقول بمجرد الموت يقوم عليك هذه القيامة ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء
الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالكواكب والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس

والبطلان لانه قد كشف في حجة دينه واحد من حجبه منه والخلد بعد ذلك صحيح ومن استيق برأسه فقد استيق ثم ان الساعة عبارة عما يحجبه الرأس من الأمر له لاسماء له فإن سمعته فاسمع اليوم ومنه حال الطامة الصغرى والخروج بعد استنكال الأمر لعبد سيتحرز عن تلك الآفات الطامة الكبرى وأين عموم الخصوص وتطابق السموات والأرض وتسفيف الجبال وبث الأهوال بعد الصغرى وإن نطلب في وصفها فإنا لم نذكر عشر عشير أوصافها وهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى فإن للإنسان ولادتين إحداهما الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام وهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا إلى الرحم بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى وأعداد النشآت ليست محصورة في اثنين وإليه الإشارة بقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون والمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالأعور الدجال فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الأهوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك القيامة الصغرى أوما سمعت قول سيد الأنبياء كفى بالموت واعظا أوما سمعت بكربه في وقت الموت حتى قال اللهم هون على محمد سكرات الموت أوما تستحي من استبطائك هجوم الموت اقتداء بالرعاع الغافلين الذين لا ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون أفيظنون أنهم في الدنيا خالدون أولم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون أم يحسبون أن الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا إن كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما يأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وذلك لأنا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع إلى الغرض فإن هذه تشير إلى أمور هي أعلى من علوم المعاملة والمقصود أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين إذ ذكرنا أن الحسنة في الإقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الإعراض عنهما وللصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا يتصور منهما إقبال وإعراض وهما الكاتبان لا الإقبال والإعراض من التأديب على الإقبال والإعراض ولعمري يظهر في مبادئ نور الهداية عند سن التمييز وينمو على التدريج إلى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار الآخرة بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب في الآخرة ولا يكتب عليه في الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق إن كان من الأبرار وكان على سمت الكرام البررة أن يكتب على الصبي سيئة وحسنة على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والصديقين وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة

بيان كون الصبر نصف الإيمان اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يخص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف أبواب وللأعمال أبواب ولاشتمال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الإطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين أحدهما أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا فيكون للإيمان ركنان أحدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله عبده إلى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فقال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث إلى آخره الاعتبار الثاني أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان فهكذا ينبغي أن يفهم تقديرات الشرع لحدود الأعمال والأحوال ونسبتها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان وأن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة

بيان الأسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة إلى ما عنه الصبر اعلم أن الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها وإما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب إن كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده التذمر وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وإن كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وإن كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال هو الصبر لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله أقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء أي المصيبة والضراء أي الفقر وحين البأس أي المحاربة أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فإذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الأسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامي فإنها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الأصول والألفاظ هي التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع لا بد وأن يزل وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم فإن الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه إلا بمثل هذه الانعكاسات

بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال إحداها أن يقهر دواعي الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين وإياهم ينادي المنادي يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية الحالة الثالثة أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين ولا يجاهد

باليأس عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا أعداء الله
في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله وأمر من أمور الله فإليهم الإشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني
لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد إرشادهم
فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني
وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وآله وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله
وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال أنا مشتاق إلى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست أطمع فيها أو لم يكن مشتاقا إلى التوبة ولكن
قال إن الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به إلى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله إلا في استنباط
دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته فقد صار عقله في يد شهوته كمسلم أسير في أيدي الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير
وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله محل من يقهر مسلما ويسلمه إلى الكفار ويجعله أسيرا عندهم لأنه بفاحش جنايته يشبه أن يسخر
ما حقه أن يسخر ويسلط من حقه أن يتسلط عليه وإنما استحق المسلم أن يكون متسلطا لما فيه من معرفة الدين وباعث الدين وإنما
استحق الكافر أن يكون مستسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشيطان وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه
فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله كان
كمن أرق مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه إلى أبغض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه للنعمة
واستيجابه للنقمة لأن الهوى أبغض إله عبد في الأرض عند الله والعقل أعز موجود خلق على وجه الأرض الحالة الثالثة أن يكون الحرب
سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق إليه أيضا ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر
عنه فإنه إما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئا منها أو يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالأنعام بل هم أضل إذ
البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له ذلك وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا
ولذلك قيل شعر: ولم أر في عيوب الناس عيبا ... كنقص القادرين على التمام ... وينقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر والعسر إلى ما
يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل
يحصل بأدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر وإذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر
ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فإن الرجل
القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حملة وأيسر قوة بحيث لا يلقى في مصارعته إعياء ولا لغوبا ولا يضطرب فيه
نفسه ولا ينبهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين
وباعث الهوى فإنه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما أذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث
الدين واستولى لي بتيسير الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا كما سيأتي في كتاب الرضا فالرضا أعلى من الصبر ولذلك
قال صلى الله عليه وآله وسلم اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين أهل الصبر
على ثلاث مقامات أولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة
لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى
من مقام الصبر وكأن هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا واعلم أن الصبر ينقسم أيضا باعتبار حكمه
إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على الأذى المحظور كمن تقطع يده
أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على ما يجري

على أهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الإيمان لا
ينبغي أن يخيل إليك أن جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة

بيان

مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغني
عنه في حال من الأحوال اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي لا
يوافقه بل يكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو كليهما فهو إذا
لا يستغني قط عن الصبر النوع الأول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب
وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال
والركون إليها والانهماك في ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى حتى قال
بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على
البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله
عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وقال إن من أزواجكم
وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم الولد مبخلة مجبنة محزنة ولما نظر صلى الله عليه وآله وسلم إلى
ابنه الحسن يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة إني لما رأيت ابني يتعثر لم أملك
نفسي أن أخذته ففي ذلك عبرة لأولي الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعلم
أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرح به ولا ينهمك في
التنعم واللذة واللهو واللعب وأن يرعى حقوق الله في ماله بالإنفاق وفي بدنه ببذل المعونة وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك
في سائر ما أنعم الله عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون
بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد إذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك
نفسك والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء
النوع الثاني ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي أو لا يرتبط باختياره
كالمصائب والنوائب أو لا يرتبط أوله باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهي ثلاثة أقسام
القسم الأول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان الضرب الأول الطاعة والعبد
محتاج إلى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض
العارفين ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهر فرعون من قوله أنا ربكم الأعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فأظهره إذ استخف
قومه فأطاعوه وما من أحد إلا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وإن كان ممتنعا من إظهاره
فإن استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء
الكبرياء فإذن العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل
كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته
في ثلاثة أحوال الأولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعقد العزم على
الإخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس وقد نبه عليه
صلى الله عليه إذ قال إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا
قدم الله الصبر على العمل الصالح فقال إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات الحالة الثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله
في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ
وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا أي صبروا إلى تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ

من العمل الذي يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله
ويحبطه اذ كما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى
فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو يحتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله ان الله يامر بالعدل
والاحسان وايتاء ذي القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر
الضرب الثاني المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله انواع المعاصي في قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال
صلى الله عليه وآله وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضى باعث الهوى واشد انواع الصبر الصبر
عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر جندان من جنود
الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس
كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب
الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك في ظاهره غيبة وفي
باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان احداهما نفي الغير والاخرى اثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التي هي في طبعه وهي ضد ما امر به
من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات يعسر الصبر عنها وهي اكبر الموبقات حتى بطل
استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق
لسانه طول النهار في اعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات
ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة
وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج
الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا الا بان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن اصبح
وهمومه هم واحد والا فان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه القسم الثالث ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار
في دفعه كما لو اوذي بفعل او قول وجني عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة
قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وقسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبر به صلى الله عليه وآله
وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال رحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال
واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اي تصبروا عن المكافاة
ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين وقال صلى الله عليه وآله وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورايت في الانجيل قال عيسى لقد
قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الخد
الايسر ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى فالصبر
على اذى الناس من اعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا القسم الرابع ما لا يدخل
تحت الاختيار اوله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء
وبالجملة سائر انواع البلاء فالصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القرآن على ثلاثة اوجه صبر
على اداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة
درجة وانما فضلت هذه الرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فاما

الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا ببضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم
اسالك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين وقال ابو سليمان والله ما نصبر على ما نحب
فكيف نصبر على ما نكره وقال عليه السلام قال الله عز وجل اذا ابتليت عبدا ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما
خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان ابرأته ابرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يا رب ما جزاء
الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال صلى الله عليه وآله وسلم
قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم
القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ما من عبد اصيب
بمصيبة فقال كما امره الله عز وجل انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك
به وقال انس حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ما انعم الله على
عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه منها افضل مما انتزع منه وقرأ انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله تعالى قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل
حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احباؤك جاؤوك زائرين فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا
يهربون فقال لو كنتم احبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان
فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويقال ان امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع
فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن
التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من اجلال الله ومعرفة
حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ويروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت
من كمه فقال بارك الله له فيها لعله احوج اليها مني ويروى عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى
وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا
كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فبماذا ينال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر
شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام
الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وقد قيل الصبر الجميل ان لا يعرف صاحب المصيبة
من غيره واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب
جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله عز وجل ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روي عن
الرميصاء ام سليم انها قالت توفي ابن لي وزوجي ابو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم ابو طلحة فقمت فهيأت
له افطاره فجعل ياكل فقال كيف الصبي قلت باحسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى باسكن منه الليلة ثم تصنعت له احسن
ما كنت اتصنع قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب من جيراننا قال وما لهم قلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم جزعوا
فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وان الله قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد رايت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأ القرآن وروى جابر
انه عليه السلام قال رايتني دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء امرأة ابي طلحة ولا يخرج عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان
العين بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا يخرج

مقام الرضا فالمقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متألم بسببه لا محالة فتفيض عيناه اذا عظم الموسى اي وذلك
الرضا وكتب ابن ابي نجيح يعزي بعض الخلفا ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما ابقاه
واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة
عليهم فيما يعافون منه فاذا مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعم الله عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان المرض
والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب
الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد
ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن واكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك
له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب
في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله او عن فكر يستفيد به معرفة بالله ليستفيد بالمعرفة محبة الله فهو مغبون هذا ان كان
فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات ولا يزال ينازع كل من
تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره او من يتوهم انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارة له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس
في حبه حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال
مشغولا بهم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جند الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده
السيار وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين
والطين طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا تتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق
من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق من الطين فابى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني
من نار وخلقته من طين فاذن حيث لم يسجد الملعون لابينا آدم صلوات الله عليه فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده ومهما
تخلى عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد ظهر انكساره واذعانه واذعانه بالاذعان هو السجود وهو روح
السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة الاستخفاف
بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يشك صدق
عن الحق بعد القالب عن الروح والقشر عن اللب فتكون ممن نسيه عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق ان
الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك
بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن
انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهوا في القدح فانك ان اردت ان يخلو عن الهوا من غير
ان تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهوا لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم
في الدين يخلو عن جولان الشيطان والا فمن غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك
قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يبغض الشاب الفارغ
وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه
الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزدوج افراخه ايضا وتبيض مرة اخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع
من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا تزال النار تتولد من النار ولا تنطفئ البتة بل
تسري شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت
وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم يكن شهوة فاذا تأملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك
قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا

دوا الصبر

النفس وكان الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة باطنة اولى بالصبر عنها وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت
وما يستعان به اعلم ان الذي انزل الداء انزل الدوا ووعد الشفا فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم
والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما
ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منه مختلفة فاذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة
العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا
وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه او يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا
يزال يحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر
عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اذا اردنا ان يغلب احدهما الآخر فلا طريق لنا فيه
الا تقوية من اردنا ان يكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا هاهنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما
باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة امور احدها ان ننظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها
ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز
عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة والثاني قطع اسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر
يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وانما يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها
بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع
الا تغميض الاجفان او الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور
لم يصبك سهمه الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات
ما يغنيها عن المحظورات وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقمع
الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان
الصوم له وجاء فهذه ثلاثة اسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري
ليضعف فتسقط قوته والثاني يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها
والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر به على التأديب واما تقوية باعث الدين فانما
تكون بطريقين احدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي اوردناها في
فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات فانه ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل
له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو
من الايمان فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي قوي باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة
الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر واقل ما اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني ان يعود هذا الباعث
مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ عليها وتقوى منته في مصارعتها فان
الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين
وبالجملة قوة الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتأكد بالممارسة
فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع في الخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم
بموسى حيث قال وانكم لمن المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة اسباب ذلك
منذ الصبى حتى يانس به ويستجرئ عليه وتقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى
على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه في

وإنما أشد ما يكف الباطن عن حديث النفس وإنما يشتد ذلك على من نزع الأسباب ثم الشهوات الظاهرة وآثر العزلة ولازم الفكر فإن الوساوس لا تزال تتجاذبه من جانب إلى جانب وهذا لا علاج له البتة إلا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الأهل والولد والمال والجاه والرفقاء والأصدقاء ثم الاعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم يكن له مجال في الفكر وسير الباطن في ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع الله وسائر أبواب معرفة الله حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله به مجاذبة الشيطان ووسواسه وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلا الأوراد المتواصلة المرتبة في كل لحظة من القراءة والأذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور فإن الفكر الباطن هو الذي يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة ثم إذا فعل كل ذلك لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها إذ لا يخلو في جميع أوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان يخالطه إذ لا يستغني عمن يعينه في بعض أسباب المعيشة فهذا أحد أنواع الشاغل وأما النوع الثاني فهو ضروري وهو أشد من الأول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فإن تهيئة ذلك أيضا يحوج إلى شغل إن تولاه بنفسه فإن تولاه غيره فلا يخلو عن شغل القلب بمن يتولاه بنفسه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الأوقات إن لم يهجم به ملمة أو واقعة وفي تلك الأوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر وينكشف فيه من أسرار الله في ملكوت السموات والأرض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء إلى هذا هو أقصى المقامات التي يمكن أن ينال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فإنها توازي أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فإن المجذوب إلى أسفل السافلين لا ينجذب إلى أعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب إليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله عليه السلام إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وذلك لأن تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية إذ قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من أعلى أنواع الرزق والأمور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله أسباب الرزق فما علينا إلا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالذي يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه إلا بمطر ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر إلا أنه يثق بفضل الله ورحمته أنه لا يخلي سنة عن مطر فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب من حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الإرادة والإخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة كما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيم يقوى انتظار تلك النفحات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فإن الهمم والأنفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى يستدر بها الأمطار في أوقات الاستسقاء وهي لاستدرار أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت أشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من أقطار الجبال والبحار بل الأحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وإنما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج إلا إلى أن تكسر الشهوة ويرفع الحجاب فيشرق أنوار المعارف من باطن القلب وإظهار ماء الأرض بحفر القنى أسهل وأقرب من استنزاله إليها من مكان بعيد منخفض عنه ولكونه حاضرا في القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الإيمان تذكرا فقال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وقال تعالى وليتذكر أولو الألباب وقال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وإنما الصبر عن العوائق كلها بعد الصبر عن الخواطر وقال الجنيد المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد والمسير من النفس إلى الله صعب شديد والصبر مع الله أشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فإن لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء

والاستتباع أغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون أعلى اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية وهي مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة للأمور الربوبية وعنها العبارة بقوله تعالى قل الروح من أمر ربي وليس القلب مذموما على حبه ذلك وإنما هو مذموم على غلطه وخطئه بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر فأضله وأغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب إلا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وأمنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل يحق لكل عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بأنواع الآلام والحسرات سريع الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الإنسان عجولا راغبا في العاجلة فجاء الشيطان وتوسل إليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضر وتوسل إليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال عليه السلام الأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر إمكانه ولم يتدل الموفق بحبل غروره إذ علم مداخل مكره فأعرض عن العاجلة فعبر عن المخدوعين فقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقال تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل فأوحوا إليهم ما تم على الخلق من إهلاك العدو وإغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا أصل له إن سلم فلا دوام له أصلا فنادوا فيهم يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل إلا لدعوة الخلق إلى الملك الدائم المخلد والمراد منهم أن يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة أما ملك الدنيا فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى بدرك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقرة عين أخفيت في هذا العالم لا يعلمها نفس والشيطان يدعوهم إلى ملك الدنيا لعلمه بأن ملك الآخرة يفوت به إذ الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بأن الدنيا لا تسلم لهم أيضا ولو كانت تسلم لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذلك سائر أسباب الجاه ثم كما لا يسلم ولا يتم الأسباب ينقضي العمر حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس فضرب الله تعالى له مثلا فقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح والزهد في الدنيا لما أن كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين وإشارة الإيمان وهذا ملك بالاستحقاق إذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه وسائر أغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يسخره زمام الشهوة آخذا بمخنقه إلى حيث يريد ويهوى فما أعظم اغترار الإنسان إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكا وينال الربوبية بأن يصير عبدا ومثل هذا يكون منكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف أطلب منك حاجة وملكي أعظم من ملكك فقال كيف ذلك فقال من أنت عبده فهو عبد لي فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وبطنك وفرجك وقد ملكت هؤلاء فهم عبيد لي فهذا إذا هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى الملك في الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستواء على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية وعرفت وجه الغلط في ذلك وكيفية تلبيس الشيطان وتلبيسه سهل عليك النزوع عن الملك والجاه والإعراض عنه والصبر عند فوته إذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة ومن لو شغفه حب الملك بعد أن ألف الجاه وأنس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه في العلاج

بمجرد العلم والكشف بل لا بد وان يضيف اليه العمل وعمله في المثال الواحد بان يهرب عن موضع الجاه كيلا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر
مع الاسباب كما يهرب من غلبة الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله تعالى في سعة الارض اذ قال تعالى
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكلف نفسه في اعماله افعالا بخلاف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل
وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاقا لمقتضى جاهه
فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة الثالث
ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه
الا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدا بترك البعض من ذلك البعض الى ان
يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واليه الاشارة
بقوله عليه السلام لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه فهذا ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن
الجاه انموذج لما لم نذكره وقد ذكرنا طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس وربع المهلكات والغرض ههنا التعريف بعلاج
الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الآحاد يطول ومن لاحظ على التدريج ترقى به الصبر الى حالة يشق عليه الصبر
عنه كما كان يشق عليه الصبر معه فينعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان ممقوتا مشربا هنيئا لا يصبر عنه
وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع
العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا اشار بعض
العارفين حيث سال الشبلي عن الصبر ايه اشد فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله
فقال لا قال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا
اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله
جفاء وقيل

والصبر عنك فمذموم عواقبه ... والصبر في سائر الاشياء محمود

وقيل

الصبر يجمل في المواطن كلها ... الا عليك فانه لا يجمل

هذا آخر ما اردنا شرحه من علوم الصبر الشطر الثاني من الكتاب في الشكر وهو مشتمل على ثلاثة اركان الركن الاول في نفس
الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه الركن الثاني في حقيقة النعمة واقسامها الخاصة والعامة الركن الثالث في بيان الافضل
من الصبر والشكر

الركن الاول

في نفس الشكر بيان فضيلة الشكر اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال
ولذكر الله اكبر فقال تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي
الشاكرين وقال تعالى اخبارا عن ابليس اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال
ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
واستثنى في خمسة في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف
ما تدعون اليه ان شاء ويرزق من يشاء ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى
والله شكور حليم وجعل الله الشكر مفتاح كلام اهل الجنة فقال وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم ان الحمد لله
رب العالمين واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروي عن عطاء انه قال
دخلت على عائشة فقلت اخبرينا باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكت وقالت واي شانه لم يكن عجبا
اتاني ليلة فدخل معي في فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت فقلت
اني احب قربك ولكني اوثر هواك فاذنت له فقام الى قربة من ماء فتوضا فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم
سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من

ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله علي ان في خلق السماوات والارض الآية وهذا يدل على ان البكاء
ينبغي ان لا ينقطع ابدا والى هذا السر يشير ما روي ان نبيا من الانبياء مر بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله وقال منذ سمعت قوله تعالى
وقودها الناس والحجارة فانا ابكي من خوفه فساله ان يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك
بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا
وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل
ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ آخر على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحمد رداء
الرحمن واوحى الله الى ايوب عليه السلام اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل واوحى الله اليه في صفة الصابرين
ان دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الي ازيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل
قال عمر رضي الله عنه اي المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال
وقال ابن مسعود رضي الله عنه الشكر نصف الايمان

بيان

حد الشكر وحقيقته اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ايضا ينتظم
من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل فاما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح
الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان
جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالاصل الاول العلم
وهو علم بثلاثة امور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه
عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله فاما
في حق الله فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد
اذ دخل التقديس والتوحيد فيه بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس
الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه
المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله
ثلاثون حسنة وقال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله ولا تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه
الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله تدل على
معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة ينفي
الشرك في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك بشيء فان راى لوزيره او وكيله دخلا في ايصال ذلك اليه فهو اشراك به في
النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا
يقدح في توحيده في حق الملك وشكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي كتب عليه فانه لا
يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بانفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة
الملك وقد يعلم ان الوكيل والخازن ايضا مضطران من جهة الملك في الايصال وانه لو رد الامر اليهما ولم يكن من جهة
الملك ارهاق وامر جزم لما اعطياه واذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن والوكيل كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث
ذلك شركا في التوحيد في اضافة النعمة الى الملك فكذلك من عرف الله تعالى وعرف ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
كالقلم في يد الكاتب وان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختياراتها فان الله هو المسلط للدواعي عليها
لتفعل شاءت ام ابت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما اعطاك ذرة مما في يده فكل
من وصل اليك نعمة الله على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا والآخرة في

ان يبلغك ما اعطاك فان غرضه المتوقع منه في الحال او المآل تحصيل الاثابة ونعوذ بالله منها لا الاعتقاد والمجد ميلا الى
ذلك فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء الا عطاك ولو لم يعلم ان منفعتي في منفعتك لما انعم عليك
فهو اذا انما يطلب منفعة نفسه فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة اخرى هو يرجوها وانما الذي انعم عليك هو الذي سخر
لك والقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله
وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى في مناجاته الهي خلقت آدم
بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته شكرا فاذن لا تشكر الا بان تعرف ان الكل منه فان
خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح
فنقصان ويقل بنقص عملك فهذا بيان هذا الاصل الاصل الثاني الحال المستمدة من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة
الخضوع والتواضع وهو ايضا في نفسه شكر على تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا شروطه وشرطه
ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول الملك الذي يريد الخروج
الى سفر فانعم بفرس على انسان تصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال
ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء لكان
فرحه به مثل هذا الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك وشفقته عليه
واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه غير الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا او استحقاره
له بالاضافة الى مطلوبه من نيل الحظ في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال
بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا ويعتني
بهذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة ايضا
الوزارة بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات
فالاول لا يدخل فيه معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبه مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بنعمة
من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث
ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من
عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب
منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا وامارته انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للآخرة
ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس
الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث يحمله في صحبة الملك حتى يدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة
وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات
في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله
ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء
الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فاذا من شرط الفرح بنعمة الله فان لم يكن
فمن لم يكن بهذه الرتبة فليكن من الرتبة الثانية اما الاولى فخارج عن الحساب فكم من فرق بين من يحب الملك للفرس وبين من يريد الفرس
للملك فكم من فرق بين من يحب المنعم لاجل النعمة وبين من يريد النعمة لاجل المنعم الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم
وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله
بالتحميدات الدالة عليه واما الجوارح اما القلب فقصد خير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات

الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان يستر كل عيب يراه
لمسلم وشكر الاذنين ان يستر كل عيب يسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو
مأمور به وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل كيف اصبحت قال بخير فاعاد السؤال حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره
فقال هذا الذي اردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر عن الله ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا
وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد يسأل عن حال فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية
قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد
ان لم يحسن الصبر على البلاء وافضى به الضعف الى الشكوى ان تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي وهو القادر على ازالة البلاء وذل العبد
لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا
فابتغوا عند الله الرزق وقال ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي ان وفدا
قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في
المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة
فقد آمننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه هي اصول معاني الشكر المحيطة بجميع حقيقته
فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض احوال القلب وقول من قال
ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول من قال ان الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود بادامة
حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقال حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيه طفيليا
اشار الى معرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص
فهذه اقوالهم وفيها بيان احوالهم ولذلك تختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لانهم لا يتكلمون الا عن
حالهم الا ما نبه الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم او يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي
يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان يظن ان ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها لكانوا
ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل البتة الا ان يعرض نزاع من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني
ام يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها وليس المقصود في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات
فليس ذلك من طريق علم الآخرة في شيء

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تبارك وتعالى لعله يخطر ببالك ان الشكر
انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم
وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين ايديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة
جاههم فلا يكونون شاكرين الا بشيء من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين احدهما ان الله منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس
عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير السواد بالخدم والمثول بين يديه بالركوع والسجود
فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا او نسجد او نركع اذ لا حظ للملك فيه ولا حظ لله في
اعمالنا كلها الوجه الثاني ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا هو نعمة اخرى من نعم الله تعالى علينا وهو نعمة فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو
الملك مركوبا فاحتفلنا بركوبه واخذ مركوب آخر او عطاء من جهته فكيف يكون ذلك شكرا لله تعالى بل كان ذلك الثاني يحتاج الى الشكر كما يحتاج
الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيؤدي الى ان يكون الشكر محالا في حق الله تعالى بهذا الوجه ولسنا نشك في الامر بالشكر
ثم ان الشرع مقرر به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لداود صلوات الله عليه وكذلك لموسى صلى الله عليه
وسلم فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة اخرى منك توجب
علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فان قلت

تقدمت السؤال وهي قاصر عن ادراكه حقايق ما اوحي اليهم فان علم استحالة الشكر لله تعالى فانما كون العلم باستحالة الشكر شكرا
فلانهم فان هذا العلم ايضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى انه من لم يشكر فقد شكر وان من قول الكلمة الثانية
من الملك شكر الكلمة الاولى جعل النعم قاصر عن ادراك السرفان الكن تقريبه ذلك بمثال من نعيم في نفسنا علم ان بهذا نوع اب
العارف حالي من علوم المعاملة ولكنا نشير بهذا الى اللمح ونقول ههنا نظر ان نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك
قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه ان
ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان
يوجد اذ الموجود المحقق هو القايم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قايم بغيره فهو موجود بغيره فان
اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القايم بنفسه والقايم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا
فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا الواحد الحق ولا يتصور ان يكون غيره فاذن ليس في الوجود غير الحي القيوم
ولا قيوم الا الواحد ولا يتصور ان يكون غيره فاذن ليس في الوجود غير القيوم الحي الذي هو الذات الصمدانية فبطر
من هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب
بن ابي حبيب حيث قال في قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى على اعطيه اشارة الى انه اذا اثنى
على عطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومنه نظر الشيخ ابو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه
فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم فحق يحبهم لانه انما يحب نفسه اشارة الى انه المحب وانه المحبوب وهي رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على
حد عقلك ولا يخفى عليك ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه والوالد اذا احب
ولده من حيث انه ولده فقد احب نفسه والوالد اذا احب ولده من حيث انه ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله
تصنيف الله وصنعته فان احبه فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فحق ان يحب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد في
الصوفية من هذه الحالة فنيا النفس اي فني عن نفسه وعن غير الله ولم ير الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني
طلله ابعة اذرع ولعله ياكل كل يوم ارطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال الجاهلين بمعاني كلامهم وضحك العارفين ان يكون
ضحكة للجاهلين والبه الاشارة بقوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى
اهلهم انقلبوا فاكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم اذ
قال فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وكذلك انه نوح كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا
نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين النظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفنا عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود
انفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتي العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا
وهو القيوم الذي هو قايم بنفسه وقايم على كل نفس بما كسبت وكل قايم قايم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم
ولو عرفوا لعلموا انهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق
بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قايم
وقيوم والموجد هالك وفان واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك الرزق الثاني بهم عمى ولكن بهم عور
باحدى العينين لانه يبصر الموجود الحق فلا ينكره والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصر بها فنا غير الموجود الحق فاثبت موجودا
آخر مع الله وهو مشرك تحقيقا كما كان الذي قبله جاحدا تحقيقا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت
عبدا ورابا فبهذا القدر من اثبات التفاوت والنقص في الوجود الآخر دخل في حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد في انفتاحه قل
عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما اثبته سوى الله فان بقي في سلوكه كذلك حتى ادى الى النقصان الى
المحو وصعقه عن رؤية ما سوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث ادرك نقصانا في وجود ما سوى الله دخل

في اوايل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فبهذا تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على لسان رسله هي الكحل الذي بها
ادرك ابصارهم الانفتاح والانبياء هم الكحالون وقد جاوءا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا هو ومعناه ان لا يرى الا الواحد الحق
والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل للطرف التوحيد اذ
عبدة الاوثان قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين في اوايل ابواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون منهم الاكثرون
فيهم من يتفتح بصيرته في بعض الاحوال فيلوح له حقايق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت ومنهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا
يدوم والدوام فيه عزيز ولكل الى شاو العلى حركات ولكن عزيزة في الرجال ثبات ولما امر صلى الله عليه وآله وسلم بطلب القرب وقيل له
واسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك فقوله اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم
اقترب ففني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم راى ذلك
نقصانا في التوحيد فاقترب وترقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير
رؤية فعل وصفة ولكنه راى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففني عن مشاهدة نفسه اذ راى ذلك نقصانا فقال انت كما اثنيت
على نفسك لا احصي ثناء عليك فقوله لا احصي خبر عن فنا نفسه وخروجه عن مشاهدته وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه
المثني وهو المثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه وكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين الذي
انتهى نهايته اذ انتهى الى الواحد الحق حتى انمحى في نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يرقى
من رتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية وكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصانا في سلوكه وتقصيرا
في مقامه واليه الاشارة بقوله عليه السلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين
مقاما بعضها بعد البعض اولها وان كان مجاوزا اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى اواخرها فكان استغفاره
لذلك ولما قالت عايشة رضي الله عنها اليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال افلا
اكون عبدا شكورا ومعناه افلا اكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال لئن شكرتم لازيدنكم وان تخطانا
في بحار المكاشفة فلنتنعطف العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول انما بعث الانبياء لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه
ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات
وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة اخرى ومقام اخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى ذلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور
ولا يعرف ذلك الا بمثال فنقول يمكنك ان تفهم ان من الملوك من يرسل الى عبده قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقد الاجل زاده في
الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احديهما ان يكون مقصده من وصول العبد الى حضرته
ان يقوم ببعض مهماته ويكون له عناء في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه
اذ لا يسري على التيام بخدمته ويقتي منه غناء وغيبته لا ينقص من ملكه فيكون مقصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد
بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وباشتغاله منزلة العبد في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى
فان الاولى محال على الله والثاني غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم
يقم بخدمته التي ارادها الملك منه واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون
شكره بان يستعمل ما انعم به عليه فيما احبه مولاه لاجله لا لغرض نفسه فانه لو ركب المركوب ولم يسلك الطريق
فقد شكر مولاه اذ استعمل نعمته في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته
اي استعملها فيما كره مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اي ابطله
وعطله وان كان يظن انه بعد من كون به لكن يطلب الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء اطوارهم يحتاجون الى استعمال الشهوات ليكمل

ابائهم يسعدون بها عن جهتهم وانما سعادتهم في القرب منه فما اعد لهم من النعم ليعتدوا بها على استعمالها في نيل درجة القرب
مدهم وقربهم منه تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا الآية فاذا نعم الله آلات
يرتقي العبد بها من اسفل سافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله غني عنه قرب او بعد والعبد فيه بين
ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه وان استعملها في معصية فقد كفر لاقتحامه ما كرهه مولاه ولا رضيه له
فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق في
الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر لنعمة الله في الاسباب
التي استعملها في الطاعة فيشملها المشيئة ولكن لا يشملها المحبة والكراهة اذ رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان
من لا يرتب ان يراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان من الاول فهو اذا لم يحك الدقيقة حتى العبد الذي منع من افشائه وقد
اهل لهما ما تشكك الاول فهو اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وهكذا يتضح الثاني فاذا لم يعن بالشكر الا انصراف نعمة
الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة فقد فعل الله تعالى ما قد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى من حيث انه محلك
اني عليك وثناؤك نعمة اخرى منه اليك هو المنعم وهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احدهما سببا لانصراف فعله الثاني الى محبته
فله الشكر على كل حال وانت موصوف بالشكر بمعنى انك المحل الذي الشكر جار عليه لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف
بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك وصفك بانك شئ انك
شيئية لك ولست شيئا اذ جعلك شيئا لن تكن شيئا ولما انت لا شئ اذ كنت اسقطنا النسك شيئية منه ان انك فاما باعتبار النظر
الى النوع على كل شيئا فانت شئ اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لا شئ محضا واليه اشار صلى الله عليه وآله
وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قالوا ففيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل ان يخلق الخلق فتبين انه
الله تعالى يعمل اعماله وانه كان لم يعمل من اعماله ولكن بعض اعماله محل لبعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم هو عمل من اعماله وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم فعل من افعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة
الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضا من افعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء وهي ايضا من افعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء وهي
ولكن بعض افعاله سبب لبعض افعاله اي الاول شرط الثاني كما كان خلق الجسم شرطا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة
شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من افعال الله تعالى وبعضها سبب لبعض اعني هو شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد
لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض افعاله سببا للبعض
بمعنى انه بعض اعماله موجب لحصول بل بمعنى شرط لحصول الغير وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه فان
قلت فلم قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شئ فكيف نذم وانما الكل الى الله فاعلم ان هذا
القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار
الغرور وذلك سبب الوصول الى جوار الله والله مسبب الاسباب ومرتبها فتيسر له في الازل السعادة يسر له هذه
الاسباب حتى يقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام
الله وكلام رسوله وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم فاذا لم يعلم لم يخف فاذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا فاذا لم يترك بقي في حزب
الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو مقود
الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مسوق الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة
والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الواحد القهار ولا
قادر الا الملك الجبار واذا انكشف الغطاء عن اعين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا
اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانهما اصل اسباب الهلاك

بيان

تمييز ما يحبه الله عما يكرهه اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله اذ معنى الشكر استعمال نعمه في
محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه ولتمييز ما يحب الله عما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده
الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله تعالى الرسل
وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع احكام الشرع في افعال العباد فمن لا يطلع على احكام الشرع في جميع افعاله
لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا واما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئا
في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية اما الجلية فكالعلم
بان من الحكم في خلق الشمس ان يحصل به الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فيتيسر الحركة عند الابصار والسكون
عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيه حكم اخرى كثيرة دقيقة وكمعرفة الحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك
لانشقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها افهام الخلق
دون الدقيق الذي يقصر فهمهم عنها اذ قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا الآية واما الحكمة
في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق انها زينة السماء لتستلذ
العين بالنظر اليها واشار اليه قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فجميع اجزاء العالم سماؤها وكواكبها ورياحها وبحارها وجبالها
ومعادنها ونباتها وحيواناتها واعضاء حيواناتها لا تخلو ذرة من ذراتها عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى الف الى عشرة آلاف وكذلك اعضاء
الحيوان تنقسم الى ما نعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشي والرجل للمشي لا للشم واما الاعضاء
الباطنة من الامعاء والمرارة والكلية والكبد وآحاد العروق والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك
والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا
بالاضافة الى علم الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي اريد به
فقد كفر نعمة الله فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ بها ما ينفعه لا ليهلك
بها غيره ومن نظر الى وجه غير محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه
ويتقي بهما ما يضره فيهما فاذا البصر بهما ما يضره فيهما وسيئا ما ينفعه فيهما فقد استعمله في غير ما اريد به وهذا لان المراد من خلق
الخلق وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله تعالى ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي عن
غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام
البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء ظاهرا وباطنا وكل
ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال الله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك
المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على النعم فنقول
من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث
ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا
وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار
العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطي
منه مثله في الوزن او الصورة وكذلك من يشتري دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان
الجمل كم يساوي بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل

فعرف كل واحد رتبته ومنزلته حتى إذا استوت المنازل وتعينت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله الدراهم
والدنانير حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدر الأموال بهما فيقال هذا الجمل يساوي مائة وهذا القدر من الزعفران
يساوي مائة فهما من حيث إنهما مساويان بشيء واحد إذاً متساويان وإنما أمكن التعديل بالنقدين إذ لا غرض في أعيانهما ولو كان
في أعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الأمر
فإذاً خلقهما الله تعالى لتتداولهما الأيدي ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل ولحكمة أخرى وهي التوسل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان
في أنفسهما ولا غرض في أعيانهما ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوباً فإنه لم يملك إلا
الثوب فلو احتاج إلى الطعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة مثلاً فاحتيج إلى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء
وهو في معناه كأنه كل الأشياء والشيء إنما تستوي نسبته إلى المختلفات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون
لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي
الحكمة الثانية وفيهما أيضاً حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملاً لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله
فيهما فإذن من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لأنه إذا كنز فقد ضيع
الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لا غرض للآحاد في أعيانهما فإنهما حجران وإنما خلقتا
لتتداولهما الأيدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فأخبر الله الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية
المكتوبة على صفحات الموجودات بخط إلهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة أخبر هؤلاء بكلام سمعوه
من رسوله حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن إدراكه فقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ
حالاً ممن كنز لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس والأعمال التي يقوم بها أخساء الناس والحبس أهون منه وذلك
أن الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن أن تتبدد وإنما الأواني لحفظ المائعات
ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي أريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا كشف له بالترجمة الإلهية وقيل من شرب في آنية من
ذهب وفضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا
لغيرهما لا لنفسهما إذ لا غرض في عينهما فإذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصوداً على خلاف وضع الحكمة إذ طلب النقد لغير ما وضع
له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاماً ودابة إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في
بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فإنهما وسيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانهما وموقعهما من الأموال كموقع الحرف
من الكلام كما قال النحويون إن الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الألوان فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد
فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيداً عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل إلى الغير ظلم
كما أن حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصوداً للادخار وهو ظلم فإن قلت فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر
ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم أن أحد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوسل إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث
كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلاً قليلاً ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوصل به إلى غيره
وأما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث إن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فإنه عبث يجري مجرى وضع
الدرهم على الأرض وأخذه بعينه ولا نخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه فلا يمنع
مما لا تتشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضاً لا يتصور جريانه إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا
ينتظم العقد وإن طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصده فلا جرم يمنعه ويحكم بأن جيدها ورديئها سواء لأن الجودة والرداءة
ينبغي أن ينظر إليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى الصفات الخفية في صفاته وإنما الظالم هو الذي

ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد وأما إذا باع درهماً بدرهم مثله
نسيئة فإنما لم يجز ذلك لأنه لا يقدم على هذا إلا مسامح قاصد للإحسان وهو في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون
له حمد وأجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا أجر فهو أيضاً ظلم لأنه إضاعة خصوص المسامحة وإخراجها في معرض المعاوضة وكذلك
الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها فإن فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الأيدي ويؤخر
عنها الأكل الذي شديدة فينبغي أن يخرج عن يد المستغني عنها إلى المحتاج ولا يتعامل على الأطعمة إلا المستغني عنها إذ من معه
الطعام فلم لا يأكله إن كان محتاجاً ولم يجعله بضاعة تجارة وإن جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلب بعوض غير الطعام
يكون محتاجاً إليه فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضاً مستغن عنه ولهذا عظم في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات
ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور إذ أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع غير
معذور ولكنه عابث فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الرديء
لا يرضى صاحب الجيد وأما جيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوي الرديء في أصل الفائدة
ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد
الإعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فإنه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي
في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات إذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك
أقوم المذاهب فيه إذ خصصه بالأقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد أن يضبط بحد وتحديد هذا كان ممكناً بالقوت وكان
ممكناً بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أحرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا تستوعي
أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال
والأشخاص فمعنى المعنى بكمال القوة يختلف بالأحوال والأشخاص فيكون الحد ضرورياً ولذلك قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله
فقد ظلم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كالحد في شرع عيسى عليه السلام تحريم الخمر والسكر
وتحريمه شرعاً لكونه من جنس المسكر لأن قليله يدعو إلى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل
المعنى بحكم الأصالة فهذا مثال الحكمة الخفية من حكمة النقدين فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة
فلا ينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من عرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ولكن لا تصادف جواهر
الحكمة في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل يتذكر إلا أولو الألباب ولذلك قال عليه السلام لولا أن الشياطين يحومون
على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات وإذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك
وكل فعل صادر منك فإنه إما شكر وإما كفران إذ لا يتصور أن ينفك عنهما ونعني بعض ذلك في لسان الفقه الذي يتناطق به عوام
الخلق الكراهة وبعضه الحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالحظر وأقول مثلاً لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة
اليدين إذ خلق الله لك اليدين وجعل إحداهما أقوى من الأخرى فاستحقت بمزيد رجحانها في الغالب التشريف والتفضيل وتفضيل
الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر إلا بالعدل ثم أحوجك مع إعطائك اليدين إلى أعمال بعضها شريفة كأخذ المصحف وبعضها
خسيسة كإزالة النجاسة فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت
من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بصقت مثلاً في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله
في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات إلى ما لم يشرفها وإلى ما شرفها بأن
وضع فيها بيتاً أضافه إلى نفسه استمالة لقلبك ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار
إذا عبدت ربك وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البزاق فإذا رميت
إلى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت

باليسرى فقد ظلم لان الخف وقاية للرجل فللرجل حظ في الخف والبداية في الحظوظ ينبغي ان تكون بالاشرف فهذا هو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة وان سماها الفقيه مكروها حتى ان بعضهم جمع اكداسا من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فاريد ان اكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الامر في هذه الامور لانه مسكين بلي باصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم منغمسون في ظلمات اعظم من ان تظهر امثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فقبيح ان يقال ان الذي شرب الخمر واخذ القدح بيساره فقد تعدى من وجهين احدهما الشرب والاخر الاخذ باليسار ومن باع خمرا في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح ان يقال قد خان من وجهين احدهما بيع الخمر والاخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح ان يذكر تركه الادب في قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة عن يمينه فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض فيمحق بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بتلك السكين اعز اولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير اذنه حكم ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الانبياء والاولياء من الاداب وتساهلنا به في الفتوى مع العوام فسببه هذه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الاشجار وخلق اليد اما اليد فانها لم تخلق للعبث بل للطاعة والاعمال المعينة على الطاعة واما الشجر فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده وكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعلا فداء لاغراض الانسان فانهما جميعا فانيان هالكان فافناء الاخس في بقاء الاشرف مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه نعم اذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم ايضا وان كان محتاجا لان كل شجرة معينة لا تفي بحاجات عباد الله تعالى كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ذلك ظلما وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد فهو اولى به من غيره فيترجح جانبه بذلك فان نبت ذلك في موات الارض لا بسعي ادمي اختص بغرسه او بغرسه فلا بد من طلب اختصاص اخر وهو السبق الى الاخذ فللسابق خاصية السبق فالعدل ان يكون هو اولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لملك الملوك الذي له ما في السموات وما في الارض وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد اذن لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن اخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجاء عبد اخر واراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لان اللقمة صارت ملكا له باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك ولكن اذا كانت كل لقمة لا تفي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص يرجح به العبد فمنع منه غيره فهكذا ينبغي ان تفهم امر الله في عباده ولذلك نقول من اخذ من اموال الدنيا اكثر من حاجته وكنزه وامسكه وفي عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وسبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في حد فتاوى الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة واواخر الاعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم بحكم صباهم لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو واباحتنا اياه لهم لا يدل على ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار القران اليه اذ قال ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا ياخذ احد من عباد الله

من مال الله الا بقدر الزاد وكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فمن اخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب اخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقتضى الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقران والرسول وسائر الاسباب التي عرف بها ان ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والاخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع انواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر استقصاء وذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا يفي الا بالقليل وانما اوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الاية من لم يعرف معنى هذه كلها واسرار هذه المعاني التي لا يمكن استقصاء مبادئها فاما تفسير الاية وبيان معنى الفاظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت فقد رجع حاصل الكلام الى ان لله حكمة في كل شيء وانه جعل بعض افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعضها مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل مخالف ومنع للاسباب من ان تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق في قولنا فعل العبد المنقسم الى ما تتم الحكمة والى ما يرتفع بها هو ايضا من فعل الله تعالى فاين العبد في البين حتى يكون تارة شاكرا وتارة كافرا فاعلم ان تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق الى تلويحات بمبادئها ونحن الان نعبر عنها بعبارة وجيزة موجزة يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا عن ان يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول ان لله سبحانه في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة اعلى واجل من ان تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها باسم يدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن في العالم عبارة لعلو شانها وانحطاط رتبة واضعي اللغة عن ان يمتد طرفهم الى مبادي اشراقها فانخفضت عن ذروتها ابصارهم كما تنخفض ابصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في ابصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالها الى ان يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادي حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا ان لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود الى اقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة اخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة فهي تهمز بالمشيئة عن المتناطقين باللغات التي هي حروف واصوات المفهوم بتواطؤ بلفظ المشيئة بعد ما ... كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذي هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى الصفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلاف فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية اخرى في النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة منهما امرا عند طالبي الفهوم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم ايضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له المشيئة الازلية ان يستعمله لاستيقاء حكمته الى غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت لهم في الازل ان يستعملهم لاستيقاء اسباب حكمته في بعض الامور دون غايتها فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في اتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين اسقطت بهم اسباب الحكمة دون غاياتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه في الازل فعل وقفت الحكمة دون غايتها فاستعير له الكفران واردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال وظهر على من رضي عليه في الازل فعل انساقت بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر واردف بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل ان الله تعالى اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال ثم قبح واردى وكان مثاله ان يلطف الملك بعبده الوسخ الشعث فيامر بتنظيفه ثم يخلع عليه من محاسن ثيابه فاذا تم زينته قال يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال فهو المثني من حيث المعنى وانما العبد محل الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كان الامر في الازل الى الان وكذا استلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب

ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق ولا عن بخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلمح البصر
عن التمادي بحكم ذلك القضاء الجزم باسبابه التقدير فاستعير لترتيب احاد المقدرات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء
بازاء الامر الواحد الكلي ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي الى غير نهاية وقيل ان شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر
خطر لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره
لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر والاحاطة بمجامعه فالجموا بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون واسئلة الاشكالات بعضهم مصابيح نور الله في السموات والارض وكانت زيتهم اولا صافيا يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور فاشرق اقطار الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كلها على
ما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بآداب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فاسكتوا فان للحيطان آذانا وحولكم ضعفاء الابصار فسيروا بسير اضعفكم
ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا الى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس
بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفاش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيحيا به حياة
يحتمله شخصه وحاله وان كان لا يحيا به حياة المترددين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم **شعر** شربنا شرابا طيبا عند طيب
كذاك شراب الطيبين يطيب ۰ شربنا واهرقنا على الارض فضلة ۰ وللارض من كاس الكرام نصيب ۰ فهكذا كان اول هذا الامر وآخره
ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا له واذا كنت اهلا فتحت العين وابصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما
فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف وادق من الشعر قدر الطائر على ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى واذا دق
المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان
يستجر وراءه اعمى فهذه امور نسبة السير عليها الى السير على ما هو مجال الجماهير كنسبة المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة
يمكن ان تتعلم واما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان عيسى يقال انه كان يمشي
على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران
لا يليق بعلم المعاملة اكثر منه وقد ضرب الله مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ عرفهم انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه فكانت
عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس والامين وهو عنده محبوب مطاع مكين
ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبريل فقال تعالى قل نزله روح القدس من ربك وقال يلقي
الروح من امره على من يشاء من عباده واحال الاغواء على ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والاغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة
فانظر كيف نسبه الى العبد الذي غضب عليه والارشاد سياقة لهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي احبه وعندك في
الشاهد له مثال فالملك اذا كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من ينظف بيته من القاذورات وكان له عبدان لا يعين للكنس الا اقبحهما
واخسهما ولا يسوغ حمل الشراب الطيب اليه الا الى احسنهما واكملهما واحبهما اليه ولا ينبغي ان تقول هذا فعلي ولم يكن فعلا على وفق محبتي لك
اخطأت اذ اضفت ذلك الى نفسك بل الى الله هو الذي ميز بين داعيتك لتحصيل الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص
المحبوب اتماما للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك ايضا من افعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك
وسائر اسباب حركتك في الفعل من فعله الذي رتبه بالعدل ترتيبا يصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن
ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت ولذلك تضيفه الى نفسك وانما انت مثل الصبي الذي ينظر
بالليل الى لعب المشعوذ الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بانفسها وانما
يحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد المشعوذ وهو محتجب عن ابصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم
ان تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد واما العقلاء فانهم يعلمون ان ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله
والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلم كما يعلمه المشعوذ الذي الامر اليه والجلابة بيده فكذلك احوال اهل الدنيا والخلق كلهم صبيان الا العلماء

ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون الامور اليها والعلماء يعلمون انهم محركون الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك
وهم الاكثرون الا العارفون والعلماء الراسخون فانهم ادركوا بحدة ابصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل ادق منها بكثير معلقة من
السماء متشبثة الاطراف باشخاص اهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط في
مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا للمناطات مقابض هي في ايدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا ابصار ملائكة السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من
الامر من حضرة الربوبية كي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل وفي السماء رزقكم
وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل اليهم من الامر بقوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط
بكل شيء علما وهذه امور لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنه عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم
لا يحتملها افهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما اعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر
ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن حيز علم المعاملة ثم امتزج بعلم المكاشفة ما الذي منها فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول
اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا في اتمام حكمة الله فاشكر العباد احبهم الى الله واقربهم اليه واقربهم الى الله الملائكة
ولهم ايضا ترتيب وما منهم الا له مقام معلوم واعلاهم في رتبة القرب اسرافيل وانما علو درجتهم لانهم في انفسهم كرام بررة وقد اصلح الله
بهم الانبياء وهم اشرف المخلوقين على وجه الارض ويلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في انفسهم اخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم
بهم حكمته واعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اذ اكمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم
في انفسهم صالحون وقد اصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما اصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين العدل لانهم اصلحوا
دنيا الخلق كما اصلح العلماء دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم كان افضل من سائر الانبياء
فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء ثم يلي العلماء والسلاطين الصالحون الذين اصلحوا انفسهم فقط
فلم تتم حكمة الله بهم اللهم ومن عداهم فهم همج رعاع واعلم ان السلطان به قوام الدين فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا
قال عمرو بن العاص امام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيكون عليكم امراء تعرفون وتنكرون ويفسدون وما يصلح الله
بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان اساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق
ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل اي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر
الناس السلطان فقال مهلا ان لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة اموال المسلمين ونظرة الى سلامة ابدانهم فيطلع في صحيفته
فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على ابوابهم خير من سبعين قاصا يقصون

الركن الثاني من اركان الشكر ما عليه الشكر وهو النعمة ولنذكر فيه حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاء نعم الله على
عباده خارج عن مقدور البشر كما قال الله تبارك وتعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم امورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة
النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد

بيان حقيقة النعمة واقسامها اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة
ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الاخروية وتسمية ما عداها نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على
الآخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق فكل سبب يوصل
الى سعادة الآخرة ويعين عليها اما بواسطة واحدة او بوسائط فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب
المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بالتقسيمات الاولى ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا
كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى
ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق
والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الابصار وتظنه الجهال نعمة ومثاله
الجائع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علم علم ان ذلك بلاء ساقه اليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة

عند ذوي الالباب لا عند الجهال ومثال الدواء البشع في الحال فانه الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب الصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه اليه ويقرب اليه اسبابه فلذلك تمنع الام ولدها من الحجامة والاب يدعوه اليها فان الاب بكمال عقله يلحظ العاقبة والام لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال والصبي لجهله يتقلد منة من امه دون ابيه ويانس اليها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى امراض وآلام اشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو

القسمة الثانية اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن ينقسم الى ما نفعه اكثر من ضره كمقدار الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ما ضره اكثر من نفعه في حق اكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافئ ضرره نفعه وهي امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه

القسمة الثالثة اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ما يؤثر لذاته والى ما يؤثر لغيره والى ما يؤثر لذاته ولغيره فالاول ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجات لو كانت لا تنقضي بها لكانت والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة في نفسها حتى يجمعونها ويكنزونها ويتصارفون عليها بالربا ويظنون انها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين الى لقاء الله تعالى او ليتوصل بها الى استيفاء لذات الدنيا وتقصد ايضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لاجله فيريد ايضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر لذاته ولغيره ايضا فهو نعمة دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في انفسهما من حيث انهما جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكون بلاء في حقه ولا يكون نعمة

القسمة الرابعة اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ واللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور ايضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة اما في الخير فكالعلم والحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمة واما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فينبعث منه شهوة العلم اللذيذ ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية والكسل عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تالم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل بالعلم تالم بترك الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص هو الذي في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني المقيد وهو الذي يجمع بعض الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع فقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال الى ان يجيء وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قسمان ضروري كالايمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة واعني بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما البتة شيء آخر والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها بما يقوم مقامها

القسمة الخامسة اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها او مشاركة غيره له ثلاثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات اما العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه اقل اللذات وجودا وهي اشرفها اما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذها الا الحكيم وما اقل اهل العلم والحكمة وما اكثر المتشبهين باسمهم والمترسمين برسومهم واما شرفها فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ عنها فيستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور ان يمل ومن قدر على الشريف الباقي ابد الآباد اذا رضي بالخسيس الفاني في اقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم بشقاوته وادباره واقل امر فيه ان العلم والعقل لا يحتاج الى اعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية تعزل عنها والعلم لا تمتد اليه ايدي السراق بالاخذ ولا ايدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن ابدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال ابدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وان سماه خيرا في مواضع واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق اذ الشوق فرع الذوق واما لفساد امزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما لقصور فطنتهم اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة ولا استطابته للبن يدل على انه الذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة اما من لم يحي باطنه كالطفل واما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات واما من مرض باتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله عز وجل لينذر من كان حيا اشارة الى من لم يحي حياة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان

الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات

الثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثر وجودا وهي اخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث برتبة الغلبة وهي اشد التصاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة الحكمة والعلم لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب وآخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واما قمع البطن والفرج فكسر ما سوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على قمعها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبه ان يكون خارجا عن مقدور البشر نعم قد تغلب لذة معرفة الله تعالى في احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند ذلك ينقسم القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب اغلب احواله الانس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد تعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى الاوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية وتعتريه في بعض الاحوال التلذذ بالعلم والمعرفة اما الاول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد واما الثاني فالدنيا طافحة به واما الثالث والرابع فموجود ولكن الثالث على غاية الندور ولا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا وهو مع ذلك يتفاوت في القلة والكثرة وانما تكون كثرته في الاعصار القريبة من اعصار الانبياء فلا يزال يزداد العهد طولا وينقص مثل هذه القلوب الى ان تقرب الساعة ويقضي الله امرا كان مفعولا

وانما حيل بين الناس وبينه لكونها مبادي ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال
الا نادرا واكثر الناس دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة فانها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم
الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما ان الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وان كانت
هي الثانية في رتبة الوجود فانها اول في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة اولا فتعرف بها صورتك التي
هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس
ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من تيسر له نظر
الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به فقيل فاعتبروا يا اولي
الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستنفتح الى حبسه ابواب جهنم وهذا الحبس مملوء
نارا من شأنها ان تطلع على الافئدة الا ان بينه وبين ادراك الم حجابا فاذا رفع الحجاب بالموت ادرك وعن هذا اظهر الله الحق
على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم تدرك مرة بادراك يسمى علم اليقين ومرة بادراك
يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفروا حظهم من نور اليقين
ولذلك قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم اي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين اي في الآخرة فاذا قد ظهر ان القلب
الصالح لملك الآخرة لا يكون الا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا فهذه مجامع النعم اعلم ان النعم تنقسم الى ما هي غاية
مطلوبة لذاتها والى ما هي مطلوبة لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها الى اربعة امور بقاء لا فناء له وسرور
لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر معه وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لا عيش الا عيش الآخرة وقال
ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك في وقت حفر الخندق في شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منعا للنفس من الركون الى
سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم اني اسألك تمام النعمة فقال صلى الله عليه وآله وسلم
وهل تعلم ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة واما الوسائل فتنقسم الى الاقرب الاخص كفضائل النفس والى ما يليه في
القرب كفضائل البدن وهو الثاني والى ما يليه في القرب ويجاوز الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل
والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي اذن اربعة انواع النوع
الاول وهو الاخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب اطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى
علم المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته وملائكته ورسله والى علم المعاملة وحسن الخلق ينقسم الى قسمين ترك مقتضى الشهوة
والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقدامه
واحجامه بالميزان العدل الذي انزله الله تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن
بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن خصى نفسه لكسر شهوة النكاح او ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات او ترك الاكل
حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد اخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما
العدل ان يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان فاذن الفضائل الخاصة بالنفس المقربة الى الله
اربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالنوع الثاني وهي الفضائل البدنية وهي اربعة
الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي
اربعة المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهي الاسباب التي
تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي اربعة هداية الله ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ستة
عشر اذ قسمناها الى اربعة وقسمنا كل واحدة الى اربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية او نافعة اما
الضرورية فحاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الآخرة الا بهما فليس للانسان الا ما سعى

وليس للعبد في الآخرة الا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضرورية
واما الحاجة النافعة على الجملة فحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو
عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل والجاه
والعشيرة فاعلم ان هذه الاسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود اما المال فالفقير في طلب العلم والكمال
وليس معه كفاية كساع الى الهيجاء بغير سلاح وكباز يروم الصيد بلا جناح ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم نعم المال الصالح
للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى الله المال وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات في طلب القوت وفي تهيئة
اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع الا بسلاح المال ثم مع
ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال الغنى فاني رأيت الفقير
لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال العافية فاني رأيت المريض لا عيش له قيل زدنا قال
الشباب فاني رأيت الهرم لا عيش له وكأن ما ذكره اشارة الى نعيم الدنيا ولكن من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال
عليه السلام من اصبح معافى في بدنه آمنا في سربه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل والولد الصالح فلا يخفى
وجه الحاجة اليهما اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة وقال في الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من
ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في كتاب النكاح واما الاقارب فمهما كثر اولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل
الاعين والايدي فيتيسر له بسببهم من الامور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات
الدنيا فهو معين على الدين فهو اذن نعمة واما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم ولا يستغني عنه مسلم فانه
لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه
ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان وقال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا الملك
في القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخر له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه وكما يحتاج الانسان الى سقف
يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج ايضا الى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد
كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من
خزائنهم والاستئثار والاستكثار في الدنيا باتباعهم ولا تظنن ان نعمة الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم حيث نصره واكمل
دينه واظهره على جميع اعدائه ومكن في القلوب حبه حتى اتسع به عز جاهه كانت اقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى
اضطر الى الهرب والهجرة فان قلت كرم العشيرة وشرف الاهل هو من النعم ام لا فاقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الائمة من قريش ولذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم من اكرم ارومة في نسب آدم ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم تخيروا
لنطفكم وقال اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا ايضا من النعم ولست اعني به
الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والى العلماء والى الصالحين والى الابرار
المتوسمين بالعلم والعمل فان قلت فما معنى الفضائل البدنية فاقول لا خفاء بشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذ لا يتم
علم وعمل الا بهما ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله وانما يستحقر من جملتها امر الجمال
فيقال يكفي ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات ايضا اما في الدنيا
فلا يخفى نفعه فيها واما في الآخرة فمن وجهين احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه في
الصدور اوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجز حاجات لا يقدر
عليها القبيح وكل معين على قضاء الحاجات في الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها والثاني ان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس
لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول اصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس

على جنايات البدن فما قولك بالوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما
في النفس وقيل ما في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو الكن
فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا اشرقت على الظاهر فصباحة او على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم
وقال الفقهاء اذا استوت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقال تعالى ممتنا بذلك وزاده بسطة في العلم والجسم
ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان تلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء
وتناسب خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليها فان قلت فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم
وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذا العلماء وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال
انما اموالكم واولادكم فتنة وقال علي رضي الله عنه في ذم النسب الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه
فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المأولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه
اغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك العلوم على ما هي عليه ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص اخرى فهذه نعم
معينة على امر الآخرة لا سبيل الى جحدها الا ان فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها
المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وان اصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء
وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر واللآلي فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات
البحر فقد ظفر بنعمه وان خاضه جاهلا بذلك فقد هلك فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال نعم العون على تقوى الله المال وكذلك مدح الله الجاه والعز اذ من الله تعالى على رسوله ان اظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق
وهو المعني بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده
اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذلك لان الناس اكثرهم جهال بطريق الرقية للمال وطريق الغوص
في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو
كانا في اعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وآله وسلم
ولا ان ينضاف اليه الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء والعارفون معزمون وقد
يضر الصبي ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها لاجل ترياقها لاقتدى
به ولده واخذ الحية اذا رآها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد فواجب عليه ان يزن غرضه في الترياق
بغرضه في حفظ الولد فان كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا لو اخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه
فواجب عليه ان يهرب عن الحية اذا رآها ويقبح على الصبي ويعظم صورتها في عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه احد
ولا يحدثه اصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص لو علم انه لو غاص
في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه ان يحذر الصبي ساحل البحر والنهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما راى
اباه يحوم حول الساحل فواجب عليه ان يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبياء كالصبيان
الاغبياء ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا آخذ
بحجزكم وحظهم الاوفر في حفظ اولادهم عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم في المال حظ الا بقدر القوت فلا جرم
اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق فيه الترياق وفي الامساك السم ولو فتح للناس باب كسب
المال ورغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال والمعنى به تقبيح امساكها والحرص عليها
للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس

بمذموم وحق كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر زاده في السفر اذا صمم العزم على ان يختص باكله فاما ان طابت نفسه باطعام الطعام
وارفاق الرفقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله عليه السلام ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان
من يروي هذا الحديث ويعمل به من ياخذ مائة الف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة ولما ذكر رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء استاذنه عبد الرحمن بن عوف في ان يخرج من جميع ما يملكه فاذن له
فنزل جبريل وقال مره بان يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث فاذا النعم الدنيوية مشوبة ممزوجة داء ودواء
ومثالها البعد والنزول اللذين هما مظان الاخطار فلا يعدل بالسلامة شيئا في حق [illegible] الخلق كلهم الا من عصمه الله
وبه الهداية فانك تحتاج بعد هذه النعم الى التوفيق الجامع الى الهداية والرشد والتأييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يستغني عنه احد
وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الشر والخير وما هو سعادة وما هو
شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص
بمن مال الى الباطل عن الحق وكذلك الارتداد ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل شعر اذا لم يكن عون من الله للفتى ٥٥
فاكثر ما يجني عليه اجتهاده ٥ فاما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان داعية الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته
ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن اين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب
الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى اي بهدايته فقيل ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا وللهداية ثلاث منازل الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله تعالى به على كافة
عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاسباب الهدى هي
الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان كانت لا
تعمي الابصار ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استصحابهما وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة وعن الكبر والحسد العبارة
بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى ابشرا منا واحدا نتبعه فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء
والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء الثانية وهي النور الذي يشرق في عالم
النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي به الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم وهو الهدى
المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة وان كان الكل من جهته فقال قل ان هدى الله هو
الهدى وهو المسمى حياة في قوله او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه واما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره
عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال الله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة
الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى
رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره فقد اعطي الهداية وميز بها عن الجاهل
الذي لا يدري انه يضره ولكن ما اعطي الرشد فالرشد بهذا الاعتبار اكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة واما التسديد
فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب الصواب في اسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من
هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية
اليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء في صوب السداد
واما التأييد فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية امره بالبصيرة من داخل وقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد

بقوله إذ أيدتك بروح القدس ويقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود إلهي يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب
الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس وإياه عنى بقوله ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فهذه هي مجامع النعم ولن
تثبت إلا بما خولك الله من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد
على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الأعداء ويستدعي كل واحد
من هذه الأسباب الستة عشر أسبابا وتستدعي تلك الأسباب أسبابا إلى أن ينتهي بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وهو رب الأرباب
ومسبب الأسباب وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجا ليتعلم به معنى قوله تعالى وإن
تعدوا نعمة الله لا تحصوها **بيان** وجه الأنموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء اعلم أنا جمعنا النعم
في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الأسباب التي
بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي تتم بها نعمة الأكل ولا يخفى أن الأكل
فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من إرادة للحركة ولا بد
من علم بالمراد وإدراك له ولا بد للأكل من مأكول ولا بد للمأكول من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر أسباب الإدراك
ثم أسباب الإرادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء الطرف الأول في نعم الله تعالى
في خلق أسباب الإدراك اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي
لا تنمو ولا تغتذي فإن النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في الأرض وهي له آلات بها
يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة تغلظ أصولها ثم تنشعب ولا تزال تستدق وتنشعب إلى عروق شعرية
تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن الأبصار إلا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فإنه لو أعوزه غذاء يساق إليه ويماس أصله جف
ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله
عليك أن خلق لك آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك
فأولها حاسة اللمس وإنما خلقت لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهو أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور
حيوان إلا ويكون له هذا الحس لأنه إن لم يحس هذا الحس أصلا فليس بحيوان وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه
ويماسه فإن الإحساس بما يبعد إحساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فإنها إذا غرز فيها
إبرة انقبضت للهرب لا كالنبات فإن النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا
كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجتذبه إلى نفسك فقط فافتقرت إلى حس تدرك به
ما بعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجتذبه إلى نفسك فقط فافتقرت إلى الحس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم إلا أنك تدرك
الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أية ناحية فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لم
تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها
إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر
عدوا بينك وبينه حجاب وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء
الجدران عند جريان الحركات وإذا كنت لا تدرك بالبصر إلا شيئا حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من حروف
وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت إليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان
يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق إذ يصل الغذاء إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يصب في
أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجتذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدم دماغك إدراك
آخر يسمى حسا مشتركا تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الأمر عليك فإنك إذا أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته

مرا مخالفا لك فتركته فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر مضر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك
المرارة فلا بد من حاكم تجتمع عنده المرارة فكيف يمتنع منه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة
والمرارة جميعا حتى إذا أدرك الصفرة حكم بأنه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات إذ للشاة هذه الحواس
كلها فلو لم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصا فإن البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة وكيف تتخلص إذا قيدت
وقد تلقي نفسها في البئر ولا تدري أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما يلذها في الحال ويضرها في ثاني الحال
فتمرض وتموت إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر فأما إدراك العواقب فلا فميزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل
وهو العقل فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها وما يضر في المآل وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع
بعقلك في الأكل الذي هو سبب صحتك وهو أخس فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله ومعرفة أفعاله
ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين
بنواحي المملكة وقد وكلت واحدة منها بأخبار الألوان والأخرى بأخبار الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطعوم
والأخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الأخبار من
أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك
يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي مختومة إذ ليس له إلا أخذها وحفظها فأما الاطلاع على ما فيها فلا ولكن
إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير والملك سلم الإنهاءات إليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة و
يحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الأحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب
ومرة في الهرب ومرة في إتمام التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعمة الله عليك في الإدراكات ولا تظنن أنا استوفيناها فإن
الحواس الظاهرة هي بعض الإدراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد تركبت العين من عشر طبقات
مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الأغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات
كأنها بياض البيض وبعضها كأنه الجمد ولكل واحدة من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير و
تركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الأطباء والكحالون كلهم
فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن يستوفى حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته
في مجلدات كثيرة مع أن جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه فهذه مرامز إلى نعم الله
تعالى في خلق الإدراكات **الطرف الثاني** في أصناف النعم في خلق الإرادات اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم
يخلق لك ميل في الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له
وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والإدراك معطلا في حقه فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة
ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي
الذي يضطرك إلى التناول حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم
تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها لا كالزرع فإنه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب في أسفله حتى يفسد
فيحتاج إلى الآدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه أخرى فكذلك خلق لك شهوة الجماع حتى يبقى به نسلك ولو قصصنا
عليك عجائب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من النطفة والحيض وكيفية خلق الأنثيين والعروق
السالكة إليهما من الفقار وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها
فتتشكل بشكل الإناث وكيفية إدارتها في أطوار خلقها نطفة ومضغة وعلقة ثم عظاما ولحما ودما وكيفية قسمة أجزائها إلى الرأس واليد والرجل
والبطن والظهر وسائر الأعضاء لقضيت منه العجب من أنواع نعم الله تعالى عليك في خلقك فضلا عما تراه الآن ولكنا

لسنا نريد ان نعرض الا لنعم الله تعالى في الاكل وحده كي لا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام احدى جنود الارادات وذلك لا
يكفيك فانه ياتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات
والمهلكات ولاخذ منك كل ما حصلته من الغذاء فان كل احد يشتهي ما في يدك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب
ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضر وينفع في الحال اما في المآل فلا تكفي فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى
لك ارادة اخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك
للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك
ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها عن البهائم اكراما لبني آدم كما افردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الارادة
باعثا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا

الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة

اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب او الهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم يكن آلة الطلب والهرب
فكم من زمن مشتاق الى شيء بعيد عنه او كان الشيء مدركا له لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله او لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده
او لفلج وخدر فيهما فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة
هربا فلذلك خلق الله لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم
للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداؤه
ويبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر
ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي هي آلاتك في الاكل فقط ليقاس عليها غيرها فحركتك للطعام من بعد وحركتك اليه لا تكفي ما لم
تقبض اليه باليد فانعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان تمتدان الى الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في
الجهات فتمتد وتنثني اليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا وهو الكف ثم قسم راس الكف بخمسة اقسام
هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام في جانب ويدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها
تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت لك آلة
للضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها اظفارا واسند اليها رؤوس الاصابع حتى لا تتفتت وحتى
تلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تحويها الاصابع فتاخذها برؤوس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم
يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد وان يكون من الظاهر دهليز اليه حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه
من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج
الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس العليا على السفلى لتطحن بهما
الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة يحتاج الى القطع ثم يحتاج الى الطحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة
طواحن كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم
الفك الاسفل ويتاخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى ولولا ذلك لما تيسر الا ضرب احدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين
وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة دورية واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله تعالى فان كل رحى
صنعه الخلق يثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذه الرحى التي صنعها الله تعالى اذ يدور منها الاسفل على الاعلى
فسبحانه ما اعظم شانه واتم برهانه واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الى
الاسنان او كيف تنجذب الى الاضراس او كيف يتصرف باليد في داخل الفم فانظر كيف انعم الله تعالى عليك بخلق اللسان
فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام الى الرحى هذا
مع ما فيه من عجائب قوة الذوق وعجائب قوة النطق والحكم التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس

فلا تقدر على الابتلاع الا بان تنزلق الى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منه وينصب
بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام وانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام من بعد فتثور الحنكان للخدمة وينصب
اللعاب حتى تتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا الطعام المطحون المعجون من يوصله الى المعدة وهو
في الفم ولا تقدر على ان تدفعه باليد ولا يد في المعدة حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيا الله تعالى المريء والحنجرة وجعل على
راسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام فيضغطه فيهوي الى المعدة في دهليز المريء فاذا ورد الطعام
على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لا بد وان ينطبخ طبخا تاما حتى تتشابه اجزاؤه
فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج
بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام الترائب ومن خلف
لحم الصلب فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف
العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من
العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كانه دم وفيه
عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في اجزائها حتى يستولي عليه قوة الكبد
فيصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة
الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ احداهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط
السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم تفصل عنه الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة
والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال
العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولاها لما انتشر في تلك العروق
الشعرية ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضاء فخلق الله تعالى الكليتين واخرج من كل واحدة منهما عنقا طويلا الى الكبد ومن عجائب حكمة الله
تعالى ان عنقها ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصلا بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى تجذب ما فيها بعد الطلوع
من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو جذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم
صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من كل ما يفسد الغذاء ثم ان الله تعالى اطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما
وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر
الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة كعروق الاوراق والاشجار بحيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر
الاعضاء ولو حلت بالمرارة آفة فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حلت بالطحال آفة
فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها وان لم تندفع المائية نحو الكلى
حدث منه الاستسقاء وغيره ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب المنافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة اما المرارة فانها
تجذب باحد عنقيها وتقذف بالعنق الآخر الى الامعاء فيحصل في ثفل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الامعاء لذعا كما اللذع
فينضغط حتى يندفع الثفل وينزلق ويكون صفرته لذلك واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل بها فيه حموضة
وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل واما
الكلية فانها تغتذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعمة الله تعالى في الاسباب المعدة
للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية
انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن التي بواسطتها يصل الروح وكيفية انشعاب الاعصاب من الدماغ
الى سائر البدن التي بواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد الى سائر البدن التي بواسطتها يصل الغذاء

ثم انظر كيف ركب الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها وبطونها فان طال الكلام
ذلك يحتاج اليه للاكل ولامور اخر سوى الاكل فالادمي الذي هو مركب من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر
الدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها الا وفيه حكمة او اثنتان او ثلاث او اربع الى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله
تعالى لو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعم الله تعالى اولا لتقوى بعدها على الشكر
فانك لا تعرف من نعم الله تعالى الا الاكل وهي اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل والحمار ايضا يعلم انه يجوع فياكل
ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستبرد فيحتشي فاذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعم الله
تعالى وهذا الذي رمزنا اليه على الايجاز نقطة من بحر وقطرة من بحار نعم الله فقط فقس على الاجمال ما اهملناه مما عرفنا
حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى اقل من قطرة في بحر الا ان من علم
شيئا من هذا ادرك شيئا من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها
وادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب ويجري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب
فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما تحتاج اليه من حس وادراك وقوة وحركة
كالسراج الذي يدار في اطراف البيت فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى
واختراعه لكن جعل السراج سببا له بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار
السراج والقلب له كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة
في سائر اعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا ينطفي
مهما انقطع غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفي السراج مع كثرة الزيت فكذلك
الدم الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفي مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي يبقى
به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما ان السراج تارة ينطفي بسبب من داخله كما ذكرناه وتارة بسبب
خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة ينطفي بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان انطفاء السراج
بنفاد الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصف او باطفاء انسان لا يكون الا باسباب مقدرة في علم الله تعالى مرتبة ويكون كل ذلك
بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما ان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك اجله الذي اجل له في ام الكتاب
فكذلك انطفاء الروح وكما ان السراج اذا انطفى اظلم البيت كله فالروح اذا انطفى اظلم البدن كله وفارقته انواره
التي كان يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات والقدرة والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا ايضا
رمز وجيز الى عالم اخر من عوالم نعم الله تعالى وعجائب صنعه وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد
كلماته فتعسا لمن كفر بالله تعالى وسحقا لمن كفر نعمته تعالى فان قلت فقد وصفت الروح وشبهته ورسول الله صلى الله عليه
واله وسلم سئل عن الروح فلم يزد على ان قال قل الروح من امر ربي فلم لم يصفه لهم على هذا الوجه فاعلم ان هذا غفلة عن
الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا
يسميه الاطباء روحا وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء
حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب
ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فهذا جسم لطيف ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتادى من القلب الى
سائر الاعضاء وما يرتقي اليه معرفة الاطباء فامره سهل نازل واما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا فسدت فسد بها سائر
البدن فذلك سر من اسرار الله ولم نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي
والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل يتحير فيها عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور

البصر عن ادراك الاصوات وتتزلزل في مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها
فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور اخر اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية نسبته الى العقل نسبة
العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لانه بعد لم يبلغ طور
العقل فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام شريف ومشرب عذب
ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من ان يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد
بعد واحد ولجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على
العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل
من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وانى يصادف هذا في خزانة الاطباء ومن اين للطبيب ان يلاحظه بل المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة
الى هذا الامر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه ادرك الامر الرباني كان
كمن راى الكرة فظن انه راى الملك ولا يشك في انه يخطئ خطا فاحشا وهذا الخطا الفاحش جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف
وبها يدرك المصالح الدنيوية عقولا قاصرة عن ادراك كنه هذا الامر لم ياذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه واله وسلم ان يتحدث عنه بل امره
ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله تعالى
من امر ربي واما فعله فقد ذكر في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ولنرجع الى
الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل وقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الاكل **الطرف الرابع** في نعم الله تعالى في الاصول
التي بها يحصل الاطعمة وتصير صالحة لان يطعمها الادمي وذلك بصنعه اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى
واسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلناخذ الاغذية فانها الاصل
ولناخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جائعا فما احوجك الى
ان تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يغتذي به كما خلق فيك فان النبات
انما فارقك في الحس والحركة ولم يخالفك في الاغتذاء لانه يغتذي بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي انت وتجتذب ولسنا
نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص
فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل انك لو تركتها في البيت لم تزد لانه ليس يحيط بها الا الهواء ومجرد الهواء
لا يصلح لغذائها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في ارض لا ماء فيها لم تزد بل لابد من ارض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا
واليه الاشارة بقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في ارض
ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فتحتاج الى تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج
الى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع
الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فتحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان
احتياج غذائك الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا يحتاج كل واحد فيحتاج الماء الى ان ينساق الى ارض الزراعة من البحار والعيون والانهار
والسواقي فانظر كيف خلق الله البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها
فانظر كيف خلق الله الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا
على الارض في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة
لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله تعالى في السحاب والجبال والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء
والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند
الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كانت

النواة انعقاد وصلابة تبقى الى وقت نضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج
الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة
حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف راسك في الليل فتغلب على راسك الرطوبة التي يعبر
عنها بالزكام فكما يرطب راسك يرطب الفواكه ايضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما
سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا
ولم يصح قوله ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس في اعضائك عضو الا لفائدة
فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وآحاد اجسامه كالاعضاء وهي متعاونة تعاون اعضاء بدنك في
جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان تظن ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله تعالى في امور جعلت اسبابا لها بحكم
الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم امران احدهما ان تصدق بانها
فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه
من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك
العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد كون الكواكب اسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات
والحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب
غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي النهار لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحمله
الحمي على طلوع الشمس واذا سألت عن تغير وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه وقس بهذا
سائر الآثار الا ان الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول
الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضها لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذن الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى
ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرا هذه
الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك
مما تعرفه البهائم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والانفس والحيوانات والنبات
عجائب يطلب معرفتها المحبون لله فان من احب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك
الامر في عجائب صنع الله فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت
من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتاليفه بما انعم الله عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رايت لعب
المشعبذ ترقص وتتحرك بحركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فانها خرق محركة لا متحركة ولكن تتعجب من حذق المشعبذ
المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فالمقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا تتم تلك الا
بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى الى اسباب بعيدة
تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات **الطرف الخامس** في نعم الله تبارك وتعالى
في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن
دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى
التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع انه لا يغنيهم في غالب الامر شيئا بل يجمعون فاما ان تغرق بهم السفن او تنهبها قطاع
الطريق او يموتون في بعض البلاد فياخذها السلاطين واحسن احوالهم ان ياخذها ورثتهم وهم اشد اعدائهم لو عرفوهم فانظر كيف سلط
الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الاخطار ويغرروا بالارواح في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع
الحوائج من اقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب

والحمل في البراري وانظر الى الفرس كيف امدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمل كيف تقطع البوادي وتطوى
المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سخرهم بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وسائر
الحوائج ثم انظر الى ما يحتاج اليه الحيوانات من اسبابها وادواتها وما يحتاج اليه السفن فقد خلق الله جميع ذلك الى الحد الذي تمس اليه الحاجة ووراء الحاجة
واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك الى امور خارجة عن الحصر نتركها طلبا للايجاز **الطرف السادس** في اصلاح الاطعمة اعلم ان
ما ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب
وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور اخرى لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام تطويل فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج
اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض والثور
الذي يثير الارض والفدان وجميع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية
ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكرها وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها
من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر الى حاجة
الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله الجبال والحجارة والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة
فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدئ من الملك الذي
يزجي السحاب لينزل الماء الى آخر الاعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع
اصل من الاصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان في تلك الآلات حتى ان الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها
خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان تمر على يد الابري خمسا وعشرين مرة ويتعاطى
في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلا لفني عمرك وعجزت عنه
افلا ترى كيف هدى عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنائع الغريبة فانظر الى المقراض مثلا وهما جلمان
متطابقان ينطبق احدهما على الآخر فيتناولان الشيء معا ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا
وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح واوتي
اكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من كشف الغطاء عن اعين العباد
فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلا او الحداد او الحجام الذي هو اخس العمال او عن الحائك الذي هو
من جملة الصناع ماذا يصيبك من الاذى وكيف يضطرب عليك امورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته
وتمت به كلمته ولنوجز القول في هذا الجنس ايضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء **الطرف السابع** في اصلاح
المصلحين اعلم ان هذه الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحوش لتبددوا وتباعدوا
ولم ينتفع بعضهم بالبعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف الف الله بين قلوبهم وسلط الانس
والمحبة عليهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم فلاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد
ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وسائر اصناف البقاع مما يطول احصاؤه ثم هذه المحبة
تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك مما يؤدي الى التقاتل والتنافر
فانظر كيف سلط الله السلاطين وامدهم بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها
وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا اجزاء البلد كانها اجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع
البعض منها بالبعض ورتبوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل والزموهم التساعد
والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام
وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع اعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض

ببعض وانظر كيف بعث الانبيا حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة
في ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والسلطنة واحكام الفقه ما اهتدوا به الى صلاح الدنيا فضلا عما ارشدوا اليه من اصلاح الدين
وانظر كيف اصلح الله الانبيا بالملائكة وكيف اصلح الله الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين
الله تعالى فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح الات الحراثة والنجار يصلح الات الحداد
وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين لالات الاطعمة والسلطان يصلح الصانعين والانبيا يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلما
يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبيا الى ان ينتهي الى الحضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشا كل
ترتيب وتاليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما
اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا عزلنا ايانا عن ان نطمع بعين العلم الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوقنا الى طلب الاحاطة
والاستقصا ولكنه عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان نطقنا فباذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره
انقبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى لانا في كل لحظة من لحظات العمر بل الموت نسمع بسمع القلب نداء الملك الجبار لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار وعمانا بهذا النداء قبل انقضا الاعمار **الطرف الثامن** في بيان نعم الله
تعالى وتقدس في خلق الملائكة ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في الملائكة باصلاحهم الانبيا وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظنن انهم مقتصرون
في افعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وتفاوت مراتبها تنحصر بالجملة في ثلث طبقات الملائكة الارضية والسماوية وحملة
العرش فانظر كيف وكلهم الله بك فيما يرجع الى الاكل والغذا الذي ذكرناه دون ما يجاوزه ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم انك لا تخلو
من اجزا بدنك بل من اجزا النبات لا تتغذى الا وقد وكل به سبعة من الملائكة هو اقله الى عشرة الى مائة الى ما وراء ذلك وبيانه ان معنى
الغذا ان يقوم جزء من الغذا مقام جزء قد تلف وذلك الغذا يصير دما في آخر الامر ثم يصير لحما وعظما واذا صار لحما وعظما تم اغتذاؤك
والدم واللحم اجسام ليس لها معرفة وحركة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها
كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا مستويا ثم مطبوخا الا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعروقا
وعصبا الا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل البلد وقد اسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
فلا ينبغي ان تغفل عن النعمة الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذا الى جوار اللحم والعظم فان الغذا لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر
يمسك الغذا في جوار البدن ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعظم والعروق ولا بد من خامس يدفع
الفضل الفاضل عن حاجة الغذا ولا بد من سادس يلصق ما اكتسى صفة العظم بالعظم وما اكتسى صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد
من سابع يرعى المقادير في الالصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يبطل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ
صورة كل عضو ينبغي ان يحرق الى الاجفان مع دقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها
من حيث القدر والشكل والا بطلت الصورة وربما بطل بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط
فساق الى رجل الصبي وهو ينمو من الغذا ما يسوقه الى الاخرى لطالت احدى رجليه مثلا وبقيت الاخرى كما كانت في حال الصغر ولم يرجع البدن
فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وعليه رجل واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فرعاية هذه الهندسة في القسمة مفوضة الى ملك
من الملائكة ولا تظنن ان الدم بطبعه يهتدي الى هذه الاشكال بنفسه فانه جاهل ومن الاشياء على الطبع جاهل لا يدري ما يسوق ودونه هي الملائكة الا ان
ومتى تشغلك بذلك وانت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذا في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من اجزائك الذي
لا يتجزى حتى يفتقر بعض الاجزا كالعين والقلب الى اكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية
على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جميعهم بالتايد والهداية والتسديد والمهيمن
المهيمن المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت خالق السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار الواردة في
الملائكة الموكلين بالسموات والارضين واجزا النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وحتى كل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من

ان يحصى فلذلك تركنا الاستشهاد بها فاذا عرفت هذا فعليك بوجه من الاعمال الى الملائكة واعد نعم الله في جميع ما يليك والحفظ الذي يحتاج
الى ان يطلع ولا تم الى من يريد غيره بالضلالة وتدفع النقصان ثانيا ثم الى منصب الاعلين ثالثا ثم الى من تحت رابعا ثم الى من
سقطها الى ان صوره خامسا ثم الى من يرقيها وعفا عن قضيته سادسا ثم الى من يلحقها بالسوء سابعا ولكن الله تعالى لجميع ذلك
رجل واحد وتشغله به فهلا كان اعمال الملائكة بلطفا كاعمال الانسان طبعا فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف النطفة الانسانية
منهم الا وحداني الصفة ليس فيهم خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى وما منا
الا له مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد وفعله مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم
السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما ينازعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا
فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك براسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والخبز
فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة
فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن
في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون و
يسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد ساجد ابدا والقائم قائم ابدا لا اختلاف في افعالهم و
لا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن ان تشبه بطاعة اطرافك لك فانك
مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك
ينطبق وينفتح متصلا بارادتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا و
الملائكة احياء عالمون بما يعملون فاذا انت نعمة الله عليك في الملائكة الارضية والسماوية وحاجتك اليهم في غرض الاكل فقط دون
ما عداه من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها ضمنه طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف
يمكن احصا ما دخل تحت مجامع الطبقات فاذا قد اسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك
باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسو الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلوب هو شكر النعم الباطنة
وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر النعم الظاهرة بل اقول كل من عصى الله ولو في تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب
غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والارضين وما بينهما فان كل ما خلقه الله حتى الملائكة والسموات و
والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره ايضا به فان لله في كل تطريفة بالاجفان نعمتين في نفس
الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن
الاسفل وعلى الجفن شعور سود ونعمة الله في سوادها انه يجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله في
ترتيبها صفا واحدا انه يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا للاقذاء التي تتناثر في الهوا وله في كل شعرة
منها نعمتان من حيث قوام اصلها ومع اللين ومن حيث نصبها وله في اشتباك الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهوا
قد يمنع من فتح العين ولو طبقتها لم يبصر فيجمع الاجفان بقدر ما تشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك
الشعر مانعا من وصول القذى من خارج ومانع من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق اطراف
الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمراة فيطبقها مرة او مرتين فتنظف الحدقة عن الغبار ويخرج الاقذا الى زوايا
العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدان فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما عن الغبار واذ تركنا
الاستقصا لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل يزيد على اصل هذا الكتاب ولعلنا نستانف له كتابا مقصودا فيه ان امهل الزمان
وساعد التوفيق نسميه عجايب صنع الله تعالى ولنرجع الى غرضنا فنقول وقد كفر نعمة العين نعمة الله في الاجفان ولا تقوم الاجفان
الا بالعين ولا العين الا بالراس بل بجميع البدن ولا البدن الا بالغذا ولا الغذا الا بالما والارض والهوا والمطر والغيم

والشمس والقمر ولا يستقيم شيء من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض بالبعض
ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض فاذا اثر كل نعمة الله في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق ملك ولا فلك ولا
حيوان ولا نبات ولا جماد الا وهو يلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر
لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة تلعن العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها
وكل ذلك اشارة الى ان العاصي بطرفة عين جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة حسنة
تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه واوحى الله الى ايوب عليه السلم ان عبد لي من عبادي الذين معه
لمكان فاذا شكرني على بلائي قال الملكان الكرام نعده تعالى على نعمائك اهل الحمد اشكر نكن من الشاكرين ... المكين الشاكر
على شان عندي اني اشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والاثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعمتين
كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهوا الى القلب
بانقطاع روح الهوا بعدمه عنه بهلك القلب واليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب
من عشر لحظات فعليك في كل لحظة الف الف نعمة في كل جزء من اجزاء بدنك بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر بل يتصور احصاء
ذلك ام لا ولما انكشف لموسى صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك
في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها وان طمست راسها وكذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعمة الله الا في مطعمه ومشربه
فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم فان البصر لا يقع عنده في العالم
على شيء ولا يلم خاطر بموجود الا ويتحقق ان الله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع

بيان السبب

الصارف للخلق عن الشكر اعلم انه لم يقصر الخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا
يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم انهم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقولوا بلسانهم الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا
ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله تعالى فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة
الشهوة واستيلاء الشياطين اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم
في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد
لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله على روح الهوا ولو اخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع الهوا عنهم ماتوا ولو
حبسوا في بيت حمام فيه هوا حار او في بئر فيه هوا ثقيل برطوبة الماء ماتوا غما فان ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجي ربما قدر ذلك
نعمة وشكر الله عليه وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان يسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع
الاحوال اولى بان يشكر من النعمة في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان تعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه احس به
وشكره وعده نعمة ولما كانت نعمة الله واسعة تعم الخلق وتبذل في جميع الاحوال لم يعدها الجاهل نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السوء
حقه ان يضرب دائما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا
يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله عليهم كما شكى بعضهم فقره الى بعض
ارباب البصائر واظهر شدة اغتمامه به فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك
عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الاف فقال لا قال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون
الفا فقال لا فقال اما تستحي ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وحكي ان بعض القرا اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا
فراى في المنام كان قائلا يقول له تود انا انسيناك من سورة الانعام وان لك الف دينار فقال لا قال فمن سورة هود قال لا قال فمن سورة
يوسف قال لا قال فمعك قيمة مائة الف دينار وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وفي يده
كوز ماء يشربه فقال له عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشانا فهل كنت تعطيه قال نعم فقال لو لم

تعط الا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فبهذا تبين ان نعمة الله على العبد في شربة ماء عند العطش
اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اعتقاد النعم الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر
الان ما يرجع الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله راى من الله نعمة او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها
الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيه احد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة امور في العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله في عقله يعتقد
انه اعقل الناس وقل من يسال الله العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به واذا كان اعتقاده انه
اعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة في
حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري فهو يفرح بحسب اعتقاده ويبقى شكره
لانه في حقه كالباقي واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث انه يرى نفسه بريا
عنها فاذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي ان يشتغل بشكر الله اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء واما العلم فما من احد الا ويعرف
من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه احد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع
الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي ارسله على وجه
مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى ذلك عن اعين الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها
كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور فلننزل عن هذه الطبقة الى طبقة اخرى اعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا وقد رزقه الله
في صورته او في شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه او عزه وجاهه او في
سائر محابه امورا لو سلب ذلك منه واعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا
وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان كان فيها عموم ايضا فان هذه
الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض بها بل له امور لا يبدلها باحوال الادميين ايضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدلها بما
به اعطي الخلق او لا يبدله بما خص به اكثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله احسن من حال غيره فان كان لا
يعرف شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في امر خاص فاذا لله عليه نعم ليست له على احد من عباده سواه
وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى من
يكون من دونه في الحال فالاكثر بالاضافة الى من هو فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري نعمة الله على نفسه فلا ينظر الى من هو دونه
ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوي دنياه بدينه اليس اذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة
فينظر ابدا في الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فاذا كان حال اكثر الخلق في الدين خيرا منه
وحاله في الدنيا خير من حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم من نظر في الدنيا الى من هو دونه
ونظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا الى من فوقه وفي الدين الى من دونه لم يكتبه الله
صابرا ولا شاكرا فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم
والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يستغن بآيات الله فلا اغناه الله
يعني بذلك الاشارة الى نعمة العلم وقال ان القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال من آتاه الله القرآن فظن ان احدا
اغنى منه فقد استهزا بآيات الله وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال كفى بالقرآن غنى وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب
ان عبدا اغنيته عن ثلاث لقد اتممت عليه نعمتي عن سلطان ياتيه وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال
اذا القوت ياتيك والصحة والامن واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن بل ادق العبارات واصح الكلمات كلمات افصح
العرب العارف حيث عبر صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا المعنى فقال من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما

حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنها وبال عليهم
ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيمان الذي به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم بل
البصير ينبغي أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من
المشرق إلى المغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضاً عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك لرجائه أن
نعمة العلم تفضي به إلى قرب الله سبحانه وتعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكماله فخذ بدله اللذات في الدنيا بدلاً عن
التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه لعلمه بأن لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس
فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذتها بألمها ولا فرحها بغمها
هكذا كانت إلى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان إذ ما خلقت لذات الدنيا إلا لتساق بها العقول الناقصة وتخدع حتى إذا انخدعت
وتقيدت بها أبت عليها واستعصت كالمرأة الجميلة الظاهر تتزين للشاب الشبق الغني حتى إذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت
عنه فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم وكل ذلك للاغترار بلذة النظر إليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بـ
تلك اللذة لسلم جميع العمر فهكذا وقعت أرباب الدنيا في شبكات الدنيا وحبائلها ولا ينبغي أن يقول المعرض عن الدنيا إنه متألم بالصبر
عنها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض يفضي إلى اللذة في الآخرة وتألم المقبل يفضي إلى الآلام في الآخرة
فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله
ما لا يرجون فإذاً إنما استطار الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة فإن قلت فما علاج
هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر فأقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف
نعم الله العامة فأما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة إلا إذا خصته أو أشعر بالبلاء معه فسبيله أن ينظر أبداً إلى من دونه
ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية إذ كان يحضر كل يوم دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر
قلبه نعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله
على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر على نعمة الأمن ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا
ولو يوماً واحداً أما من عصى فليتدارك وأما من أطاع فليزد في طاعته فإن يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته
فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبني إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات وأما العاصي فغبنه ظاهر فإذا
شاهد المقابر وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود لأجله
ليكون ذلك معرفة لنعم الله في بقية العمر بل في الإمهال في كل نفس من الأنفاس فإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق
العمر لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتستشعر نعم الله تعالى فعساها تشكر ولهذا كان الربيع بن خثيم
مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريقة تأكيداً للمعرفة فكان قد حفر في داره قبراً وكان يضع غلاً في عنقه وينام في لحده
ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ثم يقوم ويقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد ومما ينبغي أن يعالج
به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل بن عياض يقول عليكم بمداومة الشكر على
النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد
إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
فهذا تمام هذا الركن

الركن الثالث

من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر

بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد لعلك تقول ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن لله في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن
البلاء لا وجود له أصلاً فما معنى الصبر إذاً وإن كان البلاء موجوداً فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أنا نشكر على البلاء
وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر يستدعي ألماً والشكر يستدعي فرحاً وهما متضادان وما معنى ما ذكرتموه من أن لله في كل
ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول بإثبات النعمة يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما
متضادان فقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة
العبد بالنزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال
الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدة
وإما أبداً وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف
وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة أما البلاء المطلق في الدنيا
فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر
قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك
المعصية بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان الماء مع طول العطش حتى عظم ألمه فلا يؤمر بالصبر
بل يؤمر بإزالة الألم وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته فإذا رجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس بلاء مطلقاً بل يجوز أن يكون نعمة
من وجه فلذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن الغنى مثلاً يجوز أن يصير سبب هلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله
ويقتل أو الولد والصحة أيضاً كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه فكذلك ما من
بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر
وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض وقال إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وقال صلى الله عليه
وآله وسلم إن الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه الماء وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في
الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فإنها يتصور أن يكون بلاء في حق بعض الناس فيكون أضدادها إذاً نعماً
في حقهم إذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فإنه صفة من صفات الله ولكن قد يكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون فقده
نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فإنه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمر الناس
عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه إذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله
بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفه أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالاً عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالخصال
المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون ولياً لله وهو يريد إيذاءه وإهانته ولو عرفه وآذى كان إثمه أعظم لا محالة
فليس من آذى نبياً أو ولياً وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف ومنها إبهام الله أمر القيامة وإبهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة
وإبهامه بعض الكبائر وكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف
في العلم وحيث قلنا إن لله في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل أحد ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في
بعض الناس وهي أيضاً قد تكون نعمة في حق المتألم فإن لم تكن في حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووشمه بشرته
فإنه يتألم به وهو عاص وألم الكافر في النار فهو أيضاً نعمة ولكن في حق غيره من العباد لا في حقه فمصائب قوم عند قوم فوائد
ولولا أن الله خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها فرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا
في آلام أهل النار أما ترى أن أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليه من حيث إنها عامة مبذولة ولا
يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارتها ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا
بها ولم يفرحوا بسببها فإذاً قد صح ما ذكرناه من أن الله لم يخلق شيئاً إلا وفيه حكمة ولا خلق شيئاً إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على
بعضهم فإذاً الحالة لا يوصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعاً فإن قلت فهما
متضادان فكيف يجتمعان إذ لا صبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح فاعلم أن الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه
آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح

العاقل بأن يشكر الله تعالى عليها لأن كل مصيبة فيتصور أن يكون أكبر منها إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى وزادها
ماذا كان يرده ويحجزه فليشكر إذ لم يكن أعظم منها في الدنيا الثانية أنه كان يمكن أن يكون مصيبته في دينه وقال رجل لسهل دخل
اللص بيتي وأخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك وأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى صلى الله
عليه في دعائه إذ قال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى علي فيه أربع نعم إذ لم يكن في ديني
وإذ لم يكن أعظم منه وإذ لم أحرم الرضا به وإذ أرجو الثواب عليه وكان لبعض أرباب القلوب صديق فحبسه السلطان
فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه فقال اشكر الله فضربه فقال اشكر الله فجيء بمجوسي فحبس عنده وجعل حلقة من قيده على رجله وحلقة على رجل
المجوسي فأرسل إليه فقال اشكر الله فكان يحتاج المجوسي إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج أن يقوم معه ويقف معه حتى يقضي
حاجته فكتب إليه بذلك فقال اشكر الله تعالى فقال إلى متى هذا وأي بلاء أعظم من هذا فقال لو وضع الزنار الذي في وسطه على
وسطك ماذا كنت تصنع فإذا ما من إنسان قد أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه
لكان يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن
استحق عليك أن يقطع يديك فترك إحداهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طست من
رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل ما هذه السجدة فقال كنت أنتظر أن يصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة
وقيل لبعضهم ألا تخرج للاستسقاء فقد احتبست الأمطار فقال أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجارة فإن قلت كيف أفرح
وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار فاعلم أن الكافر قد خبئ له ما هو أكثر وإنما أمهل
حتى يستكثر من الإثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وأما العاصي فمن أين تعلم أن في العالم من هو أعصى
منك ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال الله تعالى في
وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا
فلم لا تشكر الله تعالى عليه وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو أنه ما من عقوبة إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا
يتسلى عنها بأسباب أخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلي إذ أسباب
التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا إذ قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابته شدة أو بلاء في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا وكان لابد من وصول التعب
فإذا قد حصل وقد تم النزاع واستراح من بعضها وجميعها فهذه نعمة الخامسة أن ثوابها أكثر منها وإن في مصائب الدنيا طرقا إلى
الآخرة من وجهين أحدهما أن الوجه الذي يكون الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة
في حق الصبي فإنه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن التعلم والتأدب فكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والأهل والأقارب
والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون أسبابا للهلاك لا سيما في الأمر الأخص بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون
سبب الهلاك فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين أو صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فما من شيء من هذه الأسباب يوجد
من العبد إلا ويتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه أن يحسن الظن بالله ويعتقد فيه الخيرة ويشكره عليه فإن حكمة الله
واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا إذا رأوا ثواب البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ
أستاذه وأباه على ضربه وتأديبه إذ يدرك ثمرة ما استفاد من التأديب والبلاء تأديب من الله تعالى وعنايته بعباده أتم وأوفر
من عناية الآباء بالأولاد فقد روي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصني قال لا تتهم الله في شيء قضاه
عليك ونظر صلى الله عليه وآله وسلم أوصني قال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك ونظر صلى الله عليه وآله وسلم فضحك فقال
إلى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن إن قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وإن قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له
والوجه الثاني أن رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على

المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة يورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأنسه بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت
بسبب مفارقته وإذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأنس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكانت نجاته
منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من أعرض
عن الله ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأن إليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين إلى الخروج منها والكفر
بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق
فإذا في البلايا نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به وأما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة إلى الحجامة بمن يتولى حجامتك
أو يسقيك دواء نافعا بشعا مجانا فإنك تتألم وتفرح فتصبر على الألم وتشكر على سبب الفرح فكل بلاء في الأمور الدنيوية مثاله
الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للنظارة وعلم أنه يخرج منها لا محالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه
من الدار كان ذلك وبالا عليه لأنه يورثه الأنس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه الملك
فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نفر عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها إلى
اللحد وكل محقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعجهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلاء
ومن لم يعرف هذه النعمة في البلاء لم يتصور منه الشكر لأن الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بأن ثواب المصيبة
أكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكي أن أعرابيا عزى ابن عباس على أبيه فقال اصبر نكن بك صابرين فإنما
صبر الرعية بعد صبر الرأس خير من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباس فقال ابن عباس ما عزاني أحد أحسن من تعزيته
والأخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه
وآله وسلم قال الله تعالى إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة
أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا وقال ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله عز وجل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في
مصيبتي وأعقبني خيرا منها إلا فعل الله ذلك به وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري والنظر
إلى وجهي وروي أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا
يسقم جسمه إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره وقال عليه السلام إن الرجل ليكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى
يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الأرت قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو متوسد بردائه في ظل
الكعبة فشكونا إليه فقلنا يا رسول الله ألا تدعو الله أن يستنصر لنا فجلس محمار اللون ثم المنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين
ما يصرفه ذلك عن دينه وعن علي رضي الله عنه قال أيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وإن ضربه فمات فهو شهيد وقال
أيضا من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال أبو الدرداء تلدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون
على ما يفنى وتذرون ما يبقى ألا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم إذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فإذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف
وإن دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسألني شيئا إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو شر وادخرت
لك عندي ما هو أفضل منه فإذا كان يوم القيامة جيء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم
يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود أهل العافية في
الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم
بغير حساب وعن ابن عباس قال شكا نبي من الأنبياء عليهم السلام إلى ربه فقال يا رب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي
عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ على معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى إليه
إن العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى

ليلقاني فاجزيه بجنايته ويكون الكافر له الحسنات فابسطه في الرزق وادفع عنه البلا فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني ولا حسنة له فاجزيه
بسيآته وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك الاذى الست تحزن فهذا مما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك يكون
كفارة لذنوبك وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرأ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم ابواب كل شيء يعني لما تركوا ما امروا به فتحنا عليهم ابواب الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة وعن الحسن
البصري ان رجلا من الصحابة رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حائط
فاثر في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه
في الدنيا وقال علي رضي الله عنه الا اخبركم بارجى آية في كتاب الله قالوا بلى فقرأ عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو
عن كثير فالمصائب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فالله
اكرم من ان يعذبه يوم القيامة وعن انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما تجرع عبد قط جرعتين احب الى الله من جرعة غيظ
ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة احب الى الله من قطرة دم اهريقت في سبيل الله او قطرة دمع في سواد
الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله وما خطا عبد خطوتين احب الى الله من خطوة الى الصلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم
وعن ابي الدرداء انه قال توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجثيا بين يديه في
زي الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال للآخر ما تقول فقال اخذت الجادة فاتيت على
زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمان عليه السلام ولم بذرت على الطريق اما علمت انه لا بد للناس من الطريق
قال فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الآخرة فتاب سليمان الى ربه ولم يجزع على ولده بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز
على ابن له مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه ابنة
له فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله واجر ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امر الله تعالى قال الله تعالى
واستعينوا بالصبر والصلاة الآية وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي يعرفه فقال له ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم
ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه قال بعض العلماء ان الله عز وجل ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى
يمشي على الارض وما له ذنب وقال الفضيل ان الله عز وجل ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالخير وقال حاتم
الاصم ان الله عز وجل يحتج على الخلق يوم القيامة باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنياء بسليمان وعلى الفقراء بعيسى وعلى العبيد بيوسف
وعلى المرضى بايوب صلى الله عليهم اجمعين ويروى ان زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك
فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى راس زكريا فان منه انة فاوحى الله اليه يا زكريا لئن صعدت منك انة ثانية لامحونك
من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلام على اصبعه حتى قطع شطرين وقال ابو مسعود البلخي من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا
او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه وقال لقمان لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار وان العبد الصالح يجرب بالبلاء
فاذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقال الاحنف بن قيس اصبحت يوما اشتكي ضرسي فقلت لعمي
ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا فقال لقد اكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين
سنة ما علم بها احد واوحى الله الى عزير اذا نزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي اذا صعدت مساويك
وفضائحك

بيان فضل النعمة على البلاء لعلك تقول فهذه الاخبار تدل على ان البلاء خير في الدنيا من النعيم فهل لنا ان نسأل الله البلاء فاقول لا وجه لذلك لما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة وكان يقول هو والانبياء ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيرها وقال علي رضي الله عنه اللهم اني اسألك الصبر فقال صلى
الله عليه وآله وسلم لقد سألت الله البلاء فسله العافية وروى الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال سلوا
الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب وقال الحسن الخير الذي لا شر فيه العافية
مع الشكر وكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقال صلى الله
عليه وآله وسلم في دعائه وعافيتك احب الي وهذا اظهر من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا لان البلاء صار نعمة باعتبارين احدهما
بالاضافة الى ما هو اكثر منها اما في الدنيا او في الدين والآخر بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان يسأل الله تمام النعمة
في الدنيا ودفع ما فوقه ويسأل الله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر فان
قلت فقد قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون واكون انا في النار وقال سمنون **شعر**

وليس لي في سواك حظ . فكيفما شئت فاختبرني .

فهذا من سمنون سؤال للبلاء فاعلم انه حكي انه مرض بعد هذا البيت بعلة الحصر
فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب واما محبة الانسان لان يكون هو في النار
دون سائر الخلق فغير ممكن ولكن قد يغلب الحب على القلب حتى يظن المحب بنفسه انه يحب مثل ذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر
توسع في الكلام ولو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كانت حالة لا حقيقة لها فما تسمعه من هذا الفن هو كلام العشاق الذين
افرط حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي ان فاختة كان يراودها زوجها فمنعته فقال ما الذي يمنعك عني
ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلته لاجلك فسمعه سليمان فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق
لا يحكى فهو كما قال وقول الشاعر **شعر**

اريد وصاله ويريد هجري . فاترك ما اريد لما يريد .

وهو ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا يريد
لان من اراد الوصال فاراد الهجر فكيف اراد ما لم يرد بل الصدق في هذا الكلام الاتيان باحد معنيين احدهما ان يكون ذلك
في بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الى الرضا والرضا
وسيلة الى الوصال المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوب فيكون مثاله مثال محب المال اذا سلم درهما في درهمين فهو محب للدرهمين
ترك الدرهم في الحال الثاني ان يصير رضاه محبوبا عنده بحيث تزيد لذته على لذة الوصال في مشاهدته كراهيته فعند ذلك يصير
يريد ما فيه الرضا فكذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان صارت لذتهم في الرضا بما فيه رضا الله عنهم اكثر من لذتهم في العافية
من غير شعور بالرضا فهم اذا قدروا رضاه في البلاء كان البلاء احب اليهم من العافية وهذه حالة لا تبعد وقوعها في غلبات
الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت فهل هي حالة صحيحة ام حالة اقتضتها حالة اخرى هجمت على القلب فمالت به عن الاعتدال
بيانه يطول ولكن قد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلاء فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة

بيان الافضل من الصبر والشكر اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون
الشكر افضل وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب
بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول في بيان ذلك مقامان المقام الاول البيان
على سبيل التساهل وهو ان ينظر الى الظاهر ولا يطلب بالتفتيش حقيقته وهو البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق
لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود كلامهم
مخاطبة العوام اصلاحهم والظئر المشفقة التي ينبغي ان تصلح الصبي الطفل لا تربيه بالطير السمان وضروب الحلاوات بل باللبن فعليها ان
تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير بحيث يحتملها بالقوة ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فسبيل مثل هذا العالم في البيان ان يترك التدقيق في البحث
والتفصيل ويقتصر على النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت اخبار
في فضله فاذا اضيف اليها ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر اكثر بل فيها الفاظ صريحة في التفضيل كقوله عليه السلام
من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر يؤتى باشكر اهل الارض يوم القيامة فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى
باصبر اهل الارض فيقال له اما ترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله كلا انعمت عليه فشكر
وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين وقوله تعالى

انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهو دليل على التفضيل
اذ ذكر ذلك فى معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة
الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة فى الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وآله وسلم الجمعة حج الفقراء وجهاد المراة حسن التبعل
وكقوله شارب الخمر كعابد الوثن فالمشبه به ينبغى ان يكون اعلى رتبة وكذلك قوله الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر
مثله وهو كقوله الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم بقسمين يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم
والعمل فالعمل نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوى العلم وفى الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان
ملكه وآخر اصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفى لفظ آخر يدخل سليمان بعد الانبياء باربعين خريفا
وفى الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب صلى الله عليه وآله
وسلم وكل ما ورد فى فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقير والشكر حال الغنى فهذا هو المقام الذى
يقنع العوام ويكفيهم فى الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم المقام الثانى هو البيان الذى يقصد به تعريف
اهل العلم والاستبصار بحقائق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل امرين مبهمين لا تمكن الموازنة بينهما مع
الابهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على اقسام لا تمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب ان يفرد الآحاد
بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما فى الرجحان والنقصان مع الاجمال
فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من ثلاثة امور علوم واحوال واعمال والشكر والصبر وسائر المقامات كذلك
وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال والاعمال هى
الافضل واما ارباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم
فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل منه واما آحاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد
تتفاوت اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد المعارف وافضل المعارف
علوم المكاشفة وهى ارفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة ففائدتها اصلاح العمل وانما
فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه مما تعم منفعته فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل
ليس افضل من العمل القاصر فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله
فى ذاته وصفاته وافعاله فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهى الغاية التى تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها
بل هى عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب فى الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها فى الآخرة فهى المعرفة الحرة التى لا
قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها
كان تفاوتها بحسب نفعها فى الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضى الى البعض اما بواسطة واما بوسائط كثيرة فكل
ما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى اقل فهو افضل واما الاحوال فنعنى بها احوال القلب فى تصفيته وتطهيره عن شوائب
الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق فاذا فضائل الاحوال بقدر تاثيرها فى اصلاح القلب وتطهيره
واعداده لان يحصل له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المرآة يحتاج الى ان يتقدم على تمام احوال المرآة بعضها اقرب الى
الصقالة من بعض فكذلك احوال القلب فبعض الاحوال افضل مما دونه والحالة الى الرتبة او القربة من صفاء القلب افضل مما دونه
لانه السبب القريب من المقصود وكذا ترتيب الاعمال فان تاثيرها فى تاكيد صفات القلب بجلب الاحوال اليها وكل عمل
اما ان يجلب اليها حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب اليها حالة مهيئة للمكاشفة
موجبة لصفاء القلب وقطع علائقها عن الدنيا واسم الاول المعصية واسم الثانى الطاعة والمعاصى من حيث التاثير فى ظلمة
القلب متفاوتة وكذلك الطاعات فى تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف باختلاف

والاحوال وذلك انا نقول على الاطلاق ان الصلاة النافلة افضل من كل عبادة نافلة وان الحج افضل من الصدقة وان
قيام الليل افضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان الغنى الذى معه مال وقد غلب عليه البخل وحب المال على الامساك فاخراج درهم
افضل من قيام ليال وصيام ايام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المدبر الذى لم يكن
حاله من الاحوال مثل ذلك فينبغى ان يشتغل بشهوة بطنه وهو مشتغل بنوع لا ينفعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه
عن حالة الحال الذى هو فيه وهو كالمريض الذى يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع فلا ينفعه بل حقه ان ينظر فى المهلك
الذى استولى عليه الشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيله صيام مائة سنة وقيام الف ليلة بل لا يزيله الا اخراج
المال فعليه ان يتصدق بما معه وتفصيل هذا ما ذكرناه فى ربع المهلكات فليرجع اليه فاذا عرفت هذا من اختلاف الاحوال
فقد عرفت ان الجواب المطلق فيه خطأ ولو قال لنا قائل الخبز افضل ام الماء لم يكن فيه جواب حق الا ان يقال
الخبز للجائع افضل والماء للعطشان فان اجتمعا فلينظر الى الاغلب فان كان العطش هو الاغلب فالماء افضل وان تساويا
فهما متساويان ولذلك لو قيل السكنجبين افضل ام شراب النيلوفر لم يصح الجواب عنه مطلقا اصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين
افضل ام عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لان السكنجبين مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذا انفق
المال فى عمل فانما يحصل به حال هو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب وتهيئة القلب بسبب خروج حب الدنيا
من القلب لمعرفة الله ومحبته فالافضل المعرفة ودونها الحالة ودونها العمل فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال وبالغ فى ذكر
فضلها حتى طلب الصدقات فقال من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقال ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون العمل
والاسباب هو الافضل فاعلم ان الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه او على انه افضل من الصحة والشفاء
الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه فانه لا
يشعر به ولو ذكر له لا يصدق فليس سبيله الا المبالغة فى الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى
يستحثه على المواظبة عليه ولو ذكر له ان المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج
ويزعم ان وجهى لا عيب به ولنضرب مثلا ارباب من ملوك له ولد علمه العلم والقرآن واراد ان يثبت ذلك فى حفظه
بحيث لا ينساه وعلم انه لو امره بالتكرار والدرس لاستثقل … محفوظا والحاجة اليه … فظن ان ما يحفظه
فى الحال يكفيه ذلك ابدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل … على كثرة التكرار
بالتعليم وربما يظن الصبى المسكين ان المقصود تعلم العبيد القرآن وانه قد استخدم لتعليمهم فيثقل عليه الامر فيتولى الى
… تستحث الى حال العبيد وانا اجل منهم واعز عند الوالد واعلم ان ابى لو اراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفى وعلم
انه لا نقصان لابى … هؤلاء العبيد فضلا من عدم علمهم بالقرآن … فهذا المسكين … تعليمهم اعتمادا على
استغنائه وعلى كرمه فى العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مع العبيد … من حيث لا يدرى وقد انخدع بهذا الخيال
طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غنى عن عبادتنا وعن ان يستقرضنا فاى معنى لقوله من ذا الذى
يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف اموالنا اليهم كما قال الله تعالى حكاية عن الكفار
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقالوا لو شاء الله
ما عبدنا من دونه … ولا آباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين فى كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق وان شاء
اسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم يستخدمون لاجل المساكين او لاجل الله ثم قالوا لا حظ لنا فى المساكين
ولا حظ لله فينا ولا فى اموالنا انفقنا او امسكنا هلكوا كما هلك الصبى اذ ظن ان المقصود للوالد استخدامه لاجل العبيد ولم
يشعر بانه كان المقصود ثبات صفة العلم فى نفسه وتاكده فى قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته فى الدنيا وانما كان ذلك
من الوالد تلطفا به فى استدراجه الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل بهذا الطريق فان المسكين لاجل

يسوق فى بواسطة المال الى خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج
العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا انت خادم للحجام والمخرج الحجام عن كونه خادما بان يكون له غرض فى ان يصبغ شيئا
بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
اخذها ونهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال
مؤثرات فى القلب كما سبق فى ربع المهلكات والقلب يجب ان لا يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة وهذا هو القول
الكلى والقانون الاصلى الذى ينبغى ان يرجع اليه فى معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع الآن الى الخصوص ونقول
من الشكر والصبر فنقول فى كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز ان تقابل المعرفة فى احدهما بالحال او العمل فى الآخر بل يقابل
كل واحد بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل وعند المقابلة فمعرفة الشاكر ومعرفة الصابر رجعا الى معرفة واحدة
انعم فيها الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من الله ومعرفة الصابر ان يرى العمى من الله وهما متلازمتان متساويتان
هذا ان اعتبر فى البلايا والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الشكر والصبر لان
الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منه بالحكمة والصبر يرجع
الى ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث
الدين فى مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث
الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصرع به باعث الشهوة فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف
يفضل الشئ على نفسه فاذا مجارى الصبر ثلثة الطاعة والمعصية والبلايا وقد ظهر حكمهما فى الطاعة والمعصية اما البلايا
فهى عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما ضرورية كالعينين مثلا واما ما يستغنى عنها فى محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال
اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويظهر الرضاء بقضاء الله ولا يترخص بسبب العمى فى بعض المعاصى وشكر
البصير عليهما من حيث العمل امران احدهما ان لا يستعين بهما على معصية والآخر ان يستعملهما فى الطاعة وكل واحد منهما لا يخلو
عن الصبر فان الاعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة
العينين وان اتبع النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر فى شكره وكذلك اذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيه
من صبر ثم قد يشكرهما بالنظر الى عجائب صنع الله ليتوصل به الى معرفة الله فيكون هذا الشكر افضل من الصبر ولولا هذا
لكان رتبة شعيب مثلا وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره لانه صبر على فقد البصر ومحمد
صلى الله عليه وآله وسلم لم يصبر ولكان الكامل هو ان تسلب الاطراف كلها ويترك الانسان كلحم على وضم وذلك محال
لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة فى الدين يفوت بفواته ذلك الركن من الدين وشكره استعماله فيما هو آلة فيه
من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ما يستغنى عنه فى محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يعط الا قدر الضرورة
وهو محتاج اليه ففى الصبر عنه مجاهدة الى الخيرات او ان لا يستعمله فى المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذى
صرف الى الطاعة فالشكر افضل لانه تضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله وفيه احتمال الم فى صرفه الى الفقراء وترك
صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين افضل من شئ واحد وانه جعلهما على رتبة من البعض وبخلافه
حال اذ لا يصح الموازنة بين الجملة وبين ابعاضها اما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح
فالصبر ههنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغنى الممسك ماله الصارف له الى المباحات لا من الغنى
الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء الله وهذه الحالة تستدعى لا محالة قوة
والغنى اتبع نهمته واطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة فى الصبر عن الحرام
ايضا الا ان القوة التى عنها يصدر صبر الفقير اعلى واتم من القوة التى عنها يصدر الاقتصار فى التنعم على المباح الى الشرف

لكن اسوق الى تحديد الاعمال وطلبها فان الاعمال المراد بها الاحوال للقلب وحال القلب يجب نوع السعى والايمان
ماد الى زيادة ما وقع فى الايات من فضل الاعمال وجميع ما ورد من تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر فى الاخبار والآيات انما هو
من الرتبة على الخصوص لان السابق الى الافهام الناس من النعم الاموال والغنى وهو السابق الى الافهام من الشكر ان يحمد الله
ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا انه يصرفه الى الطاعة فاذا الصبر افضل من الشكر اى الصبر الذى يفهمه العامة افضل من
الشكر الذى يفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغنى
بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح فى الاثنين قيامهما بشرطهما فشرط الغنى يصحبه فيما عليه اشياء تلائم صفته و
تمتعها وتلذذها وشرط الفقير يصحبه فيما عليه اشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشرطهما
كان الذى آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها وهو الامر على ما قاله وهو صحيح من جملة اقسام الصبر والشكر فى النعم
لا جرم الذى ذكرناه وهو لم يرد سواه وقيل كان ابو العباس بن عطاء قد خالفه فى ذلك وقال الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر
فدعا عليه الجنيد فاصابه البلاء من قتل اولاده واتلاف ماله وزوال عقله اربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد
اصابتنى ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر ومهما لاحظت المعانى التى ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها
فى بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غنى شاكر كما سبق ورب غنى شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغنى الذى يرى نفسه
مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقى يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين و
انما ينتظر حاجة محتاج ليصرف اليه ثم اذا صرف لم يصرف لطلب جاه وصيت ولا لتقلد منة بل اداء لحق الله تعالى فى عباده
فهذا افضل من الفقير الصابر فان قلت فهذا لا يستثقل على النفس والفقير يشق عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر الم
وان كان يتألم بانزال المال فهو ينجبر بلذته فى القدرة على الانفاق فاعلم ان الذى نراه ان من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس
افضل ممن ينفقه وهو بخيل به وانما يستخرجه من نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فالم النفس ليس مطلوبا
لعينه بل للتأديب وذلك يضاهى ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب افضل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب
ولذلك يحتاج الى الالم والمجاهدة فى البداية ولا يحتاج اليه فى النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مؤلما فى حقه لذيذا عنده كما
يصير التعلم عند الصبى العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له اولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلون فى البداية بل اكثر
الخلق الا القليل كان اطلاق القول بان الذى يؤلم صفته افضل وهو كما قال الجنيد فيما اراده من عموم الخلق فاذا اذا كان لا يستقل الجواب و
نطلقه لارادة الاكثر فمطلق القول بان الصبر افضل من الشكر انما يصح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا اريد التحقيق فيفصل
فان الصبر درجات ادناها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا
اذ الصبر مع الالم والرضا يمكن بلا الم فيه والفرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها
ويدخل فى جملتها ادنى درجاتها فانه حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر
شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله تعالى شكر والعلم بان الشكر ايضا نعمة من نعم الله
من جهته شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله
وقد ذكرنا حقيقة ذلك فى كتاب اسرار الزكوة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدى المنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام
صغيرها شكر وما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا يحصى وله درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل
احدهما على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص بالفاظ العموم كما ورد فى الاخبار والآثار وقد روى عن بعضهم انه قال رأيت فى بعض
الاسفار شيخا كبيرا قد طعن فى السن فسألته عن حاله فقال انى كنت فى ابتداء عمرى اهوى ابنة عم لى وهى كذلك كانت تهوانى
فاتفق انها زوجت منى فليلة زفافها قلت تعالى حتى نحيى هذه الليلة شكرا لله على جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه
فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فنحن منذ سبعين او ثمانين سنة على تلك الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز كما يقول

الشيخ فانظر اليهما لو صبرا على هذه الفرقة ان لم يجمع الله بينهما لما اذا صبرا على الفرقة على شكل الوصال على هذا الوصل الخفي عليك ان هذا الشكل فضل فاذا الدرى يوقف على حقايق المفصلات الا بالتفصيل كما سبق والله اعلم بالصواب

كتاب الرجا والخوف

وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر اعدائه وضرب بسياط التخويف وزجر التعنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض للنقمة والتهدف لسخطه ونقمته قودا لاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته والصلاة على محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى آله واصحابه وعترته اما بعد فان الرجا والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء الا ازمة الرجا ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الاول في الرجا والشطر الثاني في الخوف اما الشطر الاول فيشتمل على بيان حقيقة الرجا وبيان فضيلة الرجا وبيان دواء الرجا والطريق الذي يجتلب به الرجا

بيان حقيقة الرجا اعلم ان الرجا من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريعة الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم الى هذه الاقسام والذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجا فالرجا ايضا يتم من علم وحال وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجا اسم الحال من جملة الثلث وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا في الحال سمي وجدا وذوقا وادراكا وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه تألم في القلب سمي خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء فالرجا هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجا عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجا وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفا فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجا والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجا العبد المغفرة برجا صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سياق الماء اليه في اوقاته ثم نقى الارض عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمي

انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجا انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تثبيته عليه الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال صلى الله عليه وآله وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذا العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوؤه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجا بعد تأكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله معناه اولئك يستحقون ان يرجوا وما اراد به تخصيص وجود الرجا لان غيرهم ايضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجا فاما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في ارض سبخة وعزم على ان لا يتعهده بسقي ولا تنقية قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجا العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الافراط فاذا عرفت حقيقة الرجا ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجا على تفقد الارض وتعهدها وتنقية كل حشيش ينبت فيه ولا يفتر عن تعهده اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجا يضاده الياس والياس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الماء معوز وان البذر لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهدها والرجا محمود لانه باعث والياس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد الرجا بل هو رفيق له كما سيأتي بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما ان الرجا باعث بطريق الرغبة فاذا حال الرجا يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الاحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال لا بد وان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجا والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجا ولما اثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل على اثمار العلم لهذا الحال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك للاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وآله وسلم علامة من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور

بيان فضيلة الرجا والترغيب فيه اعلم ان العمل على الرجا اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله تعالى احبهم له والحب يغلب بالرجا واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجا وحسن الظن رغائب لا سيما في وقت الموت قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل الياس وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لانك قلت اخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال

صلى الله عليه وآله وسلم لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى وقال قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال ما اجتمعا
في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف وقال علي رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه
يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك وقال سفيان من أذنب ذنبا فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال الله
عز وجل عيّر قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه وآله وسلم
إن الله تعالى يسأل العبد يوم القيامة ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإن لقنه الله حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس
قال فيقول الله قد غفرته لك وفي الخبر الصحيح أن رجلا كان يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله ولم يعمل خيرا قط
فقال الله عز وجل من أحق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه من الطاعات وقال الله تعالى إن
الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه وآله وسلم
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون إلى ربكم فهبط جبريل فقال إن ربك
عز وجل يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم وفي الخبر أن الله تعالى أوحى إلى داود أحبني وأحب من يحبني وحببني
إلى خلقي فقال يا رب كيف أحببك إلى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي وإحساني وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون مني إلا
الجميل ورئي أبان بن أبي عياش في النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي حملك على
ذلك فقلت أردت أن أحببك إلى خلقك قال قد غفرت لك ورئي يحيى بن أكثم فقال أوقفني بين يديه وقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فأخذني من الرعب
ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن
نبيك صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عنك أنك قلت أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت أظن بك أن لا تعذبني فقال الله عز وجل صدق
نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فألبست ومشى بين يدي الولدان إلى الجنة
فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تعالى له يوم القيامة اليوم أؤيسك من رحمتي
كما كنت تقنط عبادي منها وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله
لجبريل اذهب فائتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان
فيقول ردوه إلى مكانه قال فيمشي ويلتفت إلى ورائه فيقول الله عز وجل إلى أي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت أن لا تعيدني فيقول
على أن رجاءه كان سببا

بيان دواء الرجاء والسبب الذي به يحصل حال الرجاء ويغلب

اعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد
رجلين إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله
وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال فأما العاصي المغرور المتمني
على الله مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجاء تنقلب سموما في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه
البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المهيجة له فلهذا يجب أن يكون واعظ
الخلق متلطفا ناظرا إلى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فإن المطلوب العدل والقصد في الصفات والأخلاق
كلها وخير الأمور أوساطها فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده إلى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان
زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء بل المبالغة في التخويف أيضا لا تكاد تردهم إلى جادة الحق وسنن الصواب فأما
ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ إلا استمالة
القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كان مالوا إلى الرجاء حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا
قال علي رضي الله عنه إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر أسباب الرجاء ليستعمل في حق
الآيس أو في حق من غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله وسنة رسوله فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لأنهما جامعان لأسباب الشفاء
في حق أصناف المرضى ليستعملها العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الأخرق الذي
يظن أن كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كيف ما كان وحال الرجاء يغلب بشيئين أحدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات والأخبار والآثار أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه
من أصناف النعم في كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجائب حكمته التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعد له
في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأظفار والأصابع وما هو زينة له كاستقواس
الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وإنما كان يفوت به مزية جمال
فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم المزايا والمزيدات في الزينة
والحاجة كيف يرضى بسياقهم إلى الهلاك بل إذا نظر الإنسان نظرا شافيا علم أن أكثر الخلق قد هيئ له أسباب السعادة في الدنيا
حتى إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وإن أخبر بأنه لا يعذب بعد الموت مثلا أو لا يحشر أصلا فليس كراهيتهم للعدم إلا لأن أسباب
النعم أغلب وإنما الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه إلا في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة فإذا كان حال أكثر الخلق
في الدنيا الغالب عليها الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب أن أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة
واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا إذا تؤمل حق التأمل قوي به أسباب الرجاء ومن الاعتبار أيضا النظر في
حكمة الشريعة وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة على العباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من أقوى أسباب
الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الإنسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف أنزل الله فيه
أطول آية ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه الفن الثاني استقراء الآيات
والأخبار فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
إن الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض وأخبر تعالى أنه أعد النار لأعدائه وإنما خوف بها أولياءه فقال لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي أعدت للكافرين وقال تعالى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها
إلا الأشقى الذي كذب وتولى وقال تعالى وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل
يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار وقال أبو جعفر محمد بن علي يقول أنتم أهل العراق تقولون أرجى
آية في كتاب الله عز وجل قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية
في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال أمتي
أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل
من أهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وفي لفظ آخر يأتي كل رجل من هذه الأمة بيهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول
هذا فداؤك من النار فيلقى فيها وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار وروي في تفسير قوله
تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه أن الله تعالى أوحى إلى نبيه إني أجعل حساب أمتك إليك قال لا يا رب أنت خير لهم مني
قال إذن لا أخزيك فيهم وروي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يا رب اجعل حسابهم
إلي لئلا يطلع على مساويهم غيري فأوحى الله تعالى إليه هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيري
لئلا تنظر في مساويهم أنت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وآله وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم أما حياتي فأسن لكم السنن
وأشرع لكم الشرائع وأما موتي فإن أعمالكم تعرض علي فما رأيت منها حسنا حمدت الله عز وجل عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله
لكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل أتدري ما تفسير يا كريم العفو هو أن عفا عن السيئات برحمته
ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال هل تعلم ما تمام النعمة قال لا قال

دخول الجنة فقال العالم اتمام نعمته برضاه بالاسلام لنا اذ قال واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر اذا اذنب
العبد فاستغفر يقول الله عز وجل للملائكة انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب اشهدكم
اني قد غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء ثم استغفرني ورجاني غفرت له وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب
الارض ذنوبا لقيته بقراب الارض مغفرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان تاب واستغفر
لم يكتبها وان لم يكتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال لصاحب الشمال وهو امير عليه الق من السيئات
حسنة واحدة من تضعيف العشر وارفع تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيئة ويروى انس في حديث انه عليه السلام قال اذا
اذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال الاعرابي فان تاب قال محيت عنه قال فان عاد قال عليه السلام كتب عليه قال الاعرابي فان
تاب قال محي من صحيفته قال الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله عز وجل ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد
من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتب عشر حسنات ثم يضاعفها
الله عز وجل الى سبع مائة ضعف واذا هم بخطيئة لم يكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل
وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر لا ازيد عليه ولا اصلي الا الخمس
لا ازيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع اين انا اذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال نعم معي ان
حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينيك من اثنتين النظر الى ما حرم الله عز وجل وان
تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل للنبي ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب
الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وآله وسلم مم ضحكت يا اعرابي قال ان الكريم
اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم صدق الاعرابي الا ولا كريم اكرم من الله تعالى هو اكرم الاكرمين
ثم قال افقه الاعرابي وفيه ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ جرم من
استخف بولي من اولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن اولياء الله قال المؤمنون كلهم اولياء الله اما سمعت قول الله تعالى الله ولي
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي خبر لاحياء المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن طاهر مطهر والمؤمن اكرم
على الله من الملائكة وفي الخبر خلق الله جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة وفي خبر آخر يقول
الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ما خلق الله شيئا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل ان يخلق
الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ بن جبل وانس بن مالك انه صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل
الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخل النار
من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وفي خبر آخر لو يعلم الكافر سعة رحمة الله عليه ما ايس من جنته ولما تلا صلى الله عليه وآله
وسلم قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم فقال تدرون اي يوم هذا يوم يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار
من ذريتك فقال لهم كم قال من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون
يومهم وتعطلوا عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل
بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل وتاريس ومنسك ويأجوج ومأجوج امم لا يحصيها الا الله عز وجل
انما انتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق
بسياط الخوف ويقودهم الى الله عز وجل ثم ساقهم بسياط الخوف اولا فلما خرج ذلك عن حد الاعتدال والقصد الى افراط كر
للاول ولكن ذكر فيه الاول لما رآه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء كر تمام
... بالعاطف باستعمال الاخبار في الخوف ... بعد ملاحظة العلل الباطنة وان لم يبلغ ذلك

كان ما اسيء به عظمة الكبرياء ... وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء
بخلق آخرين يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اشد من الذنوب قيل وما هو قال العجب
وقال صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر ليغفرن الله يوم
القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول رجاء ان تصيبه وفي الخبر ان لله تعالى تسعا وتسعين رحمة اظهر
منها في الدنيا رحمة واحدة بها يتراحم الخلائق فحنين الوالدة الى ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع
خلقه وكل رحمة منها طباق السماوات والارضين قال فلا يهلك على الله تعالى الا هالك وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة وينجيه
من النار قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقال اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه عمله وقال اني
اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اترونها للمطيعين المتقين لا ولكنها للخاطئين المتلوثين وقال بعثت بالحنيفية السمحة
السهلة وقال احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة الله للمؤمنين في قولهم ولا تحمل علينا
اصرا وقوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن علي انه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح
الصفح الجميل قال يا جبرئيل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبرئيل فالله تعالى اكرم من ان يعاتب
من عفا عنه فبكى جبرئيل وبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبعث الله اليهما ميكائيل فقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف
اعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي ... قال علي رضي الله عنه من اذنب ذنبا فستره الله تعالى عليه في الدنيا
فالله اكرم من ان يكشف ستره في الآخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى اعدل من ان يثني عقوبته على عبده
في الآخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله تعالى ارحم بي منهما وقال بعض السلف المؤمن اذا
عصى الله تعالى ستره الله تعالى عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى الاسود بن سالم بخطه ان العبد
اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو ويقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة
يا رب قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له
وقال ابراهيم بن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى
لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم انت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم
على من اتفضل ولمن اغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وقال الجنيد ان
بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ولقي الجنيد ... فقال يا اخي كم تحث الناس بالرخص فقال
يا ابا يحيى ... ارجو من عفو الله يوم القيامة ما يحترق له كساء ... وفي حديث ربعي بن حراش عن اخيه وكان
من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى
قاعدا فقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رايت الامر ايسر مما تظنون ولا تغتروا
وان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ينتظرني واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانما كانت حصاة وقعت في طست
فحملناه ودفناه وفي الحديث ان رجلين من بني اسرائيل تواخيا في الله عز وجل وكان احدهما مسرفا على نفسه وكان الآخر عابدا
وكان يعظه ويزجره فكان يقول خلني وربي ابعثت علي رقيبا حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك فيقول الله تعالى
يوم القيامة ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم قال للعابد وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي
نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت دنياه وآخرته وروي ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلام
وخلفه عابد من عباد بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا
قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد قال
واحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي فضم نفسه وتقدم الى عيسى عليه السلام فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه

قال فاوحى الله الى عيسى عليه السلام قل لهما ليستأنفا العمل فقد احبطت ما سلف من اعمالهما اما المحزون فقد احبطت حسناته
لتحكمه بنفسه واما الآخر فقد احبطت سيآته بازرائه على نفسه فاخبرهما بذلك وضم العابد اليه في سياحته وجعله من حواريه
وروى عن مسروق ان نبيا من الانبيا كان ساجدا فوطئ بعض العتاة عنقه حتى الزق الحصا بجبهته قال فرفع النبي عليه السلام
راسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه تتألى عليّ في عبادي اني قد غفرت له ويقرب منه ما روى ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزل قوله
تعالى ليس لك من الامر شي فترك الدعا عليهم وهدى الله تعالى عامة اولئك الى الاسلام وفي الخبر ان رجلين كانا من العابدين
متساويين في العبادة فاذا دخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا باكثر مني
عبادة فرفعته عليّ في عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسألني النجاة من النار
فاعطيت كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجا افضل لان المحبة اغلب على الراجي منه على الخائف فكم من فرق في
الملوك بين من يخدمهم اتقا لعقابهم وبين من يخدمهم ارتجا لانعامهم واكرامهم ولذلك امر الله بحسن الظن ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم سلوا الدرجات العلى فانما تسألون كريما وقال اذا سألتم الله فاعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الاعلى
فان الله لا يتعاظمه شي وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله
كيف تجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه وقال
يحيى بن معاذ يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها
وانا بالآفة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابراهيم
الخليل عليه السلام فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين
سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ماذا عليك فمر ابراهيم خلف المجوسي فرده واضافه فقال له المجوسي ... ثم قال اعرض علي الاسلام فاسلم ورأى
الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر
اسهل مما توهمنا ورأى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن
ظني بربي وحكي ان ابا العباس بن سريج رأى في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه
يقول اين العلماء قال فجاوا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسانا قال فاعاد السؤال كانه لم يرض به واراد
جوابا آخر فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال
وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام
بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئا ويقول من دفع اليه اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام اليه الدراهم
فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى قال ان يخلف الله علي دراهمي
فدعا ثم قال الاخرى قال ان يتوب الله على سيدي فدعا وقال الرابعة قال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور
ورجع الغلام فقال له سيده لم ابطأت فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال سألت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر
وايش الثاني قال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة آلاف درهم فقال وايش الثالث فقال ان يتوب الله عليك
قال تبت الى الله تعالى وايش الرابع قال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر فقال هذا الواحد ليس الي فلما بات رأى
في المنام كأن قائلا يقول له انت فعلت ما كان اليك ترى اني لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار
وللقوم الحاضرين اجمعين وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة
قال فاخذت مكان المرأة وذهبنا الى المقبرة فصلينا عليها ودفناه فقلت للمرأة من كان هذا منك قالت ابني قلت
ولم يكن لكم جيران قالت نعم ولكن صغروا امره قلت وايش كان هذا قالت مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها

دراهم وحنطة وثيابا فرأيت تلك الليلة كأنه اتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرني فقلت من انت فقال
المخنث الذي دفنتموه اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي وقال ابراهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي
على الدجلة اذ مر بنا قوم احداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون الله
مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقالوا انما سألناك ان تدعو عليهم فقال
اذا فرحهم في الآخرة فقالوا انما سألناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم وكان بعض السلف يقول في
دعائه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى
ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى كأنك يا ربنا لا تغضب سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة حتى كأنك يا ربنا
لا تغضب فهذه هي الاسباب التي تجتلب بها روح الرجا الى قلوب الخائفين والآيسين واما الحمقى المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا
شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم لا
يستقيمون الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة في الكلام فاما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة
الخوف وبيان ان الافضل هو الخوف او الرجا وبيان دوا الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان احوال الخائفين من الانبيا والصالحين

بيان حقيقة الخوف اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا
في بيان حقيقة الرجا ومن انس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل
فلم يكن له خوف ولا رجا بل صار حاله اعلى من الخوف والرجا فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار
الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجا ولا لخوف وفي الجملة
فالمحب اذا اشتغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا في الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا
الآن نتكلم في اوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك
كمن جنى على ملك ثم وقع في يديه فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية
الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يشفع اليه في حقه وكان
هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة
تألم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف
منه كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه
بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف منه لانه بطبعه مجبول
على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه وذلك
الاحتراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع
وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله
تعالى واستغنائه وانه لا يسأل عما يفعل يكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه
وآله وسلم انا اخوفكم ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم
يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكا
وقد تنشق به المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط واليأس واما في الجوارح
فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه
انما الخائف من يترك ما يخاف ان يعذب عليه وقال ابو القسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد

خائفا فاذا اثر فى نفسه منزلة السقيم يحتمى مخافة طول السقام واما فى الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصى
المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتادب الجوارح ويحصل
فى القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر فى خطر عاقبته
فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس فى الخطرات
والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع فى مخالب سبع ضار لا يدرى انه يغفل عنه فيفلت او يهجم عليه فيهلكه فيكون ظاهره وباطنه
مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة
المراقبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذى هو تالم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وافعاله و
بعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره فى الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى
الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى
اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق فى التقوى فاذا انضم اليه
التجرد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى الدنيا لعلمه انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من انفاسه
فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل فى الصدق التقوى ويدخل فى التقوى الورع ويدخل فى الورع العفة فانها عبارة
عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذن الخوف يؤثر فى الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد لسبب الكف اسم العفة وهو كف
عن مقتضى الشهوة واعلى منه الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى منه التقوى فانه اسم الكف عن المحظورات والشبهة جميعا
ووراءه اسم الصديق والمقرب وتجرى الرتبة الاخيرة فيما قبلها كما يجرى الاخص فى الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك لو قلت
انسان اما عربى او عجمى والعربى اما قرشى او غيره والقرشى اما هاشمى او غيره والهاشمى اما علوى او غيره والعلوى اما حسنى او
حسينى فاذا ذكرت انه حسنى مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوى وصفته بما هو فوقه مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت
صديق فقد قلت انه تقى وورع وعفيف فلا ينبغى ان تظن ان كثرة هذه الاسامى تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على
من طلب المعانى من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعانى فهذه اشارة الى مجامع معانى الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة
الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما

بيان درجات الخوف فى القوة والضعف واختلافه

فى القوة والضعف اعلم ان الخوف محمود وربما يظن ان كل ما هو محمود فكلما كان اقوى واكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط
الله يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبى
ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة فى الضرب محمودة فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما
القاصر منه فهو الذى يجرى مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع اية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة
سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف
الذى تضرب به دابة قوية لا يؤلمها الما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء
ولست اعنى بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعنى العلماء بالله وبايامه وافعاله
وذلك مما قد عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار
به الى ان الخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر فى الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق ان
يسمى خوفا واما المفرط فهو الذى يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى الياس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد
من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشاه الجهل والعجز اما
الجهل فهو انه ليس يدرى عاقبة امره ولو عرف لم يخف اذ المخوف هو الذى يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر
على دفعه فاذن هو محمود بالاضافة الى نقص الآدمى وانما المحمود فى ذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله تعالى به وما لا يجوز

وصف الله تعالى به فليس بكمال فى ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال الم الدواء محمودا لانه اهون من الم المرض
والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج
الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذى يقتل الصبى والسوط الذى يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما ذكر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسباب الرجاء واكثر منه ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضى الى القنوط او احدهما فكل ما
يراد لامر فالمحمود منه ما يفضى الى المراد المقصود منه فما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة
والعبادة والفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعى الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح
فى هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له
رتبة بسبب موته من الخوف اذ كان لو مات فى ذلك الوقت لا بسبب الخوف لم تكن له تلك الرتبة فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه
وطول عمره فى طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك الى سبيل الله بطريق الفكر والمجاهدة والترقى فى درجات المعارف فى
كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكانت رتبة صبى يقتل او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبى او ولى يموت حتف انفه وهو محال
فلا ينبغى ان يظن هذا بل افضل السعادات طول العمر فى طاعة الله فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة التى يتعطل العمر بتعطلها فهو خسران
ونقصان بالاضافة الى امور وان كان بعض اقسامها فضيلة بالاضافة الى امور اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها
لا بالاضافة الى درجة المتقين والصديقين فاذن الخوف ان لم يؤثر فى العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذى لا يزيد فى حركة الدابة
وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فان اثمر الورع فهو اعلى واقصى
درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا اقصى المحمود
وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه
باسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله ولى ناقص
العقل

بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه

اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها
فى ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضى الى المكروه كما تكره المعاصى لاجل ادائها الى المكروه فى الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة
لادائها الى الموت فلا بد لكل خائف من ان يتمثل فى نفسه مكروها من احد القسمين ويقوى انتظاره فى قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره
ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره
كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله
او خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف ان يكله الله الى حسناته التى اتكل عليها وتعزز بها
فى عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف
غوائل الطاعة حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده فى الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء او خوف ما
لا يدرى انه يحدث فى بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة فى الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف
اطلاع الله على سريرته فى حال غفلته او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التى سبقت له فى الازل فهذه كلها مخاوف
العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضى الى المخوف فمن خاف استيلاء العادة عليه فهو مواظب على الفطام
عن العادة والذى يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على
المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تبع السابقة وفرع يتفرع عنها
بمخالفة اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء فى ام الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين وقع
الملك فى حقهما توقيع يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة ويحتمل ان يكون فيه تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فتعلق قلب
احدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه ماذا يظهر منه وتعلق قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه الذى خطر له فى حال التوقيع

من رحمة او غضب وهذا التفات الى السابقة بل اعلى الالتفات الى الخاتمة وفوق ذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتقدير
القلم على الالتفات الى ما يظهر في الابد واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال
كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ثم قبض كفه اليسرى وقال كتاب الله كتب فيه اهل النار باسمائهم
واسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق
ناقة وليعملن اهل الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من
سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم وهكذا اقسام الخائفين فمنهم من يخاف معصيته وجنايته ومنهم من يخاف
الله نفسه لصفته وجلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة وهذا اعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين واما
الآخر فهو في معرض الغرور والامن ان واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين
وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة
لخاف الله ولم يخف المعصية بل لولا انه يخاف في نفسه ما عرف المعصية ويسر له سبيلها وسهل له اسبابها فان تيسير اسباب المعصية
ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يبعد بالمعصية ويجري عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توجب له ان
ييسر له الطاعات ويقرب سبل القربات فالعاصي مقدر عليه المعصية شاء ام ابى وكذا المطيع فالذي رفع محمدا صلى الله عليه وآله
وسلم الى اعلى العليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا جهل في اسفل السافلين من غير جناية منه قبل وجوده جدير
بان يخاف منه لصفة جلاله فمن اطاع اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد حصول الارادة الجازمة والقدرة
الثابتة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة وآتاه الاسباب والقدرة وكان الفعل بعد الارادة
والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي اوجب الاكرام لهذا بتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الآخر
وابعاده بتسليط داعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك الى العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جناية ولا وسيلة
فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزم ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهيم الخوف منه في صفاته الا بمثال ولولا
اذن الشرع لم يتجاسر على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود صلى الله عليه وآله وسلم يا داود خفني كما تخاف
السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يطلعك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف
ذلك الا لاهله والحاصل ان السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان
قتلك لم يرق قلبه ولا يتألم بسببك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل انت عنده اخس من ان يلتفت اليك حيا كنت
او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة اذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته
وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرف الله عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي اقوى واوثق واجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في
قوله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة الطبقة الثالثة
من الخائفين ان يتمثل في انفسهم ما يكرهونه وذلك مثل سكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة
الوقوف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور
عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من ان يحرم الجنة دار النعيم والملك المقيم او من نقصان الدرجات او
الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها محذورة وتختلف احوال الخائفين فيها واعلاها رتبة
هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين
ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار
وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه في نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع اياه
ان كان فيكون اعترافه باللسان عن ضرورة التقليد والمجادلة لا بتصديق به فانه لا يعرف الا لذة الفرج والبطن والعين

بالنظر الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه البهائم فيها فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وتحقيقه
خارج من علم المعاملة ومن كان اهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن ان يستعير من غيره فالحاصل من الاقسام يجمع خوف الخائفين

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه اعلم ان فضيلة الخوف تارة تعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار اما
الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشيء بقدر غنائه في الافضاء الى سعادة لقاء الله اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا
في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة
الا بتحصيل المحبة والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة
ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا و
شهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات
فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف
كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب بها
الى الله تعالى واما بطريق الاستبصار بالآيات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته
جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون
وقال انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة
العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى صلى الله عليه وآله وسلم فاما الخائفون فان لهم الرفيق
الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة
الانبياء والرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه بين البقاء
في الدنيا وبين القدوم على الله كان يقول اسألك الرفيق الاعلى فاذا ان نظر الى سببه فهو العلم وان نظر الى ثمرته فالورع والتقوى
ولا يخفى ما ورد في فضلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به كما صار الحمد مخصوصا بالله والصلاة برسول الله
حتى قال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على محمد وآله اجمعين وقد خصص الله التقوى بالاضافة الى نفسه تعالى
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال ان اكرمكم عند
الله اتقاكم ولذلك اوصى الله تعالى الاولين والآخرين بالتقوى فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور مؤمن ان ينفك عن خوف
وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع
الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس اني قد انصت لكم
منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا لي اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم
نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم الا ان تقولوا فلان ابن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون
فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال عليه السلام راس الحكمة مخافة الله وقال عليه السلام
لابن مسعود ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي وقال الفضيل من خاف الله دله الخوف على كل خير وقال الشبلي ما
خفت الله يوما الا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سيئة الا ويلحقه حسنتان خوف
العقاب ورجاء العفو كثعلب بين اسدين وفي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال اذا اقشعر
نفسه [illegible] ان اقوم المحاسب بالورع والتقوى اي اشتقت من معاني شرطها
الخوف فما نطلع من الخوف لم يتم هذه الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر الخفي وقد جعل الله تعالى مخصوصا الخائفين
فقال سيذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل وعزتي لا اجمع على

عبد بين خوفين ولا يجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة وقال ذو النون المصري من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد حبه وصح له لبه وقال ذو النون ينبغي ان يكون الخوف اغلب من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان ابو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع نجالس اقواما يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله ان تخالط قوما يخوفونك حتى يدركك امن خير لك من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال ابو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عائشة قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف ان لا يقبل منه والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الامن كما ان ضد الرجاء اليأس وكما دلت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضيلة الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد ان يخاف فوته فان كان لا يخاف فوته فهو اذن لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الآخر نعم يجوز ان يغلب احدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الآخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم احد طرفي الشك قد يترجح على الآخر بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبرت العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف لاجل تلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه بل اقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية وقد قال تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى ويبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دمع وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله عز وجل ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال عليه السلام اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله يدخل الجنة احد من امتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من قطرة احب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدمع قبل ان تصير الدموع دما والاضراس جمرا وقال صلى الله عليه وآله وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار لا تاكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته

ويصلي حتى ينكسر صلبه وقال ابو سليمان الداراني ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيمة فان سالت دموعه اطفا الله باول قطرة منها بحارا من النيران ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك الامة وقال ابو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب من الشوق وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي احب الي من ان اتصدق بجبل من ذهب وقال عبد الله بن عمر لان ادمع دمعة من خشية الله عز وجل احب الي من ان اتصدق بالف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسينا ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد نافقت حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانا اقول نافق حنظلة فقال عليه السلام كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو انكم كنتم ابدا على تلك الحال لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة فاذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب او تعلق المسبب

بيان ان الافضل هو غلبة الخوف او غلبة الرجاء او اعتدالهما

اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه شك في ان الافضل ايهما وقول القائل الخوف افضل ام الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز افضل ام الماء وجوابه ان يقال الخبز افضل للجائع والماء افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل وان استويا فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف افضل على التاويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء وعلى الجملة فما اريد بالخوف ينبغي ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك روي ان عليا رضي الله عنه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك لو اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك ولذلك قال بعضهم لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون انا ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر ينبغي ان يتساوى خوفه ورجاؤه فاما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثني من الذين امروا بدخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لم ينبغ ان يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي ان يغلب رجاؤه بحكم ما سبق في اول كتاب الرجاء ان قوته ينبغي ان تكون بحسب قوة اسبابه كما مثل بالبذر والزرع ومعلوم ان من بث البذر الصحيح في ارض نقية وواظب على تعهده وجمع شروطه غلب على قلبه رجاؤه لا محالة ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان يكون حال

المتقين فاعلم ان هذا ما حذره العارفون من الالفاظ وهو اشد يكفي بالله وكذلك انا اوجدناه مثالا للمتقين يصار الى خوفه من كل حرص
لان سبب غلبة الرجا العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة البدن وطهارته وصحة البدن بصحة الاولى وكذلك الصواعق
المهلكة في تلك البقاع وانما مثال هذا المثال الذي لم يجرب جنسه وهذا في ارض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وهذا
ليس بذلك الكثير الصواعق بها فالمثال بهذا الزارع وان ادى كنه مجربة بها بكل ما يتوقعه فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر
في مسئلتنا الايمان وشرط صحته دقيقة وآفات القلب وخفايا الخبث وصفاته من الشرك الخفي والنفاق والرياء والآفات
لا تطلع فيه على مصبوغات على الشهوات ونزوع الدنيا والتفات القلب الى ما هو مستقبل الزمان فان تكلم في الحال وعرف ذلك
ما لا يتحقق ولا عرف بالتجربة اذ يتدبر عن هذه الاسباب على الاطلاق كما لو لم يجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت
واضطراب الاعتقاد ممن قد ذلك مما لم يجرب ثم الحصاد هو الادراك عند التصرف في القيامة الى الجنة وذلك لم يجرب ومن عرف
حقائق هذه الامور كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سنحكي في احوال الخائفين من الصحابة
والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا وقد كان عمر
رضي الله عنه بالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسال حذيفة رضي الله عنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على ان يطهر قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وان اعتقد نقاء قلبه عن
ذلك فمن اين يامن مكر الله تعالى عليه باخفاء عيبه عنه وان وثق بعمله فمن اين يثق بغاية عمله من ذلك الى تمام حسن الخاتمة
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا فواق
ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وفواق ناقة لا يحتمل عملا بالجوارح انما هو مقدار خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة
السوء فكيف يؤمن ذلك فاذا اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء في غالب الناس يكون مستندة
الى الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال ويدعوننا رغبا
واين مثل عمر من الخلق الموجودين ومن كلامهم الاصلح غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجه الى الياس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون
ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات
ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف
والحث ودون الياس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض
الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة الادكار وقال مكحول الدمشقي من عبد الله بالخوف فهو
حروري ومن عبد الله بالرجاء فهو مرجي ومن عبد الله بالمحبة فهو زنديق ومن عبد الله بالمحبة والخوف والرجاء فهو موحد فاذا لابد
الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت اما عند الموت فالاصلح غلبة الرجاء وحسن الظن بالله
لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان
ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته واما روح الرجاء فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا ينبغي ان يفارق
احد الدنيا الا محبا لله ليكون محبا للقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه والرجاء تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه
فهو محبوب والمقصود من العلوم والاعمال كلها معرفة الله حتى يثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه
ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان الغالب عند الموت على
القلب حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة
عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا يخفى حال من يحال بينه وبين
ما يشتهيه فاذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا
اذا سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى

حال من افلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب
والعقاب فضلا عما اعد الله لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما اعد للذين استحبوا الحيوة
الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والنكال فنسأل الله تعالى ان
يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعاء الا باكتساب حب الله ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب
وقطع العلائق عن كل ما سوى الله من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال
اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد والغرض ان غلبة الرجاء عند
الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات واقمع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال
صلى الله عليه وآله وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضرت سليمان
التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى القى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري
الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال احمد بن حنبل عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن
والمقصود من ذلك كله ان يحبب الله الى نفسه ولذلك اوحى الله الى داود ان حببني الى عبادي فقال بماذا فقال بان تذكر لهم
آلائي ونعمائي فاذا غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله وانما تحصل المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير
الدنيا كالسجن المانع من المحبوب ولذلك راى بعض الصالحين ابا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن
افلت فلما اصبح سأل عن حاله فقال مات البارحة

بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف

اعلم انا ذكرناه
في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر وهو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان اول
المقامات في الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة
يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والخوف والرجاء يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة
الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن
الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد
لذكر الله والفكر فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والانس
الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد اصل اليقين مقام
سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله باطنا وظاهرا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق
الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل
فاذا فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين احدهما اعلى من الآخر
ومثاله ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد الى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن
اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا نظر الصبي الى ابيه وهو يرتعد ويحتال في الهرب قام معه وغلب
عليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته
وخوف الابن بمجرد التقليد لانه يحسن الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه فيعلم ان السبع مخوف
ولا يعرف وجهه فاذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله على مقامين احدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه في ذاته
فاما الخوف منه فهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى
ويحذركم الله نفسه وقوله اتقوا الله حق تقاته واما الاول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما
جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر
في اهوال القيامة واصناف العذاب في الآخرة وتزول ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فات المشاهدة

فالسماع الخلوي ثم بينهما الثاني وهو الأعلى أن يكون الله هو المخوف أعني أن يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه قال
ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهي خشية العلماء حيث قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء
ولعموم المؤمنين أيضاً حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليداً لأبيه وذلك لا يستند
إلى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى إن الصبي ربما يرى المعزم يقدم على أخذ الحية فينظر إليه ويغتر به فيتجرأ على أخذها
تقليداً له كما احترز عن أخذها تقليداً لأبيه والمعتقدات التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على
الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فإذن من ارتقى إلى ذروة المعرفة
وعرف الله خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعاً في مخالبه لا يحتاج إلى علاج لجلب
الخوف إلى القلب بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود خفني كما تخاف السبع الضاري والحيلة في جلب الخوف
من السبع الضاري ليس إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم
ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله هؤلاء في الجنة ولا أبالي
وهؤلاء في النار ولا أبالي فإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يعط المطيع أسباب الطاعة
حتى يطيع شاء أم أبى ولم يعط العاصي دواعي المعصية حتى يعصي شاء أم أبى فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان
الفعل واقعاً بالضرورة فإن كان أبعده لأنه عصاه فلم حمله على المعصية أفلذلك المعصية سابقة حتى يتسلسل إلى غير نهاية أو يقف
لا محالة على أول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الأزل وعن هذا المعنى عبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال
احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد
لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه
وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاماً قال آدم
فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملاً كتب الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة قال
صلى الله عليه وآله وسلم فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين
المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف
فإن كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه
فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقاً وإن أضيف
إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقاً والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع
افترس وإن غلبت الغفلة خلى وترك فإنما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست أقول لا يخاف السبع بل الخوف من الله الخوف من السبع
بل إذا انكشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله لأن المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم أن سباع الآخرة
مثل سباع الدنيا وأن الله خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلاً يسوقه القدر المسوغ عن القضاء المحكم الأزلي
إلى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلاً سخرهم للأسباب بها شاؤوا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلاً سخرهم للأسباب بها شاؤوا أم أبوا
فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدرة إلا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن
الارتقاء إلى مقام الاستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار ويطالع أحوال العارفين الخائفين وأقوالهم
ونسبة عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء
أما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والأغبياء أما رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم فهو سيد الأولين والآخرين وكان أشد الناس خوفاً
حتى روي أنه كان يصلي على طفل فسمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية ثانية أنه
سمع قائلة تقول هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك أنه كذلك والله إني رسول الله وما أدري ما يصنع بي إن الله

على الجنة وخلق لها أهلاً لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروي أنه قال ذلك أيضاً على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الأولين
قالت أم سلمة هنيئاً لك الجنة فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله لا أزكي أحداً بعد عثمان وقال محمد بن خولة الحنفية والله
لا أزكي أحداً غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبي الذي ولدني قال فثارت الشيعة فأخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه
وروي في حديث آخر أن رجلاً من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره
وفي حديث آخر أنه دخل عليه السلام على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئاً لك الجنة فقال صلى الله عليه وآله وسلم من هذه
المتألية على الله تعالى فقال المريض هي أمي يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلاناً كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا
يخاف المؤمنون كلهم وهو يقول صلى الله عليه وآله وسلم شيبتني سورة هود وأخواتها سورة الواقعة وإذا الشمس كورت وعم
يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الإبعاد كقوله ألا بعداً لثمود ألا بعداً لعاد ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود مع علمه
صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا إذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وما في سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة أي جف
القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة خافضة قوماً كانوا مرتفعين في الدنيا ورافعة قوماً كانوا منخفضين في الدنيا
وفي سورة التكوير أهوال القيامة قوماً كانوا منخفضين في الدنيا وفي سورة التكوير أهوال القيامة وانكشاف الخاتمة وإذا
الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون إلا من أذن له
الرحمن وقال صواباً والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً
ثم اهتدى لكان كافياً إذ علق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها وأشد منه قوله تعالى فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً
فعسى أن يكون من المفلحين وقوله ليسأل الصادقين عن صدقهم وقوله سنفرغ لكم أيه الثقلان وقوله أفأمنوا مكر الله وقوله وكذلك
أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وقوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً الآيتين وقوله وإن منكم إلا واردها
الآية وقوله اعملوا ما شئتم الآية وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره الآيتين وقوله
وقدمنا إلى ما عملوا من عمل الآية وكذلك قوله والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران وإنما كان خوف الأنبياء مع ما أفاض عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله
فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون حتى روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبرئيل بكيا خوفاً من الله فأوحى إليهما
لم تبكيان وقد آمنتكما فقالا ومن يأمن مكرك وكأنهما إذ علما أن الله هو علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمنا
أن يكون قوله وقد آمنتكما ابتلاء لهما وامتحاناً ومكراً بهما حتى إن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما كما أن إبراهيم
صلى الله عليه وآله وسلم لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض بجبرئيل في الهواء حتى قال
ألك حاجة فقال أما إليك فلا فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله فأخبر الله تعالى عنه وقال وإبراهيم الذي وفى أي بموجب قوله حسبي
الله وبمثل هذا أخبر عن موسى صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع
وأرى ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس في نفسه خيفة موسى إذ لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدد عليه الأمن وقيل له لا تخف
إنك أنت الأعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم إن تهلك هؤلاء لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك
فقال أبو بكر دع عنك مناشدتك ربك فإنه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله وخفايا أفعاله ومعاني صفاته
التي يعبر عن بعضها بالمكر وما لا يطلع البشر عليه فمن كنه صفات الله ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن
الإحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى عليه السلام لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله
إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وقال إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم الآية فوض الأمر إلى المشيئة

فالسماع للعليل من تاثير ما الثاني هو ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه قال
ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهي خشية العلماء حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
ولعموم المؤمنين ايضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند
الى البصيرة فلا جرم كضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم يقدم على اخذ الحية فينظر اليه ويغتر به فيتجرأ على اخذها
تقليدا له كما احترز عن اخذها تقليدا للاب والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة اسبابها الموكدة لها على
الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذا من ارتقى الى ذروة المعرفة
وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما ان من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب
الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء ام ابى ولذلك اوحى الله تعالى الى داود خفني كما تخاف السبع الضاري والحيلة في جلب الخوف
من السبع الضاري ليس الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم
ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وابعد ابليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله هولاء في الجنة ولا ابالي
وهولاء في النار ولا ابالي فان خطر بالبال انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فليتامل انه لم يعط المطيع اسباب الطاعة
حتى يطيع شاء ام ابى ولم يعط العاصي دواعي المعصية حتى يعصي شاء ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان
الفعل واقعا بالضرورة فان كان ابعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية اكان ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية او يقف
لا محالة على اول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل ومن هذا المعنى عبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال
عليه وآله وسلم احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد
لك ملائكته واسكنك في جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه
واعطاك الالواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التورية قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال آدم
فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على ان عملت عملا كتب الله علي ان اعمله قبل ان اخلق باربعين سنة قال
صلى الله عليه وآله وسلم فحج آدم موسى فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادرة من نور الهداية فهو من خصوص العارفين
المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف
فان كل عبد هو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع ربما يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه
فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق اسباب مرتبة بقدر معلوم ولكن اذا اضيف الى من لا يعرفه سمي اتفاقا وان اضيف
الى علم الله لم يجز ان يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه الجوع
افترس وان غلبت الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست اقول يزال الخوف من الله الخوف من السبع
بل اذا انكشف الغطاء علم ان الخوف من السبع هو عين الخوف من الله لان المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم ان سباع الآخرة
مثل سباع الدنيا وان الله خلق اسباب العذاب واسباب الثواب وخلق لكل واحد اهلا يسوقه القدر المبرم عن القضاء المحكم الازلي
الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها اهلا مسخرين لاسبابها شاءوا ام ابوا وخلق النار وخلق لها اهلا مسخرين لاسبابها شاءوا ام ابوا
فلا يرى احد نفسه في ملتطم امواج القدرة الغالبة الا خاف بالضرورة هذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن
الارتفاع الى ذروة الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار ويطالع احوال العارفين الخائفين واقوالهم
وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في ان الاقتداء بهم اولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء
والآمنون هم الفراعنة الجهال الاغبياء اما رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم فهو سيد الاولين والآخرين وكان اشد الناس خوفا
حتى روي انه كان يصلي على طفل فسمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية ثانية انه سمع
قائلة تقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال وما يدريك انه كذلك والله اني رسول الله وما ادري ما يصنع بي ان الله

الاولى

خلق الجنة وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروي انه قال مثل ذلك ايضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين
فقالت ام سلمة هنيئا لك الجنة فكانت تقول ام سلمة بعد ذلك والله لا ازكي احدا بعد عثمان وقال محمد بن خولة الحنفية والله
لا ازكي احدا غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا ابي الذي ولدني قال فثارت الشيعة فاخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه
وروي في حديث آخر ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره
وفي حديث آخر دخل عليه السلام على بعض اصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا لك الجنة فقال صلى الله عليه وآله وسلم من هذه
المتألية على الله تعالى فقال المريض هي امي يا رسول الله فقال وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه
وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو يقول صلى الله عليه وآله وسلم شيبتني سورة هود واخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم
يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله الا بعدا لثمود الا بعدا لعاد الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مع علمه
صلى الله عليه وآله وسلم بانه لو شاء الله ما اشركوا اذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وما في سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة اي جف
القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة خافضة قوما كانوا مرتفعين في الدنيا ورافعة قوما كانوا منخفضين في الدنيا
وفي سورة التكوير اهوال القيامة وانكشاف الخاتمة واذا
الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وقال صوابا والقرآن من اوله الى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه الا قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا
ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد عن آحادها واشد منه قوله تعالى فاما من تاب وآمن وعمل صالحا
فعسى ان يكون من المفلحين وكقوله ليسأل الصادقين عن صدقهم وقوله سنفرغ لكم ايه الثقلان وقوله افامنوا مكر الله وقوله وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا الآية وقوله وان منكم الا واردها
الآية وقوله اعملوا ما شئتم الآية وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية وقوله
وقدمنا الى ما عملوا من عمل الآية وكذلك قوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق و
تواصوا بالصبر فهي اربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم لانهم لم يأمنوا مكر الله تعالى
فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبرئيل بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى الله اليهما
لم تبكيان وقد آمنتكما فقالا ومن يأمن مكرك وكانهما اذ علما ان الله هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يأمنا
ان يكون قوله قد آمنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابراهيم
صلى الله عليه وآله وسلم لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض بجبرئيل في الهواء حتى قال
الك حاجة فقال اما اليك فلا وكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله فاخبر الله تعالى عنه وقال وابراهيم الذي وفى اي بموجب قوله حسبي
الله وبمثل هذا اخبر عن موسى صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع
وارى ومع هذا لما القى السحرة سحرهم اوجس في نفسه خيفة موسى اذ لم يأمن مكر الله والتبس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل له لا تخف
انك انت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض احد يعبدك
فقال ابو بكر دع عنك مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله وخفايا افعاله ومعاني صفاته
التي يعبر عن بعضها بعبارة يوهم ظاهرها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن
الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى عليه السلام لما قيل له أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الآية وفوض الامر الى المشيئة

واخرجته بالكلية من اليقين لعلمه بانه ليس اليقين من الامر شيء فان الامور مربوطة بالمشية ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات
فلا يمكن الحكم عليها بقياس وتخمين وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى
هي ارتباط امرك بمشية من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك من امثالك من لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الآلام والامراض
ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الآباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
ولكن حق القول مني لاملأن جهنم فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا يطمع في تداركه ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع تمتد
الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء الخفي السابقة من جلي الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له اسباب الشر
وحيل بينه وبين اسباب الخير واحكمت علاقته مع الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل
ميسر لما خلق له فان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي
تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنها من الانطفاء
وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وان القلب اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب
ان عذاب ربهم غير مأمون فاجهل الناس من امنه وهو ينادي بالتحذير من الامن ولولا ان الله لطيف بعباده العارفين اذ روح
قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء رحمة لخواص الله واسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه
اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين لو حالت بيني وبين من عرفته
بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقلب وقال بعضهم لو كانت الشهادة
على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من باب الحجرة وباب الدار وكان
ابو الدرداء يحلف بالله ما احد يأمن ان يسلب ايمانه عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل
خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل له يا ابا عبد الله عليك
بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال بان القى الله بامثال الجبال
من الخطايا وحكي عن بعض المحاسبين انه اوصى الى بعض اخوانه فقال اذا حضرني الوفاة فاقعد عند راسي فان رايتني
مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه واشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا عرس المنفلت وان مت
على غير التوحيد فاعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من احب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة
قال وبم اعلم ذلك فذكر له علامة فراى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه وكان سهل يقول المريد
يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان ابو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي زنارا
اخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي كل يوم خمس مرات وروي عن عيسى
عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وروي في اخبار الانبياء ان نبيا شكا الى الله
الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله اليه عبدي اما رضيت ان عصمتك ان تكفر بي حتى تسألني
الدنيا فاخذ التراب فوضعه على راسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا كان خوف العارفين مع رسوخ اقدامهم
وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء ولسوء الخاتمة اسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة
من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو اني اعلم اني بريء من النفاق كان احب الي
مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد اصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان فيكون مسلما منافقا
وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وآله وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه
خصلة منهن ففيه شعبة من نفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر
وفي لفظ واذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عنها الا صديق اذ قال الحسن ان من النفاق

اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الامور مألوفة
بين الناس معتادة ونسي كون ذلك منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد زمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة ان كان
الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيصير بها منافقا واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وكان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره من الناس ما تأتي مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من
الحق وقيل من النفاق انه اذا مدح بشيء ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون
فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروي انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع
فيه فقال ارأيت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم واشد من ذلك ما روي ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا
حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا حذيفة
كان قد خص بعلم المنافقين واسباب النفاق وكان يقول يأتي على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة
ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه
امور تتقدمه منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن جملة ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق
اذ قيل ان من النفاق ان يأمن النفاق وقال بعضهم لبعض العارفين اني اخاف على نفسي النفاق فقال لو كنت منافقا ما خفت
النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم العبد المؤمن
بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت
من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار **بيان** سوء الخاتمة فان قلت ان اكثر خوف هؤلاء يرجع الى سوء الخاتمة
فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على رتبتين احداهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهائلة فان يغلب على القلب عند
سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح في حال غلبة الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من
عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها ان يغلب على قلبه
عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق
قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله
حصل الحجاب ونزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تأخذ الا المحجوبين عنه فاما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله
تعالى فيقول له النار جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت
على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال
الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم
الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب
هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من النار في زمان اقرب وان كان اقل
من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين فان قلت فما ذكرته يقتضي
ان يسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب
عن نور الايمان ونور القرآن بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض
الجنة وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي
بسوء الخاتمة وانما تختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والعذاب بعده ثم

المناقشة في الحساب ولا افتضاح على ملأ الاشهاد في القيامة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى آخر ما ورد من الاخبار
فلا يزال الشقي مترددا في جميع احواله بين اصناف العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا
تظنن ان محل الايمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فيجمع الاجزاء المتفرقة
ويعاد اليها الروح الذي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش
ان كان سعيدا واما على حالة تضاد هذه الحال والعياذ بالله ان كان شقيا فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم ان
اسباب هذه الاحوال لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه
في شيئين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان
كانت اعماله صالحة ولست اعني مذهبا فاقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل
في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقد على خلاف ما هو عليه اما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصوم وعليه
يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه
فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادي سكراته منه فقد
ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطأ
في هذا الاعتقاد خاصة لاخذه فيه الى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده
فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته
عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او للشك فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يتثبت ويعود
الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشك والعياذ بالله فهؤلاء هم المرادون بقوله وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة اشتغال الدنيا عن القلب فكذلك
ينكشف في سكرات الموت بعض الامور لان شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت
فيطالع ما في اللوح المحفوظ لينكشف له الامور على ما هي عليها فيكون مثل هذه الحالة سببا للكشف ويكون الكشف سببا للشك
في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله وفي صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالرأي
والعقل فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر الا عن الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر
ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا
ولا صغوا الى اصناف المتكلمين في تقليد اقاويلهم المختلفة ولذلك قال عليه السلام اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف
من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله
جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التأويل لان الخطر في البحث عن الصفات
عظيم وعقباتها كؤودة ومسالكها وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما
جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما القي اليها في
مبدأ النشوء آلفة وبها متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة والمأخوذة بحسن
الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام
الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم
وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال او الاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب
السامعين المقلدين لهم وتأكد ذلك بطول الالف بهم فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال

الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على
ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ما وقع له من حدس وتخمين
علم اليقين وعين اليقين وسيعلمون ما يدعون حين ينبغي ان ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء **شعر**
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر
واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله من انكسرت
سفينته وهو في تلاطم الامواج يرمي به موج الى موج فنادرا ما يتفق ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك اغلب عليه وكل نازل
على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التي حرروها في تعصباتهم او دون الادلة ان كان شاكا فيه
فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين
الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذي يشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت
الاحمر واني يتيسر وانما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام او الذين شغلهم خوف النار وطاعة الله فلم يخوضوا في هذا
الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة واما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا
على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا
من حيث حديث النفس ولا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات
حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا
ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب
على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا
ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض
الله بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ولده امواله التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك
الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء
وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذي يفضي الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها مع ضعف
الايمان الموجب لضعف حب الله فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد
عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم اصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله
اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا قال تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره فاذا
من فارقت روحه في حالة خطرة الانكار على الله بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفريقه بينه وبين اهله وماله وسائر محابه
فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق اذا قدم به على مولاه قهرا
فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال واما الذي يتوفى على الحب فانه يقدم على الله قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه
الذي تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه
من لطائف الاكرام وبدائع الانعام واما الخاتمة الثانية التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها ايضا
سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان والآخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي
غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان
ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره ذكر طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت
فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله فالذي

اما من قارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا اصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت
عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعاته وقلبه بها افرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو
انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في
اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما راى
عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر
مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه
لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف او بسبب آخر من الاسباب والموت شبه النوم ولكنه فوقه
ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده الى القلب واحد الاسباب
المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف فطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجح ولذلك تخالف منامات
الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الالف سببا لان تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل اليه نفسه فربما تقبض
عليه روحه فيكون ذلك سبب خاتمة السوء وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر في اليقظة
انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها اسباب عند الله تعرف بعضها ولا نعرف بعضها كما انا نعلم
ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه واما المشا
واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه واما المشابهة فبان ينظر الى الجميل فيتذكر جميلا آخر واما
بالمضادة فبان ينظر الى الجميل فيتذكر القبيح ويتأمل في شدة التفاوت بينهما واما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد رآه
من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة
وهو ان ينتقل الخاطر من شيء الى ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن
يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فكذلك لانتقالات الخواطر في المنام اسباب من هذا الجنس
وكذا عند سكرات الموت فاذن من اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر
في فطام نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير
وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل
عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة فيقول خمسة ستة اربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذي
طال الفه له قبل الموت وقد قال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تتلألأ نورا فلا يكون العبد على حال الا انطبع
مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه
على صورة معصية وكذلك يكشف له في القيامة فيرى احوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما
ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك ما سيكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ
وهو جزء من اجزاء النبوة فاذا رجع سوء الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات
المقتضية لسوء الخاتمة خارجة عن الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه تأثير فلهذا عظم خوف العارفين
من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الصادقين والطاعات والعبادات
عسر عليه ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط
وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا علي الفارمذي رحمه الله يصف لي وجوب
حسن ادب المريد لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي ابي القاسم
الكركاني مناما لي وقلت رايتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك فهجرني شهرا لم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك

تجويز المطالبة والانكار لما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب
في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة من اسرار امر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر
لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما هي عليها من غير جهل وتقضي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت
تعلم ان ذلك محال او عسير فلا بد وان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه حزنك وبكاؤك ونياحتك ويدوم
به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبياء والاولياء والسلف والصالحين ليكون ذلك احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك
وقد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها ضائعة ان لم يسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر
مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف
اذا صعدت الملائكة بروح المؤمن وقد مات على الخير والاسلام تعجب الملائكة منه وقالوا كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان
الثوري يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالآن نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت
الرياح العاصفة واضطربت الامواج كانت النجاة ابعد من الهلاك وقلب المؤمن اشد اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم
التطاما من امواج البحر وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل
الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة
بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رايت كاني ادخلت الجنة فرايت ثلاثمائة نبي فسالتهم ما اخوف ما كنتم
تخافون في الدنيا قالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجأة مكروها اما الموت فجأة
فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن امثاله الا ان يدفع بالكراهة او بنور المعرفة واما الشهادة
فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات
عن القلب اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله وطلبا لرضاه وبائعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه
الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب
ومجرد حب العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف
القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من هذا حاله وان
قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذا بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيه فاشتغل بالاستعداد له
فواظب على ذكر الله واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي
ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك ايضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت
الخاتمة فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة واياك ان تهمله لحظة فلعل
تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في يقظتك واما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة
ذكر الله على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك
الا ما كان غالبا قبل النوم ولا ينبعث عن نومك الا ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد
الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق
قطعا ويقينا ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان
لم تكن اهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك ان تغفل عن الله طرفة عين فانك اذا فعلت
ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم
هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس
ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا

يكون غمك فيه أكثر من غمك في قضاء حاجتك إذ لا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجه فهما ضرورتان في الجبلة
ولكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل فيها قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل في
بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوي على عبادة الله كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك
تظهر في ثلاثة أمور من مأكلك في وقته وقدره وجنسه أما الوقت فأقله أن تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على الصوم وأما
قدره فأن لا تزيد على ثلث البطن وأما جنسه فأن لا تطلب اللذائذ بل تقنع بما تيسر فإن قدرت على ترك الأدم وسقطت عنك
مؤنة الشهوات اللذائذ فقدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله فإن أكل الحلال لا يفي بالشهوات وأما ملبسك
فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول يضيع فيه وقتك
ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله في الكسب مرة والطمع أخرى من الحرام والشبهة وقس بما ذكرناه ما يدفع الحر والبرد عن بدنك
فكل ما حصل مقصود اللباس فإن لم تكتف به من خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرجع بعده بل كنت ممن لا يملأ بطنه إلا التراب
وكذلك المسكن إن اكتفيت بمقصوده كفاك السماء سقفا والأرض مستقرا فإن غلبك حر أو برد فالمساجد فإن طلبت مسكنا خاصا طال عليك
وانصرف إليه أكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم إن تيسر لك فقصدت من الحيطان سوى كونها حائلا بينك وبين الأبصار ومن السقف سوى
كونه دافعا للأمطار فأخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد رقيك منها وكذا جميع ضرورات أمرك إن
اقتصرت عليها فرغت لله وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لها وإن جاوزت حد الضرورة إلى أودية الأماني تشعبت
همك ولم يبال الله بأي واد أهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج إلى النصيحة منك واعلم أن متسع التدبر والتزود والاحتياط
هو العمر القصير فلو دفعته يوما بيوم في تسويفك أو عطلته بالغفلة فجاءت منيتك فجأة من غير قصد لزادك وأنابتك عظمت حسرتك وندامتك
فإن كنت لا تقوى على القيام بما أرشدت إليه فصنعتك أن لم يكن فيما وصفنا من أمر الخائفين كفاية في تحريكك فإنا نورد عليك من أحوال
الخائفين من الأنبياء وغيرهم ما نرجو أن يزول بعض القساوة عن قلبك فلا تحقق أن عقل الأنبياء والأولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله لم يكن دون عقلك
وعلمك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك وغش عينك في أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء فكان بعضهم يصعق
وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا إلى الأرض ولا جرم إن كان ذلك مما لا يؤثر في قلبك فإن قلوب
الغافلين مثل الحجارة أو أشد قسوة وإن منها لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية
الله وما الله بغافل عما تعملون

بيان أحوال الأنبياء في الخوف

روت عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان
إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله وقرأ صلى الله عليه
وآله وسلم آية في سورة الحاقة فصعق وبعدها عليه السلام إذا دخل الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل وقال تعالى وخر
موسى صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صورة جبرئيل بالأبطح فصعق وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما جاءني جبرئيل
قط إلا وهو يرعد فرقا من الجبار تعالى ولما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله إليهما ما لكما
تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت
أفئدة الملائكة من أماكنها فلما خلق بنو آدم عادت وعن أنس رضي الله عنه أن النبي عليه السلام سأل جبرئيل ما لي لا أرى ميكائيل يضحك فقال
ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ويقال إن لله ملائكة لم يضحك أحدهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم وقال
ابن عمر رضي الله عنهما خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن
عمر ما لك لا تأكل قلت يا رسول الله لا أشتهيه قال لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت ربي
لأعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبؤون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال فوالله ما برحنا
ولا قمنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
إن الله لم يأمرني بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنيا يريد بها حياة فانية فإن الحياة بيد الله ألا وإني لا أكنز دينارا

ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه إذا قام في الصلاة من
مسيرة ميل خوفا من ربه عز وجل وقال مجاهد بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى
غطى رأسه فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر خوفه
ثم أنزل الله عز وجل عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام
ولا لشراب ولا لغيرهما إلا رآها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من
دموعه ويروى عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله وكان يقول في مناجاته إلهي إذا ذكرت خطيئتي
ضاقت علي الأرض برحبها وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي روحي سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم
عليك يدلني فبؤسا للقانطين من رحمتك وقال الفضيل بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا
يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال ارجعن لا أريدكم إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا بالبكاء
ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام
واشتعال الحشا وقبل أن تؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عبد العزيز بن عمير
لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال إلهي بح صوتي في صفاء أصوات الصديقين وروي أنه عليه السلام لما طال بكاؤه
ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه قال يا رب أما ترحم بكائي فأوحى الله عز وجل إليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك
قال إلهي وسيدي كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلني الطير على رأسي
وأنست الوحوش إلى محرابي إلهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فأوحى الله إليه يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة
المعصية يا داود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي وتوجته
بتاج وقاري وشكا إلي الوحدة فزوجته حواء أمتي وأسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عريانا ذليلا يا داود اسمع
مني والحق أقول أطعتنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأمهلناك وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك وقال
يحيى بن أبي كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يأتي
النساء فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر إلى البرية فأمر سليمان أن ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض
والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود فليأت قال فيأتي الوحوش من البراري
والآكام ويأتي السباع من الغياض ويأتي الهوام من الجبال ويأتي الطير من الأوكار وتأتي العذارى من خدورهن وتجتمع
الناس لذلك اليوم ويأتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان صلى الله عليه
وآله وسلم قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من
الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فإذا رأى سليمان كثرة الموتى
قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فبينما هو كذلك
إذ ناداه بعض عباد بني إسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مغشيا عليه فلما نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرير
فحمله عليه ثم أمر مناديا ينادي ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار
فكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على
رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي ربه فيأتي سليمان ويقعد على
الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا أبتاه تقو بهذا على ما تريد فيأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج
إلى بني إسرائيل فيكون بينهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود يوما بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا
ورجع في عشرة آلاف وكان له جاريتان اتخذهما حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره ورجليه مخافة

انه يتبرى اعضاؤه ومفاصله بموت وقال ابن عمر رضه دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثماني حجج فنظر الى عبادهم
قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوها الى اطراف بيت المقدس
فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم اخلق للعب قال فاتى ابويه فسالهما ان يدرعاه
الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا حتى اتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطراف الارض وغيران
الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد انقع رجليه في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك
لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين مكاني منك فساله ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر
عن يمينه فمدح بالبر فرده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا لبكائه حتى يغمى عليه
فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئا تواري به اضراسك
عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه في القطعتين اتت
اليها امه فعصرتهما فاذا راى دموعه تسيل على ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال له
ابوه زكريا يا بني انما سالت ربي ان يهبك لي لتقر عيني بك فقال يحيى يا ابت ان جبريل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها
الا كل بكاء قال زكريا فابك يا يحيى وقال عيسى صلوات الله عليه معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة
ويباعدان من الدنيا بحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل وقيل كان الخليل صلى الله عليه
وآله وسلم اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبريل فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رايت
خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته فهذه احوال الانبياء فدونك والتامل فيها فانهم اعرف خلق
الله بالله وصفاته **بيان** احوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف قال ابو بكر الصديق رضه لطير
ليتني مثلك يا طير ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر وددت اني شجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت
عائشة رضها وددت اني كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر رضه خطان اسودان من الدموع وقال عمر بن الخطاب رضه لم يشف غيظه من
اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقرا عمر اذا الشمس كورت حتى انتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر
مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرا سورة الطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع نزل عن حماره
واستند الى الحائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال علي رضه وقد سلم من صلاة
الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون
صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا
اصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله لكاني بالقوم باتوا غافلين
ثم قام فما رئي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم ويحكى ان عمر رضه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه
فكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم اك شيئا مذكورا يا ليتني لم تلدني امي يا ليتني
كنت نسيا منسيا وقال عمران بن الحصين لوددت اني رمادا تنسفني الرياح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت
اني كبش فيذبحني اهلي فياكلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك
عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثوري كان النار قد احاطت
بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقال مالك بن دينار بينما انا اطوف بالبيت اذا انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة
وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب اما كان لك ادب وعقوبة الا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها
حتى طلع الفجر قال مالك فلما رايت ذلك وضعت يدي على راسي صارخا اقول ثكلت مالكا امه ويروى ان الفضيل رئي يوم عرفة
والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع راسه الى السماء وقال واسوأتاه منك

وان عفوت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت
من ورائنا والقبر امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا وكان حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس على قدميه
مستوفزا فقيل له لو اطمانيت فقال تلك جلسة الآمن وانا غير آمن اذ عصيت الله عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز ان الله جعل هذه
الغفلة رحمة في قلوب العباد كيلا يموتوا من خشية الله وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا انا مت ان آمرهم ان يقيدوني ويغلوني ثم
ينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالآبق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة فلقي آدم عليه السلام
فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول عبادته لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله
الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر من المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لم ينتفع بلقائه اقاربه واعداؤه
وقال السري اني لانظر الى انفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة ان يكون قد اسود وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر
الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترات البارحة على الله عز وجل سالته الجنة
وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك احدثت حدثا موبقا لما اراك تصنع في ليلك
ونهارك فقال يا اماه وما يؤمنني ان يكون الله عز وجل قد اطلع علي وانا على بعض ذنوبي فمقتني وقال [illegible] لا اغفر لك وقال
الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة انما اغبط من لم يخلق وروي ان
فتى من الانصار داخلته خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده وروي عن ابن ابي ميسرة انه كان اذا اوى الى
فراشه قال يا ليت امي لم تلدني فقالت له امه يا ميسرة ان الله قد احسن اليك هداك الى الاسلام قال اجل ولكن بين لنا انا واردوا
النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها وقيل لفرقد السبخي اخبرنا باعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل بيت المقدس
خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلمي من الخائفين وكان
لا يسال الله عز وجل الجنة ابدا انما كان يساله العفو وقيل له في مرضه الا تشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا
للشهوة ويقال انه ما رفع راسه الى السماء ولا ضحك اربعين سنة وانه رفع راسه يوما ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يمس
جسده في بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ وكان اذا اصابتهم ريح او برق او غلاء طعام قال هذا من اجلي يصيبهم لو مات عطاء
لاستراح الناس وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت وشبان
يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم في رؤوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم
وبقيت العروق كانها الاوتار يصبحون كان جلودهم قشور البطيخ وكانهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف اكرم الله المطيعين
وكيف اهان العاصين فبينما هم يمشون اذ مر احدهم بمكان فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا
فجاؤوا بماء فمسحوا وجهه فافاق وسالوه عن امره فقال اني ذكرت اني كنت عصيت الله في ذلك المكان وقال صالح المري
على رجل من المتعبدين [illegible] في النار [illegible] الرجل الصعق ثم افاق وقال زدني
يا صالح [illegible] وروي عن زرارة بن ابي اوفى انه صلى بالناس
صلاة الغداة فلما قرا فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يا يزيد
فقال يا امير المؤمنين اعلم انك لست اول خليفة تموت فبكى ثم قال زدني قال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين آدم اب الا وبين آدم
الا اب ميت فبكى وقال زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل فخر مغشيا عليه وقال ميمون
بن مهران لما نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على راسه ثم خرج هاربا ثلاثة ايام لا
يقدرون عليه وراى داود الطائي امراة تبكي على راس قبر وهي تقول يا ابتاه ليت شعري اي خديك بدا به الدود فصعق داود
وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت

ان في الجنة شيئا وقال احمد بن حنبل سألت الله عز وجل ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما اطيق فسكن
قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تجدوا البكاء فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى
ينكسر صلبه وكأنه اشار الى معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث
على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من الكوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق
انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورؤي الفضيل يوما وهو يمشي فقيل له الى اين فقال
لا ادري وكان يمشي والها من الخوف وقال الذي بعث عمر ابن عمر الى دنيا ابا التكلم يتكلم من قلبي يبكي احد فاذا انكشف سمعت البكاء
من كل جانب فقال يا نجاة ابن النجاة السابقة التي كانت وتنوا بجلدهم فقالوا الذي يبكيك يرحمك الله قال
روعتني انما سوف تذلوهم قالوا وما ذاك قال رعبة العذاب العرض على الله عز وجل وكان ابو اسحق يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت
وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال اذهب شيئا من بعض محاسن عبادكم فذهبت
الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستأذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم
ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة فخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فدخلنا عليه فقرأت
هذه الآية فشهق شهقة انه لم يشتغل بنا عن ربنا فقرأت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل
يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فادرنا على ستة انفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه ثم اتيت به السابعة
فاستأذنا فاذا امرأة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت
عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت ضعيف
اوه اوه حتى انقطع الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلثة
قد افاقوا وثلثة قد لحقوا بالله واما الشيخ فانه مكث ثلثة ايام على حالته مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلث عقل وكان يزيد
بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد حلف انه لا يضحك ابدا ولا ينام مضطجعا ولا ياكل سمينا ابدا فما رئي ضاحكا ولا مضطجعا ولا
آكلا سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت
والزبانية قد اعدت وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما
ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي حال هو قال الرجل على حال شديدة
قال الحسن حالي اشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين
ثم غلبتها عيناها فرقدت فاستبكت في منامها فقالت يا امير المؤمنين اني رأيت والله عجبا قال وما ذاك قالت رأيت النار وهي تزفر
على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى
الى جهنم فقال هيه ثم قالت فجيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال عمر هيه قالت ثم
جيء بك والله يا امير المؤمنين فصاح عمر صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في اذنه يا امير المؤمنين اني رأيتك والله
قد نجوت اني رأيتك والله قد نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه ويحكى ان اويسا القرني كان يحضر القاص فيبكي
من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لا تسكن
روعته حتى يخلف جسر جهنم وكان طاوس يفرش له الفراش ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل
القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل بعد الف عام وياليتني كنت
ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة وروي انه ما ضحك اربعين سنة قال وكنت اذا رأيته قاعدا كأنه اسير قدم لضرب
عنقه واذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه وخوفه فقال
ما يؤمنني ان يكون الله قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك

فانا اعمل في غير معتمل وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا ابا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا
نبالي ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة او في النار ثم غاب عني فتفقدته
في المجلس الآخر فلم اره فسألت عنه فاخبرت انه مريض يعاد فاتيته اعوده فقلت يا اخي ما الذي ارى بك فقال يا ابا العباس ذلك من قولك
لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة او في النار قال ثم مات رحمه الله فرأيته في المنام فقلت يا اخي ما صنع الله بك قال
غفر لي ورحمني وادخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء والصالحين ونحن احق بالخوف منهم لكن ليس الخوف
بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهواتنا وغلبت علينا
شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب يحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين
تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسأل الله ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون
الاستعداد ينفعنا ومن العجائب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا وان
رمنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا واجتهدنا في طلب ارزاقنا ولا نثق بضمان الله عز وجل لنا ولا نجلس في بيوتنا
فنقول اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك المقيم الدائم قنعنا بان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه رجاؤنا
وبه اعتزازنا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل
ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا وامانينا فما هذه الا محنة هائلة ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح علينا بل نسأله ان يشوق
الى التوبة سرائر قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا
سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان اعظم من هذا فنسأل الله ان يمن علينا بفضله ولنقتصر من حكايات احوال
الخائفين على ما اوردناه فانه القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي والكثير منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد
صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد انه رآه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون
من شدة الوله ما يكاد يرقأ دمعه من كثرة البكاء قال عيسى فهالني ما رأيت منه فقلت ايها الراهب اوصني بوصية احفظها
عنك فقال يا اخي بماذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف ان يغفل
فتفترسه السباع او يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة ليله وان امن المغترون ونهاره في الحزن وان
فرح البطالون ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئا عسى ان ينفعني فقال الظمآن يجزيه من الماء ايسره وقد صدق فان
القلب الصافي تحركه ادنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا
ينبغي ان يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل الغضب
والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عنها لحظة الا انك محجوب
العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها فترى
بعينك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فان اردت ان تقتلها
وتقهرها وانت قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك والسلام وبالله التوفيق

كتاب الفقر والزهد

وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي يسبح له الرمال وتسجد له الظلال وتندك من هيبته الجبال خلق الانسان من الطين
اللازب والصلصال وركبه في صورة باحسن تقويم واتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال واذن له
في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال ثم كحل بصيرته بنور الخشية حتى لحظ من جمال حضرة الجلال ما لاح له من
البهجة والبهاء والكمال ما استنفر دونه مبادي اشراقه كل حسن وجمال واستثقل بسببه عن مشاهدته ... غاية الاستثقال

ظاهر الدنيا في أثوابه صورة جميلة تيس بمثال وكشف لباطنها عن عجوز شوهاء تحت تطينته ... ضرب في قالب الكمال
وهي تلتقف بجلابيبها المخفي تابع أسرارها المطالبة السحر والاحتيال وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال فهي تقتنصهم بصنوف
المكر والاغتيال ثم لا تجري بهم بالتلطف في حبل الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والأغلال وتبتليهم بأنواع
البلايا والأنكال فلما انكشف للعارفين منها اتباع لاسرار ... فلبسوا البعض لها وتركوا التفاخر والتكاثر في الأموال
وأقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال واستثنوا بها رضا الذي رضوه ضلال ومشابهة أبد ليس بها فاما أولى النوع الحالي الصلوة على
سيد الأنبياء وعلى آل الكبير الدالة بعد فإن الدنيا عدوة لله تعالى ومن عجائبها ... الخطايا
والسيئات وبغضها أم الطاعات وأصل الحسنات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع
المهلكات ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فإنه رأس المنجيات فلا مطمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا والبعد
منها ولكن مقاطعتها إما أن تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا وإما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما
درجة في نيل السعادات وحظ في الإعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما
وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر

الشطر الأول من الكتاب
في الفقر وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان فضيلة خصوص الفقراء وبيان فضل الفقر على الغنى وبيان أدب الفقير
في فقره وبيان أدبه في قبول العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين

بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه اعلم أن الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه أما فقد
ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرا وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود
سوى الله فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده فإن كان في
الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحدا فليس في
الوجود إلا غني واحد وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمد وجودهم بالدوام وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى والله الغني وأنتم
الفقراء هذا هو معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص وإلا ففقر العبد بالإضافة
إلى أصناف حاجاته لا ينحصر ... ما يتوصل إليها بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فإنا نسميه فقيرا بالإضافة إلى المال
الذي فقده إذا كان ذلك المفقود محتاجا إليه في حقه ثم يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن نميزها ونخصص كل
حال باسم لنتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها الحالة الأولى وهي العليا أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه
مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد الثانية أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا
يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا الثالثة أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة
له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه بل إن أتاه عفوا صفوا أخذه وفرح به وإن افتقر إلى تعب في طلبه لم يشتغل
به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا إذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة الرابعة أن يكون تركه
الطلب لعجزه وإلا فهو راغب فيه لو وجد سبيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه أو هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص
الخامسة أن يكون ما فقده من المال مضطرا إليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة
مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة أحوال أعلاها
الزهد والاضطرار إذا انضم إليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتي ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة
هي أعلى من الزهد وهي أن يستوي عنده وجود المال وفقده فإن وجده لم يفرح به ولم يتأذ وإن فقده فكذلك بل حاله حال
عائشة رضي الله عنها إذ أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها في يومها فقالت خادمها لو اشتريت لنا بدرهم
لحما فقالت لو ذكرتني لفعلت ومن هذا حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره إذ هو يرى الأموال في خزانة الله تعالى

لا في يد نفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره وينبغي أن يسمى صاحب هذه الحالة المستغني لأنه غني عن فقد المال ووجوده
جميعا وليفهم من هذا الاسم مفارقته لاسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فإن من كثر ماله من العباد وهو
يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال في يده وإنما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه فهو إذا غني من وجه فقير من وجه وأما هذا الشخص
فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضا فإنه ليس يتأذى به ليحتاج إلى إخراجه وليس يفرح
به ليحتاج إلى بقائه وليس فاقدا ليحتاج إلى دخوله في يده فغناه على العموم فهو أقرب إلى الغني الذي هو وصف الله تعالى وإنما
قرب العبد من الله بالقرب بالصفات لا بالمكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغني اسما لمن له
الغنى المطلق عن كل شيء وأما هذا العبد فإن استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن
مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فإن القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو
الذي أعتقه عن هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لأنها
بين أصبعين من أصابع الرحمن ولذلك لم نطلق اسم الغني عليه مع هذا الكمال إلا مجازا ولتعلم أن الزهد درجة هي كمال الأبرار
... حسنات الأبرار سيئات المقربين وهذا لأن الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل
بما سوى الله حجاب عن الله إذ لا بعد بينك وبين الله حتى يكون البعد حجابا فإنه أقرب إليك من حبل الوريد وليس هو في مكان
حتى تكون السماوات والأرض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه إلا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره
وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فكذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول
ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله بل كل ما سوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق فإن
التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ
بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه فكما أن النظر إلى غير المعشوق لحبه عند حضور
المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذلك النظر إلى غيره لبغضه شرك فيه ونقص ولكن أحدهما أخف من الآخر بل الكمال في أن
لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضا وحبا فإنه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضا بغض وحب في حالة واحدة
فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها إلا أن المشغول بحبها غافل عن الله وهو في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول
ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب إذ يرجى له أن ينتهي حاله إلى أن ينقطع عنه هذه الغفلة ويتبدل بالشهود فالكمال له
مرتقب لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها
ولكن أحدهما مستدبر الكعبة والآخر مستقبل لها فهما سيان بالإضافة إلى الحال في أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها
ولكن حال المستقبل محمودة بالإضافة إلى المستدبر إذ يرجى له الوصول وليس محمودا بالإضافة إلى المعتكف في الكعبة الملازم لها
الذي لا يخرج منها حتى يفتقر إلى الاشتغال بالدابة في الوصول إليها فلا ينبغي أن تظن أن بغض الدنيا مقصود في عينه بل الدنيا
عائقة عن الله ولا وصول إليه إلا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل
الراحة بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة فبين أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق
عن الحج فإذا قد ظهر أن الزهد في الدنيا إن أريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وإن أريد به الرغبة
في عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الحريص ... بل الكمال الحق أن يستوي عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا يؤذيك
بأن تكون على شاطئ البحر وللطهارة تأخذ منه إلا في قدر الضرورة مع أن الماء محتاج إليه كما أن المال محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولا
بالفرار من جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل تشرب منه بقدر الحاجة وتسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا تبخل به على
أحد فكذا ينبغي أن يكون المال لأن الخبز والماء واحد في الحاجة إنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر وإذا عرفت الله
ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة ما دمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء

اشياء في بيانه في كتاب التوكل قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة اذهب الى
البيت فخذ الركوة التي اهديتها الي فان العدو يوسوس الي ان اللص قد اخذها فقال ابو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية
قد زهد في الدنيا ما عليه من اخذها فتبين ان كراهيته لكون الركوة في بيته والتفات القلب اليها سببه الضعف والنقصان فان
قلت فما بال الانبياء والاولياء يهربون من المال ويفرون منه كل الفرار قلت كما هربوا [illegible] ما شربوا اكثر من حاجتهم شرط
عاجلها ولم يحضر في الترب والعوالي [illegible] انفسهم لم تكونا في الاشياء [illegible] على المحتاجين لانهم كانت قلوبهم
مشغولة بجمعها او حفظها وتعطلت [illegible] الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والى ابي بكر وعمر [illegible] ووضعوها
في مواضعها وما هربوا منها اذ كان استوى عندهم الماء والمال والذهب والحجر وما نقل عنهم من امتناعهم من ان يتخلل [illegible] خاف
لو امسكه ان يحبسه المال [illegible] فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم الفقر للمال والهرب منه في حقهم كمال
وهذا حكم جميع الخلق الا الانبياء والاولياء [illegible] ان يقال من [illegible] بلغ الكمال ولكن اظهر الانبياء [illegible] والفرار [illegible] لا
الى رتبة الضعفاء ليقتدوا به في الترك ولو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا كما ان الرجل المعزم يجتنب بين يدي اولاده من الحية
لا لضعفه عن اخذها ولكن لعلمه بانه لو اخذها الحية لاقتدى به اولاده [illegible] وهلكوا والسير بسيرة الضعفاء [illegible] الانبياء والاولياء
والعلماء مهم فقد عرفت اذا ان المراتب ستة وان اعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص واما المضطر
فيتصور في حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته مختلفة بحسب اختلاف هذه الاحوال واسم الفقير يطلق على من
الخمسة الماضية المستغني فلا يطلق عليه لهذا المعنى بل ان سمي فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع
اموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها فانه
احق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله فهو
احق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قوله عليه السلام اعوذ بك من
الفقر وكاد الفقر ان يكون كفرا لا يناقض قوله احيني مسكينا [illegible] اذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر
الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله هو الذي سأله في دعائه

بيان فضيلة الفقر مطلقا

اما من
الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في
سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار
وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر واما الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى فقد قال ابن عمر رضي قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لاصحابه اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن
خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطي جهده وقال صلى الله عليه وآله وسلم لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقال صلى الله
عليه وآله وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفي
حديث باربعين خريفا اي باربعين سنة فيكون المراد به تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص وبالخمسمائة تقدم
الفقير الزاهد على الغني الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقير يعرفك بالضرورة تفاوت الفقراء في درجاتهم فكان
الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسمائة ولا تظنن ان تقدير
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجري على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا ينطق صلى الله عليه وآله وسلم الا بحقيقة الحق فانه
لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة
فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين فاما بالتحقيق فلا فاعلم ان النبوة عبارة
عما يختص به النبي ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من الخواص احدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته
والملائكة والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا لها بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني ان له في نفسه

صفة بها تتم الحركات المتنوعة بالارادة [illegible] وان كانت [illegible] والثالث ان له صفة
بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات والرابع ان له صفة بها يدرك ما سيكون
بالغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها للانبياء
ويعلم انقسام كل واحد الى اقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين والى خمسين والى ستين ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها
الى ست واربعين بحيث تقع الرؤيا الصالحة واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون الا بظن
وتخمين ولا ندري تحقيقا انه الذي اراده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ام لا وانما المعلوم بجامع الصفات التي بها
تتم النبوة واصل انقسامها وذلك لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير ولكنا نعلم ان الفقراء ايضا درجات كما سبق فاما كان هذا
الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد [illegible] التقدم باكثر من اربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك
التقدم باكثر من اربعين سنة الى الجنة واقتضى تلك التقدم بخمسمائة عام فليس يخفى على الانبياء الوقوف على ذلك النوع من
التخمين ولا وقوفه والغرض التنبيه على منهاج التقدير [illegible] فان ضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجري من
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة عن ذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] في الجنة [illegible] وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد وروي ان جبرئيل نزل على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول أتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما
كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساعة ثم قال يا جبرئيل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا
عقل له فقال له جبرئيل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروي عن عيسى عليه السلام انه مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة
فايقظه وقال يا نائم قم واذكر الله تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذا يا حبيبي ومر موسى عليه السلام
برجل نائم على التراب وتحت راسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فاوحى
الله اليه يا موسى اما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن ابي رافع انه قال ورد على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من اليهود [illegible] قال قل له يقول لك محمد اسلفني او بعني
دقيقا الى هلال رجب قال فاتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال اما والله
اني لامين في اهل السماء وامين في اهل الارض ولو باعني او اسلفني لاديت اليه [illegible] امين في اهل الارض ولو باعني او اسلفني
اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا
الآية تعزية له عن الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم الفقر ازين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله
عليه وآله وسلم من اصبح آمنا في سربه معافى في جسمه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله
تعالى لموسى يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا هو برجل
يصطاد حيتانا فقال بسم الله والقى شبكته فلم يخرج فيها حوت [illegible] ثم مر باخر فقال باسم الشيطان والقى شبكته فخرج فيها
من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله
[illegible] للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزليهما فلما رأى ما اعد الله لهذا من الكرامة ولذلك من الهوان قال رضيت يا رب
وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم اطلعت في الجنة فرأيت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت اكثر اهلها الاغنياء وفي
لفظ آخر فقلت اين الاغنياء فقال حبسهم الجد وفي حديث آخر فرأيت اكثر اهل النار النساء فقلت ما شأنهن قيل شغلهن
الاحمران الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه وآله وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة
سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي حديث آخر رأيته دخل الجنة زحفا

وقال عيسى عليه السلام بشدة يدخل الغنى الجنة وفي خبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا احب الله عبدا ابتلاه واذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من احبنا [illegible] تعالى لكل شيء يمكن ان يكون الثاني للتاكيد ويمكن ان يكون المراد به شديد الصبر قال عيسى اني لاحب المسكنة وابغض النعماء وكان احب الاسماء اليه ان يقال يا مسكين ولما قال اهل العرب والاغنياء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ونجيء اليك والحقون يعنون الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وابي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وابي هريرة واصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم فاجابهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى ذلك وذلك انهم شكوا اليه انه يؤذيهم بريحهم وكان لباس اهل الصفة الصوف في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد على الاغنياء ذلك منهم لا سيما الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن بدر الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا يجمعهم واياهم مجلس فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحيوة الدنيا يعني الاغنياء ولا تطع من اغفلنا قلبه اي الاغنياء وقل الحق من ربكم يعني الفقراء فمن شاء فليؤمن الآية ولما استاذن ابن ام مكتوم حيث استاذن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده رجل من اشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده رجل من اشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانزل الله عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى يعني ابن ام مكتوم اما من استغنى فانت له تصدى وما يدريك لعله يزكى يعني ابن ام مكتوم اما من استغنى فانت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يؤتى بالعبد يوم القيمة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن اطعمك في او كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه السلام اكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة فقالوا يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيمة قيل لهم انظروا من اطعمكم كسرة او سقاكم شربة او كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت فاذا بلال ونظرت في اعلاها فاذا فقراء امتي واولادهم ونظرت في اسفلها فاذا فيه من الاغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم قال اما النساء فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني فقال يا رسول الله ما خلصت اليك حتى شيبت الشاب وظننت اني لا اراك فقال لم قال كنت احاسب بمالي فانظر الى هذا وعبد الرحمن بن عوف صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من اهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ومر صلى الله عليه وآله وسلم على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم الا اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذي طمرين لو اقسم على الله لابره وقال عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت نعم بابي انت وامي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليك ادخل فقالت ادخل بابي وامي يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي فقد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله

وجيعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث واني لاكرم على الله منك ولو سألت ربي لاطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة وروي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا ابغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله تعالى باربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء وامارات ما بعده قال ابو الدرداء ذو الدرهمين اشد حبسا او قال اشد حسابا من ذي الدرهم وارسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بالف دينار فجاء كئيبا حزينا فقالت امرأته احدث امر قال اشد من ذلك ثم قال اريني درعك الخلق فشقته وجعلته صررا وفرقته ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسماية عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وقال ابو يحيى رضي الله عنه يطوف في الجنة ثلثة رجال رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له ايهما تريد وجاء بعض المتعلمين الى الثوري فما رأيت الاغنياء قط اذل منهم وكان الاغنياء من اصحابه يودون انهم الفقراء لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغني اذل منه في مجلس الثوري وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما خاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس رضي الله عنه ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك الفقراء من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه احذر ان امقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وكانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة الف درهم في يومها يوجه بها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتيني لفعلت وكانت قد اوصاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي درعا حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم بعشرة آلاف درهم فابى عليه فطلب اليه الرجل فقال ابرهيم تريد ان تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا افعل

بيان فضيلة خصوص الفقراء الراضين والقانعين والصادقين

قال صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا والاول للقانع وهذا للراضي ويكاد يشعر مفهومه بان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما ياتي تحقيقه لعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله وكراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروي عن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيمة وروي عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال احب العباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا واوحى الله الى اسمعيل صلوات الله عليه اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال عليه السلم لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى يوم القيمة اين صفوتي من خلقي فيقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون هذا في القانع والراضي واما الزاهد فسيذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب

الآن في القناعة والرضا فكثيرة وقد قيل ان القناعة تضاد الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما في
ايدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير
يطغيك وقال ابو الدرداء ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان
في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما
يكفيك وقيل كان ابراهيم بن ادهم من اهل النعم بخراسان فبينا هو مشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر وبيده
رغيف يأكله فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه فقال أشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال
ابراهيم في نفسه فما اصنع اذا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله
ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك على من رضي بادون من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع
يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال الحسن لعن الله اقواما اقسم الله عز وجل
لهم ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض الآية وكان ابو ذر جالسا في الناس فاتته
امرأة فقالت له اتجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف
فرجعت وهي راضية وقال ذو النون اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل في الظاهر
والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا
كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقيل في القناعة **شعر**
اضرع الى الله لا تضرع الى الناس ؛ واقنع بيأس فان العز في الياس ؛ واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ؛ ان الغني من استغنى عن الناس
وقيل **شعر** يا جامعا مانعا والدهر يرمقه ؛ مقدرا اي باب منه يغلقه ؛ مفكرا كيف تأتيه منيته ؛ أغاديا أم بها يسري فتطرقه ؛ جمعت مالا فقل لي
هل جمعت له ؛ يا جامع المال اياما تفرقه ؛ المال عندك مخزون لوارثه ؛ ما المال مالك الا يوم تنفقه ؛ ارفه ببال فتى يغدو على ثقة
ان الذي قسم الارزاق يرزقه ؛ فالعرض منه مصون لا يدنسه ؛ والوجه منه جديد ليس يخلقه ؛ ان القناعة من يحلل بساحتها
لم يلق في ظلها هما يؤرقه ؛

بيان فضل الفقر على الغنى

اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص
والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال دعا الجنيد على ابن عطاء
لمخالفته اياه فيه فاصابته محنة وقد ذكرنا هذا في كتاب الصبر وعرفنا التفاوت بين الصبر والشكر وبينا سبيل طلب الفضيلة
في الاعمال والاحوال وانه لا يمكن ذلك الا بتفصيل واما الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يسترب من قرأ الاخبار والآثار في
تفضيل الفقر فلا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع
او راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان
الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان الغني المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن
ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنها وهذا
هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه فاما الغني المتنعم بالمال ولو كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد
له ما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم
كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك فكانوا يقولونه فعاد الفقراء الى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطاء لما سئل عنه فقال الغني
افضل لانه صفة الحق اما دليله فلعله نظر [illegible] على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقراء في
التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن انس بن مالك قال
بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت

من عند قوم احبهم فقالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا
بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست
للاغنياء الخصلة الاولى ان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او
شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الفقير
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الغني مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق فيها عشرة آلاف درهم
وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي مزيد ثواب الفقراء
على الذكر واما قوله ان الغنى وصف الحق فقد [illegible] الاسباب والاعراض فاسقط ولم يتعلق [illegible] فقالوا التكبر من صفات
الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء
وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل
حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات الرب تعالى فهذا الجنس من الكلام في تفضيل الغنى والفقر حاصله
تعلق بعمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغنى بانه صفة الحق بالتكبر كذلك
يناقض قول من ذم الغنى لانه وصف العبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد ان
يفضل الغفلة على العلم وكشف الغطاء في هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف
الى مقصوده اذ به يظهر فضيلته والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوب
لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله وعدم الشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى مثل سليمان صلوات الله عليه وعبد
الرحمن بن عوف وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصود وغاية المقصود في الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد
معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل
على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله وربما يكون شغله
في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم عنها مشغول بها بطلبها والقادر عليها مشغول
بحفظها وبالتمتع بها فاذا ان فرضنا فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد اذ كل
واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذ
الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قال الصحابة
بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الآدميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة
الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر وما يصلح الكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه
وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء
تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى
حلية الذهب والفضة ايضا فاستواء المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء والاولياء ثم بعد فضل الله عز وجل بطول
المجاهدة كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول للدنيا اليك عني اذ كانت الدنيا تتمثل له بزينتها وكان علي رضي الله عنه يقول
يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري وذلك لاستشعار في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا ان رأى برهان ربه وذلك
هو الغنى المطلق اذ قال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذا الاصلح للكافة فقد
المال وان تصدقوا وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة
في بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة وبقدر ما ينقص من صفاته سوى
صفة المعرفة لله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزينتها والقلب اذا تجافى

عما سوى الله وكان مؤنسا بالله منصرفا الى الله اذ لا يتصور قلب خاو وليس في الوجود الا الله وغيره فمن اقبل على غيره
فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من احدهما بقدر بعده من الآخر
بل مثلهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من احدهما يبعد من الآخر بل عين القرب من احدهما
هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا او انسه
بها فاذا فضل السخي والغني بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة القدم وموضع الغرور
فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه
بتفريقه او اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه انه منقطع القلب عنها
فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق به انه كان مغرورا وان العشق كان
مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء فاذا كان ذلك محالا او بعيدا فلنطلق القول
بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته
وعباداته فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تأثيرها في اثارة الانس في قلب فارغ
عن غير المذكور كتأثيرها في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء
ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمان تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام
وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع لي في
ذلك الوقت فان دعاك افضل من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل
عقد الجوهر في جيد الحسناء وكانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء وقد قال الصديق رض اللهم اني اسالك الذل عند
النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثله في كمال الحالة يحذر الدنيا ووجودها فكيف تشك في ان فقد المال
اصلح من وجوده مع ان احسن احوال الغني ان يأخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك يطول حسابه في عرصات القيامة ويطول
انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما رآه
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قال ابو الدرداء ما احب ان لي حانوتا على باب المسجد لا يخطئني فيه صلوة وذكر
اربح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل الله تعالى قيل وما تكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان اختار الفقراء
ثلاثة اشياء والاغنياء ثلاثة اشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل
القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطا من ان الغنى وصف الحق فهو افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود
المال وعدمه جميعا بان يستوي عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى
لان الله غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور ان يسرق وما ذكر في الرد عليه من ان الله ليس غنيا بالاعراض
والاسباب صحيح في ذم غنى يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل
شيء للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل ان يقطع الطريق
تصير الاسماء التسعة والتسعون اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب واما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا
يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله واما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على
العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف الله وانما وصف الله انه اكبر من كل شيء
وانه يعلم انه كذلك والعبد مأمور بان يطلب اعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فقط
العبد ان يعلم انه كذلك والعبد مأمور بان يطلب الاعلى ان المؤمن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم اكبر من
الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكان

صفة الكبر حاصلة له بالتحقيق وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف
تتفق فلجهله به وجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان ويختم له بالكفر فلم يكن ذلك لعيبه
لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور ان تعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالا في حقه لانه من صفات الله ولما كانت معرفة
بعض الاشياء قد يضر صارت تلك العلم نقصانا في حقه اذ ليس من اوصاف الله علم يضر فعرفت الامور التي للناس فيها التصور
في العبد من صفات الله فالحرية هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاما لو استوى عنده وجود المال
وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة فاما الغنى بوجود المال فلا
فضيلة فيه اصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص الى الغني
الحريص ولنفرض هذا في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فاي حالتيه
افضل فنقول ينظر ان كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحالة الوجود افضل
لان الفقد يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدرا مدخولا بشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال
صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر ان يكون كفرا اي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب
فوق الحاجة او كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك السبيل فحالة الفقر اصلح وافضل لانهما استويا
في الحرص وحب المال واستويا في ان كل واحد ليس مقصوده الاستعانة على الطريق واستويا في ان كل واحد ليس همهما يعرض للمعصية
بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد يأنس بما وجد فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن الى الدنيا واما الفاقد المضطر فيتجافى قلبه
عن الدنيا وتكون الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوى الامور كلها وخرج من الدنيا هذان فالذي احدهما اشد
ركونا الى الدنيا فحاله اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه
وآله وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب
ما لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله فيكون قدومك بالموت على
ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون اذاه في فراقه بقدر حبه وقدر انسه به وانس الواجد للدنيا القادر عليها
بالدنيا اكثر من انس الفاقد لها وان كان حريصا عليها فاذا قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة
الخلق الا في موضعين احدهما غنى مثل غنى عائشة يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له اذ يستفيد به ادعية الفقراء
والمساكين وجمع همتهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فانه كاد ان يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان
وجوده سبب حيوته ثم يستعين بحيوته على الكفر والمعاصي فلو مات جوعا لكانت معاصيه اقل فالاصلح له ان يموت
جوعا ولا يجد ما يضطر اليه فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له
هم سواه وفي غني دونه في الحرص على حفظ المال ولكن يتفجع بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر
والظاهر ان بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بسببه والعلم عند الله فيه

بيان ادب الفقير في فقره

للفقير آداب في باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها اما في باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما
ابتلاه الله تعالى به من الفقر اعني انه لا يكون كارها فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه بها
ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها له بل ربما يتقلد منه منة فهذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر
وهو معنى قوله عليه السلام يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون
كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله وثقته
بقدر ضرورته انه ياتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف ولذلك قال علي رضي الله عنه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات
بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله على فقره ومن علامته انه

اذا كان عقوبة ان يبتلى بطلب خلقه فيعصى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على ان كل فقير فليس بمحمود بل الذى لا يتسخط
او يرضى ويفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطى عبد شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول حساب
واما فى ظاهره فينبغى ان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره ففى الحديث ان الله تعالى
يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال
بعضهم ستر الفقر من كنوز البر واما فى اعماله فان لا يتواضع لغنى لاجل غناه بل يتكبر عليه وقال على رضى الله عنه ما احسن تواضع الغنى للفقير
رغبة فى ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب فى
مجالستهم لان ذلك من مبادى الطمع قال الثورى اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان فاعلم انه
لص وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل وينبغى
ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا فى العطاء واما ادبه فى افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن العبادة ولا يمنع بذل قليل
ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى عن زيد بن اسلم انه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله
مائة الف فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة
الالف وينبغى ان لا يدخر الا قدر حاجته ويخرج الباقى وفى الادخار ثلاث درجات احدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته
وهى درجة الصديقين والثانية ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل فى طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله
تعالى لموسى صلى الله عليه وآله وسلم ففهم منه الرخصة فى امل الحياة اربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنة
وهى اقصى المراتب وهى رتبة الصالحين ومن زاد فى الادخار على هذا فهو واقع فى غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية
فغنى الصالح الضعيف فى طمأنينة قلبه فى قوت سنة وغنى الخصوص فى اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص فى يوم وليلة

بيان آداب الفقير فى قبول العطاء اذا جاءه بغير سؤال ينبغى ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة امور نفس المال وغرض
المعطى وغرضه فى الاخذ اما نفس المال فينبغى ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه وقد
ذكرنا فى كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابها وما يستحب واما غرض المعطى فلا يخلو اما ان يكون غرضه تطييب قلبه وطلب
محبته وهو الهدية او الثواب وهو الصدقة او الزكوة او الذكر والرياء والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض اما
الاول وهو الهدية فلا باس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن ينبغى ان لا يكون فيه منة فان كان فيه
منة فالاولى تركها فان علم ان بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض اهدى الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم
سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال
لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشى او ثقفى او انصارى او دوسى وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت فتح الموصلى صرة فيها
خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله
عز وجل ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروى هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة
من دقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله عز وجل يوم القيمة وليس له
خلاق وهذا يدل على ان امر العالم والواعظ اشد فى قبول العطاء وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابراهيم التيمى يسأل من
اصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذ وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيئا يقول اتركه
عندك وانظر ان كنت بعد قبوله فى قلبك افضل منى قبل القبول فاخبرنى حتى آخذ والا فلا وامارة هذا ان يشق عليه الرد
لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه فى قبول صديقه هديته فان علم انه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند
الفقراء الصادقين وقال بشر ما سألت احدا قط شيئا الا سريا السقطى لانه قد صح عندى زهده فى الدنيا فهو يفرح بخروج

الشىء من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عونا له على ما يحب وجاء خراسانى الى الجنيد بمال وسأله ان يأكله فقال افرقه على الفقراء
فقال ما اريد هذا فقال ومتى اعيش حتى آكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه فى الخل والبقل بل فى الحلاوى والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراسانى
ما اجد فى بغداد امن على منك فقال الجنيد ولا ينبغى ان يقبل الا من مثلك والثانى ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او زكوة
فعليه ان ينظر فى صفات نفسه انه هل هو مستحق للزكوة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى كتاب اسرار الزكوة
وان كان صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية فى السر يعلم ان المعطى لو علم ذلك لنفر طبعه
ولما تقرب الى الله عز وجل بالتصدق عليه فهذا حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوى ولم يكن فان اخذه حرام محض لا شبهة
فيه الثالث ان يكون غرضه الشهرة والرياء والسمعة فينبغى ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه الفاسد
وكان سفيان الثورى يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم فى رده ما كان ياتيه
من صلة فقال انما ارده عليهم اشفاقا ونصحا لهم لانهم يذكرون ويحبون ان يعلم به فيذهب اموالهم ويحبط اجورهم واما غرضه
فى الاخذ فينبغى ان ينظر اهو محتاج اليه فيما لا بد له منه او هو مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والآفات
التى ذكرناها فى المعطى فالافضل له الاخذ قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما المعطى من سعة باعظم اجرا من الآخذ اذا كان محتاجا وقال
صلى الله عليه وآله وسلم من اتاه شىء من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفى لفظ آخر فلا
يرده وقال بعض العلماء من اعطى ولم ياخذ سأل ولم يعط وقد كان سرى السقطى يوصل الى احمد بن حنبل شيئا فرده مرة فقال له السرى
يا احمد احذر آفة الرد فانها اشد من آفة الاخذ فقال له احمد اعد على ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك الا لان
عندى قوت شهر فاحبسه لى عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الى وقد قال العلماء يخاف فى الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع
او دخول فى شبهة او غيره فاما اذا كان ما اتاه زائدا على الحاجة فلا يخلو اما ان كان حاله الاشتغال بنفسه او التكفل بامور الفقراء
والانفاق عليهم لما فى طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالبا لطريق الآخرة فان ذلك
محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو من سبيل الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم له مقامان احدهما
ان ياخذ فى العلانية ويرد فى السر او يفرق فى السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا تطيقه الا نفس اطمأنت
بالرياضة والثانى ان يترك ولا ياخذ ليصرفه صاحبه الى من هو احوج منه او ياخذ ويوصل الى من هو احوج فيفعل كلاهما فى السر
او كلاهما فى العلانية وقد ذكرنا ان الافضل اظهار الاخذ او اخفاؤه فى كتاب اسرار الزكوة مع جملة من احكام الفقر فليطلب
منه وامتناع احمد بن حنبل عن قبول عطاء سرى السقطى انما كان لاستغنائه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه ان
يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان فى ذلك آفات واخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات اذ لم يامن مكيدة الشيطان
على نفسه وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندى دراهم اعددتها للانفاق فى سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول
بصوت خفى جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت فى
نفسى لا اجد لدراهمى موضعا احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم وقال اربعة ثمن مئزرين ودرهم انفقه
ثلاثا فلا حاجة بى الى الباقى فرده قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس فى نفسى منه شىء فالتفت الىّ فاخذ
بيدى فاطافنى معه اسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت
ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر للناس فقال هذا كله قد اعطانيه فزهدت فيه وآخذ من ايدى الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك
للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود ان الزيادة على قدر الحاجة انما تاتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة
ياتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا حق لابن آدم الا فى ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب
فاذن انت فى اخذك قدر الحاجة من هذه الثلث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للحساب وان عصيت الله متعرض للعقاب

ومن الاحتياط ايضا ان يتهم على نفسه انه من اللذات تقربا الى الله وكسر الصفة النفس فانك عسى ان تصنع اليقين به من عند ك
فالاولى ان لا تشاغ عنه فان النفس اذا انحصت في نقض العزم انست بنقض العهد وعاودت لعادتها فلا ينبغي تركها وقد ذكرنا هم
من ان ياخذ فان اخذت وصرفته الى المحتاج فهو غاية الزهد ولا يستطيعه الا الصديقون فاما اذا كان حالك السخاء والبذل في
الحكمة يحمى في الشرك وتتقيد جماعة من المحتاجين فخذ ما يزيد على حاجتك فانه غير زايد على حاجة الفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا
تدخر فان في امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبارا فربما يحلو في قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة
اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله
ان يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضى الله
عنه وارضى غرماه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده
ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من مال بيت المال ومن الزكوات وقد قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما آتاه الله قيل معناه ليبع احد ثوبيه وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم ان لله عبادا
ينفقون على قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوائف الاقوياء
والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال اما الاقوياء فهم اهل التوكل على الله واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله عز وجل واما
الاغنياء فهم اهل الانقطاع الى الله فاذا هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي ولياخذ منه وينبغي ان يرى ما ياخذه من الله
لا من المعطي فان المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات فقد حكي ان
بعض الناس دعا شقيقا في خمسين من اصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعدوا قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت
هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ما ا
قصدت بهذا قال اردت ان اختبر توحيد اصحابي كلهم وقال موسى يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغديني هذا
يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليوجروا فيهم فلا ينبغي
ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر ماجور

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه

اعلم انه قد وردت
مناهي في السؤال وتشديدات وورد فيه ايضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله
عليه وآله وسلم للسائل حق ولو جاء على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز
اعانة المتعدي على عدوانه والاعطاء اعانة فالكاشف للغطاء فيه ان السؤال حرام في الاصل وانما يباح بضرورة او حاجة مهمة قريبة
من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلاثة امور محرمة الاول اظهار الشكوى من الله
اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله عنه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو سال لكان سؤاله تشنيعا على
سيده فكذا سؤال العباد تشنيعا على الله تعالى وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا لضرورة كما تحل الميتة والثاني ان فيه اذلال السائل
نفسه لغير الله وليس للمؤمن ان يذل نفسه الا لمولاه فان فيه عزه فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة
وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤول والثالث انه لا ينفك عن ايذاء المسؤول غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب
قلب منه فان بذل حياء من السائل او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيى وتاذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة
البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما موذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة
ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فهمت قوله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش
غيرها فانظر كيف سماه فاحشة ولا يخفى ان الفاحشة انما تباح بضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله
عليه وآله وسلم من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم
وفي لفظ آخر كانت مسالته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا فكان ابو بكر يتعفف عن السؤال وقال
من سالنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله وقال ومن لم يسألنا فهو احب الينا وقال استغنوا عن السؤال وما قل من السؤال فهو خير
قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسال بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا
يسال فقال الم اقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم
اخذ المخلاة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه ولا اخذ مخلاته ولعل
الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول اما ضربه فهو تاديب وقد ورد الشرع بالتعزير فاما
اخذ مخلاته فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بالمال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور في الفقه واين يظهر
الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على اسرار دين الله ومصالح عباده افترى انه لم يعلم ان المصادرة بالمال غير
جائز او علم ذلك ولكن اقدم عليه غضبا في معصيته وحاشاه او اراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله صلى الله عليه وآله
وسلم هيهات فان ذلك ايضا معصية بل الفقه الذي لاح له فيه انه راه مستغنيا عن السؤال وعلم ان من اعطاه شيئا فانما
اعطاه على اعتقاد انه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه باخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده الى اصحابه
اذ لا يعرف باعيانهم فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل اخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا
كاخذ العلوي بقوله اني علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفي الصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن
مقارف لمعصية لو عرفها المعطي لما اعطاه وقد ذكرنا في مواضع ان ما اخذوه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد على المالك
فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه
على بطلان فعل عمر رضي الله عنه فاذا عرفت ان السؤال يباح لضرورة فاعلم ان الشيء اما ان يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة
او حاجة خفيفة او مستغنى عنها فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسؤال
العاري وبدنه مكشوف وليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسؤول بكونه مباحا والمسؤول منه بكونه راضيا في الباطن
والسائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من له
خط فهو قادر على الكسب بالوراقة واما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله او امثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان
واما المحتاج حاجة مهمة فهو كالمريض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكمن له جبة لا قميص
تحتها في الشتاء وهو يتاذى بالبرد تاذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسال لاجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا ايضا ينبغي
ان تسترسل عليه الاباحة لانها ايضا حاجة محققة ولكن الصبر عليه اولى وهو بترك السؤال تارك للاولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما
صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني اذى اطيقه ولكن يشق علي فاذا صدق صدقه يكون كفارة لسؤاله
ان شاء الله واما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر به الخروق من ثيابه عن اعين الناس وكمن
يسال لاجل الادام وهو واجد للخبز وكمن يسال الكراء لفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار او يسال كراء المحمل وهو قادر على الراحلة
فهذا ان كان فيه تلبيس الحال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن فيه وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى او الذل
او ايذاء المسؤول فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباح بها هذه المحذورات وان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهية
فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق
ولا يسال سؤال المحتاج لكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهي فضلة عن الحاجة
وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى واما الذل فان يسال اباه او قريبه او صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه
ولا يزدريه بسبب سؤاله او الرجل السخي الذي قد اعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثلك ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط
عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة ولابد واما الايذاء فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا

بحيث لا يقدم على البذل الا مستحييا لا بصدق الرغبة وان كان في القوم من يعرفه ولو لم يبذل لكان يلام فهذا الذي انما يبذل كرها
خوفا من الملامة ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسال معينا فينبغي ان لا يصرح بل
يعرض تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل ان اراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متاذ به وينبغي ان يسال
من لا يستحيي منه لو رده او تغافل عنه فان الحياء من السائل يؤذي كما ان الرياء مع غير السائل يؤذي فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان الباعث
المعطي هو الحياء منه او من الحاضرين ولولاه لما ابتداه به فهل هو حلال او شبهة فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم
اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف
الملام وسوط الباطن اشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز ان يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم
نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال
فاضطروا الى الحكم بظاهر القول باللسان مع انه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله
والحاكم فيه احكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك وافتوك فان
المفتي معلم القاضي والسلطان ليحكم في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة
كما ان بفتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فاذن ما اخذه مع الكراهة لا يملكه وبين الله وبينه يجب عليه الرد على صاحبه
فان كان يستحيي من ان يسترده ولم يسترده فعليه ان يثيبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن
عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه فيما بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف
فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل انه راض
ولا يكون هو في الباطن راضيا فاقول لذلك ترك المتورعون السؤال راسا فما كانوا ياخذون من احد شيئا اصلا فكان بشر لا ياخذ
من احد اصلا الا من السري وقال لاني علمت انه يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحب وانما عظم النكير في السؤال وتاكد
الامر بالتعفف لهذا لان بذل الاذى لا يحل الا بضرورة وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه
من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له اكل لحم الخنزير واكل الميتة وكان امتناع الورعين ومن ارباب القلوب من كان واثقا
ببصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا ياخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا ياخذ الا من اصدقائه
ومنهم من كان ياخذ ما يعطيه بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الكبش والسمن والاقط وكان هذا فيما يعطى
من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد يكون رغبته طمعا في جاه او طلبا للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك
واما السؤال فقد امتنعوا عنه راسا الا في موضعين احدهما الضرورة فقد سال ثلاثة من الانبياء في مقام الضرورة سليمان وموسى والخضر
صلوات الله عليهم ولا شك في انهم ما سالوا الا من علموا انه يرغب في اعطائهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد
كانوا ياخذون اموالهم بغير سؤال واستئذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا
باخوانهم انهم يفرحون بمباسطتهم فاذا كانوا يسالون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون
عن السؤال وحد اباحة السؤال ان يعلم ان المسؤول بصفة لو علم بك الحاجة لابتداك دون السؤال فلا يكون لسؤالك
تاثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في رضا الباطن
وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين
الحالتين احوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزاز القلب فانه الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال
سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن
الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال ان اطيب ما اكل الرجل من
كسبه وقد اوتي صلى الله عليه وآله جوامع الكلم لان من لا كسب له ولا مال موروث له فلا ياكل الا من ايدي الناس وان اعطي بغير سؤال فانما يعطى

بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف للمعطي لم يعطه فيكون ما ياخذه حراما او شبهة وان اعطي بسؤال فاين من يطيب قلبه بالعطاء اذا
سئل واين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت احوال من ياكل من ايدي الناس علمت ان جميع ما ياكله او
اكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبته انت او مورثك فاذن بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدي الناس فنسال
الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وسعة جوده.

بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال

اعلم ان قوله صلى الله عليه وآله وسلم من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس
الينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنى الله تعالى قالوا وما هو قال غداء يوم او عشاء
ليلة وفي حديث آخر من سال وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد سال الحافا وورد في لفظ آخر اربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات
وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب
ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وآله وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته
وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلاث اصلا في الحاجات لبيان اجناسها والنظر في الاجناس وفي المقادير وفي الاوقات
فاما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من
المهمات ويلحق بنفقة عياله وولده وكل من تحت كفالته كالدابة ايضا واما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد وقميص
ومنديل وسراويل ومداس واما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا اثاث البيت ولا يعني ان يطلب رقة الثياب
وكون الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه
ما لم يكن في غاية البعد عن العادة واما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير واما الادم على
الدوام ففضلة وقطعه بالكلية اضرار ففي طلبه في بعض الاحوال رخصة واما المسكن فاقل ما يجزي من حيث المقدار وذلك من
غير زينة فاما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى واما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم
وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احدها المحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج
اليه في اربعين يوما او خمسين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال لسنة
فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير يكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد
اما المعيل فربما لا يكفيه وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولم تفته فرصته فلا يحل له السؤال لانه
مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد
في التقدير بهذا القدر وان كان تفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السؤال لان امل البقاء سنة غير
بعيد فهو بتاخير السؤال خائف ان يبقى مضطرا عاجزا عما يغنيه وان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما
لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهة ويكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت
وتراخي المدة التي فيها يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله فيستفتي
فيه قلبه ويعمل به ان كان سالكا طريق الآخرة وكل من كان يقينه اقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت
اظهر فدرجته عند الله اعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك الا من ضعف اليقين والاصغاء الى
تخويف الشيطان وقد قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء
والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال من الفحشاء الذي ابيح بالضرورة وحال من يسال لحاجة متراخية عن يومه وان كان
داخل السنة اشد من حال من يملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران
عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهي من امهات المهلكات.

بيان احوال السائلين

كان بشر يقول الفقراء
ثلاثة فقير لا يسال وان اعطي لم ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات

الفردوس ومن يسأل عند فاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين فاذن قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة
يحط المرتبة والدرجة وقال ابرهيم بن ادهم لشقيق بن ابرهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك قال
تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد اثنى عليهم غاية الثناء فقال ابرهيم هكذا تركت
كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك يا ابا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا آثروا فقبل راسه
وقال صدقت يا استاذ فاذن درجات ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة
من معرفتها ومعرفة انقسامها وتفاوت درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل السافلين
الى اعلى عليين وقد خلق الانسان في احسن تقويم ثم رد الى اسفل سافلين ثم امر ان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل
والعلو لا يقدر على الرقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يعبر عليه ارباب الاحوال قد تغلبهم حالة تقتضي ان
يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فانما الاعمال بالنيات وذلك كما روي ان بعضهم رأى
ابا الحسين النوري يمد يده ويسأل الناس في بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا
يعظم هذا عليك فان النوري لم يسأل الناس الا ليعطيهم انما سألهم ليثيبهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضرهم وكأنه اشار
به الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي هي يد الآخذ لانه يعطي الثواب والقدر له
لا لما يأخذه ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت في
نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اسأله فذهبت بالصرة الى النوري فقال
هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك شيئا واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسألته فقال الجنيد
رجل حكيم يريد ان يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فاخذت
ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد ما لنا الله المستعان
فانظر الآن كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان
ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال بالكنه على الله تعالى فمن انكر
ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان بطل اجتهاده حق الجد لكنه
لم يصل فانكر ذلك لغيره كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه لعلة في باطنه فانكر كون الدواء مسهلا وهذا وان
كان في الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما
ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك الطريق ولم يصل ولكنه
آمن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين
اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين
الذين هم قتلى القلوب الضعيفة واتباع الشياطين فنسأل الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين آمنا به كل من عند
ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

الشطر الثاني

من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد اعلم ان الزهد في
الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان ابواب الايمان كلها كما قال
السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكأن القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه
وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة
فلنذكر الحال مع طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير
منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته في غيره فحاله بالاضافة
الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذن يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه

هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى
زاهدا كتارك التراب والحجر والحشرات لا يسمى زاهدا وانما يسمى تارك الدراهم والدنانير زاهدا لان التراب والحجر ليسا في
مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشترى
عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض رغبة وحبا ولذلك قال الله تعالى وشروه
بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه وقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه
اذ طمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة
فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن زهد
في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو الميل المطلق في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة
عن محبوب بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو احب منه والا فترك المحبوب لغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله
حتى الفراديس ولا يحب الا الله فهو الزاهد المطلق والذي رغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة
بل طمع في الحور والقصور والانهار والفواكه فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض
كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة
من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض المعاصي في التائبين صحيحة فان التوبة عبارة
عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على ترك بعض المباحات دون البعض
كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة
تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذن الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الآخرة او عن غير الله عدولا الى الله وهي الدرجة
العليا وكما يشترط في المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال
وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا
ففيماذا زهدت واما العلم الذي هو مثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ كعلم التاجر بان العوض
خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور زوال الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان
الآخرة خير وابقى اي لذاتها خير في انفسها وابقى كما يكون الجوهر خيرا من الثلج مثلا وهو ابقى كما يكون الجوهر ابقى من الثلج ولا
يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلي فهكذا مثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى
الانقراض والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع
والمعاملة حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في
سبيل الله ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان
الآخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا
في يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت
والى التعريف بخساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى التعريف بنفاسة الآخرة الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا
العلم ويلكم ثواب الله خير فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب
في احب منه قال رجل اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تقل هكذا ولكن قل ارني الدنيا كما اريتها الصالحين
من عبادك وهذا لان الله يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو
خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الارض لانه مستغن عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا
عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراه متفاوتا بالاضافة الى غيره والزاهد

من الذي يرى مشاهدة تبدال الاضافة الى الجنة الا الحر ولها العمل الصادر عن حال الزهد هو ترك واحد لانه بيع ومعاملة ولا يستبدل الا الذي هو ادنى بالذي هو خير فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد فمن سلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف بالزهد في ابن يامين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه بل عند الاخراج والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فلست بزاهد في جميعها ولست بزاهد مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك انك زاهد فينبغي ان لا تدلي بحبل غروره دون ان تستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عند القدرة فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك ان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ الذي تأخذه عليها ان تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا بأس بان تثق بها وثوقا ما ولكن تكون من تغير الحال على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى ابن هذا الحائك لا يفتي في مسئلة الا رد علينا يعني ابا حنيفة قال ابن شبرمة لا ادري هو ابن الحائك ام ما هو ولكني اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها ولذلك قال جميع السلمين انما نحب ربنا ولو علمنا في اي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الى قوله ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انت منهم يعني من القليل قال وما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة واعلم انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لها في العبادات انما الزهد ان تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فاما كل نوع من الترك فانه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من الحظوظ العاجلة وهي الذ واهنى من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا لما في حفظ الاموال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ آخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من ان يأنس بها فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله فيكون مشركا في حب الله تعالى غيره او تركها طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الآخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة اصلا

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال الله تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة فوصف الكفار بذلك فمفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الآخرة على الحيوة الدنيا واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأيتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير فقال كل مخموم القلب صدوق اللسان فقلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهوم هذا ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ومفهومه ايضا ان محب الدنيا متعرض لبغض الله وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وآله وسلم عرفت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه فانظر كيف بدأ في اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال عبد نور الله الايمان في قلبه ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى الشرح في قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وآله وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا لنستحيي منه قال ليس كذلك تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون فبين ان ذلك يناقض الحياء من الله ولما قدم عليه وفد قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة لايمانهم وقال جابر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي رضي الله عنه فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط معها غيرها صفه لنا نعرفه فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال ايضا السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة وروى ابن المسيب عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة في قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم مر في اصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من احب

اموالهم اليوم وانسها عنهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر لعظمتها في قلوبهم قال تعالى واذا العشار عطلت فاعرض عنها رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم وغض بصره فسئل يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا قوله تعالى
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الآية وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك
قالت وبكيت لما رايت من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سالت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت
من الارض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد
ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي الا ان يكلفني
ما كلفهم فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل والله ما لي بد من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي ولا حول ولا
قوة الا بالله وروي عن عمر رضي الله عنه انه قالت له ابنته حفصة حين فتح الفتوحات البس لين الثياب اذا قدمت عليك الوفود
من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضرك فقال عمر يا حفصة الست تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته
فقالت نعم قال انشدك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو واهل بيته
غدوة الا جاعوا عشية ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة وانشدك الله هل تعلمين ان النبي صلى الله عليه واله وسلم لبث في النبوة
كذا وكذا سنة ولم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله عليه خيبر وانشدك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قربتم
اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على ادون من ذلك او وضع بالارض
وانشدك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة باربع فنام عليها فلما
استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها وانشدك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم كان يضع ثيابه ليغسل فياتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها الى الصلاة
وانشدك الله هل تعلمين ان امراة من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم كساءين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل
ان يبلغ الآخر فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال حتى ابكاها وبكى عمر رضي
الله عنه وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة في قول عمر وهو انه قال كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت
غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما واني والله ساصبر على عيشهما الشديد لعلي ادرك معهما عيشهما الرغيد وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباءة وان كان احدهم ليبتلى بالقمل
حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة البقل
ترى في بطنه من الهزال فهذا ما كان اكرم الانبياء واصفياء الرسل وهم اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث
عمر رضي الله عنه لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة قال صلى الله عليه واله وسلم تبا للدنيا والدينار والدرهم فقلنا نهانا الله عن كنز
الذهب والفضة فاي شيء ندخر فقال صلى الله عليه واله وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر
آخرته وفي حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هم لا يفارق قلبه
ابدا وفقر لا يستغني ابدا وحرص لا يشبع ابدا وقال صلى الله عليه واله وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه
من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وقال المسيح صلوات الله عليه الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله
لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال فكيف تستقيم عبادة مع
حب الدنيا وقال صلى الله عليه واله وسلم ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما
اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وعن ابن عباس قال خرج رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف
سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افظعته فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم امر الله القيامة

ان تقوم فقال لا ولكن هذا اسرافيل نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح
الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا
ملكا وان شئت نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان تواضع لله فقال بل نبيا عبدا ثلاثا وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا اراد الله بعبد
خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه واله وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما
في ايدي الناس يحبك الناس وقال صلى الله عليه واله وسلم من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا
وقال صلى الله عليه واله وسلم من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهي عن الشهوات ومن ترقب الموت
ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ويروى عن نبينا صلى الله عليه واله وسلم اربع لا يدركن الا بعجب الصمت
وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء ولعظم الحاجة الى الزهادة في بغض الدنيا وعظم خطرها لم يكن الانبياء بعثوا
الا لصرف الناس عن الدنيا الى الآخرة فاليه يرجع اكثر كلامهم مع الخلق فيما اوردناه كفاية واما الآثار فقد جاء في الاثر لا يزال
لا اله الا الله يدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم
فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر
الآخرة ابلغ من الزهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدور التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذاك قال كانوا ازهد في الدنيا منكم وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال
بلال بن سعد كفى به ذنبا ان الله عز وجل يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال
ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا
لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين في الجنة وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي من الله ثلاث خصال ان اموت حين
اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطي ذلك كله ويروى ان بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء بجوائز فقبلوها
وارسل الى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وانت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال اتدرون ما
مثلي ومثلكم الا كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لان ينتفعوا بجلدها كذلك انتم اردتم ذبحي على كبر
سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير كان عيسى ابن مريم صلى الله عليه واله وسلم يلبس الشعر
وياكل الشجر ويبيت حيث امسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبا لغد ابدا وقالت امراة ابي حازم لابي حازم هذا الشتاء
قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال ابو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف
بين يدي الله ثم الجنة او النار وقال ابراهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة اغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب
الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص واذا حزنت على المفقود فانت
ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود ركعتان من زاهد خير الى الله
من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا اكثر من نعمته فيما صرف
الينا وكانه التفت الى معنى قوله صلى الله عليه واله وسلم ان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون
عليه واذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المؤدي الى الصحة اكثر منها في الاعطاء المؤدي الى السقم وكان الثوري يسمي الدنيا دار
التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن على شقاء وقال سهل لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع من
اربعة اشياء الجوع والعري والفقر والذل وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل
ولا ياسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة او ستين سنة لم يطو له ثوب
ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا امر في بيته بصنعة طعام فاذا كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون
وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة داموا في شكرها وسالوا الله ان يقبلها

منهم واذا عملوا السيئة اخرتهم وسالوا ان يعيننا على ذلك والله ما سالوا من الذنوب والخطايا الا العفو

بيان درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه اعلم ان الزهد في نفسه متفاوت بحسب تفاوت
قوته على ثلث درجات الدرجة السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها
وهذا يسمى المتزهد وهو مبدا الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب اولا نفسه ثم كيسه والزاهد
يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى
الدنيا والى الاستراحة بها في قليل او كثير الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك
درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه
كما يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان
الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شيء فيكون
كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالاضافة الى الله ونعيم الآخرة اخس من خزفة
بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان
تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع وقال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شيء تتكلم قال في الزهد قال
في اي شيء قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في شيء الدنيا لا شيء ايش يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند اهل
المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز
فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها
الى كلبه في مقابلة ما ناله والشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة
خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ثم يحتاج الى اخراج
الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى
نعيم الآخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى
الف الف سنة صافيا عن كل كدورة لما كان لا نسبة له الى نعيم الابد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها
الى نعيم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا اذا يراه شيئا معتدا به ولا يراه
شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه
ايضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر
التفاته الى زهده واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب فيه فهي ايضا على ثلث درجات الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه
النجاة من النار ومن سائر الالام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال
كما وردت الاخبار اذ فيه ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكانهم
رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات
الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم
بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه فلا يلتفت
قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله وهو الذي اصبح وهمومه
هم واحد وهو الموحد الذي لا يطلب غير الله لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة
الى مطلوبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف
الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان

الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر الى
وجه الله تعالى ولا يؤثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله الكريم يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم
بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء
على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك
للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على
كافة الخلق واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة فلا نشتغل بنقل
الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه
بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها اشرح لاحاد الاقسام وبعضها اجمل للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو
كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة
وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد
في المال والجاه واسبابهما اذ اليهما ترجع جميع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه
اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة واعني به كل علم وقدرة
مقصودها ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان
جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في اية واحدة سبعة منها
فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده في اية اخرى الى خمسة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد ثم رده في موضع اخر الى اثنين فقال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع اخر فقال ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه فاذا فهمت طريق الاجمال
والتفصيل عرفت ان البعض من هذا لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجمال اخرى والحاصل ان الزهد عبارة
عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر امله لا محالة لانه انما يريد البقاء
ليتمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحيوة الا حب دوام ما هو موجود او ممكن
في هذه الحيوة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب
فقال الله قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين اما
الزاهدون المحبون لله فقاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال
يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله او نيل رتبة الشهادة وكان
من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد لما احتضر للموت على فراشه كان يقول كم غررت
بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وانا الان اموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من اثار
الجراحات رضي الله عنهم اجمعين واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه
فانه ملاقيكم فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان الله اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا
متاع عشرين سنة او ثلثين سنة لتمتع الجنة الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان المزهود فيه واذا فهمت هذا علمت
ان ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض اقسامه فذكر كل واحد منهم ما راه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه فقال
بشر الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد

في الجوف مستقذرا ملك من مطبخك فكذلك تتركها ان هذا اشارة الى الزهد في جنس واحد ولعله من اغلب الشهوات على الاكثر
وهي المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد هو القناعة وهو اشارة الى المال خاصة وقال الثوري الزهد هو قصر الامل
وهو جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول امله ومن قصر امله فكانه رغب عن الشهوات كلها وقال اويس
اذا خرج يطلب ذهب الزهد واصدقه بطلبه الزهد كحمل التوكل خطا في الزهد وقال الاوزاعي ايضا الزهد هو ترك الطلب
للعيش وهو اشارة الى الرزق وقال اهل الحديث الدنيا هو العمل بالراي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة
وهذا ان اريد به الراي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه خاصة او الى بعض
ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيها في الاخرة وقد طولوها حتى ينقضي عمر الانسان في الاستعمال بواحد منها
فشرط الزاهد ان يكون الفضول اول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذي اذا راى احدا قال هو افضل مني فذهب الى ان الزهد
التواضع وهذا اشارة الى نفي الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال واين هذا ممن يقول
الزهد هو ترك الطلب كما قاله يوسف بن اسباط ولا شك في انه اراد به طلب الحلال وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك
الشهوات واكل الخبز من الحلال فقد اخذ باصل الزهد فهذه الاقاويل وما لم نقله لم نر في نقله فائدة فان من طلب كشف
حقائق الامور من اقاويل الناس راها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة واما من انكشف له الحق في نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه
لا بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار
حاجته وهؤلاء كلهم اصحاب القصور في البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروا بقدر الحاجة والحاجات
مختلفة فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال
تختلف فلا جرم الاقوال المخبرة عنها تختلف واما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف وانما الجامع من جملة
الاقاويل الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد
عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث فقد
ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقرا ابو سليمان قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه
غير الله وقال انما زهدوا في الدنيا ليتفرغ قلوبهم من همومها للاخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود
فيه فاما بالاضافة الى احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قال ابراهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل
هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك
من الزهد وقيل لمالك بن انس ما الزهد قال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما يترك فلا نهاية للزهد اذ لا نهاية لما يتمتع
النفس به في الخطرات واللحظات وسائر الحالات لا سيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء بل الاموال الظاهرة
ايضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن اقصى درجاتها زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان اما كنت
تركت الدنيا فما الذي بدا لك قال وما الذي تجدد قال توسدك الحجر اي تنعمت برفع راسك عن الارض في النوم فرمى الحجر
وقال خذه مع ما تركته لك وروي عن يحيى بن زكريا انه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس
اللمس فسالته امه ان يلبس مكانها جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت علي الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى
ما كان وقال احمد الزهد زهد اويس بلغ من العري ان جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط انسان فاقامه
صاحب الحائط فقال ما اقمتني انت انما اقامني الذي لم يرض لي ان اتنعم بظل الحائط فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا
حصر لها واقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك
من درجاته في شيء ثم راوا انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الان فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد
ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله

فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله تعالى الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورات
النفس فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله
فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي ان
يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات
حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغي ان تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد
المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوي على الطاعة فذلك لا يناقض الزهد
بل هو شرط الزهد فان قلت لا بد وان اتلذذ بالاكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب
الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله الى زوال الم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح به ولكن لا يكون ذلك مقصودا
عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الاسحار وصوت الطيور ولكن
اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه
نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وانس القلب به فيكون فيه انس بالدنيا ونقصان في الانس بالله بقدر وقوع الانس
بغير الله ولذلك كان داود الطائي له حب مكشوف فيه ماء لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة
الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فمدته
قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التابيد لا يثقل على اهل المعرفة القاهرين انفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين
في معرفة السعادة التي بين الدنيا والاخرة

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة

اعلم ان ما الناس
منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذ يقتنيها الانسان ليركب وهو قادر على المشي والمهم
كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل اصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم ايضا يتطرق اليه
فضول في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح
والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب
الرياء من ربع المهلكات ونحن الان نقتصر على بيان هذه المهمات الستة الاول المطعم ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم به صلبه
ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من يملك طعام يومه
فقد لا يقنع به واما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله اما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل واقل درجات الزهد فيه
الاقتصار على دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه وهي
الدرجة العليا الثانية ان يدخر لشهر او لاربعين يوما والثالثة ان يدخر لسنة فقط وهي رتبة ضعفاء الزهاد ومن
ادخر لاكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لان من امل بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب
ولم يرض لنفسه الاخذ من الايدي كداود الطائي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد
اصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد واما عرضه فبالاضافة الى المقدار واقل درجاته في اليوم والليلة نصف
رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في اطعام المساكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن
والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب واما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما
يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميز النخالة وصار حواري
فقد دخل في التنعم وخرج عن اخر ابواب الزهد فضلا عن اوائله واما الادم فاقله الملح او البقل او الخل واوسطه الزيت
ويسير من الادهان اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان صار دائما او اكثر من مرة
في الاسبوع خرج عن اخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا واما بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة

مرة وهو أن يكون صائماً أبداً وأوسطه أن يصوم يوماً ويشرب ليلة ولا يشرب ليلة وأعلاه ينتهي إلى أن يطوي ثلاثة أيام وأسبوعاً وما زاد عليه
وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات ولينظر إلى أحوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة في
كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الأدم قالت عائشة رضي الله عنها كانت تأتي أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالأسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والأدم وقال الحسن كان
صلى الله عليه وآله وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد
آكل كما يأكل العبيد وقال عيسى على نبينا وعليه السلام بحق أقول إنه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم في المزابل مع
الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر وكان عيسى عليه السلام
يقول يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فإنكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الأنبياء
والسلف في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ولما أتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقباء أتي بشربة من لبن مشوبة
بعسل فوضع القدح من يده وقال أما إني لست أحرمه ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى وأتي عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف
فقال اعزلوا عني حسابها وقال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك
الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه
والحياء شعاره والجوع إدامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل
دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه إن شاء الله عز وجل المهم الثاني الملبس وأقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو
كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان وأعلاه أن يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز
حد الزهد وشرط الزاهد ألا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فإذا صار صاحب قميصين وسراويلين
ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث المقدار وأما الجنس فأقله المسوح الخشنة وأوسطه الصوف الخشن
وأعلاه القطن الغليظ وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستر سنة وأقله ما يبقى يوماً حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وإن كان
يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتماسك عليه شهراً وما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا
إذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ومن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فإن أمسكه لم يكن زاهداً بل
كان محباً للدنيا ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس وقال أبو بردة أخرجت لنا عائشة كساء ملبداً وإزاراً
غليظاً فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الله تعالى يحب المتبذل
الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو بن الأسود العنسي لا ألبس مشهوراً أبداً ولا أنام بالليل على دثار أبداً ولا أركب على مأثور أبداً ولا أملأ
جوفي من طعام أبداً فقال عمر من سره أن ينظر إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود وفي الخبر
ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيباً واشترى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ثوباً بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة وكان إزاره أربعة أذرع ونصفاً واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين
بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لأنهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ
وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأنه قميص زيات ولبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً واحداً
سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان أصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله أنزل عليك هذا من الجنة تعجباً وكان قد أهداه
إليه المقوقس ملك الإسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه ثم نزعه وأرسل به إلى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير و
الديباج وكأنه إنما لبسه أولاً تأكيداً للتحريم كما لبس خاتماً من ذهب يوماً ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة في شأن
بريرة اشترطي لأهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما أباح المتعة ثلاثاً ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح وقد صلى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر إلى هذه اذهبوا بها إلى أبي جهم وائتوني بأنبجانيته يعني كساء

فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعيدوا الشراك الخلق و
انزعوا هذا الجديد فإني نظرت إليه في الصلاة ولبس خاتماً فنظر إليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة إليه
ونظرة إليكم وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد احتذى نعلين جديدين فأعجبه حسنهما فخر ساجداً وقال أعجبني حسنهما فتواضعت
لربي خشية أن يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين لقيه وعن سنان بن سعد قال حيكت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم جبة صوف
من صوف أنمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها وما ألينها قال فقام أعرابي فقال يا رسول الله هبها
لي وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا سئل شيئاً لم يبخل به قال فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى فمات صلى الله عليه
وآله وسلم وهي في الحاكة وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من أجلة
الإبل فلما نظر إليها بكى فقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد فأنزل الله عز وجل ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى
الله عليه وآله وسلم إن من خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الأعلى قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة ربهم ويبكون سراً من خوف عذابه
مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسادهم في الأرض وأفئدتهم عند العرش وقد بحثهم
فهذه سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه إذ قال من أحبني فليستن بسنتي
وقال عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وأوصى عائشة رضي الله عنها خاصة وقال إن أردت اللحوق بي فإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي ثوباً حتى ترقعيه وعد على قميص عمر
رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم واشترى علي عليه السلام ثوباً بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين
وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان
يقول إن الفقير ليمر بي وأنا أصلي فأدعه يجوز ويمر بي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته ولا أدعه يجوز وقال بعضهم قومت
ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف البس من
الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر إليك وقال أبو سليمان الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب
للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور العلماء من
التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين إلى الثلاثين وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه
على رأسه وقال بعض السلف أول النسك الزي وفي الخبر البذاذة من الإيمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً
لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقاً على الله أن يدخر له من عبقري الجنة في تخات الياقوت وأوحى الله إلى بعض أنبيائه قل لأوليائي لا
يلبسوا ملابس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا كما هم أعدائي ونظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو
يعظ فقال انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة إلى أبي
ذر في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه إلى ابن عمر فقال أنت صنعت
بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال علي رضي الله عنه إن الله عز وجل أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى
أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره وعوتب في خشونة ثيابه فقال هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقتدي
به المسلم ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التنعم وقال إن عباد الله ليسوا بالمتنعمين ورأى فضالة بن عبيد وهو والي
مصر شعثاً حافياً فقيل له أنت الأمير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الإرفاه وأمرنا أن نحتفي أحياناً
وقال علي لعمر رضي الله عنهما إن أردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الإزار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال
عمر رضي الله عنه اخشوشنوا وتمعددوا وإياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي عليه السلام من تزيا بزي قوم فهو منهم وقال صلى الله عليه
وآله وسلم إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله
عليه وآله وسلم أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل منه ففي النار ولا ينظر الله

يوم القيمة الى من جر ازاره بطرا وقال ابو سليمان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يلبس الشعر من امتي الا مرائي او احمق
وقال الاوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له
قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا تجيبني فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي
وقال ابو سليمان لما اتخذ الله ابراهيم خليلا اوحى اليه ان وار عورتك من الارض وكان لا يتخذ من كل شيء الا واحدا سوى السراويل
فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل احدهما لبس الآخر حتى لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان ما لك لا تلبس
الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى ابدا ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه كان له جبة
شعر وكساء شعر يلبسهما في الليل اذا قام يصلي وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اهل
النار اصحاب الاكسية وقال يحيى بن معين رايت ابا معاوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت
انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بهذا ويبكي المهم الثالث
المسكن وللزهد فيه ايضا ثلاث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة واوسطها
ان يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبني من سعف او خص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشراء او اجارة فان كان قدر
سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد فان طلب التشييد والتجصيص
والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن فاختلاف جنس البناء بان يكون من الجص او القصب
او بالطين او بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او
مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا
آلة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين والاذى واقل الدرجات
فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل اول
شيء ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التدريز والتشييد يعني دروز الثياب فانها كانت تشل شلا والبنيان
بالجص والآجر يعني التشييد وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد كان في الاثر ياتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما توشى
البرود اليمانية وامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العباس ان يهدم علية كان قد علا بها ومر عليه السلام بجنبذة معلاة فقال لمن
هذه فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فاخبر فذهب فهدمها فقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال عليه
السلام اذا اراد الله بعبد شرا اهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نعالج
خصا فقال ما هذا فقلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير
لمن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا
قائم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة وفي الخبر كل نفقة يوجر عليها العبد الا ما انفقه في الماء
والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله عليه
وآله وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حر او برد وقال صلى الله عليه وآله وسلم للرجل الذي شكا اليه الضيق في منزله
اتسع في السماء اي في الجنة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني
بنيان هامان لفرعون يعني قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين يعني به الآجر فقال ان فرعون هو اول من بنى له بالجص والآجر
والطين عليه هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وذكر بعض السلف جامعا في بعض الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنيا
من الجريد والسعف ثم رايته مبنيا من رهص ثم رايته الآن مبنيا باللبن فكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهص وكان
اصحاب الرهص خيرا من اصحاب اللبن وكان في السلف من يبني مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر امله وزهده في احكام البنيان

وكان منهم من اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن
ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضربت بيدي
الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا اعلى العبد البناء فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين ونهى سفيان عن النظر
الى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوا فالنظر معين عليه وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنى وترك ولكن اعجب ممن نظر اليه
ولم يعتبر وقال ابن مسعود ياتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير
دينكم المهم الرابع اثاث البيت وللزهد فيه درجات واعلاها حال عيسى صلى الله عليه وآله وسلم اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز
فراى انسانا يتخلل لحيته باصابعه فرمى بالمشط وراى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز وهذا حكم كل اثاث فانه يراد لمقصود
فاذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف
ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل
الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يشرب فيها وياكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال
آلة واحدة في اشياء للتخفيف وادناها ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد او في نفاسة الجنس
خرج عن جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الصحابة فقد قالت
عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان
فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فراى اثر الشريط في جنبه صلى الله عليه وآله وسلم
فدمعت عينا عمر فقال له صلى الله عليه وآله وسلم ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك
وانت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وآله وسلم اما ترضى يا عمر ان
تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة فقال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على ابي ذر رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا
ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت
ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر قال له ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكأ
عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها واغسل فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل
فيها شرابي وطهوري للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فراى على باب منزلها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي
فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فساله فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وقالت قد تصدقت به فضعه حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين
ونصف وتصدق به عليهم فدخل عليها فقال بابي انت وامي قد احسنت وراى صلى الله عليه وآله وسلم على باب عائشة رضي الله عنها سترا
فهتكه وقال كلما رايته ذكرت الدنيا ارسلي به الى آل فلان وفرشت له عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله
عليه وآله وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني فقد اسهرني
الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة او ستة عشاء فبيتها فسهر ليلته حتى اخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت
غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم
بينه وبين الارض ثوبا قط وكان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه المهم الخامس النكاح وقد قال قائلون
لا معنى للزهد في اصله ولا في كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه
ابن عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان

الدارانى اذ قال كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤم والمرأة قد تكون شاغلا وكشف الحق فيه انه قد يكون
العزوبة افضل فى بعض الاحوال كما سبق فى كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح افضل لدفع الشهوة
الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وان لم يكن عليه آفة فى تركه ولا فى فعله ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب اليهن
والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد وان علم ان المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك احترازا من
لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير امة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من القربات واللذة التى تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضر اذا لم تكن هى المطلب والمقصود وهذا كمن
ترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس كذلك لان فى تركه فوات بدنه وفى ترك النكاح انقطاع
نسله فلا يجوز ان يترك النكاح زهدا فى لذته من غير خوف آفة اخرى وهذا ما عناه سهل رحمه الله ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم واذا ثبت هذا فى حالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن
والانفاق عليهن فلا يقاس به غيره من حيث انه يجد لذة الوقاع والنظر ولكن اى نقص يتطرق لغير الانبياء والاولياء واكثر
الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغى ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف ان يشغله الكثرة منهن
او جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه فى ذلك قال ابو سليمان الزاهد فى النساء ان تختار المرأة الدون او اليتيمة
على المرأة الجميلة والشريفة وقال الجنيد احب للمريد او اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة وقال المبتدى ان لا يشغل قلبه
بثلاث والا تغير حاله الكسب وطلب الحديث والتزوج وقال احب للصوفى ان لا يقرأ ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذا ظهر ان
لذة النكاح كلذة الاكل فما يشغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال و
الجاه اما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل بها الى الاستعانة فى الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على
القيام بنفسه فى جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى الجاه لا محالة فى قلب خادمه لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر
لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل فى القلوب هو الجاه وهذا له اول قريب ولكن يتمادى الى الهاوية العميقة التى لا عمق لها ومن حام حول
الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل فى القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضر او للخلاص من ظلم فاما النفع فيغنى عنه المال فان
من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن للمستأجر عنده قدر وانما يحتاج الى الجاه فى قلب من يخدم بغير اجرة واما دفع الضر فيحتاج لاجله
الى الجاه فى بلد لا يكمل العدل فيه او يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له فى القلوب او محل له عند
السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل فى القلوب
اصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل فى القلوب ما يدفع عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين
واما التوهمات والتقديرات التى تحوج الى الزيادة فى الجاه على الحاصل بغير كسب فهى اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل
عن اذى فى بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل فى القلوب لا رخصة
فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما المال فهو ضرورى فى
المعيشة اعنى القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغى ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع
سفطه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان
كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين فى التوكل فامسك منها مقدار ما يكفى ريعها لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد
بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل فى الزهد كما شرطه اويس القرنى
فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعنى به انه ما وعد للزاهدين فى الدار الآخرة من المقامات المحمودة
لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وامر المنفرد فى جميع ذلك اخف من امر المعيل
وقد قال ابو سليمان لا ينبغى ان يرهق الرجل اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما يشاء معناه ان

التضييق المشروط على الزاهد يخصه وحده ولا يلزمه كل ذلك فى عياله نعم لا ينبغى ان يجيبهم ايضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اذ انصرف من بيت فاطمة بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذا ما يضطر الانسان اليه
من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من
الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا لكنه يسير الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما
يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو
الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا
هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روى ان ابراهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له
ليستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان
اسألك منها شيئا فاوحى الله اليه ليس الحاجة من الدنيا فهذا كذلك يعرفه من يخبر احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة فى كسب المال وجمعه
وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته به ان يسلم لورثته فيأكلونه وربما يكونون اعداء له وربما يستعينون به على المعصية فيكون هو
معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا
فيموت ويهلك بسبب عمله الذى عمله بنفسه فكذلك كل متبع الشهوات فى الدنيا فانما يحكم على قلبه سلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تكون
عليه السلاسل تقيده المال والجاه والمال والولد وشماتة الاعداء ومراياة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد
اخطأ فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من
محابه باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا فى هلاكها الى ان يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة فتبقى السلاسل
من قلبه معلقة بالدنيا التى فاتته وخلفها فهى تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة فيكون
اهون احواله عند الموت ان يكون مثل شخص ينشر بالمنشار ويفصل احد جانبيه من الآخر بالمجاذبة من الجانبين والذى ينشر
بالمنشار انما ينزل الوجع ببدنه ويتألم من حيث يسرى اثره الى القلب فكيف الظن بما يتمكن اولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق
السراية اليه من غيره فهذا اول عذاب يلقاه وذلك قبل ما يراه من حسرة فوت الدرجات العلى فى جوار رب العالمين فبالنزوع الى
الدنيا يحجب عن لقاء الله وعند الحجاب يتسلط عليه نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار على الم الحجاب والم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا اضيفت
العلاوة اليه فنسأل الله ان يقربنا مما نشتهى فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال احبب ما احببت فانك
مفارقه ولذلك قال الشاعر شعر الم تر ان المرء طول حياته ۞ معنى بامر لا يزال يعالجه ۞ كدود كدود القز ينسج دائبا ۞ ويهلك غما وسط
ما هو ناسجه ۞ ولما انكشف لاولياء الله ان العبد مهلك نفسه باعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز رفضوا الدنيا بالكلية
حتى قال الحسن رأيت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وفى لفظ آخر كانوا بالبلاء اشد فرحا
منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم
الحساب وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول اخاف ان يفسد على قلبى فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده والذين
ماتت قلوبهم بحب الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطا وقال فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم احال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم
ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملنى معك فى سياحتك فقال اخرج مالك والحقنى فقال لا استطيع فقال عليه السلام بعجب يدخل
الغنى الجنة او قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه الا واربعة املاك ينادون فى الآفاق باربعة اصوات فملكان بالمشرق
وملكان بالمغرب يقول احدهما بالمشرق يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر اقصر ويقول الآخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا
تلفا ويقول اللذان فى المغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب

بيان علامات الزهد

اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الرهابين من
ردوا انفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما سرور احدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم
له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من
الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا
الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها
الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون
منها وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجئوا الى المضايق فكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية
اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم فهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كلام
الخواص فاذن معرفة الزهد امر مشكل بل حال الزهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في باطنه على ثلث علامات العلامة الاولى ان لا يفرح
بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن
بوجود المال ويفرح بفقده والثانية ان يستوي عنده ذامه ومادحه فالاولى علامة الزهد في المال والثانية علامة الزهد في
الجاه والثالثة ان يكون انسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله
وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك
قيل لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله فاما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان وقد قال اهل المعرفة
اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا
فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلم اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا وقال ابو سليمان
الداراني من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد
وان يكون في احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشتغل بنفسه وعند ذلك يستوي عنده الذم والمدح والوجود والعدم
ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده اصلا قال ابن ابي الحواري قلت لابي سليمان اكان داود الطائي زاهدا قال
نعم قلت قد بلغني انه ورث من ابيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال اردت منه ان
يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها
فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره ان يترك كل ما سوى الله
حتى لا يتوسد حجرا كما فعل عيسى عليه السلم فنسال الله تعالى ان يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجرئ على الطمع
في غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله غير ماذون فيه واذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا ان الله لا يتعاظمه شيء فلا بعد في ان يعظم
السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم وذلك لغلبة
الانس بالله ويتفرع عن هذه العلامات علامات اخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا
ولا يبالي من اخذها وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي ولا يقول ابني رباطا او اعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخاء
بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف
وقال ابو سليمان الصوف علم من اعلام الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم وقال احمد
بن حنبل وسفيان علامة الزهد قصر الامل وقال السري لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف
اذا اشتغل بنفسه وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلث
عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل

متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع عنك
الرزق ثلاثة ايام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن ان تفتضح وقال ايضا
الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف مشتغل بالله لا يلتفت اليها
وقال السري مارست كل شيء من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل جعل الله
الشر كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا فهذا ما اردنا ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان
الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب والحمد لله رب العالمين

كتاب التوحيد والتوكل

وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المدبر للملك والملكوت المتفرد بالعزة والجبروت الرافع السماء بغير عماد المقدر فيها ارزاق
العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات
الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحقيقا بان جميع اصناف الخلق عباد
امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا انه رازق عباده وضامن
به كفيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلوة على محمد قامع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى آله
واصحابه وسلم كثيرا اما بعد فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين
وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها
شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسبابا تغيير في وجه
العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية الغموض والعسر
ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا
ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الآن نبتدئ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد
في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني

فضيلة التوكل اما من الآيات فقد قال الله تعالى وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين
واعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز
العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب
بهذه الآية فانه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال تعالى ومن يتوكل
على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجا الى ذمامه وحكيم لا يقصر عن تدبير من
توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل ما سوى الله عبد مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف
تتكل عليه وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى ولله خزائن
السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد
فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه ابن
مسعود اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملأت السهل والجبل فاعجبتني كثرتهم وهيئاتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء
سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم
يتوكلون فقام عكاشة فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم
فقال صلى الله عليه وآله وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق

الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن
انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال عليه السلام من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده ويروى
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول بهذا امرني ربي قال الله
عز وجل وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وقال صلى الله عليه وآله وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى وروي انه لما قال جبرئيل
لابرهيم عليه السلم وقد رمي الى النار بالمنجنيق الك حاجة فقال اما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين
اخذ ليرمى فانزل الله تعالى وابرهيم الذي وفى واوحى الله الى داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا
واما الآثار فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص
قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية ان يلجأ الى احد غير الله وقيل لبعض العلماء في
منامه من وثق بالله فقد احرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل
فتضيع امر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على
ان الرزق مأمور بطلب العبد وقال ابرهيم بن ادهم سألت بعض الرهبان من اين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن
سل ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تأمرني ان اكون فاومأ الى الشام قال هرم كيف المعيشة بها
قال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم
وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الاصل
وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين
كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان
بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تم له الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه
غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه طويل وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال
بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذن لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا
ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام
الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب والمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول
الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق
به عموم المسلمين وهو اعتقاد والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء
كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه
الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى ايضا نفسه واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان
فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان
والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه
انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الآخرة ان توفي عليها ولم تضعف بالمعاصي عقدته ولهذا العقد حيل
يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه
العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعالم بها يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة
عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته

والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة
فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به دفع حيل المبتدع
في تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهي
الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن
المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه
فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفأ النار واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان ولا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز
للصوان ثم يرمى به فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينتفع به مدة في حفظ القشرة
السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف
انما يصيب جسم البدن وهو القشرة وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة
الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصلت امكن ان ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر
بالاضافة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف
والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام وبقوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى
القشر وكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال
للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الله الواحد الحق فان
قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذه غاية
علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة
نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة
والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار آخر
ومشاهدة اخرى واحد اذ نقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة
امعائه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه
تفرق وكأنه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة وكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة
مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواه كثير وبعضها اشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وان
كان لا يطابق الغرض ولكن ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا ويستفيد من هذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام
لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما انك اذا آمنت
بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة
تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز جدا والى هذا اشار الحسين الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال
في ماذا انت قال ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك
فاين الفناء في التوحيد فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين
في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح بقدر ما يفهم منه كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض
في بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث واما الاول فهو النفاق فواضح واما الثاني وهو
الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب
الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه واما الثالث فهو الذي ينبني التوكل عليه اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل

فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله امثال هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله تعالى
وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فهو المنفرد بابداعه واختراعه لا
شريك له فيه فاذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد
دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السماوات والارض واذا انفتحت لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا
اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين يبتغي بهما ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك
احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات اما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع
ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا شرك في التوحيد وجهل بحقائق
الامور ولذلك قال الله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه انهم يقولون
لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا
الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتحز رقبته
فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت
فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم
يشكر الا الكاتب بل ربما يبهته فرح النجاة وشكر الملك الكاتب عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر
والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة تسخير القلم
في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق ان الله هو الكاتب كما قال وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف لك ان جميع ما في السماوات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وايس
عن مزج توحيدك بهذا الشرك فاتاك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول
كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز
رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك
ولا تشك فيه ويقول له نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زل اقدام الاكثرين الا عباد الله
المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم
مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى راس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها
الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق
حدقتها فكذلك من لم ينشرح بنور الله صدره للاسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السماوات والارض ومشاهدة كونه قاهرا وراء
الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب القلوب والمشاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في السماوات
بقدرته التي انطق بها كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه
الذين هم عن السمع لمعزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما تشاركك فيه البهائم وانما
اريد به سماعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها
وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على انفسها بالعجز فاعلم ان كل ذرة في السماوات والارض
مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا يحصى ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية له ولو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ثم انها تتناجى باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم بل
صدور الاحرار قبور الاسرار اوهل رايت قط امينا على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى بها على ملا من الخلق ولو جاز افشاء
كل سر لما قال صلى الله عليه وآله وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا ولما نهى عن

افشاء سر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض
الاسرار فاذا عن حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما استحالة افشاء السر والثاني
خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا نفهم به على الاجمال كيفية
ابتناء التوكل عليه ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا واصواتا ولكن هي ضرورة التفهيم فنقول قال بعض
الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم
سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما انصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في
المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسال الحبر عن ذلك فقال ما
انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني
عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سال القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه
واخراجه الحبر من اوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين
فنحت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من اصلي وفصلت بين انابيبي ثم برتني وشقت راسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته
وهي تستخدمني وتمشيني على قمة راسي ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت
ثم سال اليد عن ظلمها على القلم واستخدامها اياه فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رايت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب
سخرني فارس يقال له القدرة والعزة فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء
منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبها مثل هذا الفارس القوي القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم
ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني مركب ازعجني من ركبني
فقال صدقت ثم سال القدرة عن شانها في استعمالها اليد واستخدامها وكثرة ترديدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم
من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك امري او كيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك
وما كنت احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني
موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه
وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورايي فقال صدقت ثم سال الارادة
فقال ما الذي جراك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا
فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل له عذرا وانت تلوم فاني ما انهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر
وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل باشخاص القدرة فاشخصتها
باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته لكني ادري اني في دعة
وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه
مهما جزم حكمه طاقة في المخالفة لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه والتحير في حكمه فانا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا
انجزم حكمه ازعجت بطبعي وقهري تحت طاعته واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شاني ودع عني عتابك فاني كما
قال الشاعر اذا ارتحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم فقال صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا
لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكن اشعلت وقال
القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم اما انا فنقش نقشت في بياض لوح القلب
لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبلي خاليا عني فسل القلم عني لان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا تتعتع
السائل ولم يقنعه جواب فقال لقد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في معرفة هذا منه على غيره ولكني كنت اطيب

منا بكثرة الى ما ولد لما كنت اسمع كلاما معقولا في الفؤاد وعز لطالبي في دفع السوال فاما قولك انى خط ونقش وانما خطي ملم
ملتا فمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد او الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني
لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد منه شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له العلم ان
صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف والمهالك في الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فالصواب
لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه وكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد
فالق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذه ثلاثة اولها عالم الملك والشهادة ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد
من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو ورائي فاذا جاوزتني انتهيت
الى منازله وفيها المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث عالم الجبروت وهو
عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل اذ في اوائلها منازل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم
الملك والملكوت تشبه السفينة التي هي بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباته
وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى ان يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي
في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة كان كمن يمشي في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر
على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق الا الماء الصافي واول عالم الملكوت مشاهدة
القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عيسى
صلوات الله عليه لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما قيل له انه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت
في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك
من علامة قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح القلب فيشبه
ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اما ترى ان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم في اول امره كوشف بالقلم اذ نزل عليه قوله اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم
فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد ابعدت النجعة
اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت اما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي
ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله في ذاته بجسم ولا
هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت
وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة
التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت
كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله ان الله خلق
آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان
فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس
طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادي بما نودي به موسى اني انا ربك
فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث في التشبيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه
لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح
نورا على نور فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي
واذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم

اصناف العلوم وكأن له في كل قلب رأسا ولا رأس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم فجزاه الله عني خيرا اذ الآن ظهر لي
صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومراودتي لك وانا
عازم على ان اسافر الى حضرة القلم فاسأله عن شانه فسافر اليه وقال له ما بالك ايها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به
الارادات الى اشخاص القدرة وصرفها الى المقدورات فقال او قد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب القلم
اذ سألته فاحالك على اليد قال لا قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته
قال نعم قال فسل عن شاني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي
وقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال ومن يمين الملك قال القلم اما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات
بيمينه قال نعم قال فالاقلام ايضا في قبضته يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من
عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه
يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شانه وتحريكه
القلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين الذي رأيته في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها
القدرة لا محالة فسافر الى عالم القدرة ورأى فيها من العجائب ما استحقر عندها ما قبلها وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة
فسل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ وينطلق بالجرأة لسان السؤال فثبت بالقول
الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب
في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك انت الملك الجبار الواحد القهار
فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما لي الا ان اسألك واتضرع اليك
وابتهل بين يديك فاقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في
الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته وما قاله لك فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على ان قال
سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في
معرفتك فنودي اياك وان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا
عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر عن اسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة
والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم
الا عن قصور وجهل والآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد
القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في
عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل كيف يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول
ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الآخر
بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر
فهو آخر في المشاهدة اول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر
بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد السالكين
لطريق التوحيد في الفعل اعني من كشف له ان الفاعل واحد فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد على الايمان بعالم الملكوت فمن لا
يفهم ذلك ويجحده فما طريقه فاقول اما الجاحد فلا علاج له الا ان يقال انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم
الذين حصروا العلم في الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة

فان قال وانا نعم فانى لا اهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا اعلم شيا سواه فقال الكاتب لما شاهدنا ما
وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية الحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه في اليقظة فلعلنا نراه في المنام فان قال وانا من جملتهم
فانى شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه واستغلق علاجه فيترك فلا كل مريض يقوى على علاجه الاطباء فهذا حكم
الجاحد واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم طريق السالكين فيهم ان ينظر الى عينه التي بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدها
صحيحة في الاصل وقد نزل فيها اسود عمل الشبهة اشتغل بتنقيتها اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره
ارشد الى الطريق ليسلكه كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه وان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه ان يسلك السبيل الذي
ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسلك السبيل الذي يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلهم بحرف وصوت
ويدلوا نقل التوحيد الحقيقي فهاهنا في عالم الشهادة ايضا توحيدا وهو ان يعلم كل واحد ان المنزل يفسد بصاحبين
والبلد يفسد باميرين فيقال له على حد عقله اله العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك
ذو حالة في عالم الشهادة مغرز اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان كلموا الناس
بقدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عاداتهم في المحاورة فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح
ان يكون عماد التوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف
ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه او الى ان يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة
التي تلقفها من استاذه او من ابيه او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه بل لو
كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا بطلوع الشمس
بانه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته ومثال المكاشفين والمعتقدين كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان
سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تاثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم ورأوا من موسى ما جاوز حد السحر انكشف لهم
حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض
ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغير واما اصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر
الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم
قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر الى ثعبان فيكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف
والتضاد في عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت فمن عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافا ولا تناقضا اصلا فان قلت ما ذكرته من
التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء
فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان شاء ولا يشاء ان لم يشأ لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكن علمت انه يفعل اذا
شاء سواء شاء او لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشيئة اخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشيئة
اليه فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة والحركة لازمة
ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات ترتب بعضها
على البعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة التي تصرف القدرة ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة
بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون
مجبورا مختارا فاقول لو انكشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذن مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من
لم يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بذكره مستطردا تابعا فان هذا الكتاب لم يقصد به الا علم
المعاملة ولكنا نقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة اوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصبع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق
الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتب وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف

ولاجل ذلك في امور تناسب لذلك فهاهنا ثلاث عبارات فيسمى خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ويسمى تنفسه فعلا اراديا ويسمى
كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف على وجه الماء او تخطى من السطح الى الهواء انخرق الهواء فيكون الخرق
بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا
وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بابرة لطبق الاجفان اضطرارا
ولو اراد ان يتركها مفتوحة لم يقدر مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت
الارادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يتركه لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل
الطبيعي في كونه ضروريا واما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان
شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهو للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة تبع العلم
الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد
العقل فيه فالذي يقطع به من غير تحير وتردد ان يقصد عينك بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق
فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة ويحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد للدفع بالسيف ولكن من غير روية وفكر
ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتبين ان الخير
في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر وانبعثت الارادة
هاهنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبعاث
الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الا ما انتظرت تلك الارادة فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي
التي انبعثت باشارة العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور
ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس او التخيل او بحكم جازم من العقل ولذلك لو اراد الانسان ان يحز رقبة نفسه لم يمكنه لا لعدم القدرة في
اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل او الحس بكون
الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل
هاهنا يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم
بان القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف عنه انبعثت الارادة والقدرة واهلك نفسه كالذي يتبع بضرب سيف فاذا
انتهى الى طرف السطح حكم بالسيف والقتل فانه يرمي نفسه من السطح وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه ان لا يرمي وان كان يتبع بالعقل
بان الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة لان داعية الارادة مسخرة بحكم العقل
والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه
الامور واما ان يكون منه فكلا ولما فاذا معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة
حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا محضا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا
جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة
لانه كان فنا ثالثا فاتبعوا فيه كتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى
يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات
لا يمكن ان يستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه فان قلت هل تقول
ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متاخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت
بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى وان ابيت فما معنى ترتب البعض منها على البعض فاعلم ان القول بانه حدث بعض ذلك عن بعض
جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل احالة الجميع في ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذي لم يتنبه كافة

الخلق الا الا يعرف على كنه معناه بل على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات
مرتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا
الا بعد محل الحياة وكما لا يجوز ان يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض
الشروط مما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق واللزوم
وكذلك جميع افعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى
هذا اشار بقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب
وحق لازم لا يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى الترتيب الذي وجد فما تأخر متأخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال
لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا يتأخر عنه الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك
على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور
مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا تقرب مبادي الخوض لافهام الضعيفة وذلك بان نقدر انسانا محدثا قد انغمس في الماء الى
رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فقدر القدرة الازلية حاضرة ... للمقدورات متعلقة
بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء لانتظار الشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع انسان
في الماء وجهه عمل الماء في سائر الاعضاء وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليد بغسل الوجه لانه حدث
عقيبه اذ لم يكن الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل انما حصل ارتفاع الحدث
من اليد عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليد وهو جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة
بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي له لا بغسل الوجه والماء
لم يتغير والعدم لم يتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغي ان تفهم صدور المقدورات
من القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب لعالم اخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك
فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في العمل وان الفاعل بالحقيقة فاعل واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل
والاعتماد ولم نقدر على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحار المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر
نوح محال كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك منطو تحت قول لا اله الا الله وما اخف مؤنته على اللسان وما اسهل
اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما اعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد
والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا
وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد
وان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى
والجلاد بمعنى اخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى اخر فمعنى كون الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا
انه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط
الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة
يسمى فاعلا له كيف ما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك
سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة
ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم قال الله يتوفى
الانفس حين موتها وقال افرأيتم ما تحرثون اضاف الينا ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا
وعنبا وقال فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل وكما قال اذا قرأناه

فاتبع قرآنه قيل في التفسير معناه اذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب
هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن
معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال الذي علم
بالقلم ثم قال الرحمن علم القرآن وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه وقال افرأيتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب
اذكر ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ اخر يصور الملك ثم ينفخ فيها الروح بالسعادة او بالشقاوة
وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس
من انفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق يشاهده ارباب القلوب ببصائرهم فاما كون
الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم دون النقل به تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن الادلة والايات في الارض
والسموات ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شيء قدير وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض
بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي
بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهو معنى قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقد وصف الله تعالى نفسه بانه المحيي والمميت ثم
فوض الموت والحياة الى ملكين ففي الخبر ان ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك الحياة
انا احيي الاموات فاوحى الله اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي لا مميت ولا محيي سواي فاذا الفعل يستعمل
على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم للذي ناوله التمرة خذها لو لم تأتها لاتتك اضاف
الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تأتي الا على الوجه الذي يأتي الانسان
اليها ولذلك لما قال ذلك التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال عرف الحق لاهله فكل من اضاف الكل الى الله تعالى فهو المحق
الذي عرف الحق والحقيقة ومن اضافه الى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه وللتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها واسم
الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته فظن انه تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله
على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا
ان كان الفاعل قد وضعته ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز اي تجوزت به عما وضعه اللغوي
له ولما جرى معنى الحق على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه
وآله وسلم اصدق بيت قالته العرب قول لبيد شعر الا كل شيء ما خلا الله باطل اي كل ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره

تمامه
وكل نعيم لا محالة زائل
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت في المصراع الاول وكذبت في الثاني لان نعيم الجنة لا يزول

فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته وحقيته بغيره لا بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته
وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت
تقول انا وانا كن الان كما لم تكن فانه اليوم كما كان فان قلت فقد ظهر ان الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضى وكيف
غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز اليه
من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان
بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب
الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده
الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يستريب فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله عز وجل
لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها
ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا

السنوات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى
تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها
جناح بعوضة ولا ان يرفع منها ذرة او يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة
او كمال او غنى او نفع عمن انعم به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما راوا
فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية
فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في
الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل به لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل
ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة
بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا
النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فدا ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص
عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران فدا لاهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما لم
يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة
خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تاكلت ابقا للروح عدل لانه فدا كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين
الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة وكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج
قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا
البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشائه المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد كان ما قضي به واجب
الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وامره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابكم
لم يكن ليخطئكم وما اخطاكم لم يكن ليصيبكم ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم
المعاملة

الشطر الثاني

من الكتاب في احوال التوكل واعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد
والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع الضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره

بيان حال

التوكل قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل
ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل
التصوف ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه فنقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه
اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمانت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه
بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من
ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به مطمئن القلب بتوكيله
الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القدرة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس
حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء اصلا واما القدرة والقوة فليستجرئ على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا
يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحيا او صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح
به واما الفصاحة فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرا القلب عليه واشار اليه فلا كل عالم
بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدته واما منتهى الشفقة فيكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه في حقه فان قدرته
لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي ظفر خصمه او لم يظفر هلك به حقه او لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة
منه لم تطمئن نفسه الى الوكيل بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون

تفاوت احواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف
تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت احوال المتوكلين في قوة الطمانينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا
ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام له فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فيصير خصلة
من الخصال الاربعة قطعيا وكذلك سائر الخصال يتصور ان يحصل اليقين به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح
الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس
التوكل على الله تعالى عليه فان ثبت في نفسك بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة
على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم
ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه وحوله وقوته
فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان
كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء
الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من يتناول
عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه وان
كان متيقنا بكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الآن ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بان
لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة
الميت في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير
مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذن لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما
يحصل سكون القلب وطمانينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى لابراهيم اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي فالتمس ان يكون مشاهدا احيا الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء امرها الى
ان تبلغ بالآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية اصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب
فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم
الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذن الجبن والجراة غرائز ولا ينفع اليقين معهما فهي احد الاسباب التي تضاد حال
التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربعة احد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب
في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وقد قال عليه السلام من استعز بالعبيد اذله الله واذا انكشف معنى التوكل وعلمت الحالة
التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات الدرجة الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله تعالى
والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل في حق امه فانه لا يعرف غيرها ولا
يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فان رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه يا اماه واول
خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه فانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليس خاليا عن نوع ادراك بالتمييز الذي له ويظن انه
طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقينه لفظا ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء
الادراك فمن كان باله الى الله عز وجل ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على
امه والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل
عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله لان له التفاتا الى توكله وشعورا به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى
هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه قال ترك الاماني قال واوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية
وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين

الغاسل الا بفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى للحركة والقدرة
والارادة والعلم وسائر الصفات وان الكل يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع
الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل هو مثال صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه ان لم يتعلق بذيل
امه فالام تحمله وانه ان لم يسالها اللبن فالام تفاتحه وتسقيه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته
وانه يعطي ابتداء افضل مما يسال فكم من نعمة ابتداها قبل الدعاء وقبل الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال
منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر
والمقام الثاني والثالث اندر واعزها وان وجد لا يكاد يدوم المقام الثالث فدوامه الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى
الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض كما ان انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض والوجل
عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى يمحى عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت تتراءى من وراء الرقيق من ستر
البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم فكذلك انقباض القلب
بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين
والثالث يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال
فاعلم ان المقام الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث
الفزع الى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض
التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله به
او التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي عرفه باشارته فان يقول لا اتكلم الا في حضورك
فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحجة والدعوى
على الخصم بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله واما المعلوم بعادته واطراد
سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل فتمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون متعولا على سنته وعادته ووافيا
بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند محاكمته اليه فاذا لا يستغني عن التدبير في الحضور وفي احضار السجل ولو
ترك شيئا من ذلك كان نقصانا في توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه نعم بعد ان حضر وفاتحه بالشكاية واحضر السجل ووفى بسنته وعادته
وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت السقط لا يرجع الى حوله وقوته اذ لم يبق
له حول وقوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الا
طمانينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري فاذا تاملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمت انه ليس من شرط
التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كل تدبير وعمل لا يجوز ان يضم مع التوكل بل هو على اقسام وسياتي تفصيله في الاعمال فاذا افزع
المتوكل الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا
بالصدق فاذا لم ير سببا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله سببا للمحاجة وعرف ذلك باشارته وسنته فاذا لا حول
ولا قوة الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يحل اطلاقها في حق الوكيل لانه ليس خالق حوله وقوته بل هو جاعل لهما سببا في انفسهما
ولم يكونا سببين لولا فعله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق سبحانه وتعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد
وهو الذي جعلهما سببا اذ جعلهما شرطا للاستحصال من بعدهما من الزوائد والمقصد فاذا لا حول ولا قوة الا بالله حقا وصدقا
فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب العظيم الذي ورد به الاخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله فعسى ان يستبعد
كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك
جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى الكلمة لا اله الا الله ونسبة ثوابها كنسبة معنيهما

الى الاخرى اذ في هذه الكلمة اضافة لشيئين الى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة واما كلمة لا اله الا الله فهي نسبة الكل اليه فانظر الى
التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وكما ذكرناه من قبل ان للتوحيد قشرين ولبين
فكذلك لهذه الكلمات ولسائر الكلمات واكثر الخلق فيه بالقشرين ويطلق الثواب الى القشرين ولا الى اللبين لاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا وجبت له الجنة وحيث اطلق فينبغي ذكر الصدق والاخلاص اراد بالمطلق المقيد
كما اضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع واضاف الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح
فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان وحديث النفس وعقد القلب ايضا حديث ولكن حديث سر ووراءهما الصدق والاخلاص ووراءهما
ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن دونهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات عند الله وان كان
لا ينتهي الى الملك اما ترى ان الله لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين عرض لسرير الملك حيث قال على سرر موضونة متكئين
عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك لذات المنظور و
المشروب والماكول والمنكوح ويتصور ذلك للبهائم على الدوام واين لذات البهائم من لذة الملك والنزول في اعلى عليين في جوار
رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسع على البهائم ولما رفع عنها درجات الملائكة اترى ان احوال البهائم وهي مسيبة
في الرياض تتنعم بالمياه والاشجار واصناف الماكول المستمتعة بالنزوان والسفاد اعلى وافضل واشرف وامجد من ان يكون عنده دون
الكمال الموصوف من احوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار الله في اعلى عليين بهيهات لا يبدع عن العجيب اذا خير بين ان
يكون حمارا او يكون في درجة جبريل فيختار درجة الحمار على درجة جبريل على انه يشبه كل شيء ما ينجذب اليه وان النفس التي
نزعتها الى الصنعة الخسيسة اكثر من نزعتها الى الصنعة الكتابة فهي لا محالة اشبه بمن يجري منه بالكتاب فكذلك من نزع نزوعه
الى نيل لذات البهائم اكثر من نزوعه الى نيل لذات الملائكة لا محالة فهو بالبهائم اشبه منه بالملائكة لا محالة وهو الذين قال
فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل وانما كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة فتركها للعجز واما الانسان ففي قوته ذلك
والقادر على نيل الكمال احرى بالذم واجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع
الى المقصود فقد بينا ان معنى قوله لا اله الا الله ومعنى قوله لا حول ولا قوة الا بالله ومن ليس قائلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور ان يكون
متوكلا فان قلت ليرجع معنى قوله لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شيئين الى الله تعالى فلو قال ما في السماء والارض خلق الله فهل يكون
ثوابه مثل ثوابها قول الا ان الثواب على قدر درجة المثاب والمساواة بين الدرجتين ولا تنظر الى عظيم السماء والارض وصغر الحول
والقوة ان جاوزته وصفها بالصغر فحق ان لطيفة لا يعرفها الا الخواص بل كل عامي يعلم ان الارض والسماء ليس من جهة الادميين وخلقهم
الله واما الحول والقوة فمما اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يتعمق في الراي والمعقول حتى يشق السعي
الجدة نظر وهي مسالك محظرة وجبال عظيمة هلك فيها العالمون اذ البتق الا انهم امر اعمي فهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله
فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد جاوز ما به عظمت درجة وهو الذي يصدق في قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا
انه لا يرجع التوحيد الا عقبتان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وسائر الجمادات والثانية الى اختيار
الحيوانات وهي اعظم العقبتين واخطرهما وكان كمال سر التوحيد في ذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي هذه
الكلمة ترجمتها فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل اعمال
المتوكل **بيان** اقاويل الشيوخ في احوال التوكل لتتبين ان شيئا منها لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال
فقد قال ابو موسى الديبلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك
ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك
تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى هو من اجل احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن
اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وانما فعله الله فعله بالواجب فلا يتميز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة

الى اصل العدل والحكمة وهذا من غامض انواع العلم ووراءه سر القدر ثم ان ابا يزيد قال ما تكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك
التحرز عن الحيات شرطا في المقام كيف وقد احترز ابو بكر رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات الا ان يقال فعل ذلك بيده
ولم يتغير بسببه سره او يقال فعل ذلك في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه ولهذا يبطل التوكل بحركة سره وتغيره لانه يحتاج الى النفس في النظر
في هذا مجال ولكن سياق امثال ذلك واكثره لا يناقض التوكل فان تحرك السر من الحيات من الخوف وحق المتوكل ان لا يخاف
تسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله تعالى فان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول
والقوة والتدبير فهذا القدر يكفي وذو النون المصري سئل عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اشارة الى علم التوحيد
وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها
من الربوبية وهذا اشارة الى التبري عن الحول والقوة فقط وسئل حمدون القصار عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق
دين لم تأمن ان تموت وتبقى ذلك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء لا تيأس من الله ان يقضيها عنك
وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله القرشي
عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك ف
فالاول عام للمقامات الثلث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال له جبريل
الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل لذلك
فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت قد غاب عن نفسه بالله فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه
واعز وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثاني فسكون بلا اضطراب
اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به واضطراب بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل
بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها قال ابو علي الدقاق التوكل ثلث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن
الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذه اشارة الى تفاوت درجات نظرا بالاضافة الى المنظور اليه فان
العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ في التوكل
اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بها فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل

بيان اعمال المتوكلين

اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض
كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات
الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه ونقول انما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله الى مقاصده وسعي العبد باختياره
اما ان يكون لجلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل
والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا يعدو هذه الفنون الاربعة وهي جلب
النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع الفن الاول في جلب
النافع فنقول الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس
به ثقة تامة ولا تطمئن اليه الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا
لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل
ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وليس
من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر لك ملكا ليمضغه ويوصله الى
معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد زوجتك من غير وقاع
كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى

خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على فضل الله
تعالى لا على اليد والطعام وكيف تستند على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال
ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك عن مكانك
وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله فبذلك فلتفرح وعليه فلتعول فاذا كان هذا حاله
وعلمه فليمد اليد فانه متوكل الدرجة الثانية الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال
حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير
استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد
على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت فهذا
سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها
وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا وما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني ان
يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل
اسبوع عن ان يلقاه آدمي او ينتهي الى حلة او قرية او الى حشيش يتجزى به فعند هذين الشرطين يجاهد نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا
كان يفعل الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول
هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء الى الرجل من غير
دلو وحبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه
في يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر على الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق
فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالبا عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في
البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة التحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا يوثق به لا يحتمل ان لا يتخرق الثوب او يعطيه
انسان ثوبا او يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك الطعام ممضوغا الى فمه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في
معنى الاول فلهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع
في هلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسأل احدا شيئا حتى يأتيني ربي
برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته رزق فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله
اليه وعزتي لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر فاقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس
في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان
ارزقه بيد قدرتي فاذا التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله دون
الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل
الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب لا الى السبب فان قلت فما قولك في القاعد
في البلد بغير كسب اهو حرام ام مباح او مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب البادية اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا
كيف كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر ممكن الى ان
يتفق ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعل ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة
فالكسب والخروج اولى له ولكن ليس فعله حراما الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول
القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل متطلع الى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو افضل
وهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء ان طلب العبد

لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سأل الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ولقال له يا جاهل
كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا انه لا رازق ولا
مميت الا الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت
بدعائكم الجبال وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا
الى الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون
مكدودون وقال بعض العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان
كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب
التي يتوهم اضافة المسببات اليها من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه فذلك
يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي الناس فيه كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فاما اخذ الشبهة
او الاكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الكسب والاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهي مثل الاسباب
التي نسبتها الى الجلب اياها مثل الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى الزاد الصادر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصف المتوكلين
بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يخرجون في الامصار ولا يأخذون من احد شيئا بل وصفهم بذلك وامثاله من الاسباب التي
لا يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن احصاؤه وقال سهل التوكل ترك التدبير وقال ان الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه
وانما حجابهم تدبيرهم ولعله اراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر وهي التي يحتاج فيها الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذا قد ظهر
ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون وان المقطوع
به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعليه بقي الاتكال على مسبب الاسباب والتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل واما المظنون
والتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات الاول مقام الخواص ونظرائه ممن يسافر الله
في البوادي متكلا على الصبر اسبوعا وما فوقه او على حشيش له او قوت او يثق على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد
قد يفقد زاده او يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقده المقام الثاني ان يقعد في بيته او في مسجد ولكنه
في القرى والامصار وهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير امره
من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجلية الا ان ذلك
لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخر سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم ويضيعوه
لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريكهم والمقام الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث
والرابع من كتاب اداب الكسب وهذا السعي لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمأنينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته
فان ذلك ربما يهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير اسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته
بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يحركه والى ماذا يميله وبم
يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال
القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق
رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اصبح آخذا الاثواب تحت حضنه وحمل السوق ينادي عليها فكرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت للخلافة
فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين اولى ان يستحل
انسان لم يكن الصديق في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع
الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله تعالى هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء
بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم

فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا من الزاهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد
وقال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب في كل يوم دينارا
ولا ابيت منه دانقا ولا استريح به الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول
استحيي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم ان الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف
امروا الخادم بالخروج لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل اليهم
فهذا اقوى في توكلهم لكنه بعدما اشتهر القوم بذلك صار سوقا لهم فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان
قلت فما الافضل ان يقعد في بيته او يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان متفرغا بترك الكسب يتشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا يستشرف
نفسه الى الناس في انتظار من يدخل عليه بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود اولى وان كان يضطرب
قلبه في البيت ويتشوف الى الناس فالكسب اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب
كان المتوكلون لا يأخذون ما يستشرف اليه نفوسهم كان احمد بن حنبل قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان
استأجر عليه فرده فلما ولى قال له احمد الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه واخذه فسأل احمد عن ذلك فقال كان قد استشرف
نفسه فرده فلما خرج انقطع طمعه وايس فاخذ وكان الخواص اذا نظر الى عبد في العطاء وخاف اضطرابا وسكونا لم يقبل منه شيئا
وقال الخواص بعدما سئل عن اعجب ما رآه في اسفاره رأيت الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصا
في توكلي فاذا المكتسب اذا راعى اداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته
وكفايته كان متوكلا فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت بضاعته او خسرت تجارته
او تعوق امر من اموره كان راضيا به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم
يسكن الى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقده فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فتركها وذلك ان البغاذي كاتبه
بلغني انك استعنت على رزقك بالمغازل ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقع ذلك في قلبه واخرج آلة المغازل
وقيل تركها لما ان تسمت باسمه وقصد لاجله وقيل فعل ذلك لما ماتت عياله كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها
فان قلت فكيف يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب من غير بضاعة لا يمكن فاقول بان يعلم ان الذين يرزقهم الله
بغير بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وان يوطن نفسه على ان الله تعالى لا يفعل به الا ما فيه صلاحه
فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا وينبغي ان يعتقد
ان الموت جوعا خير له في الآخرة مهما قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة
وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر من امور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه
فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هي الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا
او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال ابو سليمان الداراني لاحمد
بن ابي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه
من المقامات الممكنة ولكنه قال ما ادركته ولعله اراد ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وبان كل
ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان
بهذه الامور كما سبق وكذلك سائر مقامات الدين من الاقوال والاعمال تنبني على اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن
يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على الكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن
على التوحيد فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب
الخفية فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر

والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فان الانسان بطبعه يشفق من سماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن
مولع واذا انضم اليه جبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية
بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا تبطل التوكل بالكلية لرؤية الرزق من الاسباب كما حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم
يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت كان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد عليه ثلاثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم
رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدي الله والعباد مع هذا النقص
في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق وقال امام المسجد لبعض المصلين من اين تاكل
فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم اجيبك ومنع حسن الظن بمجيء الرزق من لطف الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية
ان تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله في وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجائب قهر الله في اهلاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم
جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم
دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس
فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى شعر انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جائع انا ضائع انا عاري
هي ستة فانا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار ثم دفع
الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة
فاخذها فبكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فقال هذا نصراني
فجئت الى ابراهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني واكب على راس ابراهيم واسلم وقال ابو
يعقوب الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيئا يسكن
ضعفي فرايت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة وكان قائلا يقول لي جعت عشرة ايام وآخره يكون حظك سلجمة
متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني
بها فقال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني الله ان اتصدق بهذه على اول من
يقع عليه بصري من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها كعك مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة
من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني اليهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة ايام وانت
تطلبه من الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي فرايت في النوم كان قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا
المقدار خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وحكي عن بنان الحمال قال كنت في طريق مكة
اجيء من مصر ومعي زاد فجاءتني امراة وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتى
علي ثلاث لم آكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئا فارده اليه فاذا انا بتلك المراة
فقالت لي انت تاجر تقول حتى يجيء صاحبه فآخذ منه شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم وقالت انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مصر وحكي
ان بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له الثمن وقالوا هو ذا يجيء النفر فنشتري ما يوافق فلما ورد النفر اجتمع
رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها
اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة وحكي كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت
فوكل الله به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقي معه القرص وقال
ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت
واتكلت على غيره فآليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها الى صدري فسمعت
صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاءتنا جماعة فاخرجوني فحملوني الى القرية وروي

ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال له عمر يا هذا هاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل
وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر اني قد اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا قال اني قرات
القرآن فاغناني عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه قال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي
في السماء وانا اطلبه من الارض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر يعوده ويجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة
من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا
الخاطر حتى مر براس البئر رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد راس هذا البئر لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية وطموا راس
البئر فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي الى من اصيح هو اقرب منهما فسكت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشيء جاء وكشف عن راس البئر
وادلى رجليه وكانه يقول تعلق بي في همهمة لي كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا
حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت فانا اقول شعر اهاب ان ابدي اليك الذي اخفي ❊ وطرفك يبدي ما
ستر الطرف ❊ نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى ❊ واغنيتني بالفهم منك عن الكشف ❊ تلطفت في امري فابديت شاهدي ❊ الى غائبي
واللطف يدرك باللطف ❊ تراءيت لي بالغيب حتى كانما ❊ تبشرني بالغيب انك في الكف ❊ اراك وبي من هيبتي لك وحشة ❊ فتؤنسني باللطف منك
وبالعطف ❊ وتحيي محبا انت في الحب حتفه ❊ وذا عجب كون الحياة مع الحتف ❊ وامثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم
اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله و
لذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والعلاج ولا يتم اصلا دونها **بيان** توكل المعيل اعلم ان من له عيال فحكمه يباين
المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والآخر ابواب من الايمان
ذكرناها منها ان يطيب نفسا بالموت ان لم ياته رزقه علما بان رزقه الموت بالجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة
في الآخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين وهو رزق الآخرة فبهذا يتم التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن
ان يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك سائر ابواب الايمان فاذا
لا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في
حقهم او القعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل الحق انه لا فرق
بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فله ان
يتوكل في حقهم ونفسه ايضا عيال عنده ولا يجوز له ان يضيعها الا ان تساعده على الصبر على الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب
عليه قلبه ويتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي قد مد يده الى قشر بطيخ ليأكله
بعد ثلاثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام
اكثر من ثلاثة ايام وقال ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب
فاذا بدنه عيال له وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شيء وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له
ذلك في عياله وقد انكشف لك منهما ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت
ان تاخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها
اسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى اذ لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل فالامصار اقرب الى الاسباب من التوكل
في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عقلوا الاسباب الظاهرة فلم يعدوا ذلك اسبابا ولكن ذلك لضعف ايمانهم
وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل
ومن نظر في ملكوت السماوات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان
ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن امه لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف

وصل إليه من غذاء الأم بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة
على الأم لتتكفل به شاءت أم أبت اضطرارا منه إليه بما أشعل في قلبه من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن
الذي لا يحتاج إلى المضغ ولأنه لرخاوة مزاجه لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدر له اللبن اللطيف في ثدي الأم عند انفصاله على
حسب حاجته أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم فإذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أنبت له أسنانا قواطع وطواحن لأجل
المضغ فإذا كبر واستقل يسر له أسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض فإنما نقصت أسباب معيشته ببلوغه
بل إنه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن قد قدر عليه فقد زادت قدرته نعم كان الشفيق عليه مخصوصا وهو الأم أو الأب فكانت
شفقته مفرطة جدا فكان يسقيه ويطعمه في اليوم مرة أو مرتين وكان إطعامه بتسليط الله الشفقة والحب على قلبه فكذلك
سلط الله الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين وأهل البلد كافة حتى إن كل واحد منهم إذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق
عليه وانبعثت له داعية إلى إزالة حاجته فقد كان الشفيق عليه واحدا والآن الشفيق عليه ألف ويزيدون وقد كانوا لا يشفقون
عليه لأنهم رأوه في كفالة الأبوين وهو مشفق خاص فما رأوه محتاجا ولو رأوه يتيما لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على
جماعة حتى أخذوه وكفلوه فما رئي إلى الآن في سني الخصب يتيم مات جوعا مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله
كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل به في الصبا وقد كان
المشفق والعطوف واحدا لا الآن لأنهم كانت شفقة الأم أقوى لكونها واحدة وشفقة آحاد الناس وإن ضعفت فيخرج
من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله له حالا هو أحسن من حال من له أب وأم فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة الشفيقين
وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر حيث قال شعر جرى قلم القضاء بما يكون ◦ فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق ◦ ويرزق في غشاوته الجنين ◦ فإن قلت الناس يكفلون اليتيم لأنهم يرونه عاجزا لصباه وأما هذا فبالغ
قادر على الكسب فلا يلتفتون إليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه فأقول إن كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب
ولا معنى للتوكل في حقه فإن التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله فما للبطال والتوكل وإن كان مشتغلا
بالله ملازما لمسجد أو بيته مواظبا على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله
بالله يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملوا إليه فوق كفايته وإنما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب إلى الجبل من بين الناس
فلم ير إلى الآن عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله وهو في الأمصار فمات جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس
بقوله لقدر عليه فإن من كان لله كان الله له ومن اشتغل بالله ألقى الله محبته في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم
للطفل فقد دبر الله الملك والملكوت تدبيرا كافيا لأهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر إلى
مدبر الأسباب لا إلى الأسباب نعم لا يدبر هذا التدبير بحيث يصل إلى المشتغل به الحلوى والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة
على الدوام لا محالة وقد يتفق ذلك أيضا في بعض الأحوال لكن دبر بحيث يصل إلى كل مشتغل بعبادة الله في كل أسبوع قرص شعير أو
حشيش يتناوله لا محالة والغالب أنه يصل أكثر منه ويصل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل إلا رغبة النفس في التنعم
على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الأطعمة اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو
في الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وإنما يحصل نادرا وهو في النادر أيضا ليس يحصل مع الاضطراب والتحصيل أدون أولى النادر
أيضا قد يحصل بغير اضطراب فإذن الاضطراب ضعف محض من استحكام بصيرة فلذلك التفت إلى الاضطراب إلى حسب
الملك تجري العادات بعدما أن عباده رزقه وإن سكن الإنسان لأنه لو عطفها سيصير مثله في حق المضطرب فإذا انكشف هذا
الأمر وكان معه قوة في القلب وشجاعة أثرنا قال الحسن البصري إذ قال وددت أن أهل البصرة في عيالي وأن حبة بدينار
وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والأرض رصاصا واهتممت برزقي لظننت أني مشرك فإذا فهمت هذا علمت أن
التوكل مقام مفهوم في نفسه ويكفي الوصول إليه لمن قهر نفسه وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكر عن جهل وإياك أن تجمع

بين إفلاسين الإفلاس من وجود المقام ذوقا والإفلاس عن الإيمان به علما فإذا عليك بالقناعة باليسير من القليل والرضا بالقوت
فإنه يأتيك لا محالة وإن فررت منه وعند ذلك على الله أن يبعث إليك رزقك على يد من لا تحتسب فإن اشتغلت بالتقوى والتوكل
شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب إلا أنه لم يتكفل أن يرزقه لحم الطير ولذائذ
الأطعمة فما ضمن إلا الرزق الذي يدوم به حياته وهذا المضمون يتيسر لمن اشتغل بالضامن واطمأن إلى ضمانه فإن الذي
أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق مما لا يحصى ومجاريه مما لا يهتدى إليه وذلك لأن
ظهوره على الأرض وسببه في السماء قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد
فقالوا نطلب الرزق فقال إن علمتم أي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله تعالى فقال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل
البيت فنتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال أحمد بن عيسى الخراز كنت في البادية
فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي أن أسأل الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من فعال المتوكلين فطالبتني أن أسأل الله صبرا
فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول شعر ويزعم أنه منا قريب ◦ وأنا لا نضيع من أتانا ◦ ويسألنا القرى جهدا وصبرا ◦ كأنا لا نراه
ولا يرانا ◦ فقد فهمت أنه إذا كثرت همته وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن وقوي إيمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس أبدا واثقا بالله
فإن أسوأ حاله أن يموت ولا بد من ذلك يأتيه الموت كما يأتي من لا يتوكل فقد نال بموته عذابا إذا أمام التوكل بقناعة تنجاب ووفا بالمضمون من
جانب والقطع عن رزق القانعين بهذه الأسباب التي دبرها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الموعد عجائبا مما يرد عليك
من الأرزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تكونن في توكلك مستنظرا للأسباب المستبد بالأسباب كما لا تكون مستنظرا القلم الكاتب
بل الكاتب فإنه أصل حركة القلم والمحرك الأول ولهذا ينبغي أن يكون نظر المتوكل إلى الله وهذا شرط توكل من يخوض البوادي
بلا زاد أو يقعد في الأمصار ... إنما الغني لذكر بالعبادة والعلم فإنه أقنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان
وإن لم يكن من اللذائذ ويوجد من يليق بأهل الدين فهذا يأتيه الرزق من حيث يحتسب ومن لا يحتسب على الدوام بل يأتيه أضعاف
ما يكفيه التوكل والإهمال بالرزق في غاية الضعف والقصور فإن أسباب التسخير لجلب الرزق إليه أقوى من ...
الأمصار في حق العامل مع الاكتساب والاهتمام بالرزق [illegible] أقرب لأن يطعم الشاعة والعالم النافع
يأتيه رزقه ويرزق جماعة كثيرة إن كان معه إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل من كسبه فذلك لا وجه له في حق العالم
العامل الذي يشغله الكسب عن العلم والعمل ... الباطل فإن الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن واشتغاله بالسلوك
مع الحق من بين يتقرب إلى الله بما يعطيه أولى لأنه تفرغ لله وإعانة للمعطي على نيل الثواب ومن نظر إلى مجاري سنة الله علم
أن الرزق ليس على قدر الأسباب ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكيما عن الأحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال ذلك تدبير
الصانع أنبئك على نفسه إذ لو رزق كل عاقل وحرم كل أحمق لظن أن العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا أن الرازق
هو الله ولا ثقة بالأسباب الظاهرة

بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال

اعلم أن مثال الخلق مع الله
مثال طائفة من السؤال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون إلى الطعام فأخرج إليهم غلمانا كثيرة ومعهم أرغفة
وأمرهم أن يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا في أن لا يغفلوا عن واحد منهم وأمر مناديا
حتى نادى فيهم أن اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني إذا خرجوا إليكم بل ينبغي أن يطمئن كل واحد في موضعه فإن الغلمان مسخرون
وهم مأمورون بأن يوصلوا إليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان وآذاهم وأخذ رغيفين فإذا فتح باب الميدان وخرج أتبعه غلام
يجيء يكون موكلا به إلى أن يسلم بعقوبة في ميعاد معلوم عندي ولكني أخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد أتاه من
يد الغلام وهو ساكن فإني أخصه بخلعة سنية في الميعاد الذي يعاقب فيه الآخر ومن ثبت في مكانه ولكن أخذ رغيفين
فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن أخطأه الغلمان فلم يوصلوا إليه شيئا فبات الليلة جائعا غير متسخط على الغلمان ولا قائل ليته
أوصل إلي رغيفا فإني أستوزره وأفوض ملكي إليه فانقسم السؤال إلى أربعة أقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا إلى العقوبة

الموعود. وقالوا من اليوم الى غد فرج ولكن لا نحا سرف بادرعا الى العلمان واذوهم وامتنعوا الرغيفين فسبقت العقوبة
اليهم في الميعاد المذكور فدخلوا ولم يتبعهم الذم وهم تركوا التعلق بالعلمان نحوف العقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة الجوع
فسلموا من العقوبة وفازوا بالخلعة وهم قالوا المجلس بمرأى من العلمان نحو المحلينا ولكنا لا ناخذ اذا اعطونا الا رغيفا
واحدا ونسلم به فلعلنا نستوفي الخلعة فقاموا وهم رابع احتموا في زوايا الميدان ولم يخرجوا عن مراى اعين العلمان وقالوا
ان اتبعونا واعطونا اقنعنا برغيف واحد وان غفلوا عنا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة
ودرجة القرب عند الملك ولم ينفعهم ذلك اذ تبعهم العلمان في كل زاوية فاعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى
اتفق على الندور ان اختفى ثلثة في زاوية ولم يقع عليهم ابصار العلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع
شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للعلمان واخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصبح فنال درجة القرب
والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو الدنيا والوعد المجهول هو يوم الشهادة وقد تقدم كل ذا اما استحابها اصناف من تحرز ذلك
الى ميعاد البيعة الف السنة احيا عند ربهم يرزقون والمتعلق بالعلمان هو المتعدي في الاسباب والعلمان هم المسخرون بين الاسباب
والمجالس على طرف الميدان بمرأى العلمان هم المعتزلون في الامصار والرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا
هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل وترك الاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جائعا راضيا
فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام السبعة فلعل من كل مائة متعلق بالاسباب تسعون واقام تسعة
من العشرة الباقية في الامصار متعرضا للسبب بحضورهم ومشاهدتهم وساح في البوادي منهم وتخلص منهم اثنان وفاز بالقرب
واحد ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة واما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة الآلاف. النوع الثاني
في التعرض للاسباب بالادخار فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال او سبب من الاسباب فله في الادخار ثلاثة احوال الاولى
ان ياخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي
في الحال ولا ياخذه ولا يدخره الا لقدر الذي يدركه من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفا بموجب التوكل
تحقيقا وهي الدرجة العليا الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين
اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفارة والنملة وابن آدم الحالة الثالثة ان يدخر لاربعين يوما فما دونها وقد اختلف فيه
فقيل انه يحرم به عن التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج بادخار دون ادخار اربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج
عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا الخلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار نعم يجوز ان يظن ظان ان اصل الادخار
يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا وجه له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة ولتلك الرتبة بداية
ونهاية ويسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذا السابقون
واعالي درجات اصحاب اليمين تلاصق اوائل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار
لا يتم الا بقصر الامل وانما عدم الامل بالكلية فيشترط استرطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده اما الناس فيتفاوتون في طول
الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا تحصر
فمن لم يامل اكثر من شهر اقرب الى المقصود ممن يامل سنة وتقييده بالاربعين بما يوافق البعث لميقات موسى صلى الله عليه وآله وسلم بعيد فان تلك
الواقعة لم تقصد بها بيان تقدير يحصل الامل فيه وانما استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما لسنة جرت من
سنة الله تعالى في تدريج الامور كما قال خمرت طينة آدم بيده اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة للتخمير كان موقوفا على مدة
مبلغها ما ذكر فاذا ما يأتي السنة لا يدخرها الا الحكيم لضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب وهو خارج عن حد التوكل غير واثق
بلطف التدبير من الوكيل الحق فاما العطيات فان اسباب الدخل من الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين فالنادر
ومن ادخر اقل منها سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن كان امله شهرين لم تكن درجته درجة من كان امله شهرا ولا درجة

من امل ثلثة اشهر بل هو متوسط بينهما في الرتبة والمنع من الادخار الا من ضعف القلب اصلا فان من فضل الله لا يدخر الا من ضعف قلبه وكان مال
ادخاره وكان فضل الكرم وقد يدعى في الخبر الذي امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا واسامة بغسله وكفنه
ببردته فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية
قلنا وما هي يا رسول الله قال كان صواما قواما كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال ان من اقل ما اوتيتم اليقين
وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز والسفرة وما يحتاج اليه على الدوام في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة وثوب الشتاء لا يحتاج
اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا يستشرف نفسه الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق
فان كان يستشرف في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة تكون دخلها وافيا
بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلب ليتجرد لذكر الله ورب شخص يشغله وجود
المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الحرف والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا
المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم
عن الدنيا الى الله وعمدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار هذا
كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك
مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر بتكرر السنين فادخاره زيادة عليه صورة ضعف قلب وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل
عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر له شيئا ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر
عليها فقال انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبأ لا اقتداء بسيد المتوكلين
صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان نصر ادخاره بحيث كان ادا بات تجمع عنده ما قوت لا يدري ليلى الملعقة وكان صلى الله عليه
وآله وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان ذلك لا يثق بما ادخره ولكنه ترك تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته
ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلبه في حق عياله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من امته ثم اخبر ان الله
يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون الميسور
من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل صلى الله عليه وآله وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم
واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة
توفي فما وجد له كفن فقال صلى الله عليه وآله وسلم فتشوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل ازاره فقال عليه السلم كيتان وقد كان
غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك فيه وهذا يحتمل وجهين لانا حاله يحتمل احد امرين اذ قال كيتان
من النار كما قال تعالى تكوى بها جباههم وجنوبهم وهذا اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع لا ملك عنده فهو نوع
تلبيس والثاني ان لم يكن ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص من جمال الوجه اثر كيتين في الوجه
وذلك لا يكون عن تلبيس فان كل من خلف شيئا فهو منقص عن درجته في الآخرة اذ لا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا ينقص
بقدره من الآخرة واما بيان ان الادخار مع ترك الكسب عن الفقر ليس بضرورية بطلان التوكل فيشهد له ما روي عن بشر قال
الحسين المغازلي من اصحابه كنت عنده ضحى من النهار فدخل عليه رجل كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رأيته قام لاحد
غيره قال ودفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام
فوضعته فاكل معه وما رأيته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف
فتعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذاك اخونا فتح الموصلي

زايدا اليوم من الوصل وأما ما لا بد أن يعلمه أن المتوكل إذا أصبح لم يضره الادخار الفن الثالث في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف فاعلم أن الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال وليس من شرط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأسا أما في النفس فكالنوم في الأرض المسبعة أو في مجاري السيل من الوادي أو تحت الجدار المائل والسقف المنكسر منهي عنه نعم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها وإلى مظنونة وإلى موهومة فترك الموهوم منها شرط التوكل وهي التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فإن الكي والرقية قد يقدم بهما على المحذور دفعا له وقد يستعمل بعد نزول المحذور للإزالة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يصف المتوكلين إلا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بأنهم إذا خرجوا إلى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الأسباب نعم الاستظهار بأكل الثوم مثلا عند الخروج في الشتاء تهييجا للحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الأسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة ولا ترك الأسباب الدافعة وإن كانت مقطوعة وجه إذا ناله الضرر من إنسان فإنه إذا أمكنه الصبر والاحتمال وأمكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ودع أذاهم وتوكل على الله وقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في أذى الناس أما الصبر على أذى السباع والعقارب والحيات فترك دفعها ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لإعانته على الدين وترتيب الأسباب كترتيبها في الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالإعادة وكذلك في الأسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج وبأن يعقل البعير لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعا وإما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم للأعرابي لما أهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا أسلحتهم وقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى صلى الله عليه وآله وسلم فأسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب واختفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغار اختفاء عن أعين الأعداء دفعا للضرر وأخذ السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعا ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا أن المظنون كالمقطوع وإنما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فإن قلت فقد حكي عن جماعة أن الأسد وضع يده على كتفه ولم يتحرك فأقول وقد حكي عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه فلا ينبغي أن يغرك ذلك المقام فإنه وإن كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير إذ ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته إليها فإن قلت وما علامة أعلم بها أني وصلت إليه فأقول الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن من العلامات السابقة عليه أن يسخر لك كلب هو معك في إهابك يسمى الغضب فلا يزال يعضك ويعض غيرك فإن سخر لك هذا الكلب بحيث إذا هيج وأشلي لم يستشل إلا بإشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك إلى أن يسخر لك الأسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك أولى بأن يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب باطنك أولى بأن يسخر لك من كلب دارك فإذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر فإن قلت فإذا أخذ المتوكل السلاح حذرا من العدو وأغلق الباب حذرا من اللص وعقل البعير حذرا من أن يشرد فبأي اعتبار يكون متوكلا فأقول يكون متوكلا بالعلم والحال أما العلم فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يندفع بكفايته في إغلاق الباب بل اندفع بدفع الله تعالى إياه فكم من باب يغلق ولا ينفع فكم من بعير يعقل ويموت أو يفلت وكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من آخذ سلاحه يقتل أو يغلب فلا تتكل على هذه الأسباب أصلا بل على مسبب الأسباب كما ضربنا المثل في الوكيل في الخصومة فإنه وإن حضر وأحضر السجل فلا يتكل على نفسه وعلى سجله بل على كفاية الوكيل وقوته وأما الحال فهو أن يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم إن سلطت على ما في بيتي من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك فإني لا أدري أن ما أعطيتني هبة فلا أرتجعها أو عارية ووديعة فتستردها أو ما لا أدري أنه رزقي أو سبقت مشيئتك في الأزل بأنه رزق غيري وكيفما قضيت فأنا راض به وعلامة أنك أغلقت الباب تحصنا في أسبابك وتحفظا للاحتياط على مقتضى سنتك في ترتيب الأسباب وثقتي بك يا مسبب الأسباب فإذا كان هذا حاله ونيته التي ذكرناها لم يخرج عن حد التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب ثم إذا عاد ووجدها في البيت ينبغي أن

يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله وإن لم يجده بل وجده مسروقا فلينظر إلى قلبه فإن وجده راضيا أو فرحا بذلك عالما بأنه ما أخذ الله ذلك منه إلا لتزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وإن تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقا في دعوى التوكل لأن التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد إلا ممن لا يأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل قد يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له في ذنبه من حيث إنه ظهر له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوى فيجتهد بعد هذا أن لا يصدق نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فإنها خداعة أمارة بالسوء مدعية للخير فإن قلت فكيف يكون للمتوكل المال حتى يؤخذ فنقول المتوكل لا يخلو بيته عن متاع كقصعة يشرب منها وآنية يتوضأ منها وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضروريات المعيشة من أثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجا فيصرفه إليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل إخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده وإنما ذلك في المأكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لأن سنة الله جارية بوصول الخبز إلى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد وصول الخبز وما جرت السنة بتفرقة الكيزان وما يشفعه في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والإبرة دون الزاد لأن سنة الله جارية بالفرق بين الأمرين فإن قلت فكيف يتصور أن لا يحزن إذا أخذ متاعه الذي هو محتاج إليه ولم يسمح عليه فإن كان لا يشتهيه فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وإن أمسكه لأنه يشتهيه لحاجته إليه فكيف لا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فنقول إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذ كان يظن أن الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا أن الخيرة له فيه لما رزقه الله ولما أعطاه فاستدل عليه بتيسير الله وحسن الظن بالله مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به إذ يحتمل أن تكون خيرته في أن يتلف منه ذلك حتى يتعب في تحصيله ويكون ثوابه في التعب والتعب أكثر فلما أخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لأنه في جميع الأحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا أن الله علم أن الخيرة لي كانت في وجوده إلى الآن وأن الخيرة الآن في عدمه لما أخذه مني فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالأسباب من حيث إنها أسباب بل من حيث إن مسبب الأسباب يسببها بعناية به ولطف وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق فإنه يطمئن إن قدم إليه الغذاء فرح وقال لولا أنه عرف أن الغذاء ينفعني وقويت على احتماله لما قدم إلي وإن أخر عنه الغذاء أيضا فرح وقال لولا أن الغذاء يضرني ويسوقني إلى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا ومن عرف الله وعرف أفعاله وعرف سنته في إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب فإنه لا يدري أي الأسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فإني لا أدري أيهما خير لي فكذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل سرق متاعه أو لم يسرق فإنه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أو في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الإنسان وكم من غني يبتلى بواقعة لو كان فقيرا لسلم منها

بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم

للمتوكل آداب في متاع بيته إذا خرج الأول أن يغلق الباب ولا يستقصي في أسباب الحفظ كالتماس الجيران الحفظ مع الغلق وجمعه أغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول لولا الكلاب ما شددته أيضا الثاني أن لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق فيكون سبب معصيتهم أو إمساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركوة قال خذها لا حاجة لي إليها قال لم قال يوسوس إلي العدو أن اللص قد أخذها فكأنه احترز من أن يعصي السارق ومن أن يشغل قلبه بوسوسة الشيطان بسرقته ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا فما عليه من أخذها الثالث أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق هو منه في حل أو هو في سبيل الله وإن كان فقيرا فهو عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى ويكون له نيتان لو أخذه غني أحدهما

ان يكون ماله ما اعده لاهل المعصية فانه ربما يستغني به فيتوب عن السرقة بعدها ويقعد بالعصيان باكل الحرام لما ان جعله في حل
والثاني انه اذا ظلم مسلما فيكون ماله فدا مال المسلم او يدفع به عن حراسة مال غيره بالغنيمة او يلوم المصيبين السارق او يحسبها
عليه فقد نصح للمسلمين واشتغل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة الظالم منعه عن ظلمه وعفوه
عنه اعدام للظلم ومنع له فيحقق ان يحزنه وانه لا يضر بوجه من الوجوه الذي فيه استيلاء السارق ويعين القضاء الذي يحكيه ويحقق
ابن حنيفة فان اعفاه فكان له بكل درهم سبعمائة صهم الى تواه وقصده وان لم ينو فحصل له الاجر ايضا كما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في ترك العذاب المنزل والنطفة وانه اذا اخرج غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش وقتل في سبيل
الله وان كان لم يولد له اليه لبس في امر الولد الا الوقاع فاما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على
فعله وفعله لم ينعدم فكذلك امر السرقة الرابع انه اذا وجد المال مسروقا فينبغي ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة
كانت فيما سلبه الله تعالى ثم انه لم يكن قد جعله في سبيل الله فلا يبالغ في طلبه واساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله
فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة فان اعيد اليه فالاولى ان لا يقبله بعد ان كان قد جعله في سبيل الله وان قبله
فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين وقد روي ان ابن عمر رضي الله عنه سرقت
ناقته فطلبها حتى اعيا ثم قال في سبيل الله ثم دخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان
كذا فلبس نعله وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب فتاخذها فقال اني كنت قلت في سبيل الله وقال بعض الشيوخ
رايت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وادخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرايتها قال وهو مع
ذلك كئيب حزين فقلت قد غفر لك ودخلت الجنة وانت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم اني لا ازال حزينا الى يوم القيمة قلت ولم ذاك
قال اني لما رايت منازلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رايت مثلها فيما رايت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد
من فوقها اصرفوه عنها ليست هذه له انما هي لمن امضى السبيل فقلت وما امضى السبيل قيل له قد كنت تقول للشيء انه في سبيل الله
ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل لامضيناها لك وحكي عن بعض العباد بمكة انه كان نائما بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل ففقد
هميانه فاتهمه به فقال كم كان فيه فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم اعلمه اصحابه انهم كانوا اخذوا الهميان من حاجته فجاء هو
واصحابه وردوا الذهب عليه فابى وقال خذوه حلالا طيبا فما كنت لاعود في مال اخرجته في سبيل الله فلم يقبل فالحوا عليه فدعا ابنا له
وجعل يصر صررا ويبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شيء فهكذا كانت اخلاق السلف وكذلك من اخذ رغيفا ليعطيه فقيرا
فغاب عنه فكان يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيعطيه فقيرا آخر وكذلك في الدراهم وسائر الصدقات الخامس وهو اقل الدرجات
ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالسرقة فان فعل بطل توكله ودل على كراهته وتاسفه على ما فات وبطل زهده وان بالغ
فيه بطل اجره ايضا فيما اصيب به في الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكي ان الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان ثمنه عشرين الفا
وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما اني قد كنت رايته وهو يحله قيل وما منعك ان تزجره
قال كنت فيما هو احب الي منه يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل
لبعضهم في شيء قد كان سرق له الا تدعو على ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل ارايت لو ردت عليك قال لا
آخذها ولا انظر اليها لاني كنت قد احللتها له وقيل لآخر ادع الله على ظالمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه
لنفسه حتى ازيده شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك
عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله او دمه وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم
يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم السادس ان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعقاب الله تعالى ويشكر الله تعالى
اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصانا في دنياه لا نقصانا في دينه فقد شكا بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق
واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضيل

دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال اعلى الدنانير تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين انه يسال يوم القيمة
ولا تكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه الفن الرابع السعي في ازالة الضرر كمداواة
المرض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للمرض ايضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى
مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وسائر ابواب الطب اعني معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي
الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم كالكي والرقية اما المقطوع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم
فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد
عليها والاتكال اليها غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء
ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون افضل من فعله في بعض الاحوال
وفي بعض الاشخاص فهي على درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وقوله وامره به اما قوله فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني
الموت وقال تداووا عباد الله وسئل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله تعالى وفي الخبر المشهور ما مررت
بملا من الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة وفي الحديث انه امر بها وقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا
يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين
اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك
بل هو كصب الماء على النار لاطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل اصلا وفي خبر مقطوع
من احتجم يوم الثلثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة واما امره فقد امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير واحد من
الصحابة بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده وكوى اسعد بن زرارة وقال لعلي رضي الله عنه وكان به رمد
العين لا تاكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق شعير وقال لصهيب وقد رآه ياكل التمر
وهو وجع العين تاكل التمر وانت رمد فقال انما آكل من الجانب الآخر فتبسم واما فعله فقد روي في حديث من طريق اهل البيت انه
كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة وتداوى صلى الله عليه وآله وسلم غير مرة من العقرب وغيرها وروي انه
كان اذا نزل عليه الوحي صدع راسه فكان يغلفه بالحناء وفي خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة
خرجت به ترابا وما روي في تداويه وامره به كثير خارج عن الحصر وقد صنف كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر بعض
العلماء في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا
اتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لا ابرئك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرئ فاوجس
في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي فمن اودع العقاقير منافع الاشياء غيري وروي في خبر آخر
ان نبيا من الانبياء شكا علة يجدها فاوحى الله اليه كل البيض وشكا نبي آخر الضعف فاوحى الله اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روي ان قوما شكوا الى نبيهم
قبح اولادهم فاوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد وليفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ
فيه يصوره الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبالى السفرجل والنفساء الرطب فهذا يبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط
المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب وكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش
فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلي
واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص ممن ادركه بالتجربة فمن حصل له ذلك بالتجربة التحق في حقه بالاول والثاني
ان الدواء لا يسهل والسكنجبين لا يسكن الصفراء الا بشروط اخرى باطنة واسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما
تفوت بعض الشروط فيبطل عمل الدواء في الاسهال واما الماء فمزيل العطش لا يستدعي سوى الماء شروطا كثيرة وقد يعرض من العوارض

ما وجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلاف الاسباب ايضا يحصى في هذين السببين والا فالمسبب يتكل بالسبب للحكمة
مهما تم شروط السبب وكل ذلك بتقدير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمة وكمال قدرة فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر
الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روي عن موسى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يا رب ممن الدواء والشفاء فقال الله
مني قال فما يصنع سوى عبادي حتى ياتي الشفاء او يقضي فاذا معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في صنوف
الاعمال القاصدة لطرق الضرر والجالبة للنفع فاما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه فان قلت فالكي ايضا من الاسباب الظاهرة النفع
قلت ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور ولو كان الكي مثلها في
الظهور لما خلت البلاد الكبيرة عنه وقلما يعتاد الكي في اكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهو من الاسباب
الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنها بامر وهو احراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دواء يغني عنه
ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما
بعيد ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل
وروي ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى فكان يقول كنت ارى نورا
واسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك
واناب الى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجده من امر الملائكة فقال لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي كان اكرمني الله بها قد
ردها علي بعد ان كان اخذها فاذا الكي مما يحجب صاحبه عن اللحوق بالتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو
موهوم يدل ذلك على شدة الملاحظة للاسباب وعلى التعمق فيها فان قلت فترك التداوي قد يحمد في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل
فان ذلك كيف يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك
التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ لا يكون
حال غيره في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال
لما اريد وقيل لابي الدرداء في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب
امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال اني عنهما مشغول فقيل لو سالت الله ان يعافيك فقال اساله
فيما هو اهم علي منهما وكان اصاب الربيع بن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا
وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئا وكان احمد بن حنبل يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا
الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكانت به علل فلا يخبر الطبيب بها اذا ساله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال
اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه فاذا من ترك التداوي رايتهم
فيهم كثرة ولا يتخيل وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وافعالهم الا بحصر الصوارف عن التداوي فنقول ان
لترك التداوي اسبابا الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما
عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب
فانه كان من المكاشفين فانه قال لعائشة في امر الميراث انما هما اختاك وانما كان لها اخت واحدة ولكن كانت امراته حاملا فولدت
انثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله والا فلا يظن به انكار التداوي شغلا
بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدرداء اذ قال انما اشتكي ذنوبي فكان تالم قلبه خوفا من
ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له
الا تاكل وانت جائع فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الاكل نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن اكل ويقرب
منه اشتغال سهل حيث قيل له ما القوت فقال الحي القيوم فقيل انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سالناك

عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سالناك عن طعمة الجسد قال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه آخرا اذا دخل عليه علة فرده
الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت ردها الى صانعها حتى يصلحها السبب الثالث ان تكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به
بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا
وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى اي ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض
كذلك لقلة ممارسته الطب وقلة تجربته فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا في الادوية من غيره
فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه
يبقى الدواء عندهم شيئا موهوما لا اصل له وقد يصح ذلك في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب ولا يصح في البعض ولكن غير
الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الاسباب كالكي والرقى فيتركه توكلا السبب الرابع ان يقصد العبد
بترك التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى او ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في
ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على
قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده
بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وفي حديث
من طريق اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه وآله وسلم اتحبون
ان تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون وقال ابن مسعود تجد المؤمن اصح شيء قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شيء
جسما وامرضه قلبا فلما عظم الثناء على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة فيخفيها
ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من ان تشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه
وعلى ان صلاتهم قاعدا مع الصبر على قضاء الله افضل من الصلاة قائما مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة
اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصائب
واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وكان سهل يقول ترك التداوي من العلل وان ضعف عن الطاعات وكانت
به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا راى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر لاجل مرض
فيتداوى للقيام في الصلاة والنهوض الى الطاعة يتعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضا بحاله افضل من التداوي للقوة
والصلاة قائما وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل في شيء
منه فهو افضل لانه ان اخذ شيئا من الدواء ولو كان من الماء البارد سئل عنه لم اخذت ومن لم ياخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه
ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل افضل
من امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المه غالبا مدهشا وقال سهل علل الاجسام رحمة
وعلل القلوب عقوبة السبب الخامس ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال
تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يوم كفارة
سنة فقيل لانه يهدم قوة سنة ويقال ان الانسان له ثلاثمائة وستون مفصلا فيدخل الحمى جميعها ويجد من كل واحد الما فيكون
كل الم كفارة يوم ولما ذكر صلى الله عليه وآله وسلم كفارة الذنوب بالحمى سال زيد بن ثابت ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم يكن يفارقه
الحمى حتى مات رحمه الله وسال ذلك طائفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال صلى الله عليه وآله وسلم من اذهب الله
كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فلقد كان في الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون عالما من
لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى نظر الى عبد عظيم البلاء فقال

يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه مما ارحمه به اكفر ذنوبه وارفع في درجاته السبب السادس ان يستشعر العبد من نفسه مبادي
البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان
او طول الامل والتسويف في تدارك الفائت وتأخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوى الصفات ومنها ينبعث الهوى وتحرك الشهوات
وتدعو الى المعاصي واقلها ان تدعو الى التنعم في المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة
الطاعات واذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصائب ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة او قلة او ذلة وقد
روي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس به من احب من خلقي فاذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب
المعاصي فاي خير يزيد عليه ولا ينبغي ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي فقد قال بعض
العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية قال ان كنت لم تعص الله تعالى فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي داء
ادوى من المعصية ما عوفي من عصى وقال علي كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيد لهم ما هذا الذي اظهروه قالوا هذا
يوم عيد لهم فقال كل يوم لا يعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد وقال تعالى من بعد ما اراكم ما تحبون قيل العوافي وقال تعالى
ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى لطول العافية
لانه لبث اربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم
لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقيل الحمى رائد
الموت فهو مذكر به ودافع للتسويف وقال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل
يفتنون بالامراض ويختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرتين ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول
فلم تجب وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس او مال وقالوا لا يخلو المؤمن
في كل اربعين يوما ان يروع روعة او يصاب بنكبة حتى روي ان عمارا تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال صلى الله عليه وآله وسلم
اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر ان الحمى حظ المؤمن من نار جهنم وفي حديث
انس وعائشة رضي الله عنهما يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ آخر
الذي يذكر ذنوبه فتحزنه ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوائد المرض رأت جماعة ترك الحيلة في زواله
اذ رأوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث رأوا الدواء نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

بيان الرد على من قال ان ترك التداوي افضل بكل حال فان قال قائل انما فعله صلى الله عليه وآله وسلم ليستن به غيره
والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الاسباب فنقول ينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد
عند تبيغ الدم وان قال ذلك فليقض شرطه بل ينبغي من شرطه ان لا يدفع العقرب والحية عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن
والعقرب يلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال ان ذلك ليس من شرط التوكل فيقال ينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ
الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة ولا قائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب واجرى
بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام
وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا ووباء عظيما وافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقي بايدينا
الى التهلكة وقالت طائفة اخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى الم تر الى
الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجعوا الى عمر رضي الله عنه فسألوه عن رأيه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له
المخالفون في رأيه انفر من قدر الله تعالى فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال ارأيتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احداهما

مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن
بن عوف ليسأله عن رأيه وكان غائبا فلما اصبحوا جاء عبد الرحمن بن عوف فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المؤمنين
شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يقول اذا سمعتم بالوباء في ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله تعالى اذ
وافق رأيه ورجع بالناس من الجابية فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا
من شرط التوكل فان قلت فلم نهي عن الخروج من البلد وسبب الوباء في الطب الهواء واظهر طرق التداوي الفرار من المضر والهواء
هو المضر فلم لم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار عن المضر لم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار عن المضر غير
منهي عنه اذ الحجامة والفصد فرار من المضر وترك التوكل في امثال ذلك مباح وهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله
انه الهواء لا يضر من حيث يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرئة والقلب
وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص
غالبا من الاثر الذي استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا
لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف اليه امر آخر وهو انه لو رخص للاصحاء في الخروج لما بقي في
البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام
وهم يعجزون عن مباشرتها بانفسهم فيكون ذلك سعيا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحاء منتظر فلو اقاموا لم تكن
الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم
بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى الى الاشتكاء سائر اعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس
هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهد
وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لاجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع
ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب لبقية المسلمين وسعيا
في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لم يلاحظها ونظر الى ظواهر الاخبار والآثار تناقض عنده اكثرها وغلط العباد والزهاد في مثل هذا
كثير وانما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك فان قلت ففي ترك التداوي فضل كما ذكرتم فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم التداوي لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوة
او احتاج الى تذكر الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت
بصيرته عن الاطلاع على ما اودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه كالرقى او كان مشغولا بحاله فيمنعه التداوي
وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع بين الحالين رجحت الصوارف عن ترك التداوي وكل ذلك كمالات بالاضافة
الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله
يقتضي ان يكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم يكن ينظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان
هذا مقامه لم يضره الاسباب كما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كمال بالاضافة وان كان الكمال يقتضي بالاضافة
الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستوى الحجر والذهب كمل من الهرب عن الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه
وآله وسلم استواء الحجر والمدر والذهب وكان تركه ليعلم الخلق مقام الزهد فانه منتهى فهمهم لا لحظه على نفسه عن امساكها
اعلى رتبة من ان تغيره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى ان يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها
لمثل هذه المشاهدة وانما ترك استعمال الدواء جريا على سنة الله وترخيصا لامته فيما تشتد حاجتهم مع ان الضرر فيه بخلاف الادخار
للاموال فان ذلك عظيم الضرر نعم التداوي لا ضرر فيه الا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وقد نهي عنه من حيث انه

قد يقصد به الصحة ليستعان به على المعاصي فذلك منهي عنه والمؤمن في غالب الأمر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء
نافعا بنفسه بل من حيث إنه جعله الله سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا والخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فإنه إن
اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وإن اكتسب لنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي أوردناها أن ترك التداوي
قد يكون أفضل في بعض الأحوال ولبعض الأشخاص والنيات فإن واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل إلا ترك الموهومات كالكي
والرقى فإن ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين

بيان حكم التوكل في إظهار المرض وكتمانه اعلم أن كتمان المرض وإخفاء
الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من أعلى المقامات لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بين العبد وبين الله فكتمانه أسلم عن
الآفات ومع هذا فالإظهار لا بأس به إذا صحت فيه النية والقصد ومقاصد الإظهار ثلاثة الأول أن يكون غرضه التداوي فيحتاج إلى ذكره
للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب
أوجاعه وكان أحمد بن حنبل يخبر بأمراض يجدها ويقول إنما أصف قدرة الله تعالى في الثاني أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به
وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به
كما يتحدث بالنعم وقال الحسن البصري إذا حمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى الثالث أن يظهر بذلك عجزه
وافتقاره إلى الله تعالى وذلك يحسن ممن يليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي أنه قيل لعلي رضي الله عنه في مرضه كيف أنت قال بشر
فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال أتجلد على الله فأحب الله أن يظهر عجزي وافتقاري مع ما علم بي من القوة
والضراعة وتأدب فيه بأدب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ مرض حيث مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول اللهم
صبرني على البلاء فقال سألت الله البلاء فسل الله العافية فبهذه النيات يرخص في ذكر المرض وإنما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية
والشكوى من الله حرام كما ذكرناه في تحريم السؤال على الفقراء إلا بضرورة ويصير الإظهار شكاية بقرينة التسخط وإظهار الكراهة
لفعل الله فإن خلا عن قرينة التسخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه لأنه ربما يوهم الشكاية
وربما يكون فيه تصنع وتزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للإظهار لأن الاستراحة
إلى الدواء أحسن من الاستراحة إلى الكلام وقد قال بعضهم من بث لم يصبر وقيل في معنى قوله تعالى فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب
صلى الله عليه وآله وسلم ما الذي أذهب بصرك قال مر الزمان وطول الأحزان فأوحى الله إليه تفرغت لشكايتي إلى عبادي فقال
يا رب أتوب إليك وروي عن طاوس ومجاهد أنهما قالا يكتب على المريض أنينه في مرضه وكانوا يكرهون أنين المريض لأنه
إظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما أصاب إبليس من أيوب إلا أنينه في مرضه فجعل الأنين حظه منه وفي الخبر إذا مرض العبد أوحى الله
إلى الملكين انظرا ما يقول لعواده فإن حمد الله وأثنى بخير دعوا له وإن شكا وذكر شرا قالا كذلك تكون وإنما كره بعض العباد العيادة
خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم إذا مرض أغلق بابه ولم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج إليهم منهم فضيل ووهيب
وبشر وكان فضيل يقول أشتهي أن أمرض بلا عواد وقال لا أكره العلة إلا لأجل العواد تم كتاب التوكل بحمد الله والمنة وصلى الله
على محمد وآله أجمعين

كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا ونضرتها وصفى أسرارهم عن ملاحظة غير
حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لها بأسمائه وصفاته حتى أشرقت بأنوار معرفته ثم كشف لهم عن سبحات وجهه حتى
احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش
ما يغبر في وجه العقل وبصيرته وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا أيها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته
فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته ومحترقة بنار محبته والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكمال نبوته وعلى
آله وأصحابه سادة الخلق وأئمته وقادة الحق وأزمته أما بعد فإن المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا

من الدرجات فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ولا قبل المحبة
مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها
وأما محبة الله تبارك وتعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها وقال لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله تعالى وأما حقيقة المحبة فمحال
إلا مع الجنس والمثل ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء
عن هذا الأمر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى
ثم بيان أن أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله الكريم ثم بيان سبب زيادة لذة النظر إلى وجه الله في الآخرة على المعرفة في الدنيا
ثم بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان
معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تبارك وتعالى ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط
في الأنس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي
ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله ولرسوله فرض
وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد وأن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب ويدل
على إثبات الحب لله تعالى قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه وقد جعل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزين العقيلي يا رسول الله ما الإيمان قال أن يكون
الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن
العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم و
أبناؤكم وإخوانكم إلى قوله أحب إليكم من الله ورسوله الآية فإن ذلك جرى في معرض التهديد والإنكار وقد أمر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بالمحبة فقال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله إياي
وروي أن رجلا قال يا رسول الله إني أحبك فقال استعد للفقر فقال إني أحب الله فقال استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال النبي عليه السلام انظروا إلى هذا الرجل الذي قد
نور الله تعالى قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون وفي الخبر المشهور أن إبراهيم
عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك
الموت الآن فاقبض وهذا لا يجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه فإذا علم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى
يلتفت إليه وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب
إلي من الماء البارد وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها فقال ما أعددت لها
كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام
فرحهم بذلك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال الحسن
من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني إن من خلق الله
خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت
ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فإذا هم
أشد نحولا وتغيرا فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق إلى الجنة قال حق على الله أن يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى
فإذا هم أشد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم المرائي من النور فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الحب لله عز وجل فقال أنتم المقربون
أنتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الثلج فقلت أما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد وعن سري
السقطي قال تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها عليهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فإنهم ينادون
يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا وقال هرم بن حيان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه

واذا وجد حلاوة الانس به لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة
وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف
وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه مثقال
خردلة من الحب احب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا اخذتني اليك وسربلتني
بمعرفتك وامكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتهملني
في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا
فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لاني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله
من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به **بيان** حقيقة المحبة واسبابها
وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى اعلم ان المطلوب من هذا الفصل بيان معنى المحبة واسبابها ولا ينكشف ذلك الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها
ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك
اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم الى
ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام والذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب
عند المدرك وما في ادراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها
فاذن كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة
عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوي
سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته الاصل الثاني ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب
انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك
اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة ولذة
الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت
هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال النبي عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب
والنساء وقرة عيني في الصلاة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن
الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس يحظى بها الحواس الخمس بل حس
سادس مظنته القلب لا يدركه الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس يشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات
الحواس الخمس حتى يقال ان الله لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذن قد بطلت خاصية الانسان وما تميز به من الحس السادس
الذي يعبر عنه اما بالعقل او بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر
والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما
يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليها اقوى ولا
معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما سيأتي تفصيله فلا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز
ادراكه الحواس اصلا الاصل الثالث ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره
لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب
سوى ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور وموجود فلنبين اقسام المحبة واسبابها وبيانه ان المحبوب الاول عند كل حي ذاته ومعنى
حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب واي شيء اتم ملاءمة
من نفسه ودوام وجوده واي شيء اعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت

والقتل لا لما يخاف بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم واميت من غير ثواب وعقاب لم
يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء
فان احب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما ان دوام الوجود
محبوب فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة
اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما انه ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما
ان دوام اصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذن المحبوب الاول للانسان
ذاته ثم سلامة اعضائه ثم ماله وولده وعشيرته واصدقاؤه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود
موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الاسباب والانسان يحب هذه الاشياء لا لاعيانها
بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى انه يحب ولده وان كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود
بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن ان يطمع في
بقاء نفسه ابدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاءه
من وجه وليس بقاءه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم
فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان فاذن المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله
والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو اول الاسباب السبب الثاني الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب
من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي اشارة الى ان حب
القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة
بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن من امد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام
الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود الا ان الفرق ان اعضاء الانسان محبوبة لانه بها كمال وجوده وهي عين
الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء
ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب الصحة
وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب
والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذن يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد
يرجع الى محبة الانسان نفسه وكل من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال لزال
الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه السبب
الثالث ان يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه
وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة
لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد تحب الصور
الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا ليشرب
الماء وتؤكل الخضرة او ينال منهما حظ سوى نفس الرؤية وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع
السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان
لتنفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه اسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة
ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ان الله جميل يحب الجمال الاصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات

ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان فإن الحس الأغلب على الخلق حس الإبصار وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فإنا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا إناء حسن فأي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة ومعلوم أن العين تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الأشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الإطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله الممكن اللائق به فإذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الأشياء فإن قلت فهذه الأشياء وإن لم يدرك جميعها بحس البصر مثل الأصوات والطعوم فإنها لا تنفك عن إدراك الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بإدراك حسنها وإنما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك أن الأمر كذلك أن الطباع مجبولة على حب الأنبياء وعلى حب الصحابة رضي الله عنهم مع أنهم لم يشاهدوا بل على حب أرباب المذاهب مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وغيرهم حتى إن الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه ومتبوعه فكم من دم أريق في نصرة أرباب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعي مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته واستحسانه الذي حمله على فرط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فإن صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والإحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لإفادة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة فأما الحس فقاصرة عنها وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره أو يحب عليا رضي الله عنه ويفضله على غيره ويتعصب له فلا يحبهم إلا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم أن من يحب الصديق رضي الله عنه مثلا ليس يحب لحمه وعظمه وجلده وأطرافه وشكله إذ كل ذلك قد زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة فكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها إلى العلم والقدرة إذا علم حقائق الأمور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لأجله فإذن الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا والمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الأخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ويرجع جملتها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى إن الصبي المخلى وطبعه إذا أردنا أن نحبب إليه غائبا أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل إلا بالإطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر على أن لا يحبه فهل غلب

حب الصحابة رضي الله عنهم وبغض أبي جهل وبغض إبليس لعنه الله إلا بالإطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاء ووصفوا خالدا بالشجاعة أحبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل إذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض أقطار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين لبعد المزار ونأي الديار فإذن ليس حب الإنسان مقصورا على من أحسن إليه بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي قط إحسانه إلى المحب وكل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الأنبياء لجمال صورته الباطنة السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب إذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الأرواح كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما تعارف منها ائتلف وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه من عجائب أسباب الحب فإذن ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب وهو حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقاءه وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسنا إليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كانت من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب ويكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فإن كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات فلنبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها إلا في حق الله فلا يستحق المحبة الحقيقية إلا الله

بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وحب الرسول محمود لأنه عين حب الله وكذلك حب العلماء والأتقياء لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وإيضاحه بأن نرجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين أنها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا توجد في غيره إلا آحادها وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبان أن التحقيق يقتضي أن لا يحب أحد غير الله تعالى فأما السبب الأول وهو حب الإنسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ولا يتصور أن ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وبالله وإلى الله تبارك وتعالى فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله تعالى عليه بالإبقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فإن أحب العارف ذاته وذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له إن عرفه خالقا موجدا ومخترعا مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره وإن كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم أن المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل يحب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور

بالاضافة الى الشمس فان الظل من المحدثات ووجود الظل تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشخص
وهذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطا محض اذ انكشف لارباب
القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس وبين الاجسام
الكثيفة كما ان نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها ايضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا تطلب فيها الحقائق
فاذن ان كان حب الانسان نفسه ضروريا فحبه لمن به قوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره واعراضه
ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وغفل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته
واقتصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة التي يشارك البهائم في التنعم بها والاتساع فيها دون عالم الملكوت التي لا يطا
ارضه الا من يقرب الى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض عالم
البهائم واما السبب الثاني وهو حب من احسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وامده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعداءه وقام
بدفع شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه في نفسه واولاده واقاربه فانه محبوب لا محالة عنه وهذا بعينه يقتضي
ان لا يحب الا الله فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما انواع احسانه الى كل عبيده فلست اعدها اذ ليس
يحيط بحصرها حاصر كما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الان على بيان
ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله ولنفرض فيمن انعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف
كيف تشاء فانك تظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال
وبداعية الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي انعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك اليه
وصرف وجهه اليك ولولا ذلك لما اعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه او دنياه
في ان يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره وسخره لك وسلط عليه الدواعي
الباعثة الموجهة الى الفعل واما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر فيه اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه
فان اعتقدته محسنا او شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من
الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما آجل وهو الثواب واما
عاجل وهو المنة والاستسخار او الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم او جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة وكما ان الانسان
لا يلقي ماله في البحر لا لغرض له فيه فلا يلقيه في يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما انت فليس مقصودا
بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر او الثناء او الشكر او الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض
للتوصل الى غرض نفسه فهو اذن محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك
الحظ لما نزل عن ماله لاجله اصلا البتة فاذن هو لا يستحق الشكر والحب من جهتين احدهما انه مضطر بتسليط الله الدواعي
عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير
مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه
لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه والقى في نفسه ان حظه دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني انه معتاض عما
بذله حظا هو اوفى عنده واحب اليه مما بذله فكما لا يعد البائع محسنا لانه بذل بعوض هو احب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض
الثواب او الحمد والثناء او عوضا اخر وليس من شرط العوض ان يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها اعواض تستحقر الاموال والاعيان
بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي
انعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب
او مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المتفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان

فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف الا الله تعالى اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده واما
غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته واما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه
وان لم يصل اليك احسانه فهذا ايضا موجود في الطباع فانه اذا بلغك خبر ملك عالم عابد عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم
وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو ايضا بعيد عنك فانك تجد في
قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر
الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا ايضا يقتضي
حب الله تعالى بل يقتضي ان لا يحب غير الله اصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة المتفضل على جميع اصناف
الخلائق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في
مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن
ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الراس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة
استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم ينخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضروري
من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوائد خضرة الاشجار وحسن
اشكال الانوار والازهار ولذائذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل
حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الثرى فاذن هو المحسن فكيف يكون غيره محسنا وذلك
المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان فالحب بهذه العلة
ايضا لغيره جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى واما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه
وراء ادراك الجمال فقد بينا ان ذلك مجبول في الطباع وان الجمال ينقسم الى جمال الصور الظاهرة المدركة بعين الراس والى جمال
الصور الظاهر المدركة بعين الراس والى جمال الصور الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة فالاول يدركه الصبيان
والبهائم والثاني يختص بادراكه ارباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكل جمال فهو محبوب عند مدرك
الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء عليهم السلام والعلماء وذوي المكارم السنية
والاخلاق الرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه
نعم يدركه الحس بآثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
او الصديق رضي الله عنه او الشافعي رحمة الله عليه انما يحبهم لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن
افعالهم بل دل حسن افعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن راى حسن تصنيف
المصنف وحسن شعر الشاعر وحسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث
الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم اشرف واتم جمالا وعظمة كان العلم والقدرة تمامهما اشرف واجل وكذلك المقدور كلما كان اعظم
رتبة واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف منزلة واجل المعلومات هو الله تبارك وتعالى فلا جرم احسن العلوم واشرفها معرفة
الله تعالى وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به فاذن جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا ترجع الى ثلاثة
امور احدها علمهم بالله وملائكته ورسله وشرائع انبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة
والثالث تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبياء
والخلفاء والعلماء والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى اما العلم فاين علم الاولين والاخرين
من علم الله الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق
كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسماء على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا

ولى عن غيره ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموا كما قال الله تعالى خلق الانسان
علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا محبوبا وكان في نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله
تعالى فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف اعلم اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك
الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله تبارك وتعالى وبين علم الخلائق اكثر من التفاوت
بين علم اعلم الخلق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل
بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله سبحانه على علوم الخلائق كلها خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية
واما صفة القدرة فهي ايضا كمال والعجز نقص فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان
ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا
وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا في القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال
فانسب الان قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات
واقمعهم لخبائث النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره منتهى قدرته معلوم وانما غايته ان يقدر على بعض صفات
نفسه وعلى بعض اشخاص الانسان في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا بل لا يقدر
على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض والحاجة الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على
الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها
ومعادنها ونباتها وحيوانها واجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه
بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على اعظم ملك واقوى شخص من الاشخاص لاهلكته
فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين اذ قال انا مكنا له في الارض فلم يكن
جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله اياه في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها
الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله وتمكينه فيستحيل ان يحب عبدا من عباد الله لقدرته و
سياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو الجبار القاهر والعليم
القادر السموات مطويات بيمينه والارض وملكها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم
لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقها ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعها فلا قدرة ولا قادر
الا وهو اثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق
الحب بكمال القدرة سواه اصلا واما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو احد موجبات
الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور
كمال التقدس والتنزه الا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والاكرام واما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه
عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه وليس في المقدور ان
ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال الا يكون عبدا مسخرا لغيره قائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالكمال
المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتنزيه في حقه عن النقائص يطول وهو من اسرار علوم
المكاشفات فلا نطول به فهذا الوصف ايضا ان كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا
بل بالاضافة الى ما هو اشد منه نقصا كما للفرس كمال بالاضافة الى الحمار وللانسان كمال بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل
للكل وانما تتفاوت في درجات النقصان فاذن الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له
الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي

لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته
وبطشه رقاب القياصرة الازلي الذي لا اول لوجوده الابدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم امكان
العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجماد والحيوان والنبات
المتفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تتحير في معرفة
جلاله العقول وتخرس في وصفه الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار
بالعجز عن وصفه كما قال سيد السادات لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين العجز
عن درك الادراك ادراك فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف من اوصاف الجلال
والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن او ينكر كون الله تعالى موصوفا بها او ينكر كون الجمال والكمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند
من ادركه فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرة على جماله وجلاله الا ان يطلع عليه الذين سبقت لهم منه الحسنى الذين هم عن
نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون والحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون فالحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان
لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان اود الاوداء الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية
حقها وفي الزبور من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى صلوات الله عليه على طائفة
من العباد قد نحلوا فقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده
حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني لاستحيي ان اعبده للعقاب والثواب فاكون
كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وفي الخبر لا يكونن احدكم كالاجير السوء ان لم يعط اجرا لم يعمل ولا
كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل واما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة اذ شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل
ولذلك ترى الصبي يالف الصبي والكبير الكبير ويالف الطير نوعه وينفر من غير نوعه وانس العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف
وانس النجار بالنجار اكثر من انسه بالفلاح وهذا امر تشهد به التجربة وتشهد له الاخبار والآثار كما استقصيناه في باب الاخوة
في الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب المحبة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي
في معنى الصبا وقد تكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال او حظ في مال او غيره
كما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتعارف هو التناسب
والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان
باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليها السالكون للطريق اذا استكملوا
شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي امر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا
باخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة
على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله تعالى لا بمعنى
طلب القرب بالمكان بل بالصفات واما ما لا يجوز ان يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة وقد اومى اليه في قوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي
اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق واشد اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة في الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بتلك
المناسبة واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة
الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى
لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدني فقال وكيف ذلك فقال مرض فلان عبدي فلو عدته لوجدتني عنده وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على
النوافل بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره

الذي يسمع به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب غض عنان الكلام فيه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه
الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى في عيسى
عليه السلام فقالوا هو الاله وقال آخرون تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه
والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل ابا الحسين النوري عن هذا المقام كان
ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل شعر لا زلت انزل من ودادك منزلا • تتحير الالباب عند نزوله • فلم يزل يعدو في الوجد على اجمة
قصب قد قطعت وبقيت اصولها فتشققت قدمه وتورمت ومات فيه وهذا هو اعظم اسباب الحب واقواها واعزها وابعدها واقلها وجودا
فهذه هي المعلومة من اسباب الحب وجملتها متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفي اعلى الدرجات لا في ادناها فكان المعقول
المقبول عند ذوي البصائر حب الله تعالى فقط كما كان المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق
بسبب من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولن ينفرد احد بوصف
محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الاوصاف التي هي نهاية الجلال والكمال
ولا شريك له فيها وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا يتطرق
الشركة الى صفاته فهو المستحق اذن لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه اصلا

بيان ان اجل اللذات واعلاها
معرفة الله والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة

اعلم ان اللذات تابعة
للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها المقتضى طبعها الذي خلقت له فان
هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي
والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به
القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة
من هذه الغرائز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي
فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس
الواجب فالقلب مفارق لسائر اجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم وافتقاره الى
الخالق مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة
فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التي بها فارق الانسان البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى
اعز الصفات فلا ينبغي ان تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى
سائر الغرائز هي لذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الى
الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج
على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان
العلم من اخص الصفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع
الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا
لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم
بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال الناس ويخبر به يجد له لذة فان جهله تقاضاه طبعه ان يفحص وان علم بواطن
احوال رئيس البلد واسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألذ عنده واطيب من علمه بباطن حال فلاح او حائك فان اطلع على اسرار
الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في امر الوزارة فهو اشهى عنده وألذ من علمه باسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن احوال الملك

والسلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك اطيب عنده وألذ من علمه بباطن اسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث
عنه اشد وحبه له اكثر لان لذته فيه اعظم فبهذا استبان ان ألذ المعارف اشرفها وشرفها بحسب شرف العلوم فان كان في المعلومات
ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى
واشرف واكمل واعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك
والكمال والجمال والبهاء والجلال اعظم من الحضرة الربوبية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجائب احوالها وصف الواصفين فان كنت
لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى
انواع المعارف والاطلاعات وألذها واطيبها واشهاها واحرى ما تستشعر النفوس عند الاتصاف بكمالها وجمالها واجدر بان يعظم به
الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان ألذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى
عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة اقوى من سائر اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس
فان اللذات مختلفة بالنوع اولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة
لذة الشبق المغتلم من الجماع بالاضافة الى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة الوجه الجميل البالغ الجمال بالاضافة الى ما دونه في الجمال
وانما تعرف اقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى الصورة الجميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق الروائح
الطيبة اذا اختار النظر الى الملاح علم ان الصورة الجميلة عنده ألذ من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر
اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف
عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذات الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم
وغيره اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات
الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الهريسة والدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان
المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمية اختار الهريسة والحلاوة وان كان علي الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع
والصبر عن ضرورة القوت اياما كثيرة فاختياره الرياسة يدل على انها ألذ عنده من الهريسة والمطعومات نعم الناقص الذي لم تكمل
معانيه الباطنة بعد كالصبي او الذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسات وكما ان لذة
الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعته فلذة معرفة الله ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر الى
اسرار الامور الالهية ألذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وانه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة
يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه
رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها
وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى
عليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتهم وانما عرضها
من حيث التقدير السموات والارض واذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها
السموات والارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية
سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى اذ محلها الروح الذي هو امر رباني سماوي وانما الموت يغير احوالها ويقطع
شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين
بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم الآية ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل
نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الآخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان

الشهدا يتمنون لو كانوا علما لما يرونه من علو درجة العلما اذ من جمع اقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوا منها
حيث شا فلا حاجة الى التحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف
فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم
وهم درجات عند الله لا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس
كلها وان هذه اللذة لا تكون للبهيمة والصبي والمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة
ولكن يؤثرون الرياسة عليها فاما كون معرفة الله وصفاته وافعاله وملكوت سماواته واسرار مملكته اعظم لذة من الرياسة فهذا
يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات
رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التي
بها يدرك هذه اللذات ولكن من سلم من آفات العنة وسلمت حاسة شمه ادرك التفاوت بين اللذتين ومع هذا لا ينبغي الا ان يقال
من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف
المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات
الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشي اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول
الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية
فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله سبحانه وتعالى الذ الاشيا وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني
ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجا الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف الكرخي
يا ابا محفوظ اي شي هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال واي شي الموت فقال ذكر القبر والبرزخ
فقال واي شي القبر فقال خوف النار ورجا الجنة فقال واي شي هذا ان ملكا هذا كله بيده ان احببته انساك جميع ذلك وان
كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى عليه السلم اذا رايت الفتى مشغوفا في طلب الرب تعالى فقد الهاه ذلك عما سواه
وراى بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله
ياكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن علي بن موفق انه قال رايت في النوم
كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما
على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا
قد شخص ببصره ينظر الى الله لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته
بل حبا له فاباحه الله تعالى النظر اليه الى يوم القيمة وذكر ان الآخرين بشر بن الحارث واحمد بن حنبل رضي الله عنهم ولذلك قال ابو سليمان
الداراني من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا بنفسه مشغول ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا بربه مشغول وقال الثوري
لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السو بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في
معنى المحبة نظما شعر احبك حبين حب الهوى ❊ وحبا لانك اهل لذاكا ❊ فاما الذي هو حب الهوى ❊ فشغلي بذكرك عمن سواكا ❊
واما الذي انت اهل له ❊ فكشفك للحجب حتى اراكا ❊ فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ❊ ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ❊ ولعلها ارادت بحب الهوى
حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين
واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال اعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد يتعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفا قلبه الى الغاية ولذلك
قال بعضهم اني لاقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان النداء يكون من ورا الحجاب وهل رايت جليسا
ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة اي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا

او كفرا فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم منها واذا حصلت انمحت الهموم
والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه
وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله وليس له صورة
وشكل واي معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه اعظم النعم بل من عرف الله عرف ان اللذات المتفرقة بالشهوات المختلفة كلها
تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم شعر كانت لقلبي اهوا مفرقة ❊ فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي ❊ فصار يحسدني من كنت
احسده ❊ وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي ❊ تركت للناس دنياهم ودينهم ❊ شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ❊ ولذلك قال بعضهم شعر
وهجره اعظم من ناره ❊ ووصله اطيب من جنته ❊ وما ارادوا بها الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح
فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقا الله تعالى فقط ومثال اطوار الخلق في لذاتهم ما ذكرناه وهو ان الصبي في اول
حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من سائر الاشيا ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب
وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب واللهو حتى يكون ذلك الذ من سائر الاشيا ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النسا فيترك
بها جميع ما قبله في الوصول اليه ثم يظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهو آخر لذات الدنيا واعلاها واقواها كما قال تعالى اعلموا انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة
الله ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها وكل متاخر فهو اقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النسا
والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد عشرين سنة وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك
على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النسا وطلب الرياسة فكذلك الرؤسا يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله
والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا

اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة من اشخاص الحيوان
والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن راى انسانا ثم غض بصره وجد
صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين
لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صارت بالرؤية اتم انكشافا و
وضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم رأى عند تمام الضوء فانه لا يفارق احدى الحالتين الاخرى
الا في مزيد الانكشاف فاذن الخيال اول الادراك والرؤية هو استكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه غاية
الكشف لا لانه في العين بل لو خلق هذا الادراك الكامل الكشفي في الجبهة او الصدر مثلا لاستحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات
فاعلم ان المعلومات التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احديهما اولى والثانية استكمال لها وبين الثانية والاولى
من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه
التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف
بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل بمجرد التخيل
فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية
فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقا في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحيوة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية
الابصار والقول في سبب كونها حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلم لن تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار
اي في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير الله تعالى ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير
منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدا فصارت كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها
فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهولاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الآباد نعوذ بالله منه ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج

من تنور التزكية والتصقيل يعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى
التزكية وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الأخبار سبعة آلاف سنة ولم يخل نفس عن هذا العالم الأدنى وصحبها غبار
وكدورة ما وإن قلت ولذلك قال الله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فإذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ
عن جملة ما وعد به الشرع من العرض والحساب وغيرهما وجاء وقت استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه
وأنه بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حتى لا يرى حجبه عزه والأمر ملك
يتجلى فيه الحق سبحانه ويتجلى له تجليا يكون انكشافه بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالإضافة إلى ما تخيله وهذه المشاهدة
والتجلي هي التي تسمى رؤية فإذن الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فإن
ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة تراه
في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين
المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا المثال في استكمال الخيال بالرؤية فإذا
لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة
وصورة لأنها هي بعينها لا تفترق إلا في زيادة الكشف وإليه الإشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا
إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا لأن المعرفة هي البذر الذي
ينقلب في الآخرة مشاهدة كما ينقلب النواة شجرا والبذر زرعا ومن لا نواة له كيف يحصل له نخل ومن لم يزرع البذر فكيف يحصد الزرع
فكيف يحصد الزرع فمن لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات
متفاوتة فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذور إذ تختلف لا محالة بكثرتها
وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة فلا ينبغي أن يظن
أن غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر بل لا يجد إلا عشر عشيرها إن كانت معرفته في الدنيا عشر
عشيره ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما أنك ترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف ملكوت السموات
والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى المنكوح والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله
تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمها إلى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بأعيانهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفناه من إيثار لذة
العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في
الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة
وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد
في الآخرة أحد إلا ما زرع ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه ولا يموت إلا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينها
فقط إلا أنها تنقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية
صورته فإن ذلك منتهى لذته وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي إلا لقاء الله فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فإذن
نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالإيمان فإن قلت فلذة الرؤية
إن كان لها نسبة إلى لذة المعرفة فهي قليلة وإن كانت أضعافها لأن لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها إلى حد قريب لا ينتهي
في القوة إلى أن يستحقر سائر لذات الجنة فيها فاعلم أن هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة
كيف يدرك لذتها وإن انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم
ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها نعيم الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلا إلى لذة اللقاء

والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق إلى رؤيته ولا لذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى الذوق لها ولا للذة اللمس باليد
إلى لذة الوقاع وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فنقول لذة النظر إلى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت بأسباب أحدها
كمال جمال المعشوق ونقصانه فإن اللذة في النظر إلى الأجمل أكمل لا محالة والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ
من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث كمال الإدراك فليس التذاذه برؤية المعشوق في ظلمة أو من وراء
ستر رقيق أو من بعد كالتذاذه بإدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا إدراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كإدراكها
مع التجرد والرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر إلى المعشوق
كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر إلى وجه معشوقه
والستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه وهو في
الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات
وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى
إليها نسبة يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر إلى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال
الشهوات المتسلطة على الإنسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال القصور العرفي الدنيا
ونقصانها عن الشوق إلى الملأ الأعلى والتفاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته إلى اللعب
بالعصفور والعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يخلو عنها ألبتة نعم قد تضعف هذه العوائق
في بعض الأحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك
كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية
فلا تزال هذه اللذة منغصة إلى الموت وإنما الحياة الطيبة بعد الموت وإنما العيش عيش الآخرة وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا
يعلمون وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فإنه يحب لقاء الله فيحب الموت ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فإن
المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له والإحاطة بكنه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته
وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما أنه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا في الدنيا ولا يزرع
إلا في صعيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله
لأن المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب
ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالغا إلى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه
لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما يحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند
أهل المعرفة وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا إن اتسعت أحبوا البقاء وإن ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران
مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى
المحبة ومعنى العشق فإنه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها ألذ من سائر اللذات
عند ذوي الكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوي النقصان كما لم تكن الرياسة ألذ من المطعومات عند الصبيان فإن قلت فهذه
الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة فاعلم أن الناس اختلفوا فيه وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى ذلك أي لا ينظرون فيه بل العاقل
يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ومن يشتهي رؤية المعشوق يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته بل
يقصد الرؤية ولذتها سواء كان بالعين أو بغيرها فإن العين محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة
فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين هذا في حكم الجواز فأما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع والحق ما ظهر لأهل
السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره

إذ لا يحويه الظاهر إلا الصديقون والسالكون **بيان** الأسباب المقوية لحب الله عز وجل اعلم أن أسعد الخلق حالاً في الآخرة أقواهم
حباً لله تعالى فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من
دوام مشاهدته أبد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع إلا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب
فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وإنما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة
وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي إلى الاستهتار الذي يسمى عشقاً فذلك ينفك عنه الأكثرون وإنما يحصل ذلك بسببين أحدهما قطع
علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب فإن القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخل ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في
جوفه وكمال الحب في أن يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله
وبقدر ما يبقى من الماء في الإناء ينقص من الخل المصبوب فيه وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وبقوله تعالى إن الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا إله إلا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فإنه معبود فإن العبد هو المقيد
والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بالمحب ولذلك قال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال صلى الله عليه وآله وسلم أبغض إله
عبد في الأرض الهوى ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة ومعنى الإخلاص أن يخلص
قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لأنها مانعة له عن
مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له إلا محبوب واحد وقد طال إليه شوقه وتمادى عنه حبسه
فخلي من السجن ومكن من المحبوب وروح بالأمن أبد الآباد فأحد أسباب ضعف حب الله تعالى في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الأهل و
المال والولد والأقارب والعقار والدواب والبساتين والمنتزهات حتى إن المتفرج بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الأسحار ملتفت إلى نعيم الدنيا
انتقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الإنسان من المشرق إلا ويبعد
بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته إلا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد
انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافاً أوضح من الإبصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر
والانقياد إليهما بزمام الخوف والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء ليكتسب بها أحد ركني المحبة وهو تخلية
القلب عن غير الله وأوله الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما
ثم ينجر ذلك إلى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول
معرفة الله وحبه فيه وكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الإيمان كما ذكرناه
في أول كتاب الطهارة السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تبارك وتعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من
جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تطهيرها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر
شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت و
فرعها في السماء وإليها الإشارة بقوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب يعني المعرفة والعمل الصالح يرفعه والعمل الصالح كالحمال له وكالخادم
وإنما العمل الصالح يرفعه العمل الصالح كالحمال له وكالخادم وإنما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً من الدنيا ثم في إدامة طهارته
فلا يراد العمل إلا لهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فإنما يراد للعمل فالعلم هو الأول وهو الآخر وإنما الأول علم المعاملة و
غرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها
المحبة بالضرورة كما أن من كان معتدل المزاج إذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه ومهما أحبه حصلت اللذة
فاللذة تتبع المحبة بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلا بالفكر
الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سماواته وسائر مخلوقاته والواصلون إلى هذه
الرتبة ينقسمون إلى الأقوياء ويكون أول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره وإلى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالأفعال ثم يترقون منها إلى الفاعل

وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد وبقوله شهد الله أنه لا إله إلا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك
فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وبقوله تعالى قل انظروا ماذا في
السماوات والأرض وبقوله الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر
كرتين وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في
آيات خارجة عن الحصر فإن قلت كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل بها إلى المحبة فاعلم أن
الطريق الأعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة في إيراده في الكتب وأما الطريق
الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الأفهام وإنما قصرت الأفهام عنه لإعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس
والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية إذ ما من ذرة من أعلى السماوات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها
عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال الحكمة ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر
قبل أن تنفد كلمات ربي فالخوض فيه إنما هو خوض في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز إلى مثال
واحد على الإيجاز ليقع التنبيه به على جنسه فنقول أسهل الطرق النظر إلى الأفعال فلنتكلم فيها ولنترك الأعلى ثم الأفعال الإلهية كثيرة فلنطلب أقلها
وأحقرها وأصغرها ولننظر في عجائبها فأقل المخلوقات هي الأرض وما عليها أعني بالإضافة إلى الملائكة وملكوت السماوات فإنك إن نظرت
فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض مائة ونيفاً وستين مرة فانظر إلى صغر الأرض بالإضافة
إليها ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى فلكها الذي هي مركوزة فيه فإنه لا نسبة لها إليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالإضافة إلى ما فوقها
من السماوات ثم السماوات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث المقادير وما أحقر
الأرض كلها بالإضافة إليها بل ما أحقرها بالإضافة إلى البحار فقد قال صلى الله عليه وسلم الأرض بالإضافة إلى البحار في البحر
كالإصطبل في الأرض ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن المكشوف من الأرض عن الماء كجزيرة صغيرة بالإضافة إلى كل
الأرض ثم انظر إلى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الأرض وإلى سائر الحيوانات وإلى صغره بالإضافة إلى الأرض ودع عنك
جميع ذلك فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف
وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطوماً مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء
كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فأنبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه
من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركبه
في سائر الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الإنسان ثم كيف أنبت له آلة
الطيران إلى الإنسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس وكيف هداه إلى مسام بشرة الإنسان حتى يضع خرطومه في واحد منها
ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفاً حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي
إلى باطنه وينتشر في سائر أجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه أن الإنسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلته وخلق له السمع الذي
يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم إذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع
غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل الأجفان لصغرها وكانت الأجفان مصقلة لمرآة الحدقة
عن القذى خلق للبعوض وللذباب يدين فتنظر إلى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه وأما الإنسان والحيوان الكبير فخلق
لحدقته الأجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميه إلى أطراف الأهداب وخلق
الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الإبصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الأهداب
واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الإبصار وأما البعوض فخلق لها الحدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل
باليدين ولأجل ضعف البصر تراها تتهافت على السراج لأن بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فإذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن أنه في بيت

مظلم ورأى السراج كوة من البيت المظلم إلى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرمي بنفسه إلى الكوة فإذا جاوزها ورأى الظلام
ظن أنه لم يصب الكوة ولم يقصد على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق ولعلك تظن أن هذا لنقصانها وجهلها فاعلم أن جهل
الإنسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الإكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار إذ يلوح للآدمي أنوار الشهوات
من حيث ظاهر صورتها ولا يدري أن تحتها السم الناقع القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها إلى أن ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا
فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش فإنها باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أو مدة
مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول إنكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم فهذه لمعة
من عجائب صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الأولون والآخرون على الإحاطة بكنهها عجزوا عن حقيقتها ولم
يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورتها فأما خفايا معانيها فلا يطلع عليه إلا الله تعالى وفي كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصها
لا يشاركه فيها غيره فانظر إلى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا وكيف استخرج من لعابها الشمع
والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار واحترازها عن النجاسات والأقذار و
طاعتها لواحد من جملتها هو أكبرها شخصا وهو أميرها ثم ما سخر الله لأميرها من العدل والإنصاف بينها حتى إنه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع
منها على نجاسة لقضيت منها العجب إن كنت بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة أقرانك
وموالاة إخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الأشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتا
مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن درك ذلك وهو أن أوسع الأشكال وأحواها
المستدير وما يقرب منها فإن المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة
ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فإن الأشكال المستديرة إذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الأشكال ذوات
الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر
كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج إليه ليتهنأ عيشه فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه
فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب السموات والأرض فإن القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي
الأعمار دون إيضاحه ولا نسبة لما أحاط به علمنا إلى ما أحاط به علم العلماء والأنبياء ولا نسبة لما أحاط به علم العلماء والأنبياء
إلى ما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما استأثر الله تعالى بعلمه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق أن يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبالنظر في
هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطرق وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فإن كنت طالبا سعادة لقاء الله فانبذ الدنيا وراء
ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر الملازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل المعرفة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم
في المعرفة وفي حب الدنيا إذ الأشياء إنما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي
قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا
بها إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون
بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله تعالى حال الأصناف الثلاثة في قوله تعالى فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وإذ كنت
لا تفهم الأمر إلا بالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي العوام والفقهاء لأنهم مشتركون
في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه
به ومحبته أشد فمن رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لا محالة ومال إليه قلبه فإن رأى تصنيفا آخر أحسن منه
وأعجب تضاعف لا محالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر أنه يحسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره ما عظم
فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذلك سائر الصناعات والفضائل والعامي قد يسمع أن فلانا مصنف

وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير إذا فتش عن التصانيف واطلع
على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة لأن عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله
تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فإنه يطالع تفصيل صنع الله تعالى حتى يرى في البعوضة مثلا من عجائب صنعه ما
ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على عجائب صنع الله اطلاعا
استدل به على عظمة الصانع وجلاله ازداد معرفة له وحبا وبحر هذه المعرفة أعني معرفة عجائب صنع الله تعالى لا ساحل له فلا جرم تفاوت أهل
المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فإن من يحب الله مثلا لكونه محسنا إليه منعما
عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته إذ تتغير بتغير الإحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء والذي يحبه لذاته ولأنه
مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة
وهو سبب التفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام
وأسهلها على العقول ونرى الأمر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وإنما قلنا إن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى لمعنى لا تفهمه إلا بمثال
وهو أنا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخيط كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخياطة أجلى عندنا من
سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف
بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانا فإنه
جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فإن هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف
حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته فلو نظرنا إلى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه إلا دليل واحد وهو مع ذلك جلي
واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر
ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا
وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا
بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة
شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فإن كانت
حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو ما أحسسنا من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء
داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله إذ كل ذرة فإنها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها
بذاتها وإنما تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل
أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فإنا نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود
مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن إدراكه فإن ما تقصر
عن فهمه عقولنا فله سببان أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل
ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت فيكون قوة ظهوره
مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة
الإلهية في نهاية الإشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار
ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور
فإن الأشياء تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى إنه لا ضد له عسر إدراكه فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون البعض أدركت التفرقة
على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض

يحدث في الاعيان ولو لم تغب الشمس لكانت الشمس دائمة الاشراق لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الالوان وهي
السواد والبياض وغيرهما وانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت
الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب
فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة
في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به يدرك ساير المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف
تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده والله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشيا كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير
لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك به التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشيا موجودا به وبعضها
موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الحالين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشيا على نسق واحد ووجوده دايم في الاحوال
يستحيل خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفا فهذا هو السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته ولم تضعف منته
فانه في حال اعتدال امره لا يرى الا الله تعالى وافعاله اثر من اثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود
للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر في شي من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث
انه سما وارض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان او خطه او تصنيفه
ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى اثاره من حيث انه اثاره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر
الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله واحبه من حيث انه فعل الله
لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا لله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من
حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا
بنا فغبنا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي البصاير اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة
العلما بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام او باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم
مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها
الانسان في الصبى عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته و
محسوساته والفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا راى على سبيل الفجاة حيوانا غريبا او نباتا غريبا او فعلا من
افعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه وساير الحيوانات
المالوفة وكلها شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عن عينه فامتد
بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاة لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة
هذه العجايب على خالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة
والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذ كان راكبا لحماره وهو يطلب
حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل شعر لقد ظهرت فما تخفى على احد
الا على اكمه لا يعرف القمرا لكن بطنت بما اظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

بيان معنى الشوق الى الله عز وجل

اعلم ان من انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق
الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصاير وبطريق الاخبار والاثار اما الاعتبار فيكفي في اثباته
ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب يشتاق اليه في غيبته فان الحاضر الحاصل لا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوق
الى نيل امر والموجود لا يطلب ولكن بيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شي ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لم يدرك اصلا
فلا يشتاق اليه فمن لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية

فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما للنظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من
وجه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله
بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق في وقت الرؤية فمعنى
شوقه تشوق نفسه الى استكمال الخيال وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال الرؤية وتمام الانكشاف
في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا ساير محاسنه فيشتاق الى رؤيته وان لم ير قط
ولم يثبت في نفسه خيال صورته بعد الرؤية ولكن يعلم ان له عضوا واعضا جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له
ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية
وان كانت في غاية الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوايب التخيلات فان الخيالات لا
تفتر في هذا العالم من التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات المعارف ومنغصات وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا فانما
كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الاخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا
هو احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما والثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد
بعضها وتبقى امور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر
فلا يزال متشوقا الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة
غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الاخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابراهيم
بن ادهم رحمه الله من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فاعطني ذلك فقد
اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني بين يديه فقال يا ابرهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي
وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني
على بلائك واوزعني شكر نعمائك فان هذا الشوق يسكن في الاخرة واما الشوق الثاني فيشبه ان لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الاخرة
اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الاخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وافعاله ما هو معلوم لله وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا
يزال العبد عالما بانه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق الى
استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال وهو لذلك يجد شوقا لذيذا لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى
غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابد الاباد وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلة عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل
وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف
ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا محتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم بتمام النور
مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد اتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاستكمال
والاشراق فيكون هو المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار لا بد وان يتزود
اصلها في الدنيا ثم تزداد في الاخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا الاخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في
برجم الظنون مخطر ولم ينكشف لنا بعد فيه ما يوثق به فنسال الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار
كاشف لحقايق الشوق ومعانيه واما شواهد الاخبار والاثار فاكثر من ان تحصى فمما اشتهر عن النبي عليه السلم انه كان يقول في
الدعا اللهم اني اسالك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك وقال ابو الدردا
لكعب اخبرني عن اخص آية فقال يقول الله تبارك وتعالى طال شوق الابرار الى لقاي واني الى لقائهم لاشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها
من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني وقال ابو الدردا اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول هذا وفي اخبار
داود عليه السلم ان الله تبارك وتعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومونس لمن انس بذكري

وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا
لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى
كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وآنسوا بي اؤانسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد
صفيي واني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروي عن بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا
من عبادي يحبوني فاحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم
احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس
كما يحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا
الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قائم وقاعد
وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني
كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارضون وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه
يعلم احد ما اريد ان اعطيه وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسالني الشوق الي قال يا رب
من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل
قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم ادعو نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكن دعوتكم لاعرض عليكم
قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق الي وان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب
المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي واتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم
طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر
نفسا فيهم شبان وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالون
حاجة فانكم احبائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة
الله عز وجل فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم
نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود عليه السلام اني رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالون حاجة الا
تنادوني فاسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة
قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا
وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك
افنجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون
في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك افيجترئ على الكلام من هو مشتغل
بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت السنتنا عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك وكثرة
منتك على اهل محبتك وقال الآخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال الآخر كيف يجترئ
العبد على سيده اذ امرتنا بالدعاء فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من اطباق السموات وقال الآخر نسالك تمام نعمتك فيما وهبت لنا
وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر اسالك من بينهم ان
تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب اولياءك فامنن
علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فاوحى الله تعالى الى داود قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد
منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري وجلالي فقال داود يا رب بما نالوا هذا
منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل

بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه وافرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر
الي نظر الناظر بعينه الى الشيء واريه كرامتي في كل ساعة واقربه من نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان
عطش ارويته واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا واهلها ولم احببها اليه لا يفتر عن الاشتغال بي يستعجلني
القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه
وتهشمت اعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري اباهي به ملائكتي واهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لاقعدنه
في الفردوس ولاشفين صدره من النظر الي حتى يرضى وفوق الرضا وفي اخبار داود ايضا قل لعبادي المتوجهين الى
محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا
اذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائي وفي اخبار داود عليه السلام ايضا ان الله تعالى اوحى اليه تزعم
انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط اهل
الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال اما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدنيه فحقا علي
ان اسارع الى سياستك وتقويمك واكون قائدك ودليلك اعطيك من غير ان تسالني واعينك على الشدائد فاني قد حلفت على نفسي اني لا
اثيب الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاء كنفه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك
واسكنت الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها اضف كل الاشياء الي لا تضاد عملك
فتكون متعنيا لا تنتفع بعملك ولا تجعل لحبي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطك والحمد لي يا داود قد تحجب
ثم اعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين احد من خلقي نسب فليعظم رغبتهم وارادتهم عندي ابيح لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الي ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في راسك الى الذين حجبت عقولهم عني فاحتجبوا بانقطاع
ثوابي عنهم فاني حلفت بعزتي وجلالي لا افتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين
فلو علم اهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك
عندي جهبذا ومن كتبته جهبذا لا يكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك ولا
تؤتين منها فاحجبك عن محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما ابحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا
الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي فانما عقوبة الاقوياء عندي في وضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عني فاني لم
ارض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما فيحجبك بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين
استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي الصوم ادمانه يا داود تحبب الي بمعاداة نفسك
وامنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة انما اداريك مداراة لتقوى على ثوابي اذ امننت به عليك واني احبسه
عنك وانت متمسك بطاعتي واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك
معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود
احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون العبد اذا رجع الي فهذه ونحوها الاخبار
ونظائرها مما لا يحصى يدل على اثبات المحبة والشوق والانس وانما تحقيق معناها ينكشف بما سبق

بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها

اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده ولا بد من معرفة معناه ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال
تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ولذلك رد
على من ادعى انه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا احب الله عبدا
لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره
الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله

فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال زيد بن اسلم ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك
وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال صلى الله عليه وآله وسلم
من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى
لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان
محبة العبد لله حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط
وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق ايضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد
منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله تعالى للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامي كلها اذا اطلقت على الله تعالى
وعلى غير الله لم ينطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل
كل ما سوى الله فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظيره
اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق احدهما لان يكون فيه اصلا فليست الجسمية لاحدهما
مستفادة من الاخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولخلقه وهذا التباعد في سائر الاسامي اظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك
لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي اولا للخلق فان الخلق اسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان
استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا
انما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن
في حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول ابدا وازلا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره
الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال
بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وانه ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه
ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه الى كشف الحجاب
عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به في الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة الازلية
التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب واذا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث
السبب المقتضي له كما قال لا يزال يتقرب العبد الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه
وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه
وياذن له في كل وقت في الحضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح بمشاهدته او ليستشيره في رايه او ليهيئ اسباب طعامه وشرابه
فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا
للانتفاع به ولا للاستنجاد به لكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق به ان يكون قريبا من حضرة
الملك وافر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد احبه واذا اكتسب من
الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله تعالى للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول
وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط ان لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله
في البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان
ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم
يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في ازل الازال ولا ينكشف هذا الا بمثال
القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون احدهما ثابتا فيتحرك الاخر فيحصل القرب بتغير في احدهما
من غير تغير في الاخر بل القرب في الصفات ايضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ

ثابت واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى يفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير
والترقي الى ان يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي ان يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار اكمل
صفة واتم علما واحاطة بحقائق الامور واثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل صار اقرب من درجة
الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته
وذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة
ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له ايضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذن محبة الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل
والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه بقلبه واما محبة العبد لله فهو ميله الى درك هذا
الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا ادرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان
قلت محبة الله للعبد ملتبسة فبم يعرف العبد انه حبيب الله تعالى قلت يستدل عليه بعلاماته وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا
احب عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا فعلامة محبة الله للعبد ان يوحشه من غيره
ويحول بينه وبين غيره وقيل لعيسى عليه السلام لم لا تشتري حمارا تركبه فقال انا اعز على الله تعالى من ان يشغلني عن نفسه بحمار وفي الخبر اذا احب الله
عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رايتك تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض
المريدين لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فاثرت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها
عبدا حتى يبلوه وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه وقال عليه
السلام اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته محبة الله تعالى للعبد فان ذلك يدل على حب الله تعالى واما الفعل الدال على كونه
محبوبا فهو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد
لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف
له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا واشباهه علامة حب الله تعالى للعبد فلنذكر الان علامات محبة العبد لله تبارك وتعالى فانها ايضا علامات
حب الله للعبد

القول

في علامات محبة العبد لله تبارك وتعالى اعلم ان المحبة يدعيها كل واحد وما اسهل
الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخداع النفس مهما ادعت محبة الله تبارك وتعالى ما لم يمتحنها بالعلامات
ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الاثار
الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة [illegible] السلام فلا يتصور ان
يحب القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي ان يكون محبا للموت
غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال بعض
السلف ما من خصلة احب الى الله ان تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه
لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيله حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مري
والباطل خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن
غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه وروى ابن اسحاق عن سعد بن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد
الا ندعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني اقسمت عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا باسه شديدا
حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني فيجدع انفي واذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدع انفك واذنك فاقول
فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رايته آخر النهار وان انفه واذنه لمعلقان في خيط وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان

كره الموت القريب لان المحب على كل حال لا يكره لقاء المحبوب وقال البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت
صادقا لاحببته وتلا قوله تع فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي عليه السلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما
قاله لضر نزل لان الرضا بقضاء الله تع افضل من طلب الفرار منه فان قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله تع فاقول
كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتاسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تع لان الحب الكامل هو الذي
يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب
ويدل على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا
انكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها وكان قوله هذا اشد عليهم من فعله فقالوا وكيف وهي
اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا
يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب ايضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه
لفراق الدنيا عند الموت على قدر حبها واما السبب الثاني في الكراهة ان يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره
عجلته قبل ان يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر
قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة بهذا
السبب لا تنافي كمال الحب اصلا وعلامته الدؤوب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد ومنها ان يكون مؤثرا ما احبه الله تع على ما
يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تع ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده
مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله تع المحبين بالايثار فقال يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه
كما قيل **شعر** اريد وصاله ويريد هجري ۞ فاترك ما اريد لما يريد ۞ بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي ان زليخا
لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلم انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تع فكان يدعوها
الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان عرفته فاما اذ عرفته فما ابقت
محبته محبة لسواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره امرني بذلك واخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت
اما اذا كان الله تع امرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله فحينئذ سكنت اليه فاذن من احب الله لا يعصيه ولذلك قال
ابن المبارك رضي الله عنه **شعر** تعصي الاله وانت تظهر حبه ۞ هذا لعمري في القياس بديع ۞ لو كان حبك صادقا لاطعته ۞ ان المحب لمن يحب مطيع
وقيل **شعر** واترك ما اهوى لما قد هويته ۞ وارضى بما ترضى وان سخطت نفسي ۞ وقال سهل علامة الحب ايثاره على نفسك وليس كل
من عمل بطاعة الله صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المعاصي وهو كما قال لان محبته لله سبب محبة الله له كما قال يحبهم ويحبونه واذا احبه الله
تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله الى هواه وشهواته ولذلك قال تع والله اعلم باعدائكم وكفى
بالله وليا وكفى بالله نصيرا فان قلت فالعصيان هل يضاد اصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه
وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب
فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي ان نعيمان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما
فحده فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يؤتى به رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم تخرجه
المعصية من المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله حبا متوسطا
فاذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصي وفي الجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله تعالى
فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك في وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى
من نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك ومنها ان يكون مستهترا

بذكر الله تع لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله حب ذكره وحب القرآن
الذي هو كلامه وحب رسوله عليه السلام وحب كل من ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلب محلته والمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب
الى كل ما يكتنف المحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من احب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه لانه كلامه
فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل على كمال الحب ومن غلب حب الله على قلبه احب جميع خلق الله لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول
وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب آداب الاخوة والصحبة ولذلك قال الله تع قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لله تع وقال سفيان من احب من يحب الله تعالى فانما
احب الله ومن اكرم من يكرم الله تع فانما يكرم الله تع ويحكى عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في سن الارادة
فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت تزعم
انك تحبني فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي وقال ابن مسعود
رضي الله عنه لا ينبغي ان يسال احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب
الله عز وجل وقال سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي عليه السلم وعلامة حب النبي حب السنة
وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة ومنها
ان يكون انسه بالخلوة ومناجاة الله تع وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق واقل
درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الذ عنده واطيب من مناجاة الله
كيف تصح محبته قيل لابراهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال من الانس بالله وفي اخبار داود عليه السلم لا تستانس
الى احد من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين رجلا استبطأ ثوابي فانقطع ورجلا نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان
ادعه في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد
الاسود الذي استسقى به موسى عليه السلم ان الله تعالى قال لموسى ان برخا نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال
يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء وروي ان عابدا عبد الله تع في غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر وقد عشش في
شجرة يأوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال ففعل فاوحى الله تع
الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا فاذن علامة المحبة
كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة
الانس مصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في
صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس
صارت الخلوة والمناجاة قرة عينه يدفع بها جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم تكرر على سمعه مرارا مثل
العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في الباطن بذكر حبيبه فالمحب لا يطمئن الا بمحبوبه وقال قتادة في قوله تع الذين
آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستانست به وقال الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص
محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال مطرف بن ابي بكر المحب لا يسام من حديث حبيبه واوحى الله تعالى
الى داود عليه السلم قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني وقال موسى
يا رب اين انت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ من احب الله ابغض نفسه وقال ايضا من لم تكن فيه ثلث
خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله على كلام الخلق ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها ان يكون متاسفا على ما يفوته
مما سوى الله عز وجل ويعظم تاسفه على كل ساعة خلت عن ذكر الله تع وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب
والتوبة قال بعض العارفين ان لله عبادا احبوه واطمأنوا اليه فذهب عنهم التاسف على فائته فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك

لهم أنا ما كان لهم ضوء وأصل إليهم وإنا لهم بحيث نرحم لهم ومحق المحبة إذا رجع من غفلة في لحظة أن يقبل على محبوبه
ويشتغل بالعتاب ويسأل ويقول يا رب بأي ذنب قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان فيستخرج
ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب تكون كفارة لما سبق من الغفلة ويكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحبوب إلا المحبوب
ولم ير شيئا إلا منه لم يأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم أن المحبوب لم يقدر له إلا ما فيه الخيرة ويذكر قوله تعالى وعسى أن
تكرهوا شيئا وهو خير لكم ومنها أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم
تنعمت بها عشرين سنة وقال الجنيد رضي الله عنه علامة المحبة دوام النشاط والدؤوب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقال بعضهم
العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما يشبع محب الله من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل وكل هذا شاء له موجود في
المشاهدات فإن العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وإن كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان
أحب الأشياء إليه أن يعاوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فإن كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو
دونه فمن كان محبوبه أحب إليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وإن كان أحب إليه من المال ترك المال في حبه وقيل لبعض المحبين
وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله
أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فأيش تنفق علي فقال يا سيدي أملكك ما أملك ثم أنفق
عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكل هذا بسببه ومنها أن يكون مشفقا على جميع عباد
الله رحيما بهم شديدا على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم ولا تأخذه
لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أولياءه إذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء
ويأوون إلى ذكري كما يأوي النسر إلى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر إذا حرد فإنه لا يبالي قل الناس أو كثروا فانظر إلى هذا
المثال فإن الصبي إذا كلف بالشيء لم يفارقه أصلا فإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد عليه فإن نام أخذه معه
في ثيابه فإذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه وأما النمر فإنه
لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أن يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته
وخلص حبه فصفي في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه إذ يمزج شرابه بقدر
من شراب المقربين كما قال تعالى في الأبرار إن الأبرار لفي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فإنما طاب شراب الأبرار لشوب الشراب الصرف الذي هو للمقربين
والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما أن الكتاب عبر به عن جميع الأعمال فقال كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون
وكما كان الأبرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة ما
خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وقال تعالى جزاء وفاقا أي جزاء موافقا لأعمالهم فقوبل الخالص بالصرف
من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وإن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها
وكفى بنا حاسبين فمن كان يحبه في الدنيا رجاء نعيم الجنة والحور والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع
الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان قصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه إلا حبه بالإخلاص والصدق أنزل في
مقعد صدق عند مليك مقتدر فالأبرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور العين والولدان والمقربون ملازمون
للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون
وللمجالسة أقوام آخرون ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب ولما قصرت
الأفهام عن درك معنى العليين عظم أمره فقال وما أدراك ما عليون كما قال القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة ومنها

أن يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل إدراك العظمة يوجب الهيبة
كما أن إدراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم أشد من بعض فأولها خوف الإعراض
وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الإبعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين إذ سمع قوله ألا بعدا لثمود
ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وإنما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين
يشيب سماعه أهل القرب في القرب ولا يحن إلى القرب من ألف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف
وسلب المزيد فإنا قدمنا أن درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال صلى الله
عليه وآله وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون ولذلك قال عليه السلام إنه ليغان على قلبي في
اليوم والليلة سبعين مرة فأستغفر الله وإنما كان استغفاره من القدم الأول فإنه كان بعدا بالإضافة إلى القدم الثاني
ويكون ذلك عقوبة لهم على الشكر في الطريق والالتفات إلى غير المحبوب كما روي عن بعض الأنبياء أنه تبارك وتعالى قال إن أدنى ما أصنع بالعالم
إذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي أن أسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم وأما الخصوص فيحجبهم عن
المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون إلى ما ظهر من مبادئ اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه إلا ذوو
الأقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع إبراهيم بن أدهم قائلا يقول في سياحته على جبل شعر
كل شيء منك مغفور سوى الإعراض عني ۞ قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات مني ۞ فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه
أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا إبراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فإن المحب يلازمه الشوق
والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى إلا بلطف متجدد فإن تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعته
والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل الحب عليه من حيث لا يشعر فإن هذه التقلبات في القلب لها أسباب خفية سماوية
ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وإذا أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عليه ما ورد من السلو فيقف مع الرجاء ويغتر بحسن الظن
وبغلبة الغفلة أو الهوى والنسيان وكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان
وكما أن من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي أوصاف اللطف والرحمة والحكمة ففي أوصافه ما يلوح فيكون
من مقتضيات المكر والشقاوة والحرمان ثم خوف الاستبدال به بأن ينتقل القلب من حبه إلى حب غيره وذلك هو المقت والسلو
مقدمة هذا المقت والإعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالملأ وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الأوراد
أسباب هذه المعاني ومقدماتها وظهور هذه الأسباب دليل على النقل عن مقام الحب إلى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة
الخوف من هذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق الحب فإن من أحب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف
إذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والإدلال
ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقربه
ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلب عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير
يقال هو في مقام الحب ويعد من المحبين وكأن شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت
لذلك طاقة البشر وإنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب فقد روي في الأخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل
الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا
ينتفع به شيء فسأل الصديق ربه تعالى فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فأوحى الله إليه إنما أعطيناه جزءا من مائة ألف جزء من ذرة
المعرفة وذلك أن مائة ألف عبد سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سألني هذا فأخرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا فلما
أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانك يا أحكم الحاكمين
انقصه مما أعطيته فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقي فيه عشر معشار وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه

وحبه وجدانى وبكى وصار كما يرى العارفين وقد قيل في حال العارف بهذه الابيات شعر قرب الوجد ذو مرمى بعيد
عن احاديثهم والعبيد غريب الوصف ذو علم غريب كان فؤاده زبر الحديد لقد عزت معانيه فغابت عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعياد في الاوقات تجري له في كل يوم الف عيد وللاحباب افراح بعيد ولا يجد السرور له بعيد وقد كان الجنيد ينشد
ابياتا يشير بها الى اسرار احوال العارفين وان كان ذلك لا يجوز اظهاره وهي شعر سرت باناس في الغيوب قلوبهم فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصا بقرب الله في ظل قدسه تجول بها ارواحهم وتنقل مواردهم فيها على العز والنهى ومصدرهم عنها لما هو اكمل تروح بعز
مفرد من صفاته وما كتمه اولى لديه واعدل ساكتم من علمي به ما يصونه وابذل منه ما ارى الحق يبذل واعطي عباد الله منه حقوقهم
وامنع منهم ما ارى المنع افضل على ان للرحمن سرا يصونه الى اهله في السر والصون اجمل وامثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز ان
يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي
شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم اربعين يوما الحلال لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء
الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم
كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد
والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى
ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى
يدهش فيه وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تمحل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما تشتعل من الحب
نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول شعر وقالوا قريب قلت ما انا صانع
بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري فما لي منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدري والعاجز عنه يقول شعر
يخفي فيبدي الدمع اسراره ويظهر الوجد عليه النفس ويقول شعر ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم
وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة به كانه يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل
احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون المصري رضه على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلى
ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضره فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضره فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه
بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر فاعلم ان المحبة
محمودة وظهورها ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان ينم على حبه الخفي افعاله
واحواله دون اقواله وينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون
قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث
لا يعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير
ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه حكي ان رجلا
راى من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال يا اخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا
الذي رايته من مجانينهم ومما يلزم اظهار الحب ان المحب ان كان عارفا وعرف احوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم
اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار
حبه وعلم قطعا انه اخس المحبين في مملكته وان حبه انقص من حب كل محب لله تعالى قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله
تعالى ثلثين سنة باعمال القلب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيئا فذكر اشياء من مكاشفات
ايات السموات في قصة طويلة قال في اخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت من انتم فقالوا نحن المحبون
لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق

عليه الوعيد تخفيفا عنهم في جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحيى منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم
يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وتردداته كما حكي عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السري رحمه الله فلم نعرف
لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا قارورة مائه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال لي اراه
بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله
ما ابصره قلت يا استاذ وتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا اسل
جسمي الا حبه ثم غشي عليه وتدل الغشية على انه افصح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب وثمراته
ومنها الانس والرضا كما سياتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من
رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين
ولذلك قال الجنيد رضه الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا
ان ارضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد
بالملك ولما عرفوا صفاته الكاملة واسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه اهل لها ولو ازال عنهم
جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ويظن انه محب لله عز وجل
الذي فقد فيه هذه العلامات او يلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كعلماء
السوء وقراء السوء اولئك بغضاء الله في ارضه وكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يا دوست اي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا
فكيف تقول هذا فقال في اذنه سرا لا يخلو اما ان يكون مؤمنا او منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان
منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال ابو تراب النخشبي في علامات الحب ابياتا وهي شعر لا تخدعن فللحبيب دلائل ولديه من تحف
الحبيب وسائل منها تنعمه بمر بلائه وسروره في كل ما هو فاعل فالمنع منه عطية مقبولة والفقر اكرام وبر عاجل ومن الدلائل
ان يرى من عزمه طوع الحبيب وان الح العاذل ومن الدلائل ان يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل ومن الدلائل ان
يرى متفهما لكلام من يحظى لديه السائل ومن الدلائل ان يرى متقشفا متحفظا من كل ما هو قائل وقال يحيى بن معاذ رضه
ومن الدلائل ان تراه مشمرا في خرقتين على شطوط الساحل ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام فما له من عاذل ومن الدلائل ان
تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فعل فاضل ومن الدلائل زهده فيما يرى من دار ذل والنعيم الزائل ومن الدلائل ان تراه باكيا ان قد
راه على قبيح فعائل ومن الدلائل ان تراه مسلما كل الامور الى المليك العادل ومن الدلائل ان تراه راضيا بمليكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى والقلب محزون كقلب الثاكل **بيان** معنى الانس بالله تبارك وتعالى قد ذكرنا ان الانس والخوف
والشوق من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب
الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه وتسمى هذه الحالة
في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان
نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان
كان نظره الى الصفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تالم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفا
وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه
بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر
بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من اشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح
بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان
ابرهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق

عن الخلوة فيكون من اثقل الاشيا على القلب كما روى ان موسى عليه السلم لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه
الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكما في مناجاته
يا من آنسني بذكره واوحشني من خلقه وقال الله عز وجل لداود عليه السلم كن بي مستانسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة
بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة لا
يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت من نفسك الوحدة راس العبادة قلت يا راهب ما اقل ما تجد في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم
قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفو الود قال اذا اجتمع
الهم فصار هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكما عجبا للخلائق كيف ارادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استانست بسواك عنك
فان قلت ما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر عن معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان
خالطهم فهو كمنفرد في جماعة مجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور يخالط بالبدن منفرد
بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي رضي الله عنه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا
ما استوعر المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في
ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس ومن علامته ومن مشوشاته وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق
والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله ان جمال المدركات بالبصائر اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي
القلوب ومنهم احمد بن غالب يعرف بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى ابي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق
حتى انكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين
الا على القشور فظن انه لا وجود الا للمحسوسات وكلها خيالات في طريق الدنيا قشور محضة وراءها اللب المطلوب
فمن لم يصل من الجوز الا الى القشر ظن ان الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير
مقبول وقد قيل **شعر** لانسيا به الحوت يطالك [illegible] والانس من رجال الكلام تخبث وكلهم مصنوع الله تعالى

بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمره غلبة الانس اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم
ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه
من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه يحتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به واشرف
على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلم ان يساله ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع
سنين وخرج موسى ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة
يدعونني على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى عليه السلم
فلم يعرف فبينا موسى عليه السلم ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها
على عنقه فعرفه موسى عليه السلم بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك قال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق
لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك وما هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام
نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك
ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالمطر وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب
قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلم فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم موسى به صلوات الله عليه فاوحى
الله اليه ان برخ يضحكني كل يوم ثلث مرات وعن الحسن قال احترقت اخصاص البصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى
يومئذ امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص فاتي بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال اني اقسمت على ربي
عز وجل ان لا يحرقه فقال ابو موسى رضي الله عنه اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم

لو اقسموا على الله تعالى لابرهم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار
فقال اني اقسمت على ربي عز وجل ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم عليها ان تطفأ قال فعزم عليها فطفئت
وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك فقال ضل حماري ولا املك غيره قال فوقف
ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره قال فظهر حماره في الوقت ومر ابو حفص رحمه الله فهذا وامثاله يجري لذوي
الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد رحمه الله اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة
لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه اشار القائل **شعر**
قوم تخالجهم زهو بسيدهم * والعبد يزهو على مقدار مولاه * تاهوا برؤيته عما سواه له * يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا * ولا تستبعدن
رضاه عن العبد مع غضبه على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فهمت وفطنت فجميع قصص القرآن
تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار فانما هي عند ذوي الاعتبار من الاسمار فاول القصص قصة آدم
وابليس الا ترى انهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين
واما آدم فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في الاعراض عن
عبد والاقبال على عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الآخر
اما من استغنى فانت له تصدى وكذلك امره بالقعود مع طائفة فقال واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم وامره بالاعراض
عن غيرهم فقال واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا وقال فلا تقعد بعد الذكرى مع
القوم الظالمين وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط
الانس قول موسى عليه السلم ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون
ولهم علي ذنب وقوله اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري وقوله انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب
لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل منه ولم يحتمل ليونس عليه السلم ما دون هذا لما اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن
في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم وقال الحسن العراء
هو القيامة ونهى نبينا عليه السلم ان يقتدي به وقيل له فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات
بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال الله تعالى
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه السلم من المفضلين ولادلاله
سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن
زكريا عليهما السلم اقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوا بيوسف
وقد قال بعض العلماء قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا
واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل للعزير مسالة واحدة سال
عنها في القدر حتى قيل محي اسمه من ديوان النبوة وكذلك كان بلعم بن باعورا من اكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل
له ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفي عنه وقد روي ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى سليمان عليه السلم
يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وانا احلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن اخذته عطفة
من عطفاتي عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف على سليمان اخبره بما اوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل
ثم رفع راسه ويديه نحو السماء وقال الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني لاعودن فاوحى
الله تعالى اليه صدقت يا آصف انت انت وانا انا استقبل التوبة فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب
منه اليه وناظر اليه به وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه بعدما كان اشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت

في معرفة أنه من كلام جهنه سنة الله في عباده بالتحصيل والتقييم والناجين على ما سبقت به مشيئته الأزلية ومن المقصود أو وضع
في القرآن ليعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شيء إلا وهو يجري ويوف ويرجع من الله تعالى إلى الخلق فتارة
يتعرف إليهم بالتقديس فيقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله
فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف إليهم بأفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته
في أعدائه وفي أوليائه فيقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يعدو القرآن هذه الأقسام
الثلث وهي الإرشاد إلى معرفة ذات الله تبارك وتعالى وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده ولما اشتمل
سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلث وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلث القرآن فقال من قرأ
سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لأن منتهى التقديس أن يكون واحدا في ثلاثة أمور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه
ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يولد ولا يكون في درجته وإن لم يكن أصلا له ولا فرعا
من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد ويجمع جميع ذلك قوله قل هو الله أحد وجملته تفصيل قولك لا إله إلا الله فهذه أسرار القرآن
ولا تتناهى أمثال هذه الأسرار في القرآن ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود ثوروا القرآن والتمسوا غرائبه
ففيه علم الأولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه إلا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد كل كلمة منها بأنه كلام جبار
قاهر مليك قادر وأنه خارج عن حد استطاعة البشر وأكثر أسرار القرآن معباة في طي القصص والأخبار فكن حريصا على استنباطها
لينكشف لك فيها من العجائب ما تستحقر معها العلوم المزخرفة الخارجة عنها فهذا ما أردنا ذكره من معنى الأنس والانبساط الذي هو ثمرته و
تفاوت عباد الله فيه

القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته

اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهي
من أعلى مقامات المقربين وحقيقتها غامضة على الأكثرين وما يدخل عليه من التشابه والإيهام غير منكشف إلا لمن علمه الله التأويل و
فقهه في الدين فقد أنكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا إن أمكن الرضا بكل شيء لأنه فعل الله فينبغي أن يرضى بالكفر
والمعاصي وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والإنكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت
هذه الأسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه
التأويل فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر
ما يظن أنه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي

بيان فضيلة الرضا

أما الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم
ورضوا عنه وقد قال الله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عنه
وقد قال الله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر فقد رفع الله تعالى الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره
فوق الصلاة حيث قال إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة
فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنان وفي الحديث إن الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك
فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل ورضا العبد سنذكر حقيقته وأما رضا الله عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في
حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذ تقصر أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بإدراكه من نفسه وعلى الجملة
فلا رتبة فوق النظر إليه فإنما سألوا الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الأماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما
أمروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي
أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين إحداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة
يقول الله تعالى إني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر من النعيم الذي هم فيه
فهذا فضل رضا الله وهو ثمرة رضا العبد وأما الأخبار فقد روي أن النبي عليه الصلاة والسلام سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا

مؤمنون فقال ما علامة إيمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر
أنه قال حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وفي الخبر طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال النبي صلى
الله عليه وآله وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى عنه بالقليل من العمل وقال أيضا إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن
صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه وقال أيضا إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان
يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤوا فيقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما
رأينا حسابا فيقولون لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فيقولون لهم الملائكة هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فتقول الملائكة
من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقولون نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان
كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضله ورحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا إذا خلونا نستحيي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم
لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وآله وسلم أعطوا الله تعالى الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا وفي أخبار
موسى عليه السلام أنه قال سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام إلهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون
عني حتى أرضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من أحب أن يعلم ما له عند الله عز وجل فلينظر ما لله
عز وجل عنده فإن الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه وفي أخبار داود عليه السلام ما لأوليائي والهم بالدنيا إن الهم
يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود إن محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي أن موسى عليه السلام قال
يا رب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله فأوحى الله تعالى إليه أن رضاي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فإن
رضاي في رضاك بقضائي وفي مناجاة موسى عليه السلام أي رب أي خلقك أحب إليك قال من إذا أخذت منه المحبوب سالمني قال
فأي خلقك أنت عليه ساخط قال من يستخيرني في الأمر فإذا قضيته له سخط قضائي وقد روي ما هو أشد من ذلك أن الله عز وجل
قال أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي ومثله في الشدة قوله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير
وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى
لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الأخبار السالفة
أن نبيا من الأنبياء شكا إلى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إليه ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في
أم الكتاب قبل أن أخلق السماوات والأرض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من
أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرته عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة
أخرى لأمحونك من ديوان النبوة وروي أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل أحدهم
رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض
ولده يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني إني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا إني تحركت حركة واحدة فأهبطت من
دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك حركة أخرى فيصيبني ما لا أعلم وقال أنس بن مالك خدمت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء
لم يكن ليته كان وكان إذا خاصمني مخاصم من أهله يقول دعوه لو قضي شيء لكان ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود تريد وأريد
وإنما يكون ما أريد فإن لم تسلم أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد وقال ابن عباس رضي الله عنه أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون
الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله وقال ميمون بن مهران
من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن أبي رواد ليس
الشأن في أكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل إلى قرحة في رجل

بجنب ولمح مثلا في الحكم عن الرحمة فقال له اتشكو ما منه خير اذا لم يخرج من عيني وروي في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله دهرا طويلا فاري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسأل عنها الى ان وجدها واستضافها ثلثا لينظر الى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال اما لك عمل غير ما رأيت فقالت ما هو والله الا ما رأيت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في ان كنت في شدة لم اتمن ان اكون في رخاء وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان اكون في الظل فوضع العابد يده على رأسه وقال اهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى في السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت من شدة او رخاء وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيي من الله ان تسأله الرضا وانت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون العبد راضيا عن الله تعالى قالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى وقال احمد بن ابي الحواري قال ابو سليمان الداراني ان الله عز وجل من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذاك قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العباد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر واما الرضا فلا يتصور فانما اتي من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا رأى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمه لشغل قلبه بل الذي يحجم او يحلق رأسه بحديدة كالة يتألم به فان كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به او يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من اعظم الشواغل واذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب ايضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة الظاهرة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه فقد روي ان امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك المه الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما اصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد محبوبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما

ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلاء هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء بحبه حتى لو احب النار احببت دخول النار وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت قال لاني عاشق فقلت له ولم سكت قال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي فقلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر ميتا وقال يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل تأكل لحمه فرفعت رأسه فوضعته في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها وقال ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل في القرآن ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك وقال سعيد بن يحيى رأيت في البصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله وهو يقول

شعر

يوم الفراق من القيامة اطول ... والموت من الم الفراق اجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل ... لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بها بطنه وخر ميتا فسألت عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا ويروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت وسلبتني ما شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول ويروى عن عبد الله بن عمر انه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا به وقال مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك والديك يوقظهم للصلوة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب فاخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم قال وانما اخذوا اولئك لما كان عندهم من اصوات الكلاب والحمير والديكة فكانت الخيرة في هلاك هذه الحيوانات كما قدر الله تعالى فمن عرف خفي لطف الله رضي بفعله ويروى ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلام يا هذا اي شيء من البلاء اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من الركبة من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة وايمك لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مطيتان ما ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل وقال ابو سليمان الداراني رحمة الله عليه قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فما لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقام الرضا قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلائق علي الى الجنة ثم ملأ بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالم النار وان بقي احساس فيغمره ما

يحصل من اللذة في استشعار حصول رضا محبوبه بإلقائه إياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وإن كان بعيداً من أحوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويظن أن ما هو عاجز عنه يعجز عنه الأولياء وقال الروذباري قلت لأبي عبد الله بن الجلاء الدمشقي قول فلان وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه ما معناه فقال يا هذا إن هذا كان من طريق الإشفاق والنصح للخلق فأعرف وإن كان من طريق التعظيم والإجلال فلا أعرف ثم غشي عليه وقد كان عمران بن حصين استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال لم تبكي قال لأني أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فإن أحبه إلى الله أحبه إلي ثم قال أحدثك شيئاً لعل الله أن ينفعك به واكتم علي حتى أموت إن الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأسمع تسليمها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضياً به قال ودخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوباً ملقى فما ظننا أن تحته شيئاً حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضواً لا أطعم طعاماً ولا أسيغ شراباً منذ كذا فذكر أياماً وما يسرني أني نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة وقد كان كف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السائب فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصري وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله أن يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد أنه قال إني أذنبت ذنباً عظيماً فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله سبحانه ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فإنما مزيدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا أني أستحيي منك لأخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه أنه لم يفتح لك باب القلب فتترقى إلى درجات القرب بأعمال القلوب وإنما أنت تعد في طبقة أصحاب اليمين لأن مزيدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم ودخل جماعة من الناس على الشبلي بمارستان وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أنتم قالوا محبوك فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي إن صدقتم فاصبروا على بلائي وللشبلي رحمه الله عليه **شعر** إن المحبة للرحمن أسكرني * وهل رأيت محباً غير سكران * وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل مصدقاً ولعله قد كذبه وذلك أن أحدكم لو كان له أصبع من ذهب لظل يشير بها ولو كان بها شلل لظل يواريها يعني بذلك أن الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون بها والبلاء زينة أهل الآخرة ويستنكفون منه واحترق السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفاراً من قوله الحمد لله فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعاً أن الرضا بما يخالف الهوى ليس محالاً بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكناً في حب الخلق وحظوظهم كان ممكناً في حق الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعاً وإمكانه من وجهين أحدهما الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب الموعود كالرضا بالحجامة وشرب الدواء انتظاراً للشفاء والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون ألذ الأشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ إرادته ولو في هلاك روحه كما قيل فما لجرح إذا أرضاكم ألم * وهذا ممكن مع الإحساس بالألم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من فقده من نفسه لأنه إنما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب أعظم مما وصفناه وقد روي عن عمرو بن الحارث الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت علامة ذل الهوى على العاشقين البكا **شعر**

ولا سيما عاشق إذا لم يجد مشتكى * فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن أموت فقالت مت راشداً قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فإذا هو ميت وقال الجنيد رأيت رجلاً متعلقاً بكم صبي وهو يتضرع إليه ويظهر له المحبة فالتفت إليه الصبي وقال إلى متى هذا النفاق الذي تظهر لي فقال قد علم الله أني صادق فيما أورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال إن كنت صادقاً فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتاً وقال سمنون المحب كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيساً فبينا هو يحرك القدر إذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل الرجل يحرك ما في القدر بيده حتى تساقطت أصابعه فقالت الجارية ما هذا فقال الرجل هذا مكان قولك آه وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبصرة شاباً على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول هذا البيت **شعر** من مات عشقاً فليمت هكذا * لا خير في عشق بلا موت * ثم رمى بنفسه إلى الأرض فحملوه ميتاً فهذا وأمثاله قد يصدق به في حب المخلوق والتصديق به في حب الخالق أولى لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربوبية أوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الألحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لا بد وأن ينكر أيضاً هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب

بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضاً

وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعم أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع فأما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء على ما نقلناه في كتاب الدعوات تدل عليه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى مقامات الرضا وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله ويدعوننا رغباً ورهباً وأما إنكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا به فقال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكراً فرضي به فكأنه قد فعله وفي الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود رضي الله عنه إن العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو أن عبداً قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكاً في قتله وقد أمر الله بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما يفعل وأما بغض الكفار والفجار والإنكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء وقال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً وفي الخبر إن الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن وقال عليه السلام المرء مع من أحب وقال من أحب قوماً ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وقال عليه السلام أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا قد ذكرناه في بيان الحب والبغض في الله في كتاب آداب الصحبة ومن كتاب الأمر بالمعروف فلا نعيده فإن قلت فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فإن كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قادح في التوحيد وإن كانت بقضاء الله فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل إلى الجمع وهو تناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت على المنكرات مقاماً من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو أيضاً عدو بعض أعدائك وساع في إهلاكه فتكره موته من حيث إنه مات عدو عدوك وترضاه من حيث إنه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسليماً للملك إلى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه إلى العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتاً عند الله وبغيضاً عنده حيث سلط عليه

اسباب البعد والمقت بين هذا الشخص وبين الله وينكشف لك هذا الاشكال بمثال وهو ان محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه
اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني اقصد الى فلان فاؤذيه واضربه ضربا
يضطره ذلك الى الشتم حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا لي فكل من احبه فاعلم انه ايضا عدوي وكل من ابغضه فاعلم انه صديقي
ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق
في محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك في ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له
وراض به فانه رأيك وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان
مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته
فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وانا لا اكره حصول مرادك ولكنه من حيث انه وصف
لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه ان يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث
نسبته اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث انه مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمه فانا راض به ومحب له لانه
مرادك وانا على موافقتك ايضا مبغض له لان شرط المحب ان يكون لحبيب المحبوب حبيبا ولعدوه عدوا واما بغضه لك فاني ارضاه
من حيث انك اردت ان يبغضك اذ ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني ابغضه من حيث انه وصف ذلك
المبغض وكسبه وفعله وامقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقته اياك وبغضه ومقته لك ايضا بغيض عندي من حيث انه وصفه
ويكون ذلك من حيث انه مرادك دون مرضي فاما التناقض ان يقول هو من حيث انه مرادك مرضي ومن حيث انه مرادك مكروه واما
اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من
وجه ويرضى من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذن تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية
ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم
ومقت الله تعالى لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المحبوب لمن شتمه وان كان شتمه انما يحصل بتدبيره واختياره
للاسباب وفعل الله ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليطه دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيته بابعاده ومقته فواجب
على كل عبد محب لله ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته ويعادي من اعتدى على حضرته وان اضطره بقهره وقدرته
الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده واضطراره الى البعد
عن درجات القرب فينبغي ان يكون بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه
بابعاده وبهذا يتقرر جميع ما وردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة
في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان
الشر والخير كلاهما داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به فمن قال ليس الشر من الله تعالى
فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير مأذون
فيه فالاولى السكوت والتأدب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة
وغرضنا الان بيان امكان ما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله ومقت المعاصي مع انها من قضاء الله وقد ظهر ذلك
من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا يعلم ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير
مناقض للرضا بقضاء الله فان الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع
ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما ان حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله
في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله وامر به وقد ذكرنا
ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضا

لان الرضا مقام يلاصق التوكل ويتصل به ثم اظهار البلاء في معرض الشكوى وان كان بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا واظهار
البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله ان لا يقول هذا يوم حار
اي في معرض الشكاية وذلك في الصيف فاما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضا
لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد
ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي ان يسلم التدبير الى مدبره والمملكة الى مالكها ويقول ما قاله عمر لا ابالي اصبحت
غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي

بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا

اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخروج من بلد ظهر فيه الطاعون لان كل واحد فرار
من قضاء الله وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي
فيها المطعونون مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الاخبار بالفرار من
الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما اذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكمه في كتاب التوكل واذا عرف
المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك
مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف الصالحون
يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واظهار ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رأيت
بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدرى فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رأيت
بغداد قال ما رأيت بها الا شرطيا غضبان او تاجرا لهفان او قارئا حيران ولا ينبغي ان نظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض
لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وقصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد يترصد
القافلة ستة عشر يوما وكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه وذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز
وكعب الاحبار وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له اين تسكن فقال العراق فقال ما تصنع بلغني انه ما من احد يسكن العراق فقال له
فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء العضال وقيل قسم الخير فتسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر بالعكس
وقال بعض اصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه واقبل عليه ثم قال
اين تسكن فقال بغداد فاعرض عنه وقال يأتينا احدهم في زي الرهبان فاذا سألناه اين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر
بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من اراد ان يخرج فليخرج وكان
احمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي قيل واين يختار السكنى قال بالثغور وقال
بعضهم حين سئل عن اهل بغداد منهم زاهد ومنهم شرير فهذا دليل على ان من بلي ببلدة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير
فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي ان يهاجر قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال
او علاقة فلا ينبغي ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة فاذن ليس في شيء من اسباب نقصان الدين البتة رضا مطلق الا من حيث اضافتها الى فعل الله فاما هي في انفسها
فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من اهل المقامات الثلاث رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب
البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا ارضى بما اختار الله لي ورفعت هذه المسألة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا
افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري كنت اكره موت
الفجاءة قبل اليوم واما اليوم فوددت اني مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء
فقال سفيان لم قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول انت فقال انا لا اختار شيئا احب ذلك

الى احد الى الله ثم فضل الرشي بن عيسى وقال روحانيته ورب الكعبة

بيان جملة من حكايات المحبين واقوالهم

ومكاشفاتهم قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك
واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رأيتموني فقد رأيتم اربعين بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد قال لاني
رأيت اربعين بدلا واخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب
ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه ويحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم
يبق ولي لله تعالى الا عرفته الا ورأيت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى
فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه
وقيل حدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله عز وجل فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا
اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك ويحكى عن يحيى بن معاذ انه رأى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء
الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف
قال ثم سجد عند السحر فاطاله ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني اعوذ
بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا
بذلك واني اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي
قال مذ متى انت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل
فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها
من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء رأيت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فاسألك
اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه
فقلت يا سيدي لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه
مني حتى لا احب ان يعرفه سواه ويحكى ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته
ومواجيده فقال له ابو تراب يوما لو رأيت ابا يزيد فقال المريد اني عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رأيت ابا يزيد
هاج وجد المريد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد قد رأيت الله تعالى فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي
فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من قوله و
انكره فقال وكيف ذلك قال له ويلك اما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره
فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج اليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره
ليخرج علينا من الغيضة وكان يأوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه
فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره اليك قتله قال لا ولكن كان
صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين
فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله عز وجل دفعهم فسكت
ثم قال ان لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم
لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة
في انفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجائب الملك
والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول ان
اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة وان سكنت

تمن

الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين لقد كوشفت باربعين حوراء
يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ثم
كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر وقلت
اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لافلاسه عن
مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات
ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق
بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهذه اوائل سلوكهم واقل مقاماتهم وهي اعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب
عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى
انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحديد اذا شكل ونقي وصقل وصور بصورة المرآة فنظر المنكر الى ما في يده
من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر امكان ذلك غاية الجهل والضلال
فهذا حكم كل من انكر كرامات الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره عنه وقصور من رآه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله تعالى
بل انما يستروح روائح المكاشفة من سلك شيئا ولو من مبادي الطريق كما قيل لبشر باي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكاتم الله تعالى
حالي معناه اسأله ان يكتم علي ويخفي امري وروي انه رأى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال
وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت انت اليها وعن بعضهم انه قال اقلقني الشوق الى الخضر فسألت الله
مرة ان يريني اياه ليعلمني شيئا كان اهم الاشياء علي قال فرأيته فما غلب علي همي ولا همتي الا ان قلت له يا ابا العباس علمني شيئا اذا قلته حجبت
عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك
واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما تركت ان اقول هذه الكلمات في كل
يوم فحكي انه صار بحيث كان يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان
الصبيان يلعبون به فكان راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله وهكذا حال اولياء الله تعالى ففي امثال هؤلاء ينبغي ان يطلبوا
والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله تعالى على اوليائه تأبى
الا اخفاءهم كما قال تعالى اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو
اقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها واقرب القلوب
اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه
فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر ايضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذل ذلا في حقه بل يرى
نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق مبادي هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا
القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اولياء الله فليكن محبا لاولياء الله
مؤمنا بهم فعسى ان يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى صلوات الله عليه قال لبني اسرائيل اين ينبت الزرع قالوا في التراب
فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى
الضعة والخسة حتى روي عن استاذ الجنيد رضوان الله عليهما وهو ابن الكريني ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى الطعام ثم كان يرده ثم يستدعيه
فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب
يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له بعظم فيعود ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة فعرفت
فيها بالصلاح فتشتت علي قلبي فدخلت الحمام وعدلت الى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي
قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي واخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسي

فكذا الاولياء وصوفيا استهم بتخليصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله تعالى
ومشغول بنفسه حجابا بلطيفين القلب وبين استجابه مسعود ويحل الحايل بينها ما بعد القلوب شغلها بعينها او بغيرها واعظم الحجب شغل النفس
ولذلك حكى ان شابا من عظم القدر من اعيان ابي يزيد البسطام كان لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوما يا ابا يزيد انا منذ ثلثين سنة
اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وانا اصدق به واحبه فقال ابو يزيد ولو
صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذه ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فهل لهذا دوا قال نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا
دوا قال نعم قال الحل الحي اعمله قال لا تستطيع قال فاذكر لي حتى اعمل قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع عنك
اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة ملاى جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل
الى سوق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله
شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها ما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شيء
فقال لا اطيقه فقال قد قلت لك انك لا تستطيع فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو دوا من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا
ينجي من هذا المرض دوا سوى هذا وامثاله فمن لا يطيق الدوا فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفا في حق من داوى نفسه بعد المرض
او لم يمرض بمثل هذا المرض اصلا فاقل الدرجات صحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل ايضا وهي امور جلية من الشرع
واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علما الشرع فقد قال النبي صلى الله عليه واله وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون
قلة الشي احب اليه من كثرة الشي وحتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وقال ايضا ثلث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله
لومة لائم ولا يرائي بشي من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة اثر امر الاخرة على امر الدنيا وقال صلى الله عليه واله
وسلم لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه من حق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر
لم يتناول ما ليس له وفي حديث اخر ثلث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنا والفقر
وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لاهل الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف نفسه
ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عظيمة وراء الايمان وفي الاخبار ان الله
تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولا يؤثر علي شيئا من خلقي وان حرق بالنار لم يجد
لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد الما فمن لم يبلغ الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات
والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال
النبي صلى الله عليه واله وسلم للصديق رضوان الله تعالى ان الله تعالى قد اعطاك مثل ايمان كل من امن بي من امتي واعطاني مثل ايمان كل من امن بي من
ولد ادم وفي حديث اخر ان لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله هل في منها خلق
فقال كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله السخا وقال النبي صلى الله عليه
واله وسلم رايت ميزانا دلي من السما فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفة وجي بامتي فوضعت
في كفة فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت

متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه

خاتمة الكتاب

بكلمات متفرقة تتعلق
بالمحبة ينتفع بها قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم
كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب
يعجز القلب عن ادراكه ويمتنع اللسان عن عبارته وقال الجنيد رضي الله عنه حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون
بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل للشبلي صف لنا العارف
والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي

شعر

يا ايها السيد الكريم حبك بين الحشا مقيم ه

يا رافع النوم عن جفوني انت بما مر بي عليم

ولغيره

شعر

عجبت لمن يقول ذكرت ربي ه وهل انسى فاذكر ما نسيت ه اموت اذا ذكرتك ثم احيا
ولولا حسن ظني ما حييت ه فاحيا بالمنى واموت شوقا ه فكم احيا عليك وكم اموت ه شربت الحب كاسا بعد كاس ه فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني ه فان قصرت في نظري عميت ه وقالت رابعة يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا
قطعتنا عنه وقال ابن الجلا اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي وتوليته
بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات وقال ابراهيم بن ادهم
الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني من محبتك وانستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال سري
السقطي من احب الله تعالى عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لا شي وقيل لرابعة رضي الله عنها كيف حبك للرسول
صلى الله عليه واله وسلم فقالت اني والله احبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى صلوات الله عليه عن
افضل الاعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحب له وقال ابو يزيد رضي الله عنه المحب لا يحب الدنيا ولا الاخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي
رضي الله عنه الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى فيك شي راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب
من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل رضي الله عنه عن المحبة
فقال عطف الله تعالى بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب على اربع منازل على المحبة والهيبة والحيا والتعظيم
وافضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين تبقيان في الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف
ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة
وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الاخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية
والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة انت من
عملك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف
انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين
عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما
يكون عبدي اذا رجع الي وقال ابو خالد الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على امر لسنا معاشر الانبياء
نعمل عليه انتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي اوحى الله تعالى الى داود يا داود ذكري للذاكرين
وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة للمحبين واوحى الله تعالى الى ادم عليه السلام يا ادم من احب حبيبا صدق قوله ومن
انس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق اليه جد في مسيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول وا شوقاه الى من يراني ولا اراه
وقال الجنيد بكى يونس عليه السلام حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من النار لخضته
اليك شوقا مني اليك وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال سالت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن سنته فقال المعرفة راس
مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي
والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة
وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية ولذلك اشتاقوا الى الله تعالى وارواح
المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رايت
في جبل لكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر وهو يقول

شعر

انا الشوق والهوى
صيراني كما ترى ه ويقال الشوق نار الله اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات
والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله اعلم بالصواب

كتاب النية والصدق والاخلاص

وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به إيمان الموقنين ونقر بوحدانيته إقرار الصادقين ونشهد أن لا إله إلا هو رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومكلف الجن والإنس والملائكة المقربين أن يعبدوه عبادة المخلصين فقال وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله إلا الدين الخالص المتين فإنه أغنى الأغنياء عن شركة الشركاء والصلاة على نبيه محمد وآله سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أما بعد فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير إخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص أو كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولا لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتا العبد إلى النجاة والخلاص ونحن نذكر معاني الصدق والإخلاص في ثلاثة أبواب

الباب الأول في حقيقة النية ومعناها

الباب الثاني في الإخلاص وحقائقه

الباب الثالث في الصدق وحقيقته

الباب الأول في النية

وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الإرادة هي النية وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته وقال الله تعالى إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا اكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا إنه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله تعالى إنه نواه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله عز وجل مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الأجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء ألا ترى كيف شركه في النية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك قال إن بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا مخمصة إلا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركوا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر أم قيس ولذلك جاء في الخبر أن رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار لأنه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فأضيف إلى نيته وفي حديث عبادة عن النبي عليه السلام من غزا وهو لا ينوي إلا عقالا فله ما نوى وقال أبي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام ليس له من دنياه وآخرته إلا ما نوى وقيل إلا ما جعلت له وروي في الإسرائيليات أن رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قبل صدقتك

وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد في أخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهد ما يكون فيها وفي حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والأجير فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إنما يقتتل المقتتلون على النيات وقال عليه السلام إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الأحنف عن أبي بكرة إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله عز وجل وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز اعلم أن عون الله للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وإن نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائي البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما إلى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فإني لا أحب أن يأتي علي ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا فترت أو تركته فهم بعمله فإن الهام بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف إن نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أخفى من أن تعلموها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى لعين نامت ولم تهم بمعصية وانتبهت إلى غير إثم وقال أبو هريرة يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم يبكي ويرددها ويقول إنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وقال الحسن إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات وقال أبو هريرة مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي فقليله كثير وما أريد به غير وجهي فكثيره قليل وقال بلال بن سعد إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فإذا عمل لم يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في ورعه فإن ورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فإن صلحت النية فبالحري أن يصلح ما دون ذلك فإذا عماد الأعمال النيات فالعمل مفتقر إلى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير وإن تعذر العمل بعائق

بيان حقيقة النية اعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران علم وعمل العلم يتقدمه لأنه أصله وشرطه والعمل يتبعه لأنه ثمرته وفرعه وذلك لأن كل عمل أعني كل حركة وسكون اختياري فإنه لا يتم إلا بثلاثة أمور علم وإرادة وقدرة لأنه لا يريد الإنسان ما لا يعلمه فلا بد وأن يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من إرادة ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موافقا للغرض إما في الحال أو في المآل فقد خلق الإنسان بحيث يوافقه بعض الأمور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الأمور فيحتاج إلى جلب الملائم الموافق إلى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة إلى معرفة وإدراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فإن من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف أنه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه إذ المريض يرى الغذاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية

الحركة اليه لا تتحقق الا بتقدم الميل الى الرغبة والارادة وانبعاث نفسه اليه وهيجانها في طلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه ما لم يكن شاهدا طعاما راغب
مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يحصل به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة
منتظرة الداعية الباعثة والداعية منتظرة العلم والمعرفة او الظن او الاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا جزمت
المعرفة بان الشيء موافق ولا بد وان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت
انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة
وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب
وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء
هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون
كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الآخر
لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما اما الاول فهو ان ينفرد
الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكلما رآه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه
ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام لغيره
وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته واما
الثاني فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من
القوة كان كافيا في الحمل لو انفرد ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته وعلم انه لولا فقره
لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بانه يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته
وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم انه لولا عرفة لكان يترك
الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا مرافقة
البواعث والثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل
ما لا ينفرد احدهما به ومثاله في غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم
يقصده الفقير القريب فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض
الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في
التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولما اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة والرابع ان يكون
احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوس
ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل و
يؤثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة
من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة
لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني اما ان يكون رفيقا او شريكا او معينا
وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان اقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما
الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع

بيان سر قوله صلى الله عليه وآله وسلم نية المؤمن خير من عمله

اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح وليس هو المراد لانه لو
نوى ان يذكر الله بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان تكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان سبب
الترجيح ان النية تدوم الى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك

فان نية اعمال الصلاة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال
معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية او على الغفلة لا خير فيه
اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعنى به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات
وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل
فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية
من الجملة خيرهما فهذا معناه واما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال
الى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به
انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها
وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء للقلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها
وتنعمها بلقاء الله تبارك وتعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط ولن يتنعم بلقاء الله تبارك وتعالى الا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله
ولن يحبه الا من عرفه ولن يأنس بربه الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة
ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عنها شهواتها حتى يصير
مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل
الى الفصد والحجامة لعلمه ان سلامته فيهما واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة
على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها فالمائل الى طلب
العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة
لها تأكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي ينظر الى وجه حسن
مثلا فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا لو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج امره
عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون
ذلك زبرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي يراد بها
الآخرة والشرور كلها هي التي يراد بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنياوية هو الذي
يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب علاقة
حتى انه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب اذا تألم بعلمه بموت عزيز من اعزته او بهجوم
امر مخوف تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكأنه الامير والراعي والجوارح كالخدم و
الرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصلة الى المقصود للقلب ولذلك
قال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم وهي صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان تكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون
النية من جملتها افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان نعود القلب ارادة الخير ونؤكد
فيه الميل اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود
وهذا كما ان المعدة اذا تألمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير
من طلاء الصدر لان طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وانفع فهكذا ينبغي
ان تفهم تأثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في وضع الجبهة على الارض
غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا

استمان باعضائه وصورتها بصورة المتواضع تاكد تواضعه ومن يجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح راسه وقبله تاكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا لانه لو مسح راس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من اعضائه اثر الى قلبه لتاكيد الرقة وكذلك من سجد غافلا وهو مشغول الهم باغراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه لتاكيد التواضع فكان وجوده كعدمه وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناها اذا فعل عن غفلة فان قصد به رياء او تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب تاكيدها بل اكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى هنا اعني القلب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما روينا لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة واعلاء كلمة الله كقلوب الخارجين وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تختص بالاسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب الا لتاكيد هذه الصفات وبهذه المعاني يفهم جميع الاحاديث التي اوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليها لتنكشف لك اسرارها فلا نطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة اقسام طاعات ومعاصي ومباحات القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او يبني مدرسة او مسجدا او رباطا بالمال الحرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصي الله تعالى بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله تعالى به العلم وراس العلم العلم بالعلم كما ان راس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم وقد قال الله سبحانه فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه وتقرب من تقرب من السلاطين ببناء المساجد بالمال الحرام كتقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباهاة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين والمساكين واليتامى فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه ايضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال الجميع يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعصية من اقواله وافعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثاره منتشرة في العالم الف سنة والفي سنة وطوبى لمن

مات ماتت ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا ان يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق واعد له خيلا واسبابا ويقول انما اردت البذل والسخاء والتخلق باخلاق الله وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والخيل فان اعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخاء هو احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لله تعالى ثلاثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة واحبها اليه السخاء وليت شعري لم حرم هذا السخاء ووجب عليه ان ينظر الى قرينة الحال فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا في ان يمده بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله وقد يعاون به اعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا لدنياه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة الفضل فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فلو راوا منه تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا راوا فجورا او استحلالا لحرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسالة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل وحكي عن بعض اصحاب احمد بن حنبل انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق ان اعرض عنه احمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يساله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت حائط دارك من جانب الشارع وقد اخذت قدر سمك الطين وهي انملة من شارع المسلمين فلا تصلح ان تنقل العلم فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال طلبة العلم فهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا ارباب الطيالسة والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل العلوم التي تتعلق بالخلق وتتوصل الى الجمع والحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذن قوله صلى الله عليه وآله وسلم الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد وتكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله لا غير فان نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره وثانيها ان ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله تعالى ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله او لاستماع ذكره او للتذكر به كما روي في الخبر من غدا الى المسجد ليذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله وسادسها ان يقصد افادة العلم بامر بمعروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله وفي الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من ان يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من ادمن

لا حلالا الى المسجد رعاية لله احدى سبع خصال اخا مستفادا في الله تعالى او رحمة منتظرة او علما مستطرفا او كلمة تدله على
هدى او تصرفه عن ردى او يترك الذنب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ ما
طاعة الا ويحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف
الحسنات القسم الثالث المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي
الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي ان يستحقر العبد شيئا من الخطرات
والخطوات واللحظات فكل ذلك يسال عنه في القيامة انه لم فعله وما الذي قصد به هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان
العبد ليسال يوم القيمة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر من تطيب
لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح
ولكن لا بد فيه من نية فان قلت فما الذي يمكن ان ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله فاعلم ان من
يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده
الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان
مستحلا للنظر اليهن ولامور اخرى مما لا يحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبه انتن من الجيفة في القيامة الا القصد الاول وهو
التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسأل عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه
في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بان يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى واما النيات الحسنة في
التطيب فان ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة وان ينوي به تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى ان يدخله
زائرا لله الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه وان يقصد به دفع الروائح الكريهة
عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله
بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل شعر اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
ان لا تفارقهم فالراحلون هم • وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان
التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر فقد قال
الشافعي رضي الله عنه من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبا على
قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس
وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ما عداه ولهذا قال بعض السلف اني
لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في اكلي ونومي ودخولي الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به وجه الله لان كل ما هو سبب
لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع
تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل به الى ولد صالح يعبد الله بعده فتكثر به امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان مطيعا
باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة ولذلك ينبغي ان يحسن
نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته وستنقل الى ديوانه
حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال
الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه اعمال ما عملتها قط فيقال هذه اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفي خبر
ان العبد ليوافي القيمة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا
من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى القوا عليهم من سيآتهم

ثم يشكو الى الله او يساق الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها
يوم السؤال والحساب فان الله مطلع عليك وشهيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا واردت
ان اتربه من حائط جار لي فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فتربته فهتف بي هاتف سيعلم المستخف بالتراب ما يلقى غدا من سوء
الحساب وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال اني لبسته
لله تعالى ولا اريد ان اسويه لغير الله وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيمة فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما
اعرفك فيقول بلى انت اخذت لبنة من حائطي واخذت خيطا من ثوبي فهذا وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت
من اولي العزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك
ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتامل اولا انك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك به من الآخرة وبماذا ترجح
الدنيا على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضا قلبك في
امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ان يكون الداعي هوى خفي لا تطلع عليه ولا تغرنك ظواهر
الامور ومنبوذات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي عن زكريا صلوات الله عليه انه كان
يعمل في حائط بالطين وكان اجيرا لقوم فقدموا له رغيفه اذ كان لا يأكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام
حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال اني اعمل لقوم باجرة وقد قدموا
الي الرغيف لاتقوى به على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله فان ضعفه
عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة نقص فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل
فما كلمني حتى لعق اصابعه ثم قال لولا اني اخذته بدين لاحببت ان تاكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى الطعام وليس له رغبة
في ان يأكل فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم يأكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريض اخيه
لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية
لا تدخل تحت الاختيار بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية
وتكثيرها مع قوله عليه السلام الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله تعالى او اتجر لله
او آكل لله ويظن ان ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل
عن جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا واما آجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن
اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق
فلانا واحبه واعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر وانما تنبعث النفس
الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه
قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل
اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال و
بالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ودنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية
قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح
اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعظم فضله لا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو
حديث محض وليس بنية نعم طريق الاكتساب لهذه النية مثلا ان يقوي اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى
في تكثير امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل
ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتتحرك اعضاؤه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة

المحرك للانسان بشرط الصدق طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان نويا فان لم يكن كذلك ما يعتقد في نفسه ويريده
تكلفا من تصنعا الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جمل من الطاعات اذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون
ليس تحضرني فيه نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني فيه نية ونادى بعضهم امراته وكان
يسرح شعره ان هات المدرى فقالت اجيء بالمراة فسكت ساعة ثم قال نعم فسئل في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم
تحضرني في المراة فتوقفت حتى هياها الله تعالى ومات حماد بن ابي سليمان وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا تشهد
جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكان احدهم اذا سئل عملا من اعمال البر قال ان رزقني الله تعالى نية فعلت وكان طاوس
لا يحدث الا بنية وكان يسال ان يحدث فلا يحدث ولا يسال فيبتدئ فقيل له في ذلك فقال افتحبون ان احدث بغير نية
اذا حضرتني نية فعلت وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا
ورده فقال ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال له داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بالعين التي
نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم
انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرف
فقال ابنه الا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان
يعملوا عملا الا بنية لعلمهم بان النية روح الاعمال وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب تقرب وعلموا
ان النية ليس هو قول القائل بلسانه نويت بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى فقد تتيسر في بعض الاوقات وقد تتعذر
نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في اكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة الى اصل الخير فينبعث
الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر
النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة
على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز في هذا الزمان من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها
ونيات الناس في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء
وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات
الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الآخرة وان كان من جنس المألوف في الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضائها
وطرها الجنة والعامل لاجل الجنة عامل للبطن والفرج كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله
واما عبادة ذوي الالباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجلاله وجلاله وسائر الاعمال تكون مؤكدات وروادف وهو الادوم
درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوا بها الا وجهه فهم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم
بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل اشد فان التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية
وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس
البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان مع اعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبها
والفها اياها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن جمال الله وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن ادراك جمال
النساء فانها لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل وذكرن لها لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن والا انت تخلين كل حزب بما
لديهم فرحون ولذلك خلقهم راى احمد بن خضرويه ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني وراى ابو يزيد
ربه في المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال وروي الشبلي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال لم يطالبني
على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما اي خسارة اعظم من خسران الجنة فقال اي خسارة اعظم من خسران لقائي والغرض

انه بين النيات تتفاوت الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا
يستنكف الظاهريون من الفقهاء منها فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضره في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت
الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار
دون العفو فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون له نية في الاكل والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس
ينبعث نية في الحال للصوم والصلاة فالاكل والنوم هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت
رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلاة قال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو
فيكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقائق لا يدركها سماسرة العلماء بل
الحشوية منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعيد اولا قوته
ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في الشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل بذلك الى الغلبة والضعيف البصيرة قد يضحك
به ويتعجب منه وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدي قرنه ويوليه ظهره حيلة منه ليستجره الى مضيق فيكر عليه وكذلك سلوك طريق الله تعالى
كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يسلك فيها لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر
انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغي ان يقف على حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما
الى ان ينكشف له اسرارهما بان يبلغ رتبتهما او ينال درجتهما

الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

بيان فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الا لله
الدين الخالص وقال الله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث لا يغل
عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله تعالى وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابي ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما نصر الله عز وجل هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم
وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكاية عن الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي
وقال علي رضي الله عنه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد يخلص العمل لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم اول من يسال يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت فيقول يا رب كنت اقوم به آناء الليل واطراف النهار
فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تعالى قد انعمت
عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق به آناء الليل واطراف النهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان
جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله فيقول الله ماذا صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت
وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فخذي
وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيامة فدخل راوي الحديث على معاوية وحدثه بهذا فبكى حتى كادت تخرج
نفسه ثم قال صدق الله اذ قال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله تعالى دهرا طويلا
فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله
ابليس في صورة شيخ فقال الى اين تريد رحمك الله فقال اريد ان اقطع هذه الشجرة فقال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك
وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال ابليس فاني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد وطرحه الى الارض وقعد على
صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها
انت وما عليك من غيرك ولله تعالى انبياء في الارض ولو شاء لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه القتال

فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز إبليس لعنه الله فقال هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع قال وما هو قال
أطلقني حتى أقول لك فأطلقه فقال إبليس أنت رجل فقير لا شيء لك إنما أنت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب أن تتفضل على
إخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الأمر ولك علي أن أجعل عند رأسك في كل ليلة
دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على إخوانك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة
التي تغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست
بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها وما ذكره أكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له
فرجع العابد إلى متعبده فبات فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا
فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس في صورة الشيخ فقال إلى أين قال أقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك
ولا سبيل لك إليها قال فتناوله العابد ليأخذه كما فعل أول مرة فقال هيهات فأخذه إبليس وصرعه وقال يا هذا لتنتهين عن
هذا الأمر أو لأذبحنك فنظر العابد فإذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني فخل عني وأخبرني كيف غلبتك أولا وغلبتني الآن فقال
لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية
تصديق قوله تعالى إلا عبادك منهم المخلصين إذ لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص ولذلك كان معروف الكرخي يضرب
نفسه ويقول يا نفس أخلصي تتخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال أبو سليمان طوبى لمن صحت له
خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين
الناس وكتب بعض الأولياء إلى أخ له أخلص النية في أعمالك يكفك قليل من العمل وقال أيوب السختياني تخليص النيات على العمال أشد
عليهم من جميع الأعمال وكان مطرف يقول من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه ورئي بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت أعمالك
قال كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط
حرير فرأيته في كفة السيئات وكان قد نفق لي حمار قيمته مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وموت حمار ليس
فيها فقيل لي إنه قد وجه حيث بعثت به فإنه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل أجرك ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية
وتصدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم إلي فوجدت ذلك لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا ما أحسن حاله إذ لم يكن عليه فقد أحسن
إليه وقال يحيى بن معاذ الإخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم ويقال كان رجل يخرج في زي النساء
ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم فاتفق أنه حضر يوما موضعا فيه النساء فسرقت درة فصاحوا أن أغلقوا الباب
حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة إليه وإلى امرأة معه فدعا الله تعالى بالإخلاص وقال إن نجوت من هذه الفضيحة
لا أعود إلى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت قائما
مع أبي عبيد التستري وهو يحرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض إخوانه من الأبدال فساره بشيء فقال أبو عبيد لا فمر
كالسحاب يمسح الأرض حتى غاب عن عيني فقلت لأبي عبيد ما قال لك فقال سألني أن أحج معه فقلت لا فقلت هلا فعلت قال ليس لي
في الحج نية وقد نويت أن أتم هذه الأرض العشية فأخاف إن حججت معه أتعرض لمقت الله تعالى لأني أدخل في عمل الله تعالى
شيئا غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندي من سبعين حجة ويروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت
أشتريها فأنتفع بها في غزوي فإذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين قد نزلا
من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب الغزاة فأملى عليه خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل
الله ثم نظر إلي وقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في أمري ما خرجت أتجر ولا معي تجارة أتجر فيها ما خرجت إلا للغزو فقال
يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر إلى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان
غازيا إلا أنه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى وقال سري السقطي لأن تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما

خير لك من أن تكتب سبعين حديثا أو سبعمائة بعلو وقال بعضهم في إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز ويقال العلم بذر
والعمل زرع وماؤه الإخلاص وقال بعضهم إذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم وأعطاه
الأعمال الصالحة ومنعه الإخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسي مراد الله تعالى من عمل الخلائق الإخلاص فقط
وقال الجنيد رحمه الله إن لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع وقال محمد بن سعيد
المروزي الأمر كله يرجع إلى أصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فإذا أنت قد سعدت بهذين وفزت
في الدارين **بيان** حقيقة الإخلاص اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا
ويسمى الفعل المصفى المخلص إخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فإنما خلوص اللبن أن لا
يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به والإخلاص يضاده الإشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك إلا أن الشرك
درجات فالإخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية والشرك منه خفي ومنه
جلي وكذا الإخلاص والإخلاص وضده يتواردان على القلب فمحله القلب وإنما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة
النية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه إخلاصا بالإضافة إلى المنوي فمن
تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص
بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب كما أن الإلحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه
مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات وأقل أموره ما ورد في الخبر من أن المرائي
يدعى يوم القيامة بأربعة أسامي يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر وإنما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث
باعث آخر إما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب أو يعتق عبدا
ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر أو يتخلص من شر يعرض له في بلده أو ليهرب عن عدو له في منزله أو يتبرم
بأهله وولده أو بشغل هو فيه فأراد أن يستريح منه أياما أو ليغزو ليمارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها
أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب رحله أو أهله أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون
عزيزا بين العشيرة أو ليكون عقاره وماله محروسا بعز العلم عن الأطماع أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج
بلذة الحديث أو تكفل بخدمة العلماء أو الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس أو لينال به رفقا في الدنيا أو كتب مصحفا
ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه أو حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء أو توضأ ليتنظف أو يتبرد أو اغتسل لتطيب رائحته أو روى الحديث
ليعرف بعلو الإسناد أو اعتكف في المسجد ليخف عليه كراء المسكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام أو ليتفرغ لأشغاله
فلا يشغله الأكل عنها أو تصدق على السائل ليقطع إبرامه في السؤال عن نفسه أو يعود مريضا ليعاد إذا مرض أو يشيع
جنازة أهله أو يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر إليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب إلى الله تعالى ولكن
انضاف إليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن حد الإخلاص وخرج عن أن يكون
خالصا لوجه الله تعالى وتطرق إليه الشرك وقد قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء
وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب قل أم كثر إذا تطرق إلى العمل تكدر به صفوه وزال به إخلاصه
والإنسان مرتبك في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس
فلذلك قيل من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعزة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص
هو الذي لا باعث فيه إلا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ إن كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الأمر على صاحبها وإنما نظرنا
فيما إذا كان القصد الأصلي هو التقرب وانضافت إليه هذه الأمور ثم هذه الشوائب إما أن تكون في رتبة الموافقة أو في رتبة المشاركة
أو في رتبة المعاونة كما سبق في باب النية والحاصل أنه إما أن يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد

حكم آخر كما سنذكره وأما الإخلاص فعلى العمل عن شوائب الشرك كلها جليها وخفيها حتى يتجرد فيه قصد القرب فلا يكون فيه باعث
سواه وهذا لا يتصور إلا من محب لله مستهتر به مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الأكل والشرب
أيضاً بل يكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث إنه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله
تعالى ويتمنى لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة
مطلوباً عنده لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية
في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلاً ليريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه
ومن ليس كذلك فباب الإخلاص في الأعمال كالمسدود عليه إلا على الندور وكما أن من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت
حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت إخلاصاً فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله فقد اكتسب جميع حركاته
تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صومه وصلاته إلا نادراً فعلاج الإخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد
للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فإذ ذاك يتيسر الإخلاص وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله تعالى
ويكون فيه مغروراً لأنه لا يدري وجه الآفة فيه كما حكي عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف
الأول لأني تأخرت يوماً بعذر فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت
أن نظر الناس إلي في الصف الأول كان يسرني وسبب استراحة قلبي من حيث لا أشعر وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الأعمال عن
أمثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله سيئات
ما عملوا وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وأشد الخلق
تعرضاً لهذه الفتنة العلماء إلا من عصمه الله تعالى يتخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه يقصد الخير به ولا يتحاشى محض
الجاه والعز ويحاذر النفس بهذه التيادي في الوعظ مثلاً فإن ذلك يحتمل نقول الإمام إذا دعاه إلى ربيعة ورجع ولم يف بالوعد وذلك
لا يعرفه إلا من عرف مكايد النفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع إلا الشاذ
النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى إلا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق وإلا
التحق بأتباع الشياطين وهو لا يشعر **بيان** أقاويل الشيوخ في الإخلاص قال السوسي الإخلاص فقد رؤية الإخلاص
فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى الإخلاص وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل فإن الالتفات
إلى الإخلاص والنظر إليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفا عن جميع الآفات فهذا متعرض لآفة واحدة وقال سهل الإخلاص
أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول إبراهيم بن أدهم الإخلاص صدق النية
مع الله تعالى وقيل لسهل أي شيء أشد على النفس فقال الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الإخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه
عليه عوضاً في الدارين وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس عاجلاً وآجلاً والعابد لأجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل
الحقيقة أن لا يراد بالعمل إلا وجه الله تعالى وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الإخلاص المطلق فأما من يعمل لرجاء الجنة وخوف
النار فهو مخلص بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة وإلا فهو في طلب حظ البطن والفرج وإنما المطلوب الحق لذوي الألباب وجه
الله تعالى فقط وهو منطوق قول القائل لا يحرك الإنسان إلا الحظ والبراءة من الحظوظ صفة الإلهية ومن ادعاه فهو كافر وقد قضى
القاضي أبو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الإلهية وما ذكره حق ولكن القوم إنما أرادوا به
البراءة عما يسميه الناس حظوظاً وهي الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فأما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى فهذا
حظ هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظاً بل يتعجبون منه ولو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة
الإلهية سراً وجهراً جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا إليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال
أبو عثمان الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق وهذا إشارة إلى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم الإخلاص أن

لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فإنه إشارة إلى مجرد الإخفاء وقد قيل الإخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق
وهذا أجمع للمقاصد وقال المحاسبي هو إخراج الخلق عن معاملة الرب وهو إشارة إلى مجرد الرياء وكذلك قول الخواص من شرب
من كأس الرياسة فقد خرج عن إخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى صلوات الله عليه ما الخالص من الأعمال فقال الذي
يعمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد وهذا أيضاً تعرض لترك الرياء وإنما خصصه بالذكر لأنه أقوى الأسباب المشوشة للإخلاص
وقال الجنيد الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل
من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما وقيل الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل
والأقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وإنما البيان الشافي بيان سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه
وآله وسلم إذ سئل عن الإخلاص فقال أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلا ربك وتستقيم
في عبادته كما أمرت وهذا إشارة إلى قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الإخلاص حقاً **بيان** درجات الشوائب
والآفات المكدرة للإخلاص اعلم أن الآفات المشوشة للإخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها
قوي مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بمثال وأظهر مشوشات الإخلاص الرياء فلنذكر منه مثالاً فنقول
الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصاً في صلاته ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر
إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر
ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية أن يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان
فيه ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور إليك وما تفعله يؤثر عنك
ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت وعليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع
وتحسين العبادة وهذا أغمض من الأول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول وهو أيضاً عين الرياء ومبطل للإخلاص فإنه إن كان يرى الخشوع
وحسن العبادة خيراً لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا محض
التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما هذا فمحض النفاق والتلبيس
فمن اقتدى به أثيب عليه وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفاً به الدرجة الثالثة وهي أدق مما قبلها أن
يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم أن الإخلاص في أن تكون
صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ ويستحيي من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة الخلق تخشعاً زائداً على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة
ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ ويصلي في الملأ أيضاً كذلك فهذا أيضاً من الرياء الغامض لأنه حسن صلاته في الخلوة
ليحسنها في الملأ فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملأ إلى الخلق بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق
واحداً فكأن نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحيي من نفسه أن يكون في صورة المرائي ويظن أن ذلك يزول
بأن تستوي صلاته في الخلاء والملأ وهيهات بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات في الخلاء والملأ جميعاً وهذا
من شخص مشغول الهم بالخلق في الملأ والخلاء جميعاً وهذا من المكايد الخفية للشيطان الدرجة الرابعة وهي أدق وأخفى أن ينظر إليه الناس
وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له اخشع لأجلهم فإنه قد عرف أنه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله تعالى وجلاله
ومن أنت واقف بين يديه واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه ويخشع جوارحه ويظن أن ذلك عين
الإخلاص وهو عين المكر والخداع فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضوره
بحالة حضور غيره وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ ولا يكون حضور الغير هو
السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور بهيمة سبباً فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج
عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء

الصما كاوره به يمضي والسالم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة
الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب
فان هذه سنن في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستيناس الطبع بها فيدعو الشيطان الى فعل ذلك
ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوة الخفية او مشوبا بها فيخرج عن حد الاخلاص
بسببه وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس اليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه
ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه ويتبين ذلك في ميله
الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص
لعمري الغش الذي يمزج خالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد
البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة
من جاهل واريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي
الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش زيف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي
فهكذا تتفاوت امر العبادات بل اشد واعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرنا
مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل **بيان** حكم العمل المشوب واستحقاق
الثواب به اعلم انه اذا لم يكن العمل خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا او
يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما
الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي
ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له
ولا عليه وان كان باعث الرياء اغلب واقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب
العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة
الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير
بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد
وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه
وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك
الصفة واذا كان هذا العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية
الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما
وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم
سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في انارة القلب او تسويده وفي تقريبه من الله او ابعاده
فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا
واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الرياء المحض يمحو الاخلاص
المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد وان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه
واثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه
فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيها مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي
وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار

في جهة يكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها وبعيد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان
الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب
من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الرياء محبط
للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره من التابعين ان رجلا سأل النبي صلى الله
عليه وآله وسلم عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق فيحب ان يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا وروى معاذ ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ادنى الرياء شرك
وقال ابو هريرة رضه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وروي عن عبادة ان الله عز وجل يقول
انا اغنى الاغنياء عن الشركة من عمل لي عملا فاشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي وروى ابو موسى ان اعرابيا اتاه فقال يا رسول الله
الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم من قاتل لتكون كلمة الله
العليا فهو في سبيل الله وقال عمر تقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال ابن مسعود رضه قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له قلنا هذا لا يعارض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد به الا الدنيا
كقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن
طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها واما لفظ الشركة حيث ورد فمطلق للتساوي وقد بينا انه اذا
تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم ان الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين
اغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي
احسن احوالها التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد ان يقال من كانت داعيته
الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احدهما غنية والاخرى فقيرة فمال الى جهة
الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة انه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل لليأس
على المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا على الندور فيكون تأثيرها في نقصان الثواب فاما ان
يكون في احباطه فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي
وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الاجر الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك
ينبغي ان يكون ابدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا ان يكون في عبادته آفة يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا كان
الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان لا اعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن
ابي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من اعمال البر الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان
اوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذ
المقصود ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان بعض الفقراء كان يخدم ابا سعيد الخراز
ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء
الحوائج واستضر الشيخ بذلك فسأله عن ذلك فاخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال ابو سعيد
لا تفعل ان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص
فما قلت لك اترك العمل وانما قلت اخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجلهم شرك والله اعلم

الباب الثالث

في الصدق وفضيلته وحقيقته فضيلة الصدق قال الله تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق
حتى يكتب صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة

الصدق ان الصديق مشتق منه والله تعالى وصف به الانبيا في معرض المدح والثنا فقال تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا
نبيا وقال واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحيا وحسن الخلق
والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي رايت منصورا الدينوري
في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي ورحمني واعطاني ما لم آمل فقلت له احسن ما توجه العبد به الى الله تعالى ماذا قال الصدق
واقبح ما توجه العبد به الى الله تعالى اذ قال الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبك وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا
فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة اركان على الحق والصدق
والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تبارك وتعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا
على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين واوحى الله تعالى الى داود يا داود من صدقني
في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى بنفسه في دجلة فقال ان كان صادقا فالله تعالى
ينجيه كما نجى موسى عليه السلم وان كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما غرق فرعون وقال بعضهم اجمع العلما والفقها على ثلث خصال انها
اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم
وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التورية اثنين وعشرين حرفا كان صلحا بني اسرائيل يجتمعون فيقرونها لا كنز انفع من العلم
ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العمل ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم
اوفى من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دوا الين من الرفق ولا دا اوجع
من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حيوة اطيب من الصحة
ولا معيشة اهنى من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا غائب اقرب من
الموت وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت الله تعالى بالصدق اتاك الله مرآة بيدك حتى تبصر كل شي من عجائب الدنيا والآخرة
وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله والرفق فيما بينك وبين الناس وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح
اموره سبيل فقال   قد بقينا مذبذبين حيارى   نطلب الصدق ما اليه سبيل   فدعاوى الهوى تخف علينا   وخلاف الهوى
علينا ثقيل   وقيل لسهل رحمه الله ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخا والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحيا وطيب
الغذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله تعالى
ليسال الصادقين عن صدقهم قال يسال الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر   حقيقة
الصدق ومعناه ومراتبه اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في
العزم وصدق في الوفا بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو
صديق لانه مبالغة في الصدق ثم هم ايضا على درجات فمن كان له حظ من الصدق في شي من الجملة فهو صادق بالاضافة الى
ما فيه صدقه الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او
بالمستقبل وفيه يدخل الوفا بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر
انواع الصدق واظهره فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشيا على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما
الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم
الشي على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تاديب الصبيان والنسوان
ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعدا والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شي من ذلك فصدقه
فيه ان يكون نطقه فيه لله فيما يامره الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق
ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعا اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل العبد الى المعاريض

ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر الى الاعدا فيقصد
وليس هذا من الكذب في شي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بكاذب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص في النطق
على وفق المصلحة في ثلث مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب فالصدق ههنا يتحول الى النية
فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيفما كان
لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة
وضعي الاصبع عليه وقولي ليس هو ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار
فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال الثاني ان يراعي معنى الصدق
في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله مشغولا بامانى
الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله اياك نعبد واياك نستعين وقوله انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب
سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه او عبدا
للدنيا او عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلم يا عبيد الدنيا وقال النبي صلى
الله عليه وآله وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد قلبه بشي عبدا له وانما العبد
الحق لله تعالى من اعتق اولا عن غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله فتشغله
بالله تعالى وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد يجاوز هذا الى مقام اخر اسنى منه يسمى الحرية وهي ان
يعتق ايضا من ارادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد الله به من تقريب وابعاد فتفنى ارادته في ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير
الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن
وان ابتلاه رضي لم تبق فيه متسع لطلب والتماس ولا اعتراض بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية
فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجات الصديقين واما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها
تتحقق العبودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول الصدق الثاني
في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ
النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما روينا في فضيلة الاخلاص من حديث الثلثة حين يسال العالم ماذا عملت فيما
علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته
ونيته وقد قال بعضهم الصدق صحة التوحيد في القصد وكذلك قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد
قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول
يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقول فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه فانه كذب في ذلك ولم
يكذب فيما يلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد وان يكون مخلصا الصدق الثالث
صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او لقيت عدوا
في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم اعص الله تعالى بظلم وميل الى الخلق فهذه العزيمة قد
يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة فكان
الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال فلان له شهوة صادقة ويقال لهذا المريض شهوة كاذبة مهما لم تكن شهوته عن
سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى فالصادق والصديق هو الذي تصادف عزيمته في
الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه
لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتامر

مع وجود أبي بكر لما أكده بذكر القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به إلى أن يرضى بالقتل فيه
ولكن إذا خلي ورأيه لم يتقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين أن يقتل هو أو أبو بكر
كانت حياته أحب إليه من حياة أبي بكر الصديق الرابع في الوفاء بالعزم فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد
والعزم والمؤنة فيه خفيفة فإذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم
وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن أنس أن عمه أنس بن النضر لم
يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشق ذلك على قلبه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
غبت عنه أما والله لئن أراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليرين الله ما أصنع فشهد أحدا في العام القابل
فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو إلى أين فقال واها لريح الجنة إني أجد ريحها دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع
وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر ما عرفت أخي إلا ببنانه ونزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال
فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد
الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت القلنسوة
من رأسه قال الراوي فلا أدري قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجل جيد الإيمان إذا لقي العدو فكأنما
يضرب وجهه بشوك الطلح أتاه سهم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله
تعالى حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافا كثيرا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة
الرابعة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا إن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به فنزلت ومنهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم
نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وقال بعضهم إنما هو شيء نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به
فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث فإن النفس قد تسخو بالعزم
ثم تنكص عن الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الأسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لأن أقدم فتضرب
عنقي أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول لي نفسي عند القتل شيئا لا أجده الآن لأني لا آمن أن يثقل عليها
ذلك فتتغير عن عزمها أشار بذلك إلى شدة الوفاء بالعزم وقال أبو سعيد الخراز رأيت في المنام ملكين كأنهما نزلا من السماء
فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا إلى السماء الصدق الخامس في الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله
الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به لا بأن يترك الأعمال ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر وهذا يخالف ما ذكرناه من
ترك الرياء لأن المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل
عن الصلاة فمن ينظر إليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب
بلسان الحال عن الباطن إعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الأعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار
وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرائيا إياهم ولا ينجو من هذا إلا باستواء
السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الأشرار
كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فإذا مخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سمي رياء
ويفوت به الإخلاص وإن كانت عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعل سريرتي
خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال يزيد بن الحارث إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وإن كانت سريرته

أفضل من علانيته فذلك الفضل وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وأنشدوا شعر إذا السر والإعلان في المؤمن
استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا فإن خالف الإعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعنا كما خالص الدينار في السوق نافق
ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى وقال عطية بن عبد الغافر إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا
عبدي حقا وقال معاوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد كان الحسن إذا أمر بشيء كان من أعمل
الناس به وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له ولم أر أحدا قط أشبه سريرة بعلانية منه وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول
إلهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي وقال أبو يعقوب النهرجوري الصدق
موافقة الحق في السر والعلانية فإذا مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق الصدق السادس وهو أعلى الدرجات
وأعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وسائر هذه
الأمور فإن هذه الأمور لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها وإذا
غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي
الشهوة الصادقة وقال الله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الآية إلى قوله أولئك هم الصادقون
وقال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين
صدقوا وسئل أبو ذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقيل له سألناك عن الإيمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عن الإيمان فقرأ هذه الآية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله إلا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه
خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه إذا خاف سلطانا أو قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه
ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به أهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس
الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للأخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من
ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم أر مثل النار نام هاربها ولم أر مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق
في هذه الأمور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله إما ضعيف وإما قوي فإذا
قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل أحب أن
أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بل أرني فواعده البقيع في ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبي صلى الله عليه
وآله وسلم فإذا هو به قد سد الأفق يعني جوانب السماء فوقع النبي عليه السلام مغشيا عليه فأفاق وقد عاد جبريل لصورته الأولى
فقال النبي عليه السلام ما ظننت أن أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت إسرافيل إن العرش لعلى كاهله وإن رجليه قد
مرقتا تخوم الأرض السفلى وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعني العصفور الصغير فانظر ما الذي يغشاه
من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال
جابر قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مررت ليلة أسري بي وجبريل بالملأ الأعلى كالحلس البالي من خشية الله يعني الكساء
الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك قال ابن
عمر رضي الله عنهما لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى في دين الله وقال مطرف ما من الناس أحد إلا وهو أحمق فيما بينه
وبين ربه إلا أن بعض الحمق أهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر الناس كالأباعر
في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير فالصادق إذا في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها
وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض فإن كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاث أنا فيهن
قوي وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي حتى أفرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي
بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول قولا إلا علمت أنه حق فقال

ان السبب ما ظنت ان بين الخصال يجمع الا في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهذا صدق ثعلبة بن الاسود وكم من اجلة الصحابة
قد فاتوا الصلوة واستعمل الحياء بعدهم ليجمعوا العلم ومعاني درجات الصدق ومعانيه والكلمات المأثورة عن الشيوخ في حقيقة
الصدق في الاغلب لا يجتمع الا لآحاد من الصادقين ثم قد قال ابو بكر الوراق الصدق ثلثة صدق التوحيد وصدق
الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في
الصدق السادس ولكن ذكر اقسام ما فيه الصدق وهو ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق الصدق هو المجاهدة
وان لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اني اذا احببت
عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكو
الى خلقي خذلته ولا ابالي فاذن من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها

كتاب المحاسبة والمراقبة
وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضماير القلوب
اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت او سكنت
المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت
المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت وتنظر فيما قدمت واخرت فتعلم انه لولا لزومها
المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيمة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله لكانت
بضاعة النجاة خايبة وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا والآخرة وغمرت
فبنفحات فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت وبحسن هدايته انجلت
عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتأييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات
اذا ثقلت وبتيسيره تيسر من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والابعاد والتقريب والاسعاد والاشقاء والصلوة على محمد
سيد الانبياء وعلى آله سادة الاصفياء وعلى اصحابه قادة الاتقياء وسلم كثيرا اما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط
ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال الله تعالى ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا
ولا يظلم ربك احدا وقال الله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد وقال الله
تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال الله تعالى ثم
توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم وقال الله تبارك وتعالى يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال الله تبارك وتعالى واعلموا ان الله
يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله تعالى لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون
بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة
النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة حسابه و
حضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى
الخزي والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله تعالى وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال يا ايها
الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة

ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصلها
المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات المقام الاول
من المرابطة المشارطة اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر
يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس
لان بذلك فلاحها قال الله تبارك وتعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في
هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا
يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة
النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا
يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد بالمال
ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء و
الشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيف
ما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي
لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير ولذلك قيل

اشد الغم عندي في سرور … تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها
فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه ابد الآباد فانقضاء
هذه الانفاس ضايعة او صرفها الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هايل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي
ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي
بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله تعالى
فيه وانسأ في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك قد توفيت
ثم رددت فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي يا نفس ان اليوم والليلة اربع وعشرون
ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من
حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار
ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه
ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة
ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك
ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزائن اوقاته
طول عمره فيقول للنفس اجتهدي اليوم في ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة
والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن وحسرته لا يطاق
وان كان دون الم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به الى الغبن والحسرة
وقد قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم يستانف لها وصية في اعضائه السبعة
العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في هذه التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة
وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها
اما العين فيحفظها عن النظر الى وجه من ليس له بمحرم او الى عورة مسلم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه

فان الله يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن ذلك لم تقنع حتى يشغلها بما فيه تجارتها
وربحها وهي التي خلقت له من النظر الى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة
رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ وللاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليه الامر في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن اما
اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق
والاطعمة واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع انه
خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط
على نفسه ان لا يحرك اللسان طول النهار الا في الذكر فمنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد واما في البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعها من الشهوات ويقتصر
على قدر الضرورة ويشترط عليها انها ان خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن لتفوتها اكثر مما نالته بشهوتها وهكذا
يشترط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات
التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية
الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه في الوفا
بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان اطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم
جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه فيه حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس
اذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في
مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية
عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهذا وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطة
مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تبارك وتعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه
وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة وقلة ليعرف زيادة من نقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته
من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تبارك وتعالى اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا وقال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للتحرز منه في المستقبل
وروى عبادة بن الصامت انه عليه السلم قال لرجل سأله ان يوصيه ويعظه اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه
وان كان غيا فانته وقال بعض الحكما اذا اردت ان يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث
الندامة في القلب اكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان ان المؤمن اذا ابصر العاقبة امن الندامة وروى شداد بن اوس عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ودان نفسه اي
حاسب ويوم الدين هو يوم الحساب وقوله انا لمدينون اي لمحاسبون وقال عمر بن الخطاب رضه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها
قبل ان توزنوا وتهيؤا للعرض الاكبر وكتب الى ابي موسى الاشعري حاسب نفسك في الرخا قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف تجدها في
كتاب الله تعالى قال ويل لديان الارض من ديان السما فعلاه بالدرة وقال الا من حاسب نفسه فقال كعب واسلاه يا امير المؤمنين انها
الى جنبها في التورية ما بينهما حرف الا من حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال دان نفسه وعمل لما بعد الموت
ومعناه وزن الامور اولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها المرابطة الثانية المراقبة اذا اوصى الانسان نفسه وشرط
عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر
فضيلة المراقبة ثم درجاتها اما الفضيلة فقد سأل جبريل النبي عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه وقال النبي عليه السلم
اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد قال الله تبارك وتعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقد قال الله تبارك وتعالى

الم يعلم بان الله يرى وقال الله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم
قائمون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن ابدا كأنك ترى الله عز وجل وقال عبد الواحد بن زيد
اذا كان سيدي رقيبا علي فما ابالي بغيره وقال ابو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة
وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطا افضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الجريري امرنا هذا مبني على اصلين ان
تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما وقال ابو عثمان قال لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك
وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك وحكي انه كان لبعض مشايخ هذه الطائفة تلميذ شاب
وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وسكينا وقال
ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال له اذبحه حيث لا يراك احد فرجع كل واحد بطيره مذبوحا
ورجع الشاب والطير حي في يده فقال ما لك لم تذبح وقد ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله مطلع علي في كل مكان
فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا حق لك ان تكرم وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف قامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك اتستحيين من
مراقبة جماد ولا استحيي من مراقبة الملك الجبار وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت الا تستحيي فقال ممن استحيي
وما يرانا الا الكواكب فقالت واين مكوكبها وقال رجل للجنيد رضه بم استعين على غض البصر فقال بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك
الى المنظور اليه وقال الجنيد رضه انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من
جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين اذا هموا
بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل
الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب الرب تعالى وقال المرتعش المراقبة
مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون بالظاهر وانا رقيب على الباطن وقال محمد
بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه
واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يتزين القلب بشيء افضل ولا اشرف من علم العبد بان الله تعالى شاهده حيث
كان وسئل بعضهم عن قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود
لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية
وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب وقيل **شعر** اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل • خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة • ولا ان ما يخفى عليه يغيب • الم تر ان اليوم اسرع ذاهب • وان غدا للناظرين قريب • وقال حميد الطويل
لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت انه يراك لقد اجترأت على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فقد
كفرت وقال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال
فرقد السبخي ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى وقال عبد الله بن دينار خرجت
مع عمر بن الخطاب رضه الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر علينا راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من هذه الغنم فقال اني مملوك
فقال قل لسيدك اكلها الذئب قال فاين الله تعالى قال فبكى عمر رضه ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه
الكلمة وارجو ان تعتقك في الآخرة **بيان** حقيقة المراقبة ودرجاتها اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه
فمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة ويثمر
تلك الحالة اعمالا في الجوارح وفي القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه
واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وان
سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها خلت عن الشك ثم

استولت بعد ذلك على القلب وبهتته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فإذا استولت على القلب يجرها الى
مراعاة جانب الرقيب وصرفت همته إليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى أصحاب
اليمين فمراقبتهم على درجتين الدرجة الأولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والإجلال وهو أن يصير القلب
مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير أصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل
أعمالها فإنها مقصورة على القلب أما الجوارح فإنها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج الى تدبير
وتثبيت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت
الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال
هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا
فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه إذا مررت بي فحركني ولا يستبعد هذا فإنك تجد نظير هذا في القلوب
للملوك حتى إن خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير
من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يتجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له وقد قيل لعبد
الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما أعرف إلا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان إلا سريعا
حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا عتبة قال جئت من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال
لقيت في الطريق أحدا قال لا وروي عن يحيى بن زكريا أنه مر بامرأة فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها إلا
جدارا وحكي عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله تعالى أشهى
قلت أنت وحدك فقال معي ربي وملكاي قلت من سبق من هؤلاء قال من غفر الله تعالى له قلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومشى
وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم إلا منه ولا يسمع إلا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه و
جوارحه فإنها لا تتحرك إلا بما هو فيه ودخل الشبلي على أبي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره
شيء فقال له من أين أخذت هذه المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا فإذا أرادت الصيد رابضت رأس الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال
أبو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد إن في صور
شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت إليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفي وسطي خرقة
وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد فإذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما أجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب
فقلت نشدتكما بالله إلا رددتما علي السلام فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر إلي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل
إلا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تفرغ الى لقائنا فأخذ كليتي ثم نظر إلي وطأطأ رأسه في المكان فبقيت
عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني فرفع رأسه الى وقال
يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا ولا شربا
فلما كان في اليوم الثالث قلت في سري أحلفهما أن يعظاني لعلي أنتفع بعظتهما فرفع الشاب رأسه فقال لي يا ابن خفيف
عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة
الذين غلب على قلوبهم الإجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم
يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى
والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه و
يمتنعون عن كل أمر فاضح في القيامة فإنهم يرون الله في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين
بالمشاهدات فإنك في خلوتك قد تتعاطى أعمالا فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعي أحوالك

عن إجلال وتعظيم بل عن حياء فإن مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فإنه يهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من
الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله
تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج الى مراقبة جميع حركاته وسكناته ولحظاته وخطراته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها
نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل أما قبل العمل فلينظر أن ما ظهر له وتحرك لفعله خاطره أهو لله تعالى خاصة أو هو في هوى النفس و
متابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فإن كان لله أمضاه وإن كان لغير الله استحيا من الله
وانكف ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله إليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله
بعصمته وهذا التوقف في بداية الأمور الى حد البيان واجب محتوم لا محيص عنه فإن في الخبر أنه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته
وإن صغرت ثلاثة دواوين الديوان الأول لم والثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم أي لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاك
أو ملت إليه بشهوتك وهواك فإن سلم منه بأن كان عليه أن يفعل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا فإن لله في كل
عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته إلا بالعلم فيقال له كيف فعلت أبعلم محقق أم بجهل وظن فإن سلم من هذا نشر الديوان الثالث
وهو المطالبة بالإخلاص وهو قوله لمن عملت ألوجه الله خالصا فهو وفاء بقولك لا إله إلا الله فيكون أجرك على الله أو لمخلوق مثلك
فخذ أجرك منه أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا أم عملت بسهو وغفلة فقد سقط أجرك وحبط عملك وخاب
سعيك وإن عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي إذ كنت عبدي تأكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري أما سمعت
قولي إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق
ويحك أما سمعت قولي ألا لله الدين الخالص فإذا عرف العبد أنه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل
أن يطالب وأعد للسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا ولا يبتدئ ولا يعيد إلا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا أنملة إلا بعد التأمل فقد قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ إن الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فتة الطين بأصبعه وعن لمسه ثوب أخيه وقال الحسن
كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فإن كان لله أمضاه وقال الحسن رحم الله عبدا وقف عند همه فإن كان
لله مضى وإن كان لغيره تأخر وقال في حديث سعد حين أوصاه سلمان اتق الله عند همك إذا هممت وقال محمد بن علي إن المؤمن
وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الأول في هذه المراقبة ولا يخلص منه إلا العلم المتين والمعرفة
بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه الشيطان ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز
بينه وبين ما يحب الله ويرضاه في نيته وهمه وفكره وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل أكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فلا تظن أن الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولذا
كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم لأنه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيه
والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو رأس
كل شقاوة وأساس كل خسران فحكم الله على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي
حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقيه وينزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فإن الخطرة الأولى
في الباطل إذا لم تدفع أورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار
والمقت فينبغي أن يحسم مادة الشر من منبعه الأول وهو الخاطر فإن جميع ما وراءه يتبعه ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة
فلم ينكشف له فليتفكر فيه بنور العلم وليستعذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فإن عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فليستضئ
بنور علماء الدين وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فرار من الشيطان بل أشد فقد أوحى الله الى داود عليه السلام لا تسأل عني
عالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والكلب
عليها محجوبة عن نور الله تعالى فإن مستقى أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها وأقبل على عدوها وعشق بغيضتها

ومن شهوات الدنيا فلتكن همة المريد اولا في احكام العلم ادنى طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو
عديم الرغبة فيها وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل
عند مجيء الشهوات جمع بين الامرين وهما متلازمان فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر نافذ في الشبهات ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا فاذن العقل الضعيف الذي هو حد الادمي
محتاج الى العون بحمية مجانبة الذنوب ومرضه آفات الاعمال وقد ادت في هذه الاعصار فان الناس كلهم بحر وابن العلوم
واشتغلوا بتوسط الخلق في الخصومات الناشئة من اتباع الشهوات وقابلوه النعمة واخرجوا هذا العلم الذي هو نعمة الدين
من جملة العلوم وجمعوا النعمة الدنيا الذي هو صده به الادمي الشر اعلاه عن القلوب ليتترع نعمة الدين فكان نعمة الدنيا
من الدين بواسطة هذا النعمة وفي الخبر انتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسياتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف
طائفة من الصحابة في القتال مع اهل العراق واهل الشام لما اشكل عليهم كسعد وابن عمر واسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن توقف
عند الاشتباه كان مستجابا دعاؤه مجاب البر وكان ممن حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال اذا رايت تخالطا
وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك كان من خاض في شبهة بغير تحقيق فخالف قول الله تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم وقول النبي عليه السلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وانه يخطا بعينه لم يكن كما يستغني بعض العوام فقل
فيما اشكل عليه يتحلله ولصعوبة هذا كان من دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل
باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله علينا متشابها فنتبع الهوى وقال عيسى عليه السلم الامور ثلثة امر استبان رشده فاتبعه وامر
استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني اعوذ بك من ان اقول
في العلم بغير علم فاعظم نعمة الله تعالى على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال الله تعالى امتنانا
على عبده وكان فضل الله عليك عظيما واراد به العلم وقال الله تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال الله تعالى ان علينا
للهدى وقال الله تعالى ثم ان علينا بيانه وعلى الله قصد السبيل وقال علي رضي الله عنه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند
الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة ورب بعيد اقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب
والصديق من صدق غيبه والعيبك من حبيب والصديق من صدق غيبه والعيبك من حبيب والصديق من سكن
الكرم والحياء سبب الكل جميل واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله تعالى وانما لك من دنياك ما اصلحت به
مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تاته اتاك وان كنت جازعا على ما انفلت من يديك فلا تجزع على
ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان فانما الامور اشباه وانما المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه
فما نالك من دنياك فلا تكثر به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وشغلك
لاخرتك وهمك فيما بعد الموت ومن هنا ان نقل هذا الكلام من التوفيق التوقف عند الحيرة فاذن النظر الاول في المراقبة نظره في
الهم والحركة اهي لله ام للهوى وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي
بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة اثر الاخرة على الدنيا واكثر ما ينكشف له في حكاية ان يكون
مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله عليه السلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل
وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع
احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل
ومراعاة الادب فان كان قاعدا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة لقول النبي عليه السلم خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا
يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه قال ابراهيم بن ادهم جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول اهكذا
تجالس الملوك فلم اجلس بعد ذلك كذلك وكذلك ان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الاداب التي ذكرناها في موضعه

فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لادابها وفاء بالمراقبة فاذن لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او معصية
او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها عن الآفات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة
والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة والشكر عليه
ولا يخلو العبد في جملة احواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في
كل حال عن فرض لله تعالى عليه اما فعل يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله ويسابق به عباد
الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن
يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلثة فاذا كان فارغا عن الفرائض
وقدر على الفضائل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر عليه فهو مغبون والارباح تنال
بمزايا الفضائل فبذلك ياخذ العبد من دنياه لاخرته كما قال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة
واحدة فان الساعات ثلث ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت في مشقة او في رفاهية وساعة مستقبلة لم تات
بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم
تاته الساعة الثانية لم يتحسر على فوت هذه الساعة وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا
يطول امله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كانه في اخر انفاسه فلعله اخر انفاسه وهو لا يدري
واذا امكن ان يكون اخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع احواله مقصورة
على ما رواه ابو ذر رضي الله عنه لا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وقد جاء ايضا على العاقل
ان يكون له اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم
والمشرب فان هذه الساعة عون له على الساعات ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان يخلو
عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذي يتناوله فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك افضل
من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه اقسام قسم ينظرون اليه بعين التبصرة والاعتبار فينظرون في عجائب صنعته وكيفية ارتباط
قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لاسبابها وخلق الشهوة الباعثة اليها وخلق الالات المسخرة للشهوة فيها كما فصلنا بعضه
في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليها ويودون
لو استغنوا عنها ولكن يرونها انهم مقهورون فيها مسخرون لشهواتها وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع و
يترقون منها الى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر ابواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو اعلى المقامات وهو من
مقامات العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا راى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه
بالصانع وكلما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منها الى الصانع مجال رحب ان فتحت له ابواب الملكوت وذلك عزيز
جدا وقسم رابع ينظرون اليها بعين الرغبة والحرص فيتاسفون على ما فاتهم منها ويفرحون بما حضرهم من جملتها ويذمون منها ما لا
يوافق هواهم ويعيبونها ويذمون فاعلها فيعيبون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون ان الفاعل للطبيخ والطباخ وقدرته وعلمه هو الله
وان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو
الدهر فهذه هي المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن احكم
الاصل المرابطة الثالثة المحاسبة بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها اما الفضيلة فقد قال الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضي
حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وفي الخبر ان النبي عليه السلم جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصني فقال
استوصيت قال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وفي الخبر ينبغي ان يكون

للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ
منه بالندم عليه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال الله تبارك وتعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر رضه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه
ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة الشريك الشريكان
يتحاسبان بعد العمل وعن عائشة رضها ان ابا بكر رضه قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الي من عمر ثم قال لها كيف
قلت فقالت قلت ما احد من الناس احب الي من عمر فقال ما احد اعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها
وابدلها بكلمة غيرها وحديث ابي طلحة حين شغله الطير في صلاته فتدبر فجعل حائطه صدقة لله ندما ورجاء للعوض مما فاته وفي
حديث ابن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك من يكفيك فقال اردت ان اجرب نفسي
هل تنكره قال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم
القيمة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك
لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت بهذا والله
لا اعذر بهذا والله لا اعود لهذا ابدا ان شاء الله وقال انس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضه يوما وقد خرجت معه حتى دخل
حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب امير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك
وقال الحسن في قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا اردت بكلمتي ماذا اردت بشربتي ماذا
اردت باكلتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا
الست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم الزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سياتي وقال ميمون
بن مهران التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها واشرب
من انهارها واعانق ابكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها فقلت لنفسي
يا نفسي اي شيء تريدين فقالت اريد ان ارد الى الدنيا فاعمل صالحا قلت فانت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج
يخطب وهو يقول امرأ حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره امرأ اخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به امرأ نظر في مكياله امرأ نظر
في ميزانه فما زال يقول امرأ امرأ حتى ابكاني وحكي عن صاحب للاحنف بن قيس قال كنت اصحبه فكان عامة صلوته بالليل الدعاء وكان
يجيء الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل اعلم ان العبد كما يكون له وقت في اول النهار يشارط فيها على نفسه على سبيل التوصية بالحق
ينبغي ان يكون له في آخر النهار ساعة يطالب النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع
الشركاء في آخر كل سنة او شهر او يوم حرصا على الدنيا وخوفا من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصلت لهم لكان لا يبقى
الا اياما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة ابد الآباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان
وقلة التوفيق نعوذ بالله منه ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان
فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك رأس مال العبد في دينه
الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الامارة بالسوء فيحاسبها
على الفرائض اولا فان اداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها
الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه
وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي ان يتقي
غبن النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب

ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته
انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ما ادى الحق فيه كان ذلك القدر محسوبا له
فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليه وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدته ثم النفس غريم
يمكن ان يستوفى منه الديون اما بعضها بالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك
الا بعد تحقيق الحساب وتميز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء وينبغي ان يحاسب
النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة
وكان محاسبا لنفسه فحاسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ
وقال يا ويلتا القى الملك باحد وعشرين الف ذنب وخمسمائة ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا
هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى وهكذا ينبغي ان يحاسب على الانفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح
في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة من عمره ولكنه تساهل في حفظها والملكان يحفظان
عليه احصاه الله ونسوه المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه فلم يسلم عن مقارفة معصية وارتكاب
تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وانست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل
ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع
النظر وكذلك يعاقب كل طرف من اطراف بدنه بمنعه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور بن
ابراهيم ان رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده في النار حتى يبست وروي انه كان في بني اسرائيل
رجل يتعبد في صومعته فمكث بذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها
فادركه الله بسابقة فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة
قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون ذلك والله ابدا فتركها معلقة من الصومعة
يصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله له ذلك وانزل في بعض الكتب ذكره ويحكى ان غزوان
وابا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال انك للحاظة الى ما
يضرك ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريني يقول اصابتني ليلة جنابة فاحتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي
تاخيرا وتقصيرا فحدثتني نفسي لو تاخرت حتى اصبح واسخن الماء او ادخل الحمام ولا اعني على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل الله في طول
عمري يجب له علي حق فلا اجد في المسارعة واجد الوقوف والتاخر آليت لا اغتسلت الا في مرقعتي هذه وآليت ان لا انزعها
ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس ويحكى عن بعضهم انه عزم واحتاج الى امرأة فجعل على نفسه انه لا يشرب الماء البارد طول حياته وكان
يشرب الماء الحار ليبغض على نفسه العيش ويحكى ان حسان بن ابي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال
ما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رباح القيسي يسأل عن ابي بعد العصر فقلنا انه نائم فقال انوم
في هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظه لك فابطأ الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم شيئا ادركته
وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت نوم هذه الساعة اكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت
نوم تكلمين ما لا تعلمين اما ان لله علي عهدا لا انقضه ابدا لا اوسدك الارض لنوم حولا الا لمرض حائل او لعقل زائل سوءة لك سوءة
اما تستحين كم توبخين وعن غيك لا تنتهين قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته ويحكى ان تميم الداري
نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ
في الرمضاء وهو يقول لنفسه ذوقي نار جهنم اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ ابصر النبي عليه السلام في ظل
شجرة فاتاه فقال غلبتني نفسي فقال له النبي عليه السلام الم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السماء ولقد باهى الله بك

الملائكة ثم قال لاصحابه تقدموا بنا فتقدم الرجل فقال له يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال عليه السلام عمهم فقال اللهم
اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي عليه السلام يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم وقال حذيفة
بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما في الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهوتها ودخل ابن السماك
على داود الطائي يوم مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم
ترى ثواب من كنت له تعمل وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله حاجة فقام سبعين سبتا يأكل في كل سبت احدى عشرة
تمرة ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير
من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فلقينا العدو فصيح في الناس فقاموا الى المصاف
في يوم شديد الريح واذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفس الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك
ورجعت الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك ورجعت والله لاعرضنك اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم

على الله اخذك او تركك فقلت لارمقنه اليوم

فكان في اوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دأبه
حتى رأيته صريعا فعددت به وبدابته ستين او اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث ابي طلحة لما اشتغل قلبه في الصلاة بطير في حائطه
فتصدق بالحائط كفارة لما فاته [illegible] يجتهد سبعا الليل ويقول لها ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع رأسه الى السطح فوقع بصره على امرأة
فجعل على نفسه ان لا يرفع رأسه الى السماء ما دام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع اصبعه عليه ويقول
لنفسه ما حملك على ان صنعت يوم كذا كذا وانكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول
لنفسه ويحك انما اريد بك الخير ورأى محمد بن بشر داود الطائي وهو يأكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلته بشيء من الملح فقال ان
نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاقت داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة اولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب
عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم عن الاختيار
وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من ضررك من طغيان اهلك فان
غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك
هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها المرابطة الخامسة المجاهدة وهو انه اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت
معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي ان
يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب
عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بان تصدق بارض له قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة في
جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفات ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة
وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها فان
قلت ان كانت نفسي لا تطاوعني على الاجتهاد والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول سبيلك ان تسمعها ما ورد في الاخبار
من فضل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ احواله وتقتدي به وكان
بعضهم يقول اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت عليه اسبوعا الا ان هذا العلاج قد تعذر
اذ فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من سماع احوالهم
ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ابد الآباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد
حسرة من لا يقتدي بهم فيتمتع اياما قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه ابد الآباد ونعوذ بالله
ونحن نورد من اوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله
اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن جهدتهم العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن

يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن طال عمره
وحسن عمله ويروى ان الله تعالى يباهي الملائكة بالعابد المجتهد فيقول [illegible] وشوقهم الى شيء فاشتاقوا
اليه فيقول [illegible] فكيف لو رأوني لكانوا اشد اجتهادا وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا
يفرحون بشيء من الدنيا اذا اقبل ولا يأسفون على شيء منها اذا ادبر ولهي كانت اهون في اعينهم من هذا التراب الذي تطئونه
بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم
عاملين بكتاب الله وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم
في فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله ان يقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسألوا الله ان يغفرها
لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة ويحكى ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه
في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال يا امير المؤمنين اسقام وامراض فقال له سألتك بالله
الا صدقتني فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة فصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها
وحجرها وكأني انظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمأت لذلك نهاري واسهرت له ليلي وقليل حقير كل ما انا فيه في
جنب الله ثوابه وعقابه وقال ابو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب
الفتيت قراءة خمسين آية ودخل عليه رجل يوما فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن اخي اني في البيت منذ عشرين سنة
ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن رزين
من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله عز وجل
فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلاة
وقالت والله ان كنت لاجلس خلفه فابكي رحمة له وقال ابو الدرداء لولا ثلاث ما احببت العيش يوما الظمأ لله بالهواجر والسجود في
جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب التمر وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى
يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها اريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط
فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا له ان الله تعالى لم يأمرك بكل هذا فقال انما انا عبد مملوك لا ادع من الاستكانة شيئا الا
جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه فكان يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال
عجبت للخليقة كيف ارادت سواك بدلا منك وعجبت للخليقة كيف انست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك
وكان ثابت البناني قد حبب اليه الصلاة فكان يقول اللهم ان كنت اذنت لاحد ان يصلي لك في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري
وقال الجنيد ما رأيت اعبد من السري اتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا الا في علة الموت وقال الحارث بن سعد مر قوم
براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا عندما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون
قد انكبوا على حظوظ انفسهم ونسوا الحظ الاعظم عند ربهم فبكى القوم عن آخرهم وعن ابي محمد المغازلي قال جاور ابو محمد الجريري
بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فمر عليه ابو بكر الكتاني فسلم عليه وقال يا ابا محمد بم قدرت على
اعتكافك فقال علم صدق باطني فاعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى متفكرا وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي
فرأيته قد مد كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تتحدر من بين اصابعه فدنوت منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت له بالله يا فتح بكيت
الدم فقال لولا انك حلفتني بالله ما اخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله وبكيت
الدم على الدموع لئلا تكون ما صحت لي قال فرأيته بعد موته في المنام فقلت له ما صنع الله بك قال غفر لي فقلت له فما صنع في
دموعك قال قربني ربي عز وجل وقال لي يا فتح الدمع على ماذا قلت يا رب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت
على دموعي ان لا تصح لي فقال يا فتح ما اردت بهذا كله وعزتي لقد صعد الي حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقال

ثم ارادوا ستر الخبر عن الطريق فانتهوا الى راهب منزو عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعة فقالوا يا راهب انا قد
اخطأنا الطريق فكيف هو قال فأومى برأسه الى السماء فعلموا انه سمع ما ارادوا فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل انت مجيبنا فقال
سلوا ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم
فقال على نياتهم فقالوا اوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية ثم ارشدهم الى الطريق وادخل رأسه في
صومعته وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني
فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي
بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه
فنهاره صائم وليله قائم قد اسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب وانا كلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة
عن الناس لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد ان عرفوه فقال يا اخي لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا
وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله من ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه وقيل لداود الطائي
لو سرحت لحيتك قال اني اذا لفارغ وكان اويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة وهذه ليلة السجود فيحيي
الليل كله في سجدة وقيل لعتبة الغلام كان لا ينتفع بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت بنفسك قال الرفق اطلب
دعيني اتعب قليلا واتنعم كثيرا وحج مسروق فما نام الا ساجدا على وجهه وقال سفيان الثوري عند الصباح يحمد القوم
السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقال عبد الله بن داود كان احدهم اذا بلغ اربعين طوى فراشه اي كان لا ينام طول
الليل وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا مأوى كل شر فما رضيتك لله طرفة عين ثم كان يبكي
وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول لابيها يا ابه الناس ينامون واراك لا تنام فيقول لها يا ابنتاه
ان اباك يخاف البيات ولما رأت ام الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا فقال نعم يا والدة قالت
فمن هو حتى نطلب الى اهله فيعفوا عنك والله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا عنك فقال يا والدة هي نفسي وقال الربيع اتيت اويسا
فوجدته جالسا قد صلى الفجر ثم جلس فقلت لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلاة حتى صلى العصر ثم
مكانه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم اني اعوذ بك
من عين نوامة ومن بطن لا تشبع فقلت حسبي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل الى الفضيل فقال يا عبد الله ما لي اراك كانك مريض فقال
وما لي لا اكون مريضا يطعم المريض ولا اوتى بطعام وينام المريض ولا انام وقال احمد بن حرب يا عجبا ممن يعرف
ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من النساك اتيت ابراهيم بن ادهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت
ارقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب الى الصلاة ولم
يحدث وضوءا فحاك ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء فقال كنت الليل كله جائلا
في رياض الجنة احيانا وفي اودية النار احيانا فهل في ذلك نوم وقال ثابت البناني ادركت رجالا كان احدهم يصلي حتى ما يأتي فراشه
الا حبوا وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر فقال هل هو الا اني صرفت اكل النهار الى الليل ونوم الليل
الى النهار وليس في ذلك خطير امر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالبها وما رأيت مثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل
قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح واذا جاء النهار قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي فاذا جاء الليل قال من خاف ادلج
وعند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن عبد قيس اربعة اشهر فما رأيته نام بليل ولا نهار وروي عن رجل من اصحاب
علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال صليت خلف علي الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده
وقال والله لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا بين اعينهم
سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت

اعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعني من كان حولهم وكان ابو مسلم الخولاني علق سوطا في مسجد منزله يخوف به نفسه
وكان يقول لنفسه قومي فوالله لازحفن بك زحفا حتى يكون الكلال منك لا مني فاذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب بها ساقه ويقول
انت اولى بالضرب من دابتي ويقول اتظن اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم عليه زحاما
حتى يعلموا انهم قد خلفوا وراءهم رجالا وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له
القيامة غدا ما وجد متزيدا وكان اذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد واذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت
ليجد الحر والغم فلا ينام ومات وهو ساجد وكان يقول اللهم اني احب لقاءك فاحب لقائي وقال القاسم بن محمد غدوت
يوما وكنت اذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها اسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هي تصلي صلاة الضحى وهي تقرأ فمن الله علينا
ووقانا عذاب السموم وتبكي وتدعو وتردد الآية فقمت حتى مللت وهي كما هي فلما رأيت ذلك ذهبت الى السوق فقلت
افرغ من حاجتي ثم ارجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هي تردد الآية وتدعو وتبكي وقال محمد بن اسحق لما ورد علينا
عبد الرحمن بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء وقال علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه سيما الصالحين صفر الالوان من السهر عمش العيون من البكاء ذبل الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين
وقيل للحسن ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وكان عامر بن عبد قيس يقول
الهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا اراه ثم قلت
لي استمسك الهي كيف استمسك ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي الآخرة الحساب والعقاب فاين الراحة والفرج
وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه يتفكر واذا مضى
ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا مضى ثلثا الليل صاح صيحة ثم يضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان
السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر الى صياحه انظر الى ما كان فيما بين الصيحتين حتى صاح
الهيثم بن راشد الشيباني قال نعيم كان نازل العتبي بالمحصب وكان له ابل وبنات فكان نعيم يصلي الليل الطويل فاذا كان
السحر نادى باعلى صوته يا ايها الركب المعرسون اكل هذا الليل ترقدون الا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن
ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعض
الحكماء ان لله عبادا انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن
لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت
وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطيف الفوائد ما لا يمكن واصف ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وهم
في الظاهر مناديل مبذولون لمن ارادهم تواضعا وهي طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض
الصالحين بينما انا اسير في بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هناك فاذا انا بصوت قد علا واذا لتلك الجبال دوي
لها دوي قال فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة عليها شجر ملتف واذا انا برجل قائم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد هذه الآية اذ صاح صيحة خر منها مغشيا
عليه فقلت واسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك
من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك
ذلت قلوب العارفين ثم نفض يديه وقال ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا بابناء جنسك والفي نعيمك الى محبيك
فاذهبي واياهم فاخدعي ثم قال اين القرون الماضية واهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان يفنون فناديته
يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره يخاف ان يسبقها بالموت الى نفسه
ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه وبقيت آثامه ثم قال انت لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم الهى عني ساعة وقرأ وبدا لهم من الله ما لم

كربوا عشرين ثم صاح صيحة اخرى فاستدبر لا ادري حيا مغشيا عليه فلبث قد خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو يفحص بيده فافاق
وهو يقول من انا وما خطري هب لي اساءتي بفضلك وجللني بسترك واعف عني بعفو كرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له
بالذي ترجوه لنفسك وتثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من اوبقته ذنوبه اني لفي هذا الموضع
منذ ما شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدني فلم يجد عونا على ليخرجني مما انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني
وميلت الى حديثك شعبة من قلبي فانا اعوذ بالله من شرك ثم ارجو ان يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا
ولي الله اخاف ان اشغله فاعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في بعض سيري اذ ملت الى شجرة
لاستريح تحتها فاذا انا بشيخ قد اشرف علي فقال لي يا هذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس
ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من ايقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا
مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك واملأ قلبي من المحبة لك واجرني من ذل التوبيخ غدا عندك
فقد آن لي الحياء منك وحان لي الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني اجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك املي
ثم مضى وتركني وقد انشدوا فيه شعر: جعل الهم كئيب الفؤاد ... ترا[ه] بقنة او بطن وادي — ينوح على معاصي فادحات
يكد بثقلها اصول الزاد — فان ما جبت مخاوفه وزادت — فدعوته اعتقني يا عمادي — فانت بالاقيه عليم — كثير الصفح عن زلل العباد
وقيل شعر: الذ من التلذذ بالغواني — اذا اقبلن في حلل حسان — منيب فر من اهل ومال — يسيح من مكان الى مكان
ليخمل ذكره ويعيش فردا — ويظفر في العبادة بالاماني — تلذذه التلاوة اين ولى — وذكر بالفؤاد وباللسان — وعند الموت يأتيه بشير
يبشر بالنجاة من الهوان — فيدرك ما اراد وما تمنى — من الراحات في غرف الجنان — وكان كرز بن وبرة يختم القرآن في كل يوم ثلاث
مرات وجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة الاف سنة فقال كم مقدار
يوم القيامة فقيل خمسين الف سنة فقال كيف يعجز احدكم ان يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعني انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت
سبعة الاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين الف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك
قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت
عن المواظبة على العبادة فطالع احوال هؤلاء فانه قد عز الان وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم لكان انجع في القلب
وابعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع احوالهم فان لم تكن ابل فمعزى وخير نفسك
بين الاقتداء بهم والكون في غمار حزبهم العقلاء والحكماء في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من اهل عصرك
ولا ترض لنفسك ان تحشر في زمرة الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتوثر مخالفة العقلاء فان حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال اقوياء
لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال النساء المجتهدات وقل لها يا نفس لا تستنكفي ان تكوني اقل من امراة فاخسس برجل
يقصر عن امراة في امر دينها ودنياها ولنذكر الان نبذة من احوال المجتهدات فقد روي عن حبيبة العدوية انها كانت
اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت الهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك
ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا كان السحر وطلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر
وهذا النهار قد اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي فاهنأ ام رددتها علي فاعزى وعزتك لهذا دابي ودابك ما ابقيتني
وعزتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك وعن عجردة انها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة فاذا
كان السحر نادت بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي اسالك
لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين وان ترفعني لديك في درجة المقربين وان تلحقني بعبادك الصالحين وانت ارحم
الرحماء واعظم العظماء واكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى بن بسطام
كنت اشهد مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها قال

قال فاتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكاء شيئا لكان اقوى لك على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله
لوددت ان ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى لا يبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي البكاء فلم تزل تردد واني
لي البكاء حتى غشي عليها وقال محمد بن معاذ حدثتني امراة من المتعبدات قالت رايت في منامي كاني ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة
قيام على ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه المراة التي تزخرف الجنان لقدومها فقلت
ومن هذه المراة فقالوا امة سوداء من اهل الابلة يقال لها شعوانة فقلت اختي والله قالت فبينا انا كذلك اذا بها على
نجيبة تطير بها في الهواء فلما رايتها ناديت يا اختي اما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فالحقني بك قالت فتبسمت
الي وقالت لم يأن لقدومك ولكن احفظي عني اثنتين الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك لا يضرك متى مت وقال
عبد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت فالتمستها فلم اجدها فقمت
اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت لا يا مولاي
بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي اسهر عيني وكثير من خلقه نيام وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امراة من اهل اليمن
يقال لها سرية فنزلت في بعض دورنا قال فكنت اسمع لها من الليل انينا وشهيقا فقلت يوما لخادم لي اشرف على هذه المراة ماذا
تصنع قال فاشرف عليها فما رآها تصنع شيئا غير انها لا ترفع طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها
بنعمك ونقلتها من حال الى حال وكل احوالك لها حسن وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلعله بعد علمه
اتراها تظن انك لا ترى سوء فعالها وانت عليم خبير وانت على كل شيء قدير وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان
فلما علوت الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب مني السواد اذا هي امراة
عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من انت غير فزعة مني فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت
لقولها فقالت لي ما الذي ابكاك فقلت وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه فقالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت يرحمك الله
والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذلك قالت لان البكاء راحة القلب فسكت متعجبا من قولها وقال احمد بن علي استاذنا على
عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح لنا فسمعتها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك
ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله اضيافكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمي
اربعين سنة لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه فيا ليت عفيرة اذا رفعت راسها لم تعص
يا ليتها اذ عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية فاحتبستها في موضع بناحية السوق
وذهبت في بعض حوائجي وقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد
الغضب عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت لي يا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله فخفت
ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها انت حرة فقالت ساء ما صنعت كنت اخدمك فيكون لي اجران اما الان فقد ذهب
عني احدهما وقال ابن العلاء السعدي كانت لي ابنة عم يقال لها بريرة فكانت كثيرة القراءة في المصحف كلما اتت على
آية فيها ذكر النار لم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المراة حتى نعذلها في كثرة البكاء
قال فدخلنا عليها فقلنا يا بريرة كيف اصبحت فقالت اصبحنا اضيافا منيخين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا
البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان يكن لعيني عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر
فسيزيدهما بكاء اطول من هذا واعرضت قال فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية اذا
جاء النهار تقول هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح
وقال ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت انا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما
كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني

الهي انا كنا اعظم رجائي لحبي اياك وانت الكريم الذي لا يخيب لديك امل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي
ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان
عذبت فمن اعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهي انك
لم تزل برا بي ايام حياتي فلا تقطع برك عني بعد مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه ان يشفعه عند مماتي بغفرانه
الهي كيف ايأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان محبتي لك
قد اجارتني فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لم
تسترني فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به سترتني الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب
ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت و
بكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرنا لها شيئا من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت
ثم قالت علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم اك شيئا مذكورا ثم اقبلت على صلوتها فان
كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك
ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه
كفاية للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين
ومن بعدهم وبالوقوف عليه يتبين لك بعدك وبعد اهل عصرك عن اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت
انما يتيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والان ان خالفت اهل زمانك رأوك مجنونا وسخروا بك فوافقهم فيما هم عليه فلا
يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تتدلى بحبل غرورها وتنخدع بتمويهها وقل لها ارايت لو هجم
سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت على ان تفارقيهم وتركبي
سفينة تتخلصين بها من الغرق فهل يختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تتركين موافقتهم وتستجهلينهم في صنيعهم وتاخذين
بما ينجيك فاذا كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب الابد وانت
متعرضة له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم هلك
الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة
نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتوقيفها على سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها
المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة
الى الشر فرارة من الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها
وفطامها عن لذاتها فان اهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة
كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله
راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل بوعظ نفسك اوحى الله تعالى الى عيسى
عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وحماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد انفها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق
فتقول لها يا نفس ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين يديك من الجنة
والنار وانك صائرة على القرب الى احديهما فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك
اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت
اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة وانه لا ياتي في شيء دون شيء ولا في شتاء دون

شتاء وصيف ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا ياتي في الصبي دون الشباب ولا في الشباب دون الصبي بل كل نفس من الانفاس
يمكن ان يكون فيها الموت فجأة وان لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب
اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون
لاهية قلوبهم ويحك يا نفس ان كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك
فما اشد وقاحتك واقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له
فباي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك
البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم
الله وكرمه واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين
الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله تعالى واذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم فما لك
تنزعجين في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله حتى يعثر بك على كنز او يسخر عبدا من عبيده فيحمل اليك حاجتك من
غير سعي منك وطلب افتحسبين ان الله كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الدنيا والآخرة واحد
وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك يا نفس ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك
الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال في امر الآخرة وان ليس للانسان الا ما سعى
فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر
ووكل امر الآخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلماذا كان
المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك يا نفس كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت وهيهات اتحسبين
ان تتركي سدى الم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا من ايمانك
فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه في قوله
ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك بانه يضرك في مرضك لصبرت عنه
وتركته وجاهدت نفسك فيه افكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك
عن حدس وظن مع نقصان عقل وقصور علم العجب انه لو اخبرك طفل بان في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له
بدليل وبرهان افكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء ام صار حر جهنم واغلالها
وانكالها ومقامعها وصديدها وسمومها وزقومها وعقاربها وحياتها اقل عندك من عقرب لا تحسين بالمها الا يوما او اقل منه ما هذا
افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكت منك وسخرت من عقلك فان كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين
العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا امنت استعجال الاجل وهبي انك وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين
ان من يطعم الدابة في حضيض العقبة ينجح على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة
فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه
النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه وهبي ان الجهد في
آخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين به فان اوحى اليك بالامهال فما المانع من المبادرة
وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهوتك لما فيها من التعب والمشقة افتنتظرين يوما ياتيك لا يعسر فيها
مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس
وهذا محال وجوده اما تتاملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا وغدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدتيه اوما علمت ان الغد الذي
جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها

فاذا عجزت عن قلعها للضعف وانت اذا كنت تعجز عن قلع شجرة وانت شاب فمتى خاطرت الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة يزيد في الشجرة
قوة ويزيد القالع ضعفا وهرما فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن العذاب تهذيب
الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فاذا كنت لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف
فما لك تدعين الحكمة واية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري
على الالام والمشقات فما احمقك وما اقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة
ابد الاباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة منعت اكلات وما قولك في عقل مريض
اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنأ بشربه طول العمر واخبره ان شرب ذلك مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه
فما مقتضى العقل في قضاء الشهوة أيصبر ثلاثة ايام ليتنعم طول العمر ام يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلاثة ايام حتى تلزمه
الم المخالفة ثلاثمائة يوم وثلاثة الاف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل من ثلاثة ايام
بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة او الم النار في دركات جهنم فمن
لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لحمق جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف
ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله وعفوه من غير التفات الى مكره واستغنائه عن عبادتك مع انك لا
تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز او حبة من المال او كلمة واحدة تسمعينها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين
لقب الحماقة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما امرك بمهم لغيرك ولا تضيعي اوقاتك فالانفاس
معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم
والحياة قبل الموت واستعدي للاخرة على قدر بقائك فيها يا نفس اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الاسباب
ولا تتكلين على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب فانه قادر على ذلك افتظنين ان زمهرير جهنم اخف
برودة واقصر مدة من زمهرير الشتاء ام تظنين ان العبد ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر
الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم الله تعالى في ان عرفك طريق التحصن ويسر لك الاسباب
لا في ان يندفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين
حديد وحجر حتى تدفعين بها برد الشتاء عن نفسك وكما ان شراء الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك اذ خلقه
سببا لاستراحتك فطاعتك ومجاهدتك ايضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها والله غني عن
العالمين ويحك يا نفس انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأكم تعودون وسنة الله لن تجد لها
تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ويحك يا نفس ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها فعسر عليك مفارقتها وانت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين في نفسك مودتها
فاحسبي انك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن اهوال القيامة واحوالها فما انت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك أفترين ان
من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الاخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته اهو معدود
من العقلاء او من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار ملك الملوك وما لك فيها الا مجاز والكل ما فيها لا يصحبك المجتازين بها بعد
الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت
فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به اما تعلمين ان كل من يقبل على لذات الدنيا ويأنس بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة
عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري اوما تنظرين الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث
الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما تراهم كيف يجمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصرا
مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا

ويخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا اما تستحيين يا نفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم واحسب انك لست ذات بصيرة تهتدين الى هذه الامور
وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو
اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء ما اعجب امرك وما اشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن هذه الامور
الواضحة الجلية ولعلك يا نفس اسكرك حب الجاه وادهشك عن فهمها اما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب بعض الناس
اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجد لك واطاعوك اما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقين انت ولا احد ممن على وجه الارض
ممن عبدك وسجد لك وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما اتى على الملوك الذين من قبلك فهل تحسين منهم من احد او تسمع
لهم ركزا فكيف تبيعين ما يبقى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب
حتى اذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب كيف وقد ادبرت عنك دنياك ولم يسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا عن محلتك
فان كنت لا تتركين الدنيا رغبة في الاخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها
وتوقيا من سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا تخلو بلدك عن جماعة
من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما اجهلك واخس همتك
واسقط رايك اذ رغبت ان تكوني في زمرة المقربين من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد الابدين لتكوني في صف
النعال من جملة الحمقى الجاهلين ايام قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك فقد اشرفت على الهلاك و
اقترب الموت وورد النذير فمن ذا الذي يصلي عنك بعد الموت ومن ذا الذي يصوم عنك بعد الموت ومن ذا الذي يترضى ربك عنك بعد الموت
ويحك ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق
نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك
والفزع الاكبر بين يديك اما علمت ان عسكر الموتى عند باب البلد ينتظرونك وقد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة
وتعاهدوا انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك الى انفسهم اما تعلمين انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط
منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك ويحك يا نفس اما تستحيين
تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظائم فتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين عليك
تأمرين الناس بالخير وانت متلطخة بالرذائل تدعين الى الله وانت عنه فارة وتذكرين بالله وانت له ناسية اما تعلمين ان المذنب
انتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطهير غيرك وانت غير طيبة في نفسك ويحك لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت
ان الناس ما يصيبهم بلاء الا بشؤمك ويحك قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا فتعجبين بعملك و
فيه من الافات ما لو نجوت منها راسا براس لربحت وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبد الله
مائتي الف سنة واخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك انك تشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كانك غير
مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا وبنوا شديدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا
اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم دعوا الى الاخرة وانت من المخلدين هيهات هيهات ساء ما تتوهمين ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت
من بطن امك فابني على وجه الارض قصرك فان بطنها عن قليل يصير قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس منك التراقي ان تبدو رسل
ربك منحدرة اليك بسواد الالوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكاء
والعجب كل العجب منك انك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك
وما نفع مال يزيد وعمر ينقص ويحك يا نفس تعرضين عن الاخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لم يستكمله
وكم من مؤمل لغد لم يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك
فاحذري يا مسكينة يوما آلى الله فيه على نفسه الا يترك عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته

فانظري بأي بدن تقفين بين يديه وبأي لسان تجيبين، وأعدّي للسؤال جواباً وللجواب صواباً، واعملي بقية عمرك في أيام قصار
لأيام طوال، وفي دار زوال لدار مقامة، وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود، اعملي قبل أن لا تعملي، اخرجي من الدنيا اختياراً
خروج الأحرار قبل أن تخرجي منها على الاضطرار، ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا، فرب مسرور مغبون، ورب مغبون
لا يشعر، فويل لمن له الويل ثم لا يشعر، يضحك ويأكل ويشرب ويلهو وقد حق له في كتاب الله أنه من وقود النار، فليكن نظرك يا
نفس إلى الدنيا اعتباراً، وسعيك لها اضطراراً، ورفضك لها اختياراً، وطلبك للآخرة ابتداراً، ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما أوتي
ويبتغي الزيادة فيما بقي، وينهى الناس ولا ينتهي، واعلمي أنه ليس للدين عوض، ولا للإيمان بدل، ولا للجسد خلف، ومن كانت
مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن لم يسر، فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة، واقبلي هذه النصيحة، فإن من أعرض عن الموعظة
فقد رضي بالنار، وما أراك بها راضية، ولا لهذه الموعظة واعية، فإن كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها
بدوام التهجد والقيام، فإن لم تزل فبالمواظبة على الصيام، فإن لم تزل فبقلة المخالطة والكلام، فإن لم تزل فبصلة الأرحام
واللطف بالأيتام، فإن لم تزل فاعلمي أن الله قد طبع على قلبك وأقفل عليه، وأنه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهرك وباطنك
فوطني نفسك على النار، فقد خلق الله الجنة وخلق لها أهلاً، وخلق النار وخلق لها أهلاً، فكل ميسر لما خلق له، فإن لم يبق فيك
مجال للوعظ فاقنطي من نفسك، والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منها، فلا سبيل لك إلى القنوط ولا سبيل لك إلى الرجاء
لانسداد طريق الخير عليك، فإن ذلك أمنية وليس برجاء، فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها، وهل
تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك، فإن سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة، فقد بقي فيك موضع الرجاء، فواظبي على النياحة والبكاء
واستغيثي بأرحم الراحمين، واشتكي إلى أكرم الأكرمين، وأدمني الاستغاثة، ولا تملي طول الشكاية، لعله أن يرحم ضعفك ويغيثك
فإن مصيبتك قد عظمت، وبليتك قد تفاقمت، وتماديك قد طال، وقد انقطعت منك الحيل، وراحت عنك العلل، فلا مذهب ولا
مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا ملتجأ إلا إلى مولاك، فافزعي إليه بالتضرع، واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك
وكثرة ذنوبك، لأنه يرحم المتضرع الذليل، ويغيث الطالب المتلهف الداعي، وقد أصبحت والله مضطرة إلى رحمته ومحتاجة
وقد ضاقت بك السبل، وانسدت عليك الطرق، وانقطعت عنك الحيل، ولم تنجع فيك العظات، ولم يكن التوبيخ، فالمطلوب
كريم، والمسؤول جواد، والمستغاث به بر رؤوف، والرحمة واسعة، والكرم فائض، والعفو شامل، فقولي: يا أرحم الراحمين، يا رحمن
يا رحيم، يا حليم، يا عظيم، يا كريم، أنا المذنب المصر، أنا الجريء الذي لا أقلع، أنا المتمادي الذي لا أستحيي، هذا مقام المسكين
البائس الفقير، والضعيف الحقير، والهالك الغريق، فعجل إغاثتي وفرجي، وأرني آثار رحمتك، وأذقني برد عفوك ومغفرتك
وارزقني قوة عصمتك يا أرحم الراحمين. ابتدأ بكى آدم صلوات الله عليه، فقد قال وهب بن منبه: لما أهبط الله عز وجل آدم
إلى الأرض من الجنة مكث لا يرقأ له دمعة، فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب منكس رأسه، فأوحى الله إليه:
يا آدم ما هذا الجهد الذي أرى بك؟ قال: يا رب عظمت مصيبتي وأحاطت بي خطيئتي، وأخرجت من ملكوت ربي، فصرت في دار الهوان
بعد الكرامة، وفي دار الشقاء بعد السعادة، وفي دار النصب بعد الراحة، وفي دار البلاء بعد العافية، وفي دار الزوال بعد القرار
وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء، فكيف لا أبكي على خطيئتي؟ فأوحى الله إليه: يا آدم ألم أصطفك لنفسي وأحللتك داري
وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي؟ ألم أخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي وأسجدت لك ملائكتي، فعصيت أمري ونسيت عهدي
وتعرضت لسخطي؟ فوعزتي وجلالي لو ملأت الأرض رجالاً كلهم مثلك يعبدوني ويسبحوني ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين، فبكى
آدم عند ذلك ثلاثمائة عام. وكان عبد الله البجلي كثير البكاء، يقول في بكائه في طول ليله: إلهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي
أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى، واعبيداه خطيئة لم تبل صاحبتها خطيئة أخرى، واعبيداه إن كانت
النار لك مثوى، واعبيداه قد قضيت حاجة الطالبين وحاجتك لا تقضى. وقال منصور بن عمار: سمعت في بعض الليالي
بالكوفة عابداً يناجي ربه ويقول: يا رب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك، ولا عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل

ولا بمعصيتك متعرض، ولا بنظرك مستخف، ولكن سوّلت لي نفسي، وأعانني على ذلك شقوتي، وغرني سترك المرخى علي، فعصيتك بجهلي
وخالفتك بفعلي، فمن عذابك الآن من يستنقذني، وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني، واسوأتاه من الوقوف بين يديك غداً
إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا، أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط، ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي، ويلي كلما طال
عمري كثرت معاصي، فمن كم أتوب وفي كم أعود، أما آن لي أن أستحيي من ربي، فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم
وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء، ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء، فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعياً، ويوشك أن لا يكون الله
عنه راضيا

كتاب التفكر وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحواً ولا قطراً، ولم يجعل لمرقى أقدام الأوهام ومرمى سهام الأفهام إلى حمى
عظمته مجرى، بل ترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرى، كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسراً، وإذا همت
بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبراً صبراً، ثم قيل أجيلي في ذل العبودية منك الفكر، فإنك لو تفكرت في جلال الربوبية لم
تقدري قدره، وإن طلبت وراء الفكر في صفاتك أمراً فانظري في نعم الله وأياديه كيف توالت عليك، وجددي لكل نعمة منها ذكراً وشكراً، وتأملي
في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيراً وشراً، ونفعاً وضراً، وعسراً ويسراً، وفوزاً وخسراً، وجبراً وكسراً، وطياً ونشراً، وإيماناً وكفراً
وعرفاناً ونكراً، فإن جاوزت النظر في الأفعال إلى النظر في الذات فقد حاولت أمراً إمراً، وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة البشر
ظلماً وجوراً، فقد انبهرت العقول دون مبادي إشراقه، وانتكصت على أعقابها اضطراراً وقهراً، والصلاة على محمد سيد ولد آدم
وإن كان لم يعد سيادته فخراً، صلاة تبقى لنا في عرصات القيامة عدة وذخراً، وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدراً
ولطوائف المسلمين صدراً، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد، فقد وردت السنة بأن تفكر ساعة خير من عبادة سنة، وكثر الحث في كتاب الله على
التدبر والاعتبار والنظر والافتكار، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف
والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته، لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته، ولم
يعلموا كيف يتفكر وفيماذا يتفكر ولماذا يتفكر، وما الذي يطلب به، أهو مراد لعينه أو لثمرة تستفاد منه، وإن كان لثمرة فما تلك الثمرة، أهي
من العلوم أو من الأحوال أو منهما جميعاً، وكشف جميع ذلك مهم، ونحن نذكر أولاً فضيلة التفكر، ثم حقيقة التفكر وثمرته، ثم مجاري التفكر
ومسارحه إن شاء الله تعالى. فضيلة التفكر: قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى، وأثنى على المتفكرين
فقال: الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً. وقد قال ابن
عباس رضوان الله عليه: إن قوماً تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله تعالى فإنكم لن تقدروا
قدره. وعن النبي عليه السلام أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون في خلق الله عز وجل، فقال: كذلك فافعلوا، تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه، فإن
بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها، أو بياضها نورها، مسيرة الشمس أربعين يوماً، بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله عز وجل
طرفة عين، قالوا: يا رسول الله فأين الشيطان عنهم؟ قال: ما يدرون خلق الشيطان أم لا. قالوا: أمن ولد آدم؟ قال: لا يدرون خلق آدم
أم لا. وعن عطاء قال: انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب، فقالت: يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول
النبي عليه السلام: زر غباً تزدد حباً. قال ابن عمير: فأخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فبكت وقالت: كل
أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي، ثم قال: ذريني أتعبد لربي عز وجل، فقام إلى القربة فتوضأ منها، ثم قام يصلي فبكى
حتى بل لحيته، ثم سجد حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ويحك يا بلال، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة: إن في خلق السماوات والأرض
واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها. وقيل للأوزاعي: ما غاية التفكر فيهن؟ قال: يقرأهن
ويعقلهن. وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت: كان

نهار اجمع في ناحية يتفكر وعن الحسن رضي الله عنه قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل رضه قال الفكر مرآة تريك حسناتك
وسيئاتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل ويقول شعر
اذا المرء كانت له فكرة * ففي كل شيء له عبرة * وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم صلوات الله عليه يا روح الله هل على الارض من
اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته
تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع
قلوبهم التفكر في امري وعن ابي سعيد الخدري رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة
قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية
قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر لها في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم
تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان
آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة افهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا
علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله من افضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي
ورآه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل وعن ابن عباس رضه ركعتان
مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا ابو شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقيل له ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب
عمري وقلة عملي واقتراب اجلي وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال ابو سليمان الفكر في الدنيا حجاب عن
الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب
ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس رضه التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى ان الله عز وجل
قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان
لم يتكلم وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال
اسحق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع
في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من
ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد رضه اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم
بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى
لمن رزقه وقال الشافعي رضه استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة وقال ايضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور
والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في
البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم وقال ايضا الفضائل اربع احدها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية
العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في الفكرة
وما شرع احد في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها

بيان حقيقة الفكر وثمرته اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر
منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان
احدهما ان يسمع من غيره ان الآخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا
على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى احق بالايثار ثم يعرف ان الآخرة ابقى فيحصل له
من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين
فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا اما التدبر
والتامل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان

اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف
من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى الموضع والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك
الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين
فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة
لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكر تكرار المعارف على القلب لترسخ ويثبت ولا تنمحي عن القلب
وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت
على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى حصل من ذلك نتاج
آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما تنسد طريق زيادة المعارف بالموت او بالعوائق هذا لمن
يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف
التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صنعة التجارة فلا يربح وكذلك
قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال
والاستثمار تارة تكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء صلوات الله عليهم وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة
وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة
التعبير في الايراد فكم من انسان يعلم ان الآخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه
لم تحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى احق بالايثار وان الآخرة ابقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو ان
الآخرة اولى بالايثار فيرجع حاصل حقيقة التفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة واما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال
والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل
تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر فالفكر اذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك فضيلة التفكر وانه
خير من الذكر والتذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العلم لما فيه من الذكر فاذن التفكر افضل
من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى
الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال الله تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية
تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الآخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا
تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب الدنيا العاجلة
والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح
في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الآخرة فههنا خمس درجات اولاها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيتها التفكر وهو طلب
المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة
والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة
بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تاليفا
مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل
الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل
بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذن ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي يتصور ان
يتقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر
غير محصورة وثمراته غير محصورة نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي

مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها
مشتملة على علوم تلك العلوم كلها يستفاد من الافكار بخصوصها فلنشر الى الضبط الجامع فيه ليحصل الوقوف على مجاري الفكر

بيان مجاري الفكر

اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر
ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان تتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان تتعلق بالمعبود
وصفاته وافعاله لا يمكن ان يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تبارك وتعالى
او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما
ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو
ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالنا فنقول العاشق المستغرق
الهم بعشقه لا يعدو فكره ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم
بالفكر فيه وبمشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على حلاوته وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان
تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف
بها فان تفكر في شيء خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق
ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله تعالى ينبغي ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وفكره محبوبه ومهما كان فكره محصورا
في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا فلنبدأ بالقسم الاول وهو فكره في صفات نفسه وافعاله ليميز المحبوب
منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة
ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات
التي محلها القلب وقد ذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما
ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكنى في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في
ثلاثة امور الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر في انه اذا كان
مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه
او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم الى هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت
مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى الفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح آحاد هذه الاقسام يطول ولكن انحصر هذا
القسم في اربعة انواع الطاعات والمعاصي والصفات المنجيات والصفات المهلكات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس عليه المريد سائرها
وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه النوع الاول المعاصي ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على
الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز
والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني
الى غير ذلك من المكاره فيقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم
يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له الا بالعزلة والانفراد او بان لا يجالس الا
صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله او يضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز
ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد ومن عمرو وانه كيف
ينبغي ان يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل
من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقوي للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام والشبهة فينظر من اين مطعمه
وملبسه ومسكنه ومركبه ومكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخله ثم يتفكر في وجوه الحيل في الاكتساب منه والاحتراز عن الحرام ويقرر على

نفسه ان العبادات كلها وان الله لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد به الخبر فهذا يتفكر في اعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء
فمهما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها واما النوع الثاني وهو الطاعات
فينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير وكيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع
الى عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها مما يحبه الله فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل
في طاعة الله وينظر في كتاب الله وسنة رسوله وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا افعله وانا
قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازراء فازجره بذلك عن معصيته
فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف او استماع حكمة وعلم او استماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم
الله تعالى علي به واودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله
بالتعليم والوعظ والتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم
بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه
رزقني الله مثله وان كنت محتاجا الآن فانا الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن
دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها
ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا
سائر الطاعات واما النوع الثالث فهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات مثل استيلاء الشهوة
والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه
منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها وتكذب فاذا ادعت التواضع والبراءة
من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره
ثم جربه في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا وللعلامات ذكرناها في ربع
المهلكات فاذا دلت العلامة على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده ويتبين ان منشأها الجهل والغفلة وخبث
الدخلة كما لو راى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من
خلق الله وفضله علي فهو الذي حرك اعضائي بقدرته وكذلك قدرتي وارادتي فكيف اعجب بعملي او بنفسي ولا اقوم لنفسي بنفسي واذا احس
في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك اكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في
الحال يموت مقربا الى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند سوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة
فيتفكر في علاج ازالة ذلك بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان
في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره
عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه
في هذه الكتب ومن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب واما النوع الرابع وهو المنجيات فهي التوبة والندم
على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله و
تعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد
كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا علوم
وان العلوم لا يثمرها الا الافكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها
في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم واذا اراد
ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله اليه واياديه عنده وفي ارسال جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر

وليطالع ذلك وإذا أراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع
صنعه كما سنومي إلى طرف منه في القسم الثاني من الفكر وإذا أراد حال الخوف فلينظر أولاً في ذنوبه الظاهرة والباطنة
ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند
نفخ الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم
في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الأمر عنده أنه يصرف إلى الشمال فيكون من أصحاب النار أو يصرف إلى اليمين فينزل دار القرار
ثم ليحضر بعد أهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع
العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وأنه كلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها
أعيدوا فيها وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً وهلم جرا إلى جميع ما ورد في القرآن من شرحها وإذا أراد أن
يستجلب حال الرجاء فلينظر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا طريق الفكر
الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الأحوال
كتاباً مفرداً يستعان به على تفصيل الفكر أما ذكر مجامعه فلا يوجد فيه أنفع من قراءة القرآن بالفكر فإنه جامع لجميع المقامات
والأحوال وفيه شفاء للعالمين فيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال وفيه ما
يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي أن يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج إلى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة
فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم وليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة فإن تحت كل كلمة منها أسراراً لا تنحصر ولا يوقف عليها
إلا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه قد أوتي جوامع
الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والأخبار يطول
فانظر إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك
ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به فإن هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخرين وهي كافية للمتأملين فيها طول العمر إذ لو
وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفت إلى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق
الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله أو مكروهة والمبتدي ينبغي أن يكون مستغرق الوقت
في هذه الأفكار حتى يعمر قلبه بالأخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزه ظاهره وباطنه عن المكاره وليعلم أن هذا مع أنه
أفضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله
تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه أي ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب
كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فإنه لا يتفرغ للنظر في أحوال نفسه وأوصافه بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو
منتهى لذة العشاق فأما ما ذكرناه فهو نظر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فإذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه فمتى
يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور فقال فيم أنت فقال أدور في البوادي أصحح
حالي في التوكل فقال أفنيت عمرك في عمران الباطن فأين الفناء في التوحيد فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين
ومنتهى نعيم الصديقين وأما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح وأما الاتصاف بالصفات
المنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهيئة المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فإن استغرقت
جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجاباً لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي أن تفهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة
وإن كنت كالعبد السوء لا يتحرك إلا خوفاً من الضرب وطمعاً في الأجرة فدونك وإتعاب البدن بالأعمال الظاهرة فإن بينك وبين
القلب حجاباً كثيفاً فإذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة أقوام آخرون وإذا عرفت مجال الفكر في علوم
المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي أن تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحاً ومساءً فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة

من الله وأحوالك المقربة إليه بل كل مريد فينبغي أن يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكة وجملة الصفات المنجيات وجملة
المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات عشرة فإنه إن سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب
والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة الندم على الذنوب والصبر
على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والإخلاص في الأعمال وحسن الخلق مع
الخلق وحب الله والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة محمودة وعشرة مذمومة فمهما كفي من المذمومات واحدة فيخط عليها
في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله على كفايته إياها وتنزيه قلبه منها ويعلم أن ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله وعونه ولو وكله
إلى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسع الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه
بالاتصاف بالمنجيات فإذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلاً خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج إليه المريد المتشمر
وأما أكثر الناس المعدودين من الصالحين فينبغي أن يثبتوا في جريدتهم المعاصي الظاهرة كأكل الشبهة وإطلاق اللسان
بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والإفراط في معاداة الأعداء وموالاة الأولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر فإن أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن
الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي أن يكون تفقدهم
لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فإنه لا يخلو في غالب الأمر عن إظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة
وانتشار الصيت إما بالتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها إلا الصديقون فإن كان كلامه مقبولاً لم ينفك عن الإعجاب
والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وإن رد كلامه لم يخل عن أنفة وغيظ وحقد على من يرده وهو أكثر من غيظه
على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول إن غيظك من حيث إنه رد الحق وأنكره فإن وجد فرقاً بين أن يرد
عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد
أو الإعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والإيراد حرصاً على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد
يلبس عليه ويقول إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلوب إعلاء لدين الله فإن كان
فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع وإنما يدور حول طلب الجاه
وهو يظن أن مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره حتى يكون للموقر له والمعتقد لفضله أكثر احتراماً منه لمن لا يكون
أشد استبشاراً منه بمن يغلو في موالاة غيره وإن كان ذلك الغير مستحقاً للموالاة وربما ينتهي الأمر بأهل العلم إلى أن يتغايروا تغاير
النساء فيشق على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره وإن كان يعلم أنه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل ذلك
رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب الذي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وإنما ينكشف ذلك بهذه العلامات
ففتنة العالم عظيمة وهو إما مالك وإما هالك ولا مطمع له في سلامة العوام فإن أحس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الأمر
العزلة وطلب الخمول والدفع للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوي جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل منهم كان يود أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغي أن يتقي شياطين الإنس إذا
قالوا لا تفعل هذا فإن هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليعلم أن دين الإسلام مستغن عنك فإنه كان
معموراً قبلك وكذلك يكون بعدك ولو مت لم تنهدم أركان الإسلام والدين مستغن عنك وأما أنت فلا تستغني عن إصلاح قلبك وأما أداء
ذلك إلى اندراس العلم فخيال باطل يدل على غاية الجهل فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم
لكان حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس
ما دام الشيطان يحبب إلى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله إلى يوم القيامة بل ينتهض لنشره أقوام لا نصيب لهم في الآخرة
كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر

فلا ينبغي أن يغتر العالم بمنزلته فيشتغل بمخالطة الخلق حتى ينمو في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فإن ذلك بذر
النفاق قال صلى الله عليه وآله وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم ولا ينقلع حب
الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا
هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم التقي فأما أمثالنا فينبغي أن يكون تفكرنا فيما يقوي إيماننا
بيوم الحساب إذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة
والنار فإن من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا أن الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وترك المعاصي
ونحن منهمكون فيها وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه
يقتدي بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء أولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام
إذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل أن
يتوفانا إنه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري أفكار العلماء والصالحين في علم المعاملة فإن فرغوا منها انقطع التفاتهم
عن أنفسهم وارتقوا منها إلى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك إلا بعد الانفكاك عن جميع
المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات فإن ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا
كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتنغص
عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في كمال التنعم إلا بإخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات
وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر
العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه النوع الثاني الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان المقام
الأعلى الفكر في ذات الله وصفاته ومعاني أسمائه وهذا مما منع عنه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وذلك لأن
العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر إليه إلا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى
جلال الله كحال بصر الخفاش بالإضافة إلى نور الشمس فإنه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وإنما يتردد ليلا لينظر في بقية نور
الشمس إذا وقع على الأرض وأحوال الصديقين كحال الإنسان في النظر إلى الشمس فإنه يقدر على النظر إليه ولكن لا يطيق
دوامه ويخشى على بصره لو أدام النظر ونظر المختطف يورث العمش وزوغان البصر وكذلك النظر إلى ذات الله سبحانه وتعالى
يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب إذا أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله وصفاته فإن أكثر العقول
لا يحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الأقطار والجهات وأنه ليس
داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته
بل ضعفت طائفة عن احتمال الأقل من هذا إذ قيل لهم إن الله تعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وأن يكون
جسما مشخصا له مقدار وحجم فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام إن هذا
وصف بطيخ هندي لا وصف الإله لظن المسكين أن الجلالة والعظمة في هذه الأعضاء وهذا لأن الإنسان لا يعرف إلا نفسه
فلا يستعظم إلا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سرير
وبين يديه غلمان يمتثلون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له
ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لأنكر ذلك وقال كيف يكون خالقي أنقص مني أفيكون مقصوص الجناح أو
يكون زمنا لا يقدر على الطيران أو يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول أكثر الخلق قريب من
هذا العقل وإن الإنسان لظلوم جهول كفار ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن أخبرهم عني

بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجاري الفكر
فيه لكنا نعدل إلى المقام الثاني وهو النظر في أفعاله ومجاري قدره وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فإنها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه
وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فينظر إلى الصفات من آثار الصفات فإنا لا نطيق النظر إلى الصفات كما أنا
نطيق النظر إلى الأرض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل به على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور القمر وسائر الكواكب لأن نور الأرض
من آثار نور الشمس والنظر في الأثر يدل على المؤثر دلالة ما وإن كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا
أثر من آثار قدرة الله ونور من أنوار ذاته بل لا ظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته
تقدس وتعالى إذ قوام وجود الأشياء بذاته القيوم بنفسه كما أن قوام نور الأجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض
الشمس فقد جرت العادة بأن يوضع طست ماء حتى يرى فيه الشمس ويمكن النظر إليه فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى
يطاق النظر إليه فكذلك الأفعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا نبهر بأنوار الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفعال
فهذا سر قول النبي عليه السلام تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله والله أعلم

بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى

اعلم أن كل
ما في الوجود مما سوى الله فهو من فعل الله وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب
وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مدادا لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشير
ذلك ولكنا نشير إلى جمل ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة إلى ما لا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكر
فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وإلى
ما نعرف أصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا أن نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة إلى ما أدركناه بحس البصر وإلى ما لا ندركه بالبصر
أما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغيرها ومجال الفكر فيه مما يغمض فلنعدل إلى الأقرب
إلى الأفهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هي السماوات السبع والأرض وما بينهما فالسماوات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها
وحركاتها ودورانها في طلوعها وغروبها والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين
السماء والأرض وهو الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي
الأجناس المشاهدة من السماوات والأرض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع وكل نوع ينقسم إلى أقسام ويتشعب كل قسم إلى
أصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامها في اختلاف صفاتها وهيئاتها ومعانيها الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر
فلا تتحرك ذرة في السماوات والأرض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب إلا والله محركها وفي حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو
ألف حكمة كل ذلك شاهد لله بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه
الآيات كما قال الله تعالى إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب وكما قال تعالى ومن آياته من
أول القرآن إلى آخره ولنذكر كيفية التفكر في بعض الآيات فمن آياته الإنسان المخلوق من النطفة وأقرب شيء إليك نفسك
وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه
وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد أمرك الله بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي أنفسكم أفلا تبصرون وذكر أنك مخلوق
من نطفة قذرة فقال قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره
وقال تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون وقال تعالى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق
فسوى وقال تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين وقال تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم
مبين وقال تعالى إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية فتكرير ذكر النطفة في الكتاب
العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر في معناه فانظر الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء

سدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكور والاناث والقى الالفة والمحبة في قلوبهم
وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض
من اعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف جعل
النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب
والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة فدور الراس وشق السمع والبصر والانف
والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة
والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف
قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت
طبقة منها او زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا الى وصف ما في احاد هذه الاعضاء من العجائب والايات لا
نقضى فيه الاعمار فانظر الان الى العظام وهي اجسام صلبة قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له
ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان
محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه مفتقرا للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة
وقدر شكل كل واحدة منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصق
بالطرف الاخر كالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الاخر نقرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل
فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان اراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام
الراس وكيف جمعها وركبها وقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوى
به كرة الراس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحي الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح
للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات
مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على البعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر
وركب الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربعة وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلثة اجزاء مختلفة فيتصل به من اسفله
عظم العصعص وهو ايضا مؤلف من ثلثة اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام
العانة وعظام العجز ثم عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان
مائتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشيت بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة
رقيقة وليس المقصود من ذكر اعداد العظام ان تعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما الغرض ان
ينظر منها في مدبرها وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص لانه لو زاد عليها
واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان
نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها
واهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله الات لتحريك
العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط
واغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فاربعة وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين
واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب
والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من هذا كله وشرحه يطول فللتفكر مجال في احاد هذه الاجزاء
ثم في احاد الاعضاء ثم في جملة البدن فكل ذلك نظر الى عجائب اجسام البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم

وانظر الان الى ظاهر الانسان وباطنه والى بدنه وصفاته ترى به من الصنعة ما يقضي به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قذرة
فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها و
اجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات تنفك
عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجائب السموات ولذلك
قال الله تعالى أانتم اشد خلقا ام السماء بناها فارجع الان الى النطفة وتامل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتامل انه لو اجتمع الجن والانس
على ان يخلقوا للنطفة سمعا او بصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل يقدرون
على ذلك بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان
مصور على حائط تانق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الانسان وقال الناظر اليها كانه انسان عظم تعجبك من صنعة
النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ وبالقلم وبالحائط
وباليد وبالقدرة وبالعلم وبالارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا من خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين
الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر منه تعجبك وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب
والترائب ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزاء مختلفة فاحكم
العظام في ارجائها وحسن اشكال اعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب
بقائها وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة وخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لالات غذائها والراس جامعا لحواسها ففتح
العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيئتها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم اظهر
في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها وشق اذنيه واودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع
الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات
لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدها الدابة في حال النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه واحسن
شكله وفتح منخريه واودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه واغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح
الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان لتكون
آلة الطحن والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد رؤسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤس متناسقة الترتيب كانها
الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهياها
لخروج الاصوات وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطيع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق
النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر
حتى اختلفت بسببها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت
في الظلمة ثم زين الراس بالشعر والاصداغ وزين الحاجب بدقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء
الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد
فالطحال يخدمها بجذب السوداء عنها والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها والكلية تخدمها بجذب المائية عنها والمثانة تخدم الكلية
بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى سائر اطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما
لتمتد الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلث انامل ووضع الاربعة في جانب والابهام في جانب
لتدور الابهام على الجميع ولو اجتمع الاولون والاخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها اخر في وضع الاصابع سوى ما وضعت
من بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت الاربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه اذ بهذا الترتيب صلحت للقبض والاعطاء فان
بسطها كانت له طبقا وان جمعها كانت آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على رؤسها

ذيه عقلا وعلما الا انه ولم يبلغ الاشيا الدقيقة الى ... لحاجة الطفل الذي
يواحس الاعضا وعليه الاسنان ... من اعجز الخلق واضعفهم ولم يتم ... الى موضع
الحكمة حتى يجتهد ... وفي التوم والفضلة من غير حاجة الى الطبيب ... ثم طول
هذا الطفل في النطفة وهي في ظلمات ثلث ... والعظام ... الخطوط والتصوير
ونظر عليها ... ولا يرى الصور ولا آلة ... فيه فسبحانه ما اعظم شانه
واظهر برهانه ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج
من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم لما خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم
لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا
وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى
لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند
شدة الجوع ثم انظر الى عطفه ورحمته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني
عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى الطعام الغليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند
الحاجة لا قبلها ولا بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن عليه قلوب الوالدين للقيام
بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه
ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا او
شكورا مطيعا او عاصيا مومنا او كافرا تصديقا لقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان
من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة
والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية فالعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا او نقشا حسنا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى
التفكر في النقاش والخطاط وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه وما اكمل صنعته
واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله
وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها فهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل
عنها مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل والبهائم كلها
تشاركك في معرفة ذلك وانما خاصية الانسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والارض
وعجائب الآفاق والانفس اذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة
رب العالمين وليس هذه الرتبة للبهائم ولا لانسان رضي من الدنيا بشهوات البهائم فانه شر من البهيمة بكثير اذ لا قدرة للبهيمة
على ذلك واما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا واذا عرفت طريق الفكر في
نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها الى ملكوت السما اما الارض فمن آياته
ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا
لها تمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم وكثر تطوافهم فقال الله تعالى
والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا واكثر في كتابه ذكر
الارض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للاحياء وبطنها مرقد للاموات قال الله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا
فانظر الى الارض وهي ميتة فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وانبتت عجائب النبات وخرجت منها اصناف
الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف اودع المياه تحتها وفجر العيون

واسال الانهار تجري على وجهها واخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شيء حي فاخرج
به فنون الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم
والصفات والروائح يفضل بعضها على بعض في الاكل تسقى جميعا بماء واحد وتخرج من ارض واحدة وان قلت ان اختلافها
لاختلاف بذورها واصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة ثم انظر الى ارض البوادي وفتش ظاهرها وباطنها ترابا متشابها فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من
كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف
اصنافها وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعها وكيف اودع العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا
يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفرا من اعماق العروق وهذا يستحيل الى
الصفرا وهذا يقمع البلغم والسودا وهذا يستحيل اليه وهذا يستحيل دما وهذا يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي وهذا يضعف
فلم تنبت من الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد يحتاج الفلاح في تربيتها الى عمل
مخصوص فالنخل يؤبر والكرم يكسح والزرع ينقى من الحشيش وبعضها يستنبت ببث البذر في الارض وبعضها بغرس الاغصان
وبعضها يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف اجناس النبات وانواعه ومنافعه واحواله وعجائبه لانقضت الايام في وصفها فيكفيك من كل
جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض
ففي الارض قطع متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها
بعضها منطبعة تحت المطارق وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني و
الآلات والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقير وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام
ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من
المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنا عيشك وما من جماد ولا حيوان
ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيء منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق بجلاله
وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ومن آياته
اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر وعلى مائة
كما تشاهد في بعض الديدان ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش البر
والى البهايم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معها في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن ان
يستقصى ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة والنملة او النحلة او العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها
غذاها وفي الفها لزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم نقدر عليه فترى العنكبوت يبني
بيتها على طرف نهر فيطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي
ويلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يغدو الى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك ثانيا
وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضيف
السدى الى اللحمة ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها
البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع فيه الصيد بادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد
كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه بخيط آخر وبقي منتكسا في الهواء ينتظر ذبابة
تطير فاذا طارت ذبابة رمى بنفسه اليها فاخذه ولف خيطه على رجليه واحكمه ثم اكله وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجائب
ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه او تكون بنفسه او كونه آدمي او علمه او لا هادي ولا معلم له افيشك ذو بصيرة في انه

مسكنه عاجز ضعيف بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف بهذا الحيوان الضعيف أفلا تشهد هي في شكلها
وصورتها وحركتها وهدايتها وعجائب صنعتها لفاطرها الحكيم وخالقها القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة
الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الألباب والعقول فضلاً عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضاً لا حصر له
فإن الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنسها بكثرة المشاهدة نعم إذا رأى
حيواناً غريباً ولو دوداً تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما أعجبه والإنسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى
الأنعام التي ألفها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها لباساً
لخلقه وأكناناً لهم في ظعنهم وإقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصواناً لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم
جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادي والمفازات لأكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها
فإنه ما خلقها إلا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسبحان من الأمور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تأمل
وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بالقليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب
العارفين بتوحيده فما للخلق إلا الإذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والإقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن ذا الذي
يحصي ثناءه عليه بل هو كما أثنى على نفسه وإنما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته
ومن آياته البحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض التي هي قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض حتى إن جميع المكشوف من البوادي
والجبال عن الماء بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأرض
في البحر كالإسطبل في الأرض فانسب إسطبلاً إلى جميع الأرض واعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الأرض وما
فيها فتأمل عجائب البحر فإن عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر أضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الأرض كما أن سعته أضعاف سعتها
ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فتظن أنها جزيرة فينزل ركاب السفينة عليها فربما
يحس بالنيران إذا اشتعلت فيتحرك فيعلم أنه حيوان وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس وطير وبقر وإنسان إلا وفي
البحر أمثالها وأضعافها وفيه أجناس لا يعهد لها نظير في البر قد ذكرت أوصافها في مجلدات جمعها أقوام عنوا بركوب البحر وجمع
عجائبه ثم انظر كيف خلق اللؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وإنما هو نبات
على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تأمل ما عداه من العنبر وأصناف النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه ثم انظر إلى عجائب
السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الأموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتحمل أثقالهم ثم أرسل الرياح لتسوق
السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات وأعجب
من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الأجزاء كأنه شيء واحد لطيف
التركيب سريع القبول للتقطيع كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان
ونبات فلو احتاج العبد إلى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملكها وإذا شربها ومنع من إخراجها لبذل جميع
خزائن الأرض في إخراجها فالعجب من الآدمي يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله في شربة ماء إذا احتاج
إلى شربها أو الاستفراغ منها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل عجائب المياه والأنهار والآبار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل
ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال الحكمة فيها منادية أرباب
القلوب بنغماتها قائلة لكل ذي لب أما تراني وترى تصويري وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي أتظن أني كونت
نفسي أو خلقني أحد من جنسي أو ما تستحي أن تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنها من صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر إلى
عجائب الخطوط الإلهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الإلهي الذي لا تدركه الأبصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط
ثم ينكر قلبك جلالة صانعه وتقول النطفة لأرباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون توهمني في ظلمات الأحشاء مغموسة

في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي وأجفاني وجبهتي وخدي وشفتي
فترى التنقيش يظهر شيئاً فشيئاً على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشاً ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر منه للأم
ولا للأب ولا للنطفة ولا للرحم أفما هذا النقاش أعجب ممن تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لتعلمته فهل
تقدر على أن تتعلم هذا الجنس من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من
داخل ولا من خارج فإن كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم به أن الذي صور ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ومصور
كما أن نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فما بين الفاعلين من المباينة والتباعد كما بين الفعلين فإن كنت لا تتعجب من هذا فتعجب
من عدم تعجبك فإنه أعجب من كل عجب فإن الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك من التبين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب
منه فسبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم وأجزائه وأعمى
قلوب أعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه فله الخلق والأمر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه
ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الأرض يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه
وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو الهواء ومستقلة سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه
وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر فإذا حرك الله الهواء وجعله ريحاً هابة فإن شاء جعله نشراً بين يدي رحمته كما
قال تعالى وأرسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء إلى الحيوانات والنبات فيستعد للنماء وإن شاء جعله عذاباً على العصاة من
خليقته كما قال إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ثم انظر إلى لطف الهواء ثم شدته
وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء
فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه
هواء لا يغوص في الماء لأن الهواء ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها
وصلابتها معلقة في الهواء اللطيف كالذي يقع في بئر فيتعلق بذيل رجل قوي ممتنع عن الهوي في البئر فالسفينة بمقعرها
تتشبث بأذيال الهواء القوي حتى تمتنع من الهوي والغوص في الماء فسبحان من علق المركب الثقيل في الهواء اللطيف من غير
علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والأمطار والثلوج والشهب
والصواعق فهي عجائب ما بين السماء والأرض وقد أشار القرآن إلى الجملة في قوله تعالى وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين
وهذا هو الذي بينهما وأشار إلى تفصيله في مواضع شتى حيث قال والسحاب المسخر بين السماء والأرض وحيث تعرض للرعد
والبرق والسحاب والمطر فإذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة إلا أن ترى المطر بعينك وتسمع الرعد بأذنك فالبهيمة تشاركك
في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم إلى عالم الملأ الأعلى فقد فتحت عينيك فأدركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر
ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضاً باب يطول الفكر فيه إذ لا مطمع في استقصائه فتأمل السحاب الكثيف
المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى إذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك
له في جو السماء إلى أن يأذن الله في إرسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذي أراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاءه فترى
السحاب يرش الماء على الأرض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة بأخرى بل تنزل كل واحدة
في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه ولا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى تصيب الأرض قطرة قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل
منها في بلدة واحدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والإنس عنه ولا يعلم عددها إلا الذي أوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء
من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش ودود مكتوب على تلك القطرة بخط إلهي لا يدرك بالبصر الظاهر أنها رزق الدودة
الفلانية التي في ناحية الجبل الفلاني تصل إليها عند عطشها في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف
وفي تناثر الثلج كالقطن المندوف من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر

العجب الخفي فيه من تركه ويدخل إليه فلو سعى من خلقه إلا كان من الخضوع تحت جلال عظمته ولا للعيان الجاحدين
إلا الجهل بكيفيته وعدم الفطنة بكيفية وعلته فيقول الجاهل المغرور إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله
ويظن أن هذا معرفة انكشفت له ويفرح به ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه وما الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي
رقى الماء المصبوب في أسفل الأشجار إلى أعالي الأغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق في
داخل تجاويف الأشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فيغذي كل جزء من كل ورقة
ويجري إليه في تجاويف عروق شعرية صغار يتمدى منه العرق الذي هو أصل الورق ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود
في طول الورق عروق صغار فكان الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من الجداول سواقي أصغر منها ثم ينتشر منها
خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورق ليغذيه وينميه ويزينه ويبقي طراوته
ونضارته وكذلك إلى سائر أجزاء الفواكه فإن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق فإن كان ذلك بجذب جاذب
فما الذي سخر ذلك الجاذب فإن كان ينتهي بالآخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه في أول
الأمر فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن آياته ملكوت السموات وما فيها من الكواكب وهو الأمر كله ومن أدرك الكل وفاته عجائب
السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالأرض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر
وأصغر وانظر كيف عظم الله أمر السماء والنجوم في كتابه فما من سورة إلا وتشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم في القرآن بها كقوله
تعالى والسماء ذات البروج وقوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب وقوله تعالى والشمس وضحاها وقوله تعالى
فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله تعالى والنجم إذا هوى وقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت أن
عجائب النطفة القذرة عجز عنها الأولون والآخرون وما أقسم الله بها فكيف ظنك بما أقسم الله به وأحال الأرزاق عليه وقال
تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته أي تجاوزها من غير تفكر وذم الله المعرضين
عنها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فأي نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهي متغيرات
على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير إلى أن يبلغ الكتاب أجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال تعالى
وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فانظر إلى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت
ولا تظنن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فإن البهائم تشاركك
في هذا النظر فإن كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض لا بل كل
ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الأبصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم
الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا
من ارتضى من رسول فأطل أيها العاقل فكرك في الملكوت فعسى أن تفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها إلى أن يقوم قلبك
بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال رأى قلبي ربي وهذا لأن بلوغ
الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك نفسك ثم الأرض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات
والحيوان وما على وجه الأرض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والأرض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم
الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش والكرسي والسموات والأرض وما
بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة
النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا
أتفكر وإلى ماذا أتطلع فارفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها

واختلاف مشارقها ومغاربها ودءوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعا في منازل مرتبة
بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها الله تعالى طي السجل للكتب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى
الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل
والثور والأسد والإنسان وما من صورة في الأرض إلا ولها مثال في السماء ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب
بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء
على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا
وانظر إلى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر إلى إمالته مسير الشمس
عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء
وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ وإذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع في إحصاء عشر عشير جزء
من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا ولله تعالى فيه حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره
ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس ذلك بما
ذكرناه من أعضاء بدنك إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا
في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الأجسام فأنت تعرف من كبر الأرض واتساع
أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدركها ويدور في جوانبها وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة وفي الأخبار
ما يدل على عظمها والكواكب التي تراها أصغرها مثل الأرض ثماني مرات وأكبرها ينتهي إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض
وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها إذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك أشار الله تعالى إلى بعدها فقال رفع سمكها فسواها وفي الأخبار
إن ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام فإذا كان مقدار كوكب واحد مثل الأرض أضعافا فانظر إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء
التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك في أنه
في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة
وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام
عن سرعة حركته إذ قال له النبي عليه السلام هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا إلى أن قلت نعم
سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام وانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع
أكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر
إليها بل انظر إلى بانيها كيف بناها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة تتدلى بها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه
فالعجب منك أنك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا يزال تذكره وتصف حسنه
طول عمرك وأنت أبدا تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته و
بدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت أيضا جزء من الأرض التي هي
أخس أجزاء البيت ومع هذا فلا تنظر إليه ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك
وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم إلا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ولا تقدر على أن تأكل
عشر ما يأكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك أن يقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون بألسنتهم
بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وإن صدقوك في مودتهم إياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا
ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت
عن النظر في جمال ملكوت السموات والأرض ثم عن التنعم بالنظر إلى جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل عقلك إلا

كمثل النملة تخرج من جحرها التي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الأركان مزين بالجواري والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس فإنها إذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تحدث لو قدرت على النطق إلا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فأما حال القصر والملك الذي في القصر فهو بمعزل عنها وعن فكرها بل لا قدرة لها على مجاوزة النظر عن نفسها وغذائها وبيتها إلى غيره وكما غفلت النملة عن القصر وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانها فأنت أيضا غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق إلى أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك قدرة على أن تجول في الملكوت وتعرف من عجائبها ما الخلق غافلون عنها ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فإنه مجال لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء وما عرفوه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه الملائكة المقربون كإسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والإنس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه لم يستحق أن يسمى علما بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فهذا بيان مجامع الجمل التي يجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم وهذا كما أنك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة من تصنيفه أو شعر من شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى إن كل كلمة من كلماته وكل بيت من أبيات شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له في نفسك فهكذا تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبدا وإنما لكل عبد منه بقدر ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف إليه ما فصلناه في كتاب الشكر فإنا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله من حيث هو إحسان إلينا وإنعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث إنه فعل الله فقط وكل ما نظرنا فيه فإن الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلالته وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والأرض إلا والله سبحانه يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء فمن نظر في هذه الأمور من حيث إنها فعل الله وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الأسباب فقد شقي وارتدى فنعوذ بالله من الضلال ونسأله أن يجنبنا مزلة أقدام الجهال بمنه وفضله آمين والحمد لله رب العالمين

كتاب ذكر الموت وما بعده

وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الأكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة فنقلوا من القصور إلى القبور ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ في التراب ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا واتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للأتقياء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للأشقياء وحبسا ضيقا عليهم إلى يوم الفصل والقضاء فله الإنعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا أما بعد فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود أنيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الأرض مستقره والقيامة موعده والجنة أو النار مورده

أن لا يكون له فكر إلا في الموت ولا ذكر إلا له ولا استعداد إلا لأجله ولا تدبير إلا فيه ولا تطلع إلا إليه ولا تعريج إلا عليه ولا اهتمام إلا به ولا حول إلا حوله ولا انتظار وتربص إلا له وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى ويراها في أصحاب القبور فإن كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقي من العمر إلا القليل والخلق عنه غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين الشطر الأول في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور وفيه ثمانية أبواب

الباب الأول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه

الباب الثاني في طول الأمل وقصره

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عند الموت

الباب الرابع في وفاة رسول الله والخلفاء الراشدين

الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

الباب السادس في أقاويل العارفين عند الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور

الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام

الباب الأول في ذكر الموت وترغيبه

اعلم أن المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم الناس إما منهمك وإما تائب مبتدئ أو عارف منته أما المنهمك فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا وأما التائب فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله عليه السلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا وأما العارف فإنه يذكر الموت دائما لأنه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الأمر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة والموت أحب إلي من العيش فسهل علي الموت حتى ألقاك فإذن التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه وأعلى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فإن المنهمك أيضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا إذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة

بيان فضل ذكر الموت كيفما كان

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثروا ذكر هادم اللذات أي نغصوا بذكر الموت اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت

في اليوم والليلة عشرين مرة وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحفة المؤمن الموت وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق تحفة في حقه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الموت كفارة لكل مسلم وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي سلم المسلمون من يده ولسانه ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر وإقامته الفرائض وقال عطاء الخراساني مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثروا ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال عليه السلام فإن صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر رضي الله عنهما أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة

وأما الآثار فقال الحسن رضي الله عنه فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خيثم رضي الله عنه ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحدا وسلوني إلى ربي سلا وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال إبراهيم التيمي شيئان قطعا عني لذات الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية إن امرأة شكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال أنت أول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبرا في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الداراني قلت لأم هارون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته

بيان الطريق

في تحقيق ذكر الموت في القلب اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم

فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء إما بالجنة وإما بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال أبو الدرداء رضي الله عنه إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غاديا أو رائحا إلى الله تعالى تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد له من مفارقته نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

الباب الثاني

في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته فضيلة قصر الأمل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وروى علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم قال ألا إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم يوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت أم المنذر اطلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات عشية إلى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله تعالى قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال أبو سعيد الخدري اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا أبلغه وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع في الهرم قال ابن مسعود رضي الله عنه هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع إليه والهرم وراء الحتوف والأمل وراء الهرم فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع إليه فأيها أمر به أخذه فإن أخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الأمل قال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا إلى جنب الخط وخط خطا خارجا وقال أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان للخط الذي في الوسط وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا وذاك الأمل يعني الخط الخارج وقال أنس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل وفي رواية وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال النبي

(هامش: مفرقا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالموت ...)

صلى الله عليه وآله وسلم لجا اوله يوم زلة بالبتين وان جد يهلك اعن من زلة الجهل والامل وقيل بينما عيسى صلوات الله عليه جالس
وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى عليه السلام
اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وانت شيخ
كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لابد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي وقال الحسن قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم
واستحيوا من الله حق الحياء وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ
بك من حياة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير العمل قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي
ولكن الله من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل
نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري رحمه الله بلغني ان الانسان خلق احمق ولولا
ذلك لم يهنه العيش وقال سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ثلاث اعجبتني
حتى اضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه وضاحك بملء فيه لا يدري أساخط رب العالمين عليه ام
راض عنه وثلاث احزنتني حتى ابكتني فراق محمد وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدي ربي لا ادري الى الجنة يؤمر
بي او الى النار وقال بعضهم رأيت زرارة بن ابي اوفى بعد موته في المنام فقلت اي الاعمال ابلغ عندكم قال التوكل وقصر
الامل وقال الثوري رضي الله عنه الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العباء وسأل المفضل بن فضالة ربه ان
يرفع عنه الامل فذهب عنه الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد
الا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم
انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه وقال داود الطائي رضي الله عنه لو املت ان اعيش شهرا لرأيتني قد أتيت
عظيما وكيف أؤمل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار وحكي انه جاء شقيق البلخي الى استاذ له يقال له
ابو هاشم الرماني وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك قال لوزات دفعها الي اخ لي وقال احب ان
تفطر عليه فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدا قال فاغلق في وجهي الباب ودخل وقال
عمر بن عبد العزيز في خطبته ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله
من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري
لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا فكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترا
وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من أمن اهوال يوم القيامة فاما من لا يداوي كلما الا اصابه جارح
من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان آمركم بما لا انهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغني
والفقير والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت
اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احداهما وكتب رجل الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة
والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام وكتب رجل الى اخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان
قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل ان تنادى بالرحيل والسلام وقال الحسن رضي الله عنه كان
آدم عليه السلام قبل ان يخطئ امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول فجعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره
وقال عبد الله بن سميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول صحته اما رأيت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول المهلة اما
رأيت ماخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك أبالصحة تغترون ام
بطول العافية تمرحون ام من الموت تأمنون اذا جاءك لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك اما علمت ان ساعة الموت ذات

كرب وغصص وندامة على التفريط يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو
زكريا التيمي بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقرؤه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن آدم
انك لو رأيت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك
غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى
دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رأيت كتابا من
محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك متحولك
من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء اعمالك فتصير في باطن الارض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك
فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك
صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الارض من اهلها والسموات من سكانها فباحت الاسرار
وسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور
وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات واسلى عن الشهوات
وقصر عن الامل واستيقظ النائمون وحذر الغافلون اعاننا الله واياك على هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا والآخرة من قلبي
وقلبك موقعهما من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام وخطب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس
انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله تعالى
من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير
وفانيا بباق وشقوة بسعادة الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون الا ترون انكم في كل يوم تشيعون
غاديا ورائحا الى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب
وفارق الاحباب وواجه الحساب وايم الله اني لاقول مقالتي هذه ولا اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي و
لكنها سنن من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على وجهه فبكى حتى بلت دموعه لحيته وما
عاد الى مجلسه حتى مات رضي الله عنه وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو اتاني ما احببت تأخير شيء عن شيء
وقال الثوري رضي الله عنه رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي لو اتاني ما امرته
بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على احد شيء ولا لاحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة رحمه الله تضحك ولعل اكفانك
قد خرجت من عند القصار وقال ابو محمد بن علي رحمه الله خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي رحمه الله فانتبذ فقعد
ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو آت
قريب واعلم يا اخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم واعلم ان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون على ما يخلفون
ويفرحون بما يقدمون فما عليه اهل القبور يندمون اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون وروي ان معروفا
الكرخي رضي الله عنه اقام الصلاة فقال لمحمد بن ابي توبة تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلاة لم اصل بكم غيرها فقال معروف
وانت تحدث نفسك ان تصلي صلاة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في خطبته ان الدنيا
ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على اهلها منها الظعن فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما
قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال
قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قرير العين اذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير
لقوم آخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان
يقول في خطبته اين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا

يبطلون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور رهائن الرجام النجا النجا **بيان** السبب
في طول الامل وعلاجه اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والآخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها
ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن التفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه
والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في
نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من المال والاهل والدار والاصدقاء والدواب وسائر اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر
موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد
نفسه وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب فاذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء
هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذا السفر او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ من قهر
هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر
وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فيطول
عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى
التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها
فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها الا من اطرحها فما قضى احد منها لبانته ولا انتهى ارب الا الى ارب واصل هذه الاماني
كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم احبب من احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان
قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر البلد
وانما قلوا لان الموت في الشبان اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت
فجأة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجأة واذا مرض لم يكن
الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف
ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى
الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع
الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت غيره واما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور
ان يألفه فانه لم يقع واذا وقع لم يقع مرة اخرى بعد هذه وهو الاول وهو الآخر وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان يحمل جنازته
ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطي به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض فاذا عرفت ان سببه
الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة
واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي اعيى الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا
الايمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان
حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها
وان اعطي ملك الارض من المشرق والمغرب فكيف وليس له من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها او يترسخ في
القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسأل الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقدير الموت في
القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا اما من كان مستعدا فقد فاز
فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه وليتدبر انها كيف تأكلها الديدان لا محالة وكيف
تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود يبتدئ بحدقته اليمنى او اليسرى فما على بدنه شيء الا وهو طعمة الدود وما له من نفسه
الا العلم والعمل الخالص لوجه الله وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال القيامة

ووقع الذي يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له **بيان** مراتب الناس
في طول الامل وقصره اعلم ان الخلق في ذلك متفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة
ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم الشيخ شاب في طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يأمل الى سنة فلا يشتغل
بتدبير ما وراءه ولا يستعد لسنة بعدها فيجوز ان يموت في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف واذا جمع ما يكفيه لسنته
اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل الصيف او الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع امله الى
اليوم والليلة فلا يستعد الا لنهاره واما الغد فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأتي فيه ارزاقكم
مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا عبد الله
اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا ساعة كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به
وهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ رضي الله عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم عن حقيقة ايمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكما نقل عن الاسود وهو حبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت
يمينا وشمالا فقال له قائل ما هذا قال انظر ملك الموت من اي جهة يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من امله
مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم
تظهر آثار قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان يدعي انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه يعتني باسباب
ربما لا يحتاج اليها في سنته فيدل ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد
للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى فيه حظه
وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد فلا يكون فيه مشغولا اذا مات
سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له زيادة وليكن الموت على بالك يا مسكين فان
السير حاد بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا يكون ذلك الا بالمبادرة الى العمل اغتناما لكل
نفس امهلت فيه **بيان** المبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر
قدوم الآخر بعد شهر او سنة فلا يستعد للذي يقدم الى شهر او سنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار
فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي
مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ما ينتظر احدكم الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غائب ينتظر
او الساعة والساعة ادهى وامر وقال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس
شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل
الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا آنس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم
بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
انا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والشمس على اطراف السعف
فقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل الدنيا مثل ثوب شق

من اراد الى آخر فيتي متعلق بخيط في اخي يوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم مستكم بعثت انا والساعة كهاتين وقرن باصبعيه. وقال ابن مسعود رضي الله عنه تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال عليه السلام ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله. وقال السدي في قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا واشد منه خوفا وحذرا. وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر اي في الموت. وقال سليم مولى الشعبي جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي فاوجز في صلاته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى الصلاة. ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني فانما انا ابادر خروج نفسي. وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الآخرة. وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني. وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله عز وجل رحم الله امرأ نظر لنفسه وبكى على عدد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخولك في قبرك. واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت رأس مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات. وكان يقول لامرأته شدي رحلك فليس على جهنم معبر. وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فالتقي عند ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين اليه المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ان ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان ترديه ايامه الى شقوة نسأل الله ان يجعلنا واياكم ممن لا يبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير فعال لما يشاء. وقال بعض المفسرين في قوله فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور قال الشيطان. وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم. وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما منكم احد اصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة. وقال ابو عبيدة الباجي دخلنا على الحسن رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا حياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله ان تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فان من رأى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون اتيتم ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى ياتيه اجله وهو على ذلك. وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي وانا سائل له يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فان الامر محفوظ عليك ولم تر شيئا قط احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمان لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجأك والعجب ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور. واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الآلام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له فهو ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الالم فان كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص في سائر اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في سائر اجزاء اللحم واما الجراحة فانما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط فكان لذلك الم الجرح دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسأل عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى كانه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى اعالي اجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي موضعهما وتخضر انامله فلا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي من الموت على الموت وروي ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسائلونه فدعوا الله تعالى فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين عاما ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان

عليه السلام سرا اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل اللهم فأعني على الموت وهونه علي وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الموت وشدته فقال إن أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف ودخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مريض ثم قال إني لأعلم ما يلقى ما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته وكان علي يحض على القتال ويقول إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش وقال الأوزاعي بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده قال كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسي يخرج من ثقب إبرة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم موت الفجاءة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر وروي عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله لأن في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات ويروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت ويروى أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي فقال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال أما إنا قد هونا عليك ويروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله عز وجل قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير ويروى عنه صلوات الله عليه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد هذا اليوم وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي ويتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلث الأولى شدة النزع كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روي عن الخليل صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لملك الموت عليه السلام هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشي على إبراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورة وجهك لكان حسبه وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن داود كان رجلا غيورا وكان إذا خرج غلق الأبواب فغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا هي برجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت قال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فأنت والله إذن ملك الموت وزمل داود مكانه وروي أن عيسى صلوات الله عليه مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي بإذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي إليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الأنبياء مجرد

سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال أدخلنيها ربها فقال أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فإن كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وإن كان فاجرا قالا لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشريين إما أبشر يا عدو الله بالنار أو أبشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الألباب وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاءه فأحب الله لقاءه وروي أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود رضي الله عنهما وهو لما به من آخر الليل قم فانظر أي ساعة فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار ودخل مروان على أبي هريرة رضي الله عنه فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم اشدد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ما أبكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربي بجنة أم بنار وروي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن الله إذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول أما ترون ما أعطي هذا العبد من الكرامة أين كنتم عن هذا قالوا قد جهدنا به وكان معصوما وقال الحسن لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة إلى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه إليه ثم قال يا إخوتاه الساعة والله أفارقكم إلى الجنة أو إلى النار وقال محمد بن واسع عند الموت يا إخوتاه عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله وتمنى بعضهم أن يبقى في النزع أبدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره وإعادته

بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر أن يكون هو الهدو والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى أما الصورة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ارقبوا الميت عند ثلث إذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به وإذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهي من عذاب الله قد نزل به وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي من علامة الخير قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقنوا موتاكم لا إله إلا الله وفي رواية حذيفة فإنها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمان رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله

فانا ان عبدكم لهما عند موته اذا كان زاده الى الجنة وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم
لا اله الا الله وقال ابو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول احضروا ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه
شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين ولكن
يتلطف فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي الى استثقال التلقين وكراهية الكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة
وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل وليس في قلبه شيء سوى الله الواحد الحق فان كان وداعه بالموت على محبوب
غير الله فيخشى عليه ... الله ... كانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطق القلب
بحقيقتها وقع الامر في خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله بالقبول والمحسن الظن ومحبب
في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد صح للخبر بفضل حسن الظن بالله تعالى اعرفتني ذنوبي واستغيث عن
هلكه ولكن ارجو رحمة الله فبكى ... وبكى اهل البيت ... وقال الله اكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا عند ظن
عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله واخاف ذنوبي
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف
وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت امه تعظه كثيرا وتقول له يا بني ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به امر الله تعالى اكبت
عليه امه وجعلت تقول يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا واقول ان لك يوما قال يا امه ان لي ربا كثير المعروف واني لارجو
ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه به وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له امه
اي بني توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبينيه فان فيه ذكر الله تعالى لعل الله يرحمني فلما دفن رؤي في النوم فقال اخبروا امي ان
الكلمة قد نفعتني وان الله قد غفر لي ومرض اعرابي فقيل له انك تموت قال اين يذهب بي قالوا الى الله قال فما كراهتي ان اذهب الى
من لا يرى الخير الا منه وقال المعتمر بن سليمان قال ابي حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله وانا حسن الظن به
وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه **بيان** الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب
لسان الحال عنها قال الاشعث بن اسلم سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال
يا ملك الموت ما تصنع اذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح باذن
الله فتكون بين اصبعي هاتين قال ودحيت له الارض فتركت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء قال وهو يبشره انه خليل
الله وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت ما لي لا اراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا قال ما انا بذلك باعلم منك انما هي
كتب تلقى الي فيها اسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب الى الارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب
غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فلم تعجبه حتى اتي بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبرا ثم
سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال ارسل
اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر
فادنى اليه رأسه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي فاقضي حاجتي واودعهم
قال لا والله لا ترى اهلك وثقلك ابدا فقبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي اليك حاجة
اذكرها في اذنك فقال هات فساره وقال انا ملك الموت فقال اهلا ومرحبا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الارض غائب احب الي
ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من لقاء الله تعالى قال فاختر على اي حال
شئت ان اقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني حتى اتوضأ واصلي ثم اقبض روحي وانا ساجد فقبض
روحه وهو ساجد وقال ابو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اروني اصناف اموالي
فاتي بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا عليه فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فوالذي خولك ما انا
خارج من منزلك حتى افرق بين روحك وبدنك قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور
اجلك فقبض روحه وروي ان رجلا جمع مالا فاوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل عليه بابين وثيقين
وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال
يا نفس انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل اليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في
عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعة افزعته وهو على فراشه فوثب اليه الغلمان فقالوا ما شأنك فقال ادعوا
الي مولاكم قالوا الى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة اشد من الاولى
فوثب اليه الحرس فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه القي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والخشوع فقال قولوا له قولا
لينا وقولوا هل تأخذ منه احدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما انت صانع فاني لست بخارج منها حتى اخرج نفسك فامر بماله حتى وضع
بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال انت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني ان اتخلى لربي فانطق الله المال فقال لم تسبني
وقد كنت تدخل على السلاطين بي وترد المتقين عن بابهم وكنت تدخل على السلاطين بي وترد المتقون عن بابهم وكنت تنكح
المتنعمات بي وتجلس مجالس الملوك بي وترد المتقين وتنفق في سبيل الشر فلا امتنع منك فلو انفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت
وابن آدم من تراب فمنطلق بر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح
جبار من الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض
نفس امرأة في فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد بها فقالت
الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء وقال عطاء بن يسار
اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض من في هذه الصحيفة قال فان العبد ليغرس
الغراس وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري قال الحسن ما من يوم الا وملك الموت يتصفح كل
بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى اجله قبض روحه فاذا قبض روحه اقبل اهله برنة وبكاء فيأخذ
ملك الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انقصت له اجلا وان لي فيكم لعودة ثم عودة حتى لا
ابقي منكم احدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم وقال يزيد الرقاشي بينما
جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض اهله اذ نظر الى شخص قد دخل من باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا
فقال له من انت ومن ادخلك في داري فقال اما الذي ادخلني الدار فربها واما انا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا استأذن على الملوك
ولا اخاف صولة السلاطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط في يدي الجبار وارتعد حتى سقط منكبا
لوجهه ثم رفع اليه رأسه مستخذيا متذللا له فقال له انت اذن ملك الموت قال انا هو قال فهل انت ممهلي حتى احدث عهدا قال
هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تأخيرك سبيل قال فالى اين تذهب بي قال الى عملك الذي
قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط
بين اهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر وعن الاعمش عن خيثمة قال
دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا
قال سليمان هذا ملك الموت قال لقد رأيته ينظر الي كأنه يريدني قال فماذا تريد قال اريد ان تخلصني منه فتأمر الريح حتى تحملني
الى اقصى الهند ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمان لملك الموت بعد ان اتاه رأيتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم
كنت اتعجب منه لاني كنت امرت ان اقبضه باقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك

الباب الرابع

في وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اجمعين اعلم ان في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اسوة حسنة حيا وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله منه اذ كان خليل الله

وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته لا بل أرسل إليه
الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة و
رضوان وخيرات حسان بل إلى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه
وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهده
فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه الأهل والعشيرة وهل سامحه إذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا
هيهات بل امتثل ما كان له مأمورا واتبع ما وجده في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود
وأول من تنشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات
وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن أنا مخلدون
أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نستيقن أنا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها إلا المتقون فنحن
للورود مستيقنون وللصدور عنها متوهمون لا بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين
وقد قال الله رب العالمين وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر
كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين وانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له
من الخائفين ثم انظر إلى سيد المرسلين فإنه كان من أمره على يقين إذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند
فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى قال ابن مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله
نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله إني لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الأجل والمنقلب
إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى والكأس الأوفى فاقرؤوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله
وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبريل عند موته من لأمتي بعدي فأوحى الله إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته
وبشره أنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته فقال الآن
قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبع آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة
فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار
لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وإن الأنصار عيبتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال
إن عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر رضي الله عنه قالت
عائشة رضي الله عنها فقبض صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل
علي أخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت آخذه لك فأومأ برأسه أن نعم فناولته إياه فأدخله
في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أن نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا إله إلا الله إن
للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى فقلت إذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه أنه قال لما رأت
الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يثقل أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأعلمه
بمكانهم وإشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنهم أجمعين بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه
فقال ما تقولون قالوا نقول نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فثار رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى
جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون علي الموت كأنه استنكار

منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتنعى إليكم أنفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا إني لاحق بربي
وإنكم لاحقون به وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم فإن الله عز وجل قال والعصر إن الإنسان لفي
خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وإن الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على
استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا
في الأرض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالأنصار خيرا فإنهم الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ألم
يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل
من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا وإن موعدكم الحوض حوضي
أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد
من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه من المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده
علي غدا فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله أوص بقريش فقال إنما أوصي بهذا الأمر قريشا والناس تبع
لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فإذا بر الناس
بروا أئمتهم وإذا فجر الناس عقوهم وقال الله عز وجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه سل يا أبا بكر فقال
يا رسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبك فقال
إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ الموفى والعيش
المهنى فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى قال ففيم نكفنك فقال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية
وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا غسلتموني وكفنتموني
فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم
وملائكته ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي فأول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت
مع جنود كثيرة من الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا علي أفواجا فصلوا علي أفواجا زمرا زمرا وسلموا
تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان
قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عني إلى من بعدي وقال
عبد الله بن زمعة جاء بلال في أول ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مروا أبا بكر يصلي
بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر في رجال ليس فيهم أبو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا
صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صوته بالتكبير فقال أين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا أبا بكر
فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام في مقامك غلبه البكاء فقال إنكن صواحب
يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس قال فصلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر رضي الله عنه يقول لعبد الله بن زمعة بعد
ذلك ويحك ماذا صنعت بي والله لولا أني ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرك ما فعلت فيقول عبد الله إني لم أر
أحدا أولى بذلك منك قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذلك ولا صرفته عن أبي بكر إلا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية
من المخاطرة والهلكة إلا ما سلم الله وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وهو حي أبدا إلا أن يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فإذا الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت
من أمر الدنيا والدين وقالت عائشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات فيه صلى الله عليه وآله وسلم رأوا منه في أول النهار خفة
فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنساء فبينما نحن على ذلك لم
يكن على مثل حالنا في الرجاء والفرج قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخرجن عني هذا الملك يستأذن علي فخرج من في

البيت حين نحو راسه في حجره مطرق وتنحيت في ناحية البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني واعاد راسه في حجره وقال للنسوة
ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان
الله عز وجل ارسلني وامرني ان لا ادخل الا باذن فان لم تاذن لي ارجع وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني
فماذا امرك فقلت اكفف حتى ياتيني جبريل عليه السلم فهذه ساعة جبريل عليه السلم قالت عائشة فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا راي
فسكتنا وكانما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيئا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملات اجوافنا قالت
وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرئ عليك السلم ويقول كيف تجدك وهو
اعلم بالذي تجد منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم شرفك وكرامتك على الخلق وان تكون سنة في امتك فقال اجد
وجعا قال ابشر فان الله تعالى اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استاذن علي واخبره الخبر فقال جبريل عليه السلم
يا محمد ان ربك اليك مشتاق الم اعلمك الذي يريد بك لا والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن عليه ابدا الا ان
ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء واذن للنساء فقال يا فاطمة ادني فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها
وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني راسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وهي تضحك وما تطيق الكلام وكان
الذي راينا منها عجبا فسالناها بعد ذلك فقالت اخبرني وقال اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت الله ان يلحقك بي اول
اهلي وان يجعلك معي فاضحكني واذنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال الحق بربك الآن
الآن ربك اليك مشتاق فلم يرجع عن احد بعدك ولم ينهني عن الدخول على احد الا باذنه ولكن ساعتك امامك
قالت وجاء جبريل فقال عليك السلم يا رسول الله هذا اخر ما انزل فيه الى الارض ابدا طوي الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الارض
حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي وقالت لا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت احد يستطيع ان يحير اليه
في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى اضع
راسه بين ثديي وامسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من انسان قط فجعلت اسلت ذلك العرق
وما وجدت رائحة شيء قط اطيب منه فكنت اقول له اذا افاق بابي انت وامي ونفسي واهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة ان
نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلنا وكان اول رجل جاءنا
ولم يشهده اخي بعثه الي ابي فمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يجيء احد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل
وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الاعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون
متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عائشة رضها مات
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضها ما لقيت يوم الاثنين الى
امر الامة تصاب فيها بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم اصيب علي رضي الله عنه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه قتل علي وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضها لما مات رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ضج الناس حيث ارتفعت الرنة وسجي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الملائكة بثوبه فاختلفوا
فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط اخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي اخرون معهم عقولهم
واقعد اخرون فكان عمر بن الخطاب رضه ممن كذب بموته وعلي فيمن اقعد وعثمان فيمن اخرس فخرج عمر رضه على الناس
وقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت وليرجعنه الله عز وجل وليقطعن ايدي وارجل رجال من المنافقين
يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموت انما واعده ربه عز وجل كما واعد موسى عليه السلم وهو آتيكم وفي رواية انه قال
يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه لم يمت والله لا اسمع احدا يذكر ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قد مات الا علوته بسيفي هذا واما علي رضي الله عنه فانه لم يبرح البيت واما عثمان رضه فجعل لا يكلم احدا من المسلمين

حال ابي بكر والعباس رضهما فان الله عز وجل عصمهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول ابي بكر حتى جاء
العباس فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموت ولقد قال وهو بين اظهركم انك ميت وانهم
ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وبلغ ابا بكر رضه الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فنظر اليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال بابي انت وامي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ثم خرج الى الناس فقال يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت
قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية فكان الناس لم يسمعوا هذه الاية
الا يومئذ وفي رواية ان ابا بكر رضه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي على النبي عليه السلم وعيناه
تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فاكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه
وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي واهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء والنبوة فعظمت
عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلية وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا
لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشئون فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان
اللهم ابلغه عنا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ
نبيك عنا واحفظه فينا وعن ابن عمر رضهما انه لما دخل ابو بكر البيت وصلى وانثنى عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر شيئا
ازدادوا فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الاية ان
في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكاء
فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله
واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال
ابو بكر رضه هذا الخضر واليسع حضرا النبي عليه السلم واسند القعقاع بن عمرو حكاية خطبة ابي بكر فقال قام ابو بكر رضه في الناس
خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي عليه السلم فحمد الله واثنى عليه وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده
صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلله الحمد وحده واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيائه واشهد ان
الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك
وحبيبك وامينك وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت به على احد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك
على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم
مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والاخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه
الدرجة والوسيلة من الجنة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على ابرهيم انك حميد مجيد ايها
الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله عز وجل حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم في امره
فلا تدعوه جزعا فان الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة
نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان
بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس رضه
لما فرغ ابو بكر رضه من خطبته قال يا عمر انت الذي بلغني انك تقول ما مات نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم اما ترى ان النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال يوم كذا وكذا ويوم كذا وكذا وقال الله تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون قال والله لكاني لم اسمع بها في كتاب الله
قبل الآن لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على
رسوله وعند الله نحتسب رسوله ثم جلس الى ابي بكر رضه وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا والله ما ندري كيف

فغسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه فألقى الله عليهم النوم حتى ما
منهم رجل إلا وذقنه في صدره ثم قال قائل لا يدرى من هو اغسلوا النبي وعليه ثيابه فانتبهوا فغسلوه صلى الله
عليه وآله وسلم في قميصه حتى إذا فرغ من غسله كفن وقال علي رضي الله عنه أخذ قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله ثيابه فأقررناه
فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا فاستقبلنا ما استدبرنا ما غسله إلا نساؤه [illegible] وإن ممن لحقنا إلى النبي
كالريح الرخاء [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لكم ستكونون هكذا كان وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لم يترك دينارا ولا درهما [illegible] قال لا يجعل في قبره [illegible] ثيابه التي كان يلبس [illegible] على القطيفة
والمرتفع ثم وضع عليها في أكفانه لم يترك بعده وفاته إلا [illegible] على [illegible] وفاة عمر تامة [illegible]
فيه أسوة حسنة **وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه** لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت
وفاة لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت
سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي إلى الجديد أحوج من الميت وقالت
عائشة رضي الله عنها عند موته وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل فقال أبو بكر رضي الله عنه ذاك رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ودخلوا عليه وقالوا ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك فقال قد نظر إلي وقال إني فعال لما أريد ودخل سلمان الفارسي رضي الله عنه
يعوده فقال يا أبا بكر أوصنا فقال إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة
الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل أبو بكر رضي الله عنه أراد الناس أن يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس
استخلفت علينا فظا غليظا فماذا تقول لربك فقال أقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم أرسل إلى عمر رضي الله عنه فقال إني موصيك
بوصية اعلم أن لله حقا بالنهار لا يقبله بالليل وأن لله حقا بالليل لا يقبله بالنهار وإنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة وإنما ثقلت
موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل وإنما خفت
موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة
بأحسن أعمالهم ويتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء وإن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد
عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا لا يلقي
بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فإن حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ولا بد لك منه وإن ضيعت
وصيتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه وقال سعيد بن المسيب لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أتاه ناس من الصحابة
فقالوا يا خليفة رسول الله تزودنا فإنا نراك لما بك فقال أبو بكر رضي الله عنه من قال هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح ثم مات جعل الله
روحه في الأفق المبين قالوا وما الأفق المبين رحمك الله قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وأنهار وأشجار وأطيار يغشاه كل
يوم مائة رحمة ومائة مغفرة ثم مات على هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان وحياه وأنا ابتدأت [illegible] اللهم إنك ابتدأت
الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم إنك
خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فاجعلني سعيدا بطاعتك ولا تشقني بمعاصيك
اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم إن أحدا لا يشاء حتى تشاء
فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربني إليك اللهم إنك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء إلا بإذنك فاجعل حركاتي في تقواك
اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم إنك خلقت الجنة والنار
وجعلت لكل واحدة منهما أهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم إنك أردت بقوم الهدى وشرحت صدورهم وأردت
بقوم الضلالة وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي وكره إلي الكفر والفسوق والعصيان واجعلني
من الراشدين اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فأحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني إليك زلفى اللهم من أصبح وأمسى

ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أبو بكر رضي الله عنه هذا كله موجود في كتاب الله **وفاة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه** قال عمرو بن ميمون كنت بالغداة أصيب عمر رضي الله عنه ليس بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
وكان إذا مر بين الصفين قام بينهما فإذا رأى خللا قال استووا حتى إذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرأ سورة يوسف
أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة
فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا وشمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم تسعة وفي رواية سبعة
فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فأما
من كان يلي عمر فقد رأى الذي رأيت وأما نواحي المسجد لا يدرون ما الأمر غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله
فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال عمر رضي الله عنه يا ابن عباس انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة
بن شعبة قال الصنع قال نعم قال قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت أنت وأبوك تحبان
أن يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا فقال ابن عباس إن شئت فعلت أي إن شئت قتلنا قال بعد ما تكلموا
بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل رضي الله عنه إلى بيته فانطلقنا معه قال وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقائل يقول
أخاف عليه وقائل يقول لا بأس فأتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم أتي بلبن فشرب منه فخرج من جرحه فعرفوا أنه ميت قال
فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك من صحبة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كفافا لا علي ولا لي
فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك ثم قال يا عبد الله
انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه فقال إن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فاسأل في بني عدي
بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم وأد عني هذا المال وقال انطلق إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فسلم
واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت
أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال ما لديك قال
الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان من شيء أهم إلي من ذلك فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلم وقل يستأذن عمر
فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين ثم جاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها فلما رأيناها
قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة فاستأذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين استخلف
قال ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير
وطلحة وسعدا وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له فإن
أصابت الإمارة سعدا فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة وقال أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين
أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفى عن
مسيئهم وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم
وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا
نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب قالت أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه وعن النبي عليه السلام
قال قال لي جبرئيل عليه السلام ليبك الإسلام على موت عمر وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني
إلا رجل قد أخذ منكبي فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك

وايم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك أني كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما الحديث في قتله رضي الله عنه

وفاة عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال عبد الله بن سلام أتيت أخي عثمان لأسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا يا أخي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال يا عثمان أحصروك قلت نعم قال أعطشوك قلت نعم فأدلى لي دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه فقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع أمة محمد ثلاثا والذي نفسي بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي فجيء بهما كأنهما جملان أو حماران فأشرف عليهم عثمان فقال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر قالوا اللهم نعم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم ثم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم ثم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد وعن شيخ من ضبة أن عثمان رضي الله عنه حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم إني أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني

وفاة علي رضي الله عنه ووفاة الحسن والحسين رضي الله عنهما

قال الأصبغ الحنظلي لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي رضي الله عنه أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك ولا تجزع من الموت إذا حل بواديك فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت أم كلثوم ابنة علي فجعلت تقول ما لي ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبي صلاة الغداة وعن شيخ من قريش أن عليا رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي أنه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين رضي الله عنه فقال يا أخي لأي شيء تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى علي بن أبي طالب وهما أبواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليها السلام وهما أماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك فقال يا أخي أقدم على أمر لم أقدم على مثله وعن محمد بن الحسن قال لما نزل القوم بالحسين رضي الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل بي ما ترون من الأمر وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حتى لم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء إلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال أقعدوني فأقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علا بكاؤه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك وعن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة على معاوية في مرضه فرأوا في جلده غضونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فهل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا فما لبثت الدنيا أن نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلقتنا ثم أف للدنيا من دار ثم أف لها من دار

ويروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال أيها الناس إن من زرع قد استحصد وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدي إلا من هو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد إذا وفى أجلي فول غسلي رجلا لبيبا فإن اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين فإذا أدرجتموني في جديدي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم الراحمين وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى وأني لم أل من هذا الأمر شيئا ولما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك ليتني كنت غسالا آكل من كسب يدي يوما بيوم ولم أل من أمر الناس شيئا فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك يا أمير المؤمنين فقال أجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر أنائم هو فلما دخل صاح فوثبت فإذا هو ميت وقيل له لما حضره الموت اعهد يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه وروي أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج يا أمير المؤمنين فإني أخاف أن تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب إليه والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث إلا أياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله عز وجل إلا أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال أجلسوني فأجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقيل له في ذلك فقال إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن ثم قبض وحكي عن هارون الرشيد رحمه الله أنه انتقى أكفانه عند الموت بيده وكان ينظر إليها ويقول ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس إلا هذا لقد ذهبت الدنيا والآخرة وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر إلى الصناديق لبنيه من يأخذها بما فيها يا ليته كان بعيدا وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لي وكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال أقالها قيل نعم قال عسى

بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف

لما حضر معاذا رضي الله عنه الوفاة قال اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك ولما حضر سلمان رضي الله عنه الوفاة بكى

سئل لم تبكي فقال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يكون بلغة احدنا من الدنيا
كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال
لا بل واطرباه غدا نلقى الاحبه محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل
العاملون ولما حضر ابراهيم التيمي الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال انتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة او بالنار وحضر ابن المنكدر
الوفاة فبكى فقيل له ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكن اخاف اني اتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم
ولما حضر عامر بن عبد قيس الوفاة بكى فقيل ما يبكيك قال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي على ما يفوتني من ظماء
الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضر فضيلا الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه فقال وابعد سفري وقلة زادي ولما حضرت ابن
المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت
فقيرا غريبا قال اسكت فاني سالت الله تعالى ان يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال لقني ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثاني
وقال القطان [illegible] بكى رجل عند الموت فقال [illegible] وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال
آية في كتاب الله قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لحقيق ان يتقى آخره وان امرا
هذا آخره لحقيق ان يزهد في اوله وقال الجريري كنت عند الجنيد رضه في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرأ
القرآن فختم فقلت له في هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي وقال نعيم حضرت وفاة ابي سعيد
الخراز وهو يقول **شعر** حنين قلوب العارفين الى الذكر • وتذكارهم وقت المناجاة للسر • ادير كؤوس للمنايا عليهم ه
فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي السكر • همومهم جوالة بمعسكر • به اهل ود الله كالانجم الزهر • فاجسامهم في الارض قتلى بحبه • وارواحهم في الحجب
نحو العلى تسري • فما عرسوا الا بقرب حبيبهم • وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر • وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد
عند الموت فقال لم يكن بعجب ان تطير روحه اشتياقا وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة وقيل لبعضهم
وهو في النزع قل الله فقال الى متى تقولون وانا محترق بالله قال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير وقال السلام عليكم
هل هاهنا موضع نظيف يمكن الانسان ان يموت فيه قال فاشاروا اليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى
الى ذلك المكان ومد رجليه ومات وكان ابو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امرأة تواجدا فقال لها موتي فقامت المرأة
فلما بلغت باب الدار التفتت اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة ويحكى عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري قالت لما قرب
اجل ابي علي الروذباري وكان راسه في حجري فتح عينيه فقال هذه ابواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا
قائل يقول يا ابا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها ثم انشأ يقول **شعر** وحقك لا نظرت الى سواكا • بعين مودة
حتى اراكا • اراك معذبي بفتور لحظ • وبالخد المورد من حياكا • وقيل للجنيد رضه قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره وسأل
جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي رحمه الله عليهم ما الذي رايت منه فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت
عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته فقبض على يدي
وادخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره ادب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن
الحارث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار الا توصي بابنك
وعياله فقال اني لاستحيي من الله ان اوصي بهم الى غيره ولما احتضر ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم
على رب غفور رحيم فقال لهم الا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقب بالكبير ولما احتضر الواسطي
قيل له اوصنا قال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكي فقال ان كنت
باكية فابكي على نفسك ولقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة وقال الجنيد رضه دخلت على سري السقطي اعوده في مرض موته فقلت
كيف تجدك فانشأ **شعر** كيف اشكو الى طبيبي ما بي • والذي بي اصابني من طبيبي • فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد

ريح المروحة من جوفه يحترق ثم انشأ يقول **شعر** القلب محترق والدمع مستبق • والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له • مما جناه الهوى والشوق والقلق • يا رب ان يك شيء فيه لي فرج • فامنن علي به ما دام بي رمق
وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي رحمه الله دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشأ يقول **شعر** كان بيت انت ساكنه
غير محتاج الى السرج • وجهك المامول حجتنا • يوم ياتي الناس بالحجج • لا اتاح الله لي فرجا • يوم ادعو منك بالفرج ه
وحكي ان ابا العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم فلم يجبه ثم اجاب بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي
ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب اجلي ما اخبرتكم به وقفت على باب
قلبي اربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم
هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت انا فقال ان ملك الموت صلوات الله عليه يقول لي
اني بكل سخي رفيق ثم طفا ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع
فقال يا ابا عبد الله وكيف لا اقلق ولا اجزع واني لا اعلم اني صدقت الله في شيء من عملي فقال حذيفة واعجباه لهذا الرجل الصالح
يحلف عند موته انه لم يصدق الله في شيء من عمله وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه القصة وهو عليل
قد احتضر وهو يقول يا ملك ان كان لك [illegible] وحكى بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله
وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها ما اعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله
فقال لا احسن غيره ولما حضر [illegible] الوفاة قيل له قل لا اله الا الله فقال لست انساه ثم [illegible] دخل المزني على الشافعي رضه في مرضه
الذي مات فيه فقال له كيف اصبحت قال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكاس المنية شاربا وعلى الله
واردا ولا ادري اروحي تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشأ يقول **شعر** فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي • جعلت
رجائي نحو عفوك سلما • تعاظمني ذنبي فلما قرنته • بعفوك ربي كان عفوك اعظما • فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل • تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك لم يغوى بابليس عابد • فكيف وقد اغوى صفيك آدما ه ولما حضر احمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه
وقال يا بني باب كنت ادقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة لا ادري ايفتح لي بالسعادة او بالشقاوة فانى لي اوان الجواب
هذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل
واحد من حيث حاله والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم والسلم

الباب السادس

في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور اما الجنائز فهي عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير الا لاهل الغفلة فانها لا تزيدهم
مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم ابدا الى جنائز غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز يحملون او يحسبون ذلك
ولكنهم على القرب لا يقدرونه ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم
فلا ينظر عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها على القرب لانه يحمل عليها على القرب وكان غدا او بعد غد ويحكى
عن ابي هريرة رضه انه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وكان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون عظة
بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وقال اسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثت نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو
صائر اليه ولما مات اخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا اعلم ما دمت حيا
وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز ولا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا
كان خوفهم من الموت والآن لا ننظر الى جماعة يحضرون الجنازة الا واكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته
ولا يتفكر اقرانه واقاربه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم الا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله اذا
حمل عليها والسبب لهذه الغفلة القسوة التي بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والاهوال التي بين ايدينا
فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسال الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان احسن احوال الحاضرين على الجنائز ان كانوا يبكون على الميت

ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لانهم بالبكاء على انفسهم احرى من البكاء على الميت نظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو
ترحمون انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت فقد رآه ومرارة الموت فقد ذاق وخوف الخاتمة فقد امن وقال
ابو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وانشأ يقول
تروعنا الجنائز مقبلات ۞ ونلهو حين تذهب مدبرات ۞ كروعة ثلة لمغار ذئب ۞ فلما غاب عادت راتعات ۞ فمن آداب حضور
الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسننه في فن الفقه ومن آدابه حسن الظن
بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا تدرى حقيقتها ولذلك روي عن
عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما ادلي في قبره وقف على
قبره وقال يرحمك الله يا ابا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير
مذنب وغير ذي خطايا ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته
اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه احد فحملتها الى الصحراء للدفن فكان
على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرآه كالمنتظر للجنازة فقصد ان يصلي عليها فانتشر الخبر في
البلد بان فلانا الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج اهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقيل له
في ذلك فقال رأيت في المنام ان انزل الى الموضع الفلاني ترى فيه جنازة ليس معها الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته
وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال الزاهد هل تعرفين شيئا من
اعمال الخير قالت نعم ثلاثة كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح بالجماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل
بالفسق والثاني انه كان ابدا في بيته من اليتامى واحد او اثنان وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه الى اولاده وكان شديد التفقد لهم
والثالث انه كان يفيق في اثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملأها بهذا الخبيث يعني
به نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من حاله وقد وقف صلة بن اشيم على قبر اخ له فقال: شعر فان تنج منها تنج من ذي عظيمة
والا فاني لا اخالك ناجيا

بيان حال القبر واقاويلهم على القبور قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال
من لم ينس القبر والبلى وترك افضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اصحاب القبور وقيل لعلي رضي
الله عنه ما شأنك جاورت المقبرة قال اني اجدهم جيران صدق اني اجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا نبكي لبكائك قال هذا قبر
امي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستأذنته في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة
وكان عثمان بن عفان اذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان القبر اول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم
ينج منه فما بعده اشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت اهل القبور
وما حيل بيني وبينهم فاحببت ان اتقرب الى الله بهما وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول انا بيت الدود وبيت الوحدة
وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فماذا اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو
الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرونني معادي وان قمت لم يغتابوني وكان جعفر بن محمد يأتي القبور
ليلا ويقول يا اهل القبور ما لي اذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكأني بي اكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة الى
طلوع الفجر وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت الليلة اتفكر في القبر وساكنه انك لو رأيت الميت بعد ثلاث
في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح
وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في

حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستأنس في بطن الارض باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك اغتبطت ثم يبكي
حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله وكان اذا نظر الى القبور
خار كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول لامه
ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار
السلام فانظر من اين تجيبه ان اجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليها دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح
اذا اشرف على المقابر يقول ما احسن ظواهرك انما الدواهي في بواطنك وكان عطاء السلمي اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة ثم قال
ثم يقول يا اهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم اعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطاء في القبور غدا عطاء في القبور فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح
وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خثيم قد
حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل وقال احمد بن حرب تتعجب الارض من الرجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم
فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى
القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كأنهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد خلت
بهم المثلات واستحكم فيهم البلاء واصاب الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد
امن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك
صموت اهلها فكم من نفس مغمومة فيها ويحكى ان فاطمة بنت الحسن نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت: شعر
وكانوا رجاء ثم امسوا رزية ۞ لقد عظمت تلك الرزايا وجلت ۞ وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا
الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا وسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا وقال ابو
عياش التيمي حضر الحسن مع اصحابه جنازة النوار بنت اعين بن ضبيعة المجاشعي امرأة الفرزدق وكان من لسان الفرزدق
على الجنازة فلما اتى بها الى المقبرة وقف الحسن ناحية مع اصحابه والفرزدق في ناحية واصحابه فقال الفرزدق للحسن يا ابا سعيد يزعم الناس
انه اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس فقال الحسن ومن يعنون به يا ابا فراس قال الفرزدق يزعمون اني شر الناس وانك خير
الناس فقال الحسن كلا ما انا بخير الناس ولا انت بشر الناس ثم قال يا ابا فراس ما اعددت لهذا اليوم قال شهادة ان لا اله الا الله
منذ ثمانين سنة فقال الحسن ... ثم قال يا ابا فراس هذا العمود فاين الاطناب ... ثم قال
الفرزدق يا ابا سعيد انا قد عرضت لي شعرا فقال الحسن ان تقول ما تشاء فقال: شعر اخاف وراء القبر ان لم يعافني
اشد من القبر التهابا واضيقا ۞ اذا جاءني يوم القيامة قائد ۞ عنيف وسواق يسوق الفرزدقا ۞ لقد خاب من اولاد آدم من مشى
الى النار مغلول القلادة ازرقا ۞ يساق الى نار الجحيم مسربلا ۞ سرابيل قطران لباسا محرقا ۞ اذا شربوا فيها الصديد رأيتهم ۞ يذوبون
من حر الصديد تمزقا ۞ قال فبكى الناس الا ابكى من قول الفرزدق حتى ... وقد انشدوا في اهل القبور: شعر
قف بالقبور وقل على ساحاتها ۞ من منكم المغمور في ظلماتها ۞ ومن المكرم منكم في قعرها ۞ قد ذاق برد الامن من روعاتها ۞ اما السكون
لذي العيون فواحد ۞ لا يستبين الفضل في درجاتها ۞ لو جاوبوك لاخبروك بالسن ۞ تصف الحقائق بعد من حالاتها ۞ اما المطيع فنازل
في روضة ۞ يفضي الى ما شاء من دوحاتها ۞ والمجرم الطاغي بها متقلب ۞ في حفرة يأوي الى حياتها ۞ وعقارب تسعى اليه فروحه ۞ في شدة
التعذيب من لدغاتها ۞ ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول: شعر عدمت الحياة ولا نلتها ۞ اذا كنت في القبر قد الحدوكا
فكيف اذوق لطعم الكرى ۞ وانت بيمناك قد وسدوكا ۞ ثم قالت يا ابتاه باي خديك بدأ الدود فصعق داود مكانه وخر
مغشيا عليه وقال مالك بن دينار رحمه الله مررت بالمقبرة فانشأت اقول: شعر اتيت القبور فناديتها ۞ اين المعظم والمحتقر ۞ واين المدل
اذا ما فخر ۞ واين العزيز اذا ما قدر ۞ واين المدل بسلطانه ۞ واين الملك اذا ما افتخر ۞ قال فنوديت من بينهم اسمع صوتا ولا ارى شخصا

ومن ذلك شعر تعاونوا احيانا فلما ماتوا جميعا ومات بجنة نرجع وتغدو بنات الثرى • فلهي محاسن تلك الصور • فيا سائلي
عنا ما ترحموا • اما لك فيمن ترى معتبر • قال وخرجت وانا باك ابيات وجدت مكتوبة على القبور شعر تناجيك اجداث وهن سكوت
وسكانها تحت التراب خفوت • ايا جامع الدنيا لغير بلاغة • لمن تجمع الدنيا وانت تموت • وعلى قبر آخر شعر ايا غانما اما دراك فواسع
وقبرك معمور الجوانب محكم • وما ينفع المقبور عمران قبره • اذا كان فيه جسمه يتهدم • وقال ابن السماك مررت بالمقابر فاذا على قبر مكتوب
يمر اقاربي جنبات قبري • كأن اقاربي لم يعرفوني • ذوو الميراث يقتسمون مالي • وما يألون ان جحدوا ديوني • وقد اخذوا سهامهم
وعاشوا • فيا لله اسرع ما نسوني • ووجد على قبر مكتوبا شعر ان الحبيب من الاحباب مختلس • لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها • يا من يعد عليه اللفظ والنفس • اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا • وانت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته • ولا الذي كان منه العلم يقتبس • كم اخرس الموت في قبر وقفت به • عن الجواب لسانا ما به خرس • قد كان
قصرك معمورا له شرف • فقبرك اليوم في الاجداث مندرس • ووجد على قبر آخر مكتوبا شعر وقفت على الاحبة حين صفت
قبورهم كافراس الرهان • فلما ان بكيت وفاض دمعي • رأت عيناي بينهم مكاني • ووجد على قبر طبيب مكتوبا شعر
قد قلت لما قال لي قائل • قد صار لقمان الى رمسه • فاين ما يوصف من طبه • وحذقه في الماء وجسه • هيهات لا يدفع عن غيره
من كان لا يدفع عن نفسه • ووجد على قبر مكتوبا شعر يا ايها الناس كان لي امل • قصر بي عن بلوغه الاجل • فليتق الله
ربه رجل • امكنه في حياته العمل • ما انا وحدي نقلت حيث ترى • كل الى مثله سينتقل • فهذه ابيات كتبت على القبور لتقصير ساكنيها
عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الى غيره ويرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم لا يبرحون من مكانهم
ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا
قدر الاعمال وانكشفت لهم حقائق الامور فانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص عن العقاب وليستزيد
الموفق به رتبة فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وانت قادر على تلك الساعة
ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار اذا لم تأخذ نصيبك من
ساعاتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت اخا لي في الله فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين
قال لان اقدر على ان اقولها الحمد لله رب العالمين احب الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنوني فان فلانا قد قام فصلى
ركعتين لان اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا وما فيها

بيان اقاويلهم رضي الله عنهم اجمعين عند موت الولد

حق على من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزل تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كان في سفر فسبقه ولده الى البلد الذي هو مستقره
ووطنه فانه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه بانه لاحق به على قرب وليس بينهما الا تقدم وتأخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى
ان يلحق المتأخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها
بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب قال زيد بن اسلم توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا
شديدا فقيل له ما كان يعدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لا يموت لاحد من المسلمين ثلثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
او اثنان قال او اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه ارجى دعاء واقربه الى الاستجابة ووقف محمد بن سليمان على قبر
ولده فقال اللهم اني اصبحت ارجوك له واخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي ووقف ابو سنان على قبر ولده فقال اللهم اني قد غفرت
له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال اللهم اني قد وهبت له ما قصر فيه من بري
فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابو عمر بن ذر بعدما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك
عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم ان هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه

اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي فقد وهبت لك ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى
الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة وما بنا الى انسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو اقمنا
ما نفعناك ونظر رجل الى امرأة بالبصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي
حزن ما يشركني فيه احد قال فكيف قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم الاضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال الاكبر للاخر
اتريد ان اريك كيف ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه وذبحه وما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ
الى جبل فرهقه ذئب فاكله وخرج ابوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فافردني الدهر كما ترى فامثال هذه المصائب ينبغي
ان يتذكر عند موت الاولاد ليتسلى به عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها وما يدفعه الله في كل
حال هو الاكثر

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة
قبور الصالحين محبوبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن زيارة القبور ثم اذن فيه
فقد روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فان في زيارتها
تذكرة للآخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبر امه في الف مقنع فلم ير باكيا اكثر من يومئذ وفيه
دلالة على الاذن في الزيارة دون الاستحباب كما رويناه من قبل وقال ابن ابي مليكة اقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا ام
المؤمنين من اين اقبلت قالت من قبر اخي عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنها قالت نعم ثم
امر بها ولا ينبغي ان يتمسك بمثل ذلك في منع النساء من الخروج الى المقابر فان هيئة خروجهن على روس المقابر ولا ينفي خيرا بزيارتهن
بشر ولا يخلون في الطريق عن الكشف وعن عظائم والزيارة سنة فكيف تحتمل لاجلها ثم الا بايجاب خروج المرأة في ثياب
بذلة ترد اعين الرجال عنها كالشيخة الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان
يحزنك فان الحزين في ظل الله وقال ابن ابي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوروا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا
عليهم فان لكم فيهم عبرة وعن نافع ان ابن عمر كان لا يمر بقبر احد الا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة
بنت النبي عليها السلام كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي عليه السلام من زار قبر ابويه او احدهما في كل
جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله
لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من
الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا
مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج عليه السلام في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه والمستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبر
القبلة مستقبلا بوجهه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى قال نافع كان ابن عمر
رضي الله عنه رأيته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف وعن ابي امامة
قال رأيت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه و
يجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقلت يا رسول
الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وقال ابو هريرة رضي الله عنه اذا مر رجل بقبر يعرفه الرجل
في الدنيا فسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت
قال بلى قلت فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله

الزبي فتلاقي احبابكم قلت اجسادكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعلم بها عشية الخميس ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو اخرت الى يوم الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبانة فيشهد الصلوة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينما انا نائم اذا بخلق كثير قد جاؤني قلت ما انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا قلت فاني اعود لذلك فما تركتها بعد وقال بشار بن غالب النجراني رأيت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير ثم اقبل الى الميت فقيل له هذه هدية فلان اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار وقال بعضهم مات اخ لي فرأيته في النوم فقلت ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرأيت انه سيضربني به فعن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الاودي شهدت ابا امامة الباهلي وهو في النزع فقال يا سعيد اذا انا مت فاصنعوا بي كما امرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على راس قبره ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثالثة فانه يقول ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد عليه السلام نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه الى حواء لا باس بقراءة القرآن على القبور وروي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ القرآن عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي فقال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال فاخبرني مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرأ عند راسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرأ وقال محمد بن احمد المروزي سمعت احمد يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت راسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكيني يقول لقد آذيتني منذ الليلة قلت بم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتين اللتين ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله اهل الدنيا عنا خيرا اقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور امثال الجبال فالمقصود من زيارة القبور للزائر الدعاء النافع للميت ولا عن الاعتبار وانما يحصل له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن ابي بكر الهذلي قال كانت عجوز في بني عبد القيس متعبدة فكان اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار خرجت الى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى واني لآتي القبور فكأني انظر وقد خرجوا من بين الباتها وكأني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام

المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها للانفس واشد تلفها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد ادخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج القيح من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت اعجب مما تراه الآن ويستحب الثناء على الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذكروا موتاكم بالخير ان يكونوا من اهل الجنة تأثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال انس بن مالك رضي الله عنه مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاثنوا عليها شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا باخرى فاثنوا عليها خيرا فقال عليه السلام وجبت فسأله عمر رضي الله عنه عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وانتم شهداء الله في الارض وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تبارك وتعالى لملائكته اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي والله اعلم واحكم

الباب السابع في حقيقة الموت في ما يلقى الميت الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطؤوا فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال آخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا وكل هذه الظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بانواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الروح الى الجسد في القبر ولا يبعد ان تؤخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل اعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات والروح هي المستعملة لها واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها الافراح والغموم ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون آلة له كما ان معنى الزمانة خروج اليد عن ان تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احداهما انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضائه وسلب منه اهله وولده واقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء من الانسان وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن المال والالم واحد في الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاوته في مفارقته

بل مثلت قبله الى ولحدوا احد منا الدرجات وعما يرجع الى شيء كان يحبه فلا دونه يرجع به وانما لم يكن يرجع الا بذكر الله ولم يانس
الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله
فهذا احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحيوة والثاني انه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا في الحيوة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن
مكشوفا في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيآته وقد كان ذلك مسطورا في
كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة
الا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل
ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن ويشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما اراده
منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال
من لم ياخذ من الدنيا الا بقدر الضرورة وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل له ما كان يوده واستغنى عنه وههنا
انواع من العذاب والالام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد يرد روحه الى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى
عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك
يتساهل في امره او على ان الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها
جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى
من يتشفع اليه في العصاة عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر
والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا والمطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزي
والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها
اولوا البصائر بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه
حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحيوة ومعرفة الحيوة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم
يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يتكلم فيه ولا ان يزيد على ان يقول الروح من امر ربي فليس لاحد من علماء الدين ان يكشف
عن سر الروح وان اطلع عليه وانما الماذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام
ادراكها آيات واخبار كثيرة اما الآيات فما ورد في الشهداء اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا
الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها والآية نص في روح الشهداء
ولا يخلو الميت عن شقاوة او سعادة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض
الجنة وهو نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير
تاخر وانما يتاخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الموت القيامة
من مات فقد قامت قيامته وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان
من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار ويقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيمة وليس يخفى ما في مشاهدة
المقعدين من عذاب ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت قيامته وقال علي رضي الله عنه
حرام على نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة هي ام من اهل النار وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من مات غريبا مات شهيدا ووقي فتان القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة وقال مسروق ما غبطت احدا ما غبطت
مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن عذاب الله وقال يعلى بن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدرداء فقلت له ما تحب

لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحب الموت الا المؤمن والموت اطلاق المؤمن
من السجن وانما احب قلة المال والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاء فكل
ما سوى الله وذكره والانس به لا بد من فراقه عند الموت للخالق ولذا قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما انما مثل المؤمن حين تخرج نفسه
او روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها
ولم يكن له انس الا بذكر الله وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه وكان في الموت خلاصه من جميع
المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق ولا دافع وما اجدره بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات
للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله راضين
بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الآخرة فقد اشتراها
وتشوق اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله قد يتفق في بعض الاحوال
ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا عظم النعيم اذ
معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم ما يشتهون وكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب
ان يمنع الانسان عن مراده كما قال الله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعذاب جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما
انقطع نفسه من غير تاخير وهذا امر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث
الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على العبارة عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى فقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه يوم احد قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله قد احيا اباك واقعده
بين يديه فقال تمن علي عبدي ما شئت اعطيكه فقال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك
فاقتل فيك مرة اخرى فقال انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وانت في الجنة فقال
ابكي لاني لم اقتل في سبيل الله الا قتلة واحدة فكنت اشتهي ان ارد فاقتل قتلات واعلم ان المؤمن ينكشف له
عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب
الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه اقصاه فيه انواع الاشجار والازهار والثمار والطيور فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلا من الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان
يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى
اذا راى الضوء ووضع لم يحب ان يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما
لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح
الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه وقال ابو عمر صاحب السقيا مر ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر
فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيمة
وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك
بلغني ان ارواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر
يقول الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو
هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تفضحوا موتاكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال
ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص
عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين هي فقال في صور طير بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد الخدري

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح
تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان مأواك وفي اي الجسدين كنت في طيب ام خبيث وقال
عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الم يأتكم او ما قدم عليكم فيقولون انا لله
وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهد
ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت
تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا
فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله فيقول مات قبلي فيقولون انا لله ذهب به الى امه الهاوية

بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي افصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في
تفهيم الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة
وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فذاذا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول ارأيت ان
كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفذاذ هو الذي
يقدم رجلا ويؤخر اخرى كذلك فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي دفن فيها انا بيت
الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فانا عليك اليوم نقمة انا الذي من دخلني
مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب او اصابه بعض
ما يكره ناداه جيرانه من الموتى ايها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما
رأيت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا
هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه احبته
الى المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله فقالت ايها العبد
المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته
اعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا
سبيل لكم عليه فقد طال ما قام بهما لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد طال ظمأه لله في دار الدنيا فلا سبيل
لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لله لا سبيل لكم عليه قال فيأتونه
من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله ابتغاء وجهه فلا
سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له
في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره يقول
ويحك يا ابن آدم اليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فما اعددت لي

بيان عذاب القبر وسؤال منكر
ونكير قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة
بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فجلسوا مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء
والارض وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس منها باب الا يحب ان يدخل روحه منه فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك
فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وانه ليسمع
خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وآله

وسلم قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم
فيقول وانت فبشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله
خيرا ثم ينادي مناد ان افرشوا له من فراش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له من فراش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول
اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فانه اذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة
غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء
وغلقت ابواب السماء فليس منها باب الا يكره ان يدخل روحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا ارض
فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وانه ليسمع خفق نعالهم
اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقال لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح
قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله وعذاب اليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا
في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا ثم يقيض له اصم ابكم اعمى معه مرزبة من حديد
لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين
عينيه ضربة يسمعها من على الارض الا الثقلين قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان
من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت الا مثل له عند الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته
ويطرق عن سيئاته وقال ابو هريرة رضي قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر
الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا
اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه
جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت
على تلك الجمرة وان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم
الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال اي شيء تريد في اي شيء ترغب اتريد ان ترجع لتجمع المال او تغرس الغراس او تبني البناء
او تشق الانهار فقال لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها اي ليقولنها عند الموت وقال ابو هريرة رضي
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون
فيما انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون
ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان يتعجب
من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد
وسائر الصفات فان لها اصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها الى اقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات
وهي باعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي ايذاء الحية وارباب
القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة
فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها عند ارباب البصائر واضحة فمن لم ينكشف له حقائقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها
بل اقل درجات الايمان التصديق والتسليم فان قلت نحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق
على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات في التصديق بامثال هذا احدها وهو الاظهر والاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة
وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت
اما ترى ان الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بانه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا

فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أوجب عليك وإن آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي عليه السلام ما لا تشاهده الأمة فكيف لا يجوز هذا
في الميت وكما أن الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس
آخر وتدرك بحاسة أخرى. المقام الثاني أن تتذكر أمر النائم وأنه قد يرى في النوم حية تلدغه وهو يتألم في نومه ويصيح ويعرق جبينه
وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه
حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد وإذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل
أو تشاهد. المقام الثالث أنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الألم فإن عذابك في الأثر الذي
يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن
يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة فإنه لو خلق في الإنسان لذة الوقاع من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفه إلا بالإضافة
إليه فتكون الإضافة للتعريف بالسبب ويكون ثمرة السبب حاصلة وإن لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه
الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فيكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب
الصفة مؤذية تشبه انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق فإنه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما حتى يحل
في القلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه لو لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فإنه قد سلط العشق
في الدنيا على نفسه فصار يعشق المال والعقار والجاه والولد والأقارب والمعارف ولو أخذ جميع ذلك في حياته أخذا لا يرجو رجوعها إليه
فماذا ترى يكون حاله أليس يعظم شقاؤه ويصعب عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فكنت لا أتأذى بفراقه
فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة وما حال من كان له واحد فغيب عنه ذلك الواحد فما حال من لا فرح له
إلا بالدنيا فموته خروجه من الدنيا وتسليمه إلى العداوة ثم ينضاف إلى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله تعالى
فإن حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتصل ألم الفراق لجميع محبوباته وحسرة ما فاته من نعيم الآخرة أبد الآباد
وذل الرد والحجاب عن الله وذلك هو الذي يعذب به إذ تتبعه نار الفراق نار جهنم كما قال تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم
إنهم لصالوا الجحيم وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله تعالى وكان مشتاقا إلى لقاء الله تعالى فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات
فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن من الزوال أبد الآباد ولمثل ذلك فليعمل
العاملون والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه أو تلدغه العقرب آثر الصبر على لدغ العقرب فحب
الفرس هو الذي يلدغه إذا أخذ منه فليستعد لهذه اللدغات فإن الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده
وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضاءه وييأس عن رجوعه إليه فإذا أحب سواه وقد أخذ
جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه من العقارب والحيات وكما لو أخذ ذلك منه وهو حي عظم عذابه فكذلك إذا مات لأن المعنى أن
المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لأنه في الحياة يتسلى بأسباب يشتغل بها حواسه من مجالسة
ومحادثة ويتسلى بما يرجو العوض منه والسلو بعد الموت إذ قد انسد عليه طرق التسلي وحصل اليأس فإذا كل
ما يتصوره ويتخيل هذا حيث كان يتوقع لو أخذ منه فإن تسلى عنها ساعة عليه ومعذبه فإن كان لا يحب من الدنيا شيئا سوى الضروري فيسلم
من العذاب وإن كان يحب شيئا عظم عذابه وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال
صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين
وما من شيء من الدنيا يخلفه عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت فإن شئت فاستكثر وإن شئت فاستقل فإن
استكثرت فلست مستكثرا إلا من الحسرة وإن استقللت فلست تخفف إلا عن ظهرك وإنما كثرت الحيات والعقارب في قبور الأغنياء
الذين أحبوا الدنيا وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا إليها فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقاربه وفي سائر أنواع
عذابه رأى أبو سعيد الخدري ابنا له قد مات في المنام فقال يا بني عظني قال لا تخالف الله تعالى فيما يريد قال يا بني زدني قال يا أبت لا تطيق

قال زدني قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما لبس قميصا ثلاثين سنة. فإن قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم أن في الناس من
لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده ومنهم من أنكر الأول وأثبت الثاني ومنهم من لم يثبت إلا الثالث وإنما الحق الذي انكشف لنا بطريق
الاستبصار أن كل ذلك في حيز الإمكان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره
فينكر من أفعال الله ما لم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاث في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب
ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع ورب عبد يجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره هذا هو
الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقا والذي أوصيك به أن لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل
بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف ما كان فإن أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذه سلطان
وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه فأخذ طول الليل يتفكر في أنه أيقطعه بسكين أو بسيف أو بالموسى ويهمل طريق الحيلة في دفع أصل
العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع أن العبد بعد الموت لا يخلو عن عذاب عظيم أو نعيم مقيم فينبغي أن يكون الاستعداد
له فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول محض وتضييع زمان فحظك مما يتعلق بك في الدنيا والآخرة سوى العمل له

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي
فإن كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم
يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقال له نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه
الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان إن كنا لنعلم أنك
تقول ذلك ثم يقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وعن عطاء
بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة
أذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك
فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويحثان
القبر بأنيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الآن قال نعم قال إذا أكفيكهما وهذا نص
صريح في أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله
شيء وليس العقل المدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للأشياء ولو تناثرت أعضاء
الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء المدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الإنسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فإن ذلك
الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم وقال محمد بن المنكدر بلغني أن الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد
في رأسه مثل غرب البعير يضربه به إلى يوم القيامة لا يراه فيتقيه ولا يسمع صوته فيرحمه وقال أبو هريرة رضي الله عنه إذا وضع الميت في قبره
جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فإن أتاه العذاب من قبل رأسه جاءت قراءة القرآن وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه وإن أتاه
من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسط بنا للصدقة والدعاء لا سبيل لك إليه وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلاة
والصبر ناحية فيقول أما إني لو رأيت خللا لكنت أنا صاحبه قال سفيان يحاجز عنه أعماله الصالحة كما يحاجز الرجل عن أخيه وأهله
وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصحاب أصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن في هذا ضغطة ترد منها حمائله وقالت
عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ وعن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت امرأة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فساءنا حاله فلما انتهينا إلى القبر فدخله عليه السلام التمع وجهه صفرة فلما خرج أسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شيئا فمم ذاك

ما لدة كرب ضغطة القبر وشدة عذاب القبر فاحببت ان تخفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين
ما يعرف به احوال الموتى بالمكاشفة في المنام اعلم ان انوار البصائر المستفادة من كتاب الله وسنة رسوله ومن مناهج الاعتبار
تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعداء واشقياء واما حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف به اصلا فانا ان عولنا على ايمان
زيد وعمرو فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محلها القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى
فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطنة قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو
الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين
الظاهرة وانما يرى بعين اخرى خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله
الدنيوية فصارت لا تبصر ولا يتصور ان تبصر شيئا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة من عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة
عن عين الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا
ولذلك راى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال ابي جابر
لما استشهد اذ اخبر ان الله اقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء والاولياء الذين تقرب درجتهم
منهم وانما الممكن في حق امثالنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها ايضا مشاهدة نبوية واعني بها المشاهدة في المنام وهي من انوار النبوة قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهو ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة
عن القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه فكان
ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن
ايضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقل ما يخلو الانسان عن منامات
دلت على امور فوجدت صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله وبدائع فطرة الآدمي وهو من اوضح الادلة على
عالم الملكوت والخلق غافلون عنه كغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا
يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن ذكره هاهنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال مرآة تتراءى
فيها الصور وحقائق الامور وان كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى ويعبر عنه
تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه
نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد وان الكتاب من كاغد او رق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله
لا يشبه لوح الخلق وكتابه لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا يقربه الى فهمك
فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كانه ينظر
اليه ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه
واللوح في المثال كمرآة تظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه الا ان يكون بينهما
حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلوم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه
حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء
من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب وما دام متيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس
عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد الحواس فلا تورد على القلب فاذا تخلص منها ومن
الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في
مرآة اذا ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره

الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون التخيلات اثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يذكر الا الخيال فيحتاج
ان ينظر ان هذا الخيال حكاية اي شيء من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني وامثلة ذلك ظاهرة عند من
نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين رايت كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج
النساء فقال انك مؤذن تؤذن قبل الصبح في شهر رمضان فقال صدقت فانظر ان روح الخاتم هو المنع ولاجله يراد الخاتم
وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا الناس من الاكل والشرب ولكن الخيال الف
المنع عند الختم بالخاتم فمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة
من بحر علوم الرؤيا الذي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو اخو الموت وانما الموت هو عجيب من العجائب ولكنه يشبهه من وجه ضعيف
اذ يكشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء
بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس نفسه اما محفوفا بالانكال والمخازي والفضائح نعوذ بالله منها واما محفوفا
بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له وعند هذا يقال للاشقياء وقد كشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون
واليهم الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاعلم العلماء واعرف الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات
ما لم يخطر بباله قط ولم يختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا الفكر في خطر تلك الحالة ان الحجاب عماذا ينقشع وما الذي
ينكشف من الغطاء شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم
بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهالينا واسبابنا واولادنا بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك
يقينا ولكن اين من نفث روح القدس في روعه فقيل له ما قال لسيد المرسلين احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك
ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة
على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا اذ قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن
فبين ان خلة الله تعالى لم تترك في قلبه متسعا لخليل ولحبيب وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانما امته من اتبعه
وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ
العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الآخرة قد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر
ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى
فيهم فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل
لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا لاجل الدنيا ثم تطمع في ان تكون
غدا من امته واتباعه ما ابعد ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا بصدده
فقد انجر الكلام الى غير مقصده ولنذكر الان من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به اذ ذهبت
النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات

بيان منامات تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة

من منامات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ما شاني فقال الست المقبل
وانت صائم فوالذي نفسي بيده لا اقبل امراة وانا صائم ابدا وقال العباس رضي الله عنه كنت ودا لعمر رضي الله عنه فاشتهيت ان اراه في
المنام فما رايته الا عند راس الحول فرايته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغي ان كان عرشي ليهد لولا اني
لقيته رؤوفا رحيما وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لي علي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنح لي الليلة في المنام فقلت
يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم

وقال بعض المشايخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقلت يا رسول الله استغفر لي فأعرض عني فقلت يا رسول الله
ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك ما سئلت شيئا قط فقلت لا فأقبل علي فقال غفر الله
لك وروي عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله بما اخبر عنه اغتممت عليه
واهمني امره فسألت الله حولا ان يريني اياه في المنام قال فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا
يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الليالي والايام قلت كيف ذاك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة آمنة اياه ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة
اثنين وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فسألته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل
فبينا انا نائم اذ اتاني آت فقال لي قم فقد امات الله اباك وسود وجهه قال فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو
ميت اسود الوجه فداخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على رأس ابي اربعة سودان معهم اعمدة
حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال لي قم فقد بيض الله وجه ابيك فقلت
له من انت بابي انت وامي فقال انا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه ابي فاذا هو ابيض فما تركت الصلاة بعد ذلك
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن عمر بن عبد العزيز رضه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابو بكر
وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اتي بعلي ومعاوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر
فما كان باسرع ان خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع ان خرج معاوية على اثره وهو يقول غفر لي
ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس رضه من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان قبل قتله فانكر اصحابه قال
رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا
دمه ودماء اصحابه ارفعها الى الله عز وجل فجاء الخبر بعد اربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي رآه ورئي الصديق رضه
فقيل له انك كنت تقول ابدا في لسانك هذا اوردني الموارد فما فعل الله بك قال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة
منامات المشايخ قال بعض المشايخ رأيت مسمع بن عاصم في النوم فقلت يا سيدي ما فعل الله بك قال ويحك في الجنان نعيم
يا منعم بل استحييت منها شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحييت منها شيئا لوكلك اليها ولم اوصلك الي وروي ان بعض
الشيوخ في المنام سأله ما فعل الله بك قال غفر لي بهذا اما الحلق فقد بهل وعن منصور بن اسماعيل قال رأيت عبد الله
البزاز في المنام فقلت ما فعل الله بك قال اوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان اقر به
فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك قال نظرت الى غلام جميل فاستحييت من الله ان اذكره
وقال ابو جعفر الصيدلاني رأيت النبي في المنام وحوله جماعة من الفقراء فبينما هو كذلك اذ انشقت السماء ونزل ملكان بيد احدهما طست وبيد الآخر ابريق
فوضعت الطست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فغسل يديه ثم امر حتى غسلوا ثم وضع الطست بين يدي فقال احدهما
لا تصب على يديه فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله اني
احبك واحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وآله وسلم صب على يديه فانه منهم وقال الجنيد رضه رأيت في النوم كأني اتكلم
على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله ماذا فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام
موفق والله ورئي مجمع في النوم فقيل له كيف رأيت الامر فقال رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة وقال رجل
من اهل الشام للعلاء بن زياد رأيتك في النوم كأنك في الجنة فقال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت منه وقال صالح بن بشير رأيت عطاء السلمي في النوم فقلت له
رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت في اي الدرجات انت قال مع

الذين انعم الله عليهم من النبيين الآية وسئل زرارة بن ابي اوفى في المنام اي الاعمال افضل عندكم فقال الرضا وقصر الامل
وقال يزيد بن مذعور رأيت الاوزاعي في المنام فقلت يا ابا عمرو دلني على عمل اتقرب به الى الله عز وجل قال ما رأيت هناك درجة ارفع من
درجات العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة رأيت اخي في المنام فقلت
يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلحي رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء
الدنيا فقلت من انت قالت حوراء فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن آفاتها
وقال ابراهيم بن اسحاق الحربي رأيت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي فقلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات
التي انفقتها فرجعت اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ورئي سفيان الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال وضعت
اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال احمد بن ابي الحواري رأيت فيما يرى النائم جارية ما رأيت احسن منها وكان يتلألأ وجهها
نورا فقلت لها من اين هذا الضوء لوجهك قالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء
وجهي كما ترى وقال الكتاني رأيت الجنيد في النوم فقلت ما فعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وغابت تلك العبارات وما حصلنا
الا ركيعتين نصليهما في الليل ورئيت زبيدة في المنام فسئلت ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني
بها عمري لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى بها ربي ورئي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله
بك قال رحمني ربي عز وجل وقال يا بشر اما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف ورئي ابو سليمان في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال
رحمني وما كان شيء اضر علي من اشارات القوم الي وقال ابو بكر الكتاني رأيت في النوم شابا لم ار احسن منه فقلت له من انت فقال انا
التقوى قلت فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امرأة سوداء فقلت من انت فقالت انا السقم قلت فاين تسكنين
قالت كل قلب فرح مرح فانتبهت وتعاهدت ان لا اضحك الا غلبة وقال ابو سعيد الخراز رأيت في المنام كأن ابليس وثب علي فاخذت
العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحي رأيت ابليس في النوم
فقلت الا تستحي من الناس فقال هؤلاء ناس لو كانوا ناسا ما كنت العب بهم طرفي النهار كما يلعب الصبيان
بالكرة بل الناس غير هؤلاء قد اسقموا جسمي واشار بيده الى اصحابنا الصوفية وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرأيت في
المنام كأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءني متكئا على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فجاء فوقف علي وانا اقول شيئا من الاصوات وادق صدري
فقال شر هذا اكثر من خيره وعن ابن عيينة قال رأيت سفيان الثوري في النوم كأنه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل
العاملون قلت له اوصني قال اقلل من معرفة الناس وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رأيت سفيان الثوري فقلت
ما فعل الله بك قال نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد شعر قد كنت قواما اذا اظلم الدجى
بعبرة مشتاق وقلب عميد * فدونك فاختر اي قصر اردته * وزرني فاني منك غير بعيد * ورئي الشبلي بعد موته بثلاثة ايام فقيل له ما فعل الله
بك قال ناقشني حتى ايست فلما رأى ياسي تغمدني برحمته ورئي مجنون بني عامر فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وجعلني حجة على المحبين
ورئي الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين
ورئي بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا علينا فاعتقوا ورئي مالك بن انس رضه فقيل له ما فعل الله بك فقال
غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت ورئي في الليلة التي مات فيها الحسن
البصري كأن ابواب السماء مفتحة وكأن مناديا ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض ورئي الجاحظ فقيل له ما فعل
الله بك فقال شعر ولا تكتب بخطك غير شيء * يسرك في القيامة ان تراه * ورأى الجنيد رضه ابليس في المنام عريانا فقال له الا تستحيي من
الناس فقال هؤلاء ناس انما الناس اقوام في مسجد الشونيزية اضنوا جسدي واحرقوا كبدي قال الجنيد فلما اصبحت غدوت الى المسجد فرأيت
جماعة قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ورئي النصراباذي بمكة بعد وفاته في النوم فقيل له ما فعل
الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القاسم ابعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت

للحدور. رأى عتبة حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت: يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الأعمال شيئاً يحال بيني وبينك فقال عتبة: طلقت
الدنيا ثلاثاً لا رجعة لي عليها حتى ألقاك. وقيل رأى أيوب السختياني جنازة عاصٍ فدخل الدهليز لئلا يصلي عليها فرآه بعضهم في
المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وقال: قل لأيوب: قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق. وقال بعضهم:
رأيت الليلة التي مات فيها داود الطائي نوراً وملائكة نزولاً وملائكة صعوداً فقلت: أي ليلة هذه؟ فقالوا: ليلة مات فيها داود الطائي وقد
زخرفت الجنة لقدوم روحه. وقال أبو سعيد الشحام: رأيت سهلاً الصعلوكي فقلت: أيها الشيخ، فقال: دع التشييخ، فقلت: وتلك الأحوال التي
شاهدتها؟ فقال: لم تغن عنا، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بمسائل كانت تسأل عنها العجز. وقال أبو بكر الرسعني: رأيت أبا محمد الطوسي
المعلم في النوم فقال لي: قل لأبي سعيد الصفار المؤذن: شعر وكنا على أن لا نحول عن الهوى فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا. قال:
فانتبهت فذكرت له فقال: كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة. قال ابن راشد: رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت: أليس
قد مت؟ قال: بلى، قلت: فما صنع بك ربك؟ قال: غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب، قلت: فسفيان الثوري؟ قال: بخ بخ ذاك مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. وقال الربيع بن سليمان: رأيت الشافعي رضي الله عنه
بعد وفاته في المنام فقلت: يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب. ورأى رجل من
أصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كأن منادياً ينادي: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى
الحسن البصري على أهل زمانه. وقال أبو يعقوب القاري الدقيقي: رأيت في منامي رجلاً آدم طوالاً والناس يتبعونه قلت: من هذا؟ قالوا:
أويس القرني، فاتبعته فقلت: أوصني يرحمك الله، فكلح في وجهي، فقلت: مسترشد فأرشدني أرشدك الله، فأقبل علي وقال: اتبع رحمة ربك
عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني. وقال أبو بكر بن أبي مريم: رأيت وفاء بن بشر
الحضرمي فقلت: ما فعلت يا وفاء؟ قال: نجوت بعد كل جهد، قلت: فأي الأعمال وجدتموها أفضل؟ قال: البكاء من خشية الله. وقال ليث بن
نعامة: هلكت جارية في الطاعون فرآها أبوها في المنام فقال لها: يا بنية أخبريني عن الآخرة، قالت: يا أبت قدمنا على أمر عظيم
نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة عملي أحب إلي من الدنيا وما فيها. وقال بعض
أصحاب عتبة الغلام: رأيت عتبة في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك، فلما أصبحت جئت إلى بيته فإذا
خط عتبة في حائط البيت مكتوب: يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم
والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين
رب العالمين. وقال موسى بن حماد: رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت: يا أبا عبد الله بم نلت
هذا؟ قال: بالورع، قلت: فما بال علي بن عاصم؟ قال: ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب. ورأى رجل من التابعين النبي صلى الله
عليه وآله وسلم في المنام فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عظني، قال: نعم، من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان
في نقصان فالموت خير له. قال الشافعي: فقدت بمصر إنساناً من الأمر المرضي والذي لم يطلع عليه غير الله عز وجل فلما كان البارحة
أتاني آت في منامي فقال: يا محمد بن إدريس قل: اللهم إني لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا أستطيع أن
آخذ إلا ما أعطيتني ولا أتقي إلا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية، فلما أصبحت أعدت ذلك فلما
ترحل النهار أعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها. فهذه جملة من المكاشفات
تدل على أحوال الموتى وعلى الأعمال المقربة إلى الله زلفى فلنذكر بعدها ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخ الصور إلى آخر القرار في
الجنة أو في النار.

الشطر الثاني

من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار في
الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار وفيه بيان نفخة الصور وصفة أرض المحشر وأهله وصفة عرق أهل المحشر
وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه وصفة المساءلة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم
وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة وأصناف نعيمها

وأبوابها ودرجها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر
إلى وجه الله تبارك وتعالى وباب في سعة رحمة الله تعالى وبه يختم الكتاب.

صفة نفخ الصور

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت في سكرات
الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مغضوباً عليه
وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب
الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء فهذه أحوال
وأهوال لا بد لك من معرفتها ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها
وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف
وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم على
ثم غفلت عنه قلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه صدقت ثم مد اليد لتناوله كان مصدقاً بلسانه ومكذباً
بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني
وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فيقول إن لي ولداً وأما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني وإنما قصور البواطن عن فهم اليقين
والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم بمثل هذا العالم إلا بالمشاهدة ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له إن صانعاً يصنع
من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى
أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وقال تعالى أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى
فخلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعجب من بعثه وإعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله
وحكمته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف فقو الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثلها وأسهل
منها وإن كنت قوي الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار ليسلب من قلبك الراحة والقرار
فتشتغل بالتشمر للعرض على الملك الجبار وتفكر أولاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فإنها صيحة واحدة تنفرج بها
القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيراً وجهك مغبراً بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب
قبرك مبهوتاً من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الفزع
والرعب مضافاً إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة انتظار العاقبة كما قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وقال الله تعالى فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير
وقال تعالى ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ونفخ
في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم
يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديراً بأن يتقى فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض يعني يموتون بها إلا
من شاء الله وهو بعض الملائكة وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة
وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك أن إسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة
رأس القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى فإذا نفخ صعق من في السموات
ومن في الأرض أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح
جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله إسرافيل
فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون على أرجلهم ينظرون إلى البعث وقال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم حين بعثت صاحب الصور بين يديه إلى فيه وقدم رجلاً وأخر أخرى ينظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة فتفكر في الخلائق
وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة وانتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت فيهم منكسر

كالمسارعين يحيهم الى المكث في الديوان التي تعين وكالاغنيا المستغنين فقولك لا يعصمهم ذلك اليوم بها اذل عجم واصغرهم واحقرهم
يتطاون بالاقدام مثل الذر عند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤسها لمختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم
النشور عن غير خطيئة تدنست بها لوكرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم عن الهرب من الخلق والتوحش بهم وذلك قوله تعالى
واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تصديقا لقوله تعالى
فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك صفة ارض المحشر واهله
ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة الى ارض المحشر ارض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا
ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان
من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذا ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي
الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو النخل
عن القشر والنخالة والمعلم اي العلامة والتفاوت يرد البصر ولا تظن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم
قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها
وتمد مد الاديم العكاظي وهي ارض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها
فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر واظلمت
الارض لخمود سراجها فبينما انت كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام
على حافاتها وارجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة
المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم
عراة حفاة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان قالت سودة
زوجة النبي راوية الحديث فقلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه واعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك من النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة
لهم على الالتفات الى غيرهم قال ابو هريرة رضعه قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلثة اصناف ركبانا ومشاة
وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم وفي طبع الآدمي انكار كل ما لم يانس به ولو لم يشاهد الانسان الحية
وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي من غير رجل والمشي بالرجل ايضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك واياك
ان تنكر شيئا من عجائب يوم القيمة لمخالفته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت
اشد انكارا لها فاحضر في قلبك صورتك وانت عار مكشوف ذليل مدحور متحير مبهوت منتظر لما يجري عليك من القضاء بالسعادة
او بالشقاوة واعظم بهذه الحالة فانها عظيمة صفة العرق ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف اهل السموات
السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها
وتبدلت عما كان عليها من خفة امرها ثم ادنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم
يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت
الخلائق ودفع بعضها بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاخزاء عند العرض
على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على
صعيد القيمة ثم ارتفع على ابدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه
وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر رضعه قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه

الى انصاف اذنيه وقال ابو هريرة رضعه قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين
ذراعا ويلجمهم ويبلغ اذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث اخر قياما شاخصة ابصارهم اربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق
من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس
من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده
فالجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه هكذا فانظر انك لا تسكن في عرق اهل الحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي يقول
رب ارحني من هذا الكرب ولو انطلق بي الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا او عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغ بك
العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في امر
بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيمة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن ادم من الجهل والغرور لعلم ان تعب
العرق في تحمل مصاعب الطاعات اهون امرا واقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيمة فانه يوم عظيم شدته طويل مدته صفة
طول يوم القيمة ثم تفكر في الخلائق شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في امورهم ثلثمائة عام لا ياكلون فيه اكلة
ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثمائة عام قال
عبد الله بن عمرو تلا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم هذه الاية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة
لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنك بقوم قاموا على اقدامهم خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت
اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد نضجها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة
لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري
واعتذر كل واحد بشدة غضب الله وقال انه قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى
الله عليه واله وسلم لمن يؤذن له فيه اذ لا يملكون الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فتامل طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه
حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساة الصبر عن
الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي
بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المؤمنين فما دام يبقى لك
نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيدك فاعمل في ايام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا
وهي سبعة الاف سنة فانك لو صبرت سبعة الاف سنة مثلا لتتخلص من يوم مقداره خمسون الف سنة لكان ربحك كثيرا وخطبك يسيرا
صفة يوم القيمة ودواهيه واساميها فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب اوانه
يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس قد كورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت والوحوش
قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس بالابدان قد زوجت والجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت والجبال قد نسفت والارض قد مدت يوم زلزلت
فيه الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم حملت فيه الارض والجبال فدكتا دكة واحدة يوم
وقعت الواقعة وانشقت فيه السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا
تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم رجت فيه الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب يوم انشقت فيه السماء فكانت وردة كالدهان يوم
لا يسال عن ذنبه انس ولا جان يوم منع النطق فيه عن الكلام ولا يسال فيه عن الاجرام بل يؤخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا يوم تعلم فيه كل نفس ما احضرت وتشهد ما قدمت واخرت يوم تخرس فيه الالسن وتنطق فيه الجوارح يوم شيب ذكره

سيد المرسلين إذ قال له الصديق أراك قد شبت فقال شيبتني سورة هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت
فيا أيها القارئ العاجز حظك من ذلك أن تمجمج القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقرأه لكنت جديرا بأن تشيب
ما شاب منه سيد البشر وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيامة أحد ما ذكر فيها وقد وصف الله بعض دواهيها
وأكثر أساميها لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها فليس المقصود بكثرة الأسامي تكرير الأسامي والألقاب بل الغرض تنبيه أولي الألباب فتحت كل اسم من
أسماء القيامة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على ذكر معانيها ونحن نجمع لك أساميها وهي يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم
الندامة ويوم المحاسبة ويوم المسائلة ويوم المسابقة ويوم المناقشة ويوم المنافسة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم
الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم
الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب
ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء
ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح
ويوم الخزي ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخة ويوم الصيحة
ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المنتهى ويوم المأوى
ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق
ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم الوعيد ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود
ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الأبصار ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك
نفس لنفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم ويوم يسحبون في النار ويوم تقلب وجوههم في النار ويوم لا يجزي والد عن ولده ويوم يفر
المرء من أخيه ويوم لا ينطقون ويوم لا يؤذن لهم فيعتذرون ويوم لا مرد له من الله ويوم هم بارزون ويوم هم على النار يفتنون ويوم
لا ينفع مال ولا بنون ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم ترد فيه المعاذير وكشفت الضمائر وبليت السرائر
وظهرت الضمائر وهتكت الأستار وخشعت الأبصار وسكنت الأصوات وقل الالتفات وبرزت الخفيات وظهرت الخطيئات
وسيق العباد ومعهم الأشهاد وشاب الصغير وسكر الكبير ووضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم وأغلي
الحميم وزفرت النار ويئس الكفار وسعرت النيران وتغيرت الألوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الإنسان فيا أيها الإنسان
ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور واستترت عن الخلائق وقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك
جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين يرسل الله إلينا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت
يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون
لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل الساعة
قريب ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولا نستعد
للتخلص من دواهيه فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يتداركنا الله بواسع الرحمة صفة المسائلة ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال
فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة
عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين إلى موقف
العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن لله عز وجل ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك إذا
شاهدت تنزيل الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض وترى أنهم على عظم أشخاصهم منكسرون لشدة اليوم مستشعرون لما
بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح إلا ويخرون للأذقان خوفا من أن يكونوا
هم المأخوذين هذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفيكم ربنا وذلك

لعظم موكبهم وشدة هيبتهم ففزع الملائكة من سؤالهم إجلالا لخالقهم عن أن يكون فيهم فينادون بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل
الأرض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار
الذل والخضوع وهيبة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق قوله تعالى فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا
علم لنا فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتمحى علومهم من شدة الهيبة إذ يقال لهم ماذا أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد علموا
فيدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون
إذ طارت فيه العقول وانمحت العلوم إلا من يقويهم الله فيه حتى يدعى نوح فيقال هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما أتانا
من نذير ويدعى عيسى عليه السلام فيقول الله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السؤال
سنين فيا لعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملائكة ينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلانة هلم إلى موقف
العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم
على الجبار ولا يكشف سترهم على ملأ الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش وأشرقت الأرض بنور ربها وأيقن قلب كل عبد بإقبال
الجبار لمسائلة العباد وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه وأنه المقصود بالسؤال دون من عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبريل
ائتني بالنار فيأتيها جبريل فيقول لها يا جهنم أجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل عليه السلام على غيظها وغضبها فلم تلبث بعد ندائه
أن ثارت وفارت وزفرت إلى الخلائق وسمعوا تغيظها وزفيرها وانتصفت خزنتها متوثبة إلى الخلائق غضبا على من عصى
الله تعالى وخالف أمره فاخطر ببالك وأحضر في قلبك حال قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فتساقطوا على ركبهم وولوا مدبرين يوم ترى
كل أمة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادي الظالمون والعصاة بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسي نفسي
فبيناهم كذلك إذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا أنهم مأخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط
الخلائق لوجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع وانصدعت عند ذلك قلوب الظالمين وبلغت القلوب الحناجر كاظمين
وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين وبعد ذلك أدركت الرسل وقالت الجحيم ماذا أرادوا ما هم من السياسة على الأنبياء
أشد الفزع على العصاة تفر الوالد من ولده والأخ من أخيه والزوج من زوجته ويبقى كل واحد منتظرا لما يجري عليه ثم يؤخذ واحد واحد
فيسأله الله شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه وأعضائه قال أبو هريرة رضي الله عنه قالوا يا رسول الله
هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس في سحابة قالوا لا قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر
ليس في سحابة قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر
لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول العبد نعم فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول فإني أنساك كما نسيتني فتوهم نفسك
يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت قائم بين يدي الله عز وجل يسألك شفاها فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته
ألم أمهلك في العمر ففيماذا أفنيته ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيماذا أنفقته ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف ترى
حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فإن أنكرت فكيف تنكر وهو أعلم بك منك وقد شهدت عليك جوارحك
قال أنس رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضحك ثم قال أتدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه
يقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام
الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول للأعضاء بعدا لكن وسحقا
فعنكن كنت أناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء إلا أن الله قد وعد المؤمن أن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره
سأل ابن عمر رضي الله عنهما رجل فقال له كيف سمعت النجوى من رسول الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يدنو أحدكم من ربه
حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ويقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إني سترتها في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ستر على مؤمن عورة ستر الله عورته يوم القيمة فهنيئاً لمن يجيء عبد مؤمن ستر على الناس
عيوبهم واحتمل في نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوي الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهو جدير بأن يجازى
بمثله في القيمة و[illegible] عن عيوبك اليوم وقع سمعك النداء الى العرض فليكن تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ [illegible]
بأمثالك [illegible] والعالم [illegible] من شدة الهول
[illegible] وانت بين الصفة تخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفعت الخلائق اليك
ابصارهم [illegible] الى عرش الرحمن [illegible] الله عز وجل [illegible]
[illegible] آدم [illegible] ذليل [illegible] الذي لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها [illegible] عن [illegible] فما [illegible] لم تكن لجل
[illegible] بأي قدم تقف بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تعقل ما تسئل عنه [illegible]
ذلك [illegible] اذ يقول الله يا عبدي [illegible] تبارزني بالقبيح [illegible]
عليك [illegible] اما [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ما منكم من احد الا ويسأله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقفن احدكم
بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب فيقول له الم [illegible] الم ارسل اليك رسولا [illegible] ثم ينظر عن يمينه فلا يرى
الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود
[illegible] الا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت
فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين يا ابن آدم الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنيك
[illegible] اعضاء [illegible] مجاهد لا تزول قدم عبد يوم القيمة بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن
علمه ما عمل فيه وعن جسده فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه واعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك [illegible]
[illegible] الدنيا [illegible] وعند ذلك [illegible] ولا تحزنوا [illegible]
[illegible] وعند ذلك [illegible] السموات [illegible] العظيم [illegible]
على [illegible] ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان
[illegible] الى الشمال [illegible] فان الناس بعد السؤال ثلث فرق [illegible] الجنة [illegible] النار [illegible]
[illegible] في النار [illegible] الاسعادة [illegible]
[illegible] على كل حال [illegible] الى الجنة ثم [illegible] الليل ثم [illegible] تجارة الدنيا ولا بيع عن
ذكر الله [illegible] الابصار ثم [illegible] عليهم ولا الحق على
[illegible] حسابهم [illegible] الحساب [illegible]
الصحايف والكتب منشورة على الحسنات والسيئات ويضع الميزان [illegible] الكتب [illegible] في اليمين [illegible] في الشمال [illegible]
الى اسفل الجانب [illegible] الحسنات [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان راسه في حجر عائشة [illegible] النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانتبه فقال لها ما يبكيك
يا عائشة قالت ذكرت الآخرة [illegible] يوم القيمة قال نعم والذي نفسي بيده الا في ثلثة مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا
وضعت الموازين [illegible] حتى ينظر ابن آدم [illegible] وعند الصحف حتى ينظر [illegible] وعند الصراط
وعن انس [illegible] ابن آدم يوم القيمة [illegible] الميزان [illegible] ملك [illegible] نادى الملك بصوت يسمع الخلايق
سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلايق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا [illegible]

كفة الحسنات امتلأت الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من النار فاخذوا نصيب النار الى النار قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم في يوم القيمة انه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول من كل
الف تسعمائة وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما اوضحوا بضاحكة فلما راى النبي عليه السلم
الذي عند اصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا مع احد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني
آدم وبني ابليس قالوا وما هما يا نبي الله قال ياجوج وماجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم
في الناس يوم القيمة الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة صفة الخصماء والمظالم [illegible] هول الميزان
[illegible] وان اعين الناس شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية
وما ادراك ما هية نار حامية واعلم انه لا ينجو من خطر الحساب والميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع
اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب
عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض
له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل
رد المظالم احاط به خصماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بتلبيبه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول
في الغيبة بما يسوؤني وهذا يقول جاورتني فاسأت جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني
[illegible] وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما
وكنت قادرا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشب الخصماء فيك مخالبهم واحكموا في تلابيبك
ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او جناية
او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك
نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتذكر ما انذرك
الله تعالى على لسان رسوله حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي
رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسرتك
في ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد حقا او تظهر
عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وصيام
وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت
حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة
من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت
مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عليك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك
فكيف ببقية السيئات من اكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء
فقد روى ابو ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راى شاتين تنتطحان فقال يا ابا ذر اتدري فيم ينتطحان قال لا قال ولكن
ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيمة وقال ابو هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه يحشر
الخلق كلهم يوم القيمة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله عز وجل انه ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا
فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي
فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك

فوقاه الله من سيئات ما كان يتحافظ ويقال ان سيئات الذين اغتابوهم وشتموهم وقصدوهم بالسوء وظلمهم في المبايعة والمجاورة
والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر اصناف المعاملة قال ابن مسعود رضه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان
الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم
ما استطعتم فان العبد ليجي يوم القيمة بامثال الجبال من الطاعات فيرى انهن ستنجيه فما يزال عبد يجي فيقول يا رب ان فلانا
ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شي وان مثل ذلك كمثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس
معهم حطب فتفرق القوم ليحتطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم
ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم
ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فما اعظم شدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه
عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يحشر الله العباد عراة
غرلا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شي ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك الديان لا ينبغي لاحد
من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولا لاحد من اهل النار عنده مظلمة ولا لاحد من اهل النار ان يدخل النار ولاحد من اهل الجنة عنده
مظلمة حتى اقصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتي الله عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله مظالم
العباد باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة
اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر
ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله فينال به لطفه الذي ادخره
لاحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روي عن انس انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس اذ رايناه
ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما اضحكك يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما
يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فيقول يا رب لم يبق من حسناتي شي فقال الله تعالى للطالب كيف
تصنع ولم يبق من حسناته شي قال يا رب فليحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبكاء
ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع راسك فانظر في الجنان فرفع
راسه فقال يا رب ارى مداين من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللولو لاي نبي هذا او لاي صديق او لاي شهيد
هذا قال لمن اعطاني الثمن قال ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت عنه قال
الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم
فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر
الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطف لك حتى عفي عنك وايقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك
من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار
قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا راسك خاليا
عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلالا من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك
في حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رءوس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وارضاه
وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا افترى ان هذا المنصب ليس اعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلائق في الدنيا برياءك و
مداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية
الصادقة في معاملتك مع الله تعالى فلن تدرك ذلك الا به وان تكن الاخرى والعياذ بالله بان خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها
هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك

ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق اجمعين وعند ذلك تتناولك الزبانية وقد غضبت لغضب
خالقها فاقبلت عليك بفظاظتها وفظاعتها وصورها المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون الى
سواد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا و
تنادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها
ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد الله او طلبا للمكانة في قلوبهم او حذرا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك اذ تحترز
من الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملأ العظيم مع التعرض
لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بايدي الزبانية الى سواء الجحيم فهذه احوالك وانت لم تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر
الصراط

صفة الصراط ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين
الى جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون فالناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو
جسر ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة
ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل الظهر بالاوزار وعصى تعثر في اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل
من الفزع بفؤادك اذا رايت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت
ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشي على بساط الارض
فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثانية
والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون فتتسفل
الى جهة النار رءوسهم وتعلو ارجلهم فيا له من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجال ما اضيقه فانظر الى حالك وانت تزحف عليه
وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون والرسول عليه السلام يقول يا رب سلم سلم والزعقات
بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك وقلت
يا ويلاه هذا ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت
ترابا يا ليتني لم اك نسيا منسيا وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح
والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن فما اطول مقامك مع الكفار في
دركات جهنم وان كنت مؤمنا به وعنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك
الى السعي في طلب رضا الله بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه
وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم فاكون اول من يجيز
من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رايتم
شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تختطف الناس باعمالهم فمنهم
من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمر الناس على جسر جهنم
وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق
ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف
زحفا فاما اهل النار فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في
الشفاعة الحديث عن ابن مسعود رضه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم
قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين قال ثم يقول ارفعوا
رءوسكم فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم

من يعطي نوره مثل الجبل ومنهم من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضيء مرة ويطفأ مرة فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ
قام قال فيمرون على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر
كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي يعطى نوره على ابهام قدمه
يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا
خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني الله ما لم يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رأيتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل
وقال انس بن مالك سمعت النبي عليه السلام يقول الصراط كحد السيف او كحد الشعر وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان
جبرئيل عليه السلام لآخذ بحجزتي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه اهوال الصراط وعظائمه فطول
فيه فكرك فان اسلم الناس من اهوال القيمة من طال فكره فيها في الحيوة الدنيا فان الله لا يجمع على عبد بين خوفين فمن خاف هذه
الاهوال في الدنيا امنه الله في الآخرة ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود
الى لهوك ولعبك فما هذا من الخوف في شيء بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك من معاصي الله
ويحثك على طاعته وابعد من رقة النساء خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبق الى لسانهم الاستعاذة فقال احدهم استعنت بالله نعوذ بالله
سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضاري
في صحراء ووراءه حصن حصين فاذا رأى انياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين بشدة بنيانه
واحكام اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فاني يغني ذلك عنه من السبع وكذلك اهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله
الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون له مقصود سوى الله ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده
وامره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة
قلوب الصالحين من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة صفة
الشفاعة اعلم انه اذا حق الدخول على طوائف من المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة العلماء
والصالحين وكل من له عند الله جاه وحسن معاملة فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب
لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر آدميا اصلا فان الله خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله
ولا تستصغر معصية اصلا فان الله خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله خبأ رضاه في طاعته
فلعل رضا الله فيه ولو الكلمة الطيبة او اللقمة او النية الحسنة او ما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار كثيرة قال الله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى وروى عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه وقال امتي امتي ثم بكى فقال الله
عز وجل يا جبرئيل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه فسأله فاخبره والله اعلم به فقال الله تعالى يا جبرئيل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك
في امتك ولا نسوءك وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم
ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي بعث
الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم
من غير فخر وقال صلى الله عليه وآله وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع واول مشفع بيدي لواء
الحمد تحته آدم ومن دونه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للانبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي
منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة وتبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول
يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار حتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت في النار

لغضب ربك في امتك من بقية وقال صلى الله عليه وآله وسلم اني لاشفع يوم القيمة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال ابو هريرة رضي
اتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه فنهس منها نهسة ثم قال انا سيد المرسلين يوم القيمة وهل
تدرون مم ذاك يجمع الله الناس الاولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب
ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم
بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى
الى ما نحن فيه الا ترى الى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن
الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض
وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد كانت
لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم خليل الله فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله
من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
واني كنت كذبت ثلث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى انت رسول الله
فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده
مثله واني قد قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الا ترى الى ما نحن فيه فيقول لهم عيسى عليه السلام ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيأتون
محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فيقولون يا رسول الله انت رسول الله وخاتم الانبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى
ربك الا ترى الى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي
ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم
من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع
الجنة كما بين مكة وهجر او كما بين مكة وبصرى وفي حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابراهيم وهو قوله في الكواكب هذا ربي وقوله لآلهتهم
بل فعله كبيرهم وقوله اني سقيم فهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولآحاد امته من العلماء والصالحين شفاعة ايضا حتى قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقال للرجل قم يا فلان فاشفع
فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل وللرجلين على قدر عمله وقال انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان
رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيمة على اهل النار فيناديه رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك من انت
فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول
اني اشرفت على اهل النار فنادى رجل من اهلها فقال هل تعرفني فقلت لا من انت فقال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي
فشفعني فيه فيشفعه الله فيه فيخرج من النار وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا اول الناس خروجا اذا
بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وقال صلى الله عليه وآله وسلم
منتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم عليه السلام
خليلا وقال الآخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال الآخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال الآخر آدم اصطفاه الله فخرج صلى الله عليه وآله
عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم
اصطفاه الله وهو كذلك الا واني حبيب الله ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين **صفة الحوض** اعلم ان الحوض كرامة عظيمة

خص الله بها نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظمأ ابدا قال انس اغفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا له يا رسول الله لم ضحكت فقال آية انزلت علي آنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال اتدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ما بين لابتي حوضي مثل ما بين صنعاء والمدينة او مثل ما بين المدينة وعمان وعن ابن عمر رضي الله عنه لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد فبكى عمر بن عبد العزيز لما بلغه هذا الحديث فقال لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله لا جرم لا ادهن رأسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفس محمد بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني لأرجو ان اكون اكثرهم واردة فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالانبات ودفع الصواعق الى اوان الحصاد فاما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله ان ينبت له الحب والفاكهة فهذا متمن ومغتر وليس من الراجين في شيء وهكذا رجاء اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

العقوبة في صفة جهنم واهوالها وانكالها

يا ايها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك اخبرت بان النار مورد للجميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فانت من الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوه فبينما هم في كربها واهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة انبائها وتشفيع شفعائها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك ايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا اين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم امانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من اكنافها ويصيحون في نواحيها واطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه عائدون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم

والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من افواههم وتتقطع من العطش اكبادهم وتسيل على الخدود احداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم اشد سوادا من الحميم واعميت ابصارهم وابكمت السنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمع بين نواصيهم واقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤون حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار في بواطن اجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر اعضائهم هذا بعض جملة احوالهم فانظر الآن في تفصيل اهوالها وتفكر ايضا في اودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعب في كل شعب سبعون الف ثعبان وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن او وادي الحزن قيل يا رسول الله وما وادي الحزن او جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة اعده الله تعالى للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وتشعب اوديتها وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها قال ابو هريرة رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف انواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد منهم حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ادنى اهل النار عذابا يوم القيامة من ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار حيث قال ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصفة نار جهنم فقال امر الله تعالى ان يوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما تجدونه في الصيف من حرها واشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها وقال انس يؤتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا وقال ابو هريرة رضي الله عنه لو كان في المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى تلفح وجوههم النار قال لفحتهم لفحة واحدة فما ابقت لحما على عظم الا القته عند اعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لو أن دلواً من غساق جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الأرض وقال في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت
من كل مكان وما هو بميت وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم
كما قال تعالى ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون
شرب الهيم وقال تعالى إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن
لهم عليها لشوبا من حميم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال تعالى إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا
أليما وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل
الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ذلك وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا
وخافوا ما خوفكم به من عذابه وعقابه ومن جهنم فإنها لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبتها لكم ولو كانت
قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم وقال أبو الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلقى على أهل النار
الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون فيغاثون بطعام
ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا
دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال
قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم إنكم ماكثون قال الأعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين
إجابة مالك إياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا
أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير
والحسرة والويل وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال
يقرب إليه فيكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما
فقطع أمعاءهم وقال الله تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن إلى حيات جهنم
وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة
واحدة وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه
يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وإن فيها
لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه العقارب والحيات إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا
البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فإن الله تعالى يزيد
في أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي
قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الكافر
ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتواطؤه الناس ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الآن في بكاء
أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فإن ذلك يسلط عليهم في أول إلقائهم في النار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك وقال أنس رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت

فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعاء بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من
ذلك وقال محمد بن كعب لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ربنا
أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم
وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من
قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير
فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيجيبهم
اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب وقال مالك بن أنس قال زيد بن أسلم في قوله تعالى سواء علينا
أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح فيقال يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت وعن
الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتني كنت ذلك الرجل ورئي الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي فقال أخشى
أن يطرحني في النار ولا يبالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية له فأعظم
الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن
بخس دراهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في
أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه
وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم
شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها
فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها فيقولون ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تريتنا
ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا فيقول ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم وإذا
لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني
وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم وقال أحمد بن حرب إن أحدنا يؤثر الظل
على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح وقال
داود إلهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في
هذه الأهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى
وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة ولكن ما قضي الأمر يوم القيامة بل في أزل الآزال
ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق
في حقك فإن قلت فليت شعري ماذا موردي وإلى ماذا مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستأنس بها
وتصدق رجاءك بسببها وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلا ميسر لما خلق له فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعد
عن النار وإن كنت لا تقصد خيرا إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضي عليك فإن
دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم
فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين

القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فإن من بعد من إحداهما استقر لا محالة في الأخرى
فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان وسق نفسك

بسط الحزن ونسيم الرجا الى اهلها المستمر فيه نالوا الملك العظيم وسلموا من العذاب الاليم فتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة
النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر من الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين
على ارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن
الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيها حمل اعطافها سبعون
الفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات
عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين
ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكأس من معين ويطوف عليهم خدام وولدان كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا
يعملون في مقام امين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت في وجوههم
نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون
فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في
انهار اراضيها فضة وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على
كثبان الكافور ويؤتون باكواب واي اكواب اكواب فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج
به السلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية
صنعته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقها ولكن اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة
احداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين التغيير
الى اهلها كيف يانس بدار قد اذن الله في خرابها ويتهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت و
الجوع والعطش وسائر اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغيص
من ضرورته كيف واهلها ملوك آمنون وفي انواع السرور ممتعون لهم فيها ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله
الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين اصناف
هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون قال ابو هريرة رضي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينادي مناد ان لكم ان
تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تيأسوا ابدا
فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء
بيان الله بيان واقرأ من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت
ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتأمل اولا عدد الجنان قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم
وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما
ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة رضي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من انفق زوجين من ماله في سبيل
الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الصيام ومن كان من
اهل الصيام دعي من باب الصيام وهو باب الريان ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي
من باب الجهاد فقال ابو بكر رضي والله ما على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها قال نعم وارجو ان تكون منهم
وعن عاصم بن ضمرة عن علي رضي انه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا
حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كانما امروا به
فشربوا منها فاذهب ما في بطونهم من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغبر اشعارهم

بعدها ابدا ولا تشعث رؤوسهم كانما ادهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان
يطيفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبته يقولون له ابشر بما اعد الله لك من الكرامة كذا ثم ينطلق غلام
من اولئك الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول انت رأيته فيقول انا
رأيته وهو ذا باثري فيستخف احداهن الفرح حتى تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه
صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم رفع راسه فنظر الى سقفه فاذا مثل البرق ولولا ان الله عز وجل قدره لالم ان يذهب ببصره
ثم طأطأ راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكأ فقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم آتي يوم القيمة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح قبلك لاحد
فتأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس في الطاعات
الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد ان لا
يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد امرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل ذلك عليك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك
واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الغابر في الافق من المشرق او المغرب
لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين
وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق من آفاق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما
وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا انت وامنا قال ان في الجنة غرفا من
اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر قال قلت يا رسول الله لمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام
قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه او رد عليه فقد افشى السلام
ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة ايام فقد ادام الصيام
ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوت احمر في كل دار سبعون بيتا
من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل
مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة من القوة ما ياتي على ذلك اجمع صفة حائط
الجنة واراضيها واشجارها وانهارها تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرم منها بالقناعة بالدنيا عوضا عنها فقد قال
ابو هريرة رضي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ترابها زعفران وطينها مسك
وسئل النبي عليه السلام عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة رضي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من سره ان يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة
تتفجر من تحت تلال او تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله عز وجل به في الآخرة
افضل من حلية اهل الدنيا جميعا وقال ابو هريرة رضي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام
لا يقطعها اقرؤوا ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولون ان الله عز وجل
لينفعنا بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت ارى ان في الجنة شجرة تؤذي صاحبها

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]

كل شيء [illegible]

[illegible]

[illegible] قلت لا ادري قال

[illegible] في الجنة [illegible] قلت يا ابا عبد الله [illegible]

[illegible] **صفة لباس اهل الجنة** [illegible] قال الله عز وجل

[illegible]

ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال [illegible] في الجنة [illegible] ولا اذن سمعت

ولا خطر على قلب بشر [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]

عليه وآله وسلم [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

[illegible]

[illegible]

صفة طعام اهل الجنة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] **صفة الحور العين والولدان** [illegible]

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]

[illegible]

540

[illegible]

[illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

بيان [illegible] من اوصاف اهل الجنة [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال

[illegible]

[illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

وان المرأة لتأخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء ذلك السبعين حلة قد طهر الله الاخلاق من السوء والحساد
من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس ليل يكر الغدو
على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة لينظر له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب
والفضة وخيام اللؤلؤ يفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم بسبعين الف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها
في كل صحفة لون ليس في الاخرى يجد طعم آخره كما يجد طعم اوله وان في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل سبعون الف بيت ليس فيها
صدع ولا ثقب وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وان اعلاهم الذي ينظر الى ربه بالغداة
والعشي وقال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ
وقال ابو هريرة ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى حولها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال لا يزال في طلب الدنيا
ذل النفس وفي طلب الجنة عز النفس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى صفة الرؤية والنظر
الى وجه الله تبارك وتعالى قال الله تبارك وتعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهي الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي
ينسى فيها نعيم الجنة وقد ذكرنا حسنها في كتاب المحبة وقد شهد به الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة قال جرير بن عبد الله
البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته
فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا هو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرأ
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل
الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا الم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار
قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله عز وجل فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهي
نهاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من النعم عنده ينسى وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة
الى لذة اللقاء وقد اوجزنا الكلام ههنا لما فصلناه في كتاب المحبة والرضا فلا ينبغي ان يكون همة العبد من الجنة شيء سوى لقاء المولى فاما سائر
نعيم الجنة فانه يشارك فيها البهيمة المسرحة في المرعى

خاتمة الكتاب

باب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل
التفاؤل بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب الفال وعلينا ان لا نعمل الا ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم في التفاؤل ونرجو ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا وقال تبارك وتعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم
او طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافقها اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة
بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا
فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة
دعتنا الى تصنع وتكلف تزين للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجو بعد كل الاستغفار من جميع ذلك
كله لنا ولمن طالع كتابنا او كتبه او سمعه ان يكرمنا بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرها وباطنها فانه الكريم عميم الرحمة
واسع الجود على اصناف الخلائق فائض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ان لله عز وجل مائة رحمة انزل منها رحمة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر
تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ويروى انه اذا كان يوم القيامة اخرج الله كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت
غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثلا اهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا

فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة آلاف الف وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل
يقول يوم القيامة للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم
مغفرتي وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عز وجل اخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في مقام وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله معهم من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى
قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيامر باخراج من كان
في النار من اهل القبلة فيخرجون فاذا رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها
وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم
القيامة فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى
ان الله عز وجل قال لموسى يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وقال سعد
بن بلال يؤمر يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى ذلك بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويأمر بردهما الى النار فيعدو احدهما
في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد حذرت من وبال المعصية فلم اكن
اتعرض لسخطك ثانيا ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك يشعرني ان لا تردني اليها بعدما اخرجتني منها فيأمر بهما الى الجنة وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها
وادخلوا الجنة برحمتي ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله
ما انقذكم منها وهو يريد ان يوقعكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت
فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا
وسوف احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
حرم الله عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يستخلص رجلا من امتي على
رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول
لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم اليوم عليك فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة
في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله شيء وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
في آخر حديث الشفاعة يوم القيامة ان الله يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير
فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة
من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني في هذا الحديث فاقرأوا ان شئتم
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع
المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له
نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر والى الشجر ما يكون منها الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها
الى الظل ابيض قالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء
عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا

542

من العالمين ويقول لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضائي فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت ان يكون امتي فقيل لي هذا موسى في قومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقيل لي هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتذاكر اصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء ابناؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال انا منهم يا رسول الله فقال نعم فقال آخر انا منهم يا رسول الله فقال سبقك بها عكاشة وعن عمرو بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثا لا يخرج الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتجبت عنا حتى ظننا انه قد حدث حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سألت ربي في هذه الايام الثلاثة المزيد فوجدت ربي ماجدا واجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رسول الله ويبلغ امتي هذا قال يكمل لك العدد من الاعراب وقال ابو ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت يا جبريل وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان شرب الخمر وقال ابو الدرداء رضي الله عنه قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله قال وان رغم انف ابي الدرداء وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الى كل مؤمن رجل من اهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحلف له وروي انه وقع سبي في بعض المغازي فصاح عليه في يوم صائف شديد الحر فنظرت امرأة في خباء القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على حر البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه فسر برحمتها ثم بشرهم فقال اتعجبون من رحمة هذه لابنها قالوا نعم يا رسول الله قال فان الله تبارك وتعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على افضل السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله عز وجل

فنرجو الله تعالى ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله بمنه وسعة جوده

وصلى الله على محمد وآله اجمعين اخرجه

المنجيات وهو آخر كتاب احياء

علوم الدين والحمد لله رب

العالمين

فرغ العبد الضعيف النحيف اللهيف المحتاج الى رحمة الله تعالى وشفاعة نبيه وصفيه حبيبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم قطب الدين بن محمد بن محمد بن الياس عفى الله تعالى عنهم وعن جميع والديهم ولمن قال آمينا يا رب العالمين

يا ناظرا فيه سل الله مرحمة على المصنف واستغفر لصاحبه واطلب لنفسك من خير تريد بها من بعد ذلك غفرانا لكاتبه والحمد لله على التمام وللرسول افضل السلام